

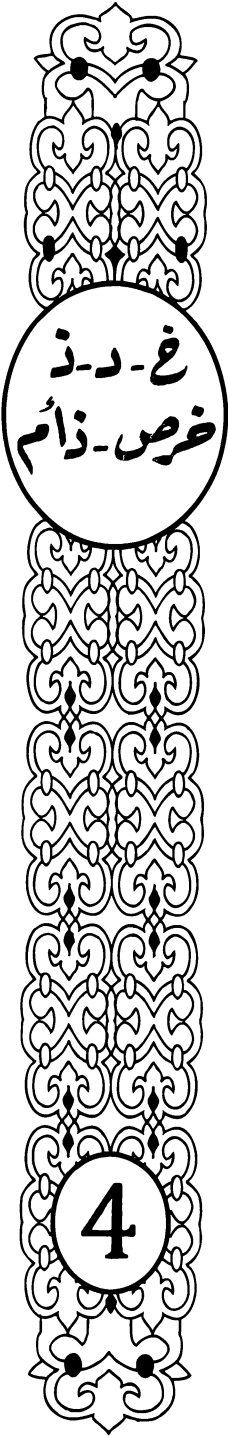
مَوْسُوْعَةٌ
الْكَلِمَةُ وَأَخْوَانُهَا
فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

السَّيِّدُ الرَّكْوَنُ مُحَمَّدُ عَبْدُ الْكَبِيرِ الْكَبِيرِيُّ

المجلد الرابع

دار المعرفة

بيروت - لبنان



خ - د - ذ
ض - ص - ز - ام

4

جميع الحقوق محفوظة لدار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت - لبنان

الطبعة الأولى 1438 هـ - 2017 م

يحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنفيذ الكتاب كاملاً أو مجزئاً
ويحظر نسخه أو تحميله من وإلى الحاسوب الآلي أو برمجته كاملاً أو مجزئاً على أقراص ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً.
وعدا ذلك يعتبر سرقة ومخالفاً للشريعة تحت طائلة المسؤولية القانونية والملاحقة القضائية.

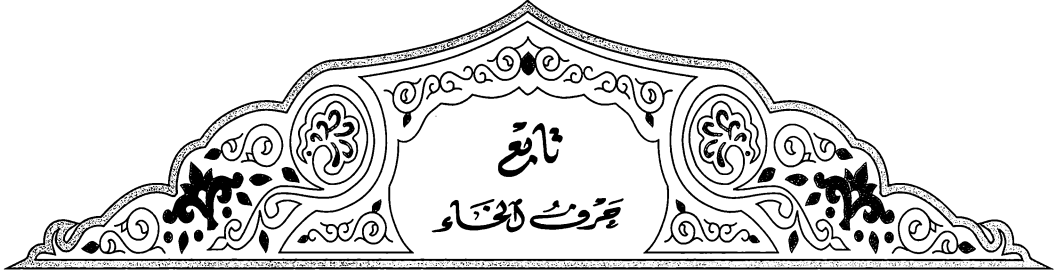
ISBN : 9953-85-369-X

دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع
DAR AL-MAREFAH
Printing & Publishing



جسر المطار شارع البرجاوي * هاتف: 834301 - 834332
فاكس: 835614 * ص.ب: 7876 — بيروت — لبنان
Airport Bridge Birjawi Str. * Tel: 834301 - 834332
Fax: 835614 * P.O.Box: 7876 Beirut - Lebanon
Email: info@marefah.com * www.marefah.com

مُؤَسَّسَةٌ
الكَلِمَةُ وَأَخْوَانُهَا
فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ
④



خرص

(خرص - إفك - بهت - زور - افتراء - كذب)

- **الْخَرَصُ**: كذب يقوم على الظن والتخمين ﴿قِيلَ الْخَرَصُونَ﴾ [الذاريات: 10].
- **الإفك**: العدل عن الحق إلى الباطل عناداً. ﴿أَيْفَاكَ إِلهَةٌ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ [الصفات: 86].
- **البهت**: كذب يدهش الآخرين لغرابته ﴿هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: 16].
- **الزور**: تزييف الحقيقة بصيغة مزورة ﴿فَقَدَّ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾ [الفرقان: 4].
- **الافتراء**: الكذب المنسوج بعناية واحتراف ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 48].
- **الكذب**: التعمد في صرف الكل عما ينبغي أن يكون عليه ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ كَذِبُونَ﴾ [المنافقون: 1].



النصوص اللغوية:

قال ابن فارس⁽¹⁾: الخاء والراء والصاد أصول متبانية جداً.

(1) معجم مقاييس اللغة.

فالأوّل: الخَرَصُ وهو حَزْرُ الشَّيءِ. يقال: خَرَصْتُ النَّخْلَ: إذا حَزَرْتِ ثمره.

والخَرَّاصُ: الكَذَّابُ، وهو من هذا، لأنّه يقول ما لا يعلم ولا يُحقّق.

وأصل آخر: يقال للحَلَقَةِ من الذهب: خُرْصٌ.

وأصل آخر: وهو كلّ ذي شُعْبَةٍ من الشَّيءِ ذي الشُّعْبِ. فالخَرِيسُ من البحر:

الخليج منه، والخُرْصُ: كلّ قَضِيبٍ من شجرة؛ وجمعه: خِرْصَان.

ومن هذا الأصل تسميتهم الرُّمَح: الخُرْصُ.

ومنه الأَخْرَاصُ، وهي عيدان تكون مع مُشْتَار العَسَل.

وأصل آخر: وهو الخَرِصُ، وهو صفة الجائع المقرور، يقال: خَرِصَ

خَرِصاً.

قال الخَلِيل⁽¹⁾: الخَرِصُ: الكَذِبُ، والخَرَّاصُونَ في قوله جلّ وعزّ: ﴿قِيلَ

لِخَرَّاصُونَ﴾ [الذَّارِيَات: 10]، الكَذَّابُونَ.

ويَخْرُصُونَ: يكذبون.

والخَرِصُ: الحَزْرُ في العدد والكَيلِ، والخَارِصُ: يَخْرُصُ ما على النَّخلة، ثمّ

يقسم الخَرَجَ على ذلك. والخَرِيسُ: شِبْه حَوْضٍ واسعٍ ينبثق فيه الماء من نهر،

ثمّ يعود إلى النَّهر، والخَرِيسُ مُمْتَلِئٌ.

والخَرِصُ من الرِّمَاح: رُمَحٌ قَصِيرٌ يُتَّخَذُ من خَشَبٍ مَنحُوتٍ، وقد يقال لِدِقَاقِ

القناة وقصارها: خِرْصَانٌ؛ والواحد: خُرْصٌ.

قال ابن دُرَيْد⁽²⁾: الخَرِصُ: خَرِصُ النَّخْلِ عربيٌّ معروفٌ، وخَرِصْتُ النَّخْلَةَ

أخْرِصْتُهَا خَرِصاً: حَزَرْتُهَا

(2) الجمهرة.

(1) العين.

واخترصَ فلان كلاماً: إذ اختلقه، وكذلك خَرَّصَه وتَخَرَّصَه، وفي التنزيل: ﴿قُلِ الْخَرَّصُونَ﴾ [الذاريات: 10]، الكذّابون، والله أعلم بكتابه.

قال أبو هلال⁽¹⁾: الفرق بين الكذب والخرص: أنّ الخرص هو الحزر وليس من الكذب في شيء، والخرص ما يحزر من الشيء، يقال: كم خرص نخلك؟ أي: كم يجيء من ثمرته.

وإنما استعمل الخرص في موضع الكذب، لأنّ الخرص يجري على غير تحقيق، فشبه بالكذب.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَطَّعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: 116].

قال الطبري⁽²⁾: يقول: ما هم إلا متخرصون، يظنون ويوقعون حزراً لا يقين علم.

قال الفخر الرازي⁽³⁾: هم خراصون كذابون في ادعاء القطع.

قال البيضاوي⁽⁴⁾: يكذبون على الله سبحانه وتعالى فيما ينسبون إليه كاتخاذ الولد، وجعل عبادة الأوثان وصلة إليه، وتحليل الميتة، وتحريم البحائر. أو يُقدرون أنّهم على شيء. وحقيقته ما يقال عن ظنّ وتخمين.

● قال تعالى: ﴿قُلِ الْخَرَّصُونَ﴾ [الذاريات: 10-12].

(3) التفسير الكبير.

(1) الفروق.

(4) أنوار التنزيل.

(2) جامع البيان.

قال البَغَوِيُّ⁽¹⁾: لُعِنَ الكَذَّابُونَ، يقال: تخرَّص على فلان الباطل، وهم المقتسمون الَّذِينَ اقتسموا عقاب مَكَّةَ، واقتسموا القول في النَّبِيِّ ﷺ ليصرفوا النَّاسَ عن دين الإسلام.

قال ابن عَطِيَّةَ⁽²⁾: الخِرَاصُ: المُخَمَّنُ القائل بظنِّه، فتحت الكاهن والمرتاب وغيره ممَّا لا يقين له، والإشارة إلى مُكذِّبي محمَّد على كلِّ جهة من طروقهم.

قال الفَخْرُ الرَّازِي⁽³⁾: وهذا يدلُّ على أنَّ المراد من قوله: ﴿لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ﴾ [الذاريات: 8]، أنَّهم غير ثابتين على أمر، وغير جازمين، بل هم يظنون ويخرصون، ومعناه لُعِنَ الخِرَاصُونَ، دعاء عليهم بمكروه.

ثمَّ وصفهم فقال: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ﴾ وفيه مسألتان: إحداهما لفظية، والأخرى معنوية: أمَّا اللَّفْظِيَّةُ [لاحظ س ه و: (السَّاهُونَ)].

وأمَّا المعنويَّةُ فهي أنَّ وصف الخِرَاصُ بالسَّهْوِ والانهماك في الباطل يحقِّق ذلك كون الخِرَاصِ صفة ذمٍّ؛ وذلك، لأنَّ ما لا سبيل إليه إلَّا الظَّنُّ إذا خرَّص الخارص وأطلق عليه الخِرَاصُ لا يكون ذلك مفيد نقصٍ، كما يقال في خِرَاصِ الفواكه والعساكر وغير ذلك. وأمَّا الخِرَاصُ في محلِّ المعرفة واليقين فهو ذمٌّ، فقال: ﴿قُلْ أَلْحَرَّضُونَ﴾ ﴿الَّذِينَ هُمْ﴾ جاهلون ساهون لا الَّذِينَ تعيَّن طريقهم في التَّخمين والحَزْر. وقوله تعالى: ﴿سَاهُونَ﴾ بعد قوله: ﴿فِي غَمْرَةٍ﴾ يفيد أنَّهم وقعوا في جهل وباطل ونسوا أنفسهم فيه، فلم يرجعوا عنه.



(3) التفسير الكبير.

(1) معالم التنزيل.

(2) المحرر الوجيز.

خرطوم

(خرطوم - أنف)

■ **الْخُرْطُومُ**: أنف الفيل، وأطلق على أنف من أطلق عليه استقباحاً له ﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾ [القلم: 16].

■ **الْأَنْفُ**: الجارحة في وسط الوجه بين الخدين، ثم يسمى به طرف الشيء وأشرفه فيقال: أنف الجبل وأنف اللحية.



النصوص اللغوية:

قال ابن فارس⁽¹⁾: الخُرْطُوم: معروف، والراء زائدة، والأصل فيه: الخَطْم، وقد مرّ.

ومن الباب تسميتهم سادة القوم: الخَرَاطِيمُ.

قال الخليل⁽²⁾: الخُرْطُومُ: الأنف. وخَرَاطِيمُ القوم: سادتهم ومقدموهم في الأمور.

قال الراغب⁽³⁾: قال تعالى: ﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾، أي: لزمه عار لا ينمحي عنه، كقولهم: جُدِعت أنفه.

قال الزَّمَخْشَرِيُّ⁽⁴⁾: وَوَسَمَهُ عَلَى الْخُرْطُومِ: أَذَلَّهُ.

(1) معجم مقاييس اللغة.

(3) مفردات الراغب.

(4) أساس البلاغة.

(2) العين.

وهم خَرَاطِيمُ القوم: لساداتهم.

قال الفيروزآبادي⁽¹⁾: الخُرْطُومُ كزُبُور: الأنف، أو مقدّمة، أو ما ضَمَمْتَ عليه الحنكَيْن كالخُرْطُم كقُنْفُذ، والخمر السريعة الإسكار، أو أوّل ما يجري من العنب قبل أن يُداس.

وخراطيم القوم: ساداتهم.

وخرطمه: ضرب خرطومه أو عوجه.

واخرنطم: رفع أنفه واستكبر وغضب.

والخرطمان بالضمّ: الطويل.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الخُرْطُورِ﴾ [القلم: 16].

قال الفراء⁽²⁾: أي: سنسّمه سِمة أهل النار، أي: سنسود وجهه. فهو وإن كان الخرطوم قد حُصّ بالسّمة فإنّه في مذهب: الوجه، لأنّ بعض الوجه يؤدّي عن بعض. والعرب تقول: أما والله لأسِمنك وسمّاً لا يفارقك، تريد: الأنف.

قال الطّبري⁽³⁾: اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معناه: سنخبطه بالسيف، فنجعل ذلك علامة باقية، وسِمة ثابتة فيه ما عاش.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: سنشينه شيئاً باقياً. وقال آخرون: سيمى على أنفه.

(3) جامع البيان.

(1) القاموس المحيط.

(2) معاني القرآن.

وأولى الأقوال بالصّواب في تأويل ذلك عندي قول من قال: معنى ذلك: سبب أمره بياناً واضحاً حتى يعرفوه، فلا يخفى عليهم، كما لا تخفى السّمة على الخرطوم.

قال القشيري⁽¹⁾: أي سنجعل له في القيامة [علامة] على أنفه تشويهاً لصورته، كي يُعرف بها.



(1) لطائف الإشارات.

خرق

(خرق - ثقب - نقب - نفق)

- **الْخُرْقُ:** فتح الشيء الصلب بأسلوب فاسد من غير علم ولا تفكر ﴿قَالَ أَخْرَقَهَا لِنُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ [الكهف: 71].
- **الثَّقْبُ:** فتح الجبل والخشب بالمثقب الحراري المضيء ﴿فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ [الصافات: 10].
- **النَّقْبُ:** في الحائط والجلد أو الأرض بحثاً عن شيء ﴿فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَّخِصٍ﴾ [ق: 36].
- **النَّفْقُ:** الشق الطويل في الأرض ﴿إِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْلَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ﴾ [الأنعام: 35].



شرح المعاني:

خَرَقَ: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخْرَقَهَا لِنُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ [الكهف: 71] الخرق هو فتح فتحة واسعة تكفي لأن يدخل فيها إنسان وهذا الفرق بينها وبين الثقب.

الثقب: هو إدخال آلة فقط مثل ثقب الأذن. والخرق أوسع من الثقب ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ [الصافات: 10] الثاقب كالألة التي تدخل الخشب فتفتح فيه منفذاً بحجم الآلة. واضح أن الثقب غير الخرق ولكل منهما مهمة خاصة.

خرق

يقال الإنسان الأخرق أو العقل الأخرق أي: الذي يكون عقله فيه فتحة لا يمسك ماء، فلو دخلت الحكمة أو العلم أو المعرفة من مكان تخرج من مكان آخر دون أن يستفيد منها شيئاً. فالخرق هو بلا تفكير ولا تدبر وهو للإفساد فقط فإذا أردت أن تفسد شيئاً اخترقته.

نفق: الفرق بينه وبين الخرق أن النفق أطول من الخرق. الخرق قصير (مثل خرق جدار) تحرقه وتنفذ منه، أما إذا كان طويلاً في الأرض أو في الجبل فيسمى نفقاً. والنفق كما قلنا أطول بكثير من الخرق. ﴿وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ أُسْتَطِعْتَ أَنْ تَبْنِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأنعام: 35].

نقب: يختلف عما سبق أن النقب يكون في الأجسام الصلبة، أما الثقب أو النفق أو الخرق فيكون في الأشياء السهلة مثل الخشب أو جدار أو ثوب، أما إذا كان النقب فيكون في الحديد أو الصخر الصلب ﴿فَمَا أُسْطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا أُسْتَطَعُوا لَهُمْ نَقْبًا﴾ [الكهف: 97]. والنقب من التنقيب في الأرض في الأعماق لأنه يدخل في طبقات صخرية عميقة وصلبة ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ﴾ [ق: 36].

باختصار فإن الخرق فتح منفذ صغير يكفي لمرور شخص ﴿وَلَا تَمْسِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ [الإسراء: 37] ﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخْرَقْنَاهَا لِنُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ [الكهف: 71] ولهذا الماء تدفق ومسافة الخرق أقل من مسافة النفق أما النقب فيكون في الأشياء الصلبة كجبل من الحجارة أو الغرانيت أو الحديد.

الخرق والاختراق: ما من شيء في هذه الدنيا يربك أنظمتها وحياتها كالاختراق، سواء كان اختراق دين فيصبح بدعة، أو اختراق وطن فيصبح جاسوسية، أو اختراق نظام فيصبح عمالة. وكل نوع من أنواع الاختراق له اسم في الكتاب العزيز، ولهذا تجد في الكتاب والسنة وما يرتضيه العقل

البشري يحذر الإنسان والجماعة والأمة والشعب والسلطان من الاختراق الذي هو من سنن الكون ومن أعظم أسلحة العدو. وكل عدو يصل إلى عدوه عن طريق الاختراق لأنه أشد أثراً وأشد إيلاماً من الجيش، والتاريخ مليء بحروب انتصر فيها عدد قليل على عدد كثير بقوة الاختراق. والحروب بين العالم الاقتصادية أو عسكرية تعتمد على الاستخبارات، فقد تنتصر دولة ضعيفة لأنها تخترق كل دول العالم وجيوشه وتضع إرادات دول عظمى وتتحكم في سياسات تلك الدول عن طريق الاختراق. والعرب للأسف لا يحسنون هذا الاختراق لأنه يحتاج إلى مكر ودهاء وقوة على حفظ الأسرار والكتمان وقوة الولاء للوطن. منذ بداية الإسلام فالعرب مُخْتَرِقُونَ إلى هذا اليوم، فقبل ذهاب الرسول عليه الصلاة والسلام لفتح مكة ذهبت رسالة لأهل مكة تحذرهم أن محمد عليه الصلاة والسلام قادم إليهم ليحاربهم. وهذا الاختراق يوضح كيف قُتل ثلاثة من الخلفاء الراشدين: عمر بن الخطاب (قتله أبو لؤلؤة المجوسي) وعثمان بن عفان (قتله مجموعة من اليمن ومصر حاصروه 40 يوماً وقتلوه ومنعوا الناس من دفنه والناس تتساءل من أين أتى هؤلاء) وعلي بن أبي طالب. وهم الذين فتحوا العالم وملأوا الدنيا عدلاً. وكل تاريخ العرب مليء بغدر الباقين لهم وذلك يعود إلى أن العرب ليسوا أهل مكر ولا يصلحون للسياسة لأنها تحتاج إلى مكر ودهاء وليس فيها عواطف. فالعربي فطري عاطفي يحب الضيف ويكرمه ويألف بسرعة ويرضى بسرعة ولا يعرف الغدر. فقد حكم العرب سنوات عديدة لكنهم لم يغدروا بالناس. وفي أحد أقاليم فارس انسحب المسلمون من الإقليم بعد أن دخلوه بدون استئذان. ويقول ابن خلدون: أنه لا يقوم للعرب ملك أو سياسة إلا بالإسلام. أما أعداؤنا فهم يتربصون بنا الدوائر ويفسدون علينا ديننا واقتصادنا ومناهجنا وإعلامنا ومجتمعاتنا، وللأسف أن الأمة العربية سهلة الاختراق لأنها تتجاوب مع الكلمة الطيبة، كما صدقوا بريطانيا في خداعها

وكذبها عليهم . وللأسف أن العرب مع عدم براعتهم في اختراق أعدائهم نجحوا في اختراق بعضهم البعض ، وعلى الأمة العربية الإسلامية أن تربي أبناءها وشعبها على قوة الولاء للوطن واستقذار خيانة الوطن كما يستقذرون الزنا بالمحارم وضرب الوالدين وسرقة المساجد والبغاء وغيرها من المستقذرات ، لأنه ما من شيء أحسّ وأقدر من أن يخون الإنسان وطنه وحاكمه ونظامه وحتى لو لم يكن الحاكم مخلصاً لوطنه فعلى الشعب أن يغيّره بنفسه ولا يجلب للوطن من يغيّره من خارج الوطن .

وصلاية الدولة تكون بإمام عادل ، والعدل المطلوب هنا بالعدل النسبي وليس عدل عمر بن الخطاب «إن الله ليزع للسلطان ما لا يزع للقرآن» لأنه عندما يحترم الزعيم شعبه يعامله معاملة جيدة محترمة يرتقي الشعب معه ، اما إذا عذّب شعبه فتصبح الأمور معاكسة . ويجب على الدولة القوية أن تكون أمورها في غاية الدقة وأن تختار الكفاءة قبل الولاء . وما من أمة تستأثر بالناس وتغير أخلاقهم وتنفرد في العالم وتسيطر عليه بحيث يكون العالم خائفاً منها ومرعوباً لا بد أن يهلكها الله تعالى لأن هذا من سنن الله تعالى في الكون . قارون كانت مفاتيح كنوزه تنوء بالعصبة فخسف الله تعالى به الأرض .

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس⁽¹⁾: الخاء والراء والقاف أصل واحد، وهو مزق الشيء . وجَوُّهُ، إلى ذلك يرجع فروعه، فيقال: خَرَقْتُ الأرض، أي: جُبْتُها . واخترَقْتُ الرِّيحَ الأرض: إذا جابَّتْها . والمُخترَقُ: الموضع الذي يَحترِقُهُ الرِّيحُ . والخَرَقُ: المفازة، لأنَّ الرِّيحَ تخترقها .

(1) معجم مقاييس اللغة .

والخَرْقُ: الرَّجُلُ السَّخِيُّ، كَأَنَّهُ يَتَخَرَّقُ بِالْمَعْرُوفِ.
 وَالخُرْقُ: نَقِيزُ الرَّفْقِ، كَأَنَّ الَّذِي يَفْعَلُهُ مُتَخَرِّقٌ.
 وَالتَّخَرَّقُ: خَلَقُ الكَذِبِ. وَرِيحُ خَرْقَاءَ: لَا تَدُومُ فِي الهَبُوبِ عِلَّةُ جَهَّةٍ.
 وَالخَرْقَاءُ: المَرَأَةُ لَا تُحَسِّنُ عَمَلًا.
 وَالخَرْقَاءُ مِنَ الشَّاةِ وَغَيْرِهَا: المَثقُوبَةُ الأُذُنِ.
 وَبَعِيرٌ أَخْرَقٌ: يَقَعُ مَنْسِمُهُ، بِالأَرْضِ قَبْلَ خُفِّهِ. وَالخِرْقَةُ مَعْرُوفَةٌ، وَالجَمْعُ خِرْقٌ. وَالخِرْقَةُ مِنَ الجِرَادِ: القِطْعَةُ.
 وَمِنَ البَابِ الخَرْقُ، وَهُوَ التَّحْيِيرُ وَالدَّهْشُ. وَيُقَالُ خَرِقَ الغَزَالُ: إِذَا طَافَ بِهِ الصَّائِدُ فَدَهَشَ وَلَصِقَ بِالأَرْضِ. وَيُقَالُ مِثْلَ ذَلِكَ تَشْبِيهًا: خَرِقَ الرَّجُلُ فِي بَيْتِهِ: إِذَا لَمْ يَبْرَحْ.
 وَالخُرْقُ: طَائِرٌ يُلصِقُ بِالأَرْضِ. ثُمَّ يُتَّسَعُ فِي ذَلِكَ فَيُقَالُ: الخَرْقُ الحَيَاءُ.
 وَحَكَى عَنِ بَعْضِ العَرَبِ: «لَيْسَ بِهَا طُولٌ يَدِيمُهَا، وَلَا قِصْرٌ يُخْرِقُهَا» أَي: لَا تَسْتَحْيِي مِنْهُ فَتَخَرَّقُ. وَالمَخَارِيقُ: مَا تَلْعَبُ بِهِ الصَّبِيانُ مِنَ الخِرْقِ المَفْتُولَةِ.
 وَاخْتَرَقَ الدَّارَ: جَعَلَهَا طَرِيقًا لِحَاجَتِهِ. وَاخْتَرَقَتِ الخَيْلُ مَا بَيْنَ القُرَى وَالشَّجَرِ: تَتَخَلَّلُهَا.
 وَخَرَقَ الأَرْضَ يَخْرِقُهَا: قَطَعَهَا، وَفِي التَّنْزِيلِ: ﴿إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الأَرْضَ﴾ [الإسراء: 37].
 قَالَ الخَلِيلُ⁽¹⁾: خَرَقْتُ الثَّوبَ: إِذَا شَقَّقْتَهُ. وَخَرَقْتُ الأَرْضَ: إِذَا قَطَعْتَهَا حَتَّى بَلَغَتْ أَقْصَاهَا. وَبِهِ سَمِّيَ الثَّوْرُ مِخْرَاقًا.
 وَالاخْتِرَاقُ: المُرُورُ فِي الأَرْضِ غَيْرَ طَرِيقٍ عَرَضًا، وَاخْتَرَقْتُ دَارَ فُلَانٍ: جَعَلْتَهَا طَرِيقًا لِحَاجَتِكَ.

(1) العين.

والخَرْقُ: الشَّقُّ في الحائط، أو ثوب ونحوه، فهو مَخْرُوقٌ.

والخَرْقُ: المفازة البعيدة، اختَرَقَتْهُ الرِّيحُ فهو خَرَقٌ أَمْلَسُ.

قال الراغب⁽¹⁾: الخَرْقُ: قطع الشيء على سبيل الفساد، من غير تدبّر ولا تفكّر، قال تعالى: ﴿أَخْرَقَهَا لِنُغْرَقِ أَهْلَهَا﴾ [الكهف: 71]، وهو ضدّ الخلق، وإنّ الخلق هو فعل الشيء بتقدير ورفق، والخَرْقُ بغير تقدير، قال تعالى: ﴿وَأَخْرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: 100]، أي: حكموا بذلك على سبيل الخَرْقِ.

وباعتبار القطع قيل: خَرَقَ الثَّوبَ وَخَرَقَهُ، وَخَرَقَ الْمَفَاوِزَ، وَاخْتَرَقَ الرِّيحُ.

* المعنى المشترك:

وقد ورد الخرق في القرآن بمعنيين:

- الأول: بمعنى النقب: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخْرَقَهَا لِنُغْرَقِ أَهْلَهَا...﴾ [الكهف: 71] ﴿وَلَا تَمْسِسْ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ [الإسراء: 37].

- الثاني: بمعنى؛ فعله بغير تقدير بل ادعاه إفكاً وكذباً ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ [الأنعام: 100].

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخْرَقَهَا لِنُغْرَقِ أَهْلَهَا...﴾ [الكهف: 71].

قال الفخر الرازي⁽²⁾: أقدم ذلك العالم على خرق السفينة، ولعله أقدم على

(2) التفسير الكبير.

(1) مفردات الراغب.

خرق جدار السفينة لتصير السفينة بسبب ذلك الخرق مَعِيْبَةً ظاهر العيب، فلا يتسارع الغرق إلى أهلها، فعند ذلك قال موسى له: ﴿أَخْرَقْنَاهَا لِنُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾.

قال ابن عربي⁽¹⁾: أي نقصها بالرياضة وتقليل الطعام، وأضعف أحكامها، وأوقع الخلل في نظامها وأوهنها، ﴿قَالَ أَخْرَقْنَاهَا لِنُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾ أي: أكسرتها لتغرق القوى الحيوانية والنباتية التي فيها بحر الهيولى فتهلك.

قال الألوسي⁽²⁾: صحَّ أنهما لما ركبا في السفينة لم يفجأ إلا والخضر قد قلع لوحاً من ألواحها بالقدوم، فقال له موسى ﷺ: قوم حملونا بغير نول عمدت إلى سفينتهم فخرقتهما. وصحَّ أيضاً أنه ﷺ خرقتها، ووتد فيها وتداً. وقيل: قلع لوحين ممّا يلي الماء. وفي رواية عن سعد بن جبّير عن ابن عباس مرفوعاً: (أنهما لما ركبا واطمأنّا فيها، ولججت بهما مع أهلها أخرج مثقاباً له ومطرقة، ثم عمد إلى ناحية منها، فضرب فيها بالمنقار حتى خرقتها، ثم أخذ لوحاً فطبقه عليها، ثم جلس عليها يرقعها).

وهذه الرواية ظاهرة في أنّ خرّقه إيّاها كان حين وصولها إلى لُجّ البحر، وهو معظم مائه. وفي الرواية عن الربيع أن أهل السفينة حملوهما فساروا حتى إذا شارفوا على الأرض خرقتها.

ويمكن الجمع بأنّ أوّل العزم كان وهي في اللُجّ، وتمام الفعل كان وقد شارفت على الأرض. وظاهر الأخبار يقتضي أنّه ﷺ خرقتها وأهلها فيها، وهو ظاهر قوله تعالى: قال موسى ﴿أَخْرَقْنَاهَا لِنُغْرِقَ أَهْلَهَا...﴾.

● قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ﴾ [الأنعام: 100].

قال الطبري⁽³⁾: يعني بقوله ﴿وخرقوا﴾ اختلقوا، يقال: اختلق فلان على فلان

(1) تفسير القرآن لابن العربي.

(3) جامع البيان.

(2) روح المعاني.

خرق

كذباً واخترقه، إذا افتعله وافتراه. فتأويل الكلام إذن: وجعلوا لله الجنّ شركاء في عبادتهم إياه، وهو المنفرد بخلقهم بغير شريك، ولا معين، ولا ظهير، وخرقوا له بنين وبنات.

يقول: وتخرّصوا لله كذباً، فافتعلوا له بنين وبنات بغير علم منهم بحقيقة ما يقولون، ولكن جهلاً بالله وبعظمته، وأنه لا ينبغي لمن كان إلهاً أن يكون له بنون وبنات، ولا صاحبة، ولا أن يُشركه في خلقه شريك.

قال الرَّجَّاجُ⁽¹⁾: معنى ﴿وَحَرَّفُوا﴾ اختلقوا وكذبوا، وذلك لأنهم زعموا أنّ الملائكة بنات الله، وزعمت النصارى أن المسيح ابن الله، وذكرت اليهود أن عَزِير ابن الله، فأعلم جلّ ثناؤه أنّهم اختلقوا ذلك بغير علم، أي: لم يذكروه عن علم، وإنّما ذكروه تكذباً.

قال الرَّمَحْشَرِيُّ⁽²⁾: وخلقوا له، أي: افتعلوا له ﴿بَيْنَ وَبَنَاتٍ﴾، وهو قول أهل الكتابين في المسيح وعزير، وقول قريش في الملائكة، يقال: خلق الإفك وخرقه واختلقه واخترقه بمعنى.

ويجوز أن يكون من خرق الثوب، إذا شقّه، أي اشتقّوا له بنين وبنات.

وقرئ: ﴿وَحَرَّفُوا﴾ بالتشديد للتكثير، لقوله: ﴿بَيْنَ وَبَنَاتٍ﴾.

وقرأ ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهما: (وَحَرَّفُوا له) بمعنى: وزوروا له أولاداً، لأنّ المزور: مُحَرَّفٌ مغيرٌ للحقّ إلى الباطل.

● قال تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ [الإسراء: 37].

قال الطَّبْرِيُّ⁽³⁾: يقول: إنّك لن تقطع الأرض باختيالك.

(3) جامع البيان.

(1) معاني القرآن.

(2) الكشاف.

﴿وَكُن تَبْلَغَ الْجِبَالِ طُولًا﴾ بفخرك وكبرك وإنما هذا نهى من الله عباده عن الكبر والفخر والحِيلاء، وتقدّم منه إليهم فيه معرفتهم بذلك أنّهم لا ينالون بكبرهم وفخارهم شيئاً يقصر عنه غيرهم.

قال الرَّجَّاجُ⁽¹⁾: قالوا: معنى ﴿تَخْرَقَ الْأَرْضَ﴾ تقطع الأرض، وقيل: تثقب الأرض. والتأويل أنّ قدرتك لا تبلغ هذا المبلغ، فيكون ذلك وصلة إلى الاختيال.

قال الماوردِيّ⁽²⁾: فيه وجهان:

أحدهما: إنّك لن تخرق الأرض من تحت قدمك، ولن تبلغ الجبال طولاً بتطاولك، زجراً له عن تجاوزه الذي لا يُدرك به غرضاً.

الثاني: أنّه مثل ضربه الله تعالى له، ومعناه: كما أنّك لن تخرق الأرض في مشيك، ولن تبلغ الجبال طولاً، فإنّك لا تبلغ ما أردت بكبرك وعُجبك، إياساً له من بلوغ إرادته.



(2) النكت والعيون.

(1) معاني القرآن.

خزن

(خزن - حرس - حفظ - رصد - رقيب)

■ **الْحَازِنُ**: حماية الشيء من الضياع بالخروج ﴿وَقَالَ لَهُمْ خُزْنُهَا﴾ [الزمر: 71].

■ **الْحَارِسُ**: يقف خارج الشيء ليحميه ﴿فَوَجَدْنَهَا مِلْثًا حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا﴾ [الجن: 8].

■ **الْحَافِظُ**: يكون داخل الشيء يديمه ويحميه ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ [الطارق: 4].

■ **الرَّقِيبُ**: الحارس الذي يقف في مكان مرتفع يجيد النظر فيما حوله يحصي كل حركة ﴿لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: 18].

■ **الرَّاصِدُ**: الحارس الذي لا يراه أحد ﴿فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شُهَابًا رَصَدًا﴾ [الجن: 9].



النصوص اللغوية:

قال ابن فارس⁽¹⁾: الخاء والزّاي والتّون أصل، يدلّ على صيانة الشيء. يقال: خَزَنْتُ الدّرهم وغيره خَزْنًا، وخَزَنْتُ السّرّ.

فأمّا خَزِنَ اللّحم: تغيّرت رائحته، فليس من هذا، إنّما هذا من المقلوب، والأصل: خَنِزُ، وقد ذُكر في موضعه.

(1) معجم مقاييس اللغة.

قال الخليل⁽¹⁾: حَزَنَ الشَّيْءُ فُلَانًا يَحْزُنُهُ حَزْنًا: إِذَا أَحْرَزَهُ فِي حِزَانَةٍ، وَاحْتَزَنَتْهُ لِنَفْسِي.

وَخِزَانَتِي قَلْبِي، وَخَازِنِي لِسَانِي. قَالَ لِقَمَانَ لَابْنِهِ: (إِذَا كَانَ خَازِنُكَ حَفِيظًا، وَخِزَانَتُكَ أَمِينَةً سُدَّتْ فِي دُنْيَاكَ وَآخِرَتِكَ). يَعْنِي اللِّسَانَ وَالْقَلْبَ.

وَالخِزَانَةُ: الْمَوْضِعُ الَّذِي يُحْزَنُ فِيهِ الشَّيْءُ. وَالخِزَانَةُ: عَمَلُ الخَازِنِ. وَخِزَنَ اللَّحْمَ، أَي: تَغَيَّرَ. «النَّصْبُ: خِزَانَةُ النَّحْوِ، وَالبَصْرَةُ: خِزَانَةُ العَرَبِ»، أَي مُعَوَّلِهِمْ عَلَيْهِ أَكْثَرَ مِنْ سَائِرِهِ. النَّصْبُ فِي الحَالِ وَالقَطْعُ وَالعُوقُفُ إِضْمَارُ الصِّفَاتِ.

قال الأزهرى⁽²⁾: فِي نَوَادِرِ الأَعْرَابِ: يُقَالُ: اخْتَزَنْتُ طَرِيقًا وَاخْتَصَرْتَهُ، وَأَخَذْنَا مَخَازِنَ الطَّرِيقِ وَمَخَاصِرَهَا، أَي: أَخَذْنَا أَقْرَبَهَا.

قال الجوهري⁽³⁾: حَزَنْتُ المَالَ وَاخْتَزَنْتُهُ: جَعَلْتَهُ فِي الخِزَانَةِ. وَخَزَنْتُ السَّرَّ وَاخْتَزَنْتُهُ: كَتَمْتُهُ.

والمُخْزَنُ بفتح الزاي: مَا يُخْزَنُ فِيهِ الشَّيْءُ. وَالخِزَانَةُ بِالكسر: وَاحِدَةُ الخِزَانِ.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُمُ بِخَازِنِينَ﴾ [الحجر: 22].

قال الطبري⁽⁴⁾: يقول: ولستم بخازني الماء الذي أنزلنا من السماء

(3) الصحاح في اللغة.

(4) جامع البيان.

(1) العين.

(2) تهذيب اللغة.

﴿فَأَسْقِينَكُمُوهُ﴾ فتمنعوه من أسقيه، لأن ذلك بيدي وإليّ، أسقيه من أشاء، وأمنعه من أشاء.

قال الرّمحشري⁽¹⁾: نفى عنهم ما أثبتته لنفسه، في قوله: ﴿وَإِنْ مِّنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾ [الحجر: 21].

كأنه قال: نحن الخازنون للماء، أي: على معنى نحن القادرون على خلقه في السماء، وأنزلناه منها وما أنتم عليه بقادرين، دلالة على عظيم قدرته، وإظهاراً لعجزهم.

قال القرطبي⁽²⁾: أي ليست خزائنه عندكم، أي: نحن الخازنون لهذا الماء، نُنزله إذا شئنا ونُمسكه إذا شئنا. ومثله: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ [الفرقان: 48].

﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يَقْدَرُ فَأَسْكَنَتْهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾ [المؤمنون: 18]

● قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخِزْنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ﴾ [غافر: 49].

قال الطبري⁽³⁾: لخزنتها وقوامها.

قال الألوسي⁽⁴⁾: وضع الظاهر موضعه [الضمير] للتّهويل، فإنّ ﴿جَهَنَّمَ﴾ أخص من النار بحسب الظاهر، لإطلاقها على ما في الدنيا، أو لأنها محلّ لأشدّ العذاب الشامل للنار وغيرها.

قال المراغي⁽⁵⁾: لخدمها وقوامها مستغيثين بهم من عظيم ما هم فيه من البلاء، رجاء أن يجدوا لديهم فرجاً من ذلك الكرب الذي هم فيه.

(4) روح المعاني.

(5) تفسير المراغي.

(1) الكشاف.

(2) الجامع لأحكام القرآن.

(3) جامع البيان.

● قال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ...﴾ [الزمر: 71].

قال القُرْطُبِيُّ⁽¹⁾: واحدهم خازن نحو سَدَنَة وسادن، يقولون لهم تقریباً وتوبيخاً.

قال النَّسْفِيُّ⁽²⁾: أي: حفظة جهنم، وهم الملائكة الموكِّلون بتعذيب أهلها.
قال ابن عاشور⁽³⁾: الخَزَنَة: جمع خازن، وهو الوكيل والبواب، غلب عليه اسم الخازن، لأنّه يقصد لخزن المال.

● قال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ...﴾ [الأنعام: 50].

قال الطَّبْرِيُّ⁽⁴⁾: يقول تعالى ذكره: قل لهؤلاء المنكرين نبوتك: لست أقول لكم: إنِّي الرَّبُّ الَّذِي لَهُ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، فَأَعْلَمُ غُيُوبَ الْأَشْيَاءِ الْخَفِيَّةِ الَّتِي لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا الرَّبُّ الَّذِي لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ، فَتَكْذِبُونِي فِيمَا أَقُولُ مِنْ ذَلِكَ، لِأَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ رَبًّا إِلَّا مَنْ لَهُ مُلْكٌ كُلِّ شَيْءٍ، وَبِيَدِهِ كُلُّ شَيْءٍ، وَمَنْ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ، وَذَلِكَ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ.

قال الرَّجَّاجُ⁽⁵⁾: أعلمهم النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهُ لَا يَمْلِكُ خَزَائِنَ اللَّهِ الَّتِي بِهَا يَرْزُقُ وَيُعْطِي.

قال الزَّمَخْشَرِيُّ⁽⁶⁾: أي لا أدعي ما يُستبعد في العقول أن يكون لبشر من ملك خزائن الله، وهي قسمة بين الخلق، وأرزاقه، وعلم الغيب، وأنِّي من الملائكة الذين هم أشرف جنس خلقه الله تعالى، وأفضله وأقربه منزلة منه، أي: لم ادع إلهية

(4) جامع البيان.

(1) الجامع لأحكام القرآن.

(5) معاني القرآن.

(2) مدارك التنزيل.

(6) الكشاف.

(3) التحرير والتنوير.

ولا مَلَكيَّة، لأنَّه ليس بعد الإلهيَّة منزلة أرفع من منزلة الملائكة، حتَّى تستبعدوا دعواى وتستنكرونها، وإنَّما أدعي ما كان مثله لكثير من البشر، وهو النُّبوة.

● قال تعالى: ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ...﴾ [هود: 31].

قال الطَّبْرِيّ⁽¹⁾: ﴿... خَزَائِنُ اللَّهِ﴾ التي لا يُفنيها شيء، فأدعوكم إلى اتِّباعي عليها.

قال الرَّمْحَشَرِيّ⁽²⁾: معناه: لا أقول لكم عندي خزائن الله، فأدعي فضلاً عليكم في الغنى، حتَّى تجحدوا فضلي بقولكم: ﴿وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ﴾ [هُود: 27].

قال الفَخْر الرَّاظِيّ⁽³⁾: أي كما لا أسألكم، فكذلك لا أدعي أنني أملك مالاً ولا لي غرض في المال لا أخذاً ولا دفعاً [إلى أن قال:] ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾ إشارة إلى أنني لا أدعي الاستغناء المطلق.

● قال تعالى: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْمُ﴾ [يوسف: 55].

قال الطَّبْرِيّ⁽⁴⁾: قال يوسف للملك: اجعلني على خزائن أرضك، وهي جمع: خِزَانة، والألف واللام دخلتا في ﴿الْأَرْضِ﴾، خَلْفاً من الإضافة.

وهذا من يوسف صلوات الله عليه، مسألة منه للملك أن يولِّيه أمر طعام بلده وخراجها، والقيام بأسباب بلده، ففعل ذلك الملك به.

وعن شبيبة الصَّبَّيِّ: على حفظ الطَّعام.

(3) التفسير الكبير.

(1) جامع البيان.

(4) جامع البيان.

(2) الكشاف.

قال البَغَوِيُّ⁽¹⁾: الخزائن: جمع خزانة، وأراد: خزائن الطعام والأموال، والأرض: أرض مصر، أي: خزائن أرضك.

قال ابن عطية⁽²⁾: فهِم يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ من المَلِكِ أَنَّهُ عزم على تصريفه والاستعانة بنظره في الملْك، فألقى يده في الفصل الَّذِي تمكَّنه فيه المعدلة، ويرتَّب له الإحسان إلى من يجب، ووضع الحقَّ على أهله، وعند أهله.

● قال تعالى: ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ﴾ [الإسراء: 100].

قال الفَخْر الرَّاظِي⁽³⁾: خزائن فضل الله ورحمته غير متناهية، فكأنَّ المعنى: أنكم لو ملكتم من الخير والتَّعم خزائن لا نهاية لها لبقيتم على الشَّح، وهذا مبالغة عظيمة في وصفهم بهذا الشَّيء.

قال الألوَسِيُّ⁽⁴⁾: أي: خزائن نعمه الَّتِي أفاضها على كافَّة الموجودات، فالرَّحمة: مجاز عن التَّعم، والخزائن: استعارة تحقيقيَّة أو تخيليَّة.

● قال تعالى: ﴿أَمْرٌ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ﴾ [ص: 9].

قال الطَّبْرِيُّ⁽⁵⁾: يقول تعالى ذكره: أم عند هؤلاء المشركين المنكرين وحي الله إلى محمَّد خزائن رحمة ربك، يعني: مفاتيح رحمة ربك يا محمَّد.

قال الرَّمْخُسْرِيُّ⁽⁶⁾: يعني ما هم بمالكي خزائن الرَّحمة حتَّى يُصيبوا بها من شأؤوا، ويصرفوها عمَّن شأؤوا، ويتخيَّروا للنَّبوة بعض صنائدهم، وترفَّعوا بها عن محمَّد عليه الصَّلَاة والسَّلَام.

قال ابن عطية⁽⁷⁾: الخزائن للرَّحمة مستعارة، كأنَّها موضع جمعها وحفظها،

- | | |
|---------------------|--------------------|
| (1) معالم التنزيل. | (5) جامع البيان. |
| (2) المحرر الوجيز. | (6) الكشاف. |
| (3) التفسير الكبير. | (7) المحرر الوجيز. |
| (4) روح المعاني. | |

من حيث كانت ذخائر البشر تحتاج إلى ذلك، حُوطبوا في الرّحمة بما ينحوا إلى ذلك. وقال الطّبريّ: يعني بـ(الخزائن): المفاتيح. والأوّل أبين، والله أعلم.

● قال تعالى: ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصِطْرُونَ﴾ [الطور: 37].

قال الرّجّاج⁽¹⁾: وتفسير ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ﴾ أي: عندهم ما في خزائن ربّك من العلم، وقيل: في خزائن ربّك، أي: رزق ربّك.

قال الماوردي⁽²⁾: فيه وجهان: أحدهما: مفاتيح الرّحمة، الثّاني: خزائن الرّزق

قال الرّمخسري⁽³⁾: ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ﴾ الرّزق حتّى يرزقوا النّبوة من شأؤوا؟ أو عندهم خزائن علمه حتّى يختاروا لها من اختياره حكمة ومصلحة.

● قال تعالى: ﴿... وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنْفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [المنافقون: 7].

قال الطّبريّ⁽⁴⁾: يقول: والله جميع ما في السّماوات والأرض من شيء، ويبيده مفاتيح خزائن ذلك، لا يقدر أحد أن يُعطي أحداً شيئاً إلاّ بمشيئته.

قال الرّجّاج⁽⁵⁾: أي: إنّ الله يرزقهم، وهو رازقهم في حال إنفاق هؤلاء عليهم.

قال الماوردي⁽⁶⁾: فيه وجهان:

أحدهما: خزائن السّماوات: المطر، وخزائن الأرضين: الثّبات.

الثّاني: خزائن السّماوات: ما قضاه، وخزائن الأرضيين: ما أعطاه.

- | | |
|--------------------|--------------------|
| (1) معاني القرآن. | (4) جامع البيان. |
| (2) النكت والعيون. | (5) معاني القرآن. |
| (3) الكشاف. | (6) النكت والعيون. |

● قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدْرِ مَعْلُومٍ﴾ [الحجر: 21].

قال الطَّبْرِيّ⁽¹⁾: يقول تعالى ذكره: وما من شيءٍ من الأمطارِ إِلَّا عندنا خزائنه، وما نُنزله إِلَّا بِقَدْرٍ، لكلِّ أرضٍ معلومٍ عندنا حَدهُ ومبلغه.

قال الرَّمْخَسَرِيّ⁽²⁾: ذِكر الخزائن تمثيلاً، والمعنى: وما من شيءٍ ينتفع به العباد إِلَّا ونحن قادرون على إيجاده وتكوينه والإنعام به، وما نعطيه إِلَّا بمقدار معلوم، نعلم أنه مصلحة له، فضرب الخزائن مثلاً لاقتدار على كلِّ مقدور.

قال ابن عَطِيَّة⁽³⁾: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا﴾ قال ابن جُرَيْج: وهو المطر خاصة. وينبغي أن تكون أعمّ من هذا في كثير من المخلوقات.

والخزائن: المواضع الحاوية، وظاهر هذا أن الماء والريح ونحو ذلك موجود مخلوق، وهو ظاهر في قولهم في الرِّيح: عَتَّتْ على الخَزَائِنِ، وانفتح منها قَدْرٌ حلقة الخاتم، ولو كان قَدْرٌ مَنخَرُ الثَّورِ لأهلك الأرض، إلى غير هذا من الشواهد.

وذهب قوم إلى أن كونها في القدرة هو خَزْنُهَا، فإذا شاء الله أوجدها. وهذا أيضاً ظاهر في أشياء كثيرة، وهو لازم في الأعراض إذا عمّنا لفظه ﴿شَيْءٍ﴾، وكيفما كان الأمر فالقدرة تَسَعَهُ وتُثَبِّتُهُ.

● قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدْرِ مَعْلُومٍ﴾ [الحجر: 21].

قال الشوكاني⁽⁴⁾: ﴿أَنْتُمْ لَهُمْ بِخَزَائِنِهِ﴾ [الحجر: 22] أي: ليست خزائنه عندكم، بل خزائنه عندنا، ونحن الخازنون له، فنفي عنهم سبحانه ما أثبتته لنفسه

(3) المحرر الوجيز.

(4) فتح القدير.

(1) جامع البيان.

(2) الكشاف.

في قوله: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾ وقيل المعنى: إن ما أنتم له بخازنين بعد أن أنزلناه عليكم: أي: لا تقدرّون على حفظه في الآبار والغدران والعيون، بل نحن الحافظون له فيها ليكون ذخيرة لكم عند الحاجة إليه.



خزي

(خزي - سوء - هوان - ذم - سب)

- **الخزي:** انكسار الإنسان في عيون الآخرين لفعله منكراً فينفض عنه الناس ﴿فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الزمر: 26].
- **السوء:** كل ما يغم الإنسان من أمور الدنيا والآخرة من فوات جاه أو مال، أو فقد حميم أو مرض خبيث ﴿وَأَضْمَمَ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ [طه: 22].
- **الهوان:** أن يستخف به الآخر علانية إهانة له ﴿وَمَنْ يُرِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ﴾ [الحج: 18].
- **الذم:** أن يذكر بصفات قبيحة علانية ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ [الأعراف: 18].
- **السب:** الشتم الوجيع ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدَوًّا بَعِيرٍ عَلِيمٍ﴾ [الأنعام: 108].



النصوص اللغوية:

قال الخليل⁽¹⁾: خزي فلان يخزي خزيًا، وهو من السوء، والله أخزاه وأقامه على خزية، وعلى مخزاة.
والخزاية: الاستحياء، تقول: لا يأنف ولا يخزي مما يصنع.

(1) العين.

وَحَزَيْتُ: اسْتَحْيَيْتُ.

ورجل خَزْيَان، وامرأة خَزْيَا، أي: فَعَلَ أَمْرًا قَبِيحًا فَاسْتَدَّتْ خَزَايَتَهُ لِدَلِكِ،
أي حياؤه؛ وجمعه: خَزَايَا.

وفي الدِّعَاءِ: (اللَّهُمَّ احْشُرْنَا غَيْرَ خَزَايَا وَلَا نَادِمِينَ) أي: غَيْرَ مُسْتَحْيِينَ مِنْ
أَعْمَالِنَا.

قال الجوهري⁽¹⁾: وَخَزِي بِالْكَسْرِ يَخْزِي خَزْيًا، أي: ذَلَّ وَهَانَ.

وَخَزِي أَيْضًا يَخْزِي خَزَايَةً، أي: اسْتَحْيَا، فَهُوَ خَزْيَانٌ. وَقَوْمُ خَزَايَا وَامْرَأَةُ
خَزْيَاءَ.

قال الراغب⁽²⁾: خَزِي الرَّجُلُ: لَحَقَهُ انْكِسَارٌ إِمَّا مِنْ نَفْسِهِ وَإِمَّا مِنْ غَيْرِهِ.

فَالَّذِي يَلْحَقُهُ مِنْ نَفْسِهِ هُوَ الْحِيَاءُ الْمُفْرِطُ؛ وَمَصْدَرُهُ: الْخَزَايَةُ. وَرَجُلٌ خَزْيَانٌ
وَامْرَأَةٌ خَزْيَاءٌ؛ وَجَمْعُهُ: خَزَايَا. وَفِي الْحَدِيثِ: (اللَّهُمَّ احْشُرْنَا غَيْرَ خَزَايَا وَلَا
نَادِمِينَ).

وَالَّذِي يَلْحَقُهُ مِنْ غَيْرِهِ، يُقَالُ هُوَ ضَرَبٌ مِنَ الْاسْتِخْفَافِ؛ وَمَصْدَرُهُ: الْخَزْيُ،
وَرَجُلٌ خَزِيٌّ.

و(أَخْزَى) - يُقَالُ - مِنْ الْخَزَايَةِ وَالْخَزْيِ جَمِيعًا،

وقوله: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ [التحریم: 8]، فهو من الخزوي
أقرب، وإن جاز أن يكون منهما جميعاً.

وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَيْتَهُ﴾ [آل عمران: 192]، فمن
الْخَزَايَةِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْخَزْيِ.

وعلى نحو ما قلنا في (خزوي قولهم: ذَلَّ وَهَانَ، فَإِنَّ ذَلِكَ مَتَى كَانَ مِنْ
الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ يُقَالُ لَهُ: الْهَوْنُ وَالذُّلُّ، وَيَكُونُ مَحْمُودًا، وَمَتَى كَانَ مِنْ غَيْرِهِ يُقَالُ
لَهُ: الْهُوَانُ، وَالْهُوَانُ، وَالذُّلُّ، وَيَكُونُ مَذْمُومًا.

(2) مفردات الراغب.

(1) الصحاح في اللغة.

المعنى المشترك:

وقد ورد الخزي في القرآن على ستة أوجه:

- 1 - الذل والهوان: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ﴾ [آل عمران: 192] أي اهنته وأذلته.
- 2 - الطرد: ﴿إِنَّ الْخِزْيَ أَلْوَمٌ وَالشُّوَاءَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [التحل: 27].
- 3 - القتل والجلاء: ﴿فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمُ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [البقرة: 85].
- 4 - الاستحياء: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ﴾ [هود: 78].
- 5 - العذاب: ﴿وَلَا تُخْزِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ [الشعراء: 87].
- 6 - الفضيحة: ﴿رَبَّنَا وَعَإِنَّا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْوَعْدَ﴾ [آل عمران: 194].

في القرآن الكريم:

- قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَنْ نُنزِلَ وَنُخْزِيَ﴾ [طه: 134].
- قال البغوي⁽¹⁾: بالعذاب والذل والهوان والخزي والافتضاح.
- قال الزمخشري⁽²⁾: قرئ (نُذِلَّ وَنُخْزِيَ) على لفظ ما لم يُسم فاعله.
- قال أبو السعود⁽³⁾: بدخول النار اليوم، ولكننا لم نهلكهم قبل إتيانها

(3) إرشاد العقل السليم.

(1) معالم التنزيل.

(2) الكشاف.

فانقطعت معذرتهم، فعند ذلك ﴿قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾ [الملك: 9].

● قال تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكُتُبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُم إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ...﴾ [البقرة: 85].

قال الطبري⁽¹⁾: والخزي: الدُّلُّ والصَّغار، يقال منه: خزي الرجل يخزي خزيًا، ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ يعني في عاجل الدنيا قبل الآخرة.

ثم اختلف في الخزي الذي أخزاهم الله بما سلف من معصيتهم إياه، فقال بعضهم: ذلك هو حكم الله الذي أنزله إلى نبيه محمد ﷺ من أخذ القاتل بمن قتل، والقود به قصاصاً، والانتقام للمظلوم من الظالم.

وقال آخرون: بل ذلك، هو أخذ الجزية منهم ما أقاموا على دينهم، ذلّة لهم وصغاراً.

وقال آخرون: بل ذلك الخزي الذي جُوزوا به في الدنيا إخراج رسول الله ﷺ النضير من ديارهم لأول الحشر، وقتل مقاتلة قريظة وسبي ذراريهم، فكان ذلك خزيًا في الدنيا، ولهم في الآخرة عذاب عظيم.

قال الزجاج⁽²⁾: يعني ما نال بني قرظية وبني النضير، لأن بني النضير أجّلوا إلى الشام، وبني قريظة أبيدوا حكم فيهم بقتل المقاتلة وسبي الذراري، فقال الله ﷻ: ﴿... إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ...﴾ [البقرة: 114].

ولغيرهم من سائر الكفار الخزي في الدنيا: القتل، وأخذ الجزية مع الذلّة والصغار.

(2) معاني القرآن.

(1) جامع البيان.

● قال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: 33].

قال الطَّبْرِيُّ⁽¹⁾: هو لهم شرٌّ وعار وذلة ونكال وعقوبة في عاجل الدنيا .
قال الزَّمَحْشَرِيُّ⁽²⁾: ذلٌ وفضيحة .

قال ابن عَطِيَّة⁽³⁾: ﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى هذه الحدود التي تُوقع بهم، وغلظ الله الوعيد في ذنب الحراية، بأن أخبر أنّ لهم في الآخرة عذاباً عظيماً مع العقوبة في الدنيا، وهذا خارج عن المعاصي، الذي في حديث عبادة بن الصّامت في قول النبي ﷺ: «فمن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب به فهو له كفّارة». ويحتمل أن يكون الخزي لمن عوقب، وعذاب الآخرة لمن سلم في الدنيا، ويجري هذا الذنب مجرى غيره، وهذا الوعيد مشروط الإنقاذ بالمشيئة، وإما أنّ الخوف يغلب عليهم بحسب الوعيد وعظم الذنب. والخزي في هذه الآية: الفضيحة والذلّ والمقت.

● قال تعالى: ﴿... أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: 41].

قال الزَّجَّاج⁽⁴⁾: قيل: لهم في الدنيا فضيحةٌ بما أظهر الله من كذبهم، وقيل: لهم في الدنيا خزي بأخذ الجزية منهم، وضرب الذلّة والمسكنة عليهم.

قال الواحدي⁽⁵⁾: خزي المنافقين: هتك سترهم باطلاع النبي ﷺ على كفرهم، وخزي اليهود: فضيحتهم بظهورهم وكذبهم في كتابه الرّجم، وأخذ الجزية منهم.

(4) معاني القرآن.

(5) الوجيز.

(1) جامع البيان.

(2) الكشاف.

(3) المحرر الوجيز.

قال ابن عطية⁽¹⁾: والمعنى بالذلة والمسكنة التي انضربت عليهم في أقطار الأرض وفي كل أمة، وقرّر لهم العذاب في الآخرة بكفرهم.

● قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ [هود: 66].

قال الواحدي⁽²⁾: ﴿وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ﴾ قال ابن الأنباري: هذا عطف على محذوف بتقدير: نجيناهم من العذاب ومن خزي يومئذ من الخزي الذي لزمهم ذلك اليوم، وبقي عاره مأثوراً عنهم.

قال القرطبي⁽³⁾: أي ونجيناهم من خزي يومئذ، أي من فضيحتة وذلته. وقيل: الواو زائدة، أي نجيناهم من خزي يومئذ. ولا يجوز زيادتها عند سبويه وأهل البصرة، وعند الكوفيين يجوز زيادتها مع (لما) و(حتى) لا غير.

● قال تعالى: ﴿ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [الحج: 9].

قال الطبري⁽⁴⁾: ﴿لَهُ﴾ لهذا المجادل في الله بغير علم، ﴿فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ﴾ وهو القتل والذل، والمهانة بأيدي المؤمنين، فقتله الله بأيديهم يوم بدر.

قال الزمخشري⁽⁵⁾: وخزيه: ما أصابه يوم بدر من الصغار والقتل. والسبب فيما مني به من خزي الدنيا وعذاب الآخرة، هو ما قدمت يداه. وعدل الله في معاقبته الفجار وإثابته الصالحين.

قال الفخر الرازي⁽⁶⁾: وأمّا الذين لم يُخصّصوا هذه الآية بواحد معيّن، قالوا: المراد بالخزي في الدنيا: ما أمر المؤمنون بدمه ولعنه ومجاهدته.

(1) المحرر الوجيز.
(2) الوجيز.
(3) الجامع لأحكام القرآن.
(4) جامع البيان.
(5) الكشاف.
(6) التفسير الكبير.

● قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُمْ مِنْ يُحَادِدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَأَبَقَ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: 63].

قال الفخر الرازي⁽¹⁾: والخزي: قد يكون بمعنى الندم وبمعنى الاستحياء. والندم هنا أولى، لقوله تعالى: ﴿وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ﴾ [يونس: 54].

قال أبو السعود⁽²⁾: الخزي: الذل والهوان المقارن للفضيحة والندامة، وهي ثمرات نفاقهم؛ حيث يفتضحون على رؤوس الأشهاد بظهورها، ولحوق العذاب الخالد بهم، والجملة تذييل لما سبق.

قال الألوسي⁽³⁾: أي الذل والهوان المقارن للفضيحة، ولا يخفى ما في الحمل من المبالغة، والجملة تذييل لما سبق.

● قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرِيَّةً ءَامَنْتَ فَنَفَعَهَا إِيْمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [يونس: 98].

قال القرطبي⁽⁴⁾: أي العذاب الذي وعدهم به يونس أنه ينزل بهم لا أنهم رأوه عياناً ولا مخيلة، وعلى هذا لا إشكال ولا تعارض ولا خصوص، والله أعلم.

● قال تعالى: ﴿لِنُذِقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلِعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [فصلت: 16].

قال الرّمخسري⁽⁵⁾: وأضاف العذاب إلى الخزي وهو الذل والاستكانة على

(4) الجامع لأحكام القرآن.

(5) الكشاف.

(1) التفسير الكبير.

(2) إرشاد العقل السليم.

(3) روح المعاني.

أنّه وصف للعذاب، كأنّه قال: عذاب خزي، كما تقول: فعل السُّوء، تريد: الفعل السيِّء، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ﴾ وهو من الإسناد المجازي. ووصف العذاب بالخزي أبلغ من وصفهم به؛ ألا ترى إلى البؤن بين قوليك: (هو شاعر، وله شعر شاعر).

قال الفخر الرازي⁽¹⁾: أي عذاب الهوان والذلّ. والسبب فيه أنهم استكبروا، فقابل الله ذلك الاستكبار بإيصال الخزي والهوان والذلّ إليهم. و﴿أَخْزَىٰ﴾ أي: أشدّ إهانةً وخزياً.

● قال تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [آل عمران: 192].

قال الطبري⁽²⁾: اختلف أهل التأويل في ذلك:

فقال بعضهم: معنى ذلك: ربنا إنك من تدخل النار من عبادك فتخلده فيها، فقد أخزيتّه.

قال: ولا يُخزى مؤمن مصيره إلى الجنة، وإن عُدّب بالنار بعض العذاب.

وقال آخرون: معنى ذلك: ربنا إنك من تدخل النار، من مخلّد فيها وغير مخلّد فيها، فقد أخزي بالعذاب.

وأولى القولين بالصواب عندي، قول جابر (إنّ من أدخل النار فقد أخزي بدخوله إيّاها، وإن أخرج منها) وذلك أنّ (الخزي) إنّما هو هتك ستر المخزيّ وفضيحتّه، ومن عاقبه ربّه في الآخرة على ذنوبه، فقد فضحه بعقابه إيّاه، وذلك هو (الخزي).

قال الزّمخشري⁽³⁾: ﴿فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ﴾ فقد أبلغت في إخزائه، وهو نظير قوله:

(3) الكشاف.

(1) التفسير الكبير.

(2) جامع البيان.

﴿فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران: 185] ﴿فَقَدْ فَازَ﴾، ونحوه في كلامهم: (من أدرك مرعى الضمان فقد أدرك، ومن سبق فلاناً فقد سبق).

● قال تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الحشر: 5].

قال الطَّبْرِيُّ⁽¹⁾: وليذلل الخارجين عن طاعة الله عز وجل، المخالفين أمره ونهيه، وهم يهود بني النضير.

قال الزَّجَّاج⁽²⁾: بأن يُريهم أموالهم يتحكّم فيها المسلمون كيف أحبوا.

قال الرَّمْحَشَرِيُّ⁽³⁾: وليذلل اليهود ويُغيظهم أذن في قطعها؛ وذلك أنّ رسول الله ﷺ حين أمر أن تُقطع نخلهم وتُحرق، قالوا: يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد في الأرض، فما بال قطع النخل وتحريقها، فكان في أنفس المؤمنين من ذلك شيء فنزلت، يعني أنّ الله أذن لهم في قطعها ليزيدكم غيظاً، ويضاعف لكم حسرةً إذا رأيتموهم يتحكّمون في أموالكم كيف أحبوا، ويتصرفون فيها ما شاءوا. واتفق العلماء أنّ حصون الكفرة وديارهم لا بأس بأن تُهدم وتُحرق وتُغرق وتُرمى بالمجانيق، وكذلك أشجارهم لا بأس بقلعها، ثمرة كانت أو غير ثمرة. وعن ابن مسعود: قطعوا منها ما كان موضعاً للقتال.

● قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُ﴾ [التحریم: 8]

قال الرَّمْحَشَرِيُّ⁽⁴⁾: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ﴾ نصب بـ (يُدْخِلُكُمْ)، ولا (لَا يُخْزِي) تعريضٌ بمن أخزاهم الله من أهل الكفر والفسوق، واستحماد إلى المؤمنين على أنّه عصمهم من مثل حالهم.

(3) الكشاف.

(1) جامع البيان.

(4) الكشاف.

(2) معاني القرآن.

قال ابن عطية⁽¹⁾: وروي في معنى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ﴾ أن محمداً ﷺ تضرع في أمر أمته، فأوحى الله إليه: إن شئت جعلت حسابهم إليك، فقال: (يارب أنت ارحم بهم) فقال الله تعالى: إذاً لا أخزيك فيهم، فهذا معنى قوله: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ﴾.

والخزي: المكروه الذي يترك الإنسان حيران خجلاً مهموماً بأن يرى نقصه، أو سوء منزلته.

قال الفخر الرازي⁽²⁾: [نحو الزمخشري وأضاف:]

ثم المعتزلة تعلقوا بقوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ﴾ وقالوا: الإخزاء يقع بالعذاب، فقد وعد بأن لا يعذب الذين آمنوا، ولو كان أصحاب الكبائر من أهل الإيمان لم نخف عليهم العذاب. وأهل السنة أجابوا عنه بأنه تعالى وعد أهل الإيمان بأن لا يخزيهم، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ ابتداء كلام، وخبره ﴿يَسْعَى﴾، أو ﴿لَا يُخْزِي اللَّهُ﴾، ثم من أهل السنة من رد الشفاعة، والإخزاء الفضيحة، أي لا يفضحهم بين يدي الكفار، ويجوز أن يعذبهم على وجه لا يقف عليه الكفرة.

● قال تعالى: ﴿فَسَوْفَ نَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُثْقِمٌ﴾ [هود: 39].

قال الزمخشري⁽³⁾: يعني به إياهم، ويريد بالعذاب: عذاب الدنيا، وهو الغرق.

قال ابن عطية⁽⁴⁾: والعذاب المخزي، هو الغرق، والمقيم: هو عذاب الآخرة.

قال أبو حيان⁽⁵⁾: معنى يخزيه يفضحه أو يهلكه أو يُذله وهو الغرق، أقوال متقاربة.

(1) المحرر الوجيز.

(2) التفسير الكبير.

(3) الكشاف.

(4) المحرر الوجيز.

(5) التفسير الكبير.

● قال تعالى: ﴿مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [الزمر: 40].

قال الزّمخشرى⁽¹⁾: أي عذاب مُخزٍ له، وهو يوم بدر.

قال ابن عطية⁽²⁾: هو عذاب الدنيا يوم بدر وغيره.

● قال تعالى: ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّوهُمْ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [النحل: 27].

قال الطّبري⁽³⁾: يقول تعالى ذكره: فعل الله بهؤلاء الذين مكروا الذين وصف الله جل ثناؤه أمرهم ما فعل بهم في الدنيا، من تعجيل العذاب لهم، والانتقام بكفرهم، وجحودهم وحدانيته، ثم هو مع ذلك يوم القيامة مخزيهم، فمذللهم بعذاب أليم، وقائل لهم عند ورودهم عليه: ﴿أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّوهُمْ فِيهِمْ﴾.

قال الزّمخشرى⁽⁴⁾: يُذللهم بعذاب الخزي ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ﴾ [آل عمران: 192]، يعني هذا لهم في الدنيا ثم العذاب في الآخرة.

قال الفخر الرّازي⁽⁵⁾: والخزي: هو العذاب مع الهوان، وفسرّ تعالى ذلك الهوان بأنه تعالى يقول لهم: ﴿أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّوهُمْ فِيهِمْ﴾.

المرجئة احتجّوا بهذه الآية على أنّ العذاب مختصّ بالكافر، قالوا: لأنّ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ يدلّ على أنّ ماهية الخزي والسُّوء في يوم القيامة مختصة بالكافر، وذلك ينفي حصول هذه الماهية في حقّ غيرهم.

(4) الكشاف.

(5) التفسير الكبير.

(1) الكشاف.

(2) المحرر الوجيز.

(3) جامع البيان.

وتأكد هذا بقول موسى عليه السلام: ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [طه: 48].

● قال تعالى: ﴿قَتَلُوهُمْ يَْعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْرِجُهُمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: 14].

قال الطَّبْرِيّ⁽¹⁾: يقول: ويُدلّهم بالأسر والقهر.

قال ابن عطية⁽²⁾: معناه يُدللهم على ذنوبهم. يقال: خَزِي الرَّجُلُ يَخْزِي خَزْيًا، إذا ذلّ من حيث وقع في عار، وأخزاه غيره، وخَزِي خَزَايَةً، إذا استحميا.
قال الفَخْر الرّازي⁽³⁾: قوله تعالى: ﴿وَيُخْرِجُهُمْ﴾ معناه ما ينزل بهم من الدُّلّ والهوان؛ حيث شاهدوا أنفسهم مقهورين في أيدي المؤمنين، ذليلين مهينين.

● قال تعالى: ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ [الشعراء: 87].

قال الطَّبْرِيّ⁽⁴⁾: يقول: ولا تُدلّني بعقابك إيتاي يوم تبعث عبادك من قبورهم لموقف القيامة.

قال القُشَيْرِيّ⁽⁵⁾: أي لا تُخجلني بتذكيري خلّتي، فإنّ شهود ما من العبد عند أرباب القلوب وأصحاب الخصوص أشدّ عقوبة.

قال الرّمخسريّ⁽⁶⁾: يعني ولا تخزني يوم يُبعث الضالّون وأبي فيهم.

● قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِ الْإِسِّ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾ [هود: 78].

- | | |
|---------------------|---------------------|
| (1) جامع البيان. | (4) جامع البيان. |
| (2) المحرر الوجيز. | (5) لطائف الإشارات. |
| (3) التفسير الكبير. | (6) الكشف. |

قال الطَّبْرِيُّ⁽¹⁾: يقول: ولا تُذَلُّوني، بأن تركبوا منِّي في ضيفي ما يكرهون أن تركبوه منهم.

قال الزَّمْخَشَرِيُّ⁽²⁾: ولا تُهينوني ولا تفضحوني من الخزي، أو ولا تُخجلوني من الخزية، وهي الحياء.

قال الألوَسِيُّ⁽³⁾: أي: لا تفضحوني في شأنهم، فإن إخزاء ضيف الرجل إخزاء له، أو لا تُخجلوني فيهم؛ والمصدر على الأول الخزي، وعلى الثاني الخزية. وأصل معنى خزي: لحقه انكسار إما من نفسه وهو الحياء المفرط، وإما من غيره، وهو الاستخفاف والتفويض.

● قال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَعَيْنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: 194].

قال الطَّبْرِيُّ⁽⁴⁾: ﴿وَلَا تُخْزِنَا...﴾ فتفضحنا بذنوبنا التي سلفت منا، ولكن كفرها عنا، واغفرها لنا.

قال الزَّجَّاجُ⁽⁵⁾: أي قد صدقنا يوم القيامة فلا تخزنا، والمُخْزَى في اللغة: المذلّ المحقور بأمر قد لزمه بحجة، وكذلك أخزيته، أي ألزمته حجةً أدلته معها.

قال ابن عطية⁽⁶⁾: وقولهم: ﴿وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ...﴾ إشارة إلى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ [التحریم: 8]، فهذا وعده تعالى: وهو دالّ على أنّ الخزي إنما هو مع الخلود.

● قال تعالى: ﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ﴾ [التوبة: 2].

- | | |
|------------------|--------------------|
| (1) جامع البيان. | (4) جامع البيان. |
| (2) الكشاف. | (5) معاني القرآن. |
| (3) روح المعاني. | (6) المحرر الوجيز. |

قال الطَّبْرِيّ⁽¹⁾: يقول: واعلموا أنّ الله مُدَلِّ الكافرين، ومورثهم العار في الدّنيا، والنّار في الآخرة.

قال الزّجّاج⁽²⁾: وهذا ضمان من الله عزّ وجلّ بنصره المؤمنين على الكافرين.

قال أبو حَيّان⁽³⁾: أي مُدَلِّكم في الدّنيا بالقتل والأسر والنّهب، وفي الآخرة بالعذاب.



(3) البحر المحيط .

(1) جامع البيان .

(2) معاني القرآن .

خسأ

(خسأ - خيب - تب - تعس - خسر - فشل)

■ **الْخَسَاءُ**: الانقياض والتقدم مع الطرد ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [البقرة: 65].

■ **الْخَيْبَةُ**: فوات المطلوب مع بذل الجهد ﴿وَقَدْ خَابَ مِنْ أَفْرَتِي﴾ [طه: 61].

■ **تَبَّ**: الاستمرار في الخسران ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: 1].

■ **التَّعَسُ**: عدم الانتعاش مع العثرة ﴿فَتَعَسَّ لَهُمُ﴾ [محمد: 8].

■ **الخُسْرُ**: انتقاص رأس المال ﴿قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ [التازعات: 12].

■ **الفِشْلُ**: ضعف مع جبن ﴿وَلَا تَنْزَعُوا أَنْفُسَكُمْ فَيُكْفَرُوا بِكُمْ﴾ [الأنفال: 46].



النصوص اللغوية:

قال ابن فارس⁽¹⁾: الخاء والسين والهمزة يدلّ على الإبعاد، يقال: خسأتُ الكلبَ. وفي القرآن: ﴿قَالَ أَحْسَرُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُون﴾ [المؤمنون: 108].

كما يقال: ابعدوا.

وقال ابن أبي إسحاق لبكير بن حبيب: ما ألحن في شيء، فقال: لا تفعل.

(1) معجم مقاييس اللغة.

فقال: خُذْ عَلَيَّ كَلِمَةً، فقال: هذه، قل: كَلِمَةً. ومَرَّتْ بِهِ سَنُورَةٌ، فقال لها: اخْسِي، فقيل له: أَخْطَأْتُ، إِنَّمَا هُوَ اخْسِي.

قال الخليل⁽¹⁾: خَسَأْتُ الْكَلْبَ: إِذَا زَجَرْتَهُ. فُقِلْتُ: اخْسَأُ.

والخاسيُّ من الكلاب والخنازير: المباعِد، وجعل الله اليهود قِرْدَةً خَاسِيَّيْنِ، أَي: مَدْحُورِيْنِ، وَخَسَأَ الْكَلْبُ خُسُوءً. ويقال: اخْسَأْ عَنِي وَاخْسَأْ إِلَيْكَ. وَخَسَأَ الْبَصَرَ، أَي: كَلَّ وَأَعْيَا، يَخْسَأُ خُسُوءً، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿... خَاسِيًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [الملك: 4].

قال الأزهرى⁽²⁾: ويقال: خَسَأْتُهُ فَخَسَأَ، أَي: أَبْعَدْتُهُ فَبَعُدَ.

قال الجوهري⁽³⁾: خَسَأْتُ الْكَلْبَ خَسَأً: طَرَدْتُهُ، وَخَسَأَ الْكَلْبُ بِنَفْسِهِ، يَتَعَدَّى وَلَا يَتَعَدَّى، وَانْخَسَأَ أَيْضاً. وَتَخَسَأُ الْقَوْمَ بِالْحِجَارَةِ: تَرَامَوْا بِهَا. وَكَانَتْ بَيْنَهُمْ مُخَاسَاةً.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُوا﴾ [المؤمنون: 108].

قال الطبري⁽⁴⁾: أَي افْعُدُوا فِي النَّارِ. يُقَالُ مِنْهُ: خَسَأْتُ فَلَانًا اخْسَئُوهُ خَسَأً وَخُسُوءً، وَخَسِيٌّ هُوَ يُخْسَأُ، وَمَا كَانَ خَاسِيًا وَلَقَدْ خَسِيءٌ.

قال الزجاج⁽⁵⁾: معنى ﴿اخْسَئُوا﴾: تَبَاعَدُوا تَبَاعُدَ سُخِطٍ.

يقال خَسَأْتُ الْكَلْبَ اخْسَئُوهُ، إِذَا زَجَرْتَهُ لِتَبَاعُدِ.

(4) جامع البيان.

(5) معاني القرآن.

(1) العين.

(2) تهذيب اللغة.

(3) الصحاح في اللغة.

قال المَراغي⁽¹⁾: أي: امكثوا فيها أدلاء صاغرين واسكتوا، ولا تعودوا إلى مثل سؤالكم هذا، فإنه لا رجعة لكم إلى الدنيا، وإنما يكلمني من سمّت نفسه إلى عالم الأرواح، ولبس رداء الخوف والخشية من ربه، واحتقر الدنيا وشهواتها، وعزف عنها، لما يرجوه من ربه من ثواب عميم، ونعيم مُقيم.

● قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْجِعْ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [الملك: 4].

قال ابن عطية⁽²⁾: الخاسئ: المبعّد بذل عن شيء أراده وحرص عليه، ومنه الكلب الخاسئ، ومنه قول النبي ﷺ لابن صياد: «أخساً فلن تعدو قدرك»، ومنه قوله تعالى للكفار الحريصين على الخروج من جهنم: ﴿أَخْسُوا فِيهَا﴾ [المؤمنون: 108]، وكذلك هنا البصر يحرص على رؤية فطور، أو تفاوت، فلا يجد ذلك، فينقلب خاسئاً.

قال الفخر الرازي⁽³⁾: قال أهل اللغة: الخاسئ الصاغر المبعّد المطرود، كالكلب إذا دنا من الناس قيل له (أخساً) أي: تباعد، وانطرد صاغراً، فليس هذا الموضوع من مواضعك. قال الله تعالى: ﴿يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾، يحتمل صاغراً ذليلاً ممنوعاً عن معاودة النظر، لأنه تعالى قال: ﴿أَرْجِعْ الْبَصَرَ﴾.

فكأنه قال: ردّد البصر في السماء ترديد من يطلب فطوراً، فإنك وإن أكثرت من ذلك لم تجد فطوراً، فيرتدّ إليك طرفاً ذليلاً، كما يرتدّ الخائب بعد طول سعيه في طلب شيء، ولا يظفر به، فإنه يرجع خائباً صاغراً مطروداً، من حيث كان يقصده من أن يعاوده.

قال أبو السعود⁽⁴⁾: أي بعيداً محروماً من إصابة ما التمسّه من العيب والخلل، كأنه يُطرَد عن ذلك طرداً بالصغار والقماءة.

(1) تفسير المراغي.
(2) المحرر الوجيز.
(3) التفسير الكبير.
(4) إرشاد العقل السليم.

ولا يكون ﴿حَاسِئًا﴾ في الآية من المتعدّي إلا أن يكون بمعنى المفعول، أي مُبَعَدًا.

● قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ أَعْتَدُوا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [البقرة: 65].

قال الطَّبْرِي⁽¹⁾: أي مُبَعَدِينَ من الخير أذلاءً، صُغْرَاءَ.

قال البَغْوِي⁽²⁾: مُبَعَدِينَ مطرودين.

قيل: فيه تقديم وتأخير، أي: كونوا خاسئين قردة، ولذلك لم يقل خاسئات، والخسأ: الطرد والإبعاد، وهو لازم ومتعدّد، يقال: خسأته خسأً فخسأ خسوءً، مثل رجعه رجعاً فرجع رجوعاً.

قال الزَّمَخْشَرِي⁽³⁾: ﴿قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ خبران، أي كونوا جامعين بين القردية والخسوء، وهو الصغار والطرود.



(3) الكشاف.

(1) جامع البيان.

(2) معالم التنزيل.

خسر

(خسر - ضييع - فقد - غرم - نقص)

- **الْخُسْرُ:** ذهب بعض رأس المال ﴿وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾ [الطلاق: 9] (والخسران) ذهب رأس المال كله ﴿ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ﴾ [الحج: 11].
- **الضِّيَاعُ:** إخراج الشيء من مكان حفظه، ثم ضياعه من يد صاحبه بعد ذلك ﴿إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرًا مِّنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف: 30].
- **الْفَقْدُ:** اختفاء المال من مكان حفظه ﴿قَالُوا وَقَبِلُوا عَلَيْهِم مَّاذَا نَفَقَدُونَ﴾ [يوسف: 71 - 72].
- **الغَرْمُ:** إنقاص مال الإنسان عمداً لغير جنابة منه أو خيانة ﴿فَهُمْ مِّنْ مَّغْرِبٍ مُّثْقَلُونَ﴾ [القلم: 46].
- **النَّقْصُ:** الخسران في السهم أو الحظ أو النصيب أو الحق ﴿وَإِنَّا لَمَوْفُونَ لَهُمْ بِمَا عَفَوْا عَنْهُمْ﴾ [هود: 109].



النصوص اللغوية:

قال ابن فارس⁽¹⁾: الخاء والسين والراء أصلٌ واحدٌ يدلُّ على النَّقْصِ. فمن ذلك الخُسْرُ والخُسْرَانُ، كالكُفْر والكُفْرَانُ، والْفُرْقُ والفُرْقَانُ. ويقال: خَسَرْتُ المِيزَانَ وأخَسَرْتُهُ: إذا نَقَصْتَهُ.

(1) معجم مقاييس اللغة.

قال الخليل⁽¹⁾: الخُسْرُ: التَّقْصَانُ، والخُسْرَانُ كذلك، والفعل: خَسِرَ يَخْسِرُ خُسْرَانًا.

والخَاسِرُ: الذي وُضِعَ في تجارته؛ ومصدره: الخَسَارَةُ والخُسْرُ.

كِلْتُهُ ووزنته فأخسرتُه، أي: نقصته. وقوله جلّ وعزّ: ﴿وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾ [الطلاق: 9]، أي: نقصاً. وصفقة خاسرة، أي: غير مربحة.

قال الأزهري⁽²⁾: يقال: أخسر الرجل: إذا وافق خُسْرًا في تجارته.

قال الجوهري⁽³⁾: خَسِرَ في البيع خُسْرًا وخُسْرَانًا، وهو مثل الفرق والفرقان. وخسرتُ الشيء بالفتح، وأخسرتُه: نقصته.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ [الكهف: 103]، قال الأخفش: واحدهم: الأخر، مثل الأكبر.

قال أبو هلال⁽⁴⁾: الفرق بين الوضيعة والخسران: أنّ الوضيعة: ذهاب رأس المال، ولا يقال لمن ذهب رأس ماله كله: وُضِعَ، والشاهد أنّه من الوَضِعِ خلاف الرِّفْعِ.

والشيء إذا وُضِعَ لم يذهب، وإنّما قيل: وُضِعَ الرجل، على الاختصار، والمعنى أنّ التجارة وضعت من رأس ماله، وإذا نفذ ماله: وُضِعَ، لأنّ الوضِعَ ضدّ الرِّفْعِ.

والخُسْرَانُ: ذهاب رأس ماله، وإذا نقص ماله فقد وُضِعَ، لأنّ الوضِعَ ضدّ الرِّفْعِ.

والخُسْرَانُ: ذهاب رأس المال كله. ثمّ كثر حتّى سميّ ذهاب بعض رأس المال خُسْرَانًا. وقال الله تعالى: ﴿خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ [الأنعام: 12]، لأنّهم عدموا

(3) الصحاح في اللغة.

(4) الفروق.

(1) العين.

(2) تهذيب اللغة.

الانتفاع بها، فكأنّها هلكت وزهبت أصلاً، فلم يقدر منها على شيء. وأصل الخسران في العربية: الهلاك.

● ورد الخسران في القرآن الكريم على سبعة أوجه:

- 1 - النقص: ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: 9].
- 2 - الهلاك: ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: 12].
- 3 - العقوبة: ﴿وَلَا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [هود: 47].
- 4 - الضلال: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ﴾ [العصر: 2].
- 5 - العجز: ﴿قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذَا لَخَسِرُونَ﴾ [يوسف: 14].
- 6 - الريح والخسارة: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المنافقون: 9].
- 7 - الغبن: ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ [الزمر: 15] أي: غبنوا أنفسهم فصاروا إلى النار.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿... وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ [النساء: 119].

قال الطبري⁽¹⁾: يقول: فقد هلك هلاكاً، وبخس نفسه: حظها فأوبقها بخساً ﴿مُبِينًا﴾، يُبين عن عطبه وهلاكه، لأن الشيطان لا يملك له نصراً من الله إذا عاقبه على معصيته إياه في خلافه أمره، بل يخذله عند حاجته إليه.

(1) جامع البيان.

قال البيضاوي⁽¹⁾: إذ فاتهم النعيم واستوجبوا العذاب المقيم .

قال ابن عاشور⁽²⁾: الخسارة هنا : حرمان خيرات الآخرة لا الدنيا .

● قال تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام: 140].

قال الفخر الرازي⁽³⁾: أنه تعالى ذكر فيما تقدم قتلهم أولادهم وتحريمهم ما رزقهم الله . ثم إنه تعالى جمع هذين الأمرين في هذه الآية، وبين ما لزمهم على هذا الحكم، وهو الخسران والسفاهة . وعدم العلم، وتحريم ما رزقهم الله . والافتراء على الله، والضلال وعدم الاهتداء، فهذه أمور سبعة، وكل واحد منها سبب تام في حصول الذم .

أما الأوّل - وهو الخسران - وذلك لأنّ الولد نعمة عظيمة من الله على العبد، فإذا سعى في إبطاله، فقد خسر خسراناً عظيماً . لا سيّما ويستحقّ على ذلك الإبطال الذمّ العظيم في الدنيا، والعقاب العظيم في الآخرة .

أما الذمّ في الدنيا فلأنّ الناس يقولون: قتل ولده خوفاً من أن يأكل طعامه، وليس في الدنيا ذمّ أشدّ منه . وأما العقاب في الآخرة فلأنّ قرابة الولادة أعظم موجبات المحبّة، فمع حصولها إذا أقدم على إلحاق أعظم المضارّ به، كان ذلك أعظم أنواع الذنوب، فكان موجباً لأعظم أنواع العقاب .

قال الألوسي⁽⁴⁾: أي هلكت نفوسهم باستحقاقهم على ذلك العقاب، أو ذهب دينهم وديناهم .

ووصف فعلهم بالخسران، لأنّ حقيقة الخسران نقصان مال التاجر، والتاجر قاصد الربح - وهو الزيادة - فإذا خسر فقد باء بعكس ما عمِل لأجله . ولذلك كثر

(3) التفسير الكبير .

(4) روح المعاني .

(1) أنوار التنزيل .

(2) التحرير والتنوير .

في القرآن استعارة (الخُسران) لعمل الذين يعملون طلباً لمرضاة الله وثوابه، فيقعون في غضبه وعقابه، لأنهم أتعبوا أنفسهم فحصلوا عكس ما تعبوا لأجله، ذلك أن هؤلاء الذين قتلوا أولادهم قد طلبوا نفع أنفسهم بالتخلص من أضرار في الدنيا مُحتمَل لحاقها بهم من جرّاء بناتهم، فوقعوا في أضرار محققة في الدنيا وفي الآخرة، فإن النّسل نعمة من الله على الوالدين يأنسون به، ويجدونه لكفاية مهمّاتهم، ونعمة على القبيلة تكثُر وتعزّز، وعلى العالم كَلَّة بكثرة من يعمره، وبما ينتفع به النَّاس من مواهب النّسل وصنائه، ونعمة على النّسل نفسه بما يناله من نعيم الحياة وملذّاتها.

● قال تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [يونس:

. [45]

قال ابن عطية⁽¹⁾: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا...﴾ حكم على المكذّبين بالخسار، وفي اللفظ إغلاظ على المحشورين من إظهار لما هم عليه من الغرر مع الله تعالى. وهذا على أنّ الكلام إخبار من الله تعالى. وقيل: إنّه من كلام المحشورين على جهة التوبيخ لأنفسهم.

قال الفخر الرازي⁽²⁾: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ﴾ فيه وجهان:

الأوّل: أن يكون التقدير: ويوم يحشرهم حال كونهم متعارفين، وحال كونهم قائلين: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ﴾.

الثاني: أن يكون: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا﴾ كلام الله، فيكون هذا شهادة من الله عليهم بالخُسران، والمعنى: أنّ من باع آخرته بالدنيا فقد خسِر، لأنّه أعطى الشّريف الباقي، وأخذ القليل الخسيس الفاني.

● قال تعالى: ﴿فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَهُ فِتْنَةٌ أُنْقَلَبَ عَلَيَّ

وَجْهَهُ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الحج: 11].

(1) المحرر الوجيز.

(2) التفسير الكبير.

قال الطَّبْرِيُّ⁽¹⁾: يقول: غَبِنَ هذا الَّذِي - وصفٌ جَلَّ ثناؤه صفته - دنياه، لأنَّه لم يظفر بحاجته منها بما كان من عبادته الله على شكٍّ، ووُضِعَ في تجارته فلم يربح، ﴿وَالْآخِرَةُ﴾: يقول: خسر الآخرة، فإنَّه معذبٌ فيها بنار الله الموقدة. وقوله: ﴿ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ يقول: وخسارته الدُّنيا والآخرة هي الخُسران، يعني الهلاك المبين، يقول: يُبين لمن فكَّر فيه، وتدبَّره أنَّه قد خسر الدُّنيا والآخرة.

قال الفَخْرُ الرَّازِي⁽²⁾: ﴿خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ﴾ فذلك لأنَّه يخسر في الدُّنيا العزة، والكرامة، وإصابة الغنيمة، وأهلية الشَّهادة، والإمامة، والقضاء، ولا يبقى ماله ودمه مصوناً. وأمَّا في الآخرة فيفوته الثَّواب الدَّائم، ويحصل له العقاب الدَّائم، ﴿ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾.

● قال تعالى: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسًا سُبَّتَ اللَّهُ إِلَيْكَ قَدَّ خَلَّتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكٰفِرُونَ﴾ [غافر: 85].

قال الطَّبْرِيُّ⁽³⁾: يقول: وهلك عند مجيء بأس الله، فغَبِنَتْ صفقته ووضع في بيعه الآخرة بالدُّنيا، والمغفرة بالعذاب، والإيمان بالكفر، الكافرون برَّبِّهم، الجاحدون توحيد خالقهم، المتخذون من دونه آلهة يعبدونها من دون بارئهم.

قال الزَّجَّاج⁽⁴⁾: المُبْطَلُونَ والكافرون خاسرون في ذلك الوقت، وفي كلِّ وقت خاسرون، ولكنه تعالى بيّن لهم خُسرانهم إذا رأوا العذاب.

قال الفَخْرُ الرَّازِي⁽⁵⁾: قوله: ﴿هُنَالِكَ﴾ مستعار للزَّمان، أي: وخسروا وقت رؤية البأس.

(1) معاني القرآن.

(1) جامع البيان.

(2) التفسير الكبير.

(2) التفسير الكبير.

(3) جامع البيان.

● قال تعالى: ﴿... لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: 12].

قال الواحدي⁽¹⁾: أي بالشرك بالله تعالى أوبقوا أنفسهم.

قال البيضاوي⁽²⁾: بتضييع رأس مالهم، وهو الفطرة الأصلية والعقل السليم، وموضع ﴿الَّذِينَ﴾ نَضَبٌ عَلَى الدَّمِّ، أَوْ رَفَعٌ عَلَى الْخَبْرِ، أَي وَأَنْتُمْ الَّذِينَ أَوْ عَلَى الْإِبْتِدَاءِ وَالْخَبْرِ.

﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ و(الفاء) للدلالة على أن عدم إيمانهم مسبب عن خسرانهم، فإنَّ إبطال العقل باتباع الحواس والوهم والانهماك. في التقليد، وإغفال النظر، أدى بهم إلى الإصرار على الكفر والامتناع من الإيمان.

● قال تعالى: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: 9].

● ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: 20].

قال الطبري⁽³⁾: قوله: ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾ من نعت ﴿الَّذِينَ﴾ الأولى. ويعني بقوله: ﴿خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾ أهلكوها وألقوها في نار جهنم، بإنكارهم محمداً أنه لله رسولٌ مرسلٌ، وهم بحقيقة ذلك عارفون ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ يقول: فهم بخسارتهم بذلك انفسهم لا يؤمنون.

قال أبو السعود⁽⁴⁾: ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾ من أهل الكتاب والمشركين بأن ضيعوا فطرة الله التي فطر الناس عليها، وأعرضوا عن البيئات الموجبة للإيمان

(1) الوجيز.

(2) أنوار التنزيل.

(3) جامع البيان.

(4) إرشاد العقل السليم.

بالكلية ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لما أنهم مطبوع على قلوبهم، ومحلّ الموصول الرفع على الابتداء. وخبره الجملة المصدرة بالفاء لشبه الموصول بالشرط.

● قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخِرُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [هود: 21-22].

قال الطَّبْرِيُّ⁽¹⁾: غبنوا أنفسهم حظوظهم من رحمة الله حقاً إنّ هؤلاء القوم الذين هذه صفتهم في الدنيا وفي الآخرة هم الأخرسون الذين قد باعوا منازلهم من الجنان بمنازل أهل الجنة من النار، وذلك هو الخسران المبين.

قال الرَّمَّحَشَرِيُّ⁽²⁾: اشتروا عبادة الآلية بعبادة الله، فكان خسرانهم في تجارتهم ما لا خسران أعظم منه، وهو أنهم خسروا أنفسهم. ﴿هُمُ الْآخِرُونَ﴾ لا ترى أحداً أبين خسراناً منهم.

قال الفَخْرُ الرَّازِيُّ⁽³⁾: وتقريره: هو أنه لما أعطى الشريف الرفيع، ورضي بالخصيس الوضيع، فقد خسر في التجارة، ثم لما كان هذا الخصيس بحيث لا يبقى بل لا بدّ وأن يهلك ويفني، انقلبت تلك التجارة إلى النهاية في صفة الخسارة، فلهذا قال: ﴿لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخِرُونَ﴾.

● قال تعالى: ﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الزمر: 15].

قال الطَّبْرِيُّ⁽⁴⁾: قل يا محمد لهم: إنّ الهالكين الذين غبنوا أنفسهم، وهلكت بعذاب الله أهلوه مع أنفسهم، فلم يكن لهم إذ دخلوا النار فيها أهل، وقد كان لهم في الدنيا أهلون. [إلى أن قال: ﴿أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾: ألا، إنّ

(3) التفسير الكبير.

(1) جامع البيان.

(4) جامع البيان.

(2) الكشاف.

خُسران هؤلاء المشركين أنفسهم وأهليهم يوم القيامة - وذلك هلاكها - هو الخسران المبين هو الهلاك الذي يُبين لمن عاينه وعمله أنه الخسران.

قال الرَّجَّاجُ⁽¹⁾: هذا يعني به الكفار، فإنهم خسروا أنفسهم بالتخليد في النار، وخسروا أهليهم، لأنهم لم يدخلوا مدخل المؤمنين الذين لهم أهل في الجنة، ثم بين حالهم، فقال: ﴿أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾.

● قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَخٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: 90]

قال الطَّبْرِيُّ⁽²⁾: يقول: لمغبونون في فعلكم، وترككم ملتكم التي أنتم عليها مقيمون إلى دينه الذي يدعوكم إليه، وهالكون بذلك من فعلكم.

قال الفَخْرُ الرَّازِيُّ⁽³⁾: اختلفوا فقال بعضهم: خاسرون في الدين، وقال آخرون: خاسرون في الدنيا، لأنه يمنعكم من أخذ الزيادة من أموال الناس، وعند هذا المقال كمل حالهم في الضلال أولاً، وفي الإضلال ثانياً، فاستحقوا الإهلاك.

● قال تعالى: ﴿قَالُوا لَئِنِ أَكَلَهُ الذَّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخٰسِرُونَ﴾ [يوسف: 14].

قال الطَّبْرِيُّ⁽⁴⁾: قال إخوة يوسف لوالدهم يعقوب: أئن أكل يوسف الذئب في الصحراء، ونحن أحد عشر رجلاً معه نحفظه - وهم العُصْبَةُ - ﴿إِنَّا إِذًا لَخٰسِرُونَ﴾ يقول: إنا إذا لعجزة هالكون.

قال القُشَيْرِيُّ⁽⁵⁾: لأن من باع أخاً مثل يوسف يمثل ذلك الثمن حقيق بأن يقال: قد خسرت صفقته.

- | | |
|---------------------|---------------------|
| (1) معاني القرآن. | (4) جامع البيان. |
| (2) جامع البيان. | (5) لطائف الإشارات. |
| (3) التفسير الكبير. | |

قال الزمخشري⁽¹⁾: أي: هالكون ضعفاً وخوراً وعجزاً، أو مستحقون أن يهلكوا، لأنه لا غناء عندهم ولا جدوى في حياتهم، أو مستحقون لأن يدعى عليهم بالخسار والدمار، وأن يقال: خسروهم الله ودمرهم حين أكل الذئب بعضهم وهم حاضرين.

● قال تعالى: ﴿وَلَيْنَ أَطَعْتُمْ بَشْرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَسِرُونَ﴾ [المؤمنون: 34].

قال الطبري⁽²⁾: يقول: قالوا: إنكم إذا لمغبونون حظوظكم من الشرف والرّفعة في الدنيا، باتّباعكم إياه.

قال الفخر الرازي⁽³⁾: أي لئن كنتم أعطيتموه الطاعة من غير أن يكون لكم بإزائها منفعة، فذلك هو الخسران.

قال القرطبي⁽⁴⁾: يريد لمغبونون بترككم آهتكم، واتّباعكم إياه من غير فضيلة له عليكم.

● قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَسِرُونَ﴾ [البقرة: 27].

قال الزمخشري⁽⁵⁾: ﴿هُمُ الْخَسِرُونَ﴾ لأنهم استبدلوا النّقص بالوفاء، والقطع بالوصل، والفساد بالصلاح، وعقابها بثوابها.

قال ابن عطية⁽⁶⁾: الخاسر: الذي نقص نفسه حظّها من الفلاح والفوز، والخسران: النّقص كان في ميزان أو غيره.

(1) الكشاف.

(2) الكشاف.

(3) الكشاف.

(4) جامع البيان.

(5) المحرر الوجيز.

(6) التفسير الكبير.

● قال تعالى: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدَىٰ وَمَنْ يُضِلِّمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف: 178]

قال البيضاوي⁽¹⁾: الأفراد في الأوّل ﴿الْمُهْتَدَىٰ﴾ والجمع في الثّاني ﴿الْخَاسِرُونَ﴾ باعتبار اللفظ والمعنى، تنبيه على أنّ المهتدين كواحد لاّ تّحاد طريقهم، بخلاف الضّالّين.

قال المرّاعي⁽²⁾: الذين خسرو سعادة الدّنيا وسعادة الآخرة، إذ هو قد خسرو تلك المواهب التي كان بها إنساناً مستعداً للسّعادتين الدّنيويّة والأخرويّة.

● قال تعالى: ﴿لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [النحل: 109].

قال الفخر الرّازي⁽³⁾: واعلم أنّ الموجب لهذا الخسران هو أنّ الله تعالى وصفهم في الآيات المتقدّمة بصفات ستّة:

الصفة الأولى: أنّهم استوجبوا غضب الله.

والصفة الثّانية: أنّهم استحقّوا العذاب الأليم.

والصفة الثّالثة: أنّهم استحبّوا الحياة الدّنيا على الآخرة.

والصفة الرّابعة: أنّه تعالى حرّمهم من الهداية.

والصفة الخامسة: أنّه تعالى طبع على قلوبهم سمعهم وأبصارهم.

والصفة السّادسة: أنّه جعلهم من الغافلين عمّا يُراد بهم من العذاب الشّديد يوم القيامة، فلا جرم لا يسعون في دفعها.

فثبت أنّه حصل في حقّهم هذه الصّفات الستّة التي كلّ واحد منها من أعظم الأحوال المانعة عن الفوز بالخيرات والسّعادات.

(3) التفسير الكبير.

(1) أنوار التنزيل.

(2) تفسير المراغي.

ومعلوم أنه تعالى إنما أدخل الإنسان الدنيا، ليكون كالتاجر الذي يشتري بطاعته سعادته الآخرة، فإذا حصلت هذه الموانع العظيمة عظم خسارته، فلهذا السبب قال: ﴿لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْخَاسِرُونَ﴾ أي هم الخاسرون لا غيرهم، والمقصود: التنبية على عظم خسارته، والله أعلم.

● قال تعالى: ﴿لَهُمْ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُوتِيَكَ هُمْ الْخَاسِرُونَ﴾ [الزمر: 63].

قال أبو السعود⁽¹⁾: ﴿... هُمْ الْخَاسِرُونَ﴾ [الزمر: 63] متصل بما قبله، والمعنى: أن الله تعالى خالق لجميع الأشياء ومتصرف فيها كيفما يشاء بالإحياء والإماتة، بيده مقاليد العالم العلوي والسفلي، والذي كفروا بآياته التكوينية المنصوبة في الآفاق والأنفس، والتنزيلية التي من جملتها هاتيك الآيات الناطقة بذلك هم الخاسرون خساراً لا خسار وراءه.

وقيل: هو متصل بقوله تعالى ﴿وَيَجِيءُ اللَّهُ﴾ [الزمر: 61] وما بينهما اعتراض، فتدبر.

● قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: 149].

قال أبو السعود⁽²⁾: أي للدنيا والآخرة غير فائزين بشيء منها واقعين في العذاب الخالد، على أن الارتداد على العقب علم على انتكاس المرء، ومثلاً في الحور بعد الكور.

وقيل: المراد بهم اليهود والنصارى؛ حيث كانوا يستغنونهم، ويوقعون لهم الشبه في الدين، ويقولون: لو كان نبياً حقاً لما غلب، ولما أصابه وأصحابه ما أصابهم، وإنما هو رجل حاله كحال غيره من الناس، يوماً عليه ويوماً له.

(2) إرشاد العقل السليم.

(1) إرشاد العقل السليم.

● قال تعالى: ﴿يَقَوْمِ أَدْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ [المائدة: 21].

قال الزمخشري⁽¹⁾: خاسرين ثواب الدنيا والآخرة.

قال الفخر الرازي⁽²⁾: فيه وجوه:

أحدها: خاسرين في الآخرة، فإنه يفوتكم الثواب، ويلحقكم العقاب.
وثانيها: ترجعون إلى الذل.

وثالثها: تموتون في التيه ولا تصلون إلى شيء من مطالب الدنيا ومنافع الآخرة.

● قال تعالى: ﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ حَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّةِ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾ [فصلت: 25].

قال أبو السعود⁽³⁾: تعليل لاستحقاقهم العذاب، والضمير للأولين والآخرين.

قال الألوسي⁽⁴⁾: تعليل لاستحقاقهم العذاب، والضمير لهم وللأمم، وجوز كونه لهم بقرينة السياق.

● قال تعالى: ﴿إِنَّمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [البقرة: 64] 1.

قال القشيري⁽⁵⁾: لولا حكمه بأمهاله، وحلمه بإفضاله لعاجلكم بالعقوبة، وأحلّ عليكم عظيم المصيبة، ولخسرت صفقتكم بالكلية.

- | | |
|-------------------------|---------------------|
| (1) الكشف. | (4) روح المعاني. |
| (2) التفسير الكبير. | (5) لطائف الإشارات. |
| (3) إرشاد العقل السليم. | |

قال البيضاوي⁽¹⁾: المغبونين بالانهماك في المعاصي، أو بالخبط والضلال في فترة من الرسل. و(لو) في الأصل لامتناع الشيء لامتناع غيره، فإذا دخل على (لا) أفاد إثباتاً، وهو امتناع الشيء لثبوت غيره، والاسم الواقع بعده عند سببويه مبتدأ خبره واجب الحذف، لدلالة الكلام عليه، وسدّ الجواب مسدّه، وعند الكوفيّين فاعل فعل محذوف.

● قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: 85].

قال أبو السعود⁽²⁾: المعنى أنّ المعرض عن الإسلام والطلب لغيره فاقده للنتع واقع في الخسران، بإبطال الفطرة السليمة التي فطر الناس عليها. وفي ترتيب الرّد والخسران على مجرد الطلب دلالة على أنّ حال من تدين بغير الإسلام واطمأنّ بذلك أفضح وأقبح.

● قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيْمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [المائدة: 5].

قال الفخر الرازي⁽³⁾: ﴿وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ مشروط بشرط غير مذكور في الآية، وهو أن يموت على ذلك الكفر؛ إذ لو تاب عن الكفر لم يكن في الآخرة من الخاسرين، والدليل على أنّه لا بدّ من هذا الشرط، قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ...﴾ [البقرة: 217].

● قال تعالى: ﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: 149].

(3) التفسير الكبير.

(1) أنوار التنزيل.

(2) إرشاد العقل السليم.

قال الفخر الرازي⁽¹⁾: هذا كلام من اعترف بعظيم ما أقدم عليه وندم على ما صدر منه، ورغب إلى ربه في إقالة عثرته، ثم صدقوا على أنفسهم كونهم من الخاسرين إن لم يغفر الله لهم.

● قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونُوا مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [يونس: 95].

قال الألوسي⁽²⁾: ﴿مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ أنفساً وأعمالاً، والتعبير بـ ﴿الْخَاسِرِينَ﴾ أظهر في التحذير من التعبير بالكافرين. وفائدة النهي في الموضوعين التهيج والإلهاب نظير ما مر، والمراد بذلك: إعلام أن الافتراء والتكذيب قد بلغا في القبح والمحدورية إلى حيث ينبغي أن ينهى عنهما من لا يمكن أن يتصف بهما، فكيف بمن يمكن اتصافه؟! وفيه قطع لأطماع الكفرة.

● قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: 65].

قال البيضاوي⁽³⁾: كلام على سبيل الفرض، والمراد به تهيج الرسول وإقنات الكفرة، والإشعار على حكم الأمة، وإفراد الخطاب باعتبار كل واحد، واللام الأولى موطنه للقسم والأخريان للجواب.

وإطلاق الإحباط يحتمل أن يكون من خصائصهم، لأن شركهم أقبح، وأن يكون على التقييد بالموت كما صرح به في قوله: ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ - فِيمَتَّ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ [البقرة: 217]. وعطف الخسران عليه من عطف المسبب على السبب.

● قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْأَخِرَةِ هُمُ الْآخِسُونَ﴾ [النمل: 5].

(3) أنوار التنزيل.

(1) التفسير الكبير.

(2) روح المعاني.

بالجدال فلقنه الله تعالى الحجة المبكته، ثم عدلوا القوة والجبروت فنصره وقواه عليهم.

● قال تعالى: ﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عِقَبُهُ أَمْرَهَا خُسْرًا﴾ [الطلاق: 9].

قال القرطبي⁽¹⁾: أي هلاكاً في الدنيا بما ذكرنا. [الجوع والقحط والسيف والخسف والمسح وسائر المصائب]، والآخرة بجهنم.

قال ابن عاشور⁽²⁾: شُبِّهَتْ عَاقِبَتُهُمُ السَّوْأَى بِخُسَارَةِ التَّاجِرِ فِي بَيْعِهِ، فِي أَنَّهُمْ لَمَّا عَتَوْا حَسَبُوا أَنَّهُمْ أَرْضَوْا أَنفُسَهُمْ بِإِعْرَاضِهِمْ عَنِ الرَّسْلِ وَانْتَصَرُوا عَلَيْهِمْ، فَلَمَّا لَبِثُوا أَنْ صَارُوا بِمِثْلِهِ، وَكَمَا يَخْسِرُ التَّاجِرُ فِي تَجْرِهِ.

● قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرُ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾﴾ [العصر: 1-2].

قال الزجاج⁽³⁾: الخسر والخسران في معنى واحد، والمعنى أن الناس الكفار والعاملين بغير طاعة الله لفي خسر.

قال الزمخشري⁽⁴⁾: ﴿الْإِنْسَانَ﴾ للجنس. والخسر: الخسران، كما قيل: الكفر في الكفران، والمعنى: أن الناس في خسران من تجاراتهم إلا الصالحين وحدهم، لأنهم اشتروا الآخرة بالدنيا فربحوا وسعدوا، ومن عداهم تجروا خلاف تجارتهم فوقعوا في الخسارة والشقاوة.

● قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خُسَارًا﴾ [الإسراء: 82].

قال البغوي⁽⁵⁾: لأنّ الظالم لا ينتفع به والمؤمن من ينتفع به، فيكون رحمة

- | | |
|---------------------------|--------------------|
| (1) الجامع لأحكام القرآن. | (4) الكشاف. |
| (2) التحرير والتنوير. | (5) معالم التنزيل. |
| (3) معاني القرآن. | |

له. وقيل: زيادة الخسارة للظالم من حيث إن كل آية تنزل يتجدد منهم تكذيب، ويزداد لهم خسارة.

قال الفخر الرازي⁽¹⁾: واعلم أنه تعالى لما بين كون القرآن شفاء ورحمة للمؤمنين، بين كونه سبباً للخسار والضلال في حق الظالمين، والمراد به المشركون، وإنما كان كذلك لأن سماع القرآن يزيدهم غيظاً وغضباً وحقدًا وحسدًا.

● قال تعالى: ﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّمَا عَصَوْنِي وَأَتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدَّهُ مَالُهُ وُؤَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا﴾ [نوح: 21].

قال الفخر الرازي⁽²⁾: يعني هذان وإن كانا من جملة المنافع في الدنيا إلا أنهما لما صارا سبباً للخسار في الآخرة، فكأنهما صارا محض الخسار، والأمر كذلك في الحقيقة، لأن الدنيا في جنب الآخرة كالعدم، فإذا صارت المنافع الدنيوية أسباباً للخسار في الآخرة صار ذلك جاريًا مجرى اللقمة الواحدة من الحلوى، إذا كانت مسمومة سمّ الوقت.

● قال تعالى: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [المطففين: 3].

قال الزجاج⁽³⁾: أي إذا كالوا لهم أو وزنوا لهم يخسرون، أي ينقصون في الكيل والوزن. ويجوز في اللغة ﴿يُخْسِرُونَ﴾ يقال: أخسرت الميزان وخسرته، ولا أعلم أحدًا قرأ في هذا الموضع ﴿يُخْسِرُونَ﴾.

قال ابن عاشور⁽⁴⁾: معنى ﴿يُخْسِرُونَ﴾ يوقعون الذين كالوا لهم أو وزنوا لهم في الخسارة، والخسارة: النقص من المال من التباع.

(3) معاني القرآن.

(1) التفسير الكبير.

(4) التحرير والتنوير.

(2) التفسير الكبير.

● قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: 9]

قال الرَّاغِب⁽¹⁾: يجوز أن يكون إشارة إلى تحريّ العدالة في الوزن وترك الحيف فيما يتعاطاه في الوزن، ويجوز أن يكون ذلك إشارة إلى تعاطي ما لا يكون به ميزانه في القيامة خاسراً، فيكون ممّن قال فيه: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ [الأعراف: 9]، وكلا المعنيين يتلازمان، وكلّ خسران ذكره الله تعالى في القرآن فهو على هذا المعنى الأخير دون الخسران المتعلّق بالمقتنيات الدنيويّة والتّجارات البشريّة.

● قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾

[هود: 63]

قال الرّمخسري⁽²⁾: يعني تخسرون أعمالي وتبطلونها، أو فما تزيدونني بما تقولون لي وتحملونني عليه غير أن أخسرکم، أي: أنسبکم إلى الخسران، وأقول لكم إنکم خاسرون.

قال المِراغي⁽³⁾: أي فما تزيدونني باتّقاء سوء ظنّکم وارتيابکم، غير إيقاعي في الخسران بإيثار ما عندکم على ما عند الله، واشتراء رضاکم بسخطه تعالى.



(3) تفسير المراغي.

(1) مفردات الراغب.

(2) الكشف.

خسف

(خسف - خرّ - هوى - انهار)

■ **الْحَسْفُ**: غموض ظاهر الأرض ﴿فَحَسَفْنَا بِهِ وَبَدَارِهِ الْأَرْضَ﴾ [القصص: 81].

■ **الْخُرُوزُ**: أن يسقط الشيء من الأعلى إلى الأرض ﴿خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم: 58].

■ **الهُوِيُّ**: السقوط من الأرض ﴿أَوْ تَهْوَى بِهِ أَلْيَحُ فِي مَكَانٍ سَجِيحٍ﴾ [الحج: 31].

■ **الأنهيارُ**: سقوط الشيء القوي الكبير القائم على الأرض بسرعة ﴿فَأَنهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ [التوبة: 109].



النصوص اللغوية:

قال ابن فارس⁽¹⁾: الخاء والسين والفاء أصل واحد يدلّ على غموض وغُور، وإليه يرجع فروع الباب. فالْحَسْفُ وَالْحَسْفُ: غموض ظاهر الأرض، قال الله تعالى: ﴿فَحَسَفْنَا بِهِ وَبَدَارِهِ الْأَرْضَ﴾ [القصص: 81].

ومن الباب: حُسُوفُ القمر، وكان بعض أهل اللُغة يقول: الحُسُوفُ للقمر والكسوف للشمس.

ويقال بئرٌ خَسِيفٌ: إذا كُسِرَ جِئِهَا فأنهارَ، ولم يُتَرَخْ ماؤها.

(1) معجم مقاييس اللغة.

وَأَنْخَسَفَتِ الْعَيْنُ : عُمِيَتْ . والمهزول يُسَمَّى خَاسِيفًا ، كَأَنَّ لِحْمَهُ غَارَ وَدَخَلَ .
ومنه : بات على الخَسْفِ : إذا بات جائعًا ، كَأَنَّهُ غَابَ عَنْهُ مَا أَرَادَهُ مِنْ طَعَامٍ ،
ورضي بالخَسْفِ ، أي : الدنيئة .

ويقال : وَقَعَ النَّاسُ فِي أَخَاسِيفٍ مِنَ الْأَرْضِ : وهي اللَّيْثَةُ تَكَادُ تَعْمَضُ لَلِيْنِهَا .
ومِمَّا حُمِلَ عَلَى الْبَابِ ، قَوْلُهُمْ لِلسَّحَابِ الَّذِي يَأْتِي بِالْمَاءِ الْكَثِيرِ : خَسِيفٌ ،
كَأَنَّهُ شُبِّهَ بِالْبُئْرِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا . وكذلك قولهم : نَاقَةٌ خَسِيفَةٌ ، أي : غزيرة .

قال الخليل⁽¹⁾ : الخَسْفُ : سُؤُوحُ الْأَرْضِ بِمَا عَلَيْهَا مِنَ الْأَشْيَاءِ ، أَنْخَسَفَتْ بِهِ
الْأَرْضُ ، وَخَسَفَهَا اللَّهُ بِهِ . وَعَيْنٌ خَاسِيفَةٌ : فُقِئَتْ ، وَغَابَتْ حَدْقُهَا .
ويثر خَسِيفٌ مَخْسُوفَةٌ ، أي : نُقِبَ جَبَلُهَا عَنْ عَيْلِمِ الْمَاءِ فَلَا تُنْزَفُ أَبَدًا ، وَهِنَّ
الْأَخْسِيفَةُ .

وناقة خَسِيفٌ : غزيرة ، سريعة الانقطاع من اللبن في الشتاء .
والخَسِيفُ مِنَ السَّحَابِ : مَا نَشَأَ مِنْ قِبَلِ الْعَيْنِ ، أي : مِنْ قِبَلِ الْمَغْرِبِ
الْأَقْصَى عَنْ يَمِينِ الْقِبْلَةِ ، وَفِيهِ مَاءٌ كَثِيرٌ ، وَخَسَفْنَاهَا خَسْفًا .

وُخُسُوفُ الشَّمْسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : دَخُولُهَا فِي السَّمَاءِ ، كَأَنَّهَا تَكْوَّرَتْ فِي جُحْرٍ .
والخَسْفُ : تحميك إنساناً ما يكره .

والخَسْفُ : الْجَوْزُ ، بَلْغَةُ الشَّجَرِ .

قال الجوهري⁽²⁾ : خَسَفَ الْمَكَانَ يَخْسِيفُ خُسُوفًا : ذَهَبَ فِي الْأَرْضِ .
وَخَسَفَ اللَّهُ بِهِ الْأَرْضَ خَسْفًا ، أي : غَابَ بِهِ فِيهَا . وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ فَخَسَفْنَا
بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ ﴾ .

وُخُسُوفُ الْقَمَرِ : كَسُوفُهُ .

والخَسْفُ : النَّقْصَانُ . يُقَالُ : رَضِيَ فُلَانٌ بِالخَسْفِ ، أي : بِالنَّقِيصَةِ ، وَبَاتَ
فُلَانٌ بِالخَسْفِ ، أي : جَائِعًا .

(2) الصحاح في اللغة .

(1) العين .

ويقال: سامه الخسف، وسامه خسفاً. وخسفاً - أيضاً بالضم - أي: أولاده ذلاً، ويقال: كلّفه المشقة والذلّ.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿يَسْتَلُ أَيَّانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرَقَ أَبْصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ﴿٨﴾﴾ [القيامة: 6-8].

قال الماوردي⁽¹⁾: أي ذهب ضوؤه، حتى كأن نوره ذهب في خسف من الأرض.

قال البغوي⁽²⁾: أظلم وذهب نوره وضوؤه.

قال الرّمخسري⁽³⁾: وذهب ضوؤه أو ذهب بنفسه. وقُرئ (وخسف) على البناء للمفعول.

● قال تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ﴾ [القصص: 81].

قال الطّبري⁽⁴⁾: يقول تعالى ذكره: فَخَسَفْنَا بقارون وأهل داره. وقيل: وبداره، لأنّه ذكر أنّ موسى إذا أمر الأرض أن تأخذه أمرها بأخذه، وأخذ من كان معه من جلسائه في داره، وكانوا جماعة جلوساً معه، وهم على مثل الذي هو عليه من التّفاق والمؤازرة على أذى موسى.

قال الفخر الرازي⁽⁵⁾: فيه وجهان:

- | | |
|--------------------|---------------------|
| (1) النكت والعيون. | (4) جامع البيان. |
| (2) معالم التنزيل. | (5) التفسير الكبير. |
| (3) الكشاف. | |

أحدهما: أنه لما أشر وبطر وعتا خسف الله به وبداره الأرض جزاءً على عتوه وبطره، والفاء تدلّ على ذلك، لأنّ الفاء تُشعر بالعلية.

وثانيها: قيل: إنّ قارون كان يؤذي نبيّ الله موسى ﷺ كلّ وقت. وهو يداريه للقرابة التي بينهما حتى نزلت الرّكاة، فصالحه.

● قال تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النحل: 45].

قال الألوسي⁽¹⁾: (خسف) يُستعمل لازماً ومتعدياً. يقالك كما قال الرّاعب: خسفه الله تعالى وخسف هو، وكلا الاستعمالين مُحتمل هنا، فالباء إمّا للتعدية أو للملابسة، و(الأرض) إمّا مفعول به أو نصب بنزع الخافض، أي أفامن الذين مكروا السيئات أن يُغيّبهم الله تعالى في الأرض، أو يُغيّبها بهم، كما فعل بقارون.

قال المِراغي⁽²⁾: أي يُزيلها من الوجود وهم على سطحها.

يبيدهم من صفحة الوجود، كما فعل بقارون من قبل.

● قال تعالى: ﴿أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا﴾ [الإسراء: 68].

قال القرطبي⁽³⁾: بين أنّه قادر على هلاكهم في البرّ وإن سلّموا من البحر.

قال الخازن⁽⁴⁾: أي: تغوره. والمعنى: أن الجهات كلها له، وفي قدرته برّاً كان أو بحراً بل إن كان الغرق في البحر ففي جانب البر ما هو مثله وهو الخسف لأنه يغيب تحت الثرى كما أن الغرق يغيب تحت الماء (أو يرسل عليكم حاصباً) أي: نمطر عليكم حجارة من السماء، كما أمطرناها على قوم لوط (ثم لا تجدوا لكم وكيلاً) أي: مانعاً وناصرأ.

(3) الجامع لأحكام القرآن.

(1) روح المعاني.

(4) لباب التأويل.

(2) تفسير المِراغي.

خشب

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس⁽¹⁾: الخاء والشين والباء أصل واحد يدل على خُشونةٍ وغِلْظٍ .
فالأخْشَبُ: الجبلُ الغليظُ .

ومن ذلك قول النبي ﷺ، في مكة: «لا تَزُولُ حَتَّى يَزُولَ أَخْشَبَاهَا» . يريد جبلَيْهَا .

والخَشِيبُ: السيفُ الَّذِي بُدِئَ طَبْعُهُ، ولا يكون في هذه الحال إِلَّا خَشِينًا .
وسهمٌ مَخْشُوبٌ وخَشِيبٌ، وهو حين يُنْحَتُ . وَجَمَلٌ خَشِيبٌ: غليظٌ . وكلُّ هذا
عندي مشتقٌّ من الخَشَبِ . وَتَخَشَّبَتِ الإبلُ: إذا أَكَلَتِ اليَيسَرَ من المرعى .

ويقال جَبْهَةٌ خَشْبَاءٌ: كريهةٌ يابسةٌ ليست بمستوية، وظَلِيمٌ خَشِيبٌ: غليظٌ .

قال الخليل⁽²⁾: الخَشَبُ معروفٌ، والخَشَابَةُ: قومٌ معهم خَشَبٌ، وحِرْفَتُهُمُ:
الخَشَابَةُ .

ورجلٌ خَشِيبٌ: عاري العظام والعصب، له شِدَّةٌ وصلابةٌ، وكذلك اليد
ونحوها . وأخْشُوبَ الرَّجُلِ . وأخْشَبَا مَكَّةَ: جبالها .

والخَشِيبُ: الصَّقِيلُ . ومنه حديث النبي ﷺ في مكة: «لا تَزُولُ حَتَّى يَزُولَ
أَخْشَبَاهَا» .

قال الجوهري⁽³⁾: جمع الخَشْبَةِ: خَشَبٌ، وَخُشْبٌ، وَخُشْبٌ، وَخُشْبَانٌ .

(3) الصحاح في اللغة .

(1) معجم مقاييس اللغة .

(2) العين .

وَحَشَبْتُ الشَّيْءَ بِالشَّيْءِ : خلطته به .
 قال الفيروزآبادي⁽¹⁾ : الخَشَبُ ، محرّكة : ما غلظ من العيدان ، جمعه :
 خَشَبٌ ، محرّكة أيضاً ، وبضمتين ، وخُشْبٌ وخُشْبَانٌ بضمّهما .

في القرآن الكريم:

● قال تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ^ط
 كَأَنَّهُمْ خُشْبٌ مُّسْنَدَةٌ . . . ﴾ [المنافقون : 4] .

قال الأزهرّي⁽²⁾ : أراد والله أعلم أنّ المنافقين في ترك التّفهّم والاستبصار
 ووَعْي ما يسمعون من الوحي : بمنزلة الخُشْب .

قال الواحدي⁽³⁾ : لا أرواح فيها فلا تعقل ولا تفهم ، وكذلك المنافقون لا
 يسمعون الإيمان ولا يعقلونه .



(3) الوجيز .

(1) القاموس المحيط .

(2) تهذيب اللغة .

خشع

(خشع - خبت - خضع - ذعن - ضرع - عنت - قنت)

- **الْخُشُوعُ:** انكسار الصوت مع المهابة ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ﴾ [طه: 108].
- **الْإِخْبَاتُ:** انكسار القلب مع سكون الجوارح ﴿فَنَجَّيْتَ لَهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الحج: 54].
- **الْخُضُوعُ:** التكسر في الصوت والجسد تحبباً ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ﴾ [الأحزاب: 32].
- **الْإِدْعَانُ:** انكسار الحركة رغبة ﴿وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُدْعِينَ﴾ [النور: 49].
- **الضَّرَاعَةُ:** هي إخبات بزيادة، رفع اليدين والجثو على الركب ﴿فَأَخَذْتَهُمْ بِالْبِاسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرِعُونَ﴾ [الأنعام: 42].
- **العَنْتُ:** انكسار القوة ضعفاً وخوفاً ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾ [طه: 111].
- **القُنُوتُ:** انحسار الفكر باتجاه واحد تستسلم له ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانُونَ﴾ [الرُّوم: 26].



النصوص اللغوية:

قال ابن فارس⁽¹⁾: الخاء والشين والعين أصل واحد، يدلّ على التّطامن. يقال: خَشَع: إذا تطامن.

يقال: اخْتَشَع فلان ولا يقال: اخْتَشَع بصره.

قال الحليل⁽²⁾: الخُشُوعُ: رَمِيكَ ببصرك إلى الأرض. وَتَخَاشَعْتُ: تَشَبَّهْتُ بِالْحَاشِعِينَ.

ورجل مُتَخَشِّعٌ مُتَضَرِّعٌ.

قال الجوهري⁽³⁾: الخُشُوعُ: الخضوع. يقال: خَشَعَ واخْتَشَع. وَخَشَعَ ببصره: أي غَضَهُ.

وبلدة خَاشِعَةٌ، أي: مُغْبَرَّةٌ لا منزل بها. ومكانٌ خَاشِعٌ.

قال أبو هلال⁽⁴⁾: الفرق بين الخشوع والخضوع: أنّ الخشوع - على ما قيل - يرى فاعله أنّ من يخضع له فوقه، وأنّه أعظم منه.

والخشوع: في الكلام خاصّةً والشاهد قوله تعالى: ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه: 108].

وقيل: هما أفعال القلوب وقال ابن دريد⁽⁵⁾: يقال: خضع الرجل للمرأة وأخضع. إذا ألان كلامه لها، قال: والخاضع: المطأطى رأسه وعنقه. وفي التنزيل: ﴿فَطَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ [الشعراء: 4].

وعند بعضهم أنّ الخشوع لا يكون إلا مع خوف الخاشع المخشوع له، ولا

(1) معجم مقاييس اللغة.

(4) الفروق.

(2) العين.

(5) جامع البيان.

(3) الصحاح في اللغة.

يكون تكلفاً، ولهذا يضاف إلى القلب فيقال: خشع قلبه وأصله: (ألبس) ومنه يقال قَفُّ خاشع: للذي تغلب عليه السهولة، والخضوع هو التّطامن والتّطأطؤ، ولا يقتضي أن يكون معه خوف. ولهذا لا يجوز إضافته إلى القلب، فيقال: خضع قلبه. وقد يجوز أن يخضع الإنسان تكلفاً من غير أن يعتقد أن المخضوع له فوقه، ولا يكون الخشوع كذلك.

وقال بعضهم الخضوع قريب المعنى من الخشوع، إلا أن الخضوع في البدن، والإقرار بالاستجداء والخشوع في الصّوت.

المعنى المشترك:

* وردت كلمة (خشع) في القرآن الكريم على ستة معانٍ:

- 1 - الذل: قال تعالى: ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه: 108].
- 2 - سكون الجوارح: قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾﴾ [المؤمنون: 1-2].
- 3 - عدم نبات الأرض: قال تعالى: ﴿... وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ...﴾ [فصلت: 39].
- 4 - الخوف: قال تعالى: ﴿... وَيَدْعُونَنَا رِعَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: 90].
- 5 - غض البصر: قال تعالى: ﴿أَبْصَرُهَا خَشِيعَةً﴾ [النازعات: 9].
- 6 - التواضع: قال تعالى: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة: 45].



في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [ظه: 108].

قال الطَّبْرِيُّ⁽¹⁾: وسكنت أصوات الخلائق للرحمن فوصف الأصوات بالخشوع، والمعنى لأهلها إنهم خضع جميعهم لربهم، فلا تسمع لناطق منهم منطلقاً إلا من أذن الرحمن.

قال القُشَيْرِيُّ⁽²⁾: تنقطع الأوهام، وتقف الأفهام، وتنخس العقول، وتندرس العلوم، وتتحير المعارف، ويتلاشى ما هو نعت الخلق، ويستولي سلطان الحقيقة، فعند ذلك لا عين ولا أثر، ولا رسم ولا ظل ولا غبر، في الحضور خرس، وعلى البساط فتاء، وللرسوم امتحاء، وإنما الصحة على الثبات.

قال ابن عطية⁽³⁾: الخشوع: التظامن والتواضع، وهي الأصوات، استعارة بمعنى الخفاء والاستسرار.

● قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ...﴾ [الحديد: 16].

قال الطَّبْرِيُّ⁽⁴⁾: ألم يحن للذين صدقوا الله ورسوله أن تلين قلوبهم لذكر الله، فتخضع قلوبهم له.

قال الرَّجَّاجُ⁽⁵⁾: وهذه الآية - والله أعلم - نزلت في طائفة من المؤمنين حثوا على الرقة والرحمة والخشوع فأما من كان ممن وصفه - عز وجل - بالخضوع والرقة والرحمة فطائفة من المؤمنين فوق هؤلاء.

(4) جامع البيان.

(5) معاني القرآن.

(1) جامع البيان.

(2) لطائف الإشارات.

(3) المحرر الوجيز.

قال الماوردي⁽¹⁾: وفي: ﴿أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا﴾ ثلاثة تأويلات:

أحدها: أن تلين قلوبهم لذكر الله.

الثاني: أن تذلل قلوبهم من خشية الله.

الثالث: أن تجزع قلوبهم من خوف الله.

● قال تعالى: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾ [الحشر: 21].

قال الطبري⁽²⁾: يقول جل ثناؤه: لو أنزلنا هذا القرآن على جبل، وهو حجر، لرأيته يا محمد خاشعاً، يقول: متذلاً متصدعاً من خشية الله على قساوته، حذراً من أن لا يؤدي حق الله المفترض عليه في تعظيم القرآن. وقد أنزل على ابن آدم وهو بحقه مستخف، وعنه عما فيه من العبر والذكر معرض، كأن لم يسمعها، كأن في أذنيه وقرأ.

قال الزجاج⁽³⁾: أعلم الله عز وجل أن من شأن القرآن وعظمته وبيانه أنه لو جعل في الجبل تمييز كما جعل فيكم، وأنزل عليه القرآن لخشع وتصدع من خشية الله.

ومعنى «خشع»: تطأطأ وخضع. ومعنى (تصدع): تشقق.

قال ابن عربي⁽⁴⁾: أي قلوبهم أقسى من الحجر في عدم التأثر والقبول، إذ الكلام الإلهي بلغ من التأثير ما لا إمكان للزيادة وراءه، حتى لو فرض إنزاله على جبل لتأثر منه بالخشوع والانصداع.

● قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢١﴾

[المؤمنون: 1-2].

(1) النكت والعيون.

(2) جامع البيان.

(3) معاني القرآن.

(4) تفسير القرآن لابن العربي.

قال القُشَيْرِيُّ⁽¹⁾: الخشوع في الصَّلَاةِ: إطراق السَّرِّ على بساط النَّجْوَى باستكمال نعت الهيبة، والدُّوبان تحت سلطان الكشف، والامتحاء عند غلبات التَّجَلِّي.

قال البَغَوِيُّ⁽²⁾: الخشوع: قريب من الخضوع، إلا أنَّ الخضوع في البدن، والخشوع في القلب والبصر والصَّوت، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَحَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ﴾ [طه: 108].

قال ابن عطية⁽³⁾: الخشوع: التَّطامن وسكون الأعضاء والوقار، وهذا إنما يظهر ممَّن في قلبه خوف واستكانة. وروي أن سبب هذه الآية أن المسلمين كانوا يلتفتون في صلاتهم يمناً ويسرة فنزلت هذه الآية وأمروا أن يكون بصر المصلِّي حذاء قبلته أو بين يديه، وفي الحرم إلى الكعبة.

● قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَشِيعِينَ لِلَّهِ لَا يَسْتُرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا...﴾ [آل عمران: 199]

قال الطَّبْرِيُّ⁽⁴⁾: خاضعين لله بالطَّاعة، مستكينين له بها متذلِّلين.

قال البَغَوِيُّ⁽⁵⁾: خاضعين متواضعين لله.

قال المِراغِي⁽⁶⁾: الخشوع وهو الثَّمرة للإيمان الصَّحيح، فإنَّ الخشوع أثر خشية الله في القلب، ومنه تفيض على الجوارح والمشاعر، فيخشع البصر بالانكسار، ويخشع الصَّوت بالخفوت والتَّهْدُج.

● قال تعالى: ﴿... وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ [الأنبياء: 90].

(4) جامع البيان.

(5) معالم التنزيل.

(6) تفسير المراغي.

(1) لطائف الإشارات.

(2) معالم التنزيل.

(3) المحرر الوجيز.

قال الطَّبْرِيُّ⁽¹⁾: يقول: وكانوا لنا متواضعين متذللين، ولا يستكبرون عن عبادتنا ودعائنا.

قال القُشَيْرِيُّ⁽²⁾: الخشوع: قشعيرة القلب عند اطلاع الرَّبِّ، وكان لهم ذلك على الدَّوام.

قال الرَّجَّاجُ⁽³⁾: الخاشع: المتواضع المطيع المجيب، لأنَّ المتواضع لا يبالي برئاسة كانت له مع كفر إذا انتقل إلى الإيمان.

● قال تعالى: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة: 45].

قال الماوَرَدِيُّ⁽⁴⁾: ففيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: يعني: وإنَّ الصَّلَاةَ لثَقِيلَةٌ إِلَّا عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، لعود الكناية إلى مؤنَّث اللفظ.

والثَّاني: يعني: الصَّبْرَ والصَّلَاةَ، فأرادهما، وإنَّ عادة الكناية إلى الصَّلَاةِ، لأنَّها أقرب مذكور.

والثَّالث: وإنَّ إجابة مُحَمَّدٍ ﷺ لشديدة إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ.

والخشوع في الله: التَّواضع، ونظيره الخضوع. وقيل: إنَّ الخضوع في البدن، والخشوع في الصَّوت والبصر.

وقيل: المطيعين.

وأصل الخشوع: السَّكُون، قال الله تعالى: ﴿وَحَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ﴾ [طه]:

[108].

فالخاشع ساكن إلى طاعة الله تعالى.

(3) معاني القرآن.

(4) النكت والعيون.

(1) جامع البيان.

(2) لطائف الإشارات.

قال أبو حيان⁽¹⁾: ﴿إِلَّا عَلَى الْخَشِيعِينَ﴾ [البقرة: 45] استثناء مفرغ، لأنّ المعنى: وإنّها لكبيرة على كلّ أحدٍ إلا على الخاشعين، وهم المتواضعون المستكينون. وإنّما لم تُشَقَّ على الخاشعين، لأنّها منطوية على أوصاف هم متحلّون بها. لخشوعهم من القيام لله والركوع له والسجود له، والرّجاء لما عنده من الثواب. فلمّا كان مآل أعمالهم إلى السعادة الأبدية سهّل عليهم ما صعب على غيرهم من المنافقين والمرائين بأعمالهم، الذين لا يرجون لها نفعاً.

قال أبو السعود⁽²⁾: وإنّما لم تثقل عليهم، لأنّهم يتوقّعون ما أعدّ لهم بمقابلتها فتھون عليهم، ولأنّهم يستغرقون في مناجاة ربّهم فلا يدركون ما يجري عليهم من المشاقّ والمتاعب، ولذلك قال ﷺ: «وَجُعِلَ قَرَّةٌ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ».

● قال تعالى: ﴿وَالصَّابِرِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالخَشِيعِينَ وَالخَشِيعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ...﴾ [الأحزاب: 35]

قال الطبري⁽³⁾: الخاشعة قلوبهم لله وجلّاً منه ومن عقابه.

قال الشوكاني⁽⁴⁾: الخاشع والخاشعة هما: المتواضعان لله، الخائفان منه، الخاضعان في عباداتهم لله.

قال ابن عاشور⁽⁵⁾: أهل الخشوع، وهو الخضوع لله والخوف منه، وهو يرجع إلى معنى الإخلاص بالقلب فيما يعمله المكلف، ومطابقة ذلك لما يظهر من آثاره على صاحبه والمراد: الخشوع لله بالقلب والجوارح.

● قال تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُّكْرٍ﴾ ﴿٦﴾ خُشَعًا أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾ ﴿٧﴾ [القمر: 6-7].

- | | |
|-------------------------|-----------------------|
| (1) البحر المحيط. | (4) فتح القدير. |
| (2) إرشاد العقل السليم. | (5) التحرير والتنوير. |
| (3) جامع البيان. | |

قال الطَّبْرِيُّ⁽¹⁾: ذليلة، أبصارهم خاشعة، لا ضرر بها.

قال الرَّجَّاحُ⁽²⁾: ﴿خُشَعًا أَبْصَرُهُمْ﴾ منصوب على الحال، المعنى يخرجون من الأجداث خُشَعًا أبصارهم.

قال ابن عاشور⁽³⁾: أي ذليلة ينظرون من طرف خفي لا تثبت أحداقهم في وجوه النَّاسِ، وهي نظرة الخائف المفتضح، وهو كناية، لأنَّ ذلَّةَ الذَّلِيلِ وعزَّةَ العزيز تظهران في عيونهما.

● قال تعالى: ﴿... وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ﴾ [فصلت: 39].

قال الطَّبْرِيُّ⁽⁴⁾: يقول تعالى ذكره: ومن حُجِّجَ اللهُ أيضاً وأدلته على قدرته على نشر الموتى - من بعد بلاها - وإعادتها لهيئتها كما كانت من بعد فنائها، أنك يا محمّد ترى الأرض دارسة غبراء لا نبات بها ولا زرع.

قال الفَخْرُ الرَّازِيُّ⁽⁵⁾: الخشوع: التذلل والتّصاغر، واستعير هذا اللفظ لحال الأرض حال خلوّها عن المطر والنبات.

قال القُرْطُبِيُّ⁽⁶⁾: أي يابسة جَدْبَةٌ، هذا وصف الأرض بالخشوع. والأرض الخاشعة: الغبراء التي لا تنبت، وبلدة خاشعة، أي: مغيّرة لا منزل بها، ومكان خاشع.

● قال تعالى: ﴿أَبْصَرُهَا خَاشِعَةً﴾ ﴿٩﴾ يَقُولُونَ أَيْنَا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ [النازعات: 9-10].

- | | |
|-----------------------|---------------------------|
| (1) جامع البيان. | (4) جامع البيان. |
| (2) معاني القرآن. | (5) التفسير الكبير. |
| (3) التحرير والتنوير. | (6) الجامع لأحكام القرآن. |

قال الفخر الرازي⁽¹⁾: وقوله: ﴿أَبْصَرُهَا خَشَعَةً﴾ لأنّ المعلوم من حال المضطرب الخائف أن يكون نظره نظر خاشع ذليل خاضع، يترقب ما ينزل به من الأمر العظيم.

قال القرطبي⁽²⁾: منكسرة ذليلة من هول ما ترى. نظيره: ﴿خَشَعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرَهَفُهُمْ ذِلَّةً﴾ [القلم: 43]، والمعنى أبصار أصحابها، فحذف المضاف.

● قال تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَشِيعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾﴾ [الغاشية: 2-3].

قال الفخر الرازي⁽³⁾: أي ذليلة قد عراهم الخزي والهوان، كما قال: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمَجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ﴾ [السجدة: 12]، وقال: ﴿وَتَرْنَهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَشِيعِينَ مِنَ الْذُلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ [الشورى: 45].

وإنما يظهر الذلّ في الوجه، لأنّه ضدّ الكبر الذي محلّه الرأس والدماغ. قال القرطبي⁽⁴⁾: أي ذليلة بالعذاب. وكلّ متضائل ساكن خاشع. يقال: خشع في صلاته، إذا تذلّ ونكّس رأسه، وخشع الصوت: خفي. قال الله: ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ﴾ [طه: 108].



(1) التفسير الكبير.
 (2) الجامع لأحكام القرآن.
 (3) التفسير الكبير.
 (4) الجامع لأحكام القرآن.

خشي

(خشي - حذر - خوف -

رعب - رهب - وجل - وجف)

■ **الْخَشْيَةُ:** خوف من ذي هيبة ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: 28].

■ **الْحَذَرُ:** احتراز من مخيف ﴿يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ [الزمر: 9].

■ **الْخَوْفُ:** توقع مكروه عن أمارة معلومة ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ [الإسراء: 57].

■ **الرُّعْبُ:** امتلاء القلب بالخوف الشديد حتى شعر بالجبن ﴿سَكُنْتُمْ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ [آل عمران: 151].

■ **الرَّهْبُ:** خوف من قوي منتقم يثير الاضطراب الدائم ﴿تَرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: 60].

■ **الْوَجَلُ:** استشعار الخوف في بدايته ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحج: 35].

■ **الْوَجْفُ:** الاضطراب من شدة السرعة ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ [النازعات: 8].



النصوص اللغوية:

قال ابن فارس⁽¹⁾: الخاء والشَّين والحرف المعتل يدل على خَوْفٍ ودُّعْرٍ، ثمَّ يحمل عليه المجاز، فالخَشِيَّة: الخوف، ورجل خَشِيَانٌ.

وخَاشَانِي فلَانٌ فَخَشَيْتُهُ، أي: كنتُ أشدَّ خَشِيَّةً منه.

والمجاز قولهم: خَشَيْتُ بمعنى عَلِمْتُ. ويقال: هذا المكان أَخْشَى من ذلك. أي أشدَّ خوفاً.

ومما شدَّ عن الباب - وقد يمكن الجمع بينهما على بُعد - : الخَشُوُّ: التَّمَرُّ الحَشْف. وقد خَشَتِ النَّخْلَةَ، تَخْشُو خَشْواً. والخَشِيُّ من اللَّحْم: اليابس.

قال الخليل⁽²⁾: الخَشِيَّة: الخَوْف، والفعل: خَشِيَ يَخْشَى، ويقال: وهذا المكان أَخْشَى من ذاك.

قال الجوهري⁽³⁾: خَشِيَ الرَّجُلُ يَخْشَى خَشِيَّةً، أي: خاف، فهو خَشِيَانٌ، والمرأة خَشِيَاءٌ.

وهذا المكان أَخْشَى من ذاك، أي: أشدَّ خوفاً.

قال الرَّاعِب⁽⁴⁾: الخَشِيَّة: خوف يشوبه تعظيم. وأكثر ما يكون ذلك عن علم بما يُخْشَى منه، ولذلك خُصَّ العلماء بها في قوله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: 28].

وعند الإمام أحمد في مسنده، وفي (جامع) الترمذي عن عائشة، قالت: قلت: (يا رسول الله، الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجيلَةٌ، أهو الذي يسرق ويزني ويشرب الخمر؟ قال: لا يا ابنة الصِّديق، ولكنه الرجل يصلي ويصوم ويتصدق ويخاف ألا يُقبل منه).

(1) معجم مقاييس اللغة.

(3) الصحاح في اللغة.

(2) العين.

(4) مفردات الراغب.

قال الحسن رحمه الله: اعملوا لله بالطاعات واجتهدوا فيها، خافوا أن تُردّ عليهم. إنّ المؤمن جمع إيماناً وخشية، والمنافق جمع إساءة وأمناً.

والخَشِيَّة والخوف والوجل والرَّهبة ألفاظ متقاربة غير مترادفة.

فالخوف: توقُّع العقوبة على مجاري الأنفاس، قاله جُنَيْد. وقيل: اضطراب القلب وحركته من تذكُّره المخوف. وقيل: الخوف: هرب القلب من حلول المكروه عند استشعاره.

والخَشِيَّة: أخصّ من الخوف، فإنّ الخشية للعلماء بالله تعالى، فهي خوف مقرون بمعرفة.

قال النبي ﷺ: «إِنِّي أَنقَاكُمُ اللهُ وَأَشَدُّكُمُ لَهُ خَشِيَّةً».

فالخوف: حركة، والخَشِيَّة: انجِماع وانقباض وسكون، فإنّ الذي يرى العدوّ والسَّيل ونحو ذلك له حالتان: إحداهما: حركة الهرب منه، وهي حالة الخوف، والثانية: سكونه وقراره في مكان لا يصل إليه، وهي الخَشِيَّة، ومن الخَش: الشَّيء الأَخْشَن.

والمضاعف والمعتلّ أخوان، كتقضى البازي وتقضض.

وأما الرَّهبة: فهي الإمعان في الهرب من المكروه، وهي ضدّ الرّغبة التي هي سفر القلب، في طلب المرغوب فيه. وبين الرّهب والهرب تناسب في اللفظ والمعنى، يجمعهما الاشتقاق الأوسط الذي هو عقد تقاليب الكلمة، على معنى جامع.

وأما الوَجَل: فرَجفان القلب وانصداعه، لذكر من يخاف سلطانه وعقوبته، أو لرؤيته. وأما الهيبة: فخوف مقارن للتّعظيم والإجلال. وأكثر ما يكون مع المحبة والإجلال.

فالخوف لعامة المؤمنين، والخَشِيَّة للعلماء العارفين، والهيبة للمحبين، والوجلّ للمقربين.

وعلى قدر العلم والمعرفة يكون الخشية، كما قال النبي ﷺ: «إني لأعلمكم بالله وأشدكم له خشية»، وقال: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً، ولما تلذذتم بالنساء على الفرش، ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله تعالى».

فصاحب الخوف يلتجئ إلى الهرب والإمساك، وصاحب الخشية إلى الاعتصام بالعلم، ومثلهما كمثل من لا علم له بالطب، ومثل الطبيب الحاذق، فالأول يلتجئ إلى الحمية والهرب، والطبيب يلتجئ إلى معرفته بالأدوية والأدواء.

وكل واحد إذا خفته هربت منه، إلا الله، فإنك إذا خفته هربت إليه. فالخائف هارب من ربه إلى ربه.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿إِنَّمَا نُنذِرُ مَنْ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبُ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ [يس: 11].

قال الطبري⁽¹⁾: وخاف الله حين يغيب عن أبصار الناظرين، لا المنافق الذي يستخف بدين الله إذا خلا، ويظهر الإيمان في الملاء، ولا المشرك الذي قد طبع الله على قلبه.

قال الزجاج⁽²⁾: أي خاف الله من حيث لا يراه أحد.

● قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: 7-8].

(2) معاني القرآن.

(1) جامع البيان.

قال أبو السُّعود⁽¹⁾: إِنَّ الخَشِيَةَ الَّتِي هِيَ مِنْ خِصَائِصِ الْعُلَمَاءِ بِشُؤْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، مَنَاطٌ لِجَمِيعِ الْكِمَالَاتِ الْعِلْمِيَّةِ وَالْعَمَلِيَّةِ الْمُسْتَبَعَةِ لِلسَّعَادَةِ الدِّينِيَّةِ وَالدُّنْيَوِيَّةِ، وَالتَّعَرُّضُ لِعَنْوَانِ الرَّبُّوبِيَّةِ الْمُعْرَبَةِ عَنِ الْمَالِكِيَّةِ وَالتَّربِيَةِ لِلإِشْعَارِ بَعْلَةٌ الخَشِيَّةِ، وَالتَّحْذِيرُ مِنَ الْإِغْتِرَارِ بِالتَّربِيَةِ.

قال المَرَاغِي⁽²⁾: أَيُّ الْجِزَاءِ الْحَسَنِ إِنَّمَا يَكُونُ لِمَنْ مَلَأَتْ قَلْبَهُ الخَشِيَّةُ وَالخَوْفُ مِنْ رَبِّهِ. وَفِي ذَلِكَ تَحْذِيرٌ مِنْ خَشِيَّةٍ غَيْرِ اللَّهِ، وَتَنْفِيرٌ مِنْ إِشْرَاكٍ غَيْرِهِ فِي جَمِيعِ الْأَعْمَالِ، كَمَا أَنَّ فِيهِ تَرْغِيْبًا فِي تَذَكُّرِ اللَّهِ وَرَهْبَتِهِ لَدَى كُلِّ عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ الْبِرِّ، حَتَّى يَكُونَ الْعَمَلُ لَهُ خَالِصًا.

● قال تعالى: ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾ [ق: 33].

قال القُشَيْرِيُّ⁽³⁾: الخَشِيَّةُ مِنَ الرَّحْمَانِ، هِيَ الخَشِيَّةُ مِنَ الْفِرَاقِ. وَالخَشِيَّةُ مِنَ الرَّحْمَانِ تَكُونُ مَقْرُونَةً بِالْأَنْسِ، وَلِذَلِكَ لَمْ يَقُلْ: مِنْ خَشِي الْجَبَّارِ، وَلَا مِنْ خَشِي الْقَهَّارِ.

ويقال: الخَشِيَّةُ مِنَ اللَّهِ تَقْتَضِي الْعِلْمَ بِأَنَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ، وَأَنَّهُ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ.

ويقال: الخَشِيَّةُ أَلْطَفُ مِنَ الْخَوْفِ، وَكَأَنَّهَا قَرِيبَةٌ مِنَ الْهَيْبَةِ.

قال النَّسْفِيُّ⁽⁴⁾: الخَشِيَّةُ: انْزِعَاجُ الْقَلْبِ عَنِ ذِكْرِ الْخَطِيئَةِ، وَقُرْنٌ بِالْخَشِيَّةِ اسْمُهُ الدَّالُّ عَلَى سَعَةِ الرَّحْمَةِ، لِلثَّنَاءِ الْبَلِيغِ عَلَى الْخَاشِي، وَهُوَ خَشِيَّتُهُ مَعَ عِلْمِهِ أَنَّهُ الْوَاسِعُ الرَّحْمَةَ، كَمَا أَثْنَى عَلَيْهِ بِأَنَّهُ خَاشٍ مَعَ أَنَّ الْمَخْشِيَّ مِنْهُ غَائِبٌ.

● قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الْعُلَمَاءُ فَكَانَ آبَاؤُهُمْ مُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ [الكهف: 80].

(3) لطائف الإشارات.

(4) مدارك التنزيل.

(1) إرشاد العقل السليم.

(2) تفسير المراغي.

قال الماوردي⁽¹⁾: فيه ثلاثة أوجه .

أحدها: عَلِمَ الخضر أن الغلام يُرهِق أبويه طغياناً وكفراً، لأن الغلام كان كافراً. قال قتادة: وفي قراءة أبي ﴿وَأَمَّا الْعَلْمُ فَكَانَ أَبُوهُ مُؤْمِنِينَ﴾، فعبر عن العلم بالخشية .

الثاني: معناه: فخاف ربك أن يرهِق الغلام أبويه طغياناً وكفراً، فعبر عن الخوف بالخشية ها هنا. قال مقاتل: في قراءة أبي (فَخَافَ رَبُّكَ) والخوف ها هنا استعارة لانتفائه عن الله تعالى .

الثالث: كره الخضر أن يرهِق الغلام أبويه بطغيانه وكفره إثمًا وظلمًا .

قال الألويسي⁽²⁾: فحفظنا خوفاً شديداً .

وفسر بعض سُراح البخاري (الخشية) بالعلم، فقال: أي علمنا أنه لو أدرك وبلغ لدعا أبويه إلى الكفر، فيُجيبانه ويدخلان معه في دينه، لفرط حبهما إياه

● قال تعالى: ﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿٢﴾ إِلَّا تَذَكْرَةً لِمَنْ يَخْشَى ﴿٣﴾﴾ [طه: 2-3].

قال ابن عطية⁽³⁾: يتضمّن الإيمان والعمل الصّالح، إذ الخشية باعثة على ذلك .

قال الفخر الرازي⁽⁴⁾: وجه كون القرآن تذكرة أنه ﷺ كان يعظّمهم به وبيانه، فيدخل تحت قوله: لمن يخشى الرسول ﷺ لأنه في الخشية والتذكرة بالقرآن كان فوق الكلّ .

(3) المحرر الوجيز .

(4) التفسير الكبير .

(1) النكت والعيون .

(2) روح المعاني .

قال البَيْضاوي⁽¹⁾: لمن في قلبه خشية ورقّة يتأثر بالإنذار، أو لمن علم الله منه أنّه يخشى بالتّخويف منه، فإنّه المنتفع به.

● قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَىٰ ۖ وَهُوَ يَخْشَىٰ﴾ ﴿٩﴾ [عبس: 8-9].

قال الرّمخسري⁽²⁾: ﴿وَهُوَ يَخْشَىٰ﴾ [عبس: 9] الله، أو يخشى الكفّار وأذاهم في إيتانك، وقيل: جاء وليس معه قائدٌ فهو يخشى الكبوة.

قال الفخر الرازي⁽³⁾: فيه ثلاثة أوجه:

يخشى الله ويخافه في أن لا يهتمّ بأداء تكاليفهم.

أو يخشى الكفّار وأذاهم في إيتانك. أو يخشى الكبوة، فإنه كان أعمى، وما كان له قائدٌ.

● قال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ﴾ ﴿٩﴾ سَيِّدُكَرُّ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ [الأعلى: 10-9].

قال الطّبري⁽⁴⁾: يقول جلّ ثناؤه: سيّدكرا يا محمّد إذا ذكّرت الذين أمرتك بتذكيرهم، من يخشى الله، ويخاف عقابه.

قال الفخر الرازي⁽⁵⁾: بين في هذه الآية أنّ الذي تنفعه الذّكرى من هو، ولما كان الانتفاع بالذّكرى مبنياً على حصول الخشية في القلب، وصفاء القلوب ممّا لا اطلاع لأحد عليها إلا الله سبحانه، وجب على الرّسول تعميم الدّعوة تحصيلاً للمقصود، فإنّ المقصود تذكير من ينتفع بالتذكير، ولا سبيل إليه إلا بتعميم التذكير.

(4) جامع البيان.

(5) التفسير الكبير.

(1) أنوار التنزيل.

(2) الكشاف.

(3) التفسير الكبير.

ثم إن الإنسان إذا سمع التخويف بأنه ﴿يَصَلِّيَ النَّارَ الْكُبْرَى﴾ [الأعلى: 12]، وأنه ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾ [الأعلى: 13]، انكسر قلبه، فلا بد وأن يستمع وينتفع أغلب الخلق في أغلب الأحوال، وأمّا ذلك المعرض فنادر، وترك الخير الكثير لأجل الشرّ القليل شرّ كثير. فمن هذا الوجه كان قوله: ﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى﴾، يوجب تعميم التذكير.

● قال تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [النساء: 9].

قال الرّمحشري⁽¹⁾: والمراد بهم: الأوصياء أمروا بأن يخشوا الله فيخافوا على من في حجورهم من اليتامى، ويشفقوا عليهم خوفهم على ذريتهم، لو تركوهم ضعافاً وشفقتهم عليهم، وأن يقدروا ذلك في أنفسهم ويصوّروه، حتى لا يجسروا على خلاف الشفقة والرحمة. ويجوز أن يكون المعنى: وليخشوا على اليتامى من الضياع. وقيل: هم الذين يجلسون إلى المريض، فيقولون: إن ذريتك لا يغنون عنك من الله شيئاً، فقدّم مالك فيستغرقه بالوصايا. فأمرُوا بأن يخشوا ربهم أو يخشوا على أولاد المريض، ويشفقوا عليهم شفقتهم على أولاد أنفسهم لو كانوا. ويجوز أن يتصل بما قبله وأن يكون أمراً بالشفقة للورثة على الذين يحضرون القسمة من ضعفاء أقاربهم واليتامى والمساكين، وأن يتصوّروا أنهم لو كانوا أولادهم بقوا خلفهم ضائعين محتاجين هل كانوا يخافون عليهم الحرمان والخيبة؟!

قال أبو السّعود⁽²⁾: أمرٌ للأوصياء بأن يخشوا الله تعالى ويتّقوه في أمر اليتامى، فيفعلوا بهم ما يُحبّون أن يفعل بذرايرهم الضّعاف بعد وفاتهم، أو لمن يحضر المريض من العواد عند الإيضاء بأن يخشوا ربهم أو يخشوا أولاد المريض، ويشفقوا عليهم شفقتهم على أولادهم، فلا يتركوه أن يضرّ بهم بصرف المال عنهم، أو للورثة بالشفقة على من حضر القسمة من ضعفاء الأقارب

(1) الكشف. (2) إرشاد العقل السليم.

واليتامى والمساكين، متصوّرين أنّهم لو كانوا أولادهم بقوا خلفهم ضعافاً مثلهم هل يجوزون حرمانهم أو للموصين بأن ينظروا للورثة فلا يُسرفوا في الوصية.

● قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَن ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة: 18].

قال الواحدي⁽¹⁾: أي: لم يخف في باب الدين إلا الله، ولم يترك أمر الله لخشية غيره.

قال الزّمخشري⁽²⁾: قلت: هي الخشية والتّقوى في أبواب الدين، وأن لا يختار على رضا الله غيره لتوقع مخوف، وإذا اعترضه أمران أحدهما حق الله، والآخر حق نفسه، أن يخاف الله فيؤثر حق الله على حق نفسه. وقيل: كانوا يخشون الأصنام ويرجونها، فأريد نفي تلك الخشية عنهم.

قال البيضاوي⁽³⁾: أي في أبواب الدين، فإنّ الخشية عن المحاذير جبلية لا يكاد العاقل يتمالك عنها.

● قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْفِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشِيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشِيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كُتِبَ عَلَيْنَا الْفِتَالُ﴾ [النساء: 77].

قال الطّبري⁽⁴⁾: بقول: يخافون النّساء أن يقاتلوهم ﴿كَخَشِيَةِ اللَّهِ...﴾، أو أشدّ خوفاً، وقالوا جزعاً من القتال الذي فرض الله عليهم: ﴿رَبَّنَا...﴾.

قال الواحدي⁽⁵⁾: المشركين ﴿كَخَشِيَةِ اللَّهِ﴾ كما يخشون الله.

(1) الوجيز.

(4) جامع البيان.

(5) الوجيز.

(2) الكشاف.

(3) أنوار التنزيل.

قال القُرْطُبِيُّ⁽¹⁾: أي مشركي مَكَّة ﴿كَخَشِيَةِ اللَّهِ﴾ فهي على ما طبع عليه البشر من المخافة لا على المخالفة. وقيل: هو وصف للمنافقين، والمعنى: يخشون القتل من المشركين كما يخشون الموت من الله ﴿أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾ أي عندهم وفي اعتقادهم.

● قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ [الرعد: 21].

قال الفخر الرازي⁽²⁾: المعنى: أنه وإن أتى بكل ما قدر عليه في تعظيم أمر الله، وفي الشفقة على خلق الله، إلا أنه لا بد وأن تكون الخشية من الله والخوف منه مستولياً على قلبه. وهذه الخشية نوعان:

أحدهما: أن يكون خائفاً من أن يقع زيادة أو نقصان، أو خلل في عباداته وطاعته، بحيث يوجب فساد العبادة أو يوجب نقصان ثوابها.

والثاني: وهو خوف الجلال، وذلك لأن العبد إذا حضر عند السلطان المهيب القاهر، فإنه وإن كان في عين طاعته إلا أنه لا يزول عن قلبه مهابة الجلالة، والرفعة والعظمة.

قال القُرْطُبِيُّ⁽³⁾: قيل: في قطع الرحم. وقيل: في جميع المعاصي.

● قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرْكًا وَلَا نَخْسًا﴾ [طه: 77].

قال الزمخشري⁽⁴⁾: إن الخشية لا تكون إلا بالمعرفة.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: 28]، أي العلماء به، وذكر الخشية لأنها ملاك الأمر، من خشبي الله أتى منه كل خير، ومن أمن

(3) الجامع لأحكام القرآن.

(4) الكشاف.

(1) الجامع لأحكام القرآن.

(2) التفسير الكبير.

اجترأ على كل شرٍّ، ومنه قوله عليه الصلوة والسلام: (مَنْ خَافَ أَدْلَجَ وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ الْمَنْزَلَ).

بدأ مخاطبته بالاستفهام الذي معناه العرض، كما يقول الرجل لضيفه: هل لك أن تنزل بنا، وأردفه الكلام الرفيق ليستدعيه بالتلطف في القول، ويستنزله بالمداراة من عتوه كما أمر بذلك في قوله: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِيَنَّا﴾ [طه: 44].

● قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّكَاسَ وَأَخْشَوْنَ وَالَّذِينَ يَشَارِكُوكَ فِي الدِّينِ قَلِيلًا...﴾ [المائدة: 44].

قال الفخر الرازي⁽¹⁾: وأعلم أنه تعالى لما قرّر أن النبيين والربانيين والأحبار كانوا قائمين بامضاء أحكام التوراة من غير مبالاة، خاطب اليهود الذين كانوا في عصر رسول الله ﷺ، ومنعهم من التحريف والتغيير.

واعلم أن إقدام القوم على التحريف لا بد وأن يكون لخوفٍ ورهبةٍ، أو لطمعٍ ورغبةٍ، ولما كان الخوف أقوى تأثيراً من الطمع قدم تعالى ذكره، فقال: ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّكَاسَ وَأَخْشَوْنَ﴾ [المائدة: 44].

والمعنى: إياكم وأن تحرفوا كتابي للخوف من الناس والملوك والأشراف، فُتسقطوا عنهم الحدود الواجبة عليهم، وتستخرجوا الجيل في سقوط تكاليف الله تعالى عنهم، فلا تكونوا خائفين من الناس، بل كونوا خائفين مني ومن عقابي.

● قال تعالى: ﴿أَلَا نُنَبِّئُكَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَكُمُوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُكُمْ أُولَئِكَ مَرَّةً كَرِهَ اللَّهُ لِعُنُوتِهِمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: 13].

(1) التفسير الكبير.

قال الفخر الرازي⁽¹⁾: وهذا الكلام يقوي داعية القتال من وجوه:

الأول: أن تعدد الموجبات القوية وتفصيلها، مما يقوي هذه الداعية.

والثاني: أنك إذا قلت للرجل: أتخشى خصمك، كان ذلك تحريكاً منه، لأن يستتكف أن ينسب إلى كونه خائفاً من خصمه.

والثالث: أن قوله: ﴿فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ﴾ يفيد ذلك، كأنه قيل: إن كنت تخشى أحداً فالله أحق أن تخشاه، لكونه في غاية القدرة والكبرياء والجلالة، والضّرر المتوقع منهم غايته القتل. وأما المتوقع من الله، فالعقاب الشديد في القيامة، والدّم اللازم في الدنيا.

والرابع: أن قوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ معناه: أنكم إن كنتم مؤمنين بالايمن وجب عليكم أن تقدموا على هذه المقاتلة، ومعناه: أنكم إن لم تقدموا عليها وجب أن لا تكونوا مؤمنين. فثبت أن هذا كلامٌ مشتمل على سبعة أنواع من الأمور التي تحملهم مقاتلة أولئك الكفار الناقضين للعهد.

● قال تعالى: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَمَّ يَمَعِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: 150].

قال القشيري⁽²⁾: إذا كانوا محوا عن كونهم رسوماً تجري عليها أحكامنا، فإنني بالخشية منهم.

قال الواحدي⁽³⁾: أي في انصرفكم إلى الكعبة، وفي تظاهرهم عليكم في المحاجة والمحاربة، ﴿وَإِخْشَوْنِي﴾ في تركها ومخالفتها.

قال البيضاوي⁽⁴⁾: فلا تخافوهم، فإن مطاعنهم لا تضركم، ﴿وَإِخْشَوْنِي﴾ فلا تخالفوا ما أمرتكم به مصلحة لكم.

(1) التفسير الكبير.

(3) الوجيز.

(4) أنوار التنزيل.

(2) لطائف الإشارات.

● قال تعالى ﴿... أَلْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا...﴾ [المائدة: 3].

قال الزّجاج⁽¹⁾: أي فليكن خوفكم لله وحده، فقد أمنتُم أن يظهر دين على الإسلام وكذلك - والله أعلم - قوله: ﴿أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾.

قال الماوردي⁽²⁾: أي ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾. أن يظهروا عليكم، ﴿وَاخْشَوْنِ﴾ أن تخالفوا أمري.

قال أبو حيان⁽³⁾: وقيل: فلا تخشوا عاقبتهم. والظاهر أنه نهى عن خشيتهم إيّاهم، وأنهم لا يخشون إلا الله تعالى.



(3) البحر المحيط.

(1) معاني القرآن.

(2) النكت والعيون.

خَصَّ

(خَصَّ - آثَر - اصْطَفَى - اخْتَار - اجْتَبَى)

- **اخْتَصَّ**: حدد من يستحق فضله المتميز ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ﴾ [البقرة: 105].
- **آثَر**: حدد محبوباً لنفسه هو على سائر من يحب لأثر خفي . فالأثر: فضل والإيثار تفضيل ﴿قَالُوا تَأَلَّه لَقَدْ ءَاثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ [يوسف: 91].
- **اصْطَفَى**: حدّد من يرفعهم في نفسه على الآخرين ﴿وَاصْطَفَاكَ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: 42].
- **اخْتَارَ**: حدّد من يصلح لوظيفة خاصة من بين آخرين ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا﴾ [الأعراف: 155].
- **اجْتَبَى**: جمع شيئاً يحبه إلى سائر ما ومن يحب ﴿فَلَجَبْنَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [القلم: 50].

(خَصَص - جُوع - خَمَص - السَّغْب)

- **الْخِصَاصَةُ**: خلّو البيت مما يؤكل ﴿وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خِصَاصَةٌ﴾ [الحشر: 9].
- **الجُوعُ**: الألم من خلّو المعدة من الطعام ﴿أَطْعَمَهُمْ مِّنْ جُوعٍ وَعَآمَنَهُمْ مِّنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: 4].
- **الْخَمَصُ**: ضمور البطن من شدة الجوع ﴿فِي مَخَصَصَةٍ﴾ [المائدة: 3].

■ السَّغْبُ: اجتماع الجوع والعطش والتعب ﴿أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾
[البلد: 14].

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس⁽¹⁾: الخاء والصاد أصل مطرد منقاس، وهو يدلّ على الفُرْجَة، والثُّلْمَة. فالخِصَاصُ: الفُرْج بين الأثافي.

ويقال للقمر: بدا من خِصَاصَةِ السَّحَاب.

والخِصَاصَةُ: الإملاق. والثُّلْمَة في الحال.

ومن الباب: خَصَصْتُ فلاناً بشيء خُصُوصِيَّةً - بفتح الخاء - وهو القياس، لأنّه إذا أفرد واحد فقد أوقع فُرْجَةً بينه وبين غيره، والعموم بخلاف ذلك. والخِصِصِيَّةُ: الخُصُوصِيَّةُ.

قال الخليل⁽²⁾: وَخَصَصْتُ الشَّيْءَ خُصُوصاً، وَاخْتَصَصْتُهُ.

وَالْخَاصَّةُ: الَّذِي اخْتَصَصْتَهُ لِنَفْسِكَ. وَالْخِصَاصَةُ: سَوْءُ الْحَالِ.

وَالْخِصَاصُ: شَبْهُ كُوَّةٍ فِي قُبَّةٍ وَنَحْوِهَا إِذَا كَانَ وَاسِعاً قَدْرَ الْوَجْهِ.

وَيَسْمَى الْغَيْمُ: خِصَاصَةً. وَكَلَّ خَرَقٌ أَوْ خَلَّلٌ فِي سَحَابٍ أَوْ مُنْخَلٍ يَسْمَى: خِصَاصَةً، وَالْجَمِيعُ: خِصَاصٌ.

قال أبو هلال⁽³⁾: الفرق بين الخاصّ والخُصُوص: أنّ الخُصُوص يكون فيما يراد به بعض ما ينطوي عليه لفظه بالوضع، والخاصّ: ما اختصّ بالوضع لا بإرادة.

(1) معجم مقاييس اللغة.

(2) العين.

(3) الفروق.

وقال بعضهم: الخُصُوص: ما يتناول بعض ما يتضمّنه العموم، أو جرى مجرى العموم من المعاني. وأمّا العموم: فما استغرق ما يصلح أن يستغرقه وهو عامّ، والعموم: لفظ مشترك يقع على المعاني والكلام.

وقال بعضهم: الخاصّ: ما يتناول أمراً واحداً بنفس الوضع، والخصوص: أن يتناول شيئاً دون غيره، وكان يصحّ أن يتناوله وذلك الغير.

الفرق بين التّخصيص والنّسخ: أنّ التّخصيص هو ما دلّ على أنّ المراد بالكلمة بعض ما تناولته دون بعض، والنّسخ: ما دلّ على أنّ مثل الحكم الثابت بالخطاب زائل في المستقبل على وجه لولاه لكان ثابتاً. ومن حقّ التّخصيص أن لا يدخل إلّا فيما يتناوله اللفظ، والنّسخ يدخل في النّصّ على عين، والتّخصيص ما لا يدخل فيه.

الفرق بين الانفراد والاختصاص: أنّ الاختصاص انفراد بعض الأشياء بمعنى دون غيره، كالانفراد بالعلم والملك. والانفراد: تصحيح النّفس وغير النّفس، وليس كذلك الاختصاص، لأنّه نقيض الاشتراك والانفراد نقيض الازدواج.

وقد وردت كلمة (خصّ) في القرآن الكريم في المعاني المشتركة التالية:

- 1 - التفضيل على الغير: قال تعالى: ﴿... وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [البقرة: 105].
- 2 - تعدي الحكم من الخاصة إلى العامة: قال تعالى: ﴿وَأَتَقُوا فِتْنَةَ لَا نُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً...﴾ [الأنفال: 25].
- 3 - الجوع والافتقار: قال تعالى: ﴿وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ...﴾ [الحشر: 9].



في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ...﴾ [الحشر: 9].

قال الطَّبْرِيُّ⁽¹⁾: حاجة وفاقة إلى ما آثروا به من أموالهم على أنفسهم.
قال الواحدِي⁽²⁾: فقر وحاجة. بين الله تعالى أن إيثارهم لم يكن عن غنى وعن مال، ولكن كان حاجة، وكان ذلك أعظم لأجرهم.
قال ابن عطية⁽³⁾: الخِصَاصَةُ: الفاقة والحاجة، وهو مأخوذ من خِصَاصِ البيت، وهو ما يبقى بين عيدانه من الفرج والفتوح، فكأن حال الفقير هي كذلك يتخللها النقص والاحتياج.

● قال تعالى: ﴿... وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [البقرة: 105].

قال الزَّجَّاجُ⁽⁴⁾: أي يختصّ بنبوته من يشاء من [عباده]. أخبر عزّ وجلّ أنّه مختار.

قال الزَّمَخْشَرِيُّ⁽⁵⁾: ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ﴾ بالنبوة ﴿مَن يَشَاءُ﴾ ولا يشاء إلا ما تقتضيه الحكمة.

قال البيضاوي⁽⁶⁾: ويستنبئه ويُعلمه الحكمة وينصره، لا يجب عليه شيء، وليس لأحد عليه حقّ.

(4) معاني القرآن.

(5) الكشاف.

(6) أنوار التنزيل.

(1) جامع البيان.

(2) الوجيز.

(3) المحرر الوجيز.

خَصَفَ

■ **خَصَفَ**: نسج أوراق الشجر والجلود.. ﴿فَدَلَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتَا لَهُمَا سَوْءَآهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ...﴾ [الأعراف: 22].



النصوص اللغوية:

قال ابن فارس⁽¹⁾: الخاء والصاد والفاء أصل واحد يدل على اجتماع شيء إلى شيء. وهو مطرد مستقيم. فالخَصَفُ خَصَفَ النعل، وهو أن يُطَبَّقَ عليها مثلها. والمِخْصَفُ: الإِسْفَى والمِخْرَزُ.

ومن الباب الاخْتِصَافُ، وهو أن يأخذ العُريَان على عورته ورقاً عريضاً أو شيئاً نحو ذلك يَسْتَتِرُ به.

والخَصِيفَةُ: اللبن الرائب يُصَبُّ عليه الحليب.

ومن الباب، وإن كانا يختلفان في أن الأول جمع شيء إلى شيء مطابقة، والثاني جمعه إليه من غير مطابقة، قولهم: حَبَلٌ خَصِيفٌ: فيه سواد وبياض.

قال الخليل⁽²⁾: الخَصَفُ: ثياب غلاظ جداً. ويقال: إن تُبِعَا كَسَا البيت المسوح، فانتفض البيت ومزقها، ثم كساه الخَصَفَ فلم يقبلها، ثم كساه الأنطاع فقبلها، وهو أول من كسا البيت. والخَصَفُ: لغة في الخَزَفِ.

(2) العين.

(1) معجم مقاييس اللغة.

وَالْخَصْفَةُ: القطعة مما يُخَصَفُ به النعل، وَالْمُخَصَفُ: مثقبه.
 وَالْأَخْصَفُ: لون كلون الرماد، فيه سواد وبياض وهو الخصيف أيضاً.
 قال الراغب⁽¹⁾: قال تعالى: ﴿وَطَفِقًا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا﴾ أي: يجعلان عليهما
 خَصْفَةً، وهي أوراق. ومنه قيل لُجَلَّةُ التَّمْرِ: خَصْفَةٌ، وللثياب الغليظة، جمعه:
 خَصَفٌ، ولما يُطْرَقُ به الخُفُّ: خَصْفَةٌ.
 وَخَصَفْتُ النعلَ بِالْمُخَصَفِ. وروى: (كان النبي ﷺ يَخْصِفُ نَعْلَهُ).

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿فَدَلَّلْنَاهَا بِرُؤُوسٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا
 يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: 22].

قال الطبري⁽²⁾: أقبلوا وجعلوا يشدان عليهما من ورق الجنة، ليواريا
 سواتهما.

قال الزجاج⁽³⁾: يجعلان ورقة على ورقة، ومنه قيل المخصاف الذي يرقع
 النعل: هو يخصف.

قال الزمخشري⁽⁴⁾: يخصفان ورقة فوق ورقة على عوراتهما ليستترا بها، كما
 يخصف النعل بأن تجعل ورقة على ورقة وتوثق بالسيور.



(3) معاني القرآن.

(4) الكشاف.

(1) مفردات الراغب.

(2) جامع البيان.

خصم

(خصم - جدل - نزع)

- **الخصام:** المفاوضة لإثبات حق متنازع عليه ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَأَحَكُّ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ﴾ [ص: 22].
- **الجدال:** مفاوضة على سبيل المغالية لإثبات الحق ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف: 54].
- **النزاع:** المجاذبة القائمة على إنكار ما يقول الآخر ﴿فَإِنْ نَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَزُدُّهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [النساء: 59].



النصوص اللغوية:

قال ابن فارس⁽¹⁾: الخاء والصّاد والميم أصلان: أحدهما: المنازعة، والثاني: جانب وعاء. فالأول: الخصم الذي يُخاصم. والذكر والأنثى فيه سواء. والخصام: مصدر خاصمته مُخاصمةً وخصاماً. وقد يُجمع الجمع على خصوم.

والأصل الثاني: الخصم: جانب العدل الذي فيه العروة. ويقال: إن جانب كل شيء خصم.

(1) معجم مقاييس اللغة.

وأخصامُ العين: ما ضُمَّت عليه الأَشْفار. ويمكن أن يُجمع بين الأصلين فيردُّ إلى معنى واحد. وذلك أنَّ جانب العِدْل مائل إلى أحد الشَّقَّين، والخصمُ: المنازع في جانب، فالأصل واحد.

قال الخليل⁽¹⁾: الخصمُ: واحد وجميع ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبْوُ الْخَصْمِ إِذْ سَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾ [ص: 21]، فجعله جمعاً، لأنَّه سُمِّي بالمصدر. وخصيمك: الذي يُخاصمك، وجمعه: خصماء.

والخصومة: الاسم من التخاصم والاختصاص.

قال الجوهري⁽²⁾: الخصمُ: معروف، يستوي فيه الجمع والمؤنث، لأنَّه في الأصل مصدر.

ومن العرب من يُثنيّه ويجمعه فيقول: خصمان وخصوم.

والخصيمُ أيضاً: الخصمُ، والجمع: خصماء.

وخاصمته مُخاصمةٌ وخصاماً، والاسم: الخصومة.

وخاصمتُ فلاناً فخصمته أخصمهُ بالكسر، ولا يقال بالضمّ، وهو شاذّ.

وأما من قرأ: ﴿وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ يريد يَخْتَصِمُونَ فيقلب التاء صاداً فيُدغمه،

وينقل حركته إلى الخاء. والخصمُ بكسر الصاد: الشّدِيدُ الخصومة.

واختصمَ القوم وتخاصموا، بمعنى. والسيف يَخْتَصِمُ جَفَنه، إذا أكله من

حدّته.

قال أبو هلال⁽³⁾: الفرق بين المعادة والمخاصمة: أنَّ المُخاصمة من قبيل

القول، والمُعادة من أفعال القلوب. ويجوز أن يُخاصم الإنسان غيره من غير أن يُعاديه، ويجوز أن يُعاديه ولا يُخاصمه.



(3) الفروق.

(1) العين.

(2) الصحاح في اللغة.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿وَقَالُوا ءَأَلْهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف: 58].

قال الطَّبْرِيُّ⁽¹⁾: يقول جلّ ثناؤه: ما بقومك يا محمد هؤلاء المشركين في محابّتهم إياك بما يحاجّونك به طلب الحقّ ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ يلتمسون الخُصومة بالباطل.

قال الفخر الرّازي⁽²⁾: مبالغون في الخُصومة.

● قال تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ [يس: 77].

قال الطَّبْرِيُّ⁽³⁾: يقول تعالى ذكره: ومن حُجّجه عليكم أيضاً أيّها النّاس، أنّه خلق الإنسان من نطفة، فأحدث من ماء مهين خلقاً عجيباً، قلبه تاراتٍ خلقاً بعد خلق في ظلمات ثلاث، ثمّ أخرجّه إلى ضياء الدّنيا بعد ما تمّ خلقه، ونفخ فيه الرّوح، فغداه ورزقه القوت ونّماه، حتّى إذا استوى على سوقه، كفر بنعمة ربّه وجحد مدبّره، وعبد من لا يضرّ ولا ينفع، وخاصم إلهه، فقال: ﴿مَنْ يُحْيِ الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [يس: 78]، ونسي الذي خلقه، فسوّاه خلقاً سوياً من ماء مهين. ويعني بـ «المبين» أنّه يبيّن عن خصومته بمنطقه، ويجادل بلسانه، فذلك إبانته.

قال الرّمخشري⁽⁴⁾: فيه معنيان:

أحدهما: فإذا هو منطوق مُجادل عن نفسه، مكافح للخصوم، مبين للحجّة، بعد ما كان نطفة من منيّ جماداً، لا حسّ به ولا حركة، دلالة على قدرته.

(3) جامع البيان.

(4) الكشف.

(1) جامع البيان.

(2) التفسير الكبير.

والثاني: فإذا هو خصيم لربه، منكر على خالقه قائل: ﴿مَنْ يُحْيِ الْعِظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾، وصفاً للإنسان بالإفراط في الوقاحة والجهل، والتماذي في كفران النعمة

● قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَبْنَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلْخَائِبِينَ خَصِيمًا﴾ [النساء: 105].

قال الطبري⁽¹⁾: ﴿خَصِيمًا﴾ تخاصم عنه [الخائن]، وتدفع عنه من طالبه بحقه الذي خانه فيه.

قال الرّمخسري⁽²⁾: ولا تكن لأجل الخائنين مخاصماً للبراء، يعني لا تخاصم اليهود لأجل بني ظفر.

قال أبو السعود⁽³⁾: مخاصماً للبراء، أي لا تخاصم اليهود لأجلهم.

● قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ [البقرة: 204].

قال الفخر الرازي⁽⁴⁾: أمّا ﴿الْخِصَامِ﴾:

مصدر بمعنى المخاصمة، كالقتال والطعان بمعنى المقاتلة والمطاعنة، فيكون المعنى وهو شديد المخاصمة. ثمّ في هذه الإضافة وجهان: أحدهما: أنه بمعنى (في)، والتقدير: ألدّ في الخصام.

والثاني: أنه جعل الخصام ألدّ على سبيل المبالغة.

قال الألوسي⁽⁵⁾: يقال: ﴿الْخِصَامِ﴾: جمع خَصْمٍ، كَبَحْرٍ وَبِحَارٍ وَصَعْبٍ

(1) جامع البيان.

(2) التفسير الكبير.

(3) الكشاف.

(4) إرشاد العقل السليم.

(5) روح المعاني.

وصِعب، فالمعنى: أشدَّ الخُصوم خُصومةً، والإضافة فيه للاختصاص، كما في أحسن النَّاس وجهاً. وفي الآية إشارة أنّ شدة المخاصمة مذمومة.

● قال تعالى: ﴿أَوْمَن يُنَشُّوْا فِي الْحَلِيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ [الزخرف: 18].

قال الطَّبْرِيّ⁽¹⁾: يقول: وهو في مخاصمة من خصمه عند الخصام غير مبين، ومن خصمه ببرهان وحجة، لعجزه وضعفه، جعلتموه جزء الله من خلقه، وزعمتم أنه نصيبه منهم. وفي الكلام متروك أستغني بدلالة ما ذكر منه، وهو ما ذكرت.

قال الزَّجَّاج⁽²⁾: يعني البنات، أي الأنثى لا تكاد تستوفي الحجة ولا تبين. وقد قيل في التفسير: إنّ المرأة لا تكاد تحتج بحجة إلا عليها، وقد قيل: إنّه يعني به الأصنام والأجود أن يكون يعني به المؤنث.

قال الزَّمْخَشَرِيّ⁽³⁾: وهو إذا احتاج إلى مجاثاة الخُصوم ومجاراة الرّجال، كان غير مبين، ليس عنده بيان، ولا يأتي ببرهان يحتج به من يخاصمه، وذلك لضعف عقول النساء ونقصانهنّ عن فطرة الرّجال، يقال: قلّما تكلمت امرأة فأرادت أن تتكلم بحجتها إلا تكلمت بالحجة عليها.

● قال تعالى: ﴿وَهَلْ أُنَبِّئُكَ نَبَأَ الْخَصْمِ إِذْ سَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾ [ص: 21].

قال الطَّبْرِيّ⁽⁴⁾: يقول تعالى لنبيه محمّد ﷺ: وهل أتاك يا محمّد ﷺ نبأ الخصم؟

وقيل: إنّه عنى بالخصم في هذا الموضع ملكان، وخرج في لفظ الواحد، لأنّه مصدر مثل الزور والسفر، ولا يُثنى ولا يُجمع.

(1) جامع البيان. (2) معاني القرآن. (3) الكشاف. (4) جامع البيان.

قال أبو حيان⁽¹⁾: الظاهر أنهم كانوا جماعة، فلذلك أتى بضمير الجمع. فإن كان المتحاكمان اثنين، فيكون قد جاء معهم غيرهم على جهة المعاوضة أو المؤانسة، ولا خلاف أنهم كانوا ملائكة، كذا قال بعضهم.

وقيل: كانا أخوين من بني إسرائيل لأب وأم، والأول أشهر.

وقيل: الخصم هنا اثنان، وتجوّز في العبارة فاخبر عنهما إخبار ما زاد على اثنين، لأن معنى الجمع في التثنية.

وأطلق على الجميع: حَظْم، وعلى الفريقين: خصمان، لأن من جاء مع متخاصم لمعاوضة فهو في صورة حَظْم، ولا يبعد أن تطلق عليه التسمية.

● قال تعالى: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ أَخَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّنْ نَّارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾ [الحج: 19].

قال الزجاج⁽²⁾: قوله عز وجل: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ أَخَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ الخصمان: المؤمنون والكافرون، جاء في التفسير: أن اليهود قالوا للمسلمين: ديننا أقدم من دينكم، وكتابتنا أقدم من كتابكم، فأجابهم المسلمون بأننا آمنّا بما أنزل إلينا وما أنزل إليكم، وآمنّا بالله وملائكته وكتبه ورسله، لا نفرق بين أحد من رسله، وأنتم كفرتم ببعض الرسل، فظهرت حجة المسلمين على الكافرين. وقيل: ﴿أَخَصَمُوا﴾، وقد قال: ﴿خَصْمَانِ﴾ لأنهما جمعان.

قال الواحدي⁽³⁾: قوله: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ﴾ الفرق الخمسة الكافرة⁽⁴⁾ خصم والمؤمنون خصم، وقد ذكروا جميعاً في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾. والخصم يقع على الواحد والجميع، ولهذا قال: ﴿أَخَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ [الحج: 19] لأنهم جمعان وليسوا برجلين، ومثله: ﴿وَإِن طَافَتَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَفْتَلَوْا﴾ [الحجرات: 9]. [ثم ذكر نحو ابن عباس إلى أن قال: وكان أبو ذر يُقسم أنّ هذه الآية نزلت في الذين بارزوا يوم بدر . . . وهو ما عليه جماعة المفسرين.

(1) البحر المحيط.

(3) الوجيز.

(2) معاني القرآن.

(4) معاني القرآن.

قال ابن عطية⁽¹⁾: اختلف الناس في المشار إليه بقوله: (هذان) . . . [نقل الأقوال إلى أن قال بعد قول مُجاهد:]

والمعنى: أن الإيمان وأهله والكفر وأهله خصمان مُذْ كانا إلى قيام الساعة بالعداوة والجدال والحرب، وقوله تعالى: ﴿خَصَّامِينَ﴾ يريد طائفتين، لأن لفظه خصم هي مصدر يوصف به الجمع والواحد، ويدلّ على أنه أراد الجمع قوله: ﴿أَخْضَمُوا﴾ فإنها قراءة الجمهور، وقرأ ابن أبي عبلة (اختصما في ربهم).

● قال تعالى: ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغِي بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ﴾ [ص: 22].

قال النيسابوري⁽²⁾: أي نحن خصمان، والخصم في الأصل: مصدر، فلهذا لم يجمعه أولاً نظراً إلى أصله، وثناه ثانياً بتأويل شخصان أو فريقان خصمان، وجمع الضمائر في قوله: ﴿إِذْ سَوَّرُوا﴾، ﴿إِذْ دَخَلُوا﴾، ﴿فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ﴾، بناءً على أن أقلّ الجمع اثنان، أو على أن صحب كل منهما من جملتها. والأول أظهر، لأن القائلين كانا اثنين بالاتفاق.

قال أبو حيان⁽³⁾: والظاهر أنهم كانوا جماعة، فلذلك أتى بضمير الجمع. فإن كان المتحاكمان اثنين، فيكون قد جاء معهم غيرهم على جهة المعاوضة أو المؤانسة. ولا خلاف أنهم كانوا ملائكة، كذا قال بعضهم. وقيل: كانا أخوين من بني إسرائيل لأب وأم، والأول أشهر. وقيل: الخصم هنا اثنان، وتجوّز في العبارة فأخبر عنهما إخبار ما زاد على اثنين، لأن معنى الجمع في التثنية.

وقيل: معنى ﴿خَصَّامِينَ﴾: فريقان، فيكون ﴿سَوَّرُوا﴾ و﴿دَخَلُوا﴾ عائداً على الخصم الذي هو جمع الفريقين، ويدلّ على أن ﴿خَصَّامِينَ﴾ بمعنى فريقان قراءة من قرأ: (بغى بعضهم على بعض). وقال تعالى: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ أَخَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾.

(3) البحر المحيط.

(1) المحرر الوجيز.

(2) غرائب القرآن.

● قال تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرِيماً وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [آل عمران: 44].

قال الزمخشري⁽¹⁾: ﴿إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ في شأنها تنافساً في التكفل بها.

قال الفخر الرازي⁽²⁾: أما قوله: ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ فالمعنى وما كنت هناك إذ يتقارعون على التكفل بها، وإذ يختصمون بسببها فيحتمل أن يكون المراد بهذا الاختصام ما كان قبل الإقراع، ويحتمل أن يكون اختصاماً آخر حصل بعد الإقراع، وبالجملة فالمقصود من الآية شدة رغبتهم في التكفل بشأنها، والقيام بإصلاح مهماتها، وما ذاك إلا لدعاء أمها حيث قالت: ﴿فَتَقَبَّلَ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [آل عمران: 35]، وقالت: ﴿وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِلِذِكِ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: 36].

قال أبو السعود⁽³⁾: وتكرير ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ﴾ مع تحقق المقصود بعطف ﴿إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ على ﴿إِذْ يُلْقُونَ﴾ كما في قوله عز وجل: ﴿تَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ بِجَوَى﴾ [الإسراء: 47]، للدلالة على أن كل واحد من عدم حضوره ﷺ عند إلقاء الأقلام وعدم حضوره عند الاختصام مستقل بالشهادة على نبوته ﷺ، لا سيما إذا أريد باختصامهم: تنازعهم قبل الاقتراع، فإن تغيير الترتيب في الذكر مؤكّد له.

● قال تعالى: ﴿قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾ [الشعراء: 96].

قال الطبري⁽⁴⁾: يقول تعالى ذكره: قال هؤلاء الغاؤون والأنداد التي كانوا يعبدونها من دون الله وبنود إبليس، وهم في الجحيم يختصمون.

(3) إرشاد العقل السليم.

(4) جامع البيان.

(1) الكشاف.

(2) التفسير الكبير.

قال الزمخشري⁽¹⁾: يجوز أن يُنطق الله الأصنام حتى يصحّ التّقاوُل والتّخاصم. ويجوز أن يجري ذلك بين العُصاة والشّياطين.

قال القرطبي⁽²⁾: يعني الإنس والشّياطين والغاوين والمعبودين اختصموا حينئذ.

● قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ [النمل: 45].

قال الزّجاج⁽³⁾: أي إذا قوم صالح فريقان: مؤمن وكافر يختصمون، فيقول كلّ فريق منهم: الحقّ معي، وطلبت الفرقة الكافرة على تصديق صالح العذاب.

قال الزمخشري⁽⁴⁾: فريقان: فريق مؤمن وفريق كافر، وقيل: أراد بالفريقين: صالح عليه السلام وقومه قبل أن يؤمن منهم أحد ﴿يَخْتَصِمُونَ﴾ يقول كلّ فريق: الحقّ معي.

قال الفخر الرازي⁽⁵⁾: أمّا قوله: ﴿يَخْتَصِمُونَ﴾ فالمعنى أنّ الذين آمنوا، لأنّهم نظروا في حجّته فعرفوا صحّتها، وإذا كان كذلك فلا بدّ وأن يكون خصماً لمن لم يقبلها، وإذا كان هذا الاختصام في باب الدّين دلّ ذلك على أنّ الجدال في باب الدّين حقّ. وفيه إبطال التّقليد.

● قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [ص: 69].

قال الطّبري⁽⁶⁾: يقول لنبيه محمّد عليه السلام: قل يا محمّد لمشركي قومك: ﴿مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ في شأن آدم من قبل أن يوحى إليّ ربّي فيعلمني

- | | |
|---------------------------|---------------------|
| (1) الكشاف. | (4) الكشاف. |
| (2) الجامع لأحكام القرآن. | (5) التفسير الكبير. |
| (3) معاني القرآن. | (6) جامع البيان. |

ذلك، يقول: ففي إخباري لكم عن ذلك دليل واضح على أنّ هذا القرآن وحي من الله وتنزيل من عنده، لأنّكم تعلمون أنّ علم ذلك لم يكن عندي قبل نزول هذا القرآن، ولا هو ممّا شاهدته فعينته، ولكنّي علمت ذلك بإخبار الله إياي به.

قال الزّجاج⁽¹⁾: «المَلَأِ الأَعْلَى»: هم المَلَأُ من الملائكة، ومَلَأَ كلَّ قرية: وجوهم وأفاضلهم.



(1) معاني القرآن.

خضد

(خضد - حصد - جنى - صرم - قطف)

- الخَضْدُ: كسر الشوك عن النبات ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُورٍ﴾ [الواقعة: 28].
- الحَضْدُ: قطع الزرع كله لانتهاه الموسم ﴿وَأَنتَوُا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ [الأنعام: 141].
- الحَصِيدُ: الزرع الذي قطع فصلاً بالحصاد.
- الجَنِيُّ: أخذ الثمرة من شجرها بالأيدي بعد نضجها.
- (والجَنَا) التمر المجتنى فصلاً ﴿وَجَنَى الْجَنَيْنِ دَانَ﴾ [الرحمن: 54].
- الصَّرْمُ: القطع الشامل ﴿إِذْ أَسْمُوا لِيَصْرُمَهَا مُصْبِحِينَ﴾ [القلم: 17].
- القُطْفُ: رؤوس العصن ﴿قُطُوفُهَا دَائِيَةٌ﴾ [الحاقة: 23].



النصوص اللغوية:

قال ابن فارس⁽¹⁾: الخاء والضاد والذال أصل واحد مطرد، وهو يدل على تثن في شيء لين. يقال: انخضد العود انخضاداً: إذا تثنى من غير كسر. وخضدته: تثنيته. وربما زادوا في المعنى، فقالوا: خضدت الشجرة: إذا كسرت شوكتها. ونبات خضيد. والأصل هو الأول، لأن الخضيد هو الريان الناعم الذي يتثنى لينه.

(1) معجم مقاييس اللغة.

قال الخليل⁽¹⁾: الحَضْدُ: نَزْعُ الشَّوْكَ عَنِ الشَّجَرِ. وقال الله عزَّ وجلَّ: ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾ [الواقعة: 28]، أي: نَزْعِ شَوْكِهِ.

وَحَضَدْتُ الْعُودَ فَاَنْحَضَدْتُ، أي انكسر من غير بينونة.

وَحَضَدَ يَحْضِدُ حَضْدًا: إِذَا أَكَلَ شَيْئًا رَطْبًا، نَحْوَ الْقِثَاءِ وَغَيْرِهَا.

قال الجوهري⁽²⁾: حَضَدْتُ الْعُودَ فَاَنْحَضَدْتُ، أي: ثَبَيْتُهُ فَاَنْثَنِي مِنْ غَيْرِ كَسْرٍ.

وَالْحَضْدُ: الْأَكْلُ الشَّدِيدُ.

قال الراغب⁽³⁾: قال الله: ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾، أي: مَكْسُورِ الشَّوْكَ، يُقَالُ:

حَضَدْتُهُ فَاَنْحَضَدْتُ فَهُوَ مَخْضُودٌ وَحَضِيدٌ.

وَالْحَضْدُ: الْمَخْضُودُ، كَالنَّفْضِ فِي الْمَنْقُوضِ، وَمِنْهُ اسْتُعِيرَ حَضِدًا عُنُقَ

البعير، أي: كُسِرَ.

قال الرَّمْخَشَرِيُّ⁽⁴⁾: حَضَدَ الشَّجَرَ وَحَضَدَهُ: قَطَعَ شَوْكَهُ. وَسِدْرٌ مَخْضُودٌ،

وَمُحَضَّدٌ، وَحَضِيدٌ.

فَاَنْحَضَدَ بِالْحَضِيدِ، وَهُوَ مَا حُضِدَ، أي: قُطِعَ مِنَ الْعِيدَانِ.

وَحَضَدَ الْعُودَ فَاَنْحَضَدَ وَتَحَضَّدَ، أي: ثَنَاهُ. وَفِي الْحَدِيثِ: «فِي شَجَرِ الْمَدِينَةِ

حُرْمَتُهَا أَنْ تُعَضَّدَ أَوْ تُحَضَّدَ».

وَاَنْحَضَدَتِ الْفَوَاكِهِ وَتَحَضَّدَتِ: حُمِلَتْ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ فَتَكَسَّرَتْ، وَقَدْ

حَضَدَهَا الْحَمَلُ.



(3) مفردات الراغب.

(1) العين.

(4) أساس البلاغة.

(2) الصحاح في اللغة.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾﴾ [الواقعة: 27-28].

قال الفخر الرازي⁽¹⁾: ما معنى المخضود؟

نقول: فيه وجهان:

أحدهما: مأخوذ الشوك، فإن شوك السدر يستقصف ورقها، ولولاه لكان منتزه العرب، ذلك لأنها تظل لكثرة أوراقها ودخول بعضها في بعض.

وثانيهما: ﴿مَخْضُودٍ﴾ أي: مُتَعَطَّفٌ إلى أسفل، فإن رؤوس أغصان السدر في الدنيا تميل إلى فوق، بخلاف أشجار الثمار، فإن رؤوسها تتدلى، وحينئذ معناه أنه يخالف سدر الدنيا، فإن لها ثمرًا كثيرًا.

قال ابن العربي⁽²⁾: أي: في جنة النفس المخضود عن شوك تضاد القوى والطباع وتنازع الأهواء والدواعي لتجردها عن هيئات صفاتها بنور الروح والقلب أو موقورة بثمار الحسنات والهيئات الصالحات على اختلاف التفسيرين.

قال أبو السعود⁽³⁾: كأنه خُضِدَ شوكة أي قطع وقيل: مخضود: أي مثني أغصانه لكثرة حمليه من خضد الغصن إذا ثناه وهو رطب.



(3) إرشاد العقل السليم.

(1) التفسير الكبير.

(2) تفسير القرآن لابن العربي.

خضر

(خضر - حوي - دهم)

- **الخُضْرَةُ:** لون بين البياض والسواد ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا﴾ [الكهف: 31].
- **الخُوَّةُ:** السواد من شدة الخضرة ﴿غَنَاءَ أَحْوَى﴾ [الأعلى: 5].
- **الدُّهْمَةُ:** كثرة الخضرة وشدة اخضرارها واتساع رفعتها ﴿مُدَّهَاتَمَّانٍ﴾ [الرحمن: 64].



النصوص اللغوية:

قال ابن فارس⁽¹⁾: الخاء والضاد والراء أصل واحد مستقيم، ومحمول عليه. فالخُضْرَةُ من الألوان معروفة.

والخَضْرَاءُ: السَّمَاءُ، للونها كما سمّيت الأرض العُبرَاءُ.

وكتيبة خَضْرَاءُ، إذا كانت عُلَيْتِهَا سواد الحديد، وذلك أن كل ما خالف البياض فهو في حيز السّواد، فلذلك تداخلت هذه الصّفات، فيسمّى الأسود أَخْضَرَ.

قال الله تعالى في صفة الجنّتين: ﴿مُدَّهَاتَمَّانٍ﴾، أي سَوْدَاوَان. وهذا من الخُضْرَةِ، وذلك أن التّبات التّاعم الرّيان يرى لشدّة خُضْرَتِهِ من بُعد أسود. ولذلك سمّي سواد العراق لكثرة شجره.

(1) معجم مقاييس اللغة.

قال الخَلِيل⁽¹⁾: الخَضِر: نبيّ مُعَمَّر، محجوب عن الأبصار، وهو نبيّ من بني إسرائيل، وهو صاحب موسى الذي التقى معه بمجمع البحرين.

والخَضِر في القرآن: الزرع الأخضر، وفي الكلام: كلّ نبات من الخَضِر.

والاخْضِرار: مصدر من قولك: اخْضِرَّ.

والخَضِر والمَخْضُور: للرَّخْص من الشَّجر.

والخُضاريّ: طائر يسمّى الأخيّل، يتشام به إذا سقط على ظهر البعير، وهو أخْضِر، في حنكه حُمرة، وهو أعظم من القطا.

وقول النبيّ ﷺ: «إياكم وخُضراء الدّمن»، يعني المرأة الحسناء في منبت السوء»، يُشَبَّهها بالشجرة الناضرة في دمنة البعر.

والمُخاضرة: بيع الثمار قبل بُدوّ صلاحها، وهي خُضِر بعد.

قال الرَّاغِب⁽²⁾: ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا﴾ [الكهف: 31]، فخُضِر جمع: أخْضِر.

والخُضرة: أحد الألوان بين البياض والسّواد، وهو إلى السّواد أقرب، ولهذا سمّى الأسود: أخْضِر، والأخْضِر: أسود.

وقيل سواد العراق للموضع الذي يكثر فيه الخُضرة، وسمّيت الخضرة بالدُّهْمَة في قوله سبحانه: ﴿مُدْهَامَاتَان﴾، أي: خضراوان، وقوله ﷺ: «إياكم وخُضراء الدّمن» فقد فسره ﷺ، حيث قال: المرأة الحسناء في منبت السوء.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا﴾ [الأنعام: 99].

(2) مفردات الراغب.

(1) العين.

قال الماوردي⁽¹⁾: يعني زرعاً أخضر رطباً، بخلاف صفته عند بذره.
 قال الزمخشري⁽²⁾: ﴿خَضْرًا﴾ شيئاً غضاً أخضر، يقال: اخضرَّ وخضر كاعور
 وعور، وهو ما تشعب من أصل النبات الخارج من الحبة.
 قال الفخر الرازي⁽³⁾: . . . وقال الليث: الخضر في كتاب الله: هو الزرع،
 وفي الكلام: كل نبات من الخضر.

إنه تعالى حصر الثبوت في الآية المتقدمة في القسمين: حيث قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ
 فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾ [الأنعام: 95]، فالذي ينبت من الحب هو الزرع، والذي ينبت
 من النوى هو الشجر، فاعتبر هذه القسمة أيضاً في هذه الآية فابتدأ بذكر الزرع،
 وهو المراد بقوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا﴾ وهو الزرع، كما روينا عن الليث.
 والمراد من هذا الخضر العود الأخضر الذي يخرج أولاً ويكون السنبل في
 أعلاه.

● قال تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِّنْهُ
 تُوقَدُونَ﴾ [يس: 80].

قال الماوردي⁽⁴⁾: أي الذي جعل النار المحرقة في الشجر الرطب المطفي.
 وجمع بينهما مع ما فيهما من المضادة، لأن النار تأكل الحطب، وأقدركم على
 استخراجها، هو القادر على إعادة الموتى وجمع الرفات. ويحتمل ذلك منه
 وجهين:

أحدهما: أن ينبت الله تعالى بذلك على قدرته التي لا يعجزها شيء.

الثاني: أن يدل بها على إحياء الموتى كما أحييت النار بالإذكاء.

قال الزمخشري⁽⁵⁾: ذكر من بدائع خلقه انقذاح النار من الشجر الأخضر مع

(1) النكت والعيون.

(2) الكشاف.

(3) النكت والعيون.

(4) الكشاف.

(5) التفسير الكبير.

مضادّة النَّارِ الماء وانطفائها به، وهي الزّناد التي توري بها الأعراب، وأكثرها من المرخ والعفار، وفي أمثالهم: في كلّ شجر نار.

واستمجد المرخ والعفار، يقطع الرجل منهما غصنين مثل السواكين، وهما خضراوان يقطر منهما الماء، فيسحق المرخ وهو ذكرٌ على العفار وهي أنثى فتندح النَّار بإذن الله.

● قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَيْرٌ﴾ [الحج: 63].

قال القرطبي⁽¹⁾: أي ذات خُضرة، كما تقول: مَبْقَلَةٌ وَمَسْبَعَةٌ، أي: ذات بقل وسباع. وهو عبارة عن استعجالها إثر نزول الماء بالنبات، واستمرارها كذلك عادة.

وقرى ﴿مُخْضَرَّةً﴾ على وزن «مَفْعَلَةٌ» وَمَسْبَعَةٌ أي ذات خُضر، وخصّ (تُصْبِحُ) دون سائر أوقات النهار، لأنّ رؤية الأشياء المحبوبة أوّل النهار أبهج وأسرّ للرائي.

قال الألوسي⁽²⁾: ﴿فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ أي فتصير، وقيل: (تُصْبِحُ) على حقيقتها، والحكم بالنظر إلى بعض الأماكن تمطر السماء فيها ليلاً فتُصبح الأرض مُخْضَرَّةً، والأوّل أولى، عطف على ﴿أَنْزَلْنَا﴾ والفاء مغنية عن الرّابط فلا حاجة إلى تقدير بإنزاله، والتّعقيب عرفيٌّ أو حقيقيٌّ، وهو إمّا باعتبار الاستعداد التّام للاخضرار، أو باعتباره نفسه. وهو كما ترى.

● قال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَعْبٌ عَجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ...﴾ [يوسف: 43].

(1) الجامع لأحكام القرآن. (2) روح المعاني.

قال الطَّبْرِيُّ⁽¹⁾: «أما «الخُضْر» فهي السَّنون المخاصيب، وأما «اليابسات» فهنَّ الجدوب المحول.

● قال تعالى: ﴿وَلْيَبْسُوتَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ...﴾ [الكهف: 31].

قال البَيْضاوي⁽²⁾: ﴿وَلْيَبْسُوتَ ثِيَابًا خُضْرًا﴾ لأنَّ الخُضْرَ أحسن الألوان وأكثرها طراوة.

قال الألوْسِيُّ⁽³⁾: لأنَّ الخُضْرَةَ أحسن الألوان، والنَّفْس تنبسط بها أكثر من غيرها، وروي في الأثر، أنَّها تزيد في ضوء البصر.



(3) روح المعاني.

(1) جامع البيان.

(2) أنوار التنزيل.

خضع

(خضع - خبت - خشع -

نعن - ضرع - عنت - قنت - طوع)

- **الْخُضُوعُ:** التكرس في الصوت والجسد تحبباً ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ﴾ [الأحزاب: 32].
- **الإِخْبَاتُ:** انكسار القلب مع سكون الجوارح ﴿فَتُخِبَتَ لَهُمْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحج: 54].
- **الْخُشُوعُ:** انكسار الصوت مع المهابة ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ﴾ [طه: 108].
- **الإِدْعَانُ:** انكسار الحركة رغبة ﴿وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾ [النور: 49].
- **الضَّرَاعَةُ:** هي إخبات بزيادة. رفع اليدين والجثو على الركب ﴿فَأَخَذْتَهُمْ بِالْبَاسَاءِ وَالضَّرَائِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ﴾ [الأنعام: 42].
- **العَنْتُ:** انكسار القوة ضعفاً وخوفاً ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾ [طه: 111].
- **القُنُوتُ:** انحسار الفكر باتجاه واحد تستسلم له ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَانُونَ﴾ [الرُّوم: 26].
- **الطُّوعُ:** الانقياد، ويضاده الكره، قال عز وجل: ﴿أَتَيْنَا طُوعًا أَوْ كَرْهًا﴾ [فصلت: 11].



النصوص اللغوية:

قال ابن فارس⁽¹⁾: الخاء والضاد والعين أصلان:

أحدهما: تطامن في الشيء.

والآخر: جنس من الصوت.

فالأول الخُضوع. قال الخليل: خَضَعَ خُضُوعاً، وهو الذَّلُّ والاستخذاء.

وقال غيره: خَضَعَ الرَّجُلُ، وَأَخْضَعَهُ الْفَقْرُ.

ورجل خُضَعَةٌ: يَخْضَعُ لِكُلِّ أَحَدٍ.

قال بعض الأعراب: الخَضَعُ في الظَّلمان: انثناء في أعناقها.

وأما الآخر فقال الخليل: الخَيْضَعَةُ: التَّفافُ الصَّوت في الحرب وغيرها.

ويقال: هو غُبار المعركة. وهذا الذي قيل في الغُبار فليس بشيء: لأنَّه لا قياس له، إلاَّ أن يكون على سبيل مجاورة.

قال قوم: الخَيْضَعَةُ: معركة القتال؛ لأنَّ الأقران يَخْضَعُ فيها بعض لبعض.

وقد عادت الكلمة على هذا القول إلى الباب الأوَّل.

قال الخليل⁽²⁾: الخَضِيعَةُ: ارتفاع الصوت في الحرب وغيرها، ثمَّ قيل لما

يُسمَعُ من بطن الفرس: خَضِيعَةٌ.

قال بعضهم: الخُضُوع من النَّساء: التي تَسْمَعُ لخواصرها صَلْصَلَةً كصوت

خَضِيعَةِ الفرس. وذكر الخليل: الخُضُوع: الذَّلُّ والاستخذاء. والتَّخاضُعُ: التَّذلُّل والتَّقاصُرُ.

والخَضِيعَةُ: صوت بطن الفرس. والأخْضَعُ والخَضَعَاءُ: الرّاضيان بالذَّلِّ.

(2) العين.

(1) معجم مقاييس اللغة.

والخَيْضَعَة: معركة الأبطال. ويقال: هو عُبار المعركة.
 الخَضَعُ: انكباب في العنق إلى الصدر، يقال: رجل أخضع وعنق خضعاء.
 الخُضَعَةُ: مثال هُمزة، من النَّخْل: التي نَبَتَتْ من النَّوَاة، لغة بني حنيفة،
 والجميع: الخُضَع.

قال أبو هلال⁽¹⁾: الفرق بين الخضوع والذلّ: أن الخضوع ما ذكرناه.
 والذلّ: الانقياد كرهاً، ونقيضه: العزّ، وهو الإباء والامتناع والانقياد على
 كره، وفاعله ذليل. والذلال: الانقياد طوعاً، وفاعله ذلول.
 الفرق بين الإخبات والخضوع: أن المُخْبِت هو المطمئن بالإيمان. وقيل:
 هو المجتهد بالعبادة. وقيل: الملازم للطاعة والسكون، وهو من أسماء الممدوح
 مثل المؤمن والمتقي، وليس كذلك الخضوع، لأنه يكون مدحاً وذمماً.
 وأصل الإخبات أن يصير إلى خبت، تقول أخبت: إذا صار إلى خبت، وهو
 الأرض المستوية الواسعة، كما تقول أنجد: إذا صار إلى نجد.
 فالإخبات على ما يوجبه الاشتقاق هو الخضوع المستمر على استواء.

● جاء الخضوع في القرآن الكريم على معنيين:

الأول: الانقياد: قال تعالى: ﴿إِنْ نَشَأْ نُزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ [الشعراء: 4].

الثاني: لين الكلام والقول: قال تعالى: ﴿يٰٓنِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ ۗ إِنَّ أَنْقِيَّتُمْ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [الأحزاب: 32].

(1) الفروق.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿إِنْ نَشَأْ نُزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ [الشعراء: 4].

قال السَّجِسْتَانِي⁽¹⁾: ﴿فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ﴾ جماعاتهم رؤسائهم، كما تقول: أتاني عنق من الناس، أي: جماعة. ويقال: ظَلَّتْ أَعْنَاقَهُمْ، أضاف الأَعْنَاقَ إليهم، يريد الرِّقَابَ، ثم جعل الخبر عنهم، لأنَّ خضوعهم بخضوع العتاق.

قول مُجَاهِدٍ: ﴿أَعْنَاقُهُمْ﴾: كبرائهم معروف في اللُّغة، يقال: جاءني عُنُقٌ من النَّاسِ أي رؤسائهم، وكذلك يقال: جاءني عُنُقٌ من النَّاسِ أي جماعة. ولهذا يقال: على فلان عُنُقٌ رِقْبَةٌ، ولا يقال عُنُقٌ عُنُقٌ، لما يقع فيه من الاشتراك.

قال الزَّمَخْشَرِيُّ⁽²⁾: فإن قلت: كيف صحَّ مجيء ﴿خَاضِعِينَ﴾ خبراً عن (العتاق)؟

قلت: أصل الكلام: فَظَلُّوا لَهَا خَاضِعِينَ، فأقحمت الأَعْنَاقَ لبيان موضع الخضوع، وترك الكلام على أصله، كقوله: ذهبت أهل اليمامة، كأنَّ الأهل غير مذكور. أو لما وُصِفَتْ بالخضوع الَّذِي هو للعقلاء قيل: ﴿خَاضِعِينَ﴾ كقوله تعالى: ﴿إِلَى سَجْدَيْكَ﴾ [يوسف: 4].

وقيل: أَعْنَاقُ النَّاسِ: رؤسائهم ومقدموهم شَبَّهُوا بِالْأَعْنَاقِ كما قيل لهم: هم الرُّؤُوسُ وَالتَّوَاصِي وَالصَّدُورُ. وقال: في محفل من نواصي النَّاسِ مشهود.

قال ابن عَرَبِيِّ⁽³⁾: ﴿إِنْ نَشَأْ نُزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً﴾ من العلم العلوي، بتأييدنا لك قهراً، فتخضع أَعْنَاقَهُمْ له منقادين مسلمين مستسلمين ظاهراً، وإن لم يدخل

(1) نزهة القلوب.

(2) تفسير القرآن لابن العربي.

(3) الكشاف.

الإيمان في قلوبهم كما كان يوم الفتح، أي امتنع إيمانهم لأنه أمر قلبي سيظهر إسلامهم بالقهر، والإلجاء، والاضطرار.

● قال تعالى: ﴿يُنْسَاءُ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنَّ أُنثَىٰ تَبْتَغُونَ فَلَا تَخَضَعَنَّ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [الأحزاب: 32].

قال الطبري⁽¹⁾: يقول: فلا تُلنَّ بالقول للرجال فيما يبتغيه أهل الفاحشة منكنَّ.

قال الزجاج⁽²⁾: أي لا تُلنَّ قولاً يجد به منافق سبيلاً إلى أن يطمع في موافقتك له.

قال القرطبي⁽³⁾: أي لا تُلنَّ القول. أمرهنَّ الله أن يكون قولهنَّ جزلاً، وكلامهنَّ فصلاً، ولا يكون على وجه يظهر في القلب علاقة بما يظهر عليه من اللين، كما كانت الحال عليه في نساء العرب من مكالمة الرجال بترخيم الصوت ولينه، مثل كلام المُرِّيَّات والمُومسات، فنهاهن عن مثل هذا.



(3) الجامع لأحكام القرآن.

(1) جامع البيان.

(2) معاني القرآن.

خط

(خط - كتب - سجل)

- **الخط:** ما يكون له طول ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لِآرْتَابِ الْمُبِطُونَ﴾ [العنكبوت: 48].
- **الكتب:** ضم حرف إلى حرف بالخط ﴿وَلِكُتُبِ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْمَدْلِ﴾ [البقرة: 282].
- **التسجيل:** كتابة وثائق عديدة من كتاب واحد للحفظ ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ [الأنبياء: 104].



النصوص اللغوية:

قال ابن فارس⁽¹⁾: الخاء والطاء أصل واحد؛ وهو أثرٌ يمتدُّ امتداداً. فمن ذلك الخط الذي يخطه الكاتب. ومنه الخط الذي يخطه الزاجر. قال الله تعالى: ﴿أَوْ أَثَرَوْا مِنْ عِلْمٍ﴾ [الأحقاف: 4]، قالوا: هو الخط. ويروى «إن نبياً من الأنبياء كان يخط فمن خط مثل خطه علم مثل علمه». ومن الباب الخط: الأرض يختطها المرء لنفسه؛ لأنه يكون هناك أثر ممدود. ومنه خط الإمامة، وإليه تُنسب الرماح الخطية. ومن الباب الخط، وهي الحال؛ ويقال هو بخطه سوء، وذلك أنه أمرٌ قد خُط له وعليه.

(1) معجم مقاييس اللغة.

فأما الأرضُ الخَطِيطَةُ، وهي التي لم تُمَطَّرَ بينَ أرضينِ ممطورتين، فليس من الباب، والطاء الثانية زائدة، لأنَّها من أخطأ، كأنَّ المطرَ أخطأها. والدليل على ذلك قولُ ابن عباس: «خَطَّ اللهُ نَوْءَهَا»، أي إذا مُطِرَ غيرُها أخطأَ هذه المطرُ فلا يُصِيبُها. وأما قولهم: «في رأسِ فلانٍ خُطِيتُ» فقال قوم: إنَّما هو خُطَّة. فإن كان كذا فكأنَّه أمرٌ يُخَطُّ ويؤثَّر، على ما ذكرناه.

قال الخليل⁽¹⁾: خ ط، ط خ مستعملان خط: الخَطُّ: أرضٌ تُنْسَبُ إليها الرَّماحُ، يُقال: رماحٌ خَطِيَّةٌ، فإذا جَعَلتَ النسبة اسماً لازماً قلت: خِطِيَّة. والخُطَّة من الخَطِّ كالنُّقطة من النَّقْط. والخَطُّوطُ: من بقر الوحش الذي يَخُطُّ الأرضَ بأظلافه، وكل دابة تَخُطُّ الأرضَ بأظلافها فكذلك. والتَّخْطِيطُ كالتسطير، تقول: خَطَّطْتُ عليه ذنوبه، أي: سَطَّرتها.

وخطَّ وَجْهَهُ واختَطَّ: صارت فيه خطوط. وخَطَّطْتُ بالسَّيْفِ وسطه. والخُطَّة: شبه القَصَّة، يقال: إن فلانا ليكلفني خُطَّةً من الخسف. والخَطِيطَةُ: الأرض التي لم تمطر بين أرضين ممطورتين، وتجمع: خَطَائِط.

والخَطُّ: ضرب من البضع، تقول: خَطَّ بها، أي: نكحها، ويقال: خَطَّ بها قساحاً.

والخَطُّ: الكتابة ونحوها مما يُخَطُّ. والخِطَّة: أرضٌ يَخْتَطُّها الرجل إذا لم تكن لأحد قبله. وإنما كسرت الخاء، لأنها أخرجت على مصدر بني على فعلة.

قال الجوهري⁽²⁾: الخَطُّ: واحدُ الخُطوطِ. والخَطُّ خَطُّ الزاجرِ، وهو أن يَخُطَّ بإصبعه في الرمل ويَزْجُر. وخَطَّ بالقلم، أي: كتب. وكساءٌ مُخَطَّطٌ: فيه خُطوطٌ. والخَطُّوطُ، بفتح الخاء: البقرُ الوحشيُّ الذي يَخُطُّ الأرضَ بأطراف أظلافه. والخِطَّةُ بالكسر: الأرضُ يَخْتَطُّها الرجلُ لنفسه، وهو أن يُعْلِمَ عليها

(1) العين. (2) الصحاح في اللغة.

علامةً بِالْحَطِّ لِيُعْلَمَ أَنَّهُ قَدْ اخْتَارَهَا لِيَبْنِيهَا دَاراً. وَاخْتَطَّ الْغُلَامُ، أَي: نَبَتَ عِدَارُهُ. وَالْمِخَطُّ بِالْكَسْرِ: عَوْدٌ يُحَطُّ بِهِ. وَالْمِخَطَّاطُ: عَوْدٌ تُسَوَّى عَلَيْهِ الْخُطُوطُ. وَالخُطَّةُ بِالضَّمِّ: الْأَمْرُ وَالْقِصَّةُ.

يقال: جاء وفي رأسه خُطَّةٌ، أَي: جاء وفي نفسه حاجةٌ قد عَزَمَ عليها. وقولهم: خُطَّةٌ نَائِيَةٌ، أَي: مقصدٌ بعيدٌ. وقولهم: خُذْ خُطَّةً، أَي: خُذْ خُطَّةً الْإِنْتِصَافِ، وَمَعْنَاهُ الْإِنْتِصَافُ.

وَالخُطَّةُ أَيضاً: اسْمٌ مِنَ الْخَطِّ، كَالنَّقْطَةِ مِنَ النَّقِطِ. وقولهم: مَا خَطَّ غُبَارَهُ، أَي: مَا شَقَّه. وَالخَطِيطَةُ الْأَرْضُ الَّتِي لَمْ تُمْطَرْ بَيْنَ أَرْضَيْنِ مِمطورتين؛ وَالْجَمْعُ الْخَطَّاطُ.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّ بِيَمِينِكَ إِذًا لِأَرْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت: 48].

قال الماوردي⁽¹⁾: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّ بِيَمِينِكَ إِذًا لِأَرْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: معناه ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ﴾ قبل القرآن كتاباً من كتب الله المنزلة ولا تخطه أي: تكتبه بيمينك فتعلم ما أنزل الله فيه حتى يشكوا في إخبارك عنه، إنه من وحي الله سبحانه إليك.

الثاني: أنه كان أهل الكتاب يجدونه في كتبهم أن محمداً لا يخط بيمينه ولا يقرأ كتاباً، فنزل ذلك فيهم ليدلهم على صحة نبوته.

(1) النكت والعيون.

قال أبو السعود⁽¹⁾: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ﴾ أي ما كنتَ قبل إنزالنا إليك الكتابَ تقدرُ على أن تتلو شيئاً من كتابٍ ﴿وَلَا تَخْطُوهُ﴾ [العنكبوت: 48] أي ولا تقدرُ على أن تخطّه ﴿بِيَمِينِكَ﴾ حسبما هو المعتادُ أو ما كانت عادتُك أن تتلوه ولا أن تخطّه.

قال العزّ بن عبد السلام⁽²⁾: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا﴾ قبل القرآن كتاباً من الكتب المنزلة ولا تكتبه بيمينك فتعلم ما فيه حتى يشكوا في إخبارك عنه أنه من وحي الله إليك، أو كان نعته في الكتب المنزلة أن لا يكتب ولا يقرأ فكان ذلك دليلاً على صحة نبوته.



(2) التفسير العظيم.

(1) إرشاد العقل السليم.

خطأ

(خطأ - لحن)

■ **الخطأ:** هو أن يقصد الشيء فيصيب غيره ﴿إِنَّكَ كُنْتَ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ [يوسف: 29].

والخطأ: تعمد الخطأ فلا يكون إلا قبيحاً وقد يكون في القول أو الفعل.

■ **اللحن:** حرف الكلام عن جهته ولا يكون إلا في الكلام ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ [محمد: 30].



النصوص اللغوية:

قال ابن فارس⁽¹⁾: الخاء والطاء والحرف المعتل والمهموز، يدل على تعدي الشيء، والذهاب عنه. يقال: حَطَوْتُ أَخْطُو حُطْوَةً.

والخطوة: ما بين الرجلين. والخطوة: المرة الواحدة. و«الخطأ» من هذا، لأنه مجاوزة حد الصواب.

يقال: أَخْطَأْتُ: إذا تعدى الصواب، وَخَطِئْتُ يَخْطِئُ: إذا أذنب، وهو قياس الباب، لأنه يترك الوجه الخير.

قال أبو هلال⁽²⁾: الفرق بين الخطأ والخطاء: أن الخطأ هو أن يقصد الشيء فيصيب غيره، ولا يطلق إلا في القبيح. فإذا قُيِّدَ جاز أن يكون حسناً، مثل أن يقصد القبيح فيصيب الحسن، فيقال: أَخْطَأْتُ ما أَرَادَ وَإِنْ لَمْ يَأْتِ قَبِيحاً.

(2) الفرق.

(1) معجم مقاييس اللغة.

والخطاء: تعمّد الخطأ فلا يكون إلا قبيحاً.

والمُصيب مثل المخطئ إذا أُطلق لم يكن إلا ممدوحاً، وإذا قُيد جاز أن يكون مذموماً، كقولك: مُصيب في رمية وإن كان رمية قبيحاً، فالصواب لا يكون إلا حسناً، والإصابة تكون حسنة وقبيحة.

والخاطئ في الدين لا يكون إلا عاصياً، لأنه قد زلّ عنه لقصده غيره. والمُخطئ يخالفه، لأنه قد زلّ عمّا قصد منه. وكذلك يكون المخطئ من طريق الاجتهاد مطيعاً، لأنه قصد الحقّ واجتهد في إصابته.

الفرق بين الخطأ والغلط: أنّ الغلط هو وضع الشيء في غير موضعه، ويجوز أن يكون صواباً في نفسه، والخطأ لا يكون صواباً على وجه، مثال ذلك: أنّ سائلاً لو سأل عن دليل حديث الأعراض، فأجيب بأنها لا تخلو من المتعاقبات ولم يُوجد قبلها، كان ذلك خطأً، لأنّ الأعراض لا يصحّ ذلك فيها.

ولو أُجيب بأنها على ضربين: منها ما يبقى ومنها ما لا يبقى، كان ذلك غلطاً، ولم يكن خطأً، لأنّ الأعراض هذه صفتها، إلا أنّك قد وضعت هذا الوصف لها في غير موضعه.

ولو كان خطأً لكان الأعراض لم تكن هذه حالها، لأنّ الخطأ ما كان الصواب خلافه، وليس الغلط ما يكون الصواب خلافه، بل هو وضع الشيء في غير موضعه.

وقال بعضهم: الغلط أن يسهى عن ترتيب الشيء وإحكامه، والخطأ أن يُسهى عن ترتيب الشيء، والخطأ أن يُسهى عن فعله، أو أن يوقعه من غير قصد له، ولكن لغيره.

الفرق بين اللحن والخطأ: أن اللحن صرفك الكلام عن جهته، ثم صار اسماً لازماً لمخالفة الإعراب.

والخطأ: إصابة خلاف ما يُقصد، وقد يكون في القول والفعل.

واللحن لا يكون إلا في القول، تقول: لحن في كلامه، ولا يقال: لحن في فعله، كما يقال: أخطأ في فعله، إلا على استعارة بعيدة.

ولحن القول ما دلّ علي القول، وفي القرآن قوله تعالى: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ [محمد: 30].

قال الخليل⁽¹⁾: خَطِئَ الرَّجُلُ خَطِئًا فَهُوَ خَاطِئٌ.

والخَطِيئَةُ: أرض يُخَطِّئُها المطر ويُصِيبُ غيرها. وأَخْطَأَ: إذا لم يُصَبِ الصَّواب.

وخطايا: أصلها: خطائي، ففرّوا بها إلى (يتامى)، وكرهوا أن يُترك على إحدى الهمزتين، فيكون مثل قولك: (جائيء)، لأنّ تلك الهمزة زائدة وهي أصليّة، ووجدوا له في الأسماء الصّحيحة نظيراً، ففرّوا منها إلى ذلك، وذهبوا به إلى (فعالي) مثل طاهر وطاهرة وطهاري، والواحدة: خطيئة. والخطأ: ما لم يُتعمّد ولكن يُخطأ خطأً، وخطأته تخطئةً.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴿٣٧﴾﴾

[الحاقة: 36-37].

قال البيضاوي⁽²⁾: قوله تعالى: ﴿الْخَاطِئُونَ﴾: أصحاب الخطايا، من خطئ الرجل، إذا تعمّد الذنب، لا من الخطأ المضاد للصواب. وقرئ (الخطيون) بقلب الهمزة ياءً، و(الخطيون) بطرحها.

(2) أنوار التنزيل.

(1) العين.

قال المِراغِيّ⁽¹⁾: أي الآثمون، يقال: خَطِئَ الرَّجُلُ، إذا تَعَمَّدَ الإِثْمَ وَالخَطَأَ. لا يَأْكُلُهُ إِلاَّ مَنْ مَرَنَ عَلَى اجْتِرَاحِ السَّيِّئَاتِ، وَدَسَّى نَفْسَهُ، وَأَحَاطَتْ بِهِ الخَطَايَا.

قال ابن عاشور⁽²⁾: قوله تعالى ﴿الْمُخْطِئُونَ﴾: أصحاب الخطايا، يقال: خَطِئَ، إذا أذنب. والمعنى: لا يأكله إلا هو وأمثاله من الخاطئين. وتعريف ﴿الْمُخْطِئُونَ﴾ للدلالة على الكمال في الوصف، أي المرتكبون أشدَّ الخِطْءِ، وهو الإِشْرَاقُ.

● قال تعالى: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَطِئِينَ﴾ [يوسف: 91].

قال الطَّبْرِيّ⁽³⁾: يقول: وما كُنَّا فِي فَعْلِنَا الَّذِي فَعَلْنَا بِكَ، فِي تَفْرِيقِنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ أَبِيكَ وَأَخِيكَ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ صَنِيعِنَا الَّذِي صَنَعْنَا بِكَ، إِلاَّ خَاطِئِينَ، يَعْنُونَ: مُخْطِئِينَ.

يقال منه: خَطِئَ فُلَانٌ يَخْطِئُ خَطَأً وَخِطْأً، وَأَخْطَأَ يُخْطِئُ إِخْطَاءً.

قال الماوردِيّ⁽⁴⁾: أي فيما صنعوا بيوسف، وفيه قولان: أحدهما: آثمين. الثاني: مُخْطِئِينَ. والفرق بين الخاطئ والمُخْطِئِ: أَنَّ الخاطِئَ آثِمٌ. فَإِنْ قِيلَ: فَقَدْ كَانُوا عِنْدَ فَعْلِهِمْ ذَلِكَ بِهِ صِغَاراً تَرَفَعَ عَنْهُمْ الخَطَايَا؟ قِيلَ: لَمَّا كَبُرُوا وَاسْتَدَامُوا إِخْفَاءَ مَا صَنَعُوا، صَارُوا حِينئذٍ خَاطِئِينَ.

قال الرَّمْخَسَرِيّ⁽⁵⁾: وَإِنَّ شَأْنَنَا وَحَالَنَا أَنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ مَتَعَمِّدِينَ لِلْإِثْمِ، لَمْ نَتَّقْ وَلَمْ نَصْبِرْ، لا جرم أن الله أعزك بالملك وأذلنا بالتمسكن بين يديك.

(4) النكت والعيون.

(5) الكشاف.

(1) تفسير المراغي.

(2) التحرير والتنوير.

(3) جامع البيان.

● قال تعالى: ﴿فَالْقَطْعُ أَلْفَرَعُونَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ [القصص: 8].

قال الطَّبْرِيّ⁽¹⁾: يقول تعالى ذكره: إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا برئهم آثمين، فلذلك كان لهم موسى عدوًّا وحزنًا.

قال الفَخْر الرَّاظِي⁽²⁾: قوله تعالى: ﴿كَانُوا خَاطِئِينَ﴾.

وأما جمهور المفسرين فقالوا: معناه كانوا خاطئين فيما كانوا عليه من الكفر والظلم، فعاقبهم الله.

ويبين تعالى أنها التقطه ليكون قرّة عين لها وله جميعاً.

قال القُرْطُبِيّ⁽³⁾: أي عاصين مشركين آثمين.

● قال تعالى: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ [يوسف: 29].

قال الطَّبْرِيّ⁽⁴⁾: يقول: إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْمَذْنِبِينَ فِي مَرَاوِدِ يَوْسُفَ عَنْ نَفْسِهِ.

وقيل: ﴿إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ ولم يقل: «من الخاطئات»، لأنه لم يقصد بذلك قصد الخبر عن النساء، وإنما قصد الخبر عمّن يفعل ذلك فيخطأ.

قال المَرَاغِيّ⁽⁵⁾: إِنَّكِ كُنْتِ مِنْ زُمْرَةِ الْمَجْرِمِينَ الَّذِينَ يَتَعَمَّدُونَ ارْتِكَابَ الْخَطَايَا، وَيَجْتَرِحُونَ السَّيِّئَاتِ، وَهُمْ مَصْرُونَ عَلَيْهَا.

قال ابن عاشور⁽⁶⁾: الخاطيء: فاعل الخطيئة، وهي الجريمة. وجعلها من زُمْرَةِ الَّذِينَ خَطِئُوا تخفيفاً في مؤاخذتها، وصيغة جمع المذكر تغليب.

● قال تعالى: ﴿وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤَفِّكَةُ بِالْخَاطِئَةِ﴾ [الحاقة: 9].

(4) جامع البيان.

(5) تفسير المراغي.

(6) التحرير والتنوير.

(1) جامع البيان.

(2) التفسير الكبير.

(3) الجامع لأحكام القرآن.

قال الطَّبْرِيُّ⁽¹⁾: يعني بالخطيئة، وكانت خطيئتها: إيتانها الذُّكران في أدبارهم.

قال الرَّجَّاجُ⁽²⁾: بالخطأ العظيم. [الكذب في أمر الله بأنهم كفروا وكذبوا بالرَّسل].

قال أبو السُّعود⁽³⁾: بالخطأ أو بالفعلة أو بالأفعال ذات الخطأ التي من جملتها: تكذيب البعث والقيامة.

● قال تعالى: ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾﴾ [العلق: 15-16].

قال الطَّبْرِيُّ⁽⁴⁾: وَصَفَ (النَّاصِيَةَ) بالكذب والخطيئة، والمعنى لصاحبها. قال الرَّجَّاجُ⁽⁵⁾: تأويله: بناصية صاحبها كاذب خاطئ كما يقال: (فلان نهاره صائم وليله قائم)، المعنى: هو صائم في نهاره وقائم في ليله. قال الماوردي⁽⁶⁾: يعني ناصية أبي جهل، كاذبة في قولها، خاطئة في فعلها.

● قال تعالى: ﴿إِنَّ قَلْبَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: 31].

قال الرَّجَّاجُ⁽⁷⁾: تُقْرَأُ (خَطْأً كَبِيرًا). فمن قال: (خِطْأً) بالكسر، فمعناه إثمًا كثيرًا، يقال: قد خطئ الرجل يخطأ خطأً: أثم يأثم إثمًا. و(خِطْأً كبيراً) له تأويلان:

أحدهما: معناه: أن قتلهم كان غير صواب، يقال: قد أخطأ يُخطئُ إخطاءً، وخطأً. والخطأ: الاسم من هذا لا المصدر، ويكون الخطأ من خطأ يخطأ خطأً، إذا لم يُصب، مثل لَجَجَ يَلْجَجُ.

- | | |
|-------------------------|--------------------|
| (1) جامع البيان. | (5) معاني القرآن. |
| (2) معاني القرآن. | (6) النكت والعيون. |
| (3) إرشاد العقل السليم. | (7) معاني القرآن. |
| (4) جامع البيان. | |

قال السجستاني⁽¹⁾: قوله تعالى ﴿خَطَاً كَثِيراً﴾: إثماً عظيماً، يقال: خَطِئَ وأخطأً واحداً، إذا أثم، وأخطأ إذا فاته الصواب

● قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [النساء: 112].

قال الطبري⁽²⁾: يعني بذلك جل ثناؤه: ومن يعمل ﴿خَطِيئَةً﴾، وهي الذنب ﴿أَوْ إِثْمًا﴾، وهو ما لا يحلّ من المعصية. وإنما فرق بين الخطيئة والإثم، لأنّ الخطيئة قد تكون من قبل العمد وغير العمد، والإثم لا يكون إلا من العمد، ففصل جل ثناؤه لذلك بينهما، فقال: ومن يأت ﴿خَطِيئَةً﴾ على غير عمد منه لها، ﴿أَوْ إِثْمًا﴾ على عمد منه.

قال البغوي⁽³⁾: ﴿خَطِيئَةً﴾ أي سرقة الدرع، ﴿أَوْ إِثْمًا﴾: يمينه الكاذبة.

قال الرّمخسري⁽⁴⁾: ﴿خَطِيئَةً﴾: صغيرة، ﴿أَوْ إِثْمًا﴾ كبيرة.

● قال تعالى: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الشعراء: 82].

قال الزجاج⁽⁵⁾: ومعنى قوله تعالى ﴿خَطِيئَتِي﴾ أن الأنبياء بشر، وقد يجوز أن يقع عليهم الخطيئة، إلا أنهم صلوات الله عليهم لا تكون منهم الكبيرة، لأنهم معصومون مختارون على العالمين، كلّ نبيّ هو أفضل من عالم أهل دهره كلّهم.

قال المِراغي⁽⁶⁾: أي وهو الذي لا يقدر على غفران الذنوب في الآخرة إلا هو، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران: 135].

وسمى إبراهيم ما صدر منه من عمل هو خلاف الأولى خطيئة، استعظماً له.

- | | |
|--------------------|--------------------|
| (1) نزهة القلوب. | (4) الكشف. |
| (2) جامع البيان. | (5) معاني القرآن. |
| (3) معالم التنزيل. | (6) تفسير المراغي. |

وخلاصة مقاله: أن جميع التعم التي يتمتع بها المرء من التثأة الأولى إلى آخر الدهر هي من الله وحده، ولا قدرة لأصنامكم على شيء منها.

● قال تعالى: ﴿مِمَّا خَطِيئَتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأَدْخَلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾ [نوح: 25].

قال الطبري⁽¹⁾: من خطيئاتهم، ﴿أُغْرِقُوا﴾ والعرب تجعل (ما) صلة فيما نوى به مذهب الجزاء، كما يقال: أينما تكُنْ أكنْ، وحيثما تجلس أجلس، ومعنى الكلام: من خطيئاتهم أُغْرِقُوا. واختلفت القراء في قراءة قوله تعالى: ﴿مِمَّا خَطِيئَتِهِمْ﴾ فقراءته عامّة قراء الأمصار غير أبي عمرو (مِمَّا خَطِيئَتِهِمْ) بالهمزة والتاء، وقرأ ذلك أبو عمرو: (مِمَّا خَطَايَاهُمْ) بالألف بغير همز. والقول عندنا: أنّهما قراءتان معروفتان، فبأيتهما قرأ القارئ فهو مصيب.

قال الزمخشري⁽²⁾: تقديم ﴿مِمَّا خَطِيئَتِهِمْ﴾ لبيان إن لم يكن إغراقهم بالطوفان فإدخالهم النار إلا من أجل خطيئاتهم، وأكّد هذا المعنى بزيادة (ما). وفي قراءة ابن مسعود (من خطيئاتهم ما أُغْرِقُوا) بتأخير الصلة، وكفى بها مُزجرة لمرتكب الخطايا، فإنّ كفر قوم نوح كان واحدة من خطيئاتهم وإن كانت كُبراهنّ، وقد نُعيّت عليهم سائر خطيئاتهم كما نُعي عليهم كفرهم، ولم يُفرّق بينه وبينهنّ في استيجاب العذاب، لئلا يتكل المسلم الخاطيء على إسلامه، ويعلم أنّ معه ما يستوجب به العذاب، وإن خلا من الخطيئة الكبرى.

● قال تعالى: ﴿... وَأَدْخَلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَفِيرًا لَكُمْ خَطِيئَتِكُمْ سَزِيدٌ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: 161].

قال البغوي⁽³⁾: قرأ ابن عامر ﴿خَطِيئَتِكُمْ﴾ على التوحيد ورفع التاء، وقرأ أبو

(3) معالم التنزيل.

(1) جامع البيان.

(2) الكشاف.

عمرو (خطاياكم)، وقرأ أهل المدينة ويعقوب (خَطِيئَاتُكُمْ) بالجمع ورفع التاء، وقرأ آخرون بالجمع وكسر التاء.

قال الزَّمَخْشَرِيُّ⁽¹⁾: قُرئ (يغفر لكم خطيئاتكم) و(تُغفر لكم خطاياكم) و(خطيئاتكم) و(خطيئتكُم) على البناء للمفعول.

قال الألوَسِيُّ⁽²⁾: قوله تعالى ﴿تَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتِكُمْ﴾ جزم في جواب الأمر. وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب (تُغْفَرُ) بالتاء والبناء للمفعول، و(خطيئاتكم) بالرفع والجمع، غير ابن عامر، فإنه وحّد. وقرأ أبو عمرو (خطاياكم) كما في سورة البقرة.

ويبين (القطب) فائدة الاختلاف بين ما هناك وبين ما هنا على القراءة المشهورة، بأنها الإشارة إلى أنّ هذه الذنوب سواء كانت قليلة أو كثيرة، فهي مغفورة بعد الإيتان بالمأمور به.

● قال تعالى: ﴿وَادْخُلُوا أَبْوَابَ سُجْدًا وَقُولُوا حِطَّةً نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتِكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: 58].

قال الطَّبْرِيُّ⁽³⁾: الخطايا: جمع خطيئة، بغير همز، كما المطايا: جمع مطيئة، والحشايا جمع حشيئة. وإنما ترك جمع «الخطايا» بالهمز، لأنّ ترك الهمز في (خطيئة) أكثر من الهمز، فجمع على خطايا، على أنّ واحدها غير مهموزة. ولو كانت (الخطايا) مجموعة على (خطيئة) بالهمز، ل قيل: خطائي، على مثل قبيلة وقبائل، وصحيفة وصحائف. وقد تُجمع (خطيئة) بالتاء، فيُهمز فيقال: خطيئات. والخطيئة (فعيلة) من خَطَيْ الرَّجُلِ يَخْطَأُ خِطْأً، وذلك إذا عدل عن سبيل الحقّ.

(3) جامع البيان.

(1) الكشف.

(2) روح المعاني.

قال الرَّجَّاحُ⁽¹⁾: قوله تعالى: ﴿تَغْفِرْ لَكُمْ﴾ جزم جواب الأمر، والمعنى: أن تقولوا ما أمرتم به نغفر لكم خطاياكم. وقرأ بعضهم (نغفر لكم خطياتكم). والقراءة الأولى أكثر، فمن قال: (خطياتكم) فهو جمع خطيئة بالألف والتاء، نحو سفينة وسفينات، وصحيفة وصحيفات، والقراءة كما وصفنا ﴿تَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ﴾.

● قال تعالى: ﴿إِنَّا ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [طه: 73].

قال الطَّبْرِيُّ⁽²⁾: ليعفو لنا عن ذنوبنا فيسترها علينا.

قال البيضاوي⁽³⁾: قوله تعالى ﴿خَطَايَنَا﴾ من الكفر والمعاصي.

قال أبو السعود⁽⁴⁾: قوله تعالى ﴿خَطَايَنَا﴾ التي اقترفنا فيها من الكفر والمعاصي، ولا يؤاخذنا بها في الدار الآخرة، لا ليمتتنا بتلك الحياة الفانية، حتى نتأثر بما أوعدتنا به من القطع والصلب.

● قال تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ...﴾ [الأحزاب: 5]

قال الطَّبْرِيُّ⁽⁵⁾: يقول: ولا حرج عليكم ولا وِزْرَ في خطإ يكون منكم، في نسبة بعض من تنسبونه إلى أبيه، وأنتم ترونه ابن من ينسبونه إليه، وهو ابن لغيره ﴿وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ يقول: ولكن الإثم والحرج عيلكم في نسبتكموه إلى غير أبيه، وأنتم تعلمونه ابن غير من تنسبونه إليه.

قال الرَّجَّاحُ⁽⁶⁾: في هذا وجهان:

(1) معاني القرآن.

(2) جامع البيان.

(3) أنوار التنزيل.

(4) إرشاد العقل السليم.

(5) جامع البيان.

(6) معاني القرآن.

أحدهما: وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ممّا قد فعلتموه قبل أن تُنْهَوْا عن هذا، ﴿وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ أي ولكن الإثم فيما تعمدت قلوبكم. و(ما) في موضع جرّ عطف على (ما) الأولى، المعنى: وليس عليكم جناح في الذي أخطأتم به، ولكن في الذي تعمدت قلوبكم. ويجوز أن يكون: ولا جناح عليكم في أن تقولوا له: يا بُنَيَّ على غير أن تتعمد أن تجريه مجرى الولد في الإرث.

قال الزّمخشرّي⁽¹⁾: المعنى: لا إثم عليكم فيما فعلتموه من ذلك، مخطئين جاهلين قبل ورود النهي، ولكن الإثم فيما تعمدتموه بعد النهي، أولاً إثم عليكم إذا قلمت لولد غيركم يا بُنَيَّ، على سبيل الخطأ وسبق اللسان، ولكن إذا قلمتموه متعمدين.

ويجوز أن يراد العفو عن الخطأ دون العمد على طريق العموم، كقوله عليه الصّلاة والسّلام: «وما أخشى عليكم الخطأ ولكن أخشى عليكم العمد». وقوله عليه الصّلاة والسّلام: «وُضع عن أمّتي الخطأ والنسيان وما أكرهوا عليه» ثم تناول لعمومه خطأ التّبّي وعمده.

● قال تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: 286].

قال الطّبري⁽²⁾: قوله تعالى: ﴿إِنْ نَسِينَا﴾ شيئاً فرضت علينا عمله فلم نعمله، وقوله ﴿أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ في فعل شئ نهيتنا عن فعله ففعلناه، على غير قصد منّا إلى معصيتك، ولكن على جهالة منّا به وخطأ.

قال الزّجاج⁽³⁾: قيل فيه قولان: قال بعضهم: إنّه على ما جاء عن النّبّي ﷺ: «عُفي لهذه الأمّة عن نسيانها وما حدثت به أنفسها»، وقيل: ﴿إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ أي إن تركنا، ﴿أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ أي كسبنا خطيئة، والله أعلم.

(3) معاني القرآن.

(1) الكشف.

(2) جامع البيان.

إلا أن هذا الدعاء أخبر الله به عن النبي ﷺ والمؤمنين وجعله في كتابه،
ليكون دعاء من يأتي بعد النبي ﷺ والصحابة رحمهم الله.

وروي عن النبي ﷺ أن الله عز وجل قال في كل فصل من هذا الدعاء: فعلت
فُعلتُ، أي: استجبتُ. فهو من الدعاء الذي ينبغي أن يُحفظ وأن يُدعى به كثيراً.

قال الماوردي⁽¹⁾: فيه تأويلان:

أحدهما: ما تأولوه من المعاصي بالشبهات

والثاني: ما عمدوه من المعاصي التي هي خطأ تخالف الصواب.



(1) النكت والعيون.

خطب

(خطب - بلاء - دائرة - طامة - قارعة - مصيبة - نازلة)

- **الخطب:** قلق شديد بانفعال يظهر على الوجه يخفى على المشاهد سببه .
فيسأل صاحبه (ما خطبك) ﴿وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا﴾ [القصص: 23] .
- **البلاء:** ما يتعرض له المؤمن من عذاب بسبب إيمانه ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجْتَهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَتَبَلَّوْا أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: 31] .
- **الدائرة:** انتقال بلاء المظلوم إلى من ظلمه ﴿وَيَرِيضُ بِكُمْ الدَّوَابَّ عَلَيْهِمْ دَائِرَةً السُّوءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: 98] .
- **الطامة:** (تسونامي) هلاك مفاجيء غير متوقع ، يغطي كل شيء فيهلك الجميع ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الكُبْرَىٰ﴾ [النازعات: 34] .
- **القارعة:** موت جماعي بسلاح الدمارات الشاملة له دوي شديد ﴿تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةً أَوْ تُخَلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ﴾ [الرعد: 31] .
- **المصيبة:** فناء يصيب عزيزاً أو محبوباً ﴿فَأَصَابَتْكُمْ مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْسَبُوهُمَا﴾ [المائدة: 106] .
- **النازلة:** فناء يصيب تجمعاً سكانياً بليلاً ﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ﴾ [الصافات: 177] .



خطب

(خطب - حديث - قول - كلام - لفظ)

- **الْخِطَابُ:** كلام موجه لآخرين ﴿فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ [ص: 23]
- **الْحَدِيثُ:** ما يبلغ الإنسان من جهة السمع محاله موضوع ﴿وَإِذْ أَسْرَأَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا﴾ [التحریم: 3].
- **الْقَوْلُ:** اللفظ المفهوم الدال على معنى ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٠١﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [الحاقة: 40-41].
- **الْكَلَامُ:** اللفظ المركب وإن لم تفهمه أنت ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: 164].
- **الْلَفْظُ:** رفع الصوت بالقول والكلام ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عِنْدٌ﴾ [ق: 18].



شرح المعاني:

هذه منظومة الفواجع والمصائب التي ربما لا يخلو منها إنسان في حياته فهي من قوانين هذا الكون ﴿وَنَبَلُّوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: 35] وبين كلمات هذه المنظومة فروق تدل على الإعجاز اللغوي الذي تفرّد به القرآن الكريم بحيث لا تغني كلمة عن أختها.

مصيبة: هي التي تصيب عزيزاً عندك فتنهيه، والناس تعرف ذلك. والمصيبة

خطب

هي الأمر الظاهر الذي يقع على محبوب عندك فيعرفه الناس كمصيبة الموت وتترك في نفسك حزناً عميقاً والحزن عند المصيبة سنة. والمصيبة الواحدة تصيب شيئاً واحداً في حياتك له أهمية كبيرة كمرض عضال أو إفلاس بعد غنى أو حكم بالإعدام. والله تعالى سمى الموت في القرآن مصيبة ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهْدَةٌ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ أَتَّانَ ذَوْا عَدَلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخِرَانَ مِّنْ غَيْرِكُمْ إِنَّ أَنْتُمْ لَضَرِبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَبْتَكُمْ مُصِيبَةً الْمَوْتِ﴾ [المائدة: 106] لأنه يصيب كل بيوت الناس.

والمصيبة ظاهرة للناس وأصلها: مصوبة أي: تصيب كالسهم أو إطلاق النار يثيب الهدف ولو كان شعرة كالسهم المنطلق. وعندما تأتي أحدا مصيبة ما فهي تقصده من بين ملايين الناس فتصيبه إصابة مباشرة. والمصائب متعددة منها: المصيبة في المال أو الولد، والمصائب قدر ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَاهُاَ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: 22] ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: 30]. وأصل المصيبة الرمي بالسهم، ثم استعملت في كل شيء حادث تكرهه النفس ويثير الحزن الشديد إذا أصابه بدقة. ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام: «إذا أحب الله عبداً أصاب منه»، وجاء أحدهم إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام فقال: يا رسول الله إني لا أمرض فقال له عليه الصلاة والسلام: «أو أملك أن الله لا يحبك!».

الحزن قانون، والرسول ﷺ عندما جاءه خبر مقتل جعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة جلس وفي وجهه الحزن. وعندما مات ولده إبراهيم قال عليه الصلاة والسلام: «إن القلب ليحزن وإن العين لتدمع وإنا على فراقك يا إبراهيم لمحزونون». ويعقوب عليه السلام عندما فقد ولديه ابضت عيناه من الحزن ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَى عَلَى يَؤُسَفَ وَأَبْضَتَ عَيْنَاهُ مِمَّا أَلْحَزَنَ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [يوسف: 84] ﴿الَّذِينَ

إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أَوْلَيْكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ
وَرَحْمَةٌ وَأَوْلَيْكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ .

الخطب: هو ما تكتمه في نفسك في سرِّك ويؤثر عليك همًّا وحنناً واضطراباً حتى يبدو هذا عند الناس . والمصيبة ظاهرة أما الخطب فخفيّ سرّي مثل تأنيب الضمير .

والخطب كلمة جميلة من الكلمات العربية الأنيقة . وقد استعملها القرآن الكريم ووردت في السنة والشعر والأدب، يقول الشاعر:

فبات يريني الخطب كيف اعتداؤه وبِتُّ أريه الصبر كيف يكون
والخطب جمعها خطوب وقال الشاعر:

وأحسب أنّما أبلاك سرٌّ أو اعتورتك يا هذا الخطوب
والخطوب تؤثر على الانسراح، وهي مصائب خفية غامضة لا يعرفها الناس ولا يريد صاحبها أن يعرفها الناس، وإنما هي ظاهرة على وجهه حزنًا واضطراباً . وقد عبّر القرآن الكريم عن هذه الكلمة بدقة متناهية:

في قصة السامري: السامري كان رجلاً صالحاً طيباً أحب موسى ﷺ ولما ذهب موسى للقاء ربه عز وجلّ وتأخر، ألح بنو إسرائيل بأن يكون لهم إله يعبدوه فهم أناس ماديّون، فسوّلت له نفسه فصنع لهم عجلاً من الذهب الذي سرقوه من أهل مصر . وكان قد رأى فرس جبريل ﷺ كلما وقع حافره على شيء ينبت تحته عشب آخر، فأخذ من هذه التربة وجعلها في العجل فصار يخور، فعبد بنو إسرائيل هذا العجل، فلما عاد موسى ﷺ ورأى ما فعلوه ورأى السامري وكان خائفاً وفي وجهه همّ وحنن سأل موسى: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَسْمِرِيُّ﴾ [ظه: 95] لم يقل ما بلاؤك أو ما مصيبتك؟ وهذه مصيبة في دينه . وكل مصيبة يؤجر عليها الإنسان إلا المصيبة في الدين لأنها تورد النار والعياذ بالله، وفي الدعاء عن الرسول عليه الصلاة والسلام: «اللهم لا تجعل مصيبتنا في ديننا» .

نازلة: مصيبة تقع بليل فتتلف شيئاً واسعاً كمدينة أو قرية أو حقلاً والناس نيام. ذكر تعالى في القرآن الكريم قصة قوم لوط الذين نزل عليهم العذاب وهم نائمون فجعل عاليها سافلها ﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحِئِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذِرِينَ﴾ [الصفات: 177].

قارعة: مصيبة ليلية أو نهارية بصمت ولكن يسبقها دويّ هائل. مثال مدينة هيروشيما كان الناس جالسون في منازلهم فنزلت عليهم القنبلة النووية فأفنتهم. قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [الرعد: 31].

الدائرة: ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُّ بِكُمْ الدَّوَابِّرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةً السُّوءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: 98] أن تظلم أناساً بطريقة معينة بإذلالهم وسجنهم وإعدامهم، ثم تدور الدائرة فتذوق من نفس العذاب. ويقال في المثل: (وعلى الباغي تدور الدوائر). بعض الناس يصطفون على جانب العدو بحيث ينصبهم العدو على قومهم فيفسدوا قومهم ويذلوهم ثم تدور الدائرة فيسلط العدو نفسه على هؤلاء فيذيقونهم من نفس العذاب. وهذه من قوانين الكون ما بغى أحد على أحد إلا بُغِيَ عليه بنفس الأسلوب في النهاية.

طامة: كارثة تسونامي مثلاً، حدثت وبدون مقدمات، فجأة رأى الناس أنفسهم وهم جالسون في بيوتهم أو معايبتهم أو الفنادق في الأدوار العالية، وجدوا أنفسهم والموجة تغمرهم وتلقي بهم في المحيط فغرقوا ثم غطى الطين جميع الموجودات. والطامة مأخوذة من طمّ البحر وطمّ السيل الذي يغمر كل شيء بالوحل والطين ولا يعود هناك شيء له حركة. واستعمل القرآن هذه الكلمة ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى﴾ [النازعات: 34] أي: الطامة التي تغطي كل شيء.

البلاء: هذا كله سواء كان خطباً أو مصيبة أو نازلة أو قارعة أو طامة إذا كان يتعلق بامتحان الإنسان بإيمانه وعدم إيمانه فهو البلاء ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُدَّبُّوكم بَأْنَاءِكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [إبراهيم: 6].

6]. ذكر إبراهيم عليه السلام الذي أمره تعالى بذبح ابنه إسماعيل عليه السلام جاء قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ﴾ [الصفّات: 106] هذا بلاء عظيم يتعلق بإيمانك وعدم إيمانك ﴿وَلَنْبَلُونَكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجْهَدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبَلُوا أَعْبَادَكُمْ﴾ [محمد: 31].

إذا حمدت الله تعالى على المصائب فهي من أعظم العبادات يوم القيامة، فما من عبادة أعظم وأجلّ من أن تُبتلى ثم تُبعث يوم القيامة وليس عليك ذنب أو سيئة وتدخل الجنة بغير حساب. ما عدا الأمانة، فإذا كنت قد خنت الأمانة فهذا الذي تُسأل عنه، أما كل تقصيرك وذنوبك فيكفرها البلاء حتى الشوكة يشاكها العبد تكفر ذنوبه.

الذنب قانون والاتساح قانون تغتسل منه، والاستحمام من الذنب له طرق عديدة مثل: الاستغفار والصوم والصلاة. وأعظم أنواع المبيدات والمطهرات للذنوب هو البلاء بكل أنواعه سواء كان مصيبة أو نازلة أو قارعة أو طامة أو خطب، أما الدائرة فهي جزاء وفاق وليست بلاء لأنه كل من يمكر يمكر الله تعالى به.

يقول عليه الصلاة والسلام: «عجبت للمؤمن إذا أصابه خير حمد الله وشكره وإذا أصابته مصيبة احتسب وصبر إن المؤمن يؤجر على كل شيء حتى اللقمة يرفعها إلى فيّ امرأته» ولو سقاها شربة ماء فهذه تكفر الذنوب وهذه سنة ميتة. كان أبو الدرداء وأم الدرداء مثلاً في حب أحدهما للآخر، وفي ليلة نامت أم الدرداء وعندما عاد أبو الدرداء من المسجد أيقظ امرأته وأعطها كوباً من الماء لتشرب فقالت له: لست عطشى فألح عليها فسألته: ما وراءك فقال: قال عليه الصلاة والسلام: من شرب ماء ثم سقى زوجته دخل الجنة. هذه فيها حركة إنسانية هائلة.

قال الرسول عليه الصلاة والسلام: «إذا أصاب أحدكم مصيبة فليذكر مصابه فيّ فإنها من أعظم المصائب». ما أصيب المؤمنون بمصيبة أعظم من مصابهم فيّ لأنه عليه الصلاة والسلام مات، ولنتخيل لو أنه عليه الصلاة والسلام حيّ فينا

الآن لما كان أصابنا ما أصابنا وما كنا لنعاني هذه المعاناة التي نعانيها الآن. فمئذ وفاته عليه الصلاة والسلام حلّ العذاب بالمسلمين بدءاً من حروب الردة في عهد أبي بكر بقي الناس أشهراً لا يصلّون، ثم في عهد عمر وكيف قتل، ثم عثمان وما حدث له، ثم قتل علي بن أبي طالب وما حلّ بأهل بيته رضي الله تعالى عنهم أجمعين، ثم ما حدث لبني العباس ثم ما توالى بعد ذلك من المصائب. ونحن الآن في مصيبة المصائب ولو أن الرسول عليه الصلاة والسلام حيّ فينا لما عمّت المصائب ولعمّ الإسلام.

ومن نعمة الله تعالى على العبد أنه يصيبنا بهذه المصائب والابتلاءات. عندما نزل قوله تعالى: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء: 123] جاء رجل إلى الرسول عليه الصلاة والسلام فقال: هلكننا يا رسول الله فأجابه عليه الصلاة والسلام: «لا ألتست تمرض ألتست تنصب ألتا تصاب في مالك هذا كله يكفر الذنوب». وفي الحديث: «ليأتينّ على أهل العافية يوم يتمنون لو أن جلودهم قرضت بالمقاريض لما يرون من جزيل ثواب المبتلين» «يتمنى أهل البلاء يوم القيامة لو ضاعف الله عليهم العذاب لما يرونه من جزيل ثواب المبتلين» والعبد المؤمن يفرح بالبلاء كما يفرح بالنعمة، والبلاء العام الذي نزل على المسلمين هذه الأيام ناهيك عن القتل والتشريد هذه كلها من سنن الكون.

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس⁽¹⁾: الخاء والطاء والباء أصلان: أحدهما الكلام بين اثنين، يقال: خَاطَبَهُ يُخَاطِبُهُ خِطَابًا، وَالخُطْبَةُ من ذلك. وفي النِّكَاحِ الطَّلَبُ أن يزوّج،

(1) معجم مقاييس اللغة.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خُطْبَةِ النِّسَاءِ﴾ [البقرة: 235].
الكلام المخطوب به.

ويقال: اِخْتَطَبَ القومُ فلاناً: إذا دَعَوَهُ إلى تزوج صاحبتهُم. وَالخَطْبُ: الأمرُ يقع؛ وإنما سُمِّيَ بذلك لِمَا يقع فيه من التَّخاطب والمراجعة.

وأما الأصل الآخرَ فاختلافُ لَوْنين. قال الفراء: الخَطْبَاءُ: الأتان التي لها حَظُّ أسودٌ على مَتْنِهَا. والحمار الذكر أخطبُ. والأخطبُ طائر؛ ولعله يَخْتَلِفُ عليه لوان. قال: والخُطْبَانُ: الحنظلُ إذا اختلف ألوانه.

والأخطبُ: الحمار تعلوه خُضرة. وكلُّ لونٍ يشبه ذلك فهو أخطبُ.

قال الخليل⁽¹⁾: الخَطْبُ: سَبَبُ الأمر. وفلانٌ يَخُطِبُ امرأةً وَيَخُتِطُهَا خِطْبَةً، ولو قيل خِطِّيبي جاز، والخِطِّيبي مرخمة الياء على بناء خليفى، الياء مرخمة، اسم امرأة.

والخِطَابُ: مراجعة الكلام. والخُطْبَةُ: مصدر الخِطِيب. وكان الرجل في الجاهلية إذا أراد الخِطْبَةَ قام في النادي فقال: خِطْبُ، ومن أرادَه قال: نكح. وجمع الخطيب خُطْبَاءُ، وجمع الخاطِبُ خُطَّاب. والأخطبُ: طائر، وهو الشقراق. والأخطبُ: لون إلى الكُدرة مُشْرَبٌ حمرةً في صُفْرة كلون الحنظلة الخطباء قبل أن تيبس، وكلون بعض حمر الوحش، والجميع: خُطْبَانُ.

ويقال: بل الواحدة خُطْبَانَةٌ كقولك: كتفان كتفانة، ويرويان بالكسر. وقد خَطِبَ لون خُطْباً، والخِطْبُ: المرأة، وهو الزوج، والمخُطْبَةُ الخِطْبَةُ، إن شئت في النكاح، وإن شئت في الموعظة.

قال الجوهري⁽²⁾: الخَطْبُ: سبب الأمر. نقول: ما خَطْبُكَ. وخَطَبْتُ على المنبر خُطْبَةً بالضم. وخَاطَبَهُ بالكلام مُخَاطَبَةً وخِطَاباً. وخَطَبْتُ المرأة خِطْبَةً بالكسر؛ واخْتَطَبَ أيضاً فيهما. والخِطِيبُ: الخاطِبُ. والخِطِّيبي: الخِطْبَةُ.

(1) العين. (2) الصحاح في اللغة.

والخُطْبُ: الرجل الذي يَخُطُبُ المرأة. ويقال أيضاً هي خِطْبُهُ وخُطْبَتُهُ للتي يَخُطِبُهَا. وَخُطِبَ بالضم خُطَابَةً بالفتح: صار خَطِيباً. واختَطَبَ القومُ فلاناً: إذا دعوهُ إلى تزويج صاحبَتِهِمْ. والأخْطَبُ: الشِّقْرَاقُ، ويقال الصُرْدُ.

* ورد الخطاب في القرآن الكريم في المعاني التالية:

- 1 - ما يكلم الرجل به صاحبه ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَمًا﴾ [الفرقان: 63].
- 2 - لفصل بين الحق والباطل ﴿وَأَتَيْنَهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ﴾ [ص: 20].
- 3 - الشأن الذي تقع فيه المخاطبة ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ [الحجر: 57] ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَسْمِرِيُّ﴾ [طه: 95].
- 4 - طلب المرأة للزواج ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ﴾ [البقرة: 235].

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَمًا﴾ [الفرقان: 63].

قال الفخر الرازي⁽¹⁾: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَمًا﴾ معناه: لا نجاهلكم ولا خير بيننا ولا شر، أي: نسلم منكم تسليماً، فأقيم السلام مقام التسليم، ثم يحتمل أن يكون مرادهم طلب السلامة والسكوت، ويحتمل أن يكون المراد التنبيه على سوء طريقتهم لكي يمتنعوا، ويحتمل أن يكون مرادهم العدول عن طريق المعاملة، ويحتمل أن يكون المراد إظهار الحلم في مقابلة الجهل، قال

(1) التفسير الكبير.

الأصم: ﴿قَالُوا سَلَمًا﴾ أي: سلام توديع لا تحية، كقول إبراهيم لأبيه: ﴿سَلَّمَ عَلَيْكَ﴾ [مريم: 47] ثم قال الكلبي وأبو العالية: نسختها آية القتال ولا حاجة إلى ذلك لأن الإغضاء عن السفهاء وترك المقابلة مستحسن في العقل والشرع وسبب لسلامة العرض والورع.

قال الألوسي⁽¹⁾: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ﴾ أي: السفهاء وقليلو الأدب.

قال الشعراوي⁽²⁾: إذا خاطبك الجاهل، فحذار أن تكون مثله في الردّ عليه فَتَسْفَهُ عَلَيْهِ كَمَا سَفَهُ عَلَيْكَ، بل قرّعه بأدب وقلْ ﴿سَلَمًا﴾ لتشعره بالفرق بينكما.

والحق - تبارك وتعالى - يُوضّح في آية أخرى ثمرة هذا الأدب، فيقول:

﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت:

. [34]

● قال تعالى: ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخُطَابِ﴾ [ص: 20].

قال الطبري⁽³⁾: ﴿وَفَصَّلَ الْخُطَابِ﴾ البينة على الطالب، واليمين على المطلوب، هذا فصل الخطاب. وقال آخرون: بل هو قول: أما بعد. ذكر من قال ذلك:

عن الشعبي في قوله: ﴿وَفَصَّلَ الْخُطَابِ﴾ قال: قول الرجل: أما بعد.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله أخبر أنه أتى داود صلوات الله عليه فصل الخطاب، والفصل: هو القطع، والخطاب هو المخاطبة، ومن قطع مخاطبة الرجل الرجل في حال احتكام أحدهما إلى صاحبه قطع المحتكم إليه الحكم بين المحتكم إليه وخصمه بصواب من الحكم، ومن قطع مخاطبته أيضاً صاحبه إلزام المخاطب في الحكم ما يجب عليه إن كان مدعياً،

(3) جامع البيان.

(1) روح المعاني.

(2) تفسير الشعراوي.

فإقامة البينة على دعواه وإن كان مدعى عليه فتكليفه اليمين إن طلب ذلك خصمه .
ومن قطع الخطاب أيضاً الذي هو خطبة عند انقضاء قصة وابتداء في أخرى
الفصل بينهما بأمأ بعد . فإذا كان ذلك كله محتملاً ظاهر الخبر ولم تكن في هذه
الآية دلالة على أيّ ذلك المراد، ولا ورد به خبر عن الرسول ﷺ ثابت،
فالصواب أن يعم الخبر، كما عمه الله، فيقال: أوتي داود فصل الخطاب في
القضاء والمحاورة والخطب.

قال الماوردي⁽¹⁾: ﴿وَفَصَّلَ الْخُطَابِ﴾ فيه خمسة تأويلات: أحدها: على
القضاء والعدل فيه، قاله ابن عباس والحسن.

الثاني: تكليف المدعي البينة والمدعى عليه اليمين، قاله شريح وقتادة.
الثالث: قوله أما بعد، وهو أول من تكلم بها، قاله أبو موسى الأشعري
والشعبي.

الرابع: أنه البيان الكافي في كل غرض مقصود.

الخامس: أنه الفصل بين الكلام الأول والكلام الثاني.

● قال تعالى: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ [الحجر: 57].

قال الفخر الرازي⁽²⁾: وأما الخطب فهو الأمر العظيم، وعظم الشأن يدل
على عظم من على يده ينقضي، فقال: ﴿مَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ [القصص: 23] أي لعظمتكم
لا ترسلون إلا في عظيم، ولو قال بلفظ مركب بأن يقول ما شغلكم الخطير
وأمركم العظيم للزم التطويل، فالخطب أفاد التعظيم مع الإيجاز.

قال ابن عطية⁽³⁾: ﴿فَمَا خَطْبُكُمْ﴾ [الحجر: 57] والخطب: الأمر المهم، وقل
ما يعبر به إلا عن الشدائد والمكاره حتى قالوا: خطوب الزمان ونحو هذا، فكأنه

(3) المحرر الوجيز.

(1) النكت والعيون.

(2) التفسير الكبير.

يقول لهم: ما هذه الطامة التي جئتم لها؟ فأخبروه حينئذ أنهم أرسلوا إلى سدوم قرية لوط بإهلاك أهلها الكفرة العاصين المجرمين. والمجرم: فاعل الجرائم، وهي صعب المعاصي: كفر ونحوه واحدها جريمة.

● قال تعالى: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَسْمِرِي﴾ [ظه: 95].

قال القرطبي⁽¹⁾: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَسْمِرِي﴾ أي: ما أمرك وشأنك، وما الذي حملك على ما صنعت؟ قال قتادة: كان السامريّ عظيماً في بني إسرائيل من قبيلة يقال لها سامرة، ولكن عدو الله نافق بعد ما قطع البحر مع موسى، فلما مرت بنو إسرائيل بالعمالقة وهم يعكفون على أصنام لهم ﴿قَالُوا يَمُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ [الأعراف: 138].

قال البغوي⁽²⁾: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ﴾ ما أمرك وشأنك؟ وما الذي حملك على ما صنعت؟ ﴿يَسْمِرِي﴾.

● قال تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ﴾ [البقرة: 235].

قال ابن الجوزي⁽³⁾: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ﴾ هذا خطاب لمن أراد تزويج معتدة. والتعريض: الإيحاء والتلويح من غير كشف، فهو إشارة بالكلام إلى ما ليس له في الكلام ذكر. والخطبة بكسر الخاء: طلب النكاح، والخطبة بضم الخاء: مثل الرسالة التي لها أول وآخر. قال ابن عباس: التعريض أن يقول: إني أريد أن أتزوج. وقال مجاهد: أن يقول: إنك لجميلة، وإنك لحسنة، وإنك لإلى خير.

قال الخازن⁽⁴⁾: ﴿مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ﴾ يعني المعتدات في عدتهن، والخطبة

(1) الجامع لأحكام القرآن.

(3) زاد المسير.

(4) لباب التأويل.

(2) معالم التنزيل.

بالكسر طلب النكاح والتماسه، وقيل هو ذكر النساء. والخُطبة بالضم كلام منظوم له أول وآخر، ومعنى الآية فيما عرضتم به من ذكر النساء عندهن. والتعريض بالخطبة في العدة مباح وهو أن يقول: إنك لجميلة، وإنك لصالحة وإن غرضي التزويج وإني فيك لراغب وعسى الله أن ييسر لي امرأة صالحة ونحو ذلك، من الكلام الموهوم من غير تصريح لأن يقول: إني أريد أن أنكحك أو أتزوجك ونحو ذلك، ويدل على صحة هذا التأويل ما روي عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿فِيمَا عَرَضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ﴾ هو أن يقول: إني أريد التزويج، وإن النساء لمن حاجتي، ولوددت أن تيسر لي امرأة صالحة، أخرجها البخاري. وروي أن سكينه بنت حنظلة تأيمت فدخل عليها أبو جعفر محمد بن علي الباقر في عدتها فقال: قد علمت قرابتي من رسول الله ﷺ؛ وحق جدي عليّ وقدمي في الإسلام. فقالت سكينه: غفر الله لك أتخطبني في العدة وأنت يؤخذ عنك؟ فقال: إنما أخبرتك بقرابتي من رسول الله ﷺ قد دخل رسول الله ﷺ على أم سلمة وهي في عدة زوجها أبي سلمة فذكر لها منزلته من الله عز وجل وهو متحامل على يده حتى أثر الحصر في يده ﷺ من شدة تحامله عليها فما كانت تلك خطبة.



خطف

(خطف - اقتبس)

■ **الْحَطْفُ**: الاختلاس بسرعة ﴿إِلَّا مَنْ حَطَفَ الْخَطْفَةَ فَاتَّبَعُهُ بِشَهَابٍ نَافِبٍ﴾ [الصفات: 10].

■ **الاقْتِبَاسُ**: الاختلاس بسرعة لنار أو أنوار ﴿نُظِرُونَا نَفَّيْسَ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ﴾ [الحديد: 13]. ﴿إِنِّي ءَأَنْتُ نَارًا لَعَلِّي ءَأَيْنِكُمْ مِنْهَا بِقَسٍ﴾ [طه: 10].



النصوص اللغوية:

قال ابن فارس⁽¹⁾: الخاء والطاء والفاء أصلٌ واحدٌ مطردٌ منقاسٌ، وهو استلابٌ في خفة. فالْحَطْفُ: الاستلاب. تقول: حَطَفْتُهُ أَخْطَفُهُ، وَحَطَفْتُهُ أَخْطَفُهُ. وَبَرَقَ حَاطِفٌ لِنُورِ الْأَبْصَارِ. قال الله تعالى: ﴿يَكَادُ الْبَرَقُ يُحْطِفُ أَبْصَرَهُمْ﴾ [البقرة: 20]، وَالشَّيْطَانُ يَحْطِفُ السَّمْعَ: إذا استرق. قال الله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ حَطَفَ الْخَطْفَةَ﴾ [الصفات: 10]. ويقال للشيطان: «الْحَطَّافُ»:

وجمل حَيْطَفٌ: سريع المَرِّ. وتلك السُّرْعَةُ الْحَيْطَفِيُّ.

قال: وبه سُمِّيَ الْحَطْفِيُّ، وَالْأَصْلُ فِيهِ وَاحِدٌ؛ لِأَنَّ الْمَسْرِعَ يَقْلُ لُبْتُ قَوَائِمَهُ عَلَى الْأَرْضِ، فَكَأَنَّهُ قَدْ حَطَفَ الشَّيْءَ. ويقال: هو مُحْطَفُ الْحَشَا، إِذَا كَانَ مِنْطَوِيَّ الْحَشَا. وذلك صحيحٌ؛ لِأَنَّهُ كَانَ لِحَمِهِ حُطْفٌ مِنْهُ فَرَقٌ وَدَقٌّ. فأما قولهم:

(1) معجم مقاييس اللغة.

رمى الرميّة فأخطفها: إذا أخطأها، فممكن أن يكون من الباب، [وممكن أن يكون] الفاء بدلاً من الهمزة. قال: والخطّاف: طائر، والقياس صحيح، لأنّه يخطّف الشيء بمخلبه. يقال لمخالب السباع: خطّاطيفها.

والخطّاف: حديدة حجناء؛ لأنه يُختطف بها الشيء، والجمع خطّاطيف.
قال الخليل⁽¹⁾: الخطّف: الأخذ في الاستلاب. وسيف يخطّف الرأس، ونار مُخطّف الضريبة.

وبرق خاطف: يخطّف نور الأبصار. والشياطين تُخطّف السمع أي: تسترق.
والخطّاف: اللص. وخطّف يخطّف، وخطّف يخطّف. والخطفة مثل الخلسة: هو كل ما اختطفت. وبه خطّف أي: شبه جنون. والمُخطّف: الذي يرفع الشراع في البحر.

والخيّطف: سرعة انجذاب السير، وجمل خيّطف، وجمل ذو عنق خيطف.
أي كأنه يختطف في مسيه عنقه، أي يجتذب. والخطفي: سيرته. وهو أخطف الحشي، وبعير مُخطّف، وحمار مُخطّف البطن. والخطاف: طائر، يجمع: خطاطيف.

والخطّاف: حديد حجناء في جانبي البكرة فيهما المحور.

وكل شيء يشبه به سمي خطّافاً، يقال: بعير به سمة خطّاف أو كالخطّاف، وهي سمة أناس من تيم.

وكان الحسن يقرأ: «إلا من خطّف الخطفة» على تأويل: اختطف اختطافاً، جعل المصدر على بناء خطّف يخطّف خطفة كما تقول من الاختطاف اختطافاً. والخاطف: الذئب لأنه يخطّف.

قال الجوهري⁽²⁾: الخطّف: الاستلاب. وقد خطّفه بالكسر يخطّفه خطفاً

(2) الصحاح في اللغة.

(1) العين.

وهي اللغة الجيدة. وفيه لغة أخرى حكاها الأخفش: **خَطَفَ** بالفتح **يَخْطِفُ**، وهي قليلة رديئة لا تكاد تُعْرَفُ. و**اخْتَطَفَهُ** و**تَخَطَّفَهُ** بمعنَى. و**الخُطَّافُ**: طائرٌ. و**الخُطَّافُ**: حديدَةٌ حَجْنَاءُ تكون في جانبي البكرة فيها المحور. وكلُّ حديدَةٍ حجناءٍ **خُطَّافٌ**. و**مَخَالِبُ السَّبَاعِ**: خَطَاطِيفُهَا.

و**الخَاطِفُ**: الذئبُ. و**برقُ خَاطِفٍ** لنور الأَبْصَارِ. ورمى الرميَّةَ فَأَخْطَفَهَا، أي: أخطأها.

و**إِخْطَافُ الحِشَا**: انطواؤه. يقال: فرسٌ مُخْطَفُ الحِشَا، بضم الميم وفتح الطاء، إذا كان لا حِقَّ ما خَلَفَ المَحْزِمِ من بَطْنِهِ. و**الخَطِيفَةُ**: دقيقٌ يذُرُّ على اللبن ثم يُطْبَخُ فيُلَعَقُ. قال ابن الأعرابي: هو الجبولاؤ. و**جملٌ خَطِيفٌ**، أي سريعُ المرِّ، كأنه **يَخْطِفُ** في مشيه عنقه، أي يجتذب. وتلك السُرعة هي الخَطْفَى بالتحريك.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ [الصافات: 10].

قال الفخر الرازي⁽¹⁾: ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ﴾ أي: اختلس الكلمة على وجه المسارقة ﴿فَأَتْبَعَهُ﴾ يعني لحقه وأصابه يقال: تبعه وأتبعه إذا مضى في أثره، وأتبعه: إذا لحقه وأصله من قوله تعالى: ﴿فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ﴾ [الأعراف: 175] وقد مر تفسيره وقوله تعالى: ﴿شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ قال الحسن ثاقب أي: مضيء وأقول: سمي ثاقباً لأنه يثقب بنوره الهواء، قال ابن عباس في تفسير قوله: ﴿الْجَمُّ الثَّاقِبُ﴾ [الطارق: 3] قال: إنه رجل سمي بذلك لأنه يثقب بنوره سمك سبع سموات، والله أعلم.

(1) التفسير الكبير.

قال ابن كثير⁽¹⁾: ﴿إِلَّا مَنْ خَطَفَ الْخَطْفَةَ﴾ أي: إلا من اختطف من الشياطين الخطفة وهي الكلمة يسمعها من السماء فيلقبها إلى الذي تحته، ويلقبها الآخر إلى الذي تحته، وربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها، وربما ألقاها بقدر الله تعالى قبل أن يأتيه الشهاب فيحرقه، فيذهب بها الآخر إلى الكاهن كما تقدم في الحديث.

قال النسفي⁽²⁾: ﴿خَطَفَ الْخَطْفَةَ﴾ أي: سلب السلبة يعني أخذ شيئاً من كلامهم بسرعة.

● قال تعالى: ﴿فَكَأَنَّمَا خَرَ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَفَفَ الطَّيْرُ أَوْ تَهَوَّى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَجِيٍّ﴾ [الحج: 31].

قال الزمخشري⁽³⁾: فاخطفته الطير، ففترق مزعاً في حواصلها، أو عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المطاوح البعيدة. وإن كان مفرقاً فقد شبه الإيمان في علوه بالسماء، والذي ترك الإيمان وأشرك بالله بالساقط من السماء، والأهواء التي تتوزع أفكاره بالطير المختطفة، والشيطان الذي يطوح به في وادي الضلالة بالريح التي تهوي بما عصفت به في بعض المهاوي المتلفة. وقرئ: «فتخطفه» بكسر الخاء والطاء. وبكسر التاء مع كسرهما، وهي قراءة الحسن. وأصلها: تختطفه. وقرئ: «الرياح».

قال البغوي⁽⁴⁾: ﴿فَتَخَفَفُ الطَّيْرِ﴾، أي: تستلبه الطير وتذهب به، والخطف والاختطاف: تناول الشيء بسرعة، وقرأ أهل المدينة: فتخطفه بفتح الخاء وتشديد الطاء، أي: يتخطفه.

● قال تعالى: ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطِفُ أَبْصَرَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ إِنَّكَ﴾ [البقرة: 20].

(1) تفسير ابن كثير.
(2) مدارك التنزيل.
(3) الكشاف.
(4) معالم التنزيل.

قال البيضاوي⁽¹⁾: ﴿يَكَادُ الْبَرُّ يُخَطِّفُ أَبْصَرَهُمْ﴾ استئناف ثان كأنه جواب لمن يقول: ما حالهم مع تلك الصواعق؟ وكاد من أفعال المقاربة، وضعت لمقاربة الخبر من الوجود لعروض سببه لكنه لم يوجد، إما لفقد شرط، أو لوجود مانع وعسى موضوعة لرجائه، فهي خبر محض ولذلك جاءت متصرفة بخلاف عسى، وخبرها مشروط فيه أن يكون فعلاً مضارعاً تنبيهاً على أنه المقصود بالقرب من غير أن، لتوكيد القرب بالدلالة على الحال، وقد تدخل عليه حملاً لها على عسى، كما تحمل عليها بالحذف من خبرها لمشاركتها في أصل معنى المقاربة. والخطف الأخذ بسرعة وقرىء (يُخَطِّفُ) بكسر الطاء ويخطف على أنه يختطف، فنقلت فتحة التاء إلى الخاء ثم أدغمت في الطاء، ويخطف بكسر الخاء لالتقاء الساكنين وإتباع الياء لها، ويخطف ويتخطف.

● قال تعالى: ﴿وَيُخَطِّفُ النَّاسَ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: 67]

قال القرطبي⁽²⁾: ﴿وَيُخَطِّفُ النَّاسَ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ قال الضحاك: يقتل بعضهم بعضاً ويسبي بعضهم بعضاً. والخطف الأخذ بسرعة. وقد مضى في «القصص» وغيرها. فأذكرهم الله عز وجل هذه النعمة ليدعونا له بالطاعة. أي: جعلت لهم حرماً آمناً أمنوا فيه من السبي والغارة والقتل، وخلصتهم في البر كما خلصتهم في البحر، فصاروا يشركون في البر ولا يشركون في البحر.

قال أبو السعود⁽³⁾: ﴿وَيُخَطِّفُ النَّاسَ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ أي: والحال أنهم يُختلسون من حولهم قتلاً وسبياً، إذ كانت العرب حوله في تغاورٍ وتناهُبٍ.



(3) إرشاد العقل السليم.

(1) أنوار التنزيل.

(2) الجامع لأحكام القرآن.

خطوات

(خطوات - دأب - سبيل - سنة - طريقة)

- **الْخُطْوَةُ:** ما بين القدمين حال المشي وهي أول الطريق ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ [البقرة: 168].
- **الدَّأْبُ:** المسيرة المستمرة دائماً على حالة ﴿كَذَابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا﴾ [آل عمران: 11].
- **السَّبِيلُ:** الطريق السهل الواضح ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرُوا﴾ [عبس: 20].
- **السُّنَّةُ:** الطريقة السهلة للسير على السبيل ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ يَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: 62].
- **الطَّرِيقَةُ:** أسلوب السير على السبيل فلكل سائر طريقته التي يرتاح لها ﴿وَأَنَا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرِيقَ قَدَدًا﴾ [الجن: 11].



شرح المعاني:

عندما تريد أن تعمل عملاً أو تُنشئ جماعة سياسية أو دينية أو تؤسس مدينة أو ما شاكل وكل عمل ابن آدم لا بد أن يكون له منهج قال تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شَرْعَةً وَمِنْهَا جَا وَمَا لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِنَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَيْنَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخَلِّفُونَ﴾ [المائدة: 48] ولا تصلح هذه الحياة ولا يصلح ما فيها ومن فيها إلا إذا كانت حركتهم على هذه الأرض ممنهجة محددة يخطط لها سلفاً وإلا كانت فوضائية عشوائية لا تنتج إلا

فوضى كما هو حاصل في العالم اليوم بعد أن سقطت جميع المناهج والقوانين الدولية وسادت شريعة الغاب كما حصل في فترات عديدة في التاريخ.

الصراط: هو المعبر بين نقيضين أو بين صفتي جبل بينهما وادٍ سحيق. هذا المعبر يسمى صراطاً أو جسراً ينقلك من الضدّ إلى الضدّ. قال تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: 6] من الكفر إلى الإيمان والتوحيد. وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: 153] فما قدّم لنا مناهج العقيدة هذا هو الصراط. كل ما يتعلق بالعقيدة من المناهج والأحكام المتسلسلة الرائعة المقنعة في كتاب الله تعالى وسنة الرسول ﷺ، وما في هذا الكون مما يدل على وحدانية الله تعالى كل هذا يسمى صراطاً. فالصراط إذن هو الواسطة أو الوسيلة التي تنقلك من ضفة إلى ضفة معاكسة وهذه هي العقيدة.

السبيل: هو الطريق الرئيسي الذي يسلكه الناس بعد عبورهم الجسور العظيمة وتفرع منه الطرق الجانبية فهذا هو السبيل أو الإمام ﴿فَأَنقَمْنَا مِنْهُم وَإِنَّمَا لِيَامُرِ مُبِينٍ﴾ [الحجر: 79].

الإمام: هو الطريق الرئيسي الذي تتفرع منه طرق عديدة ترجع في النهاية إليه ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: 108] شريعة ممتدة أحكامها لا تنتهي إلى يوم القيامة ولا يُنكر تغيير الفتوى باختلاف الزمن. مذاهب الأمة ليست متناحرة وإنما هي أساليب جديدة لحل مشاكل معاصرة لم تكن في العصر السابق. فأحكام السوق مثلاً في السابق حيث كانت السوق أرضاً فضاء يتجمع فيها الناس للبيع والشراء وكان لها أحكامها الخاصة بها، أما الآن فقد اختلفت السوق وأصبح العالم كله سوقاً من بنوك وشركات ومعاهدات، فكان لا بد من أن تتغير أحكام السوق بما يتناسب مع الزمن. فالسبيل شريعة متغيرة ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ أي لا بد من الإتيان بالدليل وليس تبعاً للهوى فتحلل وتحرم على هوى الناس. فإذا أجمع

خطوات

الناس على أمر فهذا لا يعني أنه صار حلالاً (الإجماع مثلاً على شرب الخمر لا تجعل الخمر حلالاً).

المنهج: خطة متكاملة لا تقتضي زمناً محدداً وقد تنجزها في سنة أو أكثر. التعليم في السابق كان بضعة كتب هي المنهج. ففي اللغة مثلاً كان المنهج هو بضعة كتب (من متن الأجرومية إلى مغني اللبيب) والمطلوب إنجاز المنهج بدون تحديد زمن معين ولا مراحل دراسية ولا خطوات. ومن العلماء من صار مجتهداً وهو في سن الخامسة والعشرين لأنه كان عنده منهج إما بلاغي أو أصولي أو غيره، وكل على حسب طاقته، فمن الناس من قد ينهي المنهج في عشر سنوات أو خمس أو اثنتين لذكائه وعبقريته. هذا المنهج ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: 48] الإسلام منهج والمطلوب الصلاة والزكاة والصيام والحد والجهاد وبر الوالدين وصلة الأرحام وقد تنجز هذا المنهج في سنة أو 20 سنة، والمنهج عليك أن تؤديه حسب طاقتك وقدرتك والزمان الذي تحتاجه أنت وليس معمماً على كل الناس.

الخطوات: إذا وضعت للمنهج أزمناً محددة وقسمته إلى مراحل فهي الخطوات، فالمرحلة الدراسية ست سنوات ابتدائي وثلاث إعدادي وثلاث ثانوي ولا بد أن ينجز الطالب هذه الخطوات. قال تعالى: ﴿يَتَأَيَّهَا النَّاسُ كُفُوا مِنَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة: 168] ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة: 208] من حَبَثَ الشيطان أنه يحدد الإنسان بمراحل معينة كل منها تعتمد على المرحلة التي قبلها، وتقتضي المرحلة التي بعدها، وطالما بدأت بمرحلة فلا بد من أن تنهي كل المراحل. والخطوات يتحكم فيها غيرك فمثلاً وزارة التربية تتحكم في خطوات المراحل الدراسية. والآن هناك بعض المدارس الدينية التي تتبع منهجاً وليس خطوات حيث تتعلم في سنة واحدة ما لا يتعلمه طلاب الجامعات في سنوات (ويقال أن في الجامع علم غزير أما

الجامعات فعلمها قليل جداً). الخطوات تأخذ زمنك وأنت فيها مسيرٌ ولست مبدعاً وكل من له إبداع يمكنه أن ينجز المنهج ببراعة بأقصر زمن معروف على كثافة في العلم حتى يتخرج من المنهج علماء أجلاء. أما الخطوات فلا تخرج علماء وما يتعلم في كليات الشريعة لا تساوي ما يتعلم في المنهج.

السنة: منهج ثانوي مع المنهج الرئيسي. كل مناهج التربية والتعليم فيها دروس إجبارية (صراط وسبيل) وبجانبا دروس اختيارية هي من توابع المنهج الرئيسي ولكنها ليست بنفس القوة. والسنة حدث بجانب حدث فإذا صليت الصبح توجد معها ركعتان سنة. والسنة عادة مشروعة مأمور بها ومصاحبة لفرض، والكون هكذا كلما وجد ظلم تخرب الزراعة وكلما وجد عدل تنجح الزراعة.

السيرة: ﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾ [طه: 21] التطبيق الشخصي لكل ما مضى. والسيرة هي كيف كان يطبق الرجال العظام الصراط أو السبيل أو المنهج. كيف كان الرسول ﷺ يصلي؟ كيف كانت عبادة داود عليه السلام وكيف كان صيامه؟ هذه هي السيرة وهي أسلوب الرجال العظام في تطبيق المنهجيات.

الدأب: ﴿كَذَابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [آل عمران: 11]، ﴿كَذَابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلُّ كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ [الأنفال: 54] هو النشاط المتزايد في أداء السنة. عندك عادات وتقاليد وعقيدة وأنت في غاية النشاط والالتزام بهذا الشيء الذي تؤمن به ولا تتركه.

الطريقة: تفرع من السبيل (الشرع) ليس كل الناس يؤدونه بنفس الطريقة. الصلاة مثلاً سبيل وشرع وليس كل المسلمين يؤدونها بنفس الطريقة، هناك بعض صيغ لأداء السبيل، أما الصراط فلا خلاف عليه: لا إله إلا الله محمد رسول الله آمنت بالله ورسله وملائكته وكتبه واليوم الآخر والقضاء والقدر). والطريقة هي أسلوب مختلف في أداء نفس العبادة ﴿قَالُوا إِنْ هَذَا إِلَّا لِسِحْرِنِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكَ مِنْ

خطوات

أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّى ﴿ [طه: 63] ﴿ وَأَنَا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدْدًا ﴿ [الجن: 11] جمع طريقة طرائق وجمع طريق طُرُق .

هناك من يتقي الله تعالى عن طريق الدعوة أو الزكاة أو العلم أو الجهاد كل واحد بطريقته . أما السبيل فيتفرع إلى طرق مشروعة تعود في النهاية إلى سبيل واحد .

خطوات الشيطان:

نهانا الله تعالى عن الشيطان واتباع خطواته ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ﴾ [البقرة: 168] الخطوات هي مرحلية (مسافة بين قدمين) ومتكررة ومتتابعة، وكل خطوة تقتضي التي بعدها وتعتمد على التي قبلها . والشيطان له خطوات ومن خبث الشيطان أنه يبدأ بشيء بسيط ثم يستدرجك خطوة خطوة ليصل إلى ما يريد، وهو نفسه فعل هذا وأول خطوة ارتكبها الشيطان كانت قاتلة فأخرجته وكانت سبباً في طرده من الجنة تماماً كما يفعل مع من يخويهم . الشيطان مهمته أن يخرجك مما أنت فيه حتى يجعلك خالداً معه في النار ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تُلْمُونِي وَلَوْلَمْوَأْ أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [إبراهيم: 22] وهذه خطبة عجيبة للشيطان والله تعالى يُطلق قيوده في النار فيضرب الشيطان أعوانه وزبانيته حتى ينسيهم عذاب النار .

الإنكار الصريح لنصّ قطعي: خطوات الشيطان تبدأ بالخطوة الكبيرة على عكس الناس يوقع بها كل الذين هم خارج الإيمان وهي التنكّر لنصّ قطعي (هذه هي البداية) فإذا أطعت الشيطان بذلك فأنكرت نصّاً قطعياً ستنزلق إلى الهلاك يوماً بعد يوم . الله تعالى أمر إبليس بالسجود لآدم فاعترض إبليس وقال: أنا خير منه . وهذا ردّ الأمر على صاحب الأمر وهو تمرّد وعصيان واعتبار الأمر غير مشروع .

آدم ﷺ عصى ربه ثم تاب ﴿قَالَ رَبِّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: 23] واعترف بالتقصير وهذا من قوانين بني آدم ليضع نفسه أمام عفو الله تعالى ورحمته ورضاه. أما إبليس فقد عصى الله تعالى وردّ الأمر على صاحب الأمر ولم يعترف بخطئه لله تعالى ولكنه ردّ الأمر ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ [الإسراء: 61].

التشكيك والتبرير: يحاول أن يجد تبريراً لما فعله لكنه لا يجد. على سبيل المثال فرض الله صلاة الجمعة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الجمعة: 9] وكان هناك بعض الفرق لا تصلي الجمعة بحجج واهية. وهناك نص على حفظ آل بيت النبي ﷺ: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَنْ يَقَرَفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [الشورى: 23] ﴿لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: 33] جاءت فرقة النواصب تلعن آل البيت وتتهمهم مئة عام. وهناك من يلعن الأنصار والمهاجرين. وقد نزل فيهم آية صريحة تبين رضى الله تعالى عنهم ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنْ السَّابِقِينَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ سَبَّوْهُم بِأِحْسَنِ رِضَىٰ اللَّهِ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: 100]، ونهى الله تعالى عن أن تتهم السيدة عائشة رضي الله عنها ﴿يَعْظُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [النور: 17] ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ [النور: 12] ومع هذا هناك من يعتبر السيدة عائشة حاشاها مومس والعياذ بالله. وهناك كثير من النصوص الواضحة. وما من جماعة من المسلمين إلا من رحم ربي إلا ومنهم من يطعن بنص صريح وهناك من يلعن الأولياء كأنهم كفّار ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: 62]. وعلينا أن نمتحن أنفسنا فإذا كنا نسلّم بكل نصوص القرآن الكريم فإننا ناجون بإذن الله.

ومن خطوات إبليس الكبر ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِمَّنْ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾

[الأعراف: 12] جميع الذين عارضوا النبوات من إبراهيم عليه السلام إلى محمد عليه الصلاة والسلام قالوا: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَعَفَى اللَّهُ وَاللَّهُ عَنِّي حَمِيدٌ﴾ [التغابن: 6] وكل من يتبع خطوات الشيطان يصير شيطاناً والحجة كانت ﴿قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾ [يس: 15]، ﴿مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الشعراء: 154].

ترك المأمورات بها أكبر من فعل المنهيات عنها: ذنب آدم عليه السلام أنه فعل منهياً عنه، أما إبليس عليه اللعنة فقد ترك مأموراً به وعظم الذنب يُعرف بعظم العقوبة.

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس⁽¹⁾: الخاء والطاء والحرف المعتل والمهموز، يدلُّ على تعدي الشيء، والذَّهاب عنه. يقال: خَطَوْتُ أَخْطُو خَطْوَةً. والخُطْوَة: ما بين الرُّجْلين. والخَطْوَةُ المَرَّةُ الواحدة. والخَطَاءُ من هذا؛ لأنَّه مجاوزة حدِّ الصواب. يقال: أَخْطَأَ إِذَا تَعَدَّى الصَّوَابَ. وَخَطِيءٌ يَخْطَأُ. إِذَا أَذْنَبَ، وَهُوَ قِيَاسُ البَابِ؛ لأنَّه يترك الوجه الخَيْرَ.

قال الجوهري⁽²⁾: الخُطْوَةُ بالضم: ما بين القدمين، وجمع القلة خُطَوَاتٌ وخُطَوَاتٌ وخُطَوَاتٌ، والكثير خُطِيٌّ. والخُطْوَةُ بالفتح: المَرَّةُ الواحدة، والجمع خَطَوَاتٌ بالتحريك وخِطَاءٌ.

وقولهم في الدعاء إِذَا دَعَا لِلْإِنْسَانِ: خُطِيَّ عَنْهُ السُّوءُ، أَي: دُفِعَ عَنْهُ السُّوءُ. يقال: خُطِيَّ عَنْهُ أَي: أَمِيطَ. وَخَطَوْتُ وَاحْتَطَيْتُ بِمَعْنَى، وَأَخْطَيْتُ غَيْرِي: إِذَا

(2) الصحاح في اللغة.

(1) معجم مقاييس اللغة.

حملته على أن يخطو. وتخطيته: إذا تجاوزته. يقال: تخطيت رقاب الناس، وتخطيت إلى كذا.

قال الراغب⁽¹⁾: خَطَوْتُ أَخْطُو خَطْوَةً، أي: مرة، والخطوة ما بين القدمين. قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ [البقرة: 168]، أي: لا تتبعوه، وذلك نحو قوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ﴾ [ص: 26].

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ [البقرة: 168].

قال الزمخشري⁽²⁾: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ فتدخلوا في حرام، أو شبهة، أو تحريم حلال، أو تحليل حرام، و(من) للتبعيض؛ لأن كل ما في الأرض ليس بمأكول.

قال أبو السعود⁽³⁾: أي: لا تقتدوا بها في اتباع الهوى؟ فإنه صريح في أن الخطاب للكفرة، كيف لا وتحريم الحلال على نفسه تزهيداً ليس من باب اتباع خطوات الشيطان فضلاً عن كونه تقوُّلاً وافتراءً على الله تعالى، وإنما الذي نزل فيهم ما في سورة المائدة من قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا مُحَرَّمُوا طَيِّبَاتٍ مَّا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [المائدة: 87].

قال الشعراوي⁽⁴⁾: أي لا تسيروا وراء الشيطان، فالخطوة هي المسافة بين القدمين عند المشي، أي بين النقلة والنقلة، ولا تجعلوا الشيطان قائداً لكم؛ لأن الشيطان عداوته لكم مسبقة، ويجب أن تحتاطوا بسوء الظن فيه؛ فهو الذي عصى ربه؛ ولا يصح أن يطاع في أي أمر.

(3) إرشاد العقل السليم.

(1) مفردات الراغب.

(4) تفسير الشعراوي.

(2) الكشاف.

خفت

(خفت - ركز - غض - نجو)

- **الخَفْتُ**: كلام الإنسان الضعيف مع نفسه ﴿وَلَا يَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا يَخُافُ بِهَا﴾ [الإسراء: 110].
- **الرُّكُوزُ**: الصوت الخفيّ الهامس ﴿هَلْ يُحْسِنُ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ [مریم: 98].
- **العَضُّ**: التقصان من الصوت المرتفع ﴿وَأَعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ﴾ [القمان: 19].
- **النَّجْوَى**: أن تطلع الآخر على سرّك وأنتما في خلوة ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: 7].



شرح المعاني:

هذه منظومة خشوع الأصوات ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُمْ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه: 108] والخشوع هو شدة الانتباه. حينئذ كل من يشتد انتباهه لشيء ما يكون قد خشع له. وهذه المنظومة تتطلب من صاحبها أن يكون منتبهاً جداً إلى حد لا يمكن أن يشذ ذهنه أو يغيب عقله لأنها مقصودة قصداً ولا يمكن للكلمة أن تعطي معنى الكلمة الأخرى.

الخفت: ﴿وَلَا يَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا يَخُافُ بِهَا وَأَبْغَى بَيْنَ ذَلِكَ سَيْلًا﴾ [الإسراء: 110] ﴿يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا﴾ [طه: 103] الخفت: يعني الصوت الضعيف الذي يسبق السكون التام أو الموت. هذا الضعف الشديد يسمى خفوتاً وخفتاً قبل

الموت. والخفت يكون لعدة أسباب منها: الضعف أو المرض أو الخوف. ﴿يَخْفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا﴾ المجرمون هم المشركون يرون أن مصيرهم النار لا محالة، فتخيل أي رعب يتملكهم ولا يملكون من الخوف إلا أن يتكلم كل واحد منهم بضعف شديد (تخافت). كان الرسول ﷺ وبعض الصحابة يتخافتون في صلاة الليل حتى لا يوقظوا أهل البيت، ولو تخيلنا أن المدينة في ذلك الحين كانت كلها بمساحة المسجد النبوي الآن وفيها مئات البيوت المتجاورة وأي حديث بين اثنين يسمعه الجار فكان من المسلمين من يتخافت في صلاته حتى لا يسمعه أهل بيته فنزلت الآية ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: 110]. وقد يأتي التخافت عن تأمر كمجموعة ما تعد خطة تأمرية فيتكلمون مع بعضهم بصوت خفيف بحيث يسمعون بعضهم بشكل صعب كما في قصة أصحاب الجنة ﴿فَانطَلَفُوا وَهُمْ يَخْفَتُونَ﴾ [القلم: 23]. التخافت إذن هو شدة ضعف الصوت.

المناجاة: تخالف التخافت بشرط واحد هو أنك لا تفعل المناجاة بين الآخرين على عكس التخافت فهو أمام الناس (يتخافتون بينهم). أما المناجاة فتختلف عن التخافت في أنك بمعزل عن الآخرين. التخافت صار مناجاة لأن المتكلم في مكان لا يسمعه أحد كأن تناجي الله تعالى وليس معك أحد ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾ [التوبة: 78] والنجوى هي من سوء الأدب إلا مع الإمام أو رئيس الدولة أو وزير كأن يكون هناك أمر خطير يهم الأمة فتناجي الإمام وتهمس في أذنه فهذه مناجاة ولا تكون إلا في مصالح الناس ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَنَجَّوْا بِاللَّيْلِ وَالْعُدُونِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَجَّوْا بِاللَّيْلِ وَاللَّيْلِ وَاللَّيْلِ وَأَتَقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [المجادلة: 9] وفيما عدا هذا لا ينبغي أن يتناجي اثنان دون الآخرين كما في الحديث الشريف: «إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجا اثنان دون الثالث». إذن الخفت أمام الناس والمناجاة بينك وبين من تتناجى معه. ﴿فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ

مَوْتِفَا مِّنَ اللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَن أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِىَ أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لى وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿يوسف: 80﴾. هذا في غاية الأدب. وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَيْتَوَكَّلُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المجادلة: 10] لأنها تثير الريبة.

الغض: ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [لقمان: 19] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلنَّقَاةِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الحجرات: 3] الغض هو صوت خفي بكلام رقيق حنون لئلا يذود وهو دليل التواضع والذلة والود وهذا معنى الآية ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: 34] من يسيطر على مشاعره ونفسه وغرائزه العدوانية. والغض ليس خفض الصوت فقط ولكن إظهار الصوت بمنتهى الحنان واللفظ واللين كما في الحديث الشريف: «لين الكلام صدقة» وعندما وصف الرسول ﷺ قصور الجنة سأله الصحابة لمن هي يا رسول الله؟ فأجاب: «لمن أَلان الكلام وأفشى السلام وصلّى بالليل والناس نيام».

الهمس: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُٗ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه: 108] تحدث نفسك. كل خائف أو مهموم بقضية يحدث نفسه هذا يسمى الهمس. الخفت يكون أمام الناس والمناجاة بعيداً عن الناس والغض في منتهى التذلل والرحمة، والهمس كلام لا يفهمه السامع ﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه: 108] من خشوع الناس يوم القيامة أمام رب العالمين يحدث كل واحد نفسه بكلام ليس مفهوماً ولا مسموعاً من غيره. والهمس لغة هو: مضغ الطعام والضم مغلق.

الوحي: أن تحدث الآخر خفاء كالخفت والمناجاة والغض والهمس وبفرق واحد أنك لا تراه تسمعه لكن لا تعرف من المتحدث، يسمى وحيًا ﴿وَمَا كَانَ لِشَرِّ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَائِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيُّ

حَكِيمٌ ﴿[الشورى: 51] والوحي من الكلمات المشتركة في القرآن الكريم ولها معانٍ عديدة. والوحي يصدر من قوة خفية لا تراها وقد يكون من الشيطان أو الإشاعات التي تنتشر بين الناس لا يعرف أحد من أطلقها. ويمتاز الوحي بأنك لا تعرف من أوحى به ولا من صاحبه.

الحسيس: ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا أُشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾ [الأنبياء: 102] أصله صوت نقل الأقدام على الرمل حينئذ لا تعرف صاحب هذه الخطوات، على عكس وقع الخطى على مكان صلب فقد تميز بين خطى امرأة أو رجل أو ضعيف أو طفل أو عجوز. والحسيس حركة وطئ الأقدام على الرمل وكل صوت لحركة يسمى حسيساً كأفعى تمشي. والحسيس هو صوت من الإبهام بمكان لأنه فقط حركة شيء والحسيس جماع حركة الأشياء (مثلاً يقال: وجيف لللهثان وحفيف لأوراق الشجر) كل كلمات حركة الأشياء تجمعها كلمة الحسيس.

الركز: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّن قَرْنٍ هَلْ يُحِشُّ مِنْهُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَوْ سَمِعَ لَهُمْ رِكْزًا﴾ [مريم: 98] كل ما مضى من أنواع الكلام الخافت الغض الموحى به ينطبق على هذه الكلمة إلا أن الرکز لا بد أن ينطلق من داخل الأرض من عمق، كأن يقع الإنسان في بئر أو في قبر فقد يستيقظ بعد دفنه (كما في بعض الحالات التي لا يتأكد فيها من وفاة الشخص) فيصرخ بصوت خافت هامس ولأنه من تحت الأرض يسمى ركزاً. والركاز في اللغة هو: المدفون في الأرض. ولو استطعنا سماع الذين هلكوا في قبورهم لكان ركزاً ولما كان كلاماً.

الخفت والوحي: كل منهما ملازم للآخر وكل خفت وراءه وحي لأن الخفت أساس التآمر والتآمر ينتج عنه الشائعات. ويجب أن يكون العدو منصفاً لعدوه ومن حق العدو أن يفعل ما يشاء طالما هو عدوك ولا يجب أن تلومه على ما يفعل لأنه يأخذ بأسباب نصرته، لكن عليك أنت أن تفعل بالمثل لكي يتحقق نصرك. المهزوم وحده هو الذي يصب جام غضبه على عدوه عليك أن تأخذ حذرك.

الوحي في القرآن الكريم كلمة عجيبة لها عدة معانٍ:

التخافت والتأمر يؤدي إلى الوحي ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غَرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرَهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: 112] فالمقولات التي تبين كذبها ولا يعرف صاحبها فهي وحي .

توجيه الغريزة للمخلوقات غير الواعية كالوحي إلى النحل ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّعْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ [النحل: 68].

الإشارة الخفية ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: 11] تحدي الطاقة الوظيفية لكل المخلوقات كالحيوانات والنبات ﴿فَقَضْنَهُنَّ سَبَّ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنٍ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَرَبَّنَا أَسْمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [فصلت: 12] حدّد وظيفتها خفية بدون أن تعرف كيف استطاعت المخلوقات أن تفعل ما تفعله .

الإلهام الخفي: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِثِ أَنْ ءَامِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا ءَامَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [المائدة: 111].

الرؤيا الصالحة ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ﴾ [طه: 38] ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَاِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: 7].

التأمر الخفي الذي لا تعرف صاحبه وقائله ﴿وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيَوْحُونَ إِلَيْكَ أَوْلِيَاءِهِمْ لِيُجَدِّلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: 121]. ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غَرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرَهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: 112].

ما من شخص أو جماعة أو دولة أو أمة يكون لها عدو إلا وتنشط، فوجود عدو لك هو من أسباب نشاطك ومنعتك ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [الأنفال: 60]

الأمن والمخابرات والتعليم فعليك أن تقوي نفسك أمام عدوك ولو لم يكن لك عدو لترهلت. الدين عندما يمر بأزمة فهو ينشط نشاطاً عظيماً وعندما تصبح الأمة الإسلامية في أوجها يكثر فيها الترف السفيه الذي لا يليق بأمة تعلم أن الله تعالى يوماً آخر.

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس⁽¹⁾: الخاء والفاء والتاء أصلٌ واحدٌ، وهو إسرارٌ وكتمان. فالحَفْتُ: إسرار النُّطق. وتخافتَ الرَّجُلَانِ. قال الله تعالى: ﴿يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ﴾ [طه: 103].

قال الجوهري⁽²⁾: حَفَتَ الصوتُ حُفوتاً: سكن. ولهذا قيل للميت: حَفَتَ، إذا انقطع كلامه وسكت؛ فهو خافِتٌ. وحَفَتَ حُفَاتاً، أي: مات فجأةً. والمُخَافَتَةُ والتَّخَافُتُ: إسرارُ المنطق. والحَفْتُ مثله.

قال الفيروزآبادي⁽³⁾: حَفَتَ حُفوتاً: سَكَنَ وسَكَّتَ، وحَفَتَ حُفَاتاً: مات فجأةً. والحَفْتُ: إسرارُ المنطق، كالمُخَافَتَةِ والتَّخَافُتِ. والحَفْتُ، وبالضم: السَّدَابُ.

والخَافِتُ: السَّحَابُ ليس فيه ماءٌ، وزرْعٌ لم يَظُلْ. والحَفُوتُ: المرأةُ المَهزولةُ، أو التي تُسْتَحَسَنُ وحدها، لا بين النساءِ. وأخَفَتِ الناقَةُ: نُتِجَتْ لِيَوْمٍ مَلْفَحِهَا.

وحُفْتَيَانِ، بالضم: قَلْعَتَانِ بِإِزْبِلَ.

(3) القاموس المحيط.

(1) معجم مقاييس اللغة.

(2) الصحاح في اللغة.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ﴾ [طه: 103].

قال الفخر الرازي⁽¹⁾: يتخافتون أي: يتسارون. يقال: خفت يخفت وخافت مخافتة والتخافت السرار وهو نظير قوله تعالى: ﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه: 108] وإنما يتخافتون لأنه امتلأت صدورهم من الرعب والهول، أو لأنهم صاروا بسبب الخوف في نهاية الضعف فلا يطيقون الجهر.

قال أبو السعود⁽²⁾: وقوله تعالى: ﴿يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ﴾ أي: يخفضون أصواتهم ويخفونها لما يملأ صدورهم من الرعب والهول، استئناف بيان ما يأتون وما يذرون حينئذ، أو حالاً أخرى من المجرمين أي يقول بعضهم لبعض بطريق المخافتة.

قال الألوسي⁽³⁾: ﴿يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ﴾ أي: يخفضون أصواتهم ويخفونها لشدة هول المطلع، والجملة استئناف لبيان ما يأتون وما يذرون حينئذ أو حال أخرى من المجرمين [طه: 102].

● قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ﴾ [الإسراء: 110].

قال ابن عاشور⁽⁴⁾: وأما قوله تعالى: ﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ فالمقصود منه الاحتراس لكيلا يجعل دعاءه سراً أو صلاته كلها سراً فلا يبلغ أسماع المتهيين للاهتداء به، لأن المقصود من النهي عن الجهر تجنب جهر يتوهم منه الكفار تحككاً أو تطاولاً كما قلنا.

والجهر: قوة صوت الناطق بالكلام. والمخافتة مفاعلة: من خفت بكلامه،

(3) روح المعاني.
(4) التحرير والتنوير.

(1) التفسير الكبير.
(2) إرشاد العقل السليم.

إذا أسر به . وصيغة المفاعلة مستعملة في معنى الشدة، أي لا تُسرّها . وقوله :
 (ذلك) إشارة إلى المذكور، أي الجهر والمخافتة المعلومين من فعلي (تجهر -
 وتخافت) أي اطلب سبيلاً بين الأمرين ليحصل المقصود من إسماع الناس القرآن
 وينتفي توهم قصد التناول عليهم .

قال السجستاني⁽¹⁾ : ﴿مُخَافَتٌ بِهَا﴾ : أي تخفها .

قال أبو حيان⁽²⁾ : (ولا تخافت) بصلاة الليل . وقال ابن زيد: معنى الآية
 على ما يفعله أهل الإنجيل والتوراة من رفع الصوت أحياناً فيرفع الناس معه ،
 ويخفض أحياناً فيسكت الناس خلفه انتهى . كما يفعل أهل زماننا من رفع الصوت
 بالتلحين وطرائق النغم المتخذة للغناء .



(2) البحر المحيط .

(1) نزهة القلوب .

خفض

(خفض - خفّ - حطّ - نزل)

- **الْخَفْضُ:** إنزال المكانة العالية بعد أن كانت رفيعة ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ [الواقعة: 1-3] أي ترفع مكانة الدليل وتخفض مكانة العظيم والعزیز.
- **التَّخْفِيفُ:** تحلية العمل في عيون العاملين باختصاره ﴿أَلَنْ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾ [الأنفال: 66].
- **الْحَطُّ:** إنزال الشيء من علو ﴿وَادْخُلُوا أَبْطَابَ سُجْدًا وَفُولُوا حِطَّةً نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ﴾ [البقرة: 58].
- **الإنزال:** والتنزيل انحطاط من علو ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾ [الكهف: 1].

النصوص اللغوية:

قال الجوهري⁽¹⁾: **الْخَفْضُ:** الدَّعَةُ. يقال: عِشُّ خَافِضٌ. وهم في خَفْضٍ من العيش. و**الْخَفْضُ السَّيْرُ اللِّينُ**، وهو ضدُّ الرُّفْعِ. يقال: بيني وبينك ليلَةٌ خَافِضَةٌ، أي: هيئَةُ السَّيْرِ وَخَفَضْتُ الجاريةَ، مثل خَتَنْتُ الغلامَ وَاخْتَفَضْتُ هي. و**الخَافِضَةُ:** الخاتِئَةُ. وَخَفَضُ الصوتِ: غَضُّهُ. يقال: خَفَضَ عَلَيْكَ القولَ،

(1) الصحاح في اللغة.

وَحَفُّضٌ عَلَيْكَ الْأَمْرُ، أَي: هَوْنٌ. وَالْحَفُّضُ وَالْجَرُّ وَاحِدٌ، وَهُمَا فِي الْإِعْرَابِ بِمَنْزِلِ الْكَسْرِ فِي الْبِنَاءِ فِي مُوَاضِعَاتِ النُّحَوِيِّينَ. وَالْإِنْخِفَاضُ: الْإِنْحِطَاطُ. وَاللَّهُ يَخْفِضُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْفَعُ، أَي: يَضَعُ.

قال الفيروزآبادي⁽¹⁾: الْحَفُّضُ: الدَّعَةُ، وَعَيْشٌ خَافِضٌ، وَقَدْ خَفُّضَ، كَكْرُمَ، وَالسَّيْرُ اللَّيِّنُ، ضِدُّ الرَّفْعِ، وَبِمَعْنَى الْجَرِّ فِي الْإِعْرَابِ، وَغَضُّ الصَّوْتِ. وَالْخَافِضُ فِي الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى: مَنْ يَخْفِضُ الْجَبَّارِينَ وَالْفِرَاعِنَةَ وَيَضَعُهُمْ. وَخَفُّضٌ بِالْمَكَانِ يَخْفِضُ: أَقَامَ. وَالْخَافِضَةُ: التَّلْعَةُ الْمُظْمِئَةُ، وَالْخَاتِنَةُ. وَخَفِضَتِ الْجَارِيَةُ: كُحِتِنِ الْغُلَامَ، خَاصٌّ بِهِنَّ. وَ﴿خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ﴾ أَي: تَرْفَعُ قَوْمًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَتَخْفِضُ قَوْمًا إِلَى النَّارِ. وَهُوَ خَافِضُ الطَّيْرِ، أَي: وَقُورٌ. ﴿وَإِخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ [الإسراء: 24]: تَوَاضَعْ لَهُمَا، أَوْ مِنَ الْمَقْلُوبِ، أَي: جَنَاحَ الرَّحْمَةِ مِنَ الذُّلِّ.

و«يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ». يَسْطُ لِمَنْ يَشَاءُ، وَيَقْدِرُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ. وَأَرْضٌ خَافِضَةٌ السُّقْيَا: سَهْلَةٌ السَّقْيِ.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿وَإِخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ﴾ [الإسراء: 24].

قال الفخر الرازي⁽²⁾: ﴿وَإِخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ والمقصود منه المبالغة في التواضع، وذكر القفال رحمه الله في تقريره وجهين: الأول: أن الطائر إذا أراد ضم فرخه إليه للتربية خفض له جناحه، ولهذا السبب صار خفض الجناح كناية عن حسن التربية، فكأنه قال للولد: اكفل والديك بأن تضمهما إلى نفسك

(2) التفسير الكبير.

(1) القاموس المحيط.

كما فعلا ذلك بك حال صغرك. والثاني: أن الطائر إذا أراد الطيران والارتفاع نشر جناحه وإذا أراد ترك الطيران وترك الارتفاع خفض جناحه. فصار خفض الجناح كناية عن فعل التواضع من هذا الوجه.

قال أبو السعود⁽¹⁾: عبارة عن إلانة الجانب والتواضع والتذلل لهما، فإن إعزازهما لا يكون إلا بذلك فكأنه قيل: وخفض لهما جناح الذليل أو جعل لذه جناح.

قال الشعراوي⁽²⁾: ﴿وَخَفِضْ﴾: الخفض ضد الرّفْع.

● قال تعالى: ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ [الواقعة: 3].

قال ابن عاشور⁽³⁾: خبران لمبتدأ محذوف ضمير ﴿الْوَاقِعَةُ﴾ [الواقعة: 1]، أي: هي خافضة رافعة، أي: يحصل عندها خفض أقوام كانوا مرتفعين ورفّع أقوام كانوا منخفضين، وذلك بخفض الجبابة والمفسدين الذين كانوا في الدنيا في رفعة وسيادة، ويرفع الصالحين الذين كانوا في الدنيا لا يعباون بأكثرهم، وهي أيضاً خافضة جهات كانت مرتفعة كالجبال والصوامع، رافعة ما كان منخفضاً بسبب الانقلاب بالرجات الأرضية. وإسناد الخفض والرفع إلى الواقعة مجاز عقلي إذ هي وقت ظهور ذلك. وفي قوله: ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ محسن الطباق مع الإغراب بثبوت الضدين لشيء واحد.

قال الخازن⁽⁴⁾: ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ أي: تخفض أقواماً إلى النار وترفع أقواماً إلى الجنة. وقال ابن عباس: تخفض أقواماً كانوا في الدنيا مرتفعين وترفع أقواماً كانوا في الدنيا مستضعفين، وقيل: تخفض أقواماً بالمعصية وترفع أقواماً بالطاعة. قال الطنطاوي⁽⁵⁾: ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ أي: هي خافضة للأشقياء إلى أسفل الدرجات، وهي رافعة للسعداء إلى أعلى الدرجات.

(1) إرشاد العقل السليم.

(2) تفسير الشعراوي.

(3) التحرير والتنوير.

(4) لباب التأويل.

(5) الوسيط في تفسير القرآن.

والخفض والرفع يستعملان عند العرب في المكان والمكانة. وفي العز والإهانة... ونسب - سبحانه - الخفض والرفع إلى القيامة على سبيل المجاز. والمقصود بالآية الكريمة ترغيب الصالحين في الازدياد من العمل الصالح، لترفع منزلتهم يوم القيامة، وترهيب الفاسقين من سوء المصير الذي ينتظرهم، إذا ما استمروا في فسقهم وعصيانهم. وعلى هذا يكون المقصود بالآية: التهويل من شأن يوم القيامة، حتى يستعد الخلق لاستقباله، بالإيمان والعمل الصالح، حتى لا يصيبهم فيه ما يصيب العصاة المفسدين، من خزي وهوان.



خف

(خَفَّ - حَطَّ - خَفَضَ)

- **التَّخْفِيفُ:** تحلية العمل في عيون العاملين باختصاره ﴿الَّذِينَ خَفَفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلَّمَ آتٍ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾ [الأَنْفَالُ: 66].
- **الْحَطُّ:** إنزال الشيء من علو ﴿وَادْخُلُوا أَبْوَابَ سُجْدًا وَقُولُوا حِطَّةً نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ﴾ [البَقَرَةُ: 58].
- **الْخَفْضُ:** إنزال المكانة العالية بعد أن كانت رفيعة ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ [البَقَرَةُ: 1-3] أي: ترفع مكانة الدليل وتخفض مكانة العظيم والعزيز.



شرح المعاني:

هذه منظومة اللطف الإلهي وهي المنظومة الذهبية من حيث أنها من خصوصيات هذه الأمة ومكانتها عند الله عز وجل. ومن لطف الله تعالى بهذه الأمة أن ميّز شرعها وشريعته بالتخفيف والتيسير وتهوين الأمور واللين في التعامل، وهذا لا تجده مع بقية الأمم فشدد عليهم حتى أنه طلب من بعضهم قتل أنفسهم إذا أرادوا أن يتوب عليهم ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ لَكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِتَّخَذْتُمْ أَنْفُسَكُمْ إِعْجَلًا فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البَقَرَةُ: 54] بينما هذه الأمة فالله تعالى وعد بأن

نبيهم ﷺ سيأتي ويرفع عنهم إصرهم وقال ﷺ: «إنما بُعثت ميسراً» و«بعثت بالحنيفية السمحاء».

خفف والتخفيف: إنقاص الكمّ الفعلي أو المادي. شيء ثقيل حملة ثقيل ينقص منه حتى يصبح خفيفاً فيسمى تخفيفاً ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: 28]، ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَرَضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [الأنفال: 65]، طلب الله تعالى من الأمة إذا فرضت الحرب من أعدائهم أن تكون الكفة بين المتحاربين غير متوازنة بأن يكون عشرون يغلبوا مئتين فالله تعالى خفف عنهم فجعل مقابل كل واحد اثنين ﴿الْفَنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفِينَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: 66].

التيسير: التيسير ليس في الكمّ ولكنه في الكيف. الصلاة كانت خمسون أول ما فرضت وفي كل مرة كان الرسول ﷺ يطلب من رب العالمين أن يخفف عن أمته، فخففها تعالى حتى صارت خمس صلوات. هذا هو التخفيف المادي من خمسين إلى خمس، أما التيسير فهو هذه الخمس صلوات كيف تؤديها؟ وهل شرط علينا تعالى حداً دقيقاً لا بد من اتباعه ولا يمكن أن تحيد عنه وإلا هلكت؟ كلا إنما تصلي قائماً وقاعداً ومضطجعاً، وشرع تعالى صلاة السفر والقصر والجمع وصلاة الخوف وجعل أداء الصلاة في غاية السهولة فهذا يسمى تيسيراً ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ أَنْ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: 185] فالتخفيف كمّ والتيسير كيف.

التهوين: ﴿إِذْ تَلَقَوْنَهُ بِآيَاتِنَا وَقُلْتُمْ يَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هِينًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور: 15] ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ

وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿27﴾ [الرُّوم: 27] إنقاص في الاهتمام والأهمية. شيء أنت كنت مهتماً به اهتماماً عظيماً يأخذ وقتك وتفكيرك فقال تعالى: هوّن عليك، فالأمر أهون من ذلك وقلل من أهميته أو من اهتمامك به معنى ذلك أن التهوين الذي يكون قريباً من الدّلّ العبقري المشروع كأن تهون أمام والديك أو معلمك تتضاءل أمامهم بحيث لا يكون لك أهمية أمامهم، تواضع ورقة ورفق كما وصف تعالى عباد الرحمن ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: 63] لا يشعر بهم أحد. وقال ﷺ: «المؤمن هينّ لئّن» لا تكاد تشعر به ولهذا يقول ﷺ في دعائه: «واقسم لنا من اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا» تأمل لو أصابت الإنسان مصيبة كم يكون اهتمامه بها عظيماً وأهميتها عظيمة، فالله تعالى بدعاء الرسول ﷺ يرزقه الله تعالى من اليقين ما يهون عليه المصيبة ويجعلها بلا أهمية. عندما نزل القرآن على الرسول ﷺ أمره تعالى أن يقرأ القرآن على أمته على حرف، أي: قراءة واحدة لا تخرج عنها حرفاً واحداً ولا كلمة واحدة. وفي الحديث أن أبيّ وهو من أعظم قرّاء الصحابة أن رسول الله ﷺ قال: «إن ربي تبارك وتعالى أرسل إليّ أن أقرأ القرآن على حرف فرددت إليه أن هوّن على أمتي فأرسل إليّ أن أقرأه على حرفين فرددت إليه أن هوّن على أمتي فأرسل إليّ أن أقرأه على سبعة أحرف ولك بكل ردة مسألة تسألنيها قلت: اللهم اغفر لأمتي ثم اغفر لأمتي وادّخرت الثالثة ليوم يرغب إليّ فيه الخلق حتى إبراهيم عليه السلام».

فلو قرئ القرآن على حرف لما استطاع كثير من المسلمين ذلك، وإنما قرئ على سبعة أحرف فتستطيع أن تقرأ القرآن بأيّ منها، ما لم تضع آية رحمة مكان آية عذاب أو آية عذاب مكان آية رحمة. في الحديث: «أحبّ حبيبك هوناً ما عسى أن يكون عدوك يوماً ما وأبغض عدوك هوناً ما عسى أن يكون حبيبك يوماً ما» ويقول ﷺ: «حرّم على النار كل هينّ لئّن سهل قريب» والهينّ هو الذي لا يتكبر على الناس. وكان ﷺ يتحدث عن ملوك الجنة فقال: «كل أشعث أغبر ذي طمرين مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبرّه» مسكين متواضع هينّ في غاية الهون.

وهناك هون محمود وهو التواضع، وهناك الهوان وهو مذموم إلا في الهوان المشروع كالهوان للأبوين. وفي الحديث: «لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم بغير حق».

الهيّن إذن هو رجل أو شيء لا يثير فيك اهتماماً عظيماً أو أهمية عظيمة. والتهوين هو أن تجعل الشيء العظيم لا يؤبه له في الشكل الذي في ذهنك، فالمؤمن هيّن على هذا الشكل. لذلك عندما يُفجع الإنسان في أمر ما يقال له: هون عليك. مرّ الرسول ﷺ بقبرين يعذبان، أحدهما كان يمشي بالنميمة والآخر كان لا يتنزه من بوله، فوضع سعفاً من النخل على القبرين وقال: «يهون عليهما ما لم يببسا». والكفار لهم عذاب الهون فيه عذاب شديد ومشقة وإهانة عظيمة.

اللين: النقص في المعارضة الغليظة عندما يُخطئ الآخر. أحد سرق مالك مثلاً فثار غضبك، فإذا تلقيت هذا السارق في غاية اللطف واستليت من قلبه كل خوف فهذا هو اللين. وفي الحديث: «لين الكلام صدقة» فلو أساء أحدهم إليك فقلت: سامحك الله فهذا من اللين. تكلم ﷺ عن غرفات الجنة بشكل تعشقه العقول السليمة فسأله الصحابة: لمن هذه القصور؟ فقال: «لمن ألان الكلام وأفشى السلام». وفي قصة يوسف ﷺ قال لإخوته بعد كل ما فعلوه به ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: 92]. ومحنة الرسول ﷺ في غزوة أحد ومخالفة الرماة لأوامره ﷺ وبقاؤه وحده مع بعض الصحابة ومنهم أم عمارة وجرح ﷺ وهزم المسلمون، مع هذا كله لم يغضب ﷺ وكان ليناً معهم وما انتقم لنفسه أبداً. وكان ينزل ﷺ على رأي الآخرين ما لم يكن إثماً ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: 159]. والفظاظة عكس اللين.

هذه المجموعة هي المنظومة الذهبية؛ الله تعالى ييسر لهم ويخفف عنهم ويهون عليهم ويلين لهم القلوب والناس.

الأسباب التي من أجلها أصدر الله تعالى هذه الإرادات الكريمة الذهبية التي جعلها الله تعالى مع هذه الأمة دون سائر الأمم:

﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذَيِّبَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنْنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾ [النساء: 26-28].

﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: 185]، ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾﴾ [الشرح: 5-6] ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: 159].

ليس على وجه الأرض أمة واحدة تقول: أنت ربي لا إله إلا أنت، إلا أمة الإسلام. برغم ما هي عليه الأمم الأخرى من العظمة والقوة والحضارة والاختراعات، وما قدموه للكون من العلوم والتقنيات. لكن تبقى القضية الرئيسية هي التوحيد وبدونها لا أمل ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: 116] فجواز السفر إلى الجنة هو كلمة التوحيد مصداقاً بها قلبك. وما من أمة تحسن التوحيد وتمحصه وهو حاجتها في كل شيء إلا أمة الإسلام وهي أمة الله تعالى وحدها. فالمسلمون هم الوحيدون الذين يصلون ويصومون ويحجون ويصلون الأرحام ويحسنون الجوار ويبرون الوالدين ويتلطفون بالأعداء ويسامحونهم دون حقد ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران: 110] بهذا التوحيد تحقن دمك وتصبح من عباد الله تعالى لا من عباده وأنت مختار. قال الرسول ﷺ: «لا أخشى عليكم أن تشركوا بعدي أبداً» أما باقي الأمم فهي تغير دينها كما تغير ملابسها. فهذه أمة مرحومة مباركة كما قال ﷺ: «إن أمتي هذه أمة مرحومة لا عذاب عليها في الآخرة عجل الله عذابها في الدنيا الزلازل والقتل»

وقال تعالى: ﴿وَلَنْبَلُوكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: 155].

الأمم تقارن بحضاراتها والتزاماتها، وما من أمة على وجه الأرض خير من أمة الإسلام من حيث مصدرها. ولا ننكر أن هناك أمماً كثيرة فيها إخلاص في العمل وفيها عدل كثير، لكن منطلق هذا كله ليس من عند الله تعالى على عكس المسلمين ﴿وَالرَّسُخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: 7] هذا الإبداع لا قيمة له عند الله تعالى إلا إذا انطلق من مبدأ توحيد الله عز وجل. وسوف تبقى خير أمة من حيث كتابها وشرعها وحضارتها والتزامها مهما مرّت به من ضعف وهذا من قوانين الكون. من أجل هذا خصّ الله تعالى هذه الأمة بالرحمة والتخفيف والتهوين والتيسير، لذا لا عذر لمسلم أن يدخل النار. وعد الله تعالى أن كل مصلٍّ لا بد أن تكون حسناته أكثر من سيئاته لأن الصلاة تكفر الذنوب. وحديث الرسول ﷺ: «أرأيتم إن كان بباب أحدكم نهر...» وعلى المسلمين أن يحذروا الغيبة لأنها تأكل الحسنات.

سأل أحد الخلفاء أبو أمامة فقال: علّمني ألين كلمة سمعتها من رسول الله ﷺ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ألا كلّمكم يدخل الجنة إلا من شرد على الله شراد البعير على أهله». وفي الحديث عن أهل اليمن: «أهل اليمن هم ألين قلوباً وأرق أفئدة» «الإيمان يمان».

التخفيف والتيسير جماع هذه الأمة ولو استعرضنا النصوص في التخفيف لوجدناها عجيبة. والرسول ﷺ كان يغضب غضباً عظيماً إذا كان هناك من لا يخفف عن الأمة وقد قال ﷺ: «إن فيكم قوماً فتانين». وعن عثمان بن أبي العاص: آخر ما عهد إليّ النبي ﷺ: «إذا أمّيت قوماً فأخف بهم الصلاة فإذا صليت لنفسك صلّ كما تشاء». وعن أبو محجن قال: أقبلت مع رسول الله حتى إذا كنا بباب المسجد إذا رجل يصلي يسجد ويركع ويسجد ويركع فلما سأله عنه ﷺ أخبره أنه من أحسنهم فقال ﷺ: «إنكم أمة أريد بكم اليسر».

التلين: في الحديث الشريف عنه ﷺ: «إذا بلغ العبد المؤمن أربعين سنة وقاه الله أنواع البلايا الجنون والجذام والبرص، إذا بلغ الخمسين ليين الله له في الحساب، فإذا بلغ الستين رزقه الله الإنابة إليه بما يحبه الله فإذا بلغ السبعين أحبه الله وأحبه أهل السماء فإذا بلغ الثمانين غفر الله ذنوبه فإذا بلغ التسعين غفر الله له ما تقدم وما تأخر وشفّعه في أهل بيته وسُمي عتيق الرحمن في الأرض وفي رواية أسير الرحمن في الأرض».

وتقول السيدة عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أنه ﷺ كان يترك العمل وهو يحب أن يعمله خشية أن يستنّ به الناس .

وعن أبي سعيد الخدري قيل لرسول الله ﷺ: يوماً كان مقداره خمسين ألف سنة ما أطول هذا اليوم يا رسول الله؟ فقال ﷺ: «والذي نفسي بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصلها في الدنيا».

ويقول ﷺ عندما كان يرى الناس يطيلون الصلاة: «يا أيها الناس إن منكم منفرين فأياكم صلّى في الناس فليخفف فإن فيهم الضعيف والكبير وذا الحاجة».

التيسير: قال: ﷺ «ما منكم واحد إلا وقد علم مكانه في الجنة أو النار» قالوا: فلم العمل يا رسول الله، قال: «لا، اعملوا فكل ميسر لما خُلِق له» حينئذ هذا العمل هو الذي يستدرج هذه النتيجة. الله تعالى يعلم أن فلاناً سيبدأ سيئاً وينتهي حسناً أو العكس وكل ذلك بأسباب، وهو تعالى يهيئ لك على قدر ما في نفسك من الصلاح. «يؤتى برجل يوم القيامة فيقول الله عز وجل: انظروا في عمله فيقول: رب ما كنت أعمل خيراً غير أنه كان لي مالاً وكنت أخالط الناس فمن كان موسراً يسرت عليه ومن كان معسراً أنظرته إلى ميسرة قال تعالى: أنا أحق من يسر غفرت لعبدي».

أسباب التيسير عجيبة والله تعالى عنده أسباب النجاة. والله تعالى يسر على الناس وهناك أعمال تسمى الواحدة كالمومس التي سقت كلباً والبارّ بالديه والذي يسامح في البيع وكاظم الغيظ، ومن ضمنها تاجر يسامح الناس ويسهل الأمور.

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس⁽¹⁾: الخاء والفاء أصلٌ واحد، وهو شيءٌ يخالف الثَّقل والرَّزانة. يقال: خَفَّ الشيءُ يَخِفُّ خِفَّةً، وهو خَفِيفٌ وخُفَافٌ. ويقال: أَخَفَّ الرَّجُلُ: إذا خَفَّتْ حاله. وَأَخَفَّ: إذا كانت دابَّته خَفِيفَةً. وخَفَّ القَوْمُ: ارتحلوا. فأما الخُفُّ فمن الباب لأنَّ الماشي يَخِفُّ وهو لا يَسُه. وخُفُّ البعير منه أيضاً. وأما الخُفُّ في الأرض وهو أطول من النَّعل فإنه تشبيهُ. [و] الخُفُّ: الخَفِيف.

فأما أصوات الكلاب فيقال لها الخُفُفَةُ، فهو قريبٌ من الباب.

قال ابن منظور⁽²⁾: الخِفَّةُ والخِفَّةُ: ضدُّ الثَّقَلِ والرُّجُوحِ، يكون في الجسم والعقل والعمل. خَفَّ يَخِفُّ خَفًّا وخِفَّةً: صار خَفِيفاً، فهو خَفِيفٌ وخُفَافٌ، بالضم وقيل: الخَفِيفُ في الجسم، والخُفَافُ في التَّوَقُّدِ والذِّكَا، وجمعها خُفَافٌ.

والخُفُّ: خُفُّ البعير، وهو مَجْمَعُ فَرَسِ البعير والناقة، تقول العرب: هذا خُفُّ البعير وهذه فَرَسُهُ. وفي الحديث: لا سَبَقَ إلا في خُفِّ أو نَصْلِ أو حافر، فالخُفُّ الإبل ههنا، والحافر الخيل، والنصلُ السهمُ الذي يُرمى به، ولا بدَّ من حذف مضاف، أي لا سَبَقَ إلا في ذي خفِّ أو ذي حافرٍ أو ذي نَصْلِ.

قال الراغب⁽³⁾: الخَفِيفُ: بإزاء الثَّقِيلِ، ويقال ذلك تارة باعتبار المضايقة بالوزن، وقياس شيئين أحدهما بالآخر، نحو: درهم خَفِيفٌ، ودرهم ثَقِيلٌ. والثاني: يقال باعتبار مضايقة الزمان، نحو: فرس خَفِيفٌ، وفرس ثَقِيلٌ: إذا عدا أحدهما أكثر من الآخر في زمان واحد. الثالث: يقال خَفِيفٌ فيما يستحليه الناس، وثَقِيلٌ فيما يستوخمه، فيكون الخَفِيفُ مدحاً، والثَقِيلُ ذمّاً، ومنه قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ﴾ [الأنفال: 66]، ﴿فَلَا يُخَفِّفُ عَنْهُمْ﴾ [البقرة: 86].

(3) مفردات الراغب.

(1) معجم مقاييس اللغة.

(2) اللسان.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿أَلَنْ خَفَّ اللَّهُ عَنْكُمْ﴾ [الأنفال: 66].

قال الألوسي⁽¹⁾: ومن هنا قال النصرآبازي: إن هذا التخفيف كان للأمة دون رسول الله ﷺ فإنه الذي يقول: بك أصول وبك أحول، وتقييد التخفيف بالآن ظاهر وأما تقييد علم الله تعالى به فباعتبار تعلقه، وقد قالوا: إن له تعلقاً بالشيء قبل الوقوع وحال الوقوع وبعده، وقال الطيبي: المعنى الآن خفف الله تعالى عنكم لما ظهر متعلق علمه أي كثرتكم التي هي موجب ضعفكم بعد ظهور قلتكم وقوتكم.

قال ابن عاشور⁽²⁾: أنزل الله ﴿أَلَنْ خَفَّ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾ فعبأ لكل رجل من المسلمين رجلين من المشركين، فهذا حكم وجوب نسخ بالتخفيف الآتي، قال ابن عطية: وذهب بعض الناس إلى أن ثبوت الواحد للعشرة إنما كان على جهة ندب المؤمنين إليه ثم حطَّ ذلك حين ثقل عليهم إلى ثبوت الواحد للثنتين.

فمعنى قوله: ﴿أَلَنْ خَفَّ اللَّهُ عَنْكُمْ﴾ أن التخفيف المناسب ليُسْر هذا الدين روعي في هذا الوقت، ولم يراع قبله لمانع منَع من مراعاته فرُجِح إصلاح مجموعهم.

● قال تعالى: ﴿حَمَلَتْ حَمَلًا خَفِيًّا﴾ [الأعراف: 189].

قال الزمخشري⁽³⁾: ﴿حَمَلَتْ حَمَلًا خَفِيًّا﴾ خَفَّ عليها، ولم تلق منه ما يلقي بعض الحبالى من حملهن من الكرب والأذى، ولم تستثقله كما يستثقلنه. وقد

(3) الكشاف.

(1) روح المعاني.

(2) التحرير والتنوير.

تسمع بعضهن تقول في ولدها: ما كان أخفه على كبدي حين حملته ﴿فَمَرَّتْ بِهِ﴾ فمضت به إلى وقت ميلاده من غير إحداج ولا إزلاق وقيل: ﴿حَمَلَتْ حَمَلًا خَفِيًّا﴾ يعني النطفة.

قال الطبري⁽¹⁾: وقوله: ﴿حَمَلَتْ حَمَلًا خَفِيًّا﴾ يعني بخفة الحمل: الماء الذي حملته حواء في رحمها من آدم أنه كان حملاً خفيفاً، وكذلك هو حمل المرأة ماء الرجل خفيف عليها.

● قال تعالى: ﴿فَأَسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاطَاعُوهُ﴾ [الزخرف: 54].

قال الفخر الرازي⁽²⁾: أي طلب منهم الخفة في الإتيان بما كان يأمرهم به فأطاعوه.

قال القرطبي⁽³⁾: قيل: استفزهم بالقول فأطاعوه على التكذيب. وقيل: استخف قومه أي: وجدهم خفاف العقول. وهذا لا يدل على أنه يجب أن يطيعوه، فلا بد من إضمار بعيد تقديره وجدهم خفاف العقول فدعاهم إلى الغواية فأطاعوه. وقيل: استخف قومه وقهرهم حتى اتبعوه؛ يقال: استخفه خلاف استثقله، واستخف به أهانه.

قال الراغب⁽⁴⁾: أي: حملهم أن يخفوا معه، أو وجدهم خفافاً في أبدانهم وعزائمهم، وقيل: معناه وجدهم طائشين.

● قال تعالى: ﴿وَلَا يَسْتَخَفُّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الرؤم: 60].

قال الزمخشري⁽⁵⁾: أي: لا يفتنك فيملكوك ويكونوا أحق بك من المؤمنين.

قال القرطبي⁽⁶⁾: ﴿وَلَا يَسْتَخَفُّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ أي: بل اثبت على ما

- | | |
|---------------------------|---------------------------|
| (1) جامع البيان. | (4) مفردات الراغب. |
| (2) التفسير الكبير. | (5) الكشاف. |
| (3) الجامع لأحكام القرآن. | (6) الجامع لأحكام القرآن. |

بعثك الله به، فإنه الحق الذي لا مرية فيه، ولا تعدل عنه، وليس فيما سواه هدى يتبع، بل الحق كله منحصر فيه.

قال البغوي⁽¹⁾: ﴿وَلَا يَسْتَخْفَنَّكَ﴾، ولا يستجهلنك، معناه: لا يحملنك الذين لا يوقنون على الجهل واتباعهم في الغي. وقيل: لا يستخفن رأيك وحلمك.



(1) معالم التنزيل.

خفي

(خفي - بطن - غاب - غرب - كسف - خسف)

■ **الخَفَاءُ:** استتار البدن أو الصوت ﴿أَدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: 55].

■ **البَاطِنُ:** كل ما لا يرى بالعين المجردة ﴿وَذَرُوا ظِلْهَرَ الْأَثْرِ وَبَاطِنَهُ﴾ [الأنعام: 120].

■ **الغِيَابُ:** ما استتر عنه العين عمداً ﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [النمل: 75].

■ **الغُرُوبُ:** إخفاء الشمس أو القمر المعتاد ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ﴾ [الكهف: 86].

■ **الكُسُوفُ:** اختفاء الشمس الشاذ.

■ **الخُسُوفُ:** اختفاء القمر الشاذ.



النصوص اللغوية:

قال ابن فارس⁽¹⁾: الخاء والفاء والياء أصلان متباينان متضادان. فالأول: السَّرُّ، والثاني: الإظهار. فالأول: خَفِيَ الشَّيْءُ يَخْفَى؛ وأَخْفَيْتُهُ، وهو في خِفْيَةٍ وخَفَاءٍ. إذا سَتَرْتَهُ، ويقولون: بَرِحَ الخَفَاءُ، أي: وَضَحَ السَّرُّ وبدا. ويقال لما دُونَ

(1) معجم مقاييس اللغة.

ريشات الطائر العشر، اللواتي في مقدم جناحه: الحَوَافِي. والحَوَافِي: سَعَفَاتُ يَلِين قَلْبُ النَّخْلَةِ. والحَافِي: الجَنِّ. ويقال للرجل المستتر: مُسْتَحْفٍ. والأصل الآخر: خفا البرق حَفْوًا: إذا لمع، ويكون ذلك في أدنى ضعف. ويقال: حَفَيْتُ [الشيء] بغير ألف: إذا أظهرته. وخفا المطر الفأر من جحرتها: أخرجهن. ويقرأ على هذا التأويل: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آئِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ [طه: 15] أي: أظهرها.

قال الجوهرى⁽¹⁾: وَخَفَى عَلَيْهِ الْأَثْرُ يَخْفَى خَفَاءً، ممدودٌ. ويقال أيضاً: بَرَحَ الخَفَاءُ، أي: وَضَحَ الأمر. والحَوَافِي: ما دون الريشات العشر من مقدم الجناح. والحَوَافِي من السَعَف: ما دون القَلْبَةِ من النَّخْلَةِ. وهي في لغة أهل الحجاز العواهن. واستخفيت منك، أي: تواريت. ولا تقل: اختفيت. وخفا البرق يخفو حَفْوًا، ويخفي خَفِيًا: إذا لمع لمعاً ضعيفاً معترضاً في نواحي الغيم. واستخفيت الشيء، أي: استخراجته. والمُخْتَفِي: النَّبَّاشُ، لأنه يستخرج الأكفان. والأخفية الأكسية، والواحد خفاءً، لأنها تُلْقَى على السقاء. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آئِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ ويقرأ: «أخفيها»، أي: أزيل عنها خفاءها، أي: غطاءها.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: 55].

قال الفخر الرازي⁽²⁾: «والخفية» ضد العلانية. يقال: أخفيت الشيء إذا سترته، ويقال: «خفية» أيضاً بالكسر، وقرأ عاصم وحده في رواية أبي بكر عنه «خفية» بكسر الخاء ههنا وفي الأنعام، والباقون بالضم، وهما لغتان: واعلم أن

(2) التفسير الكبير.

(1) الصحاح في اللغة.

الإخفاء معتبر في الدعاء، ويدل على وجوه: الأول: هذه الآية فإنها تدل على أنه تعالى أمر بالدعاء مقروناً بالإخفاء، وظاهر الأمر للوجوب، فإن لم يحصل الوجوب، فلا أقل من كونه ندباً.

قال الماوردي⁽¹⁾: قوله عز وجل: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ فيه وجهان: أحدهما: في الرغبة والرغبة، قاله ابن عباس. والثاني: التضرع: التذلل والخضوع، والخفية: إخلاص القلب. ويحتمل أن التضرع بالبدن، والخفية إخلاص القلب.

قال البغوي⁽²⁾: ﴿وَخُفْيَةً﴾، أي: سرّاً. قال الحسن: بين دعوة السرّ ودعوة العلانية سبعون ضعفاً، ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء وما يُسمع لهم صوت، وإن كان إلا همساً بينهم وبين ربهم، ذلك أن الله سبحانه يقول: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾، وإن الله ذكر عبداً صالحاً ورضي فعله فقال: ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾ [مريم: 3].

● قال تعالى: ﴿إِنْ تَبَدُّوا أَلْصَدَقَاتِ فَنِعْمًا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا أَلْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [البقرة: 271].

قال الزمخشري⁽³⁾: ﴿وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا أَلْفُقَرَاءَ﴾ وتصيبوا بها مصارفها مع الإخفاء ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ فالإخفاء خير لكم. والمراد الصدقات المتطوع بها، فإنّ الأفضل في الفرائض أن يجاهر بها. وعن ابن عباس رضي الله عنه: «صدقات السر في التطوع تفضل علانيتها سبعين ضعفاً، وصدقة الفريضة علانيتها أفضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفاً» وإنما كانت المجاهرة بالفرائض أفضل، لنفي التهمة، حتى إذا كان المزكي ممن لا يعرف باليسار كان إخفاؤه أفضل، والمتطوع إن أراد أن يقتدى به كان إظهاره أفضل.

(3) الكشاف.

(1) النكت والعيون.

(2) معالم التنزيل.

قال الطبري⁽¹⁾: وَإِنْ تُخْفُوهَا يَقُول: وَإِنْ تَسْتَرُوهَا فَلَمْ تَعْلَنُوهَا وَتَوْتُوهَا الْفُقَرَاءَ يعني: وتعطوها الفقراء في السرِّ، فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ يَقُول: فإخفاؤكم إياها خير لكم من إعلانها. وذلك في صدقة التطوع.

قال أبو السعود⁽²⁾: ﴿وَإِنْ تُخْفُوهَا﴾ أي: تعطوها خفية ﴿وَتَوْتُوهَا الْفُقَرَاءَ﴾ ولعل التصريح بإيتائها الفقراء مع أنه واجب في الإبداء أيضاً لما أن الإخفاء مظنة الالتباس والاشتباه، فإن الغني ربما يدعي الفقر ويُقدم على قبول الصدقة سرّاً ولا يفعل ذلك عند الناس ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ أي: فالإخفاء خير لكم من الإبداء وهذا في التطوع، ومن لم يعرف بالمال وأما في الواجب فالأمر بالعكس لدفع التهمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما: صدقة السر في التطوع تفضل علانيتها سبعين ضعفاً وصدقة الفريضة علانيتها أفضل من سرّها بخمسة وعشرين ضعفاً.

● قال تعالى: ﴿بَلْ بَدَأَ لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ﴾ [الأنعام: 28].

قال ابن عاشور⁽³⁾: تقديره: بل بدأ لهم ما كان يبدو لهم في الدنيا فأظهروه الآن وكانوا يخفونه. وذلك أنهم كانوا يخطر لهم الإيمان لما يرون من دلائله أو من نصر المؤمنين فيصدّهم عنه العناد والحرص على استبقاء السيادة والأنفة من الاعتراف بفضل الرسول وبسبب المؤمنين إلى الخيرات قبلهم، وفيهم ضعفاء القوم وعبيدهم.

قال الألوسي⁽⁴⁾: قيل: المراد بما كانوا يخفونه قبائحهم من غير الشرك التي كانوا يكتُمونها عن الناس فتظهر في صحفهم وبشهادة جوارحهم عليهم، وقيل: المراد به الشرك الذي أنكروه في بعض مواقف القيامة بقولهم: ﴿وَاللَّهُ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: 23]، وقيل: المراد به أمر البعث والنشور، والضمير المرفوع لرؤساء الكفار والمجرور لأتباعهم أي ظهر للتابعين ما كان الرؤساء المتبوعون يخفونه في الدنيا عنهم من أمر البعث والنشور.

(3) التحرير والتنوير.

(4) روح المعاني.

(1) جامع البيان.

(2) إرشاد العقل السليم.

قال الفخر الرازي⁽¹⁾: قال بعضهم: هذه الآية في المنافقين، وقد كانوا يسرون الكفر ويظهرون الإسلام، وبدا لهم يوم القيامة، وظهر بأن عرف غيرهم أنهم كانوا من قبل منافقين. وقيل: بدا لهم ما كان علماءهم يخفون من جحد نبوة الرسول ونعته وصفته في الكتب والبشارة به، وما كانوا يحرفونه من التوراة مما يدل على ذلك.

● قال تعالى: ﴿وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ﴾ [المتحنة: 1].

قال الطبري⁽²⁾: يقول: وأنا أعلم منكم بما أخفى بعضكم من بعض، فأسره منه.

قال أبو السعود⁽³⁾: ﴿بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ﴾ ومُطْلَعٌ رسولي على ما تسرون فأبي طائل لكم في الإسرار.
قال الفخر الرازي⁽⁴⁾: أخفيتم: المودة للكفار.



(3) إرشاد العقل السليم.

(4) التفسير الكبير.

(1) التفسير الكبير.

(2) جامع البيان.

خل

(خل - بين - وسط - آناء)

(خليل - خدن - صاحب - صديق - رفيق)

■ **الْخِلَالُ:** ما يكون بين شيئين متلاصقين ﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهْرًا﴾ [النمل: 61].

■ **الْبَيْنُ:** ما يكون بين شيئين منفصلين ﴿وَحَفَفْتَهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرَاعًا﴾ [الكهف: 32].

■ **الْوَسْطُ:** ما يكون بين شيئين متساويين ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوَسْطَى﴾ [البقرة: 238].

■ **الْأَنَاءُ:** ما يكون بين الأوقات ﴿يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ عِندَ أَلْبَتَاتٍ﴾ [آل عمران: 113].

■ **الْخَلِيلُ:** الصاحب الوفي ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: 125].

■ **الْخِذْنُ:** الصاحب بشهوة ﴿وَلَا تُتَّخَذَاتِ أَخْدَانٌ﴾ [النساء: 25].

■ **الصَّاحِبُ:** بالملازمة والانتماء ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ﴾ [التوبة: 40].

■ **الصَّدِيقُ:** الصاحب الناصح الزاجر المعلم ﴿أَوْ بِيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بِيُوتِ خَلَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتْهُم مَّفَاتِحُهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾ [النور: 61].

■ **الرَّفِيقُ:** الصاحب المعين على الشدة ﴿وَحَسَنَ أَوْلِيَاكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: 69].



النصوص اللغوية:

قال ابن فارس⁽¹⁾: الخاء واللام أصلٌ واحد يتقارب فروعه، ومرجع ذلك إمّا إلى دِقَّةٍ أو فُرْجة. والبابُ في جميعها متقاربٌ. فالخِلالُ واحد الأَخِلَّة. ويقال: فلانٌ يأكل خِلَلَه وخِلالَتَه، أي ما يُخْرِجُه الخِلالُ من أسنانه. والخَلُّ خَلَّكَ الكِساءَ على نفسك بالخِلال. فأما الخليلُ الذي يُخالُّك، فمن هذا أيضاً، كأنكما قد تخاللتما، كالكِساء الذي يُخَلُّ. ومن الباب الرجل الخَلُّ: وهو النَحيف الجِسم.

ويقال لابن المَخاض خَلُّ، لأنه دقيق الجسم. والخَلُّ: الطَّرِيق في الرَّمَلِ لأنّه يكون مُستَدِقاً. ومنه الخِلال، وهو البَلَح. فأما الفُرْجة فالخَلل بين الشَّيئين. ويقال: خَلَّ الشيء: إذا لم يَعَمَّ. ومنه الخَلَّة الفَقْر؛ لأنه فُرْجة في حاله. والخليلُ: الفقير.

والخِلَّة: جَفن السِّيف، والجمع خِلَلٌ. فأما الخِلال وهي السُّيور التي تُلبَسُ ظُهورَ السَّيِّئين فذلك لدِقَّتِها، كأنَّ كلَّ واحدةٍ منها خِلَّةٌ. والخَلُّ: عِرْقٌ في العُنُقِ مُتَّصِلٌ بالرَّأس. والخَلخال من الباب أيضاً، لدِقَّتِه.

قال الفيروزآبادي⁽²⁾: الخَلُّ: ما حَمَضَ من عَصِيرِ العِنَبِ وَغَيْرِهِ، عَرَبِيٌّ صَحِيحٌ، والطائِفَةُ منه: خِلَّةٌ، وأجودُهُ خَلُّ الخَمْرِ، مُرَكَّبٌ من جَوْهَرَيْنِ حارٍّ وبارِدٍ، نافِعٌ للمَعَدَةِ واللُّثَّةِ والقُرُوحِ الخَبِيثَةِ والحِكَّةِ ونَهَشِ الهَوامِّ وأكَلِ الأَفْيُونِ وحرَقِ النارِ وأوجاعِ الأَسنانِ، وبُخارٌ حارٌّ للإسْتِسْقَاءِ وَعُسْرِ السَّمْعِ والدَّوِيِّ والطَّنِينِ. والخَلُّ أيضاً: الطَّرِيقُ يَنْقُذُ في الرَّمَلِ، أو النافِذُ بين رَمَلَتَيْنِ، أو النافِذُ في الرَّمَلِ المُتَرَاكِمِ، ويؤنَّثُ، أُخِلُّ وخِلالٌ، والنحيفُ المُخْتَلُّ الجِسمِ، كالخَليلِ، والثوبُ البالي، وعِرْقٌ في العُنُقِ، وفي الظَّهْرِ، وابنُ المَخاضِ، كالحِلَّةِ، وهي:

(2) القاموس المحيط.

(1) معجم مقاييس اللغة.

بهاءٍ أيضاً، والقليلُ الريشِ من الطيرِ، والحَمْضُ، والمَهْزُولُ، والسَّمِينُ، ضِدُّ،
والفَصِيلُ، والشَّرُّ، والشَّقُّ في الثَّوبِ.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾ [النور: 43].

قال الزمخشري⁽¹⁾: ﴿مِنْ خِلَالِهِ﴾ من فتوقه ومخارجه: جمع خلل، كجبال في جبل. وقرىء: «من خلله».

قال أبو السعود⁽²⁾: ﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾ أي: من فتوقه. حالٌ من الودق لأنَّ الرؤيةَ بصريَّةٌ وفي تعقيب الجعلِ المذكورِ برؤيته خارجاً لا بخروجه من المبالغة في سرعة الخُروج على طريقة قوله تعالى: ﴿أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَأَنْفَلَقَ﴾ [الشعراء: 63] ومن الاعتناء بتقرير الرؤية ما لا يخفى. والخلالُ جمع خللٍ كجبالٍ وجبَلٍ، وقيل: مفردٌ كحجابٍ وحِجازٍ ويؤيِّده أنه قرىء من خَلِّه.

● قال تعالى: ﴿فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ﴾ [الإسراء: 5].

قال ابن عاشور⁽³⁾: (خلال) اسم جاء على وزن الجموع ولا مفرد له، وهو وسط الشيء الذي يتخلل منه.

قال الألوسي⁽⁴⁾: ﴿خِلَالَ﴾ اسم مفرد ولذا قرأ الحسن (خلل) ويجوز أن يكون خلال جمع خلل كجبال جمع جبل.

● قال تعالى: ﴿وَلَا وَضَعُوا خِلَالَكُمْ﴾ [التوبة: 47].

(3) التحرير والتنوير.

(1) الكشاف.

(4) روح المعاني.

(2) إرشاد العقل السليم.

قال القرطبي⁽¹⁾: ﴿وَلَا وَضَعُوا خِلَالَكُمْ﴾ المعنى: لأسرعوا فيما بينكم بالإفساد. والإيضاع: سرعة السير.

يقال: وَضَعُ البعيرُ: إذا عدا، يَضَعُ وضِعاً ووضوعاً: إذا أسرع السير. وأوضعتُه: حملته على العَدْوِ. وقيل: الإيضاع سير مثلُ الخَبَبِ. والخلل الفرجة بين الشئيين؛ والجمع الخلال، أي: الفُرَجُ التي تكون بين الصفوف. أي: لأوضعوا خلالكم بالنميمة وإفساد ذات البين.

قال العزّ بن عبدالسلام⁽²⁾: والخِلال: الفُرَجُ، المعنى ولأسرعوا في اختلالكم، أو لأوقعوا الخلف بينكم.

قال الشعراوي⁽³⁾: ﴿وَلَا وَضَعُوا خِلَالَكُمْ﴾ أي: أنهم كانوا سيُحدثون فُرجة بين صفوف المؤمنين ويُفرّقونهم، وسيتغلغلون بينهم للإفساد؛ لأن الخلال هو الفُرجة بين الشئيين أو الشخصين، فيدخل واحد منهم بين فريق من المؤمنين فيفسد، وآخر يفسد فريقاً آخر، وهكذا يمشون خلال المؤمنين ليفرقوا بينهم.

● قال تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: 125].

قال الطبري⁽⁴⁾: القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾. يعني بذلك جلّ ثناؤه: واتخذ الله إبراهيم ولياً.

فإن قال قائل: وما معنى الخُلة التي أعطيها إبراهيم؟ قيل: ذلك من إبراهيم ﷺ العداوة في الله والبغض فيه، والولاية في الله والحبّ فيه، على ما يُعرف من معاني الخلة. وأما من الله لإبراهيم، فنصرته على من حاوله بسوء، كالذي فعل به إذا أراد نمرود بما أراد به من الإحراق بالنار، فأنقذه منها، وأعلى حجته عليه إذ حاجه، وكما فعل ملك مصر إذ أراد عن أهله، وتمكينه مما أحبّ، وتصييره إماماً لمن بعده من عباده وقُدوة لمن خلفه في طاعته وعبادته، فذلك معنى

(3) تفسير الشعراوي.

(4) جامع البيان.

(1) الجامع لأحكام القرآن.

(2) التفسير العظيم.

مخالته إياه. وقد قيل: سماه الله خليلاً من أجل أنه أصاب أهل ناحيته جذب، فارتحل إلى خليل له من أهل الموصل - وقال بعضهم: من أهل مصر في امتيار طعام لأهله من قبله فلم يصب عنده حاجته، فلما قرب من أهله مرّ بمفازة ذات رمل، فقال: لو ملأت غرائري من هذا الرمل لثلا أغمم أهلي برجوعي إليهم بغير ميرة، وليظنوا أنني قد أتيتهم بما يحبون! ففعل ذلك، فتحوّل ما في غرائره من الرمل دقيقاً، فلما صار إلى منزله نام وقام أهله، ففتحوا الغرائر فوجدوا دقيقاً، فعجنوا منه وخبزوا، فاستيقظ فسألهم عن الدقيق الذي منه خبزوا، فقالوا: من الدقيق الذي جئت به من عند خليلك، فعلم، فقال: نعم هو من خليلي الله. قالوا: فسماه الله بذلك خليلاً.

● قال تعالى: ﴿لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ﴾ [البقرة: 254].

قال الزمخشري⁽¹⁾: ﴿وَلَا خُلَّةٌ﴾ حتى يسامحكم أخلاؤكم به. وإن أردتم أن يحط عنكم ما في ذمتكم من الواجب لم تجدوا شفيعاً يشفع لكم في حط الواجبات.

قال ابن كثير⁽²⁾: أي: لا يباع أحد من نفسه، ولا يفادى بمال لو بذله، ولو جاء بملء الأرض ذهباً، ولا تنفعه خلة أحد، يعني: صداقته، بل ولا نسابته، كما قال: ﴿فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [المؤمنون: 101].



(2) تفسير ابن كثير.

(1) الكشاف.

خلد

(خلد - بقي - ظل - دام)

- الخُلْدُ: الثبات على حاله الأولى من غير اعتراض الفساد. ﴿وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ﴾ [الأعراف: 176].
- البَقَاءُ: ثبات الشيء على حاله الأولى، وهو ضد الفناء. ﴿وَالْبَقِيَّةُ الصَّلِحَةُ حَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ [الكهف: 46].
- الظُّلُّ: - بالفتح - ثبات على فعل في النهار. ﴿لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ﴾ [الرُّوم: 51].
- الدَّوَامُ: الثبات على حالة السكون لفعل. ﴿إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾ [آل عمران: 75].



النصوص اللغوية:

قال ابن فارس⁽¹⁾: الخاء واللام والذال أصلٌ واحدٌ يدلُّ على الثبات والملازمة، فيقال: خَلَدَ: أقام، وأخْلَدَ أيضاً. ومنه جَنَّةُ الخُلْدِ.

قال الله تعالى: ﴿وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ﴾ [الأعراف: 176]. فأما قوله تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ﴾ [الإنسان: 19]، [فهو] من الخُلْدِ، وهو البقاء، أي: لا يموتون. وقال آخرون: من الخِلْدِ، والخِلْدُ: جمع خِلْدَةٍ وهي القُرْطُ. فقوله: مُخَلَّدُونَ أي: مقرطون مشنّفون.

(1) معجم مقاييس اللغة.

قال: ومخلدات باللجين كأنما أعجازهن أقاوز الكُثبان وهذا قياسٌ صحيح، لأنَّ الخِلْدَةَ ملازمةٌ للأذن. والخَلْدُ البال، وسمِّي بذلك لأنه مستقرٌّ [في] القلب ثابتٌ.

قال الجوهري⁽¹⁾: الخُلْدُ: دوامُ البقاء. تقول: خَلَدَ الرجلُ يخلدُ خلوداً. وأخلده الله وخلده تخليداً. وقيل لأثافي الصخور: خوالِدٌ، لبقتها بعد دروس الأطلال.

والخُلْدُ أيضاً: ضربٌ من الجرذان أعمى. وأخلدتُ إلى فلان، أي: ركنت إليه.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ﴾ إلى الأرض بالمكان: أقام فيه. وأخلد الرجل بصاحبه: لزمه. ورجل مُخلِدٌ: إذا أسَنَّ ولم يشب. والخَلْدُ البال. يقال: وقع ذلك في خَلْدِي: أي في روعي وقلبي.

قال الراغب⁽²⁾: الخلود: هو تبري الشيء من اعتراض الفساد، وبقاؤه على الحالة التي هو عليها، وكل ما يتباطأ عنه التغيير والفساد تصفه العرب بالخلود، كقولهم للأثافي: خوالِدٌ، وذلك لطول مكثها لا دوام بقائها. يقال: خَلَدَ يخلدُ خلوداً، قال تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ [الشعراء: 129]، والخَلْدُ: اسم للجزء الذي يبقى من الإنسان على حالته، فلا يستحيل ما دام الإنسان حيّاً استحالة سائر أجزائه، وأصل المُخلِدُ: الذي يبقى مدة طويلة ومنه قيل: رجل مُخلِدٌ لمن أبطأ عنه الشيب، ودابة مُخلِدةٌ: هي التي تبقى ثناياها حتى تخرج رباعيتها، ثم استعير للمبقي دائماً. والخلودُ في الجنة: بقاء الأشياء على الحالة التي عليها من غير اعتراض الفساد عليها.

(2) مفردات الراغب.

(1) الصحاح في اللغة.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ [الشُّعْرَاءُ: 129].

قال الألويسي⁽¹⁾: ﴿لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ أي راجين أن تخلدوا في الدنيا أو عاملين عمل من يرجو الخلود فيها فلعل على بابها من الرجاء، وقيل: هي للتعليل وفي قراءة عبد الله (كى تخلدون). وقال ابن زيد: هي للاستفهام على سبيل التوبيخ والهزاء بهم أي: هل أنتم تخلدون؟ وكون لعل للاستفهام مذهب كوفي، وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: المعنى كأنكم خالدون وقرىء بذلك كما روي عن قتادة، وفي حرف أبي (كأنكم تخلدون) وظاهر ما ذكر أن لعل هنا للتشبيه، وحكى ذلك صريحاً الواحدي.

قال الفخر الرازي⁽²⁾: ﴿لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ ترجون الخلد في الدنيا أو يشبه حالكم حال من يخلد، وفي مصحف أبي: (كأنكم)، وقرىء (تخلدون) بضم التاء مخففاً ومشدداً، واعلم أن الأول إنما صار مذموماً لدلالته إما على السرف، أو على الخيلاء، والثاني: إنما صار مذموماً لدلالته على الأمل الطويل والغفلة عن أن الدنيا دار ممر لا دار مقر.

قال الماوردي⁽³⁾: ﴿لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ أي: كأنكم تخلدون باتخاذكم هذه الأبينة، وحكى قتادة:

أنها في بعض القراءات: كأنكم خالدون.

● قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: 82].

قال الطبري⁽⁴⁾: يعني أهلها الذين هم أهلها ﴿هُم فِيهَا خَالِدُونَ﴾، مقيمون

(3) النكت والعيون.

(4) جامع البيان.

(1) روح المعاني.

(2) التفسير الكبير.

أبداءً. وإنما هذه الآية والتي قبلها إخبار من الله عباده عن بقاء النار وبقاء أهلها فيها، ودوام ما أعدّ في كل واحدة منهما لأهلها، تكذيباً من الله جل ثناؤه القائلين من يهود بني إسرائيل إن النار لن تمسهم إلا أياماً معدودة، وأنهم صائرون بعد ذلك إلى الجنة فأخبرهم بخلود كفارهم في النار وخلود مؤمنهم في الجنة.

قال ابن كثير⁽¹⁾: أي: من آمن بما كفرتم، وعمل بما تركتم من دينه، فلهم الجنة خالدين فيها، يخبرهم أن الثواب بالخير والشر مقيم على أهله أبداً، لا انقطاع له.

قال البيضاوي⁽²⁾: جرت عادته سبحانه وتعالى على أن يشفع وعده بوعيده، لترجي رحمته ويخشى عذابه، وعطف العمل على إيمان يدل على خروجه عن مسماه.

● قال تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ [الواقعة: 17].

قال الفخر الرازي⁽³⁾: ﴿مُخَلَّدُونَ﴾ وجهان أحدهما: أنه من الخلود والدوام، وعلى هذا الوجه يظهر وجهان آخران أحدهما: أنهم مخلدون ولا موت لهم ولا فناء، وثانيهما: لا يتغيرون عن حالهم ويبقون صغاراً دائماً لا يكبرون ولا يلتحون. والوجه الثاني: أنه من الخلدة وهو القرط بمعنى في آذانهم حلق، والأول أظهر وأليق.

قال الزمخشري⁽⁴⁾: ﴿مُخَلَّدُونَ﴾ مبقون أبداً على شكل الولدان وحدّ الوصافة لا يتحولون عنه. وقيل: مقرطون، والخلدة: القرط. وقيل: هم أولاد أهل الدنيا: لم تكن لهم حسنات فيثابوا عليها، ولا سيئات فيعاقبوا عليها. روي عن علي رضي الله عنه وعن الحسن. وفي الحديث: «أولاد الكفار خدام أهل الجنة».

● قال تعالى: ﴿وَلَا يَكْتُمُهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ﴾ [الأعراف: 176].

(3) التفسير الكبير.

(4) الكشاف.

(1) تفسير ابن كثير.

(2) أنوار التنزيل.

قال الراغب⁽¹⁾: أي: ركن إليها ظاناً أنه يخلد فيها.
 قال الماوردي⁽²⁾: ﴿وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ﴾ ركن إليها. وفي ركونه إليها
 وجهان: أحدهما: أنه ركن إلى أهلها في استنزالهم له ومخادعتهم إياه.
 والثاني: أنه ركن إلى شهوات الأرض فشغلته عن طاعة الله.
 قال الشعراوي⁽³⁾: ﴿أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ﴾، أي أنه اختار أن ينزل إلى الهاوية،
 رغم أن الحق هدى الإنسان وبين له طريق الخير ليسلكه فيصعد إلى العلو، والحق
 يقول: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ...﴾ [الأنعام: 151].



(3) تفسير الشعراوي.

(1) مفردات الراغب.

(2) النكت والعيون.

خلص

(خلص - طهر - زكو - طاب - محص)

- **الخالصُ**: ما زال عنه شوبه ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: 24]
- **الطاهرُ**: ما زال عنه نجسه ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾ [المائدة: 6].
- **الزَّاكِي**: طيب الرائحة مع الطهارة ﴿فَلْيَنْظُرْ أَيَّمَا أَرْكِي طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ﴾ [الكهف: 19].
- **الطَّيِّبُ**: ما تلمسه الحواس وتستلذه النفس ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: 57].
- **المُحْصُ**: تخليص الشيء مما فيه من عيوب ﴿وَلِيَمِخَصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمَحَقَ الْكٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: 141].



النصوص اللغوية:

قال ابن فارس⁽¹⁾: الخاء واللام والصاد أصل واحد مَطْرِد، وهو تنقية الشيء وتهذيبه. يقولون: خَلَّصْتُهُ من كذا وَخَلَّصَ هو. وَخُلَاصَةُ السَّمَنِ: ما أُلْقِيَ فيه من تَمْرٍ أو سَوِيقٍ لِيُخْلَصَ به.

قال الخليل⁽²⁾: خَلَّصَ الشيء خُلُوصاً: إذا كان قد نشب، ثم نجا وسلم. وَخَلَّصْتُ إِلَيْهِ: وصلت إليه. وَالخُلَاصُ يكون مصدراً كَالخُلُوصِ، لِلناجِي،

(2) العين.

(1) معجم مقاييس اللغة.

ويكون مصدراً للشيء الخالص، وتقول: هو خالصتي وخلصاني، وهؤلاء
خلصاني وخلصاني، أي: أخلائي.

وهذا الشيء خالصة لك، أي: خالص لك خاصة، وفلان لي صافية
وخالصة.

والإخلاص: التوحيد لله خالصاً، ولذلك قيل لسورة «قل هو الله أحد»: سورة الإخلاص. وأخلصتُ لله ديني: أمحضته، وخلص له ديني. «وإنه من عبادي المخلصين»، والمخلصون: المختارون. والمخلصون: الموحدون. وخلصته: نحيته من كل شيء ينشب تخليصاً، وتخلصته كما يتخلص الغزل: إذا التبس. والخلص: زبد اللبن يستخلص منه، أي: يستخرج. وبغير مخلص: سمين المخ.

والخلص: يتخذ من التمر والسمن يطبخ، فإذا أرادوا يخلصوه ألقوا فيه نحو التمر والسويق ليخلص السمن من اللبن، فالذي يلقي فيه هو: الخلاص. والخالصة: ما بقي من الخلاص وغيره. والخلصاء: ماء بالبادية. وذو الخالصة: موضع بالبادية كان به صنم.

قال الجوهري⁽¹⁾: خلص الشيء بالفتح يخلص خلوصاً، أي: صار خالصاً. وخلص إليه الشيء: وصل. وخلصته من كذا تخليصاً، أي: نجيته فتخلص. وخالصة السمن بالضم: ما خلص منه. والمصدر منه الإخلاص. وقد أخلصت السمن. والإخلاص أيضاً في الطاعة: ترك الرياء. وقد أخلصتُ الله الدين. وخالصه في العشرة، أي: صافاه. وهذا الشيء خالصة لك، أي: خاصة. وفلان خلصي، كما تقول: خذني، وخلصاني، أي: خالصتي. وهم خلصاني، يستوي فيه الواحد والجماعة. واستخلصه لنفسه، أي: استخصه.

(1) الصحاح في اللغة.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا﴾ [الأنعام: 139].

قال ابن عطية⁽¹⁾: هذه الآية تتضمن تعديد مذاهبهم الفاسدة، وكانت سنتهم في بعض الأنعام أن يحرموا ما ولدت على نسائهم ويخصصونه لذكورهم، والهاء في ﴿خَالِصَةٌ﴾ قيل هي للمبالغة كما هي في رواية غيرها، وهذا كما تقول: فلان خالصتي، وإن كان باب هاء المبالغة أن يلحق بناء مبالغة كعلامة ونسابة وبصيرة ونحوه، وقيل هي لتأنيث الأنعام إذ ما في بطونها أنعام أيضاً، وقيل هي على تأنيث لفظ (ما) لأن (ما) واقعة في هذا الموضع موقع قولك جماعة وجملة.

قال ابن عاشور⁽²⁾: والخالصة: السائغة، أي: المباحة، أي: لا شائبة حرج فيها، أي: في أكلها، ويقابله قوله: (ومحرم). وتأنيث ﴿خَالِصَةٌ﴾ لأن المراد بما الموصولة (الأجِنَّة) فروع معنى (ما) وروعي لفظ (ما) في تذكير (محرم).

● قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَسْتَيْسَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا﴾ [يوسف: 80].

قال الألوسي⁽³⁾: ﴿خَلَصُوا﴾ انفردوا عن غيرهم واعتزلوا الناس. وقول الزجاج: انفرد بعضهم عن بعض فيه نظر.

قال الشعراوي⁽⁴⁾: أي: أنهم انفردوا عنه، وعن أعين الحاضرين؛ العزيز يوسف، ومن حوله من المُعَاوِنِينَ له، وأخيهم موضع الخلاف، وانفردوا بأنفسهم. والانفراد هو المناجاة؛ والمناجاة مَسْرَّةٌ؛ والمَسْرَّةُ لا تكون إلا في أمر لا تحب لغيرك أن يطلع عليه.

(3) روح المعاني.
(4) تفسير الشعراوي.

(1) المحرر الوجيز.
(2) التحرير والتنوير.

ونلاحظ أن: ﴿خَلَصُوا﴾ هي جمع.

قال الشوكاني⁽¹⁾: ﴿خَلَصُوا نَحِيًّا﴾ أي: انفردوا حال كونهم متناجين فيما بينهم، وهو مصدر يقع على الواحد والجمع كما في قوله: ﴿وَقَرَّتْهُ نَحِيًّا﴾ [مریم: 52]. قال الزجاج: معناه انفردوا وليس معهم أخوهم متناجين فيما يعملون به في ذهابهم إلى أبيهم من غير أخيهم.

● قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: 24].

قال الزمخشري⁽²⁾: الذين أخلصوا دينهم لله، وبالفتح الذين أخلصهم الله لطاعته بأن عصمهم. ويجوز أن يريد بالسوء. مقدّمات الفاحشة، من القبلة والنظر بشهوة، ونحو ذلك. وقوله: ﴿مِنْ عِبَادِنَا﴾ معناه بعض عبادنا، أي: هو مخلص من جملة المخلصين. أو هو ناشئ منهم، لأنه من ذرية إبراهيم الذين قال فيهم ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ﴾ [ص: 46].

قال ابن كثير⁽³⁾: ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ الذين أخلصهم الله لطاعته. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب بالكسر في كل القرآن إذا كان في أوله الألف واللام أي الذين أخلصوا دينهم لله.

قال ابن الجوزي⁽⁴⁾: قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر بكسر اللام، والمعنى: إنه من عبادنا الذين أخلصوا دينهم. وقرأ عاصم، وحمزة، والكسائي بفتح اللام، أرادوا: من الذين أخلصهم الله من الأسواء والفواحش. وبعض المفسرين يقول: السوء: الزنى، والفحشاء: المعاصي.

● قال تعالى: ﴿وَأَدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [الأعراف: 29].

(1) فتح القدير.

(2) تفسير ابن كثير.

(3) زاد المسير.

(4) الكشاف.

قال الفخر الرازي⁽¹⁾: أن المراد هو الإخلاص، والسبب في ذكر هذين القولين، أن إقامة الوجه في العبادة قد تكون باستقبال القبلة، وقد تكون بالإخلاص في تلك العبادة، والأقرب هو الأول، لأن الإخلاص مذكور من بعد، ولو حملناه على معنى الإخلاص، صار كأنه قال: وأخلصوا عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين، وذلك لا يستقيم. فإن قيل: يستقيم ذلك، إذا علق الإخلاص بالدعاء فقط. قلنا: لما أمكن رجوعه إليهما جميعاً، لم يجز قصره على أحدهما، خصوصاً مع قوله: ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ فإنه يعم كل ما يسمى ديناً.

قال الطبري⁽²⁾: ﴿وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ فإنه يقول: واعملوا لربكم مخلصين له الدين والطاعة، لا تخلطوا ذلك بشرك ولا تجعلوا في شيء مما تعملون له شريكاً.

قال: ثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: ﴿وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ قال: أن تخلصوا له الدين والدعوة والعمل، ثم توجهون إلى البيت الحرام.

● قال تعالى: ﴿وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾ [النساء: 146].

قال الألوسي⁽³⁾: ﴿وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾ لا يريدون بطاعتهم إلا وجهه ورضاه سبحانه لا رياء الناس، ودفع الضرر كما في النفاق، وأخرج أحمد والترمذي وغيرهما عن أبي ثمامة قال: قال الحواريون لعيسى عليه السلام: يا روح الله من المخلص لله؟ قال: الذي يعمل لله تعالى لا يحب أن يحمده الناس عليه.

قال أبو السعود⁽⁴⁾: ﴿وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ﴾ أي جعلوه خالصاً لله لا يبتغون بطاعتهم إلا وجهه.

(1) التفسير الكبير.
 (2) جامع البيان.
 (3) روح المعاني.
 (4) إرشاد العقل السليم.

قال القشيري⁽¹⁾: ﴿وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾: ونجاتهم بفضل ربهم لا بإيمانهم في الحال، ورجوعهم عن نفاقهم فيما مضى عليهم من الأحوال. ويقال أخلصوا دينهم لله: وهو دوام الاستعانة بالله في أن يثبتهم على الإيمان، ويعصمهم عن الرجوع إلى ما كانوا عليه من النفاق.

ويقال: تابوا عن النفاق، وأصلحوا بالإخلاص في الاعتقاد، واعتصموا بالله باستدعاء التوفيق وأخلصوا دينهم لله في أن نجاتهم بفضل الله ولطفه لا بإيمانهم بهذه الأشياء - في التحقيق.

● قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا مُخْلِصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ [مريم: 51].

قال الطبري⁽²⁾: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا مُخْلِصًا﴾ بفتح اللام من مُخْلِص، بمعنى: إن موسى كان الله قد أخلصه واصطفاه لرسالته، وجعله نبياً مرسلًا. والصواب من القول في ذلك عندي: أنه كان ﷺ مُخْلِصًا عبادة الله، مُخْلِصًا للرسالة والنبوة، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب.

قال ابن عطية⁽³⁾: «مخلصاً» بفتح اللام وهي قراءة أبي رزين ويحيى وقتادة أي: أخلصه الله للنبوة والعبادة كما قال تعالى: ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ﴾ [ص: 46].

قال ابن عاشور⁽⁴⁾: وقرأ الجمهور ﴿مُخْلِصًا﴾ بكسر اللام من أخلص القاصر إذا كان الإخلاص صفة. والإخلاص في أمر ما: الإتيان به غير مشوب بتقصير ولا تفريط ولا هوادة، مشتق من الخلوص، وهو التمحض وعدم الخلط. والمراد هنا: الإخلاص فيما هو شأنه، وهو الرسالة بقريته المقام.

وحُص موسى بعنوان (المخلص) على الوجهين لأن ذلك مزيته، فإنه أخلص في الدعوة إلى الله فاستخف بأعظم جبار وهو فرعون، وجادله مجادلة

(1) لطائف الإشارات.

(3) المحرر الوجيز.

(2) جامع البيان.

(4) التحرير والتنوير.

الأكفاء، كما حكى الله عنه في قوله تعالى في سورة الشعراء (18، 19): ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعَلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾﴾ إلى قوله: ﴿قَالَ أَوْلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ ﴿٢٠﴾﴾ [الشُّعْرَاءُ: 30]. وكذلك ما حكاه الله عنه بقوله: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ﴾ [الفصص: 17]، فكان الإخلاص في أداء أمانة الله تعالى ميزته. ولأن الله اصطفاه لكلامه مباشرة قبل أن يرسل إليه المَلَك بالوحي، فكان مخلصاً بذلك، أي مصطفى، لأن ذلك ميزته قال تعالى: ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ [طه: 41].



خلط

(خلط - مرج - مزج - مشج - لبس - أشرك - شوب)

- **الْخَلْطُ:** الجمع بين أجزاء الشيتين فصاعداً بلا حدود ﴿حَاطُوا عَمَلًا صَالِحًا
وَأَخْرَجُوا سَيِّئًا﴾ [التوبة: 102].
- **الْمَرْجُ:** خلط الشيتين بحدود واضحة للانفصال ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾
[الرحمن: 19].
- **الْمَرْجُ:** خلط الشيتين بلا انفصال ﴿وَمَزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ﴾ [المطففين: 27].
- **اللبسُ:** خلط الشيتين بأن يغطي أحدهما الآخر ﴿فَأَذْنَقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ
وَالْخَوْفِ﴾ [التحل: 112].
- **المشجُ:** اختلاط الدم خاصة ﴿مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ [الإنسان: 2].
- **الشُّرْكَةُ:** والمشاركة خلط الملك ﴿وَلَوْ يَكُنْ لَمْ شَرِيكَ فِي الْمَلِكِ﴾ [الإسراء:
111].
- **الشُّوبُ:** يدل على الخلط ﴿لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ﴾ [الصافات: 67].



شرح المعاني:

الخلط: يقال للأشياء التي يمكن الفصل بينها (حمص + زبيب + فول مثلاً) تخلط هذه الأشياء فتصير خلطة كبيرة لكن يمكن فصلها عن بعض. وكل خلط واختلاط وكل مزج إذا كان يمكن فصل بعضها عن بعض يسمى خلطاً ﴿وَأَخْرَجُوا سَيِّئًا﴾

اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿التوبة: 102﴾ وما من مسلم يخلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً إلا ويعرف ذلك، ويعرف أن يفصل بينهما. ففي الصلاة مثلاً قد يشوبها بعض الرياء وعدم الخشوع والمسلم يستطيع أن يفصل بين الصالح من صلاته والسيء. فكل اثنان يشتركان في عمل واحد أو وظيفة واحدة ويمكن فصل بعضها عن بعض يسمى خلطاً واختلاطاً. ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا كَلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقْرِ وَالْغَنَمِ حَرَمًا عَلَيْهِمْ شُحُومُهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُرُهُمَا أَوْ الْحَوَائِيَا أَوْ مَا أَخْلَطَ بَعْضُهُ ذَلِكَ جَزَائِهِمْ يَغْفِرُ اللَّهُ وَإِنَّا لَصَدِيقُونَ﴾ [الأنعام: 146]، ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أُنزِلَتْ مِنْ السَّمَاءِ فَأَخْلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ﴾ [يونس: 24].

المزج: إذا كان لا يمكن الفصل بينهما بالجهد البشري الأولي كالسمن والعسل أو الماء والسكر أو الشاي والحليب. قال تعالى: ﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتْمُهُ مِسْكٌَ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُمْ مِنْ تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾﴾ [المطففين: 25-27] يوم القيامة المشروبات على طريقة الغازية ومختومة مثل علب المشروبات المختومة والتي لم يشرب منها أحد من قبل. وتسليم شراب عظيم يوم القيامة يمزج به شراب المؤمنين وفيه رائحة زكية لا يمكن لعقولنا أن تدركها وهذا ممزوج مزجاً لا يمكن فصله.

المرج: هو الخلط والمزج إذا كان في شيء واسع على مستوى السموات والأرض، وهو الاختلاط الواسع العظيم ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ [الرحمن: 19] هذا الذي يكون واسعاً يسمى مرج. والمرج هو الحقل الكبير الذي تختلط فيه الأزهار والنباتات في أيام الربيع بعد سقوط الأمطار ﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أُنزِلَتْهُ مِنَ السَّمَاءِ فَأَخْلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا﴾ [الكهف: 45]. فالمرج هو الخلط أو المزج بين أشياء كثيرة كالأفكار والعقائد ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ﴾ [ق: 5] أي: مختلط أصنام وبقايا وثنيات. وهذا الخلط يعمهم وعندما جاء الإسلام كان جميع من في الأرض

مزيجاً من عقائد ووثنيات وخليط وهذا هو الاختلاط الواسع . وقد اكتشف العلماء مؤخراً أن البحر المالح فيه دوائر من الماء العذب دلالة على قوله تعالى : ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ و﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا﴾ [الفرقان: 53].

المشج: هو خلط الألوان ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [الإنسان: 2] فيها ألوان هائلة شكلك وعيونك ولون بشرتك وغيرها وهي مختلطة بألوانها . ويقال: أمشج أي: أخلط الألوان .

الالتباس: خلط ما لا يرى ولا يلمس كالليل والنهار، الأفكار، العقائد . شخص ما لم يصل إلى الهدى وأن الله تعالى موجود أو لا يؤمن بالآخرة التبس عليه الأمر ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبُسُونَ﴾ [الأنعام: 9].

الاشتراك: أو الشراكة ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرِزْقِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الأنعام: 136] ، ﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ فَأَلْقُوا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [النحل: 86] هو اختلاط المالكين . شركاء يعني اختلاط المالكين والشرك أن تخلط مع الله تعالى شريكاً آخر .

باختصار الخلط هو خلط ما يمكن فصله، والمزج خلط ما لا يمكن فصله، والمرج الاختلاط الواسع، والالتباس هو خلط ما لا يرى، والاشتراك هو خلط المالكين . ولقد استعمل القرآن الكريم هذه المنظومة استعمالاً عجيبياً .

ونركز على كلمة الخلط وقوله تعالى : ﴿وَأَخْرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: 102] لم يقل تعالى في الآية: مزجوا ولا مرجوا ولا ألبسوا ولا أشركوا، فهؤلاء المذكورين في الآية هم مؤمنون ليس عندهم شرك . والله تعالى يقول في سورة الواقعة أن الناس ثلاثة

أنواع: (أصحاب اليمين وأصحاب الشمال والسابقون) وكل مجموعة لها تفصيلاتها أيضاً. فالمؤمنون بالله تعالى هم الموحدون وكل من آمن بالله ورسله وكتبه وملائكته واليوم الآخر والقضاء والقدر وعكسهم الكافرون المشركون. أما السابقون فهم متميزون وحدهم وهو المتميزون من جميع الأمم (الأنبياء وصديقوهم وأصحابهم) كحواري عيسى عليه السلام ومصدقو موسى عليه السلام ومصدقو إبراهيم ومحمد عليه السلام: (أبو بكر وخديجة وعلي بن أبي طالب) والأنصار والمهاجرون والرضوانيون هؤلاء الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه. كل من أسلم قبل صلح الحديبية فهم السابقون الأولون الذين رضي الله عنهم والذين جاء النص فيهم أنه تعالى رضي عنهم. يقول عليه السلام: (إن الله اختارني واختار لي أصحابي).

وأصحاب محمد عليه السلام من حيث القدسية ومن حيث إصدار الرضى الذين نصّ الله تعالى أنه رضي عنهم: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَدْ أُولِيكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الحديد: 10] ونحن لسنا من السابقين وبإمكاننا أن نكون سابقين إذا كنا شهداء أو قمنا ببعض الأعمال التي جاءت فيها الأحاديث الشريفة.

إذن في سورة الواقعة قسم البشر إلى ثلاثة أنواع، ثم تأتي سورة فاطر تقسم أصحاب اليمين إلى ثلاثة أنواع ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [فاطر: 32] أصحاب اليمين هؤلاء منهم من زادت حسناته على سيئاته وهذا يعتبر من السابقين من حيث أنه يدخل الجنة بغير حساب وبدون عرض، والثاني تساوت حسناته وسيئاته فذلك الذي يحاسب حساباً يسيراً. سئل عليه السلام: ما الحساب اليسير يا رسول الله؟ قال عليه السلام: العرض ﴿وَعَرِضُوهَا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَهَا كَمَا خَلَقْتُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا﴾ [الكهف: 48] ولا يحاسبه ويدخل إلى الجنة. فهذا المقتصد. والثالث الذي ظلم نفسه هو الذي زادت سيئاته على حسناته وهذا الذي يحاسب حساباً عسيراً. وقد جاء في الحديث الشريف: «من

نوقش الحساب هلك ومن نوقش الحساب عُذِّبَ» والحساب وحده عذاب شديد فإذا كنت من الذين يحاسبون حساباً عسيراً فقد هلكت «شفاعتي حقُّ لأهل الكبائر من أمتي» فإذا كنت من أهل الكبائر ومت عليها ولم تنب منها فستكون ممن يحاسب حساباً عسيراً وربما يشفع لك الرسول ﷺ.

إذا أُطلقت الشراكة وحدها فهي تعني التساوي في الشراكة أي: خلطوا بالتساوي (خلطوا عملاً صالحاً) هؤلاء قال تعالى لهم في الآية: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: 102] (عسى) للترجي وعندنا ترجي وتمني. أما التمني فلا يمكن أن يتحقق، أما الرجاء فهو أن تتمنى شيئاً يمكن أن يقع كأن تقول: أرجو أن يغفر الله تعالى لي. وهذا راجح وغالب فإذا كان الفاعل هو البشر فمن الممكن أن يحصل (عسى محمد أن ينجح) أما إذا كان الفاعل هو الله تعالى فهي واقعة حتماً لا محالة. الذين تساوت حسناتهم مع سيئاتهم فهم مغفور لهم حتماً كما جاء في الآية ولأن الفاعل هو الله تعالى. أما الآخرين فالله تعالى إما يتوب عليهم وإما يعذبهم. قال الرسول ﷺ: «شفاعتي حق لأهل الكبائر من أمتي» ولم يقل من المسلمين لأنه لو قالها لم يبق مسلم إلا ودخل الجنة، ولكن لا يكون أحد من أمة محمد ﷺ إلا إن كان من أهل القبلة المصلين. وأول ما يُسأل عنه العبد يوم القيامة الصلاة. لأن المصلي هو موحد مؤمن بالله تعالى صائم مزكّ حاج. فعندما تصلي تجمع كل الإيجابيات وتكون من أمة محمد ﷺ ولا ترتكب ذنباً إلا استغفرت وتبت منه. وإذا مات المصلي على كبيرة فهو من المرجون لأمر الله تعالى إما يعذبهم وإما يتوب عليهم. الشفاعة تكون للمصلين وحتى نضمن أننا من أمة محمد ﷺ علينا أن لا نكون من الذين ذكروا في أحاديث: «ليس منا» أي من المفصولين من شفاعته ﷺ. «ليس منا من لم يصل» «من غشنا ليس منا» «ليس منا من لم يوقر الكبير» وغيرها من الأحاديث. فلكي نكون من أهل الشفاعة يوم القيامة علينا أن نكون من المصلين وأن لا نكون من المفصولين يوم القيامة.

كل من قال: لا إله إلا الله يحبه الله تعالى، والسابقون لهم الدرجات العلا

وأولئك هم أحباب الله تعالى وجيرانه في الفردوس وأهل الله وخاصته (والذين عند ربك) أما الآخرون فيحبهم الله تعالى ولكنه يريد أن يرفعهم ليلحقوا بالسابقين ﴿حُذِّ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةٌ تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلَّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التَّوْبَةُ: 103] والصدقة غير الزكاة، وكلمة (خذ) تدل على أن ولي الأمر يجب أن يأخذ الزكاة والصدقات الاختيارية ويوزعها توزيعاً حضارياً بعد أن يعرف حاجات الناس. والصدقة من أرحم الأعمال يوم القيامة وفي الحديث الشريف: «كل امرئ في ظل صدقته يوم القيامة حتى يُقضى بين الناس» «إن الصدقة لتطفئ حرَّ القبور وإنما يستظل المؤمن يوم القيامة في ظل صدقته» وقوله تعالى: ﴿لَنْ نَنأُوا إِلَيْكَ حَتَّى نُنفِقُوا مِمَّا نُحِبُّونَ وَمَا نُنفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّكَ اللَّهُ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: 92]، «باكروا بالصدقة فإن البلاء يتخطاها» «داووا مرضاكم بالصدقة» «الصدقة تصدِّ سبعين باباً من السوء» «تصدقوا فإن الصدقة فكاكم من النار» «إن صدقة المسلم تزيد في العمر وتمنع ميتة السوء ويذهب الله بها الكبر والفخر» «قيل: يا رسول الله أي الصدقة أفضل؟ قال: جهد مُقِلٍّ» «رب درهم خير من مئة ألف درهم» «قيل: يا رسول الله أي الصدقة أفضل؟ قال: على ذي الرحم الكاشح» «صنائع المعروف تقي مصارع السوء وصدقة السر تطفئ غضب الرب وصلة الرحم تزيد في العمر» صلة الرحم وبر الوالدين فيها من الخير ما لا يمكن حصره. «الصدقة بعشر أمثالها والقرض بثمانية عشر» فالقرض من أعظم الصدقات. «من سره أن ينجيه الله من كُرب يوم القيامة فلينفس عن معسر أو يضع عنه».

وقد جاء في القرآن الكريم ثلاثيات ورباعيات وخماسيات العمل فيها قاسم مشترك وهو الصدقة. لكي يرفع الله تعالى درجاتك ويتجاوز عن سيئاتك ويستر عيوبك كالسخاء «إن السخاء خُلِقَ اللهُ العظيم» «إن الله اختار هذا الدين لنفسه ولا يصلحه إلا السخاء والكرم» «تجاوزوا عن ذنب السخيِّ فإن الله يستره في الدنيا ويغفر له في الآخرة» من أراد أن يلحق بالسابقين فليبسط يده ولو بدرهم «اتقوا النار ولو بشقِّ تمرّة».

(وآخرون اعترفوا بذنوبهم) الاعتراف توبة شرط أن يكون طوعياً ذليلاً يطلب العفو «رب إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً وأنت تغفر الذنوب فاغفر لي» وأن تنوي عدم العودة وأن تُتبعه بما ينبغي من تكفير كالصدقة (خذ من أموالهم صدقة). فعلى كل من يرتكب ذنباً غير الصغائر (التي تكفرها الصلاة إلى الصلاة والصيام والاستغفار والقرآن) فهناك ذنوب عظيمة وذنوب كبيرة وذنوب خطيرة فالكبائر سبعة أما الذنوب العظيمة فكثيرة منها قطع الرحم والغيبة والنميمة وإيذاء الجار وغيرها . . هذه الذنوب ينبغي التوبة منها واعترافاً وتذلاً إلى الله تعالى بتذكر ذنبك دائماً «من سرته حسنته وساءته سيئته فذلك المؤمن» والشعور بالذنب هو توبة كما في الحديث القدسي: «إن العبد ليعصيني فيذكرني على المعصية لا يستغفرني فأغفر له».

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس⁽¹⁾: الخاء واللام والطاء أصلٌ واحدٌ مخالفٌ للباب الذي قبله، بل هو مُضادُّ له. تقول: خَلَطْتُ الشَّيْءَ بغيره فَاخْتَلَطَ. ورجلٌ مَخْلُطٌ، أي: حَسَنُ المداخِلَةِ للأُمُورِ. وَخِلَافُهُ المِزِيلُ.

والخَلِيطُ: المِجاوِرُ. ويقال: الخِلْطُ: السَّهْمُ يَنْبُتُ عودُهُ على عِوَجٍ، فلا يَزَالُ يَتَعَوَّجُ وَإِنْ قُومَ. وهذا من الباب؛ لأنَّه ليس يُخَالِطُ في الاستقامة. ويقال: اسْتَخْلَطَ البَعِيرُ، وذلك أن يَعْيا بالقَعُو على النَّاقَةِ ولا يَهْتَدِي لذلك، فَيُخْلَطُ له وَيُلْطَفُ له.

قال الخليل⁽²⁾: والخِلْطُ: اسم كل نوعٍ من الأَخْلَاطِ كالدواء ونحوه.

قال: أحسبه الليل والفجر. والخَلِيطُ أيضاً من السمن فيه لحمٌ وشحم.

(2) العين.

(1) معجم مقاييس اللغة.

وَالْخَلِيطُ: تبن وقت مختلطان. وَالْخُلَيْطِيُّ: تخليط الأمر، إنه لفي خُلَيْطِي من أمره.

وَالْخِلَاطُ: مخالطة الذئب بالغنم، قال:

يضمن أهل الشاء بالخلاط.

وَالْخَلِيطُ الرَّجُلُ: مُخَالِطُهُ.

وَالْخَلِيطُ: القوم الذين أمرهم واحد، قال:

بان الخليطُ بسحرة فتبددوا.

وَالْخِلَاطُ: مُخَالَطَةُ الْفَحْلِ النَّاقَةِ أَيْضاً، إِذَا خَالَطَ ثِيْلَهُ حَيَاهَا. وَأَخْلَطَ الرَّجُلُ لِلْفَحْلِ: إِذَا أَدَخَلَ قَضِيْبَهُ وَسَدَدَهُ. وَخَوْلَطَ فِي عَقْلِهِ خِلَاطاً فَهُوَ خِلْطٌ. وَخَلِطٌ مُخْتَلِطٌ بِالنَّاسِ مُتَّحِبِّبٌ، وَامْرَأَةٌ بِالْهَاءِ.

وَنُهِيَ عَنِ الْخَلِيطَيْنِ فِي الْأَنْبِذَةِ، وَهُوَ أَنْ يُجْمَعَ بَيْنَ صَنْفَيْنِ تَمْرٍ وَزَيْبٍ أَوْ عَنَبٍ وَرَطْبٍ. وَقَوْلُهُ: لَا خِلَاطَ وَلَا وِرَاطَ أَي: لَا يَجْمَعُ بَيْنَ مَتَفَرِّقٍ وَلَا يَفْرُقُ بَيْنَ مَجْتَمِعٍ، وَالْوِرَاطُ: الْخَدِيعَةُ. وَإِذَا حَلَبْتَ عَلَى الْحَامِضِ مَحْضاً فَهُوَ الْخَلِيطُ. وَالْخِلَاطُ: مُخَالَطَةُ الدَّاءِ الْجَوْفِ. وَأَخْلَطَ الْفَحْلُ إِذَا خَالَطَ، وَأَخْلَطَهُ الرَّجُلُ.

قال الجوهري⁽¹⁾: خَلَطْتُ الشَّيْءَ بغيره خَلْطاً فَاخْتَلَطَ. وَخَالَطَهُ مُخَالَطَةً وَخِلَاطاً. وَاخْتَلَطَ فُلَانٌ، أَي: فَسَدَ عَقْلُهُ. وَالتَّخْلِيطُ فِي الْأَمْرِ: الْإِفْسَادُ فِيهِ. وَقَوْلُهُمْ: وَقَعُوا فِي الْخُلَيْطِيِّ أَي: اخْتَلَطَ عَلَيْهِمْ أَمْرُهُمْ. وَالْخَلِيطُ الْمُخَالَطُ، كَالنَّدِيمِ الْمُنَادِمِ، وَالْجَلِيسِ الْمُجَالِسِ. وَهُوَ وَاحِدٌ وَجَمْعٌ.

وقال: إِنَّ الْخَلِيطَ أَجَدُّوا السَّيْنَ فَانْجَرَدُوا وَقَدْ يُجْمَعُ عَلَى خَلَطَاءٍ وَخُلُطٍ.

وأما الحديث: «لَا خِلَاطَ وَلَا وِرَاطَ»، فيقال هو كقوله: «لَا يُجْمَعُ بَيْنَ مَتَفَرِّقٍ وَلَا يُفْرَقُ بَيْنَ مَجْتَمِعٍ خَشِيَّةَ الصَّدَقَةِ». بِالضَّمِّ: الشَّرْكَةُ. وَالْخِلَاطَةُ بِالْكَسْرِ: الْعِشْرَةُ. وَالْخِلْطُ أَيْضاً: وَاحِدٌ أَوْ خِلَاطُ الطَّيْبِ. وَالْخِلْطُ أَيْضاً: السَّهْمُ يَنْبُتُ عَوْدُهُ

(1) الصحاح في اللغة.

على عِوَجٍ، فلا يزال يَتَعَوَّجُ وَإِنْ قَوْمَ . ورجلٌ مِخْلَطٌ بكسر الميم: يُخَالِطُ الأمور .
يقال: فلانٌ مِخْلَطٌ مِزِيلٌ، كما يقال: هو راتقٌ فاتقٌ . واستَخْلَطَ البعيرُ، أي قَعَا .
وَأَخْلَطَهُ صاحِبُهُ، إذا جعل قضيبيهِ في الحَيَاءِ . وَالْحَلِيْطُ من العَلْفِ: قَتَّ وتَبَنُّ .
وخولطَ الرجلُ في عقله خِلاطاً .

المعنى المشترك:

* وقد استعمل القرآن الكريم كلمة (خلط) بالمعاني التالية:

- 1 - ضمها ومزجها: ﴿وَأَخْرَجْنَا لَهُمْ لِسَانَ طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَهُمْ أَعْرَابٌ مِّنْ غَيْرِ الْعَرَابِ وَأَعْرَابٌ سُجُودٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا فَاصْطَبَقُوا وُجُوهَهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمْ أَصْحَابُهَا وَمَتَّبِعِ الْفِتْيَانَ لِيَهَيَّؤَ لَكُمُ الْوَجُوهَ لِيُخْرِجَهُنَّ مِنَ الْبُيُوتِ بِالسُّبْحِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمْ أَصْحَابُهَا وَمَتَّبِعِ الْفِتْيَانَ لِيَهَيَّؤَ لَكُمُ الْوَجُوهَ لِيُخْرِجَهُنَّ مِنَ الْبُيُوتِ بِالسُّبْحِ﴾ [التوبة: 102].
- 2 - المعاشرة والمداخلة: ﴿وَإِن تَخَاطَبُوهُم فَاِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾ [البقرة: 220].
- 3 - الشريك: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخَالِطَاءِ لَيَبغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [ص: 24].

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ﴾ [يونس: 24].

قال ابن عاشور⁽¹⁾: ﴿فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ﴾ شُبّه به طور ابتداء نضارة العيش وإقبال زهرة الحياة، فذلك يشبه خروج الزرع بعيد المطر فيما يشاهد من بوارق المأمول، ولذلك عطف بفاء التعقيب للإيدان بسرعة ظهور النبات عقب المطر فيؤذن بسرعة نماء الحياة في أول أطوارها. وعبر عنه بالاختلاط بالماء بحيث ظهر قبل جفاف الماء، أي فاختلط النبات بالماء أي جاوره وقارنه.

(1) التحرير والتنوير.

قال الفخر الرازي⁽¹⁾: وهذا الكلام يحتمل وجهين: أحدهما: أن يكون المعنى فاختلط به نبات الأرض بسبب هذا الماء النازل من السماء، وذلك لأنه إذا نزل المطر ينبت بسببه أنواع كثيرة من النبات، وتكون تلك الأنواع مختلطة، وهذا فيما لم يكن نابتاً قبل نزول المطر. والثاني: أن يكون المراد منه الذي نبت، ولكنه لم يترعرع، ولم يهتز. وإنما هو في أول بروزه من الأرض ومبدأ حدوثه، فإذا نزل المطر عليه، واختلط بذلك المطر، أي اتصل كل واحد منهما بالآخر اهتز ذلك النبات وربا وحسن، وكمل واكتسى كمال الرونق والزينة.

قال الزمخشري⁽²⁾: ﴿فَاخْتَلَطَ بِهِ﴾ فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضاً.

● قال تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [ص: 24].

قال الطبري⁽³⁾: يقول: وإن كثيراً من الشركاء ليتعدى بعضهم على بعض.

قال أبو السعود⁽⁴⁾: أي: الشركاء الذين خلطوا أموالهم.

قال الشعراوي⁽⁵⁾: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ﴾ أي: الشركاء ﴿لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات المعنى: أن هذه القضية ليست قضية فذة ولا مفردة، إنما هي ظاهرة كثيرة الحدوث بين الشركاء، فكثيراً ما يبغى شريك على شريكه ويظلمه مع أنهم ما شاركوا إلا لمحبة بينهما واتفاق وتفاهم، لكن هذا كله لا يمنع ميل الإنسان إلى أن يظلم، وما أشبه هؤلاء بالمقامرين تراهم في الظاهر أحراباً وأصدقاء، في حين أن كلاً منهم حريص على أخذ ما في جيب الآخر.

● قال تعالى: ﴿وَأَخْرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا﴾

[التوبة: 102].

(4) إرشاد العقل السليم.

(5) تفسير الشعراوي.

(1) التفسير الكبير.

(2) الكشاف.

(3) جامع البيان.

قال ابن عاشور⁽¹⁾: ﴿خَاطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾ جاء ذكر الشئيين المختلطين بالعطف بالواو على اعتبار استوائهما في وقوع فعل الخلط عليهما . ويقال: خلط كذا بكذا على اعتبار أحد الشئيين المختلطين متلابسين بالخلط، والتركيبان متساويان في المعنى، ولكن العطف بالواو أوضح وأحسن فهو أفصح .

قال الألوسي⁽²⁾: ﴿خَاطُوا عَمَلًا صَالِحًا﴾ خروجاً إلى الجهاد مع رسول الله ﷺ ﴿وَأَخَرَ سَيِّئًا﴾ تخلفاً عنه عليه الصلاة والسلام روي هذا عن الحسن والسدي وعن الكلبي أن الأول التوبة والثاني الإثم، وقيل: العمل الصالح يعم جميع البر والطاعة، والسيء ما كان ضده .

قال الخازن⁽³⁾: ﴿خَاطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾ قيل: أراد بالعمل الصالح إقرارهم بالذنب وتوبتهم منه، والعمل السيئ هو تخلفهم عن الجهاد مع رسول الله ﷺ . وقيل: العمل الصالح هو خروجهم مع رسول الله ﷺ إلى سائر الغزوات، والسيئ هو تخلفهم عنه في غزوة تبوك . وقيل: إن العمل الصالح يعم جميع أعمال البر والطاعة، والسيئ ما كان ضده . فعلى هذا تكون الآية في حق جميع المسلمين والحمل على العموم أولى وإن كان السبب مخصوصاً بمن تخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك .



(3) لباب التأويل .

(1) التحرير والتنوير .

(2) روح المعاني .

خلع

(خلع - نزع - سلخ)

- **الْخَلْعُ:** تنحية الإنسان ما يلبسه من قدميه ﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُورَى﴾ [طه: 12].
- **النَّزْعُ:** جذب الشيء من مقره بشدة ﴿يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ تَرِيهِمَا﴾ [الأعراف: 27].
- **السَّلْخُ:** فصل الشيء المشتبك مع الآخر بقوة ﴿وَأَيُّةٌ لَهُمُ الْآيَةُ أَنَّهُمْ آتُوا مِنْ نَحْوِ مَنَافِقِ بَيْتِ اللَّهِ مِنْ عَدُوِّهِمْ يَخْلَفُونَ مِنْ خَلْفِهَا وَيَنْزِعُونَ مِنَ الْمُحْرِمِ وَاللَّهُ يَدْعُو لَهُمْ هَيْبًا وَبَغْيًا وَأَلْقَى فِي الْمَوْتِ الْوَجَدَانَ وَالَّذِينَ أُوذِيَ عَذَابًا ذَلِيلًا فَجَعَلْنَا لِقَابَ الْعَذَابِ الْيَوْمِ الْغَيْظَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ الْأَرْضِ الْمَعِينِ بِذُنُوبِهِمْ وَأَقْرَبُوا نَجْدًا الَّتِي خَلَعُوا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أُولَئِكَ قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ [يس: 37].



النصوص اللغوية:

قال ابن فارس⁽¹⁾: الخاء واللام والعين أصلٌ واحد مطرّد، وهو مُزايَلة الشيء الذي كان يُشتمَل به أو عليه. تقول: خَلَعْتُ الثَّوبَ أَخْلَعُهُ خَلْعًا، وَخُلِعَ الْوَالِي يُخْلَعُ خَلْعًا. وهذا لا يكادُ يقال إلا في الدُّون يُنزل مَنْ هو أعلى منه، وإلا فليس يُقال: خَلَعَ الْأَمِيرُ وَالِيَهُ عَلَى بَلَدٍ كَذَا. أَلَا تَرَى أَنَّهُ إِنَّمَا يُقال: عَزَلَهُ. ويقال: طَلَّقَ الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ. فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ مِنْ قَبْلِ الْمَرْأَةِ يُقال: خَالَعَتْهُ وَقَدْ اخْتَلَعَتْ؛ لِأَنَّهَا تَقْتَدِي نَفْسَهَا مِنْهُ بِشَيْءٍ تَبْدُلُهُ لَهُ. وفي الحديث: «المختلعات هنَّ المنافقات» يعني اللواتي يخالغن أزواجهنَّ من غير أن يضارهنَّ الأزواج. والخَالِعُ: البُسر النَّصِيجُ،

(1) معجم مقاييس اللغة.

لأنه يَخْلَع قِشْرَهُ من رُطوبته . كما يقال : فَسَقَتِ الرُّطْبَةُ . إذا خَرَجَتْ مِنْ قِشْرِهَا .
ومن الباب خَلَعَ السُّنْبُلُ : إذا صار له سَفَاً ، كأنه خَلَعَهُ فَأَخْرَجَهُ . والخَلِيعُ : الذي
خَلَعَهُ أَهْلُهُ ، فَإِنْ جَنَى لَمْ يُطْلَبُوا بِجِنَايَتِهِ ، وَإِنْ جُنِيَ عَلَيْهِ لَمْ يُطْلَبُوا بِهِ . وهو قوله :
به الذُّبُّ يَعْوِي كَالخَلِيعِ المُعَيَّلِ والخَلِيعُ : الذُّبُّ ، وقد خُلِعَ أَيَّ خَلَعٍ ! ويقال :
الخَلِيعُ الصَّائِدُ . ويقال : فلانٌ يَتَخَلَّعُ فِي مِشِيَّتِهِ ، أَي : يَهْتَزُّ ، كأنَّ أَعْضَاءَهُ تَرِيدُ أَنْ
تَتَخَلَّعَ . والخَالِيعُ : داءٌ يُصِيبُ البَعِيرَ . يقال به خَالَعٌ ، وهو الذي إذا بَرَكَ لَمْ يَقْدِرْ
على أَنْ يَثُورَ . وذلك أَنَّهُ كَأَنَّهُ تَخَلَّعَتْ أَعْضَاؤُهُ حَتَّى سَقَطَتْ بِالْأَرْضِ . والخَوْلَعُ :
فَرْعٌ يَعْتَرِي الفُؤَادَ كالمَسِّ ؛ وهو قِياسُ البابِ ، كأنَّ الفُؤَادَ قد خُلِعَ . ويقال : قد
تَخَالَعَ القَوْمُ : إذا نَقَضُوا ما كان بَيْنَهُمْ مِنْ حِلْفٍ .

قال الخليل⁽¹⁾ : خلع ، خعل مستعملان (خلع : الخَلْعُ : اسم ، خَلَعَ رِداءً
وَحُقْفَةً وَحُقْفَةً وَقَيْدَهُ وَامْرَأَتَهُ .

والخَلْعُ كالنَزْعِ إِلَّا أَنْ فِي الخَلْعِ مُهْلَةٌ . واخْتَلَعَتِ المِراةُ اخْتِلاَعًا وَخُلَعَةً .
وخلَعَ العِذارُ : أَي الرِّسْنَ ، فَعَدَا على الناسِ بالشرِّ لا طالِبَ لَهُ فَهُوَ مَخْلُوعُ الرِّسَنِ .
والخِلْعَةُ : كُلُّ ثَوْبٍ تَخْلَعُهُ عَنكَ . ويُقالُ : هو ما كان على الإنسانِ من ثِيابِهِ
تاماً . والخِلْعَةُ : أَجودُ مالِ الرَّجُلِ ، يقال : أَخَذْتُ خِلْعَةَ مالِهِ أَي : خَيْرَتُ فِيهَا
فَأَخَذْتُ الأَجودَ فالأَجودَ منها . والخَلِيعُ : اسمُ الولدِ الذي يَخْلَعُهُ أبُوهُ مَخافَةً أَنْ
يَجْنِيَ عَلَيْهِ ، فيقول : هذا ابني قد خَلَعْتُهُ فَإِنْ جَرَّ لَمْ أَضْمَنْ ، وَإِنْ جَرَّ عَلَيْهِ أَطْلَبُ ،
فلا يُؤخَذُ بعد ذلك بحريته ، كانوا يفعلونه في الجاهلية ، وهو المَخْلُوعُ أيضاً ،
والجَمْعُ الخُلَعَاءُ ، ومنه يُسَمَّى كُلُّ شَاطِرٍ وشَاطِرَةٍ خَلِيعاً وَخَلِيعَةً ، وفعلُهُ اللّازِمُ خَلَعَ
خِلاَعَةً أَي : صار خَلِيعاً . والخَلِيعُ : الصَّيادُ لانيفرادِهِ عَنِ الناسِ . ويُقالُ : الخَلِيعُ
ههنا الصَّيادُ ، ويُقالُ : هو ههنا الشَّاطِرُ : والمُخَلَّعُ مِنَ الناسِ : الذي كانَ بِهِ هَبَّةٌ أو
مَسًّا ، وَرَجُلٌ مُخَلَّعٌ : ضَعيفٌ رِخْوٌ . وفي الحديث : «خَلَعَ رِبْقَةَ الإسلامِ مِنْ عُنُقِهِ»

(1) العين .

إذا ضيَع ما أُعطي من العَهْدِ وخرج على النَّاسِ . والخَوْلُوعُ : فزعٌ يَبْقَى في الفؤادِ حتى يَكادُ يُعْتَرِي صاحبه الوَسواسُ منه . وقيل : الضَّعْفُ والفِرْعُ .

والمُتَخَلِّعُ : الذي يَهْزُ منكبيه إذا مشى ويُشيرُ بيديه . والمَخْلُوعُ الفؤادِ : الذي انخَلَعَ فؤاده من فزعٍ .

والخَلَعُ : زوالٌ في المفاصلِ من غيرِ بَيْنُونَةٍ ، يُقالُ : أصابه خَلَعٌ في يَدِهِ ورجلِهِ .

والخَلَعُ : القديدُ يُشَوِي فَيُجْعَلُ في وعاءٍ بإهالَتِهِ . والخالِيعُ : البُسْرَةُ إذا نَضِجَتْ كُلُّهَا . والخالِيعُ : السُّنْبُلُ إذا سفا . وخَلَعَ الزَّرْعُ خِلاَعَةً . والمُخَلَّعُ من الشُّعْرِ : ضَرْبٌ من البسيطِ يُحذفُ من أجزائه كما قال الأسودُ بن يعْفَرُ :

ماذا وقوفي على رسمِ عفا مُخَلَّوَلِقِ دَارِسِ مُسْتَعْجِمِ
قُلْتُ للخليلِ : ماذا تقولُ في المُخَلَّعِ؟ قال : المُخَلَّعُ من العروضِ ضربٌ من البسيطِ وأورده .

والخَلِيعُ : القِدْحُ الذي يفوزُ أولاً والجمعُ أَخْلِيعَةٌ ، والخَلِيعُ من أسماءِ العُولِ ، قالَ عَرَّامٌ : هي الخَلُوعُ لأنها تَخَلَعُ قلوبُ الناسِ ولم نَعْرِفِ الخَلِيعَ .

في القرآن الكريم:

● قال تعالى : ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ^ط إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [طه :

[12].

قال الفخر الرازي⁽¹⁾ : ﴿فاخْلَعْ نَعْلَيْكَ^ط﴾ إشارة إلى أن لا يلفت خاطره إلى

(1) التفسير الكبير .

الزوجة والولد وأن لا يبقى مشغول القلب بأمرهما. وثانيها: المراد بخلع النعلين ترك الالتفات إلى الدنيا والآخرة كأنه أمره بأن يصير مستغرق القلب بالكلية في معرفة الله تعالى ولا يلتفت بخاطره إلى ما سوى الله تعالى. والمراد من الوادي المقدس قدس جلال الله تعالى وطهارة عزته، يعني أنك لما وصلت إلى بحر المعرفة فلا تلتفت إلى المخلوقات.

قال الماوردي⁽¹⁾: ﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾ الآية. وفي أمره بخلعهما قولان: أحدهما: ليباشر بقدميه بركة الوادي المقدس، قاله علي بن أبي طالب، والحسن، وابن جريج.

والثاني: لأن نعليه كانتا من جلد حمار ميت، قاله كعب، وعكرمة، وقتادة. قال أبو السعود⁽²⁾: ﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾ أمر عليه الصلاة والسلام بذلك لأن الحفوة أدخل في التواضع وحسن الأدب، ولذلك كان السلف الصالحون يطوفون بالكعبة حافين، وقيل: ليباشر الوادي بقدميه تبركاً به، وقيل: لما أن نعليه كانتا من جلد حمار غير مدبوغ، وقيل: معناه فرغ قلبك من الأهل والمال، والفاء لترتيب الأمر على ما قبلها فإن ربوبيته تعالى له عليه الصلاة والسلام من موجبات الأمر ودواعيه.



خلف

(خلف - آخر - دبر - عقب - قفا - وراء)

- الخَلْفُ: ضد الأمام المباشر ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ [البقرة: 255].
- الأَخِرُ: بالكسر - ضد الأول ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعَمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ [التحل: 30].
- الدُّبُرُ: ضد قبل ﴿فَسَبِّحْهُ وَادْبُرْ النُّجُومَ﴾ [الطور: 49].
- العَقْبُ: ضد القدام ﴿أُنْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾ [آل عمران: 144].
- القَفَا: ضد الوجه ﴿وَلَا نَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: 36].
- الوَرَاءُ: ضد الأمام البعيد ﴿وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: 71].



النصوص اللغوية:

قال ابن فارس⁽¹⁾: الخاء واللام والفاء أصولٌ ثلاثة: أحدها: أن يجيء شيءٌ بعد شيءٍ يقوم مقامه، والثاني: خلافُ قُدَامٍ، والثالث: التغيُّر. فالأول الخَلْفُ. والخَلْفُ ما جاء بعدُ. ويقولون: هو خَلَفُ صِدْقٍ من أبيه. وخَلَفَ سَوْءٌ من أبيه. فإذا لم يذكروا صِدْقاً ولا سَوْءاً قالوا للجيّد: خَلَفَ وللرديّ: خَلَفَ. قال الله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ [الأعراف: 169]. والخَلِيفَى: الخِلافة، وإنّما

(1) معجم مقاييس اللغة.

سُمِّيَتْ خِلاَفَةً لِأَنَّ الثَّانِي يَجِيءُ بَعْدَ الْأَوَّلِ قَائِمًا مَقَامَهُ . وتقول: قعدت خِلاَفَ فلانٍ، أي: بَعْدَهُ . وَالْحَوَالِفُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾ [التوبة: 87] هُنَّ النِّسَاءُ ، لِأَنَّ الرِّجَالَ يَغِيَّبُونَ فِي حُرُوبِهِمْ وَمَغَاوِرَاتِهِمْ وَتِجَارَاتِهِمْ وَهِنَّ يَخْلُفُنَّهُمْ فِي الْبُيُوتِ وَالْمَنَازِلِ . وَلِذَلِكَ يُقَالُ: الْحَيُّ خُلُوفٌ ، إِذَا كَانَ الرِّجَالُ غُيَّبًا وَالنِّسَاءُ مُقِيمَاتٍ . وَيَقُولُونَ فِي الدِّعَاءِ: «خَلَفَ اللَّهُ عَلَيْكَ» أَي كَانَ اللَّهُ تَعَالَى الْخَلِيفَةَ عَلَيْكَ لِمَنْ فَقَدْتَ مِنْ أَبٍ أَوْ حَمِيمٍ . وَاللَّهُ لَكَ أَي: عَوَّضَكَ مِنَ الشَّيْءِ الذَّاهِبِ مَا يَكُونُ يَقُومُ بَعْدَهُ وَيَخْلُفُهُ . وَالْخِلْفَةُ نَبْتُ يَنْبِتُ بَعْدَ الْهَشِيمِ . وَخِلْفَةُ الشَّجَرِ: ثَمْرٌ يَخْرُجُ بَعْدَ الثَّمَرِ .

يُقَالُ: أَخْلَفَ: إِذَا اسْتَقَى . وَالْأَصْلُ الْآخِرُ خَلْفٌ ، وَهُوَ غَيْرُ قَدَّامٍ . وَمِنَ الْبَابِ الْخِلْفُ ، الْوَاحِدُ مِنْ أَخْلَافِ الضَّرْعِ . وَسَمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ يَكُونُ خَلْفًا مَا بَعْدَهُ . وَأَمَّا الثَّالِثُ فَقَوْلُهُمْ خَلَفَ فُوهَ: إِذَا تَغَيَّرَ ، وَأَخْلَفَ . وَهُوَ قَوْلُهُ ﷺ: «لِخُلُوفِ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ» . وَمِنَ الْخِلَافِ فِي الْوَعْدِ . وَخَلَفَ الرَّجُلُ عَنِ خُلُقِ أَبِيهِ: تَغَيَّرَ . وَيُقَالُ الْخَلِيفُ: الثَّوْبُ يَبْلَى وَسَطُهُ فَيُخْرَجُ الْبَالِي مِنْهُ ثُمَّ يُلْفَقُ ، فَيُقَالُ: خَلَفْتُ الثَّوْبَ أَخْلُفُهُ . وَهَذَا قِيَاسٌ فِي هَذَا وَفِي الْبَابِ الْأَوَّلِ . وَيُقَالُ: وَعَدَنِي فَأَخْلَفْتُهُ ، أَي: وَجَدْتَهُ قَدْ أَخْلَفَنِي . فَأَمَّا قَوْلُهُ: فَمَنْ أَنَّ هَذِي تَخْلَفُ هَذِي . وَأَمَّا قَوْلُهُمْ: اخْتَلَفَ النَّاسُ فِي كَذَا ، وَالنَّاسُ خِلْفَةٌ أَي: مُخْتَلِفُونَ ، فَمِنَ الْبَابِ الْأَوَّلِ؛ لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يُنَحِّي قَوْلَ صَاحِبِهِ ، وَيُقِيمُ نَفْسَهُ مَقَامَ الَّذِي نَحَاهُ . وَأَمَّا قَوْلُهُمْ لِلنَّاقَةِ الْحَامِلِ خِلْفَةٌ فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ شَادًّا عَنِ الْأَصْلِ ، وَيَجُوزُ أَنْ يُلْطَفَ لَهُ فَيُقَالُ إِنَّهَا تَأْتِي بِوَلَدٍ ، وَالْوَلْدُ خَلْفٌ . وَهُوَ بَعِيدٌ .

وَجَمْعُ الْخِلْفَةِ الْمَخَاضُ ، وَهُنَّ الْحَوَامِلُ . وَمِنَ الشَّادِّ عَنِ الْأَصُولِ الثَّلَاثَةُ: الْخَلِيفُ ، وَهُوَ الطَّرِيقُ بَيْنَ الْجَبَلَيْنِ . فَأَمَّا الْخَالِفَةُ مِنْ عَمَدِ الْبَيْتِ ، فَلَعَلَّ أَنْ يَكُونَ فِي مَوْخَرِ الْبَيْتِ ، فَهُوَ مِنْ بَابِ الْخَلْفِ وَالْقُدَّامِ . وَلِذَلِكَ يَقُولُونَ: فَلَانٌ خَالِفَةُ أَهْلِ بَيْتِهِ ، إِذَا كَانَ غَيْرَ مُقَدَّمٍ فِيهِمْ . وَمِنَ بَابِ التَّغْيِيرِ وَالْفَسَادِ الْبَعِيرُ الْأَخْلَفُ ، وَهُوَ الَّذِي يَمْشِي فِي شِقِّ ، مِنْ دَاءٍ يَعْتَرِيهِ .

المعنى المشترك:

* ورد الخلاف في القرآن الكريم على خمسة عشر معنى :

- 1 - بمعنى جاء: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ﴾ [الأعراف: 169].
- 2 - بمعنى من يقوم بشؤونك حال غيابك: ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي﴾ [طه: 86].
- 3 - من يقوم بالقضاء نيابة عن رب العالمين: ﴿بَدَاؤُدُّ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ [ص: 26].
- 4 - بمعنى التخلف عن أداء الواجب: ﴿فَأَقْعُدُوا مَعَ الْخَلِيفِينَ﴾ [التوبة: 83].
- 5 - بمعنى ربة البيت: ﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَمِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: 87].
- 6 - بمعنى مخالفة ما أمرت به قومك أو نهيتهم عنه: ﴿أَنْ أَخَالَفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُوا إِلَّا الْإِصْلَاحَ﴾ [هود: 88].
- 7 - بمعنى اجتناب أمر الأمر الملزم والانصراف عنه: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التور: 63].
- 8 - عدم الوفاء بالوعد: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾ [إبراهيم: 22].
- 9 - التعويض عما فقدته: ﴿وَمَا أَنفَقْتُمْ مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سبا: 39].
- 10 - التخلف عن الموعد عمداً: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا حَتَّىٰ إِذَا صَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَصَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ﴾ [التوبة: 118].

- 11 - الاختلاف السيء في الرؤى: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ [البقرة: 176].
- 12 - جيل بعد جيل أو قرن بعد قرن: ﴿فَلَفَّ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَةَ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: 59].
- 13 - بمعنى ضد قدام: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ﴾ [يونس: 92].
- 14 - المناوب لصاحبه: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [الفرقان: 62].
- 15 - المتأخر عن الواجب: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ [التوبة: 81].

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: 87].

قال الألوسي⁽¹⁾: هو جمع خالفة، وأطلق على المرأة لتخلفها عن أعمال الرجل كالجهاد وغيره، والمراد: ذمهم وإلحاقهم بالنساء في التخلف عن الجهاد. ويطلق الخالفة على من لا خير فيه.

قال ابن عطية⁽²⁾: وقوله ﴿رَضُوا...﴾ ترقيع وإظهار شناعة كما يقال على وجه التعيير: رضيت يا فلان. و(الْخَوَالِفِ): النساء، جمع خالفة، هذا قول جمهور المفسرين... وقالت فرقة: (الْخَوَالِفِ): جمع خالف، فهو جار مجرى فوارس ونواكس وهوالك.

(2) المحرر الوجيز.

(1) روح المعاني.

قال الطبري⁽¹⁾: يقول تعالى ذكره: رضي هؤلاء المنافقون، الذين إذا قيل لهم: آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله، استأذذك أهل الغنى منهم في التخلف عن الغزو والخروج معك، لقتال أعداء الله من المشركين، أن يكونوا في منازلهم، كالنساء اللواتي ليس عليهن فرض الجهاد، فهن قعود في منازلهن وبيوتهن.

● قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً...﴾ [البقرة: 30].

قال القشيري⁽²⁾: يقال إن الله سبحانه وتعالى خلق ما خلق من الأشياء، ولم يقل في شأن شيء منه ما قال في حديث آدم؛ حيث قال: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ فظاهر هذا الخطاب يشبه المشاورة لو كان من المخلوقين. والحق سبحانه وتعالى خلق الجنان بما فيها، والعرش بما هو عليه من انتظام الأجزاء وكمال الصورة، ولم يقل: إني خالق عرشاً أو جنةً أو ملكاً، وإنما قال تشریفاً وتخصيصاً لآدم: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾.

قال الطبري⁽³⁾: يعني بذلك إني جاعل في الأرض خليفة مني يخلفني في الحكم بين خلقي، وذلك الخليفة هو آدم ومن قام مقامه، في طاعة الله والحكم بالعدل بين خلقه. وأما الإفساد وسفك الدماء بغير حقها فمن غير خلفائه، وهو من غير آدم ومن قام مقامه في عباد الله، لأنهما أخبرا أن الله جل ثناؤه قال لملائكته إذ سأله: ما ذاك الخليفة؟ إنه خليفة يكون له ذرية يفسدون في الأرض ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضاً، فأضاف الإفساد وسفك الدماء بغير حقها إلى ذرية خليفته دونه، وأخرج منه خليفته.

● قال تعالى: ﴿يَنْدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ [ص: 26].

(3) جامع البيان.

(1) جامع البيان.

(2) لطائف الإشارات.

قال الطبري⁽¹⁾: يقول تعالى ذكره: وقلنا لدواد: يا دواد إنا استخلفناك في الأرض من بعد من كان قبلك من رسلنا حكماً بين أهلها.

قال الزمخشري⁽²⁾: أي: استخلفناك على الملك في الأرض، كمن يستخلفه بعض السلاطين على بعض البلاد ويملكه عليها، ومنه قولهم: خلفاء الله في أرضه.

أو جعلناك خليفة ممن كان قبلك من الأنبياء القائمين بالحق.

قال القرطبي⁽³⁾: أي: ملكناك لتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، فتخلف من كان قبلك من الأنبياء والأئمة الصالحين.

● قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ خَلِيفَةَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَّبْلُوكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ...﴾ [الأنعام: 165]

قال الطبري⁽⁴⁾: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ وأمه: والله الذي جعلكم أيها الناس ﴿خَلِيفَةَ الْأَرْضِ﴾، بأن أهلك من كان قبلكم من القرون والأمم الخالية، واستخلفكم، فجعلكم خلائف في الأرض، تخلفونهم فيها، وتعمرونها بعدهم.

والخلائف: جمع خليفة، كما الوصائف: جمع وصيفة، وهي من قول القائل: خلف فلان فلاناً في داره يخلفه خلافة، فهو خليفة.

قال الخازن⁽⁵⁾: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ خَلِيفَةَ الْأَرْضِ﴾ يعني: والله الذي جعلكم يا أمة محمد خلائف في الأرض فإن الله أهلك من كان قبلكم من الأمم الخالية واستخلفكم فجعلكم خلائف منهم في الأرض تخلفونهم فيها وتعمرونها بعدهم وذلك لأن محمداً ﷺ خاتم الأنبياء وهو آخرهم وأمه آخر الأمم ﴿وَرَفَعَ

(1) جامع البيان.

(2) الكشاف.

(3) الجامع لأحكام القرآن.

(4) جامع البيان.

(5) لباب التأويل.

بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ ﴿١﴾ يعني أنه تعالى خالف بين أحوال عباده فجعل بعضهم فوق بعض في الخلق والرزق والشرف والعقل والقوة والفضل فجعل منهم الحسن والقيبح والغني والفقير والشريف والوضيع والعالم والجاهل والقوي والضعيف وهذا التفاوت بين الخلق في الدرجات ليس لأجل العجز أو الجهل أو البخل فإن الله سبحانه وتعالى منزه عن صفات النقص وإنما هو لأجل الابتلاء والامتحان وهو قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾.

قال الفخر الرازي⁽¹⁾: أي نبهكم بمن مضى وحال من انقضى، فانكم لو لم يحصل لكم علم بأن من كذب الرسل اهلك، لكان عنادكم اخفى وفسادكم اخف، لكن امهلتهم وعمرتهم، وامرتهم على لسان الرسل بما امرتهم، وجعلتهم خلائف في الأرض، أي خليفة بعد خليفة، تعملون حال الماضين وتصبحون بحالهم راضين.

● قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَاكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَضْطَةً﴾ [الأعراف: 69].

قال الطبري⁽²⁾: اذكروا ما حل بقوم نوح من العذاب؛ إذ عصوا رسولهم، وكفروا بربهم، فإنكم إنما جعلكم ربكم خلفاء في الأرض منهم، لما أهلكهم أبدلكم منهم فيها.

قال الزمخشري⁽³⁾: أي خلفتموهم في الأرض، أو جعلكم ملوكاً في الأرض قد استخلفكم فيها بعدهم.

قال الفخر الرازي⁽⁴⁾: ذلك بأن أورثهم أرضهم وديارهم وأموالهم، وما يتصل بها من المنافع والمصالح.

(1) التفسير الكبير.
 (2) جامع البيان.
 (3) الكشاف.
 (4) التفسير الكبير.

● قال تعالى: ﴿لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ...﴾ [الرعد: 11].

قال الطبري⁽¹⁾: (من خلفه) من وراء ظهره.

قال البيضاوي⁽²⁾: من جوانبه، أو من الأعمال ما قدم وأخر.

قال الألوسي⁽³⁾: ﴿مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾ فالمعنى: أن المعقبات محيطة بجميع جوانبه، أو هو متعلق بـ (معقبات)، و(من) لابتداء الغاية، فالمعنى: أن المعقبات تحفظ ما قدم وأخر من الأعمال، أي تحفظ جميع أعماله...

● قال تعالى: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: 42].

قال ابن عباس⁽⁴⁾: ﴿مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾: من قبله ﴿وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾: لا يكون من بعده كتاب فيخالفه. ويقال: لا تكذبه التوراة والإنجيل والزبور وسائر الكتب من قبله: ولا يكون من بعده كتاب فيكذبه. ويقال: لم يأت إبليس إلى محمد ﷺ من قبل إتيان جبريل فزاد في القرآن، ولا من بعد ذهاب جبريل فنقص من القرآن. ويقال: لا يخالف القرآن بعضه بعضاً، ولكن يوافق بعضه بعضاً.

قال الفراء⁽⁵⁾: يقول: التوراة والإنجيل لا تكذبه وهي ﴿مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾، ﴿وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾، يقول: لا ينزل بعده كتاب يكذبه.

● قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ [الجن: 27].

(4) تفسير ابن عباس.

(5) معاني القرآن.

(1) جامع البيان.

(2) أنوار التنزيل.

(3) روح المعاني.

قال ابن عاشور⁽¹⁾: ﴿بَيْنَ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾ بمعنى قريباً من زمانه وبعيداً عنه، ف ﴿مِنْ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ معناه القرب، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [سبأ: 46]، أي: قبل العذاب قريباً منه، وقال تعالى: ﴿وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا﴾ [الفرقان: 38]، وقال: ﴿وَرُسُلًا لَّمْ نَقْضُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ [النساء: 164].
وأما الذي من خلفه فنوح، فقد قال هود لقومه: ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَاكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ [الأعراف: 69]، وهذا مراعاة للحالة المقصود تمثيلها، فهو ناظر إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَاٍ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: 9]، أي: قد خلت من قبله رسل مثل ما خلت بتلك.

● قال تعالى: ﴿... يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ [البقرة: 255].

قال الطبري⁽²⁾: يعني تعالى ذكره بذلك: أنه المحيط بكل ما كان، وبكل ما هو كائن علماً، لا يخفى عليه شيء منه.

قال الزجاج⁽³⁾: أي يعلم الغيب الذي تقدمهم، والغيب الذي يأتي من بعدهم.

قال البغوي⁽⁴⁾: قيل: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾، أي ما قدموه من خير وشر، ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: ما هم فاعلوه.

● قال تعالى: ﴿وَقِيصْنَا لَهُمْ قُرْآنًا فَرَسْنَاهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ [فصلت: 25].

قال الطبري⁽⁵⁾: يقول: فزين لهؤلاء الكفار قرناؤهم من الشياطين ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ من أمر الدنيا، فحسنوا ذلك لهم، وحببوه إليهم، حتى آثروه على أمر الآخرة، ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ يقول: وحسنوا لهم أيضاً ما بعد مماتهم، بأن دعوهم إلى

(1) معالم التنزيل.

(1) التحرير والتنوير.

(2) جامع البيان.

(2) جامع البيان.

(3) معاني القرآن.

التكذيب بالمعاد، أن من هلك منهم فلن يبعث، وأن لا ثواب ولا عقاب حتى صدقوهم على ذلك، وسهل عليهم فعل كل ما يشتهونه، وركوب كل ما يلتذونه من الفواحش، باستحسانهم ذلك لأنفسهم.

● قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [يس: 45].

قال الطبري⁽¹⁾: يقول ذكره تعالى: وإذا قيل لهؤلاء المشركين بالله، المكذبين رسوله محمد ﷺ: احذروا ما مضى بين أيديكم من نقم الله ومثلاته، بمن حل ذلك به من الأمم قبلكم، أن يحل مثله بكم بشرككم وتكذيبكم رسوله، ﴿وَمَا خَلَفَكُمْ﴾ يقول: وما بعد هلاككم مما أنتم لاقوه، هلكتم على كفركم الذي أنتم عليه.

قال الزجاج⁽²⁾: ما أسلفتم من ذنوبكم، وما تعملونه فيما تستقبلون. وقيل: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ على معنى: اتقوا أن ينزل بكم من العذاب مثل الذي نزل بالأمم قبلكم، ﴿وَمَا خَلْفَكُمْ﴾، أي اتقوا عذاب الآخرة.

● قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّزُقِينَ﴾ [سبأ: 39].

قال الزمخشري⁽³⁾: ﴿فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ فهو يعوضه لا معوض سواه: إما عاجلاً بالمال أو بالقناعة التي هي كنز لا ينفد، وإما آجلاً بالثواب الذي كل خلف دونه.

قال ابن الجوزي⁽⁴⁾: أي يأتي ببدله، يقال: أخلف الله له وعليه، إذا أبدل ما ذهب عنه.

(3) الكشاف.

(4) زاد المسير.

(1) جامع البيان.

(2) معاني القرآن.

● قال تعالى: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ [التوبة: 118].

قال الزمخشري⁽¹⁾: معنى ﴿خَلَفُوا﴾: خلفوا عن الغزو وقيل: عن أبي لبابة وأصحابه؛ حيث تيب عليهم بعدهم. وقرئ (خَلَفُوا)، أي: خلفوا الغزيرين بالمدينة، أو أفسدوا، من الخالفة وخلوف الفم. وقرأ جعفر الصادق عليه السلام (خالفوا) وقرأ الأعمش (على الثلاثة المخلفين).

قال ابن عطية⁽²⁾: معنى ﴿خَلَفُوا﴾: أُخْرُوا وترك أمرهم، ولم تقبل منهم معذرة ولا ردت عليهم، فكأنهم خلفوا عن المعتذرين، وقيل: معنى ﴿خَلَفُوا﴾ أي: عن غزوة تبوك، وقال: معنى ﴿خَلَفُوا﴾: تركوا عن قبول العذر وليس بتخلفنا عن الغزو، ويقوي ذلك من اللفظة جعله: (إذا ضاقت)، غاية للتخلف، لوم يكن ذلك عن تخليفهم عن الغزو، وإنما ضاقت عليهم الأرض عن تخليفهم عن قبول العذر.

● قال تعالى: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة: 81].

قال الطبري⁽³⁾: يقول تعالى ذكره،: فرح الذين خلفهم الله عن الغزو مع رسوله والمؤمنين به وجهاد أعدائه ﴿بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ﴾، يقول: بجلوسهم في منازلهم ﴿خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ﴾، يقول: على الخلاف لرسول الله في جلوسه ومقعده، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرهم بالنفر إلى جهاد أعداء الله، فخالفوا أمره وجلسوا في منازلهم.

قال الزمخشري⁽⁴⁾: ﴿الْمُخَلَّفُونَ﴾ الذين استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من

(3) جامع البيان.

(1) الكشاف.

(4) الكشاف.

(2) المحرر الوجيز.

المنافقين فأذن لهم وخلفهم في المدينة في غزوة تبوك، أو الذين خلفهم كسلهم ونفاقهم والشيطان... ﴿خَلَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ﴾ خلفه، وقيل: هو بمعنى المخالفة، لأنهم خالفوه حيث قعدوا ونهض. وانتصابه على انه مفعول له أو حال، أي: قعدوا لمخالفته أو مخالفين له.



خلق

(خلق - أبداع - برأ - صور)

- **الْخَلْقُ**: رسم صورة الشيء قبل إبداعه من غير أصل ولا احتذاء ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [الأنعام: 1].
- **الْبَدِيعُ**: إيجاد الشيء المخلوق بلا سابق مثال أو قياس ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة: 117].
- **الْبَارِئُ**: إيجاد الشيء المخلوق الذي أبداع بلا تفاوت أو خطأ أو نقص ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ﴾ [الحشر: 24].
- **الْمُصَوِّرُ**: يعطي كل مخلوق صورته التي يعرف بها ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ [غافر: 64].



النصوص اللغوية:

قال ابن فارس⁽¹⁾: الخاء واللام والقاف أصلان: أحدهما: تقدير الشيء، والآخر: ملاسة الشيء.

فأما الأول فقولهم: خلقت الأديم للسقاء، إذا: قدرته.

ومن ذلك الخلق، وهي السجية، لأن صاحبه قد قدر عليه. وفلان خَلِيقٌ بكذا، وأَخْلَقُ به، أي: ما أَخْلَقَهُ! أي: هو ممن يقدر فيه ذلك.

(1) معجم مقاييس اللغة.

وَالْخَلَاقُ: النصيب، لأنه قد قدر لكل أحد نصيبه.

ومن الباب: رجل مُخْتَلِقٌ: تام الخُلُقِ.

وَالْخَلْقُ: خلق الكذب، وهو اختلافه واختراعه وتقديره في النفس. قال الله تعالى: ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكَاً﴾ [العنكبوت: 17].

وأما الأصل الثاني: فصخرة خَلْقَاءُ، أي: ملساء. ويقال: اخْلَوْقَ السحاب: استوى. ورسم مُخْلَوْقٌ: إذا استوى بالأرض. والمُخَلَّقُ: السهم المصلح. وَأَخْلَقْتُهُ أَنَا: أبليتته؛ وذلك أنه إذا أخلق املاس وذهب زئبره. ويقال: المُخْتَلَقُ من كل شيء: ما اعتدل.

ويقال: ثوب خَلِقٌ وملحفه خَلِيقٌ، يستوي فيه المذكر والمؤنث.

وإنما قيل للسهم المصلح: مُخَلَّقٌ، لأنه يصير أملس.

وأما الخُلَيْقَاءُ في الفرس فكالعرنين من الإنسان.

قال الخليل⁽¹⁾: الخَلِيقَةُ: الخُلُقُ، والخَلِيقَةُ: الطبيعة؛ والجميع الخَلَائِقُ. والخَلَائِقُ: نقر في الصفا. والخَلِيقَةُ: الخلق، والخَالِقُ: الصانع. وَخَلَقْتُ الأديم: قَدَرْتَهُ.

وإن هذا لَمَخْلَقَةٌ للخير، أي: جدير به، وقد خَلَقَ لهذا الأمر فهو خَلِيقٌ له، أي: جدير به.

وإنه لَخَلِيقٌ لذاك، أي: بشبيهه، وما أَخْلَقَهُ، أي: ما أشبهه!

وامرأة خَلِيقَةٌ: ذات جسم وخَلِيقٍ، وقد يقال: رجل خَلِيقٌ، إذا تمَّ خَلْقُهُ، وَخَلَقَتِ المرأةُ خَلَاقَةً، أي: تمَّ خَلْقُهَا وَحَسَنَ.

والمُخْتَلَقُ من كل شيء: ما اعتدل وتم.

وَالْخَلَاقُ: النصيب من الحظ الصالح. وهذا رجل ليس له خَلَاقٌ، أي: ليس

(1) العين.

له رغبة في الخير، ولا في الآخرة، ولا صلاح في الدين. والخلق: الكذب في قراءة من قرأ ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأُولَيْنِ﴾ [الشعراء: 137]. وخلق الثوب يخلق خلوقاً، أي: بلي، وأخلق إخلاقاً. ويقال للسائل: أخلقت وجهك.

وأخلقتني فلان ثوبه، أي: أعطاني خلقاً من الثياب. وثوب أخلاق: ممزق من جوانبه.

والأخلق: الأملس. وهضبة أو صخرة خلقاء، أي: مصمتة. وخلقاء الجبهة: مستواها، وهي الخلقاء أيضاً. ويقال في الكلام: سحبوهم على خلقاءت جباههم.

وخلقاء الغار الأعلى: باطنه، وخلقاء الغار أيضاً.

واخلوق السحاب، أي: استوى، كأنه ملئس تمليساً، وقد يخلق خلقاً. والخلق: السحاب. والخلوق: من الطيب، وفعله: التخليق والتخلق. وامرأة خلقاء: رتقاء، لأنها مصمتة كالصفة الخلقاء. يقال منه: خلق يخلق خلقاً.

المعنى المشترك:

* وقد ورد (الخلق) في القرآن الكريم في المعاني التالية:

- 1 - الإيجاد في الدنيا: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ﴾ [الرؤم: 54].
- 2 - الإحياء في القيامة: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ [يس: 81].
- 3 - الكذب: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ [العنكبوت: 17].

4 - النطق: ﴿قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِإِيَّاهُ تُرْجَعُونَ﴾ [فصلت: 21].

5 - التصوير: ﴿وَإِذْ خَلَقْنَا مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِأَذْنِي﴾ [المائدة: 110].

6 - التقدير: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [النحل: 20].

7 - الجعل: ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَرْوَاحِكُمْ﴾ [الشُّعْرَاء: 166].

8 - الموت: ﴿أَوْ خَلَقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾ [الإسراء: 51].

9 - الدين: ﴿وَالأَمْرُ لَهُمْ فليَغَيِّرُتْ خَلْقَ اللَّهِ﴾ [النساء: 119].

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ...﴾ [البقرة: 29].

قال القشيري⁽¹⁾: سخر لهم جميع المخلوقات، على معنى حصول انتفاعهم بكل شيء منها، فعلى الأرض يستقرون، وتحت السماء يسكنون، وبالنجم يهتدون، وبكل مخلوق بوجه آخر ينتفعون. لا، بل ما من عين وأثر فكروا فيه إلا وكمال قدرته وظهور ربوبيته به يعرفون.

ويقال: مهد لهم سبيل العرفان، ونبههم إلى ما خصهم به من الإحسان، ثم علمهم علو الهمة؛ حيث استخلص لنفسه أعمالهم وأحوالهم، فقال: ﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ﴾ [فُصِّلَتْ: 37].

قال الزمخشري⁽²⁾: لأجلكم ولانتفاعكم به في دنياكم ودينكم، أما الانتفاع الدنيوي فظاهر، وأما الانتفاع الديني فالنظر فيه وما فيه من عجائب الصنع الدالة على الصانع القادر الحكيم، وما فيه من التذكير بالآخرة وبثوابها وعقابها،

(1) لطائف الإشارات. (2) الكشاف.

لاشتماله على أسباب الأتس واللذة، من فنون المطاعم والمشارب والفواكة والمناكب والمراكب والمناظر الحسنة البهية، وعلى أسباب الوحشة والمشقة من أنواع المكاره، كالنيران والصواعق والسباع والأحناش والسموم والغموم والمخاوف. وقد استدل بقوله: ﴿خَلَقَ لَكُمْ﴾ على أن الأشياء التي يصح أن ينتفع بها ولم تجر المحظورات في العقل، خلقت في الأصل مباحة مطلقاً لكل أحد أن يتناولها ويستمتع بها.

قال البيضاوي⁽¹⁾: بيان نعمة أخرى مرتبة على الأولى، فإنها خلقهم أحياء قادرين مرة بعد أخرى، وهذه خلق ما يتوقف عليه بقاؤهم ويتم به معاشهم. ومعنى (لكم) لأجلكم وانتفاعكم في دنياكم، باستنفاعكم بها في صالح أبدانكم بوسط أو بغير وسط، ودينكم بالاستدلال والاعتبار والتعرف لما يلائمها من لذات الآخرة وآلامها، لا على وجه الغرض، فإن الفاعل لغرض مستكمل به، بل على أنه كالغرض من حيث أنه عاقبة الفعل ومؤداه، وهو يقتضي إباحة الأشياء النافعة، ولا يمنع اختصاص بعضها ببعض لأسباب عارضة، فإنه يدل على أن الكل للكل لأن كل واحد لكل واحد، وما يعم كل ما في الأرض لا الأرض إلا إذا أريد بها جهة السفلى، كما يراد بالسماء جهة العلو.

● قال تعالى: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهِنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنْنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [البقرة: 228].

قال الزجاج⁽²⁾: قيل فيه: لا يحل لهن أن يتكتمن أمر الولد، لأنهن إن فعلن ذلك فإنما يقصدن إلى إلزامه غير أبيه.

وقد قال قوم: هو الحيض، وهو بالولد أشبه، لأن ما خلق الله في أرحامهن أدل على الولد، لأن الله جل وعز قال: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾

(2) معاني القرآن.

(1) أنوار التنزيل.

[آل عمران: 6]، وقال: ﴿ذُرُّ خَلْقَنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْمَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا﴾ [المؤمنون: 14]، فوصف خلق الولد.

قال البيضاوي⁽¹⁾: من الولد والحيض استعجالاً في العدة وإبطالاً لحق الرجعة. وفيه دليل على أن قولها مقبول في ذلك.

قال أبو حيان⁽²⁾: وأجمع أهل العلم على أنه لا يجوز أن تكتم المرأة ما خلق الله في رحمها من حمل ولا حيض، وفيه تغليب وإنكار.

● قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أُنْقُورًا رَبُّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [النساء: 1].

قال الطبري⁽³⁾: وخلق من النفس الواحدة زوجها، يعني بـ (الزوج) الثاني لها، وهو فيما قال أهل التأويل: امرأتها حواء.

قال القشيري⁽⁴⁾: حكم الحق سبحانه، بمساكنة الخلق مع الخلق لابقاء النسل، ولرد المثل إلى المثل، فربط الشكل بالشكل.

قال الزمخشري⁽⁵⁾: إن قلت: علام عطف قوله: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾؟ قلت: فيه وجهان:

أحدهما: أن يعطف على محذوف، كأنه قيل: من نفس واحدة أنشأها أو ابتدأها، وخلق منها زوجها، وإنما حذف لدلالة المعنى عليه، والمعنى شعبكم من نفس واحدة هذه صفتها، وهي أنه أنشأها من تراب وخلق زوجها حواء من ضلع من أضلاعها، (وبثَّ منهما) نوعي جنس الإنس وهما الذكور والإناث، فوصفها بصفة هي بيان وتفصيل بكيفية خلقهم منها.

والثاني: خلقكم من نفس آدم، لأنهم من جملة الجنس المفرع منه، وخلق

(4) لطائف الإشارات.

(5) الكشاف.

(1) أنوار التنزيل.

(2) البحر المحيط.

(3) جامع البيان.

منها أمكم حواء وبث منهما ﴿رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ غيركم من الأمم الفاتية للحصر .

● قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَعَاثَكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم: 32-34].

قال الطبري⁽¹⁾: الله الذي أنشأ السماوات والأرض من غير شيء أيها الناس .

قال القشيري⁽²⁾: في الظاهر رفع السماء فأعلاها، والأرض تحتها دحاها، وخلق فيها بحاراً وأجرى أنهاراً، وأنبت أشجاراً، وأثبت لها أنواراً وأزهاراً، وأمطر من السماء ماء مدراراً. وأخرج من الثمرات أصنافاً، ونوع لها أوصافاً، وأفرد لكل منها طعاماً مخصوصاً، ولإدراكه وقتاً معلوماً .

وأما في الباطن فسماء القلوب زينها بمصايح العقول، وأطلع فيها شمس التوحيد، وقمر العرفان، ومرج في القلوب يجري الخوف والرجاء، وجعل بينها برزخاً لا يبغيان، فلا الخوف يغلب الرجاء ولا الرجاء يغلب الخوف، كما جاء في الخبر: (لووزنا لاعتدلا) هذا لعوام المؤمنين، فأما للخواص فالتقبض والبسط، ولخاص الخاص فالهية والأنس والبقاء والفناء .

قال ابن عطية⁽³⁾: تذكير بآلاء الله، وتنبية على القدرة التي فيها إحسان إلى البشر، لتقوم الحجة من جهتين .

(3) المحرر الوجيز .

(1) جامع البيان .

(2) لطائف الإشارات .

● قال تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّهِينٌ﴾ [النحل: 4].

قال الطبري⁽¹⁾: يقول تعالى ذكره: ومن حججه عليكم أيضاً أيها الناس، أنه خلق الإنسان من نطفة، فأحدث من ماء مهين خلقاً عجيباً، قلبه تارات خلقاً بعد خلق في ظلمات ثلاث، ثم أخرجته إلى ضياء الدنيا بعدما تم خلقه، ونفخ فيه الروح، فغذاه ورزقه القوت ونماه، حتى إذا استوى على سوقه، كفر بنعمة ربه، وجحد، وعبد من لا يضر ولا ينفع، وخاصم إلهه، فقال: ﴿مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [يس: 78]، ونسي الذي خلقه، فسواه خلقاً سويماً من ماء مهين.

● قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ...﴾ [النور: 45].

قال القشيري⁽²⁾: يريد خلق كل حيوان من ماء، يخرج من صلب الأب وترية الأم، ثم أجزاء الماء متساوية متماثلة، ثم ينقسم إلى جوارح في الظاهر وجوارح في الباطن.

قال الفخر الرازي⁽³⁾: لم قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ﴾ مع أن كثيراً من الحيوانات غير مخلوقة من الماء؟ أما الملائكة فهم أعظم الحيوانات عدداً وهم مخلوقون من النور، وأما الجن فهم مخلوقون من النار، وخلق الله آدم من التراب لقوله: ﴿خَلَقْنَا مِنْ تُرَابٍ﴾ [آل عمران: 59]، وخلق عيسى من الريح لقوله: ﴿فَنفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا﴾ [الأنبياء: 91]، وأيضاً نرى أن كثيراً من الحيوانات متولد لا عن النطفة؟

والجواب من وجوه:

أحدها: أن قوله: (من ماء) صلة (كل دابة) وليس هو من صلة (خلق) والمعنى أن كل دابة متولدة من الماء فهي مخلوقة لله تعالى.

(3) التفسير الكبير.

(1) جامع البيان.

(2) لطائف الإشارات.

وثانيها: أن أصل جميع المخلوقات: الماء، على ما يروى أول ما خلق الله تعالى جوهرة فنظر إليها بعين الهيبة فصارت ماء، ثم من ذلك الماء خلق النار والهواء والنور، ولما كان المقصود من هذه الآية بيان أصل الخلقة وكان الأصل الأول هو الماء، لا جرم ذكره على الوجه.

وثالثها: أن المراد من الدابة التي تدب على وجه الأرض ومسكنهم هناك، فيخرج عنه الملائكة والجن، ولما كان الغالب جداً من الحيوانات كونهم مخلوقين من الماء: إما لأنها متولدة من النطفة، وإما لأنها لا تعيش إلا بالماء، لا جرم أطلق لفظ (الكل) تنزيلاً للغالب منزلة الكل.

● قال تعالى: ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [لقمان: 11].

قال الطبري⁽¹⁾: يقول تعالى ذكره: هذا الذي عدت عليكم أيها الناس أني خلقت في هذه الآية خلق الله الذي له ألوهة كل شيء، وعبادة كل خلق، الذي لا تصلح العبادة لغيره، ولا تنبغي لشيء سواه، فأروني أيها المشركون في عبادتكم إياه من دونه من الآلهة والأوثان، أي شيء خلق الذين من دونه من آلهتكم وأصنامكم، حتى استحققت عليكم العبادة فعبدتموها من دونه، كما استحق ذلك عليكم خالقكم، وخالق هذه الأشياء التي عدتها عليكم.

قال القشيري⁽²⁾: هذا خلق الله العزيز في كبريائه، فأروني ماذا خلق الذين عبدتم من دونه في أرضه وسماؤه؟.

قال الفخر الرازي⁽³⁾: يعني الله خالق وغيره ليس بخالق، فكيف تتركون عبادة الخالق وتشتغلون بعبادة المخلوق.

(3) التفسير الكبير.

(1) جامع البيان.

(2) لطائف الإشارات.

● قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [النجم: 45-46].

قال القرطبي⁽¹⁾: أي من أولاد آدم ولم يرد آدم وحواء بأنهما خلقا من نطفة.
قال القاسمي⁽²⁾: أي ابتدع إنشاءهما من نطفة إذا تدفق في الرحم.
قال المراغي⁽³⁾: أي وأنه خلق الذكر والأنثى من الإنسان وغيره من الحيوان من المني يدفق في الأرحام.

● قال تعالى: ﴿أَفَرَأَىٰ بِإِسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾﴾ [العلق: 1-2].

قال الماوردي⁽⁴⁾: أي استفتح قراءتك باسم ربك الذي خلق، ، وإنما قال: (الذي خلق) لأن قريشاً كانت تعبد آلهة ليس فيهم خالق غيره تعالى، فميز نفسه ليزول عنه الالتباس.

قال ابن عطية⁽⁵⁾: مثل لهم من المخلوقات ما لا مدافعة فيه، وما يجده كل مفطور في نفسه، فقال: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ [العلق: 2]، وخلقته الإنسان من أعظم العبر، حتى أنه ليس في المخلوقات التي لدينا أكثر عبراً منه في عقله وإدراكه، ورباطات بدنه وعظامه.

قال الألوسي⁽⁶⁾: ووصف الرب بقوله تعالى: (الذي خلق) لتذكيره عليه الصلاة والسلام أول النعماء الفائضة عليه ﷺ منه سبحانه، مع ما في ذلك من التنبيه على قدرته تعالى على تعليم القراءة باللفظ وجه. وقيل: لتأكيد عدم إرادة غيره تعالى من الرب، فإن العرب كانت تسمي الأصنام أرباباً، لكنهم لا ينسبون

(1) الجامع لأحكام القرآن.
(2) محاسن التأويل.
(3) تفسير المراغي.
(4) النكت والعيون.
(5) المحرر الوجيز.
(6) روح المعاني.

الخلق إليها. والفعل إما منزلة اللازم، أي الذي له الخلق، أو مقدر مفعوله عاماً، أي الذي خلق كل شيء، والأول يفيد العموم أيضاً.

● قال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾﴾ [الفلق: 2-1].

قال ابن عربي⁽¹⁾: أي من شر الاحتجاب بالخلق وتأثيرهم فيه، فإن من اتصل بعالم القدس في حضرة الأسماء، واتصف بصفاته تعالى، أثر في كل مخلوق ولم يتأثر من أحد، لأنهم في عالم الآثار ومقام الأفعال، وقد ارتقى هو عن مقام الأفعال إلى مبادئها من الصفات.

قال القرطبي⁽²⁾: قيل: هو إبليس وذريته، وقيل: جهنم، وقيل: هو عام، أي: من شر خلقه الله عز وجل.

قال المراغي⁽³⁾: أي قل: أستعيذ برب المخلوقات، ومبدع الكائنات، من كل أذى وشر يصيبني من مخلوق من مخلوقاته طراً.

ثم خصص من بعض ما خلق أصنافاً يكثر وقوع الأذى منهم، فطلب إليه التعوذ من شرهم ودفع اذاهم.

● قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: 59].

قال الفراء⁽⁴⁾: هذا لقول النصارى: أنه ابنه؛ إذ لم يكن أب، فأنزل الله تبارك وتعالى علواً كبيراً (أن مثل عيسى عند الله كمثال آدم) لا أب له ولا أم، فهو أعجب أمراً من عيسى.

(3) تفسير المراغي.

(4) معاني القرآن.

(1) تفسير القرآن لابن العربي.

(2) الجامع لأحكام القرآن.

قال القشيري⁽¹⁾: خصهما بتطهير الروح عن التناسخ في الأضلاب، وأفرد آدم بصفة البدء، وعيسى ﷺ بتخصيص نفخ الروح فيه على وجه الإعزاز، وهما وإن كانا كبيرى الشأن، فنقص الحدثان والمخلوقية لازم لهما: (قال له كن فيكون).

قال الزمخشري⁽²⁾: إن شأن عيسى وحاله الغريبة كشأن آدم. وقوله: ﴿خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾ جملة مفسرة لما له شبهه عيسى بآدم، أي: خلق آدم من تراب ولم يكن ثمة أب ولا أم، وكذلك حال عيسى.

فإن قلت: كيف شبه به وقد وجد هو من غير أب ووجد آدم من غير أم وأم؟ قلت: هو مثيله في أحد الطرفين فلا يمنع اختصاصه دونه بالطرف الآخر من تشبيهه به، لأن المماثلة مشاركة في بعض الأوصاف، ولأنه شبه به في أنه وجد وجوداً خارجاً عن العادة المستمرة، وهما في ذلك نظيران، ولأن الوجود من غير أب وأم أغرب وأخرق للعادة من الوجود بغير أب، فشبهه الغريب بالأغرب ليكون أقطع للخصم، وأحسم لمادة شبهته إذا نظر فيما هو أغرب مما استغربه.

● قال تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ [السجدة: 7].

قال الزمخشري⁽³⁾: ﴿أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ حسنه، لأنه ما من شيء خلقه إلا وهو مرتب على ما اقتضته الحكمة وأوجبه المصلحة، فجميع المخلوقات حسنة وإن تفاوتت إلى حسن وأحسن، كما قال: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: 4].

وقيل: علم كيف يخلقه، من قوله: (قيمة المرء ما يحسنه) وحقيقته يحسن معرفته، أي يعرفه معرفة حسنة بتحقيق وإتقان. وقرىء (خلقه) على البدل، أي: أحسن خلق كل شيء. و(خلقه) على الوصف، أي: كل شيء خلقه فقد أحسنه.

(3) الكشاف.

(1) لطائف الإشارات.

(2) الكشاف.

قال الفخر الرازي⁽¹⁾: لما بين الدليل الدال على الوحدانية من الآفاق بقوله: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ [الفرقان: 59] وأتمه بتوابعه ومكملاته، ذكر الدليل الدال عليها من الأنفس بقوله: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ يعني أحسن كل شيء مما ذكره، وبين أن الذي بين السموات والأرض خلقه وهو كذلك، لأنك إذا نظرت إلى الأشياء رأيتهما على ما ينبغي: صلابة الأرض للنبات، والنبات وسلاسة الهواء للاستنشاق، وقبول الانشقاق لسهولة الاستطراق، وسيلان الماء لتقدر عليه في كل موضع، وحركة النار إلى فوق، لأنها لو كانت مثل الماء تتحرك يمينا ويسرة لاحترق العالم، فخلقت طالبة لجهة فوق؛ حيث لا شيء هناك يقبل الاحتراق.

● قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْلِفينَ﴾ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَنْ رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ [هود: 118-119].

قال الزجاج⁽²⁾: أي: خلقهم للسعادة والشقاء، فاختلفهم في الدين يؤدي بهم إلى سعادة أو شقاء. وقيل: ﴿وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ أي: لرحمته خلقهم، لقوله: إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ، والقول الأول يدل عليه.

قال الزمخشري⁽³⁾: (ذلك) إشارة إلى ما دل عليه الكلام وتضمنه، يعني ولذلك من التمكين والاختيار الذي كان عنه الاختلاف، خلقهم ليثيب مختار الحق بحسن اختياره، ويعاقب مختار الباطل بسوء اختياره.

قال المراغي⁽⁴⁾: ﴿وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ أي: ولمشيئته تعالى فيهم الاختلاف والتفرق في علومهم ومعارفهم وآرائهم، وما يتبع ذلك من الإرادة والاختيار في الأعمال خلقهم، وبهذا كانوا خلفاء في الأرض، ومن ذلك اختلافهم في الدين والإيمان والطاعة والعصيان، وبذا كانوا مظهراً لأسرار خلقه الروحية والجسدية،

(1) التفسير الكبير.
(2) معاني القرآن.
(3) الكشاف.
(4) تفسير المراغي.

أو المادية والمعنوية. وقال ابن عباس: خلقهم فريقين فريقاً يرحم فلا يختلف، وفريقاً لا يرحم فيختلف فذلك قوله: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ [هود: 105].

● قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾ [الانفطار: 7].

قال الفخر الرازي⁽¹⁾: قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَكَ﴾ فاعلم أنه تعالى لما وصف نفسه بالكرم ذكر هذه الأمور الثلاثة، كالدلالة على تحقق ذلك الكرم، أولها: الخلق، وهو قوله: ﴿الَّذِي خَلَقَكَ﴾ ولا شك أنه كرم وجود، لأن الوجود خير من العدم، والحياة خير من الموت، وهو الذي قال: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾ [البقرة: 28]. وثانيها: قوله: ﴿فَسَوَّاكَ﴾ أي: جعلك سوياً سالم الأعضاء تسمع وتبصر. ونظيره قوله: ﴿أَكْفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا﴾ [الكهف: 37].

قال الألوسي⁽²⁾: صفة ثانية مقررة للربوبية مبينة للكرم، موحية إلى صحة ما كذب من البعث والجزاء، موطئة لما بعد؛ حيث نبهت على أن من قدر على ذلك بدء أقدر عليه إعادة.



(2) روح المعاني.

(1) التفسير الكبير.

خلو

(خلو - مضي - سبق - تقدم - سلف)

- **الْخَالِي:** الزمن الممتد من أول الخلق إلى عهود سحيقة لا نعرفها ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾ [آل عمران: 137].
- **الْمَاضِي:** الزمن الممتد من الحال إلى زمن نعرفه ﴿فَاهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الزخرف: 8].
- **السَّابِقُ:** الزمن الذي جاء الحال بعده مباشرة ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [يونس: 19].
- **الْمُتَقَدِّمُ:** الفعل المتكرر في الماضي ﴿لِيَعْفَرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: 2].
- **السَّالِفُ:** الماضي الذي كنت تحبه ولم يعد كذلك ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُعْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأشغال: 38].



شرح المعاني:

هذه منظومة تتعلق بما مضي من الأفعال. نقول الزمن الماضي والزمن الخالي والزمن السالف والزمن السابق والزمن المتقدم. وكلها تدل على أن الحدث قد مضي، لكن كل ماضٍ له كلمة لا تغني عنها كلمة أخرى. وخالي غير ماضي وماضي غير سالف وسالف غير سابق وسابق غير متقدم.

مضي: الماضي الممتد من ساعة ما تكون إلى الزمن القريب الذي تعرفه من

زمن أبيك وجدك منذ أن خلق الله تعالى الزمن . الماضي ممتد، كل شيء يدل على أنه فعل ممتد ولا يزال ممتداً يقال له مضى . رحمة الله تعالى مستمرة وقال تعالى : ﴿ فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأُولِينَ ﴾ [الزخرف: 8] مضى مثل الأولين قاعدة كونية عند الله تعالى أن القوة الضعيفة على الحق أقوى من القوة العظيمة على الباطل، ولا بد أن ينتصر الحق مهما كان الباطل قوياً وطاغياً . وإن الله تعالى ناصر رسله مهما طال الزمن ﴿ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مِنْ نَشَأِهِمْ وَلَا يَرُدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴾ [يوسف: 110] هذه السنة باقية وهي قضية ثابتة .

خلا : تقال للماضي الذي لم يعد موجوداً ولا يمكن أن يعود . ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ [فاطر: 24] . ﴿ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴾ [آل عمران: 137] أي : انقطعت في زمانها . للماضي المستمر يقال : مضى ، أما إذا انقطع فيقال له : خلا ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمِّرٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴾ [الأحقاف: 18] قرون قطعت وذهبت ﴿ وَسَتَعْلَمُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَقْفَرٍ لِلنَّاسِ عَلَىٰ ظَلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الرعد: 6] ، ﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَأَنَّا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ أَنْظَرُ كَيْفَ بُيِّنَ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظَرُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ [المائدة: 75] ، كلمة مضى تعني المستمر . والله تعالى عودنا الجميل فقس على ما مضى ، وجميل الله تعالى مستمر في الحاضر والمستقبل . خلا : هو الماضي الذي لا وجود له الآن كزمن عاد وثمود وفرعون ونوح ، أما مضى فهو الماضي المتصل المستمر كنصر الله تعالى مثلاً .

سلف : الزمن السالف هو الزمن العاطفي حب أو كره يقال فيما سلف . عندما كان آباؤنا وأجدادنا يروون لنا الحكايات قديماً كانوا يقولون : في سالف العصر والأوان لأنهم يتحدثون عن أشياء عاطفية كالسير والقصص . والسلف

الصالح تحبهم أو السلف الطالح كقوم فرعون مثلاً وقال تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ﴾ [الزخرف: 56] أي مكروهين. كل شيء عاطفي حياً أو كرهاً يقال: سلف. قال تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [النساء: 22]، ﴿وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّكَ اللَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: 23]. هذا السلف عاطفي امرأة كنت تحبها وحرّمها الإسلام الآن. يقال: حدث هذا فيما سلف لا في ما مضى أو ما خلا للشيء المتعلق به عاطفياً. ﴿عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ [المائدة: 95]، ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الأنفال: 38]،

سبق: تقال للشيء الذي له قيمة ﴿وَالسَّيِّئُونَ السَّيِّئُونَ﴾ [الواقعة: 10]، ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكِّ مَنَّهُ مُرِيبٍ﴾ [هود: 110]، ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [يونس: 19]،

﴿لَوْلَا كَتَبْنَا مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: 68]. رب العالمين فعل شيئاً في الماضي لا نقول مضى أو خلا أو سلف وإنما سبق. قال تعالى أن الأمم السابقة أهلكت بالكامل (قوم عاد وثمود ولوط ونوح) أما في أمم موسى وعيسى ومحمد صلى الله عليهم جميعاً سبق وعده تعالى أن لا يهلكهم ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: 33]. ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٧١) ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ﴾ (١٧٢) ﴿وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (١٧٣) [الصافات: 171-173]. ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِرُونَ﴾ [الأنفال: 59]. سبق تقال إذن للشيء العظيم.

تقدّم: تقال للفعل المتكرر. مضى متصل وتقدم متكرر بين فترات. عندما تشير إلى الماضي بفعل متكرر يقال: تقدّم. هذا الزمن الماضي هو وعاء الأحداث شيء حدث وآخر خلا وآخر مضى وآخر تقدم. من قوانين الأرض أن فيها زمناً أما

في الآخرة فلا يوجد زمن. كل أحداث الإنسان وأعماله تأتي يوم القيامة في دائرة واحدة بدون زمن فتراها بومضة ضوء.

فالماضي هو خزانة الأمم وبحر تجاربها وحضاراتها وهو مصدر العظة والعبرة. وقد استخدمت الأحاديث الشريفة كلمات هذه المنظومة استخداماً دقيقاً:

عن عبد الله بن عمر كان واقفاً بعرفة يوماً فنظر إلى الشمس حين تدلّت مثل الترس فبكى واشتد بكاءه، فسأله رجل: يا أبا عبد الرحمن قد وقفت معي مراراً لم تصنع هذا! قال: ذكرت رسول الله ﷺ وهو واقف بمكاني هذا فقال: «أيها الناس إنه لم يبق من دنياكم فيما مضى منها إلا كما بقي من يومكم هذا فيما مضى منه إن بقاءكم فيما سلف قبلكم من الأمم إلا كما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس». يدل هذا الحديث على أن القيامة أوشكت وهي أقرب من لمح البصر. وإذا تأملنا ما يحدث اليوم بجديّة لوجدنا أن معظم علامات الساعة الصغرى قد وقعت.

«كنا عند رسول الله قعوداً نذكر الفتن إلى أن ذكر ﷺ فتنة الدهيماء (فتنة الناس جميعاً) لا تدع أحداً من هذه الأمة إلا لطمته لطمه. فإذا قيل: انقطعت تمادت، يصبح الرجل مؤمناً ويُمسي كافراً حتى يصير الناس إلى فسطاطين فسطاط إيمان لا نفاق فيه وفسطاط نفاق لا إيمان فيه. لإذا كان ذاكم فانتظروا الدجال في اليوم أو غد». كان في التاريخ كُرٌّ وفرٌّ أما الأمة الآن فعليها استعلاء واستحواذ على الفرد والحاكم والمحكوم والعالم ولأول مرة في تاريخ البشرية.

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس⁽¹⁾: الخاء واللام والحرف المعتل أصلٌ واحد يدلُّ على تعرّي

(1) معجم مقاييس اللغة.

الشَّيْءِ مِنَ الشَّيْءِ . يقال : هو خِلْوٌ من كذا . إذا كان عِرْوًا منه . وَخَلَّتِ الدَّارُ
وغيرها تَخْلُو . وَالخَلِيَّةُ : الخالي من الغم . وامرأةٌ خَلِيَّةٌ : كنايةٌ عن الطَّلَاق ، لأنَّها
إذا طَلَّقت فقد خَلَّتْ عن بعْلِها . ويقال خَلَا لِي الشَّيْءُ وَأَخْلَى .

والخَلِيَّةُ : الناقة تُعْطَف على غير ولدها ، لأنَّها كأنَّها خَلَّتْ من ولدها الأول .
والقرون الخَالِيَّةُ : المَوَاضِي . والمكان الخَلَاءُ : الذي لا شيء به . ويقال : ما في
الدار أحدٌ خَلَا زَيْدٌ وزيداً ، أي : دَعِ ذَكَرَ زَيْدٍ ، اخلُ من ذكر زيد . ويقال : افعلْ ذاك
وَخَلَاكَ دَمٌ ، أي : عَدَاكَ . وَخَلَوْتُ منه وَخَلَا مِنْكَ . ومما شَدَّ عن الباب الخَلِيَّةُ :
السفينة ، وبيت النَّحْلِ . والخَلَا : الحشيش . وربَّما عَبَّرُوا عن الشيء الذي يخلُو
من حافظه بالخَلَاة ، فيقولون : هو خَلَاةٌ لكذا ، أي : هو مِمَّنْ يُطْمَع فيه ولا حافظَ
له . وهو من الباب الأوَّل . وقال قوم : الخَلِي : القَطْع ، والسيف يَخْتَلِي ، أي :
يَقْتَطِع . فكأنَّ الخَلَا سُمِّيَ بذلك لأنَّه يُخْتَلَى ، أي : يُقْطَع . ومن الشاذِّ عن الباب :
خَلَا به ، إذا سَخِرَ به .

قال الخليل (1) : خَلَا يَخْلُو خَلَاءً فَهُوَ خَالٍ .

والخَلَاءُ من الأرض : قرار خَالٍ لا شيء فيه .
والرجل يَخْلُو خَلْوَةً .

وَاسْتَخْلَيْتُ المَلِكَ فَأَخْلَانِي ، أي : خَلَا معي ، وَأَخْلَى لِي مجلسه .

وَخَلَى مكانه ، أي : مات . وَخَلَيْتُ عنه ، أي : أرسلته . وَخَلَا قرن ، أي :
مضى ، فهو خَالٍ . وَالخَلِيَّةُ : الذي لا هَمَّ له .

والخَلِيَّةُ والخَلِيَّةُ : الموضع الذي يعسل فيه النحل ، والكواراة التي تتخذ من
طين .

والخَلَاءُ : ممدود البراز .

وما أردت مساءتك خَلَا أَنِي وعظتك ، أي : إلَّا أَنِي وعظتك .

(1) العين .

ولقيت فلاناً بَخْلَاءٍ من الأرض، أي: بأرض خَالِيَةٍ.
 الخَالِي من الرجال: الذي لا زوجة له.
 والقرون الخَالِيَّة، هم المواضي.
 ويقال: أنا خَلِيٌّ من هذا، وَخَلَاءٌ. فمن قال: (خَلِيٌّ) ثنى وجمع وأُنث.
 والعرب تقول: (ويل للشجي من الخَلِيِّ).
 والخَلِيُّ: الذي لا هم له أي: الفارغ.
 قال الراغب⁽¹⁾: الخَلَاءُ: المكان الذي لا ساتر فيه، من بناء ومساكن
 وغيرها.
 والخُلُو يستعمل في الزمان والمكان، لكن لما تصور في الزمان المضي، فسر
 أهل اللغة: خَلَا الزمان بقولهم: مضى الزمان وذهب.
 وناقاة خَلِيَّةٌ: مُخَلَاةٌ عن الحلب، وامرأة خَلِيَّةٌ: مُخَلَاةٌ عن الزوج.
 وقيل للسفينة المتروكة بلا رُبان: خَلِيَّةٌ، والخَلِيُّ: من خلاه الهم، نحو
 المطلقة.
 والخَلَاءُ: الحشيش المتروك حتى يبس.
 ويقال: خَلَيْتُ الخَلَاءُ: جززته، وَخَلَيْتُ الدابة: جززتها لها. ومنه استعير:
 سيف يَخْتَلِي، أي: يقطع ما يُضرب به قطعة للخَلَا.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بِعَضُّهُمْ إِلَىٰ بَعْضِ قَالُوا أَنُحَدِّثُكَ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكَ...﴾ [البقرة: 76].

(1) مفردات الراغب.

قال أبو حيان⁽¹⁾: أي: وإذا انفرد بعضهم ببعض، أي الذنم لم ينافقوا إلى من نافق. و(إلى) قيل: بمعنى (مع) أي: وإذا خلا بعضهم مع بعض.

قال المراغي⁽²⁾: أي: إذا اجتمع بعض لم ينافق إلى بعض ممن نافق، قال الأولون - عاتبين على الآخرين من المنافقين، وعاذلين لهم على الإفضاء إلى المؤمنين، بما بينت لهم التوراة من الإيمان بالنبى، الذي يجيء مصداقاً لما معهم، كي يقيموا عليهم الحجة من كتاب ربهم، من قبل أن ما حدثوا به موافق لما في القرآن - : ولولا أن محمداً نبى، لما علم بهذا الذي حكاه عنهم.

● قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: 24].

قال الطبري⁽³⁾: يقول وما من أمة من الأمم الدائنة بملة، إلا خلا فيها من قبلك نذير ينذرهم بأسنا على كفرهم بالله.

قال القشيري⁽⁴⁾: أي وما من أمة ممن كانوا من قبلك إلا بعثنا فيهم نذيراً. وفي وقتك أرسلناك إلى جميع الأمم كافة بالحق.

وقيل: المراد: ما من أمة هلكوا بعذاب الاستئصال، إلا بعد أن أقيم عليهم الحجة بإرسال الرسول بالأعدار والأندار.

قال ابن كثير⁽⁵⁾: أي وما من أمة خلت من بني آدم، إلا وقد بعث الله تعالى اليهم النذر وازاح عنهم العلل.

● قال تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَءُونَ﴾ [البقرة: 14].

(4) لطائف الإشارات.

(5) تفسير ابن كثير.

(1) البحر المحيط.

(2) تفسير المراغي.

(3) جامع البيان.

قال الماوردي⁽¹⁾: وفي قوله: ﴿إِلَىٰ شَيْطَانِهِمْ﴾ ثلاثة أوجه:

أحدها: معناه مع شياطينهم، فجعل (إلى) موضع (مع) كما قال تعالى: ﴿مَنْ أَنْصَارِيَّ إِلَىٰ اللَّهِ﴾ [آل عمران: 52]، أي: مع الله.

والثاني: وهو قول بعض البصريين: أنه يقال: خلوت إلى فلان: إذا جعلته غايتك في حاجتك، وخلوت به: يحتمل معنيين: أحدهما هذا. والآخر: السخرية والاستهزاء منه.

فعلى هذا يكون قوله: ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيْطَانِهِمْ﴾ أفصح، وهو على حقيقته مستعمل.

● قال تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: 134]

قال الطبري⁽²⁾: يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا﴾: إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وولدهم.

يقول لليهود والنصارى: يا معشر اليهود والنصارى، دعوا ذكر إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والمسلمين من أولادهم بغير ما هم أهلهم، ولا تحلوهم كفر اليهودية والنصرانية فتضيفونها إليهم، فإنهم أمة، ويعني بـ (الأمة) في هذا الموضع: الجماعة، والقرن من الناس، (قد خَلَتْ): مضت لسبيلها.

وإنما قيل للذي قد مات فذهب: قد خلا، لتخليه من الدنيا، وانفراده عما كان من الأنس بأهله وقرنائه في دنياه.

قال الفخر الرازي⁽³⁾: (خَلَتْ) سلفت ومضت وانقرضت، والمعنى أني اقتصصت عليكم أخبارهم، وما كانوا عليه من الإسلام والدعوة إلى الإسلام،

(1) النكت والعيون.

(2) التفسير الكبير.

(3) جامع البيان.

فليس لكم نفع في سيرتهم دون أن تفعلوا ما فعلوه، فإن أنتم فعلتم ذلك انتفعتم، وإن أبيتم لم تنتفعوا بأفعالهم.

● قال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ...﴾ [آل عمران: 144].

قال الزجاج⁽¹⁾: أي قد مضت من قبله الرسل، المعنى: أنه يموت كما ماتت الرسل قبله.

قال الزمخشري⁽²⁾: والمعنى: فسيخلو كما خلوا، وإن أتباعهم بقوا متمسكين بدينهم بعد خلوهم، فعليكم أن تتمسكوا بدينه بعد خلوه، لأن الغرض من بعثة الرسل تبليغ الرسالة وإلزام الحجة، لا وجوده بين أظهر قومه.

قال رشيد رضا⁽³⁾: حاصل المعنى أن محمداً ليس إلا بشراً رسولاً قد خلت ومضت الرسل من قبله فماتوا، وقد قتل بعض النبيين كزكريا ويحيى، فلم يكن لأحد منهم الخلد، وهو لا بد أن تحكم عليه سنة الموت، فيخلو كما خلوا من قبله، إذ لا بقاء إلا الله وحده، ولا ينبغي للمؤمن الموحد أن يعتقد له غيره.

● قال تعالى: ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ﴾ [الأعراف: 38]

قال ابن الجوزي⁽⁴⁾: في قوله: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ قولان: أحدهما: مضت إلى العذاب.

والثاني: مضت في الزمان، يعني كفار الأمم الماضية.

قال الفخر الرازي⁽⁵⁾: أي: تقدم زمانهم زمانكم.

(4) زاد المسير.

(5) التفسير الكبير.

(1) معاني القرآن.

(2) الكشاف.

(3) تفسير المنار.

قال أبو حيان⁽¹⁾: أي تقدمتكم في الحياة الدنيا، أو تقدمتكم، أي: تقدم دخولها في النار.

● قال تعالى: ﴿أَقْنَلُوا يُوسُفَ أَوْ أَطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخُلُ لَكُمْ وَجْهُ أَيِّكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ [يوسف: 9].

قال الزمخشري⁽²⁾: يقبل عليكم إقبالة واحدة، لا يلتفت عنكم إلى غيركم. والمراد: سلامة محبته لهم ممن يشاركونهم فيها، وينازعونهم إياها، فكان ذكر (الوجه) لتصوير معنى إقباله عليهم، لأن الرجل إذا أقبل على الشيء أقبل بوجهه. ويجوز أن يراد بـ (الوجه): الذات، كما قال تعالى: ﴿وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: 27]، وقيل: ﴿يَخُلُ لَكُمْ﴾ يفرغ لكم من الشغل بيوسف.

قال الفخر الرازي⁽³⁾: والمعنى: أن يوسف شغله عنا وصرف وجهه إليه، فإذا فقدته أقبل علينا بالميل والمحبة.

● قال تعالى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: 24].

قال الألوسي⁽⁴⁾: أي: الماضية، وهي أيام الدنيا. وقيل: أي الخالية من اللذائذ، أي: الحقيقة، وهي أيام الدنيا أيضاً.

وقيل: أي التي أخلتكموها من الشهوات النفسانية. وحمل عليه ماروي عن مجاهد وابن جبير ووكيع من تفسير هذه الأيام بأيام الصيام. وأخرج ابن المنذر عن يعقوب الحنفي قال: بلغني أنه إذا كان يوم القيامة، يقول الله تعالى: يا أوليائي طالما نظرت إليكم في الدنيا، وقد قلصت شفاهكم عن الأشربة وغارت أعينكم وخمصت بطونكم، فكونوا اليوم في نعيمكم، وكلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية.

(3) التفسير الكبير.

(1) البحر المحيط.

(4) روح المعاني.

(2) الكشاف.

● قال تعالى: ﴿فَإِذَا أُنْسِلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخَذُوهُمْ وَأَحْضُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: 5].

قال الطبري⁽¹⁾: فدعوهم يتصرفون في أمصاركم، ويدخلون البيت الحرام.
قال الفخر الرازي⁽²⁾: قوله: ﴿فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ قيل: إلى البيت الحرام، وقيل: إلى التصرف في مهماتهم، ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لمن تاب وآمن.
وفيه لطيفة، وهو أنه تعالى ضيق عليهم جميع الخيرات، وألقاهم في جميع الآفات، ثم بين أنهم لو تابوا عن الكفر وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة، فقد تخلصوا من تلك الآفات في الدنيا، فخرجوا من فضل الله أن يكون الأمر كذلك يوم القيامة أيضاً.



(2) التفسير الكبير.

(1) جامع البيان.

حمد

(حمد - سكن - كسل - ثقل - نعس)

- الخُمُودُ: انطفاء لهب النار وسكون كل شيء دائم الحركة ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صِيحَةً وَجِدَةً فَإِذَا هُمْ خَمِدُونَ﴾ [يس: 29].
- الشُّكُونُ: ثبوت الشيء بعد تحرك ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ [الأنعام: 13].
- الكُسلُ: ضعف النشاط في حال تقتضي قوته ﴿وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى﴾ [التوبة: 54].
- التَّثَاقُلُ: ضعف الاندفاع في حال يقتضي شدته ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْتَافَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾ [التوبة: 38].
- النُّعَاسُ: ضعف حالة الاستيقاظ باتجاه النوم ﴿إِذْ يَغْشِيكُمْ النُّعَاسَ أَمَنَةً﴾ [الأنفال: 11].



النصوص اللغوية:

قال ابن فارس⁽¹⁾: الخاء والميم والذال أصلٌ واحد، يدلُّ على سكون الحركة والسُّقُوط. خَمَدَتِ النَّارُ خُمُودًا: إِذَا سَكَنَ لَهَا. وَخَمَدَتِ الحُمَّى: إِذَا سَكَنَ وَهَجُهَا. وَيُقَالُ لِلْمُعَمَّى عَلَيْهِ: خَمَدَ.

(1) معجم مقاييس اللغة.

قال الخليل⁽¹⁾: حَمَدَ القوم: إذا لم تسمع لهم حساً، وقوم حُمُودٌ. وَحَمَدَتِ النار حُمُوداً: سكن لهبها، وإذا طفئت قيل: همدت. حَمَدَتِ النار تَحْمُدُ حُمُوداً، فإذا طفئت قيل: همدت، فإذا صار رماداً، قيل: هبا يهبو، وهو هابٍ.

قال الجوهرى⁽²⁾: حَمَدَتِ النار تَحْمُدُ حُمُوداً: سَكَنَ لهبها ولم يَطْفَأْ جَمْرُها. وَهَمَدَتِ: إذا طفئ جمرها. وَأَحْمَدْتُها أنا. وَحَمَدَتِ الحُمَى: سَكَنَ فَوْرانُها. وَحَمَدَ المريض: أغمي عليه أو مات. وَالْحُمُودُ: موضع تدفن فيه النار لِتَحْمُدَ.

قال أبو هلال⁽³⁾: الفرق بين أخدمت النار وأطفأتها: أن الإخماد يستعمل في الكثير، والإطفاء في الكثير والقليل. يقال: أخدمت النار وأطفأت النار. ويقال: أطفأت السراج، ولا يقال: أخدمت السراج.

وظفئت النار يستعمل في الخمود مع ذكر النار، فيقال: خدمت نيران الظلم. ويستعار الطفء في غير ذكر النار، فيقال: طفئ غضبه، ولا يقال: خدم غضبه؛ وفي الحديث: «الصدقة تطفئ غضب الرب».

وقيل: الخمود يكون بالغلبة والقهر، والإطفاء بالمداراة والرفق، ولهذا يستعمل الإطفاء في الغضب، لأنه يكون بالمداراة والرفق، والإخماد يكون بالغلبة، ولهذا يقال: خدمت نيران الظلم والفتنة.

وأما الخمود والهمود فالفرق بينهما: أن خمود النار أن يسكن لهبها ويبقى جمرها، وهمودها: ذهابها البتة. وأما الوقود بضم الواو فاشتعال النار، والوقود بالفتح ما يوقد به.

ومن المجاز: حَمَدَتِ الحمى: سكنت.

وَحَمَدَ فلان: مات، أو أغمي عليه، ﴿فَإِذَا هُمْ خَحَمِدُونَ﴾ [يس: 29].

(3) الفروق.

(1) العين.

(2) الصحاح في اللغة.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَمِدُونَ﴾ [يس: 29].

قال الفخر الرازي⁽¹⁾: فيه إشارة إلى سرعة الهلاك؛ فإن خمودهم كان مع الصيحة وفي وقتها لم يتأخر، ووصفهم بالخمود في غاية الحسن وذلك لأن الحي فيه الحرارة الغريزية، وكلما كانت الحرارة أوفر كانت القوة الغضبية والشهوانية أتم، وهم كانوا كذلك. أما الغضب فإنهم قتلوا مؤمناً كان ينصحهم، وأما الشهوة فلأنهم احتملوا العذاب الدائم بسبب استيفاء اللذات الحالية؛ فإذا كانوا كالنار الموقدة، ولأنهم كانوا جبارين مستكبرين كالنار ومن خلق منها، فقال: ﴿فَإِذَا هُمْ خَمِدُونَ﴾.

قال القرطبي⁽²⁾: أي: ميتون، هامدون، تشبيهاً بالرماد الخامد، وقال قتادة: هلكى. والمعنى واحد.

قال البيضاوي⁽³⁾: ميتون، شبهوا بالنار رمزاً إلى أن الحي كالنار الساطعة، والميت كرمادها.

● قال تعالى: ﴿فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَتُهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَمِدِينَ﴾ [الأنبياء: 15].

قال الماوردي⁽⁴⁾: والخمود: الهمود، كخمود النار إذا أطفئت، فشبّه خمود الحياة بخمود النار، كما يقال لمن مات: قد طفئ تشبيهاً بانطفاء النار.

قال المراغي⁽⁵⁾: أي كالنار التي خمدت وانطفأت، وخمدت حركاتهم، وهدأت أصواتهم، ولم ينسوا بنت شفة.

(4) النكت والعيون.

(5) تفسير المراغي.

(1) التفسير الكبير.

(2) الجامع لأحكام القرآن.

(3) أنوار التنزيل.

خَمَرٌ

(خمار - ثوب - لباس - جلباب - كساء

- سربال - ريش - إزار)

- **الْخَمَارُ:** غطاء الرأس. ﴿وَلِيَضْرِبَنَّ خُمُرَهُنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: 31].
- **الثَّوْبُ:** هو الثوب الظاهر الذي يستر العورة والذي تقابل به الناس ﴿وَتِيَابِكَ فَطَهَّرَ﴾ [المدثر: 4].
- **اللباسُ:** هو كل شيء خفي سواء كان مادياً أو معنوياً يسمى لباس. وهو الخفي الذي يستر السوء وليس العورة، فالعورة قد تُستر بسياج عال حول البيت. ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُورِي سَوَاءَ تَكُمُ﴾ [الأعراف: 26].
- **الجلبابُ:** ثوب له أكمام ويُقفل من الأمام. ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلٌّ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِيكَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبَابِهِنَّ﴾ [الأحزاب: 59].
- **الكساءُ:** هو الثوب الذي يُلقى على الكتف إلقاءً، فيشمل الجسد من غير أن يكون منخبطاً ﴿وَأَرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّرْفُوعًا﴾ [النساء: 5].
- **السَّرْبَالُ:** كل شيء غليظ يقيق من الحر أو البرد أو الضرب. ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمُ بَأْسَكُمْ﴾ [التحل: 81].
- **الرَّيشُ:** هو ما يدل على الترف وهو حلال ما دام لا يؤدي بلبسه إلى الخيلاء والزهو. ﴿قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُورِي سَوَاءَ تَكُمُ وَرِيشًا وَلِبَاسَ التَّقْوَى﴾ [الأعراف: 26].
- **الإزارُ:** ما يشد من الوسط حتى القدمين ﴿أَشَدُّ بِهِ أَزْرِي﴾ [طه: 31].

شرح المعاني:

الخمارة: والغطاء من حيث المرأة في الإسلام يُسمى خماراً، هذا إذا لم يكن الغطاء صلباً تغطي المرأة فيه شعرها وهو يمنع الوصول إلى شعر المرأة بالنظر. والخمار هو غطاء الرأس ولما لم يكن صلباً لا يُسمى غطاء بل يُسمى خماراً. ويقال: خَمَرَ الشيء بمعنى ستره. والحديث الشريف يقول: (خَمَرُوا الأَنيَّة) أي: غَطُّوها بشيء ليس صلباً كقماش أو نايلون أو نحوه. ولهذا جاء الحكم من الله تعالى لنساء المؤمنين بضرب خموهن على جيوبهن كما في آية سورة النور: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرَ أُولِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يُضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: 31].

الحجاب: الحجاب في القرآن هو منع الوصول إلى الشيء من حيث التلاقي ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَظِيرِهَا إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَعْسِفِينَ لِحَدِيثِ إِنَّ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيُّ فَيَسْتَجِيبُ مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَجِيبُ مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسَأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُمْ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: 53] الآية في سورة الأحزاب تعني منع الآخرين من لقاء نساء النبي ﷺ والوصول إليهن. وكذلك قوله في سورة الأعراف: ﴿وَبَيْنَمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كَلِمًا بَسِيْمَةً وَأَدَاوًا أَحْصَبَ الْجَنَّةَ أَنْ سَلَّمَ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ [الأعراف: 46] الحجاب يمنع أصحاب الأعراف من الوصول إلى الجنة ولقاء أهلها تصديقاً لقوله تعالى في

سورة الحديد: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقَسِ مِن تَوَكُّمٍ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ [الحديد: 13]. فالحجاب إذن بهذا المعنى هو خاصٌ بنساء النبي ﷺ، أما نساء المسلمين فيمكن لهم التقاء الآخرين إذا كانت عليهن الملابس الشرعية وفي إطار الحشمة. وقد وردت كلمة الحجاب في القرآن الكريم في مواضع أخرى هي: سورة الإسراء: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَجَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ [الإسراء: 45]، وسورة مريم: ﴿فَأَتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم: 17]، وسورة فُصِّلَتْ: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِيْ أَكِنَّةٍ مِّمَّا نَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِيْ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّا نَحْنُ غَافِلُونَ﴾ [فصلت: 5] وسورة الشورى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَشْرِ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيًّا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بآذِنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الشورى: 51].

الغطاء: هو منع الوصول إلى رأس الشيء. فكل شيء يوضع على الرأس ويكون صلباً يُسَمَّى غطاءً، كالقدر يوضع عليه غطاء فلا يمكن لليد أن تصل إلى القدر إلا بعد أن ترفع الغطاء. وتُسمى خوذة الجنود غطاءً لأنها تمنع الوصول إلى الرأس وهي صلبة. وكذلك تُسمى القلنسوات الحديدية التي يلبسها المحاربون في المعركة. إذن فالغطاء هو كل شيء سميك صلب يمنع الوصول إلى الشيء. وقد استعمل القرآن الكريم هذه الكلمة للشرك في سورة الكهف: ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ [الكهف: 101] فالشرك كان صلباً بحيث لا يلين. وكذلك استعملت للجهل إذا كان مُطبَقاً ولا يمكن رفعه كما في قوله تعالى في سورة ق: ﴿لَقَدْ كُنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكُمْ غِطَاءَكُم فَصَرَخْتُمْ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: 22] هناك جهل من طبيعة قوانين عقل الإنسان لأن معارف الإنسان في الدنيا قليلة مهما بلغ من العلم، وعندما يموت يكشف الله تعالى له معارف عظيمة لم يكن يفهمها من قبل بطبيعة عقله الإنساني.

الغشاء: إذا كان الغطاء ليس فقط للرأس وإنما للرأس والوجه يُسَمَّى غشاءً أو

غُشْوَةٌ كَمَا فِي اللُّغَةِ الدَّارِجَةِ، كَمَا جَاءَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ هُودٍ: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَنْتُونُ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلَيْهِمْ بِيَدَاتِ الصُّدُورِ﴾ [هود: 5] وَفِي سُورَةِ نُوحٍ ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَابَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَأَسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾ [نوح: 7] ، وَضَعُوا ثِيَابَهُمْ عَلَى رُؤُوسِهِمْ وَوُجُوهِهِمْ حَتَّى غَطَّتْهَا بِالْكَامِلِ . وَكُلُّ شَيْءٍ يَغْمِرُ الْوَجْهَ وَالرَّأْسَ كُلَّهُ وَجْهًا وَشِعْرًا يُسَمَّى غِشَاءً كَمَا فِي سُورَةِ طه: ﴿فَأَنبَعَثْهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ [طه: 78] الْمَاءُ صَارَ فَوْقَهُ رُؤُوسَهُمْ وَوُجُوهَهُمْ وَفِي سُورَةِ الْأَنْفَالِ ﴿إِذَا يُغَشِّيكُمُ النَّعَاسُ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُم رِيحَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ [الأنفال: 11] وَكَذَلِكَ فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَآئِفَةً مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسَهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران: 154] النَّعَاسُ شَمِلَ جَمِيعَ الرَّأْسِ وَمَا حَوْلَهُ . وَقَدْ اسْتَعْمَلَ الْقُرْآنُ كَلِمَةَ الْغِشَاءِ فِي مَوَاضِعَ عَدِيدَةٍ مِنْهَا فِي سُورَةِ لِقْمَانَ: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظَّلْمِ دَعَا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ [لقمان: 32] وَفِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿حَتَّمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشْوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: 7] وَسُورَةِ يَسَّرَ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَكَّاءً وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يسر: 9] وَفِي سُورَةِ يُونُسَ: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ يَمْثِلُهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِرٍ كَانَمَا أَغَشَيْتَ وَجُوهَهُمْ قِطْعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [يونس: 27] وَكَذَلِكَ فِي سُورَةِ اللَّيْلِ ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ [الليل: 1] . فَالغِشَاءُ إِذْنٌ شَمُولِي وَالْخَمَارُ جَزْئِي .

النقاب: هو ما يوضع على الوجه فقط. وهي مأخوذة من نقب الأمر أي: العمل الصالح الكريم. ولهذا كان رئيس القوم يُسمى نقيباً لعمله الصالح العظيم. وفي التاريخ الإنساني كان رئيس القوم يتنقب أي: يُغطي وجهه دلالة على كرمه وشجاعته. وكان يُسمى نقيب القوم. وما زالت بعض القبائل في المغرب العربي يغطون وجوههم رجالاً ونساءً. وقد استعمل القرآن هذه الكلمة في سورة المائدة: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: 12]. وكل عمل صالح يُسمى منقبة. والمناقب هي الأعمال الكريمة كما يُقال: مناقب الصحابة. وكذلك المنقبة النبوية وهي شعر في مدح النبي ﷺ وشمائله.

الستار: كل شيء يُستقبح النظر إليه ويُستقبح الوصول إليه يُسمى ستاراً. عندما يُستقبح أن يرى الشيء يُسمى ستاراً. فالإنسان يستقبح أن يرى أحد عورته أو ما في داخل بيته، ولهذا نضع ستائر على النوافذ. وقد وردت هذه الكلمة في القرآن الكريم في سورة فصلت: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [فصلت: 22] وفي سورة الكهف: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ يَجْعَلْ لَهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾ [الكهف: 90].



النصوص اللغوية:

قال ابن فارس⁽¹⁾: الخاء والميم والراء أصلٌ واحد يدلُّ على التغطية، والمخالطة في ستر. فالخَمَرُ: الشَّرَابُ المعروف.

ويقال به خُمَارٌ شديد. ويقولون: دَخَلَ فِي خَمَارِ النَّاسِ وَخَمَرِهِمْ، أي: زحمتهم. و«فَلَانٌ يَدِبُّ لِفُلَانٍ الْخَمَرَ»، وذلك كناية عن الاغتيال. وأصله ما وازى الإنسان من شجرٍ.

والخِمَارُ: خِمَارُ الْمَرْأَةِ. وامرأةٌ حَسَنَةُ الْخِمَرَةِ، أي: لُبْسُ الْخِمَارِ. وفي المثل: «الْعَوَانُ لَا تُعَلِّمُ الْخِمَرَةَ». التغطية. ويقال في القوم إذا تواروا في خَمَرِ الشَّجَرِ: قَدْ أُخْمِرُوا. فأما قولهم: «مَا عِنْدَ فُلَانٍ خَلٌّ وَلَا خَمْرٌ» فهو يجري مجرى المثل، كأنهم أرادوا: ليس عنده خيرٌ ولا شرٌّ. قال أبو زيد: خَامَرَ الرَّجُلُ الْمَكَانَ: إِذَا لَزِمَهُ فَلَمْ يَبْرَحْ. فأما الْمُخَمَّرَةُ مِنَ الشَّيْءِ: فَهِيَ الَّتِي يَبْيَضُّ رَأْسُهَا مِنْ بَيْنِ جَسَدِهَا. وهو قياسُ الباب؛ لأنَّ ذلك البياضَ الذي برأسها مشبهٌ بِخِمَارِ الْمَرْأَةِ. ويقال: خَمَّرْتُ الْعَجِينَ، وهو أن تتركه فلا تستعمله حتَّى يَجُودَ. ويقال: خَامَرَهُ الدَّاءُ، إِذَا خَالَطَ جَوْفَهُ.

ويقال: اخْتَمَرَ الطَّيْبُ، وَاخْتَمَرَ الْعَجِينَ. ووجدت منه خُمَرَةً طَيِّبَةً وَخَمَرَةً، وهو الرَّائِحَةُ. وَالْمَخَامَرَةُ: الْمَقَارِبَةُ. وفي المثل: «خَامِرِي أُمَّ عَامِرٍ»، وهي الضَّبْعُ.

وفي الحديث: «أَنَّهُ كَانَ يَسْجُدُ عَلَى الْخُمَرَةِ». شَذَّ عَنْ هَذَا الْأَصْلِ الْأَسْتِخْمَارُ، وَهُوَ الْإِسْتِعْبَادُ؛ يُقَالُ: اسْتَخْمَرْتُ فُلَانًا: إِذَا اسْتَعْبَدْتَهُ.

وهو في حديث مُعَاذٍ: «مَنْ اسْتَخْمَرَ قَوْمًا»، أي: اسْتَعْبَدَهُمْ.

(1) معجم مقاييس اللغة.

قال الخليل⁽¹⁾: اخْتَمَرَ الخَمْرُ، أي: أدرك، وَمَخَمَرُهَا: متخذها، وَخَمَرْتُهَا: ما غشي المَحْمُورُ من الخمار والسكر.

وَاخْتَمَرَ الطيب والعجين خَمْرَةً.

ووجدت منه خَمْرَةً طيبةً: إذا اختمر الطيب، أي: وجد طيبه.

وَخَمَرْتُ العجين والطيب: تركته حتى يجود.

وَاخْتَمَرَتِ المرأةُ بالخِمَارِ.

وَأَخَمَرَهُ البيت: ستره، وَخَمَرْتُ البيت أي: سترته.

وَخَامَرَهُ الداء: خالط جوفه.

وَخَمَرْتُ الإناء: غطيته، قال رسول الله ﷺ: «خَمَرُوا شَرَابَكُمْ وَلَوْ بَعُودًا».

وَالخَمْرُ: وهدة يخنفي فيها الذئب.

قال الراغب⁽²⁾: أصل الخمر: ستر الشيء، ويقال يستر به: خِمَارٌ. لكن

الخِمَارُ صار في التعارف اسماً تغطي به المرأة رأسها؛ وجمعه: خُمُرٌ، قال

تعالى: ﴿وَلَيَضْرِبَنَّ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: 31]. وَاخْتَمَرَتِ المرأةُ وَتَخَمَرَتْ،

وَخَمَرْتُ الإناء: غطيته.

المعاني المشتركة:

* وقد ورد (خمر) في القرآن الكريم في المعاني المشتركة التالية:

1 - الشراب: ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ الخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ

لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ [البقرة: 219].

2 - العنب: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا﴾

[يوسف: 36] أي عنباً.

(2) مفردات الراغب.

(1) العين.

- 3 - شراب الجنة: ﴿وَأَنْهَرُ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾ [محمد: 15].
- 4 - ثوب تغطي به المرأة رأسها ﴿وَلِيَضْرِبَنَّ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [الثور: 31].

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعَةٌ لِلنَّاسِ...﴾ [البقرة: 219].

قال القشيري⁽¹⁾: الخمر ما خامر العقول، والخمر حرام. والإشارة فيه أنه يزيد نفاذ العقل بما يوجب عليه من الالتباس. ومن شرب من خمر الغفلة فسكروه أصعب؛ فشراب الغفلة يوجب البعد عن الحقيقة، وكما أن من سكر من خمر الدنيا ممنوع عن الصلاة، فمن سكر من خمر الغفلة فهو محجوب عن المواصلات.

وكما أن من شرب من خمر الدنيا وجب عليه الحد، فكذلك من شرب شراب الغفلة فعليه الحد، إذ يضرب بسياط الخوف. وكما أن السكران لا يقام عليه الحد ما لم يفق، فالغافل لا ينجح فيه الوعظ ما لم ينته. وكما أن مفتاح الكبائر شرب الخمر، فالغفلة أصل كل زلة وسبب كل ذلة وبدء كل بعد، وحجة عن الله تعالى.

قال ابن عطية⁽²⁾: الخطاب للمؤمنين جميعاً، لأن هذه الأشياء شهوات وعادات قد تلبس بها في الجاهلية، وغلبت على النفوس، فكان بقي منها في نفوس كثير من المؤمنين، فأما الخمر فكانت لم تحرم بعد.

وأمر الله تعالى باجتناّب هذه الأمور، واقتربت بصيغة الأمر في قوله: (فاجتنبوه) نصوص الأحاديث وإجماع الأمة، فحصل الاجتناب في رتبة التحريم،

(2) المحرر الوجيز.

(1) لطائف الإشارات.

فبهذا حرمت الخمر بظاهر القرآن ونص الحديث وإجماع الأمة . . . وأمر الخمر إنما كان بتدرّج ونوازل كثيرة.

قال الرازي⁽¹⁾: فإن قيل: كيف جمع الخمر والميسر والأنصاب والأزلام في الآية الأولى، ثم خص الخمر والميسر في الآية الثانية؟

قلنا: لأن العدوّة والبغضاء بين الناس تقع كثيراً بسبب الخمر والميسر وكذلك يشتغلون بهما عن الطاعة، بخلاف الأنصاب والأزلام، فإن هذه المفاسد لا توجد فيها، وإن كانت فيها مفاسد آخر.

وقيل: إنما كرر ذكر الخمر والميسر فقط، لأن الخطاب للمؤمنين بدليل قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [البقرة: 104] وهم إنما يتعاطون الخمر والميسر فقط، وإنما جمع الأربعة في الآية الأولى إعلماً للمؤمنين أن هذه الأربعة من أعمال الجاهلية، وأنه لا فرق بين من عبد صنماً أو أشرك بالله تعالى بدعوى علم الغيب، وبين من شرب الخمر أو قامر مستحلاً لهما.

● قال تعالى: ﴿وَأَنهَرُ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ. . .﴾ [محمد: 15]

قال ابن عربي⁽²⁾: ﴿وَأَنهَرُ مِنْ خَمْرٍ﴾ أي: أصناف من محبة الصفات والذات.

قال الألوسي⁽³⁾: وهي خمر الشوق والمحبة.

قال الشعراوي⁽⁴⁾: نعم أنهار من خمر مُعدّة وجاهزة، ليس هناك عنب يُعصر، إنما بكنُ فيكون. وإذا كانت خمر الدنيا مُحَرّمة، وتذهب بالعقل ولها رائحة كريهة، فخمر الآخرة لها لذة عند شربها ولا تذهب بالعقل، فليس لها من خمر الدنيا إلا اسمها. وليس في الدنيا أنهار من خمر لأن خمر الدنيا بالأسباب، فهو كميات قليلة بمقدار ما يُعصر من العنب أو غيره، والحق سبحانه لما تكلم عن

(1) مسائل الرازي.

(3) روح المعاني.

(4) تفسير الشعراوي.

(2) تفسير القرآن لابن العربي.

خمر الدنيا قال: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا أَكْبَرُ مَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِنَّهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا...﴾ [البقرة: 219].

فالمنافع لا قيمة لها إذا ما قورنت بالمضار والحرمة، صحيح هي تُشعرك بشيء من النشوة أو السعادة، وتضحك وتفرح وتنسي همومك، لكنها بعد ذلك تغتال عقلك وتسلبك وقارك. فإذا أضفت إلى ذلك أنها محرمة، وأنها من أكبر الكبائر بان لك ضررها.

● قال تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبَنَّ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: 31].

قال الطبري⁽¹⁾: يقول تعالى ذكره: وليلقين خمرهن، وهي جمع خمار، على جيوبهن، ليسترن بذلك شعورهن وأعناقهن وقرطهن.

قال أبو السعود⁽²⁾: إرشادٌ إلى كيفية إخفاء بعض مواضع الزينة بعد النهي عن إبدائها. وقد كانت النساء على عادة الجاهلية يسدلن خمرهن من خلفهن فتبدون نحورهن وقلائدهن من جيوبهن لوسعها فأمرن بإرسال خمرهن إلى جيوبهن سترًا لما يبدو منها: وقد ضمن الضرب معنى الإلقاء فعدّي بعلّى. وقرىء بكسر الجيم كما تقدم.



(2) إرشاد العقل السليم.

(1) جامع البيان.

خَمَسَ

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس⁽¹⁾: الخاء والميم والسين أصلٌ واحد، وهو في العدد. فالخَمَسَة معروفة. والخمس واحدٌ من خَمَسَةٍ. يقال خَمَسْتُ القومَ: أخذتُ خُمَسَ أموالِهِم، أحمُسُهُم. وخَمَسْتُهم: كنتُ لهم خامساً، أحمُسُهُم. والخِمَس: ظمٌّ من أظماء الإبل. والخميس: اليوم الخامس من الأسبوع، وجمعه أحمساء وأخمسة، كقولك نصيبٌ وأنصباء [وأنصبه]. والخُماسِيّ والخُماسِيَّة: الوصيف والوصيفة طوله خمسة أشبار. ولا يقال سُداسِيّ ولا سُباعيّ إذا بلغ ستّة أشبارٍ أو سبعة. وفي غير ذلك الخُماسِيّ ما بلغ خَمَسَةً، وكذلك السُداسِيّ والعُشارِيّ. والخَميس والمخموس من الثياب: الذي طوله خَمَسُ أذرع.

ومما شدّد عن الباب الخَميس: وهو الجَيْش الكثير. ومن ذلك الحديث: «أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لما أشرف على خَيْبر قالوا: محمدٌ والخَميس»، يريدون الجَيْش.

قال الخليل⁽²⁾: خمس: الخُماسِيّ والخُماسِيَّة من الوصائف: ما كان طوله خَمَسَةً أشبارٍ، ولا يقال: سُداسِيّ ولا سُباعيّ في هذا، وفي غير ذلك: الخُماسِيّ: ما بلغ خَمَسَةً، وكذلك السُداسِيّ والعُشارِيّ. والخميس والمخموس من الثوب: الذي طوله خَمَسُ أذرع، ويقال: بل الخَميسِيّ: ثوبٌ منسوبٌ إلى

(2) العين.

(1) معجم مقاييس اللغة.

ملك من ملوك اليمن كان أمر بعمل هذه الثياب، فنسبت إليه. والخَمَسُ: تأنيث الخَمْسَةِ. والخَمَسُ: أخذك واحداً من خَمْسَةٍ، تقول: خَمَسْتُ مال فلان، وتقول: هذا خامِسُ خَمْسَةٍ، أي: واحد من خمسة.

والخُمُسُ: جزء من خَمْسَةٍ، وخَمَسْتُ القوم، أي: تموا بي خَمْسَةَ. والخَمَسُ: شرب الإبل يوم الرابع من يوم صدرت، لأنهم يَحْسِبُونَ يوم الصدر فيه. والخَمِيسُ: الجيش. والخَمِيسُ: الخُمُسُ، كالعشير من العشر. والأخماس: بروذ من برود اليمن. والمُخَامِسُ: الذي يقاسمك الخُمُسَ وتقاسمه.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [الكهف: 22].

قال ابن عطية⁽¹⁾: «خَمَسَةٌ» بفتح الميم إتباعاً لعشرة، وقرأ ابن محيصر «خَمِسَةٌ» بكسر الخاء والميم.

● قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: 14].

قال الفخر الرازي⁽²⁾: ﴿أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ كقوله تسعمائة وخمسين سنة، فما الفائدة في العدول عن هذه العبارة إلى غيرها؟ فنقول قال الزمخشري فيه فائدتان إحداهما: أن الاستثناء يدل على التحقيق وتركه قد يظن به التقريب، فإن من قال: عاش فلان ألف سنة يمكن أن يتوهم أن يقول: ألف سنة تقريباً لا تحقيقاً، فإذا قال: إلا شهراً أو إلا سنة يزول ذلك التوهم ويفهم منه التحقيق.

(2) التفسير الكبير.

(1) المحرر الوجيز.

الثانية: هي أن ذكر لبث نوح ﷺ في قومه كان لبيان أنه صبر كثيراً، فالنبي ﷺ أولى بالصبر مع قصر مدة دعائه. وإذا كان كذلك فذكر العدد الذي في أعلى مراتب الأعداد التي لها اسم مفرد موضوع، فإن مراتب الأعداد هي الآحاد إلى العشرة والعشرات إلى المائة والمئات إلى الألف، ثم بعد ذلك يكون التكثير بالتكرير فيقال عشرة آلاف، ومائة ألف، وألف ألف.

قال الزمخشري⁽¹⁾: كان عمر نوح ﷺ ألفاً وخمسين سنة، بعث على رأس أربعين، ولبث في قومه تسعمائة وخمسين، وعاش بعد الطوفان ستين. وعن وهب: أنه عاش ألفاً وأربعمائة سنة. فإن قلت: هلا قيل: تسعمائة وخمسين سنة؟ قلت: ما أورده الله أحكم. لأنه لو قيل كما قلت، لجاز أن يتوهم إطلاق هذا العدد على أكثره، وهذا التوهم زائل مع مجيئه كذلك،

وكأنه قيل: تسعمائة وخمسين سنة كاملة وافية العدد، إلا أنّ ذلك أخصر وأعذب لفظاً وأملاً بالفائدة، وفيه نكتة أخرى: وهي أنّ القصة مسوقة لذكر ما ابتلي به نوح ﷺ من أمته وما كابده من طول المصابرة، تسلياً لرسول الله ﷺ وتثبيتاً له، فكان ذكر رأس العدد الذي لا رأس أكثر منه، أوقع وأوصل إلى الغرض من استطالة السامع مدة صبره.



(1) الكشاف.

خمص

(خمص - جوع - خصص - السغب)

- **الْخَمْصُ**: ضمور البطن من شدة الجوع ﴿فِي مَخَصَةٍ﴾ [المائدة: 3].
- **الْجُوعُ**: الألم من خلوّ المعدة من الطعام ﴿أَطْعَمَهُمْ مِّنْ جُوعٍ وَعَآمَنَهُمْ مِّنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: 3].
- **الْخِصَاصَةُ**: خلوّ البيت مما يؤكل ﴿وَيُؤَثِّرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خِصَاصَةٌ﴾ [الحشر: 9].
- **السَّغْبُ**: اجتماع الجوع والعطش والتعب ﴿أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ [البلد: 14].



شرح المعاني:

الجوع: هو ألم البطن الأولي لفراغ المعدة من الطعام وهو أول درجات خلوّ البطن من الطعام. فكل يوم نصاب بالجوع وهو من قوانين البشر. كما نظماً فنشرب ونتسخ فنغتسل وكذلك نجوع فنأكل. فقد نشعر بالجوع صباحاً فنفطر ونجوع ظهراً فننغدى ونجوع مساءً فنتعشى. وقد قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿لَا يُسِينُ وَلَا يُغْنِي مِّنْ جُوعٍ﴾ [الغاشية: 7]، ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِّنْ جُوعٍ وَعَآمَنَهُمْ مِّنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: 4] ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخُوفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّادِقِينَ﴾ [البقرة: 155].

خاصة: إذا استمر الجوع في الإنسان أو في مجموعة من الناس لمدة أطول

كأسبوع أو أسبوعين أو شهر أو أكثر يسمى خصاصة. والخص هو نبات من القش أصفر وضعيف وهزيل، فإذا أدى الجوع بالإنسان إلى اصفرار لونه ولا يشبع مما يأكل ولكنه لم يصل بعد إلى درجة المجاعة، إنما الطعام قليل فيظهر على الوجوه عدم الشبع وهو ما يعرف بمصطلح العصر ب (سوء التغذية) تسمى هذه الحالة: خصاصة. وهكذا كان أهل المدينة المنورة من الأنصار لقلة الطعام عندهم بعدما تقاسموا مع المهاجرين طعامهم وآثروهم على أنفسهم في كثير من الأحيان. قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: 9].

مخمصة: إذا تطور الجوع بحيث أدى إلى تشويه في الوجه والجسد. كأن تصبح العيون غائرة والبطن مخسوف وغائر إلى حد مشوه فعندها يسمى: مخمصة. (غار الوجه بحيث تبدو الجمجمة ظاهرة والبطن عظامها ظاهرة) كما نرى في صور من أصابتهم المجاعة في أفريقيا ودول العالم الثالث الفقيرة. ويقال: أخمص القدم: إذا تشوهت القدم من الأسفل أي: حدث فيها خسف إلى الداخل. هذه الحالة تسمى مخمصة وهي الحالة التي فيها يحق لصاحبها أن يأكل مما حرم الله عليه كما في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمِهِ﴾ [المائدة: 3] والآية هنا لا تعني من كان في سفر قصير ولم يجد طعاماً حلالاً وجاع، فالإنسان يمكنه البقاء بدون طعام مدة من الزمن. وذلك لوجود الدهون والشحوم في جسده التي تذوب عند الإحساس بالجوع وتغطي إحساس الجوع الذي يشعر به الإنسان، وعندما تنفذ هذه الدهون ويصفر الوجه ويهزل الجسم وتغور البطن وتصبح حياة الإنسان مهددة، عندها يجوز أكل المحرمات فقط. ولهذا يجب مراعاة هذه النقطة لئلا نقع في المحظورات لمجرد سوء فهم معنى الكلمة (مخمصة).

مسغبة: إذا صادف مع هذه المخمصة حالة من التعب والعناء والحالة المزرية

تسمى مسغبة. والله سبحانه وتعالى عنده عبادات تكفي عن كل العبادات مثل: الشهادة في سبيل الله فكأن كل طاعات الشهيد الأخرى اختزلت في هذه الشهادة. كذلك الذي يطعم في مسغبة فالحال هنا تشابه حال المحكوم بالإعدام ثم تفكه، أو عبد مملوك فتعنته وتحمره (فك رقبة). وكذلك الإطعام هنا يجب أن يكون له مزية وليس بإطعام ما تبقى لدينا من طعام في يوم ذي حصار شديد ومعاناة شديدة وتعب شديد ثم يصبح عندك طعام فتطعمه هذا الذي يحاسب الله تعالى عليه بما شاء سبحانه. ﴿أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ [البلد: 14].

الجوع له جانبان: جانب إيجابي عظيم. وهو الجوع الاختياري أو الجوع لهدف عظيم وجانب سلبي لثيم كالجوع الإجباري: كأن تجوع لأن غيرك استولى على حقك بالغذاء.

وللجوع عدة أنواع منها:

الجوع العظيم: وهو الصوم الذي يعتمد على الجوع أولاً، وهو أعظم العبادات (كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به)، فالصوم يظهر السمائل ويكفر الذنوب، وما من حسنة وفضيلة في الإنسان إلا الصوم أساسها. ولما أراد الله تعالى أن يقابل موسى ليكلمه طلب منه الصوم فصام موسى 40 يوماً فارتقت نفسه عن الغرائز والشهوات. وفيما يروى أن الله تعالى خلق العقل فقال: ما خلقت أفضل منك، فقال له: أقبل فأقبل، ثم قال له تعالى: أدبر فأدبر، فقال له الله تعالى: من أنا؟ قال: أنت الله لا إله إلا أنت، وخلق الله تعالى النفس فقال لها: ما خلقت أشمر منك، فقال لها: من أنا؟ قالت: أنت أنت وأنا أنا. ففرض عليها الصوم، ثم دعاها فأقبلت قال: من أنا؟ قالت: أنت الله لا إله إلا أنت. والله أعلم. ولأهمية الصوم وعظم ثوابه وحسناته كان كفارة للذنوب، فكفارة القتل الخطأ صيام شهرين متتابعين؛ وكفارة اليمين الكاذب صوم ثلاثة أيام، وكفارة الحلق للمحرم صيام عشرة أيام، وكفارة ترك معاشره الزوجة الصوم أيضاً. ولولا ثوابه العظيم وما يفيد النفس البشرية لما فرضه الله تعالى علينا وجعله كفارة

لذوننا . وقد وصف الله تعالى الصوم بالصبر في قوله: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [البقرة: 45].

الجوع الإجباري: هو أسوأ أنواع الجوع. بأن يحرمك غيرك من حقلك بالطعام. فالتجوع من شر الأعمال على الأرض، فما من شر أشد من أن تتعمد أن تجيع فرداً أو مجتمعاً أو شعباً بأكمله، كما يحصل في الحصارات للبلاد العديدة كما حصل في العراق وغيره من البلاد التي يتسلط عليها من يجوعها ويمنع الطعام عنها. وصدق الرسول الكريم ﷺ في حديثه: (امرأة دخلت النار في قطة حبستها وأجاعتها).

الجوع الرحيم: كأن تجوع لغيرك كما فعل أهل المدينة من الأنصار، جاؤوا هم ليطعموا إخوانهم من المهاجرين.

الجوع الكريم: أو جوع العفة كما في قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَاقًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 273] حتى ولو كان بهم جوع لا يسألون أحداً الطعام لشدة عفتهم وعزة نفوسهم مع أنهم يتضورون جوعاً.

الجوع الوسيم: هو ما يفعله الناس من جوع بهدف الرشاقة واللياقة، أو ما يفعله بعض فرق الكوماندوس الذين يتدربون تدريباً قاسياً ويتبعون حمية معينة فلا يأكلون أي شيء يريدون متى شاؤوا.

الجوع اللئيم: وهو شعور الجوع الذي يشعر به من لا يثق بالله تعالى ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: 112] يخاف الناس من الجوع القادم لأنهم لا يثقون بالله الرزاق العليم.

الجوع السقيم: وهو جوع المرض أو الخوف أو الكآبة، فكل هؤلاء يفقد شهيته للطعام.

الجوع العظيم: وهو الابتلاء ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: 155] ولنتوقف قليلاً عند هذه الآية: الخائف لا يتلذذ بشيء. فالأمن والغذاء هما أساس كون الإنسان صالح للحركة، الجائع حركته خاطئة والخائف حركته خاطئة ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ [الذات أطعمهم من جوع وءامنهم من خوف] ﴿٣١﴾ [قريش: 3-4] وفي حديث الرسول: «لعن الله من أخاف مسلماً». وهنا ينبغي أن نفرق بين البلاء والفتنة والامتحان.

الابتلاء يكون بما تكره (الجوع، الخسف، الخوف. .) ويكون لجلاء الصبر. ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ﴾ [محمد: 31].

الفتنة تكون بما تحب كالمال والسلطة والنساء والأولاد وهي لجلاء الشكر، وليرى الله تعالى مدى شكرك له وكيف تستعمل هذه النعم بالكفر أو الشكر.

الامتحان هو الامتحان بما يخفى وهو اختبار الكفاءة.

الخوف والجوع متلازمان، والفرق بين الخوف والجوع، أن الجوع يزول بلحظة، ما إن تأكل الطعام حتى يتلاشى الإحساس بالجوع حتى ولو استمر الجوع لسنين. أما الخوف فلا يزول. كما في قصة بني إسرائيل مع فرعون، فمن كثرة ما أخافهم فرعون وأرهبهم لم يصدقوا أن الله نجاهم مع موسى في البحر وأغرق فرعون وجنوده فلما قال لهم موسى: ادخلوا الأرض قالوا لموسى: إن فيها قوماً جبارين. ولكي يزول الخوف من شعب أو أمة يجب أن يزول الجيل بكامله، ولأجل هذا بقي بنو إسرائيل تائهين أربعين عاماً حتى نشأ جيل جديد لا يخاف.

في النعمة فقد قدم الله تعالى الطعام على الأمن ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: 4].

أما في النعمة فقد قدم سبحانه الخوف على الجوع ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾.

والصوم هو ابتلاء من رب العالمين ليعلم صبرنا، أما تجويع الناس فهو من فعل الناس ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ [الروم: 41] وليس من فعل الله عز وجل فقد قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ﴾.

ولا بد من الشعور بشيء من الخوف لجلاء الصبر والتحمل عند مواجهة العدو، جعل الله تعالى الجوع والخوف والتضحية في أيدينا.

فلسفة الجوع الإيجابي:

قال يحيى بن معاذ وهو من صالحى هذه الأمة: جوع الراغبين منبهة الذين يرغبون بالتقرب إلى الله. مثل سيدنا موسى عليه السلام صام أربعين يوماً حتى صفت نفسه وطهرت من الغازات والتجشؤ وغيره من أدران الجسد. وجوع التائبين تجربة (عندما يتوب المذنب من ذنوبه ويريد أن يكون عبداً صالحاً يجب أن يجرب الجوع حتى يعود نفسه على حسن العبادة وعلى الصبر). وقال سعد بن سهل: أفضل العبادة ترك فضول الطعام اقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم.

وضعت الحكمة والعلم في الجوع، والمعصية والجهل في الشبع. وما وصل الصالحون إلا بإخماس البطون. . من جوع نفسه انقطعت عنه الوسواس. . إقبال الله على العبد بالجوع. سألوا حكيماً: بأي قيد أقيّد نفسي؟ قال: قيدها بالجوع والعطش، وذللها بإخمال الذكر وترك العز، وصغرها بوضعها تحت أقدام الصالحين.

قال ابن القيم رحمه الله: عندما صام سيدنا موسى ثلاثين يوماً فأتها بعشر مع أنه كان صائماً وجائعاً لم يشكُ تعباً ولا جوعاً. وفي قصته مع العبد الصالح خرج مع فتاه وقال له: ﴿إِنَّا غَدَاءْنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ [الكهف: 62].



النصوص اللغوية:

قال ابن فارس⁽¹⁾: الخاء والميم والصاد أصلٌ واحدٌ يدلُّ على الضُّمْرِ والتَّطَامُنِ. فالخَمِيصُ: الضَّامِرُ البَطْنُ؛ والمصدر الخَمِصُ. وامرأةٌ خُمِصَانَةٌ: دقيقة الخَصْرِ. ويقال لباطن القَدَمِ: الأَخْمَصُ. وهو قياسُ الباب، لأنَّه قد تداخل. ومن الباب المَخْمَصَةُ، وهي المجاعة؛ لأنَّ الجائع ضامرُ البطن. ويقال للجائع: الخميص، وامرأةٌ خَمِيصَةٌ.

قال الخليل⁽²⁾: الخَمِصُ: خَمَاصَةُ البطن، وهو دقة خلقتة. والخَمِصُ: الخَمِصُ والمَخْمَصَةُ. أيضاً: خلاء البطن من الطعام. وامرأةٌ خَمِيصَةٌ البطن خُمِصَانَةٌ. وهنَّ خُمِصَانَاتُ، وفلان خَمِيصُ البطن من أموال الناس، أي: عفيفٌ عنها، وهم خِماصُ البطون. والطير تغدو خِمَاصاً وتروح بِطَاناً. والخَمِيصَةُ: كساء أسود معلّمٌ من المرعزي والصوف ونحوها. والأخْمَصُ: خصر القدم. والأخْمَصُ: باطن القدم.

والجميع: الأَخَامِصُ. والخَمِصَةُ: بطن من الأرض صغير، لين الموطىء.

قال الجوهري⁽³⁾: خَمَصَ الجرحُ: لغة في خَمَصَ، أي: سكن ورَمَهُ. والأخْمَصُ ما دخل من باطن القدم فلم يصب الأرض. ورجلٌ خُمِصَانٌ وخَمِيصُ الحَشَا، أي: ضامرُ البطن، والجمع خِمَاصٌ. وامرأةٌ خَمِيصَةٌ وخُمِصَانَةٌ. والخَمِصَةُ: الجَوْعَةُ. يقال: ليس للبِطْنَةِ خيرٌ من خَمِصَةٍ تتبعها. والمَخْمَصَةُ: المجاعة، وهو مصدرٌ مثل المَغْضَبَةِ والمَعْتَبَةِ. وقد خَمَصَهُ الجوعُ خَمِصاً ومَخْمَصَةً. والخَمِيصَةُ: كساءٌ أسودٌ مربَّعٌ له عَلَمَانِ فإن لم يكن مُعلماً فليس بِخَمِيصَةٍ.

(3) الصحاح في اللغة.

(1) معجم مقاييس اللغة.

(2) العين.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿فِي مَخَصَّةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾
[المائدة: 3].

قال أبو السعود⁽¹⁾: ﴿فِي مَخَصَّةٍ﴾ أي: في مجاعة يَخَافُ معها الموتَ أو مباديَه.

قال ابن العربي⁽²⁾: ﴿فِي مَخَصَّةٍ﴾ في هيجان شديد من النفس وغلبة لظهور صفة من صفاتها.

قال الألوسي⁽³⁾: أي: مجاعة تخمص لها البطون أن تضمير يخاف معها الموت أو مباديَه.



(3) روح المعاني.

(1) إرشاد العقل السليم.

(2) تفسير القرآن لابن العربي.

خنزير

النصوص اللغوية:

قال الخليل⁽¹⁾: والخُزْرَةُ: وجع في الصلب. وخَزَرْتُ فلاناً خَزْراً: نظرت إليه بلحاظ عيني.

وعدوٌ أَخَزَرُ العين: إذا نَظَرَ عن مُعَارَضَةٍ، والخَزِيرَةُ: مَرَقَةٌ، تُطْبَخُ بماء يصفى من بلالة النُّخَالَةِ.

والخِنزِيرُ: مأخوذ من الخَزَرَ، لأن ذلك لازم له، قال:

لا تَفَحْرُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ لَكُمْ يَأْخُزِرُ ثَعْلَبَ دَارِ الدُّلِّ والعارِ

يعني: يا حَنَازِيرُ، وكل خِنزِيرٍ أَخَزَرُ. والخيزران: نبات لين القصبان، أملس العيدان، ويقال: بل كل خشبةٍ مستوية: خَيْزُرَانَةٌ. والخَيْزُرَانَةُ: سكان السفينة. والخُزْرَةُ: داء في مستدق الظهر عند فقره.

الخَزْرُ: فُصُوصٌ من جَيْدِ الجَوْهَرِ، وردِيئُهُ من الحِجَارَةِ ونحوها. والخَزْرُ: خياطة الأدم، وكل خُزْرَةٍ: كتبة، يعني: ثقبه. والمُخَزَّرُ من الحمام والطيور: الذي على جناحيه نمرة وتحبير شبيه بالخَزْر.

قال ابن منظور⁽²⁾: والخِنزِيرُ من الوحش العادي: معروف من ذلك. وقال كراع: هو من الخَزْرِ في العين لأن ذلك لازم له، قال: فهو على هذا ثلاثي؛ وَخَنَزَرَ: فَعَلَ فِعْلَ الخنزير.

(2) اللسان.

(1) العين.

وخنزيرُ اسم موضع؛ قال الأعشى يصف الغيث: فالسَّفْحُ يَجْرِي فَخِنْزِيرُ
فَبِرْقَتُهُ، حتى تَدَافَعَ مِنْهُ السَّهْلُ وَالْجَبَلُ وَخِنْزِيرُ: اسم ابن أسلم بن هنة الأسيدي؛
حكاه ابن سيده وقال: فيما أرى. والخنازير: علة معروفة، وهي قروح صلبة
تحدث في الرقبة.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ﴾ [المائدة: 60].

قال الفخر الرازي⁽¹⁾: اعلم أنه تعالى ذكر من صفاتهم أنواعاً: أولها: أنه
تعالى لعنهم، وثانيها: أنه غضب عليهم، وثالثها: أنه جعل منهم القردة والخنازير
وعبدة الطاغوت. قال أهل التفسير: عنى بالقردة أصحاب السبت، وبالخنازير
كفار مائدة عيسى. وروي أيضاً أن المسخين كانا في أصحاب السبت لأن شبانهم
مسخوا قردة، ومشايخهم مسخوا خنازير.

قال أبو السعود⁽²⁾: أي مسخ بعضهم قردة وهم أصحاب السبت وبعضهم
خنازير وهم كفار مائدة عيسى عليه السلام، وقيل: كلا المسخين في أصحاب السبت
مُسِخْتِ شبانهم قردةً وشيوخهم خنازيرَ وجمع الضمير الراجع إلى الموصول في
(منهم) باعتبار معناه كما أن أفراد الضميرين الأولين باعتبار لفظه، وإيثاراً وضعه
موضع ضمير الخطاب المناسب لأنبئكم للقصد إلى إثبات الشريعة بما عُدَّ في حيز
صلته من الأمور الهائلة الموجبة لها على الطريقة البرهانية مع ما فيه من الاحتراز
عن تهيج لجأجهم.

(2) إرشاد العقل السليم.

(1) التفسير الكبير.

● قال تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ﴾ [البقرة:

. [173].

قال الماوردي⁽¹⁾: ﴿وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ﴾ فيه قولان: أحدهما: التحريم مقصور على لحمه دون غيره اقتصاراً على النص، وهذا قول داود بن علي.

والثاني: أن التحريم عام في جملة الخنزير، والنص على اللحم تنبيه على جميعه لأنه معظمه، وهذا قول الجمهور.

قال الألويسي⁽²⁾: خص اللحم بالذكر مع أن بقية أجزائه أيضاً حرام خلافاً للظاهرية لأنه معظم ما يؤكل من الحيوان وسائر أجزائه كالتابع له، وقيل: خص اللحم ليدل على تحريم عينه ذكي أو لم يذك، وفيه ما لا يخفى، ولعل السر في إقحام لفظ اللحم هنا إظهار حرمة ما استطيبوه وفضلوه على سائر اللحوم واستعظموا وقوع تحريمه، واستدل أصحابنا بعموم الخنزير على حرمة خنزير البحر، وقال الشافعي رضي الله تعالى عنه: لا بأس به، وروي عن الإمام مالك أنه قال له شخص: ما تقول في خنزير البحر؟ فقال: حرام ثم جاء آخر فقال له: ما تقول في حيوان في البحر على صورة الخنزير؟ فقال حلال. فقيل له: في ذلك فقال: إن الله تعالى حرم الخنزير ولم يحرم ما هو على صورته، والسؤال مختلف في الصورتين.



(2) روح المعاني.

(1) النكت والعيون.

خنس

(خنس - خفي - وري - وقب)

- **الْخُنُوسُ:** الاختفاء من المشهد بصمت جبناً وخيبة ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ [الناس: 4].
- **الْخَفِيَّةُ:** لا تدركه الحواسان البصر والسمع ﴿وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَمْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [الممتحنة: 1].
- **التَّوَارِي:** الاستتار بعد انتفاء الحاجة ﴿حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ [ص: 32].
- **الْوَقْبُ:** الاستتار في حفرة منيعة ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ [الفلق: 3].



شرح المعاني:

اختفى: تعني اختفى هرباً أو عجزاً. الاختفاء إذن هرب في الغالب ﴿الَّا إِلَهُمَّ يَتَّبِعُونَ صُدُورُهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُرْسُوتَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُمْ عَلَيْهِمْ يَدَاتِ الصُّدُورِ﴾ [هود: 5]، ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ [النساء: 108] كل من فيه ريبة أو هرب بشيء من الأمانة أو نوع من أنواع الريبة أو الهروب يسمى اختفاءً، ولهذا في الفقه الإسلامي هناك اليد المستعلنة أو الغاصبة العلانية كالمختلس، وهي لا تقطع في الإسلام.

وهناك اليد المستخفية وهي التي تقطع في الإسلام، وهي يد السارق الذي

يأتي متخفياً في الليل متلصصاً يكسر باباً من غير أن يراه أحد مثلاً، والاستخفاء هو الريبة.

خنس: إذا كان الهروب عن مذلة وهوان يقال له: خنس ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ [الناس: 4]. والخنس كأن يشعر أحدهم بالضعة لأي سبب من الأسباب أمام عدو عظيم مثلاً، فيذهب ويتقهقر بذلة مادية ومعنوية. أو أن يخنس أحدهم أمام عالم جليل يفيض علماً يناقشه، أو كالرجل يخنس أمام عظيم لهيبته ووقاره كأن تمشي مع الرسول ﷺ كما جاء في الحديث: «فخنست عنه»، لم يستطع أن يبقى مع الرسول ﷺ لهيبته فخنس عنه. وبقدر قوة الشيطان وقدرته وطغيانه وقوة شكيمته فإنه يخنس بكلمة من المؤمن أو دمعة أو صلاة أو شعور واحد يخنس هذا الشيطان ويتوارى، وأضعف المؤمنين إيماناً يجعل الشيطان في ساعة من الساعات يختفي خنساً أي: ذلة. كأن تكون عيناه قد فاضت لحظة من خشية الله أو رأى جنازة فاتعظ. ولذلك يقال للشيطان: الخناس، لأنه على رغم قوته وقدراته يختفي أمام كلمة واحدة أو شعور أو دمعة واحدة. وبعض الكواكب تخنس من شدة نور الشمس وضياؤها قال تعالى: ﴿فَلَا أُقِيمُ بِالْخَنَّاسِ﴾ [التكوير: 15] هذه الكواكب عظيمة في الليل ومتجلية لكن عندما تظهر الشمس تخنس هذه الكواكب أمام الشمس لضعفها.

توارى: إذا كان الخنس أن يختفي خجلاً أو حياء فهو التواري. قال تعالى: ﴿يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [النحل: 59]، عازراً كان على البعض أيام الجاهلية أن يرزق بأنثى. والتواري أن تتوارى من فعلة تخجل منها ولا تريد أن يراك أحد بعدها ﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ [ص: 32]، من بلاغة القرآن استخدام لفظ توارت في هذه الآية بينما استخدمت ألفاظ غربت وطلعت. وفي التفسير لهذه الآية ورد أن الشمس لما توارت كأنها توارت خجلاً من أن نبياً من أنبياء الله تعالى التهي بالخيال حتى فاتته الصلاة، فكان الشمس حين توارت ذاك النهار توارت خجلاً.

غاب: الاختفاء عن العين يسمى غيباً كوني، لا أراك فأنت غائب حتى لو كنت وراء باب أو جدار. قال تعالى: ﴿وَنَقَدَ الْأَظْيَرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ [النمل: 20] كل شيء لا تراه عينك ولا تصل إليه رؤيتك ولم يعد في مدى نظرك فهو غائب وغيب.

غرُب: إذا كان الغياب بعيداً جداً وسافر إلى بلاد بعيدة يسمى غرُب. والفرق بين غابت الشمس وغربت الشمس: أن غابت الشمس أي لم أعد أراها وإنما يراها غيري، أما غربت الشمس تعني أنها في مكان بعيد لا أدركه في الأفق البعيد ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَرْبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا الْقَارِئِينَ إِنَّمَا أَنْتُمْ تُعَذِّبُونَ وَإِنَّمَا أَنْتُمْ تُنْحَذُونَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ [الكهف: 86]. ولهذا يسمى الغريب غريباً عندما يسافر إلى بلاد بعيدة.

أفل: الأفل مختبأ الشيء كله. وقت الغروب تصبح الشمس قرصاً أصفر ينزل في الأفق فإذا قلَّ حجمها من حيث أنها توارت وذهبت وتجردت من ضوئها يقال لها: أفلت ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ الظُّلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْأَفْلِينَ﴾ (٧٦) ﴿فَلَمَّا رَأَىٰ الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْنَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ (٧٧) ﴿فَلَمَّا رَأَىٰ الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَكْفُومِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ (٧٨) [الأنعام: 76-78]. والأفال هي صغار الغنم. إذا صغر الشيء نفسه يسمى: اضمحل، وهذه الكلمة لم ترد في القرآن الكريم. عندما ينطفئ ضوء المضيء يقال: فلان أفل نجمه: إذا قلَّ شأنه وشهرته ومكانته.

نلخص ما ورد من كلمات: اختفى حتى لا يعرف مكانه من هرب، وخنس اختفى عن ذلة وهوان، وتوارى عن حياء وخجل، وغاب عن العين وغرُب إذا كان الغياب بعيداً، وأفل إذا قلَّ ضوءه.

خنس: نتكلم بشيء من التفصيل عن كلمة خنس وكيف استعملها العرب بشكل متميز. عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جئت النبي ﷺ آخر الليل فصليت خلفه فأخذ بيدي فجرني حذاه، فلما أقبل على صلواته خنست عنه أي: انسحب إلى

الوراء لشعوره بالنقص والضعة والمذلة أمام الرسول ﷺ. الشيطان على قدراته العظيمة كما أسلفنا يهرب ويخنس بكلمة واحدة أو خفقة قلب أو خاطرة واحدة يشعر بالنقص والضعف والهوان. والشيطان عدو دائم توعد بني آدم توعداً وكان صادقاً في توعدته ونحن نعاني من همزاته وغمزاته ليل نهار، والكل في عداوة الشيطان سواء أنبياء وصالحين وصحابة وغيرهم. والشيطان له طاقات هائلة ﴿وَأَسْتَفْزِرُ مِنْ أَسْطَعْتِ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبُ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدَّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الإسراء: 64] يخنس بكلمة واحدة أو تسبيحة أو ركعتين. ومن أعظم الأسلحة في مواجهة الشيطان هو الذكر يقول ﷺ: «لا يحرز العبد نفسه من الشيطان إلا بذكر الله» فإذا ذكرت الله تعالى خنس. ومن فضل الله تعالى على هذه الأمة أنها تذكر الله تعالى عفويًا منذ أن تصبح إلى أن تسمي وهي الأمة الوحيدة التي تذكر الله تعالى على مدار اليوم. وفي الحديث: «لا يتحسر أهل الجنة إلا على ساعة لم يذكروا فيها الله» من أجل هذا كل من أراد أن يحصن نفسه وأولاده من وساوس الشيطان ومن فتكه الذي تعاضم في هذا العصر، أن يكون له أورايد يومية مأثورة عند الاستيقاظ من النوم وعند الدخول إلى البيت والخروج منه، وعند النوم وعند الأكل وغيرها من الأذكار المأثورة عن الرسول ﷺ. والذكر من أعظم العبادات يوم القيامة كما في الحديث: «رأيت رجلاً مغيّباً بنور العرش قالوا: بم يا رسول الله؟ قال: إن لسانه كان رطباً بذكر الله»، وفي الحديث: «ذهب الذاكرون بكل خير».

مربع الشيطان:

من أخطر مربيع الشيطان أربعة يسرح فيها ويمرح وما اقترب أحد من هذه المربيع وصار مزماً لها إلا صار طوع الشيطان في حركاته، وهذه المربيع هي:

الفضائيات: وهذه لم تكن على عهد أسلافنا وهي مربع جديد للشيطان في عصرنا الحالي وكان الناس في السابق إذا رأى أحدهم امرأة صدفة ينوح أياماً ﴿قُلْ

لِّلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُونَ مِنْ أْبْصَرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُؤُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَّهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿30﴾
[النور: 30] الذي يجري الآن على الفضائيات التي أعدت للهو، إذا أدمن عليها المؤمن فليعلم أنه صار مستحوذاً عليه وهو الذي يخنس أمام الشيطان لا العكس ويصبح قلبه أعمى .

الأضرحة: أضرحة الأولياء والصالحين والأنبياء وكلنا نعلم قدرهم عند الله تعالى ولا ننكره، لكن الناس غالوا في الأضرحة إلى حد أن صار بعضهم يعبد هذه الأضرحة عبادة. وهذا هو الاحتناك من الشيطان ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنِ أَخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: 62] يقود الشيطان المؤمن قيادة لأنه وصل بحبه لوليّه أو صالحه إلى حد التورط في عبادته من حيث لا يشعر وهذه مزلة عجيبة. ومن باب سد الذرائع ما من ذريعة أعظم أن تُسد من هذه الذريعة: أي الأضرحة، فيجب إقفال هذه الأضرحة التي يحصل فيها تعظيم لصاحب الضريح وما يحدث عليها من توسل بغير الله تعالى واختلاط. ومن كيد الشيطان كثيراً ما نجد الناس البسطاء يجدون حاجتهم على الضريح ويستنجدون به فيحصل لهم ما يريدون، وهذا من كيد الشيطان حتى يتعلقوا بالضريح أكثر وقد رأيت أناساً يسجدون للضريح لا للقبلة ولا حول ولا قوة إلا بالله.

الفضائيات تصيب بالغفلة وتمرض القلب لكنها لا تصل إلى حد الشرك، أما الأضرحة فهي توصل للشرك الصريح والعياذ بالله.

الأسواق: هذا هو الشرك الاقتصادي، هذا الولع والفرع على الدينار والدرهم بحيث صار معبود الناس كما في الحديث: «أهلك الناس الدينار والدرهم» وأصبح الحصول على الثروة يلهي الناس عما سواه وأصبح معبود الناس، وأصبحت الأسواق مزلة عظيمة لشدة ما فيها من ربح غير اعتيادي وربا واستحواذ والمال فتان ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [الفجر: 20] ولهذا جعل الإسلام حصائن وأذكار تقي من هذه الفتن.

الحّمّات والمسابع ودور السينما إذا استمر الإنسان في الذهاب كثيراً إليها كل يوم تتغير أفكاره وخواطره وتقل مناعته ضد الشيطان وهمزاته. وكل هذه المراجع تزيل المناعة لأن فيها شهوة وشهية.

يقول ﷺ: «إن المؤمن ليُضني شياطينه كما يُضني أحدكم بغيره» فإذا استطعت أن تتبع بعض النصائح يمرض الشيطان يوماً بعد يوم بحيث لا يؤثر فيك كما قال ﷺ عن قرينه أن الله تعالى مكّنه منه.

ومن مراع الشيطان ومصائده مجالس الغيبة وترك الصلاة واللجوء إلى العرافين والسحرة والمنجمين. فإذا أردت أن تحصّن نفسك من الشيطان فعليك أن تتخلى عن كل مخلوق لأنه لا قدرة لأحد على أن ينفعك أو يضرّك كائناً من كان، فإذا عوّدت نفسك وأيقنت بهذا يصبح الشيطان كالخرقة البالية لا يقربك ويخشى منك.

التحصين من الشيطان وزيادة المناعة ضده

ومن أعظم ما يحصنك من الشيطان كما أسلفنا الذكر، وبخاصة هذا الصيغة من الذكر: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يُحيي ويميت وهو على كل شيء قدير. وهذه الصيغة هي من أعجوبة الأعاجيب في الذكر: في كل مأساة أو موضع يتصدر هذا الذكر وهو دعاء يعصم من الشيطان ويزيد من الحسنات وله رصيد هائل. وكذلك دعاء السوق الذي يحطّ الله تعالى به مليون سيئة ويعطي مليون حسنة وصيغته: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير». هذه الصيغة من الذكر تجعل الشيطان يخنس خنساً عظيماً.

لكي تربي فيك المناعة عليك أن: تحرص على أن تحظى بمجلس علم شرعي ولو مرة في الشهر، فما بالك بمرة في اليوم وفي المسجد؟ زيارة المريض إذا عوّدت نفسك على زيارة مريض ولو مرة في الشهر تكسبك مناعة هائلة من الشيطان.

زيارة المقابر واتباع الجنائز إلى أن تدفن إيماناً واحتساباً.

واحرص على أن تكون من عباد الله تعالى الذين ليس للشيطان عليهم سلطان كما قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَنٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ [الحجر: 42] أصحاب الفضائيات والأسواق هم عبيد الله تعالى، أما عباد الله تعالى فهم الذين يحميهم وهم أهل القرآن وصلاة الليل والراحمون والقاضي العادل والمنفق والغني الشاكر والحاكم العادل، وإكرام البنات والصبر على زوجة سيئة ما لم تكن خائنة وكظم الغيظ والعفو عن الناس والتواضع والحلم، والإنفاق سرّاً وعدم شهادة الزور.. هذه كلها مناعات من الشيطان فعليك أن تكون من عباد الله تعالى لتنجو من همزات الشيطان ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: 63].

وعلى كل مسلم أن يشتري لنفسه كتاباً صغيراً في الأذكار المأثورة في كل حركة. والرسول ﷺ علمنا الكثير من الأذكار اليومية حتى الجِماع له ذكر في السنة النبوية، فعلى الرجل قبل أن يجامع زوجته أن يقول: «اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا» والمرأة تقول: «رب إنني نذرت لك ما في بطني محرراً فتقبل مني» يكون الأولاد بإذن الله تعالى صالحين.

والأوراد في السنة كثيرة ولا ننسى عقوبة ترك الذكر كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ [الزخرف: 36]، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [طه: 124] والحديث القدسي يقول فيه رب العزة: «من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته من خير ما أعطي السائلين» فالذكر يغنيننا عن السؤال.

كلنا نعاني في الصلاة، فأول ما نقف للصلاة تأتي الوسواس، ولو اتبعنا طريق الصلاة الجيدة جداً، ولا أقول الممتازة لأن هذه خاصة بالأنبياء والصالحين، والصلاة الجيدة جداً هي أن تقيم الصلاة وتستحضر ساعة الإقامة والتكبير بين يدي من تقف؟ وتذكر أنك أمام الله تعالى، فقل الله أكبر من صدرك

حتى تتنبه جوارحك، ثم قل الحمد لله رب العالمين عند قراءة الفاتحة من أعماقك وتأملها، وعليك أن لا تقل تسبيحاتك عن ثلاثة لزيادة الخشوع والتغلب على الشيطان. ولكل نوع من العبادة وظيفتان أحداها: إسقاط الفرض والثانية: رفع درجات وتكفير ذنوب، وهذه هي التي تمنع الشيطان من أن يلعب بالإنسان.



النصوص اللغوية:

قال ابن فارس⁽¹⁾: الخاء والنون والسين أصلٌ واحدٌ يدلُّ على استخفاءٍ وتسُّرٍّ. قالوا: الخَنْسُ: الذهاب في خِفيَّة. يقال: خَنَسْتُ عنه، وأخَنَسْتُ عنه حقَّه. والخُنْسُ: النُّجوم تَخْنِسُ في المَغيب. وقال قوم: سُمِّيَتْ بذلك لأنها تَخْفَى نهاراً وتطلُّع ليلاً. والخَنَاسُ في صِفة الشَّيْطَان؛ لأنَّه يَخْنِسُ إذا ذُكِرَ اللهُ تعالى. ومن هذا الباب: الخَنْسُ في الأنف: انْحِطاط القِصْبَةِ. والبقرُ كُلُّها خُنْسٌ.

قال الخليل⁽²⁾: الخَنْسُ: انقباض قِصْبَةِ الأنف، وعرض الأرنبة كأنف البقرة الخَنْسَاءُ.

والتُّرْكُ: خُنْسٌ. والخُنُوسُ: الانقباض والاستخفاء. و«الشيطان يوسوس في القلب، فإذا ذكر الله خَنَسَ»، أي: انقبض. الخُنْسُ: الكواكب الخمسة التي تجري وتَخْنِسُ في مجراها حتى يخفى ضوء الشمس، وخُنُوسُها: اختفاؤها بالنهار.

قال الجوهري⁽³⁾: خَنَسَ عنه يَخْنِسُ بالضم، أي: تأخَّر. وأخَنَسَهُ غيره: إذا خَلَفَهُ ومضى عنه. والخَنْسُ تأخُّر الأنف عن الوجه مع ارتفاع قليل في الأرنبة. والرجل أَخْنَسُ، والمرأة خَنْسَاءُ. والبقر كُلُّها خُنْسٌ. والخَنَاسُ الشَّيْطَانُ لأنَّه

(1) معجم مقاييس اللغة.

(3) الصحاح في اللغة.

(2) العين.

يَخْنِسُ إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ. وَالْخُنْسُ الْكَوَاكِبُ كُلُّهَا، لِأَنَّهَا تَخْنِسُ فِي الْمَغِيبِ أَوْ لِأَنَّهَا تَخْفَى بِالنَّهَارِ. وَيُقَالُ: هِيَ الْكَوَاكِبُ السَّيَّارَةُ مِنْهَا دُونَ الثَّابِتَةِ. وَيُقَالُ: سَمَّيْتُ خُنْسًا لِتَأْخِرَهَا، لِأَنَّهَا الْكَوَاكِبُ الْمُتَحَيِّرَةُ الَّتِي تَرْجِعُ وَتَسْتَقِيمُ.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ [الناس: 4].

قال الفخر الرازي⁽¹⁾: وأما الخناس فهو الذي عادته أن يخنس منسوب إلى الخنوس وهو التأخر كالعواج والنفاثات، عن سعيد بن جبير إذا ذكر الإنسان ربه خنس الشيطان وولى، فإذا غفل وسوس إليه.

قال الماوردي⁽²⁾: الخناس هو الشيطان، وفي تسميته بذلك وجهان: أحدهما: لأنه كثير الاختفاء، ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَا أُفِئُّ بِالْخَنَّاسِ﴾ [التكوير: 15] يعني النجوم لاختفائها بعد الظهور.

الثاني: لأنه يرجع عن ذكر الله، والخنس الرجوع.

قال ابن عطية⁽³⁾: وقوله: ﴿الْخَنَّاسِ﴾ معناه: على عقبه المستتر أحياناً وذلك في الشيطان متمكن إذا ذكر العبد وتعوذ وتذكر فأبصر كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: 201]، وإذا فرضنا ذلك في الشهوات والغضب ونحوه فهو يخنس بتذكير النفس اللوامة بلمة الملك وبأن الحياء يردع والإيمان يردع بقوة فتخنس تلك العوارض المتحركة وتنقمع عند من أعين بتوفيق.

(3) المحرر الوجيز.

(1) التفسير الكبير.

(2) النكت والعيون.

● قال تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُسِ﴾ [النكوير: 15].

قال الطبري⁽¹⁾: اختلف أهل التأويل في الخُنس الجوار الكُنس. فقال بعضهم: هي النجوم الدراري الخمسة، تخنس في مجراها فترجع، وتكنس فتستتر في بيوتها، كما تكنس الطباء في المغار، والنجوم الخمسة: بهرام، وزحل، وعطارد، والزهرة، والمشتري. ذكر من قال ذلك أن رجلاً قام إلى علي رضي الله عنه، فقال: ما ﴿الجوار الكُنس﴾ قال: هي الكواكب. وقال: سمعت علياً رضي الله عنه، وسئل عن «لا أقسم بالخُنس الجوار الكُنس» قال: هي النجوم تخنس بالنهار، وتكنس بالليل.

وقال آخرون: هي بقر الوحش التي تكنس في كناسها.

قال الراغب⁽²⁾: أي: بالكواكب التي تخنس بالنهار، وقيل: الخنس هي زحل والمشتري والمريخ لأنها تخنس في مجراها، أي: ترجع، وأخنست عنه حقه: أخرته.

قال البغوي⁽³⁾: قوله عز وجل: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُسِ﴾، «لا» زائدة، معناه: أقسم بالخنس، ﴿الجوار الكُنس﴾، قال قتادة: هي النجوم تبدو بالليل وتخنس بالنهار، فتخفى فلا ترى. وعن علي أيضاً: أنها الكواكب تخنس بالنهار فلا ترى، وتكنس تأوي إلى مجاريها. وقال قوم: هي النجوم الخمسة: زحل، والمشتري، والمريخ، والزهرة، وعطارد، تخنس في مجراها، أي: ترجع وراءها وتكنس: تستتر وقت اختفائها وغروبها، كما تكنس الطباء في مغارها. وقال ابن زيد: معنى «الخنس» أنها تخنس أي: تتأخر عن مطالعها في كل عام تأخراً تتأخره عن تعجيل ذلك الطلوع، تخنس عنه.

(3) معالم التنزيل.

(1) جامع البيان.

(2) مفردات الراغب.

خنق

(خنق - حس - وأد - ذكو - صرع - صلب - عقر)

- **الْخَنْقُ:** الموت بالمخنق، وهو حبل يلفّ على الرقبة أو باليدين حتى الموت ﴿وَالْمُنْخَفَةُ﴾ [المائدة: 3].
- **الْحَسُّ:** الموت بإصابة الحواس، كناية عن قطع الرأس لأنه مجمع الحواس ﴿إِذْ تَحْسُونَهُمْ بِإِذْنِهِ﴾ [آل عمران: 152].
- **الْوَادُّ:** الموت بالدفن حياً ﴿وَإِذَا أَمْوَةٌ دَةٌ سِيلَتْ﴾ [التكوير: 8].
- **الذِّكَاةُ:** الموت ذبحاً بالسكين من الحلق ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ [المائدة: 3].
- **الصَّنْعُ:** الموت بالطرح أرضاً بقوة ﴿فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى﴾ [الحاقة: 7].
- **الصُّلْبُ:** الموت بتعليق الإنسان بحبل من رقبته ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ﴾ [النساء: 157].
- **العقر:** الموت بقطع الأرجل ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ﴾ [الأعراف: 77].



شرح المعاني:

هذه من منظومة الموت، والموت نوعان: نوع جماعي من باب الكوارث، وموت فردي يقع على الفرد سواء كان موتاً طبيعياً أو قتلاً بأي أسلوب من أساليب القتل المعروفة.

والموت إما: موت طبيعي وهو مفارقة الروح للجسد بدون حادث من

الحوادث ويتألف من جزئين: وفاة وموت، والوفاة هي اللحظات التي تسبق الموت من تلك الإغماءة اللذيذة التي هي مقدمة الموت النهائي وفي هذه الحالة لا يزال نفس المتوفى يصعد وينزل ولكنه في غيبوبة من كل ما ومن حوله وهو في عالم البرزخ يسمع ويرى موقعه في الجنة أو النار ويرى أهله الذين سبقوه ﴿فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ [الواقعة: 86] ويصبح أقرب إلى الله تعالى وإلى عالم البرزخ، لكن من حوله لا يسمعون ما يسمع ولا يرون ما يحدث له من عجائب. أما الموت فهو مفارقة الروح للجسد، فالوفاة موت جزئي تموت رجلاه ونصفه الأسفل ثم صدره ثم تحشرج الروح في حلقة، ولكنه لا يزال في عالم الدنيا هذه هي الوفاة، وما أن تخرج الروح من الجسد ثم تفتح عينا الميت تتبع روحه يراها وهي تخرج فهذه هي مرحلة الموت النهائي. هذا هو الموت الطبيعي وهو موت ليس فيه أجر، أما الموت الذي فيه أجر فهو الموت غريقاً أو حريقاً أو شهيداً أو مقتولاً أو مبتلى ببلاء. فما عدا الموت الطبيعي فهو قتل. ولكل نوع من أنواع القتل لفظ يختلف باختلاف السبب أو الحادث أو آلة القتل التي توضح كيف قُتل الإنسان.

والقتل يراد به القتل بالسلاح. ومع هذا فقد يُقتل الإنسان بغير سلاح يقال:

خنق: بحبل أو قلادة، والخنق نصف الرقبة، والخنق هو تضيق المسالك الهوائية بحيث لا يصل الهواء إلى الرئة ولا القلب ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْيَتَهُ وَالْدَّمَ وَالْحَمُّ الْخَنزِيرِ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَفَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّبَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾ [المائدة: 3].

ذبح: بالسكين من الحلق أعلى الرقبة تحت الحنك ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبُحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَنْتَخِذْنَا هَرُوءًا قَالِ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [البقرة: 67]، ﴿فَمَا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَى فَكَالَ يَبْنَىٰ إِيَّيَّ أَرَىٰ فِي الْمَنَايِرِ أَنِّي أَدْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَتَّبِعْتِ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الصافات: 102].

نحر: النحر أسفل الرقبة فوق اللبة. يقال: أخذ بتلايبه أي: يمسكه من أعلى

الملابس التي تصل إلى أسفل الرقبة، والتلابيب هي الملابس التي تصل إلى أسفل الرقبة. والنحر تقال للبعير أو الإنسان يذبح على هذا النحو بالنحر فالذبح إذن من أعلى الرقبة والنحر من أسفلها. ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾ [الكوثر: 2].

وقد: القتل إما بحجر أو عصي يُضرب الشخص حتى يموت ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمِيتَةُ وَالْدَّمُ وَحُمُّ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْفُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّبَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذُكِّرْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾.

صرع: أن تأخذه لفوق ثم تطرحه أرضاً فيموت ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَتَمَنِيَةً أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلٍ حَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة: 7].

أردى: من علو إما ألقاه من شاهق إلى الأرض أو من أرض إلى بئر ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾ [الليل: 11] في جهنم وهي وادٍ يخبرنا تعالى بأن الهلاك يوم القيامة تردّي (ألقيا في جهنم) في الدركات السفلى والمكان السحيق يتردى فيه الإنسان تردياً، والتردي يقال لأشد أنواع العذاب يوم القيامة ﴿قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدَتْ لَتَرِينَ﴾ [الصافات: 56].

أغرق: بالماء ﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾ [هود: 43]، ﴿وَمَا خَطَبْتَهُمْ أَغْرُقُوا فَأَدْخَلُوا نَارًا فَامَّ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾ [نوح: 25]، ﴿فَأَنْقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: 136].

صلب: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُخْلِفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ابْتِغَاءَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ [النساء: 157]، ﴿وَلَا صَلَبْتَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَلَعَلَّمَنَّا آيَاتَنَا أَشَدَّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾ [طه: 71] يسند إلى الخشبة. الخشبة القوية تسمى صليباً والصلب الوضع على الصليب ويترك حتى يموت إما نتيجة طريقة التعليق أو من شدة الجوع والعطش. وسمي الصليب عند النصارى صليباً نسبة إلى الخشبة التي صُلب عليها المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام ولكنه لم يصلب ولم يقتل بدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ﴾ [النساء: 157].

نتحدث بتفصيل أكبر عن خنق:

الخنق كما نعلم عملية إجرامية، والقتل قد يكون مشروعاً كقتل القاتل، والصلب قد يكون مشروعاً كصلب قاطع الطريق كما جاء في القرآن الكريم. أما الخنق فليس هناك خنق مشروع، وأشهر عملية خنق في التاريخ قبل الإسلام خنق سمّيت به مدينة خانقين قرب بغداد التي كانت تحت حكم المنذر بن النعمان قبل الإسلام، وكان له عدو اسمه عدي بن زيد فبلغ من غيظ النعمان عليه أن خنقه، فسميت المدينة خانقين أو خانقون. أما أشهر عملية خنق في الإسلام ما فعله عقبه بن أبي معيط لعنه الله تعالى عندما جاء والرسول ﷺ وهو يصلي عند الكعبة، وكان المسلمون قلة فلفّ رداءه حول عنق الرسول ﷺ حتى كاد أن يخنقه، فجاء أبو بكر رضي الله عنه فمعه ﷺ وقال: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله؟.

وقد شاع الخنق في هذا العصر وفي الحديث الشريف «لا تقوم الساعة حتى يشيع فيكم الهرج القتل القتل القتل» يشيع عندما تصبح كل أنواع القتل مباحة وما من عصر شاع فيه الإماتة خنقاً كهذا العصر مما يحصل مع السجناء السياسيين. وأصبحنا نسمع الآن بنساء يخنقون رجالهم ورجال يخنقون نساءهم، وشاع الخنق الإجرامي كثيراً في هذا العصر.

هناك خنق وهناك اختناق: فتح الغاز مثلاً حتى يموت الإنسان يسمى اختناقاً، وقد شاع الخنق والاختناق ناهيك عن الاختناقات المرورية والسكانية والكلمة الحرة وغيرها. والرسول ﷺ استعمل كلمة الخنق في الحديث الشريف استعمالات تلفت النظر فيقول عليه الصلاة والسلام: «إن مثل الذي يعمل السيئات ثم يعمل الحسنات كمثل رجل كانت عليه درع ضيقة قد خنقته ثم عمل حسنة فانفكت حلقة ثم عمل حسنة أخرى فانفكت حلقة أخرى حتى يخرج إلى العرض» هذا الحديث يبيّن أن السيئات تخنق الإنسان خنقاً، وكلما عمل حسنة أطفأ الله تعالى حلقة من سيئاته إلى أن تنفك جميعاً. وحديث آخر: «مرّ علي الشيطان فأخذته فخنقته حتى لأجد برد لسانه في يدي فقال أوجعتني أوجعتني أوجعتني

فأطلقته ليقضي الله أمراً كان مفعولاً» وقال ﷺ: «الذي يخنق نفسه يخنقها بالنار» وهذا للمتحرين الذين يشنقون أنفسهم فهم في النار خالدون فيها أبداً.

هذا هو الخنق المادي. أما الخنق المعنوي فحدث ولا حرج في العالم، والناس تخنق في كل يوم وكل من يقول الحقيقة يحارب ويصلب وينبذ ويضطهد كما قال الجواهري:

لثورة الفكر تاريخ يحدثنا بأن ألف مسيح دونها ضلبا
فالعالم كله يخنق الآن تحت وطأة الكذب والطغيان والظلم الذي يطغى على
الحق، وما من عصر شاع فيه الخنق بكل أنواعه كما شاع اليوم.



النصوص اللغوية:

قال ابن فارس⁽¹⁾: الخاء والنون والقاف أصلٌ واحدٌ يدلُّ على ضيقٍ. فالخَانِقُ: الشُّعْبُ الضَّيِّقُ. وقال بعضُ أهل العلم: إِنَّ أَهْلَ الْيَمَنِ يَسْمُونَ الزُّرْقَانَ خَانِقًا. وَالخَنِقُ مصدرٌ خَنَقَهُ يَخْنِقُهُ خَنِقًا. قال بعضُ أهل العلم: لا يقال خَنْقًا. والمِخْنَقَةُ القِلَادَةُ.

قال الخليل⁽²⁾: خَنَقَ: خَنَقَهُ فَاحْتَنَقَ، وَأَخْنَقَ، فَأما الأَنْخَانِقُ فهو انِعْصَارُ الخِنَاقِ فِي عُنُقِهِ، والَاخْتِنَاقُ: فعله بنفسه.

والخِنَاقُ: الحبلُ الذي يُخْنَقُ به، ويقال: رجلٌ خَنِقٌ، مَخْنُوقٌ، ورجلٌ خَانِقٌ. والخِنَاقُ: نعتٌ لمن يكون ذلك شأنه وفعله بالناس. وأخذ بِمِخْنَقَةٍ، أي: بموضع الخِنَاقِ، ومنه اشتقت المِخْنَقَةُ. أي: القِلَادَةُ. وفرسٌ مَخْنُوقٌ، من الخُنَاقِيَّةِ، والخُنَاقِيَّةُ: داءٌ يأخذ الطير في رؤوسها وحُلُوقها، وَيَعْتَرِي الفرس أيضاً،

(2) العين.

(1) معجم مقاييس اللغة.

فيقال: خُنِقَ الفرس فهو مَخْنُوقٌ، وأكثر ما يظهر في الحمام. والخَانِقُ: اسم موضع ذكره جرير.

وخاصانُ: اسم ملك من ملوك الترك.

قال الجوهري⁽¹⁾: الخَنِقُ، بكسر النون: مصدر قولك خَنَقَهُ يَخْنُقُهُ خَنِقًا وكذلك خَنَقَهُ. ومنه الخُنَاقُ. واخْتَنَقَ هو. وانخَنَقَتِ الشاة بنفسها، فهي مُنخَنَقَةٌ. وموضعه من العنق مُخَنَّقٌ بالتشديد. يقال: بَلَغَ منه المُخَنَّقُ. وأخذت بِمُخَنَّقِهِ. وكذلك الخُنَاقُ بالضم. يقال: أخذ بِخُنَاقِهِ. والخِنَاقُ بالكسر: حبلٌ يُخْنَقُ به. والمِخْنَقَةُ بالكسر: القِلاذَةُ. والخَانِقُ شِعْبٌ ضَيِّقٌ، وأهلُ اليمن يسمون الزُقَاقَ خَانِقًا. والمُخَنَّقُ المَضِيقُ.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿وَالْمُنْحَنِقَةُ﴾ [المائدة: 3].

قال الفخر الرازي⁽²⁾: المنخنقة، يقال: خنقه فاختنق، والخنق والاختناق انعصار الحلق. واعلم أن المنخنقة على وجوه: منها أن أهل الجاهلية كانوا يخنقون الشاة فإذا ماتت أكلوها، ومنها ما يخنق بحبل الصائد، ومنها ما يدخل رأسها بين عودين في شجرة فتختنق فتموت، وبالجملة فبأي وجه اختنقت فهي حرام.

وأعلم أن هذه المنخنقة من جنس الميتة، لأنها لما ماتت وما سال دمها كانت كالميت حنف أنفه.

(2) التفسير الكبير.

(1) الصحاح في اللغة.

قال الماوردي⁽¹⁾: ﴿وَالْمُنْحَفَةُ﴾ فيها قولان: أحدهما: أنها تخنق بحبل الصائد وغيره حتى تموت، وهو قول السدي، والضحاك. والثاني: أنها التي توثق، فيقتلها خناقها.

قال الشعراوي⁽²⁾: المنخقة إذن هي التي منع عنها النفس، وما دام مَنع النفس أوصلها إلى الخنق فهي إلى الموت، فلماذا جاء ذكرها مرة أخرى بعد الميته؟ لقد جاء ذكر المنخقة لأن الإنسان قد يلحقها بالذبح، فإن سال منها دم، وطرفت فيها عين أو تحرك الذيل فهي حلال. أما إن لم يلحقها الإنسان وذبحها ولم يسلم منها دم فهي حرام، ويحرم الموقوذة، وهي البهيمة التي يتم ضربها بأي شيء إلى أن تصل للموت، فهي قد ماتت، بنقض بنية وكذلك المتردية التي وقعت من ارتفاع حتى ماتت.



(2) تفسير الشعراوي.

(1) النكت والعيون.

خور

(خور - غشاء - رغاء - نباح - نعيق - مواء - سهل)

- الخوار: للبعير ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خَوَارٌ﴾ [طه: 88].
- الغشاء: للغنم.
- الرغاء: للإبل.
- النباح: للكلب.
- النعيق: للغراب.
- المواء: للقط.
- الصهيل: للخيل.



النصوص اللغوية:

قال ابن فارس⁽¹⁾: الخاء والواو والراء أصلان: أحدهما: يدلُّ على صوت، والآخر: على ضَعْفٍ. فالأوَّل قولهم: خَارَ الثَّورُ يَخُورُ، وذلك صوتُه. قال الله تعالى: ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خَوَارٌ﴾. وأما الآخر فالخَوَار: الضعيفُ من كلِّ شيءٍ. يقال: رُمِحَ خَوَّارٌ، وأرضُ خَوَّارَةٌ، وجمعه خُورٌ.

وأما قولهم للناقة العزيزة خَوَّارَةٌ والجمع خُورٌ، فهو من الباب؛ لأنَّها إذا لم

(1) معجم مقاييس اللغة.

تكن عَزُوزاً - والعَزُوز: الضيِّقة الإحليل، مشتقة من الأرض العَزَاز - فهي حينئذ حَوَّارَةٌ، إذ كانت الشِّدَّة قد زایلَتْها .

قال الخليل⁽¹⁾: الحَوْرُ: مصب المياه الجارية في البحر إذا اتسع وعرض .
والحَوْرُ: رَخَاوَةٌ وضعف في كل شيء، تقول: خَارَ يَخُورُ حَوْرًا، ورجلٌ حَوَّارٌ وخَوْرٌ تَخْوِيرًا . وسهمٌ حَوَّارٌ وحَوْوَرٌ، والحَوَّارُ: عَيْبٌ في كل شيء إلا في هذه الأشياء، ناقة حَوَّارَةٌ، وشاة حَوَّارَةٌ: كثيرة اللبن، ونخلة حَوَّارة أي: صفي كثيرة الحمل، وبعير حَوَّارٌ: رقيق حسن، وفرس حَوَّار: حسان أي: لين العطف، وجمعه حَوَّارٌ، والعدد حَوَّارات . والحَوْرُ: خليج البحر . والحَوْرانُ: رأس المعى الذي يسمى المبعر يلي الدبر، ويجمع على حَوْرانات . وكل اسم كان مذكراً لغير الناس فجمعته إذا حسن على لفظ إناث الجمع، جاز ذلك مثل سرادقات وحمامات وحورانات . ويقال للدبر: الحَوْرانُ والحَوَّارَةُ لضعف فقحتها . والحَوَّارُ: صوت الثور، وما اشتد من صوت البقرة والعجل، تقول: خَارَ يَخُورُ حَوْرًا وحَوَّارًا .

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ﴾ [الأعراف: 148] .

قال الزمخشري⁽²⁾: ﴿جَسَدًا﴾ بدناً ذا لحم ودم كسائر الأجساد . والخوار: صوت البقر، قال الحسن: إنَّ السامري قبض قبضة من تراب من أثر فرس جبريل ﷺ يوم قطع البحر، فقفزه في فيَّ العجل، فكان عَجلاً له خوار . وقرأ علي رضي الله عنه: «جوار» بالجيم والهمزة، ومن جأر إذا صاح . وانتصاب جسدًا على البدل من ﴿عَجَلًا﴾ .

(2) الكشاف .

(1) العين .

قال ابن عطية⁽¹⁾: و«الخوار» صوت البقر، ويروى أن هذا العجل إنما خار مرة واحدة، وذلك بحيلة صناعية من السامري أو بسحر تركب له من قبضة القبضة من أثر الرسول، أو بأن الله أثار العجل لفتن بني إسرائيل، وقرأت فرقة: له «جوار» بالجيم وهو الصياح، قال أبو حاتم وشدة الصوت.

قال الشعراوي⁽²⁾: ﴿عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ﴾، هذا القول يدل على أن جسدية العجل لم تكن لها حياة؛ لأنه لو كان جسداً فيه روح لما احتاج إلى أن يقول عَجَلًا جَسَدًا له خوار، ولاكتفى بالقول بأنه عجل. لكن قوله سبحانه: ﴿لَهُ خُورٌ﴾ دليل على أن الجسدية في العجل لا تعطي له الحياة. وجاء بالوصف في قوله: ﴿لَهُ خُورٌ﴾ والخُور هو صوت البقر. وقد صنعه من الذهب وكأنه يريد أن يتميز عن الآلهة التي كانت من الأحجار، وحاول أن يجعله إلهاً نفيساً، فصنعه - كما نعرف - من الحلي المسروقة، وصنعه بطريقة أن هذا العجل الجسد إذا ما استقبل من دبره هبة الهواء؛ صنعت وأحدثت في جوفه صوتاً يشبه صوت وخوار البقر الذي يخرج من فمه. وحين صنع موسى السامري العجل بهذه الحيلة، حدث هذا الصوت مشابها لخوار البقر.



(2) تفسير الشعراوي.

(1) المحرر الوجيز.

خوض

(خوض - عبث - لعب - لغو - لهو)

■ **الْخَوْضُ**: تعكير الشيء الصافي الهاديء بالأقدام ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آبِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ [الأنعام: 68].

■ **الْعَبَثُ**: تخريب الصحيح بدون هدف ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ﴾ [الشعراء: 128].

■ **اللُّعْبُ**: أفعال نشيطة تسلي ولا تنفع.

■ **اللُّغْوُ**: كلام كثير يسلي ولا ينفع ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾ [القصاص: 55].

■ **اللَّهُوُ**: لعب أو لهو يلهي صاحبه عن وظيفته ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾ [الجمعة: 11].

* * *

شرح المعاني:

خاض: الشروع في الماء الضحل لهدف اللعب واللهو وتعكير الماء يسمى خوضاً قال تعالى: ﴿ثُمَّ ذَرَهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام: 91]، ﴿وَحُضِّمُ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حِطَّتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [التوبة: 69].

سبح: المرّ السريع في الماء العميق، وتستخدم سبح أيضاً للمرّ السريع في

الهواء كما في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: 33] واستعملت مجازاً كالمرّ السريع في العمل اليومي ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْعًا طَوِيلًا﴾ [المزمل: 7] وهذه الآية تدل على أن النشاط والسرعة مطلوبان في العمل وليس التثاقل والتباطؤ. تدلنا على أن كل من يمر بأزمة عليه أن يُسرِع في ذكر الله تعالى ويدخل في عبادته حتى يخرج من عزلته. والسابحون ليسوا على تيرة واحدة. هناك السابح وهناك الماخر فالسابح هو الذي يسبح سريعاً.

مخر: الماخر هو الذي يكون في سباق معين ويصل لغاية محددة بحيث يضرب الماء بيديه وينشق الماء خلفه يفتح الماء بصدرة وذراعيه كما تفعل الباحرة في الماء. قال تعالى: ﴿وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: 14]. ﴿وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [فاطر: 12].

ماج: ركب الموج. نهر هائج وأنت تسبح فيه يقال: ماج أي: ركب الموج ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فُجِعَتْهُمْ جَمْعًا﴾ [الكهف: 99] تتداخل في السباقات العظيمة. وتستعمل هذه الكلمة ماج في الفتن ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَبْنَئُ أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾ [هود: 42]، ﴿حَقَّقْ إِذَا فُجِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِّنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ [الأنبياء: 96]، كأنهم أمواج. ماج إذن سباحة مع اضطراب رياح وزوابع.

طاف: إذا كان المرّ على مهل يقال: طاف ﴿فَطَافَ عَلَيْهِمَا طَافٍ مِّن رَّبِّكَ وَهُمَا نَايِبُونَ﴾ [القلم: 19]. والطوف مجموعة أخشاب تربط ببعضها أو مجموعة قِرب مربوطة ببعضها يقال: ركب الطوف. والطائف الذي يطوف على سطح الماء. ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَابِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 158]، يلف حول البيت أو حول الكعبة كأنه راكب على شيء ﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُؤْتُوا نُذُورَهُمْ وَلِيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: 29]، ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا

وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿ [الحج: 26] إذا نظرنا للطائفين حول الكعبة من بعيد نراهم كأنهم راكبون على شيء. ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكَوْنٌ ﴾ [الطور: 24].

خاص: عندنا غاص وغرق أما غاص فهي تعني النزول إلى أسفل الماء وهو لهدف شاق جداً كالتقاط اللؤلؤ مثلاً أو البحث عن أنقاض باخرة أو ما شابه. فالغوص إذن في غاية المشقة، والغوص هو من أشد وأشق أنواع السباحة لأنه لا بد أن يؤثر في حياة الغواص ﴿ وَمِنَ الشَّيْطَانِ مَنْ يَغْوُصُّ لَمْ يَعْمَلْ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَفِظِينَ ﴾ [الأنبياء: 82]، ﴿ وَالشَّيْطَانُ كُلُّ بَنَاءٍ وَعَوَاصٍ ﴾ [ص: 37] وقد استعملت هذه الكلمة مجازاً في كل غوص كالغوص في العلم، وقد قال عمر بن الخطاب لعبد الله بن عباس: غُصَّ يا غَوَاص. والعلماء الذين يغوصون في العلم يفيضون علماً، وهذا الغوص في العلم يدمر صحة العالم لما فيه من مشقة وسهر وكذلك الشعراء يغوصون في الشعر وقد يتقلب الشاعر ليالٍ وأياماً لبيت من الشعر.

غرق: الرسوب في الماء حتى الموت ﴿ كَذَّابٌ ءَالَ فِرْعَوْنُ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ وَكُلُّ كَاثِرٍ ظَلِيمٍ ﴾ [الأنفال: 54]، عندنا غرق وهو أن يدخل الماء في الأنف حتى تمتلئ منافذه فيهلك ويموت، وعندنا شَرَق وهو أن يدخل الماء في الفم فتمتلئ الرئة فيموت. وعندنا غرق وغريق أما الغرق فهو الذي لم يمت بعد أما الغريق فهو الذي مات فعلاً. في الحديث الشريف: «يأتي على الناس زمان لا ينجو من فيه إلا من دعا دعاء الغريق» تخيل كم يكون دعاء الغريق الذي أوشك على الموت صادقاً. وفي دعاء الرسول ﷺ: «اللهم إني أعوذ بك من الغرق والحرق».

الخوض في آيات الله تعالى بدأ من أول يوم جاء به الإسلام ﴿ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴾ [المدثر: 45] والخوض نوعان: خوض محمود وخوض مذموم. إذا كان الخوض يدخلك في رحمة الله تعالى فهو محمود. يقول ﷺ في أحاديث عديدة:

«أولئك الخواضون في رحمة الله». ومن الخواضين في رحمة الله تعالى وفق الأحاديث الشريفة: الذين يجتمعون في المساجد يقرأون القرآن الكريم أو يتدارسونه بينهم، ومن طاف سبعاً وقال: لا إله إلا الله، وزار المريض لوجه الله تعالى لا مجاملة ولا رياء. الملائكة تسمع كل صوت حدثك به نفسك فإذا ذهبت لزيارة مريض لوجه الله تعالى تقول الملائكة: طبت وطاب ممشاك، وعند العودة تدعو لك بالمغفرة.

من يدخل على المريض فكأنما خاض في رحمة الله تعالى ويخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، فإذا كان هذا حال زائر المريض فما بالك بالمريض؟ قيل: تحط ذنوبه كلها. ومن الخواضين في رحمة الله تعالى أهل الأمراض التي ليس لها علاج فقد قال ﷺ: «الطاعون رحمة لأمتي» وكل مرض لا علاج له رحمة والمعوقون هم الذين اجتباهم الله تعالى لنفسه.

أما الخوض في آيات الله تعالى فهو مصيبة المصائب. الله تعالى أراد لهذه الأمة أن تكون أمة واحدة، ووحدة هذه الأمة سهّل الله تعالى أمرها بآيات قليلة مختصرة في الصفحة الأولى من القرآن أوائل سورة البقرة (الفاتحة هي قرآن وحده وسميت الصلاة كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِ وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ [الحجر: 87] فأول سورة البقرة يتحدث عن أوصاف المتقين وهي: الإيمان بالغيب وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والإيمان بالكتاب كله والكتب السابقة كلها، أولئك على هدى من ربهم وكل مسلم يؤمن بهذا هو إذن من المفلحين ما لم تكن هناك فرقة أو فرقة. أما الفرقة فهي فردية وهي سهلة العودة عنها وهي متوقفة على إنسان واحد يجتمع مع المسلمين لكنه بعيد عنهم ولا يتألف معهم ولا يحبهم ولا يهتم لشأنهم، وقد جاء في الحديث الشريف: «من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم» أما الفرقة فهي جماعية ويصعب العودة عنها لأنها تستعصي لذا قال ﷺ: «الجماعة رحمة والفرقة عذاب».



النصوص اللغوية:

قال ابن فارس⁽¹⁾: الخاء والواو والضاد أصلٌ واحدٌ يدلُّ على توسُّطِ شيءٍ ودُخولٍ. يقال: خُضْتُ الماءَ وغيره. وتَخَاوَضُوا في الحديثِ والأمرِ، أي: تَفَاوَضُوا وتداخل كلَّهم.

قال الخليل⁽²⁾: خُضْتُ الماءَ خَوْضاً وَخِيَاضاً، وَاخْتَضْتُ، وَخَوَّضْتُ تَخْوِيضاً أَي: مَشَيْتُ فِيهِ. وَالخَوْضُ: اللبسُ فِي الأمرِ. وَالخَوْضُ مِنَ الكلامِ: مَا فِيهِ الكَذِبُ والباطلُ. وَالمِخْوَضُ: المجدحُ الَّذِي تَخْوَضُ بِهِ السويقُ. وَأصله فِي الاستقاءِ مِنَ البئرِ، يبادرُ الرجلانِ فِينظُرُ أَيهما أَكثَرَ استقاءً وَأقوى. فَاستعملَ عَلَى الاستعارةِ فِي كلِّ شيءٍ. وَيقالُ لِلفرسينِ يَتَجاذبانِ: هُمَا يَتَخَاوِضَانِ.

قال الجوهري⁽³⁾: خُضْتُ الماءَ أَخْوَضُهُ خَوْضاً وَخِيَاضاً. وَالمَوْضِعُ مَخَاضَةٌ، وَهُوَ مَا جازَ النَّاسُ فِيها مُشاةً وَرِكاباً. وَجمعها المَخاضُ، وَالمَخاوِضُ أَيضاً. وَأَخَضْتُ فِي الماءِ دَابَّتِي. وَأَخاضَ القَوْمُ، أَي: خاضَتْ خيلُهم الماءَ. وَخُضْتُ الغَمراتِ: اقْتَحَمْتُها. وَيقالُ: خاضَهُ بالسيفِ، أَي: حَرَّكَ السيفَ فِي المَضروبِ. وَخَوَّضَ فِي نَجيعه، شَدَّدَ لِلمبالغةِ. وَالمِخْوَضُ لِلشِرابِ كَالْمِجْدَحِ لِلسويقِ. يُقالُ: خُضْتُ الشِرابَ. وَخاضَ القَوْمُ فِي الحديثِ وَتَخَاوَضُوا، أَي: تَفَاوَضُوا فِيهِ.

(3) الصحاح في اللغة.

(1) معجم مقاييس اللغة.

(2) العين.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ [التوبة: 65].

قال الطبري⁽¹⁾: يقول تعالى جلّ ثناؤه لنبية محمد ﷺ: ولئن سألت يا محمد هؤلاء المنافقين عما قالوا من الباطل والكذب، ليقولنّ لك: إنما قلنا ذلك لعباً، وكنا نخوض في حديث لعباً وهزواً. يقول الله لمحمد ﷺ: قل يا محمد أبالله وآيات كتابه ورسوله كنتم تستهزئون؟

قال ابن عطية⁽²⁾: وذكر ابن إسحاق أن قوماً منهم تقدموا النبي ﷺ، وقال بعضهم: كأنكم والله غداً في الحبال أسرى لبني الأصرى إلى نحو هذا من القول، فقال النبي ﷺ لعمار بن ياسر: «أدرك القوم فقد احترقوا وأخبرهم بما قالوا» ونزلت الآية، وروي أن وداعة بن ثابت المذكور قال في جماعة من المنافقين: ما رأيت كقرائنا هؤلاء لا أرغب بطوناً ولا أكثر كذباً ولا أجبن عند اللقاء، فعنفهم رسول الله ﷺ على هذه المقالة فقالوا: ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ [التوبة: 65].

● قال تعالى: ﴿وَحُضِّمٌ كَالَّذِي خَاضُوا﴾ [التوبة: 69].

قال الزمخشري⁽³⁾: ﴿وَحُضِّمٌ كَالَّذِي خَاضُوا﴾ كالفوج الذي خاضوا، وكالخوض الذي خاضوه. فإن قلت: أي فائدة في قوله: ﴿فَأَسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ﴾ وقوله: ﴿كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ﴾ مغن عنه كما أغنى قوله: ﴿كَالَّذِي خَاضُوا﴾ عن أن يقال: وخاضوا فحضتم كالذي خاضوا؟ قلت: فائدته أن يذم الأولين بالاستمتاع بما أوتوا من حظوظ الدنيا ورضاهم بها، والتهاهم

(3) الكشاف.

(1) جامع البيان.

(2) المحرر الوجيز.

بشهواتهم الفانية عن النظر في العاقبة وطلب الفلاح في الآخرة، وأن يخسس أمر الاستمتاع ويهجن أمر الرضى به، ثم يشبه بعد ذلك حال المخاطبين بحالهم، كما تريد أن تنبه بعض الظلمة على سماجة فعله فتقول: أنت مثل فرعون، كان يقتل بغير جرم ويعذب ويعسف وأنت تفعل مثل فعله. وأما ﴿وَحُضِّتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا﴾ فمعطوف على ما قبله مستند إلى مستغن باستناده إليه عن تلك التقدمة.

قال الماوردي⁽¹⁾: ﴿وَحُضِّتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا﴾ فيه وجهان: أحدهما: في شهوات الدنيا.

والثاني: في قول الكفر.

وفيهم قولان:

أحدهما: أنهم فارس والروم.

والثاني: أنهم بنو إسرائيل.

● قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: 68].

قال الفخر الرازي⁽²⁾: قيل إنه خطاب للنبي ﷺ والمراد غيره، وقيل: الخطاب لغيره أي إذا رأيت أيها السامع الذين يخوضون في آياتنا. ونقل الواحدي أن المشركين كانوا إذا جالسوا المؤمنين وقعوا في رسول الله ﷺ والقرآن، فشتماوا واستهزؤوا فأمرهم أن لا يقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره. ولفظ الخوض في اللغة عبارة عن المفاوضة على وجه العبث واللعب، قال تعالى حكاية عن الكفار: ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾ [المدثر: 45] وإذا سئل الرجل عن قوم فقال: تركتهم يخوضون أفاد ذلك أنهم شرعوا في كلمات لا ينبغي ذكرها ومن

(2) التفسير الكبير.

(1) النكت والعيون.

الحشوية من تمسك بهذه الآية في النهي عن الاستدلال والمناظرة في ذات الله تعالى وصفاته. قال: لأن ذلك خوض في آيات الله، والخوض في آيات الله حرام بدليل هذه الآية، والجواب عنه: أنا نقلنا عن المفسرين أن المراد من «الخوض» الشروع في آيات الله تعالى على سبيل الطعن والاستهزاء. وبيننا أيضاً أن لفظ «الخوض» وضع في أصل اللغة لهذا المعنى فسقط هذا الاستدلال والله أعلم.

قال ابن عطية⁽¹⁾: لفظ هذا الخطاب مجرد للنبي ﷺ وحده، واختلف في معناه فقيل إن المؤمنين داخلون في الخطاب معه. قال القاضي أبو محمد: وهذا هو الصحيح، لأن علة النهي وهي سماع الخوض في آيات الله تسلم وإياه وقيل: بل بالمعنى أيضاً إنما أريد به النبي ﷺ وحده، لأن قيامه عن المشركين كان يشق عليهم وفراقه لهم على معارضته وإن لم يكن المؤمنون عندهم كذلك، فأمر النبي ﷺ أن ينابذهم بالقيام عنهم إذا استهزؤوا وخاضوا ليتأدبوا بذلك ويدعوا الخوض والاستهزاء، وهذا التأويل يتركب على كلام ابن جرير يرحمه الله، والخوض أصله في الماء ثم يستعمل بعد في غمرات الأشياء التي هي مجاهل تشبيهاً بغمرات الماء، (وإما) شرط وتلزمها النون الثقيلة في الأغلب، وقد لا تلزم.

● قال تعالى: ﴿ذَرَّهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام: 91].

قال الطبري⁽²⁾: ﴿فِي خَوْضِهِمْ﴾ يعني: فيما يخوضون فيه من باطلهم وكفرهم بالله وآياته، يقول: يستهزؤون ويسخرون. وهذا من الله وعيد لهؤلاء المشركين وتهديد لهم يقول الله جل ثناؤه: ثم دعهم لاعبين يا محمد، فإني من وراء ما هم فيه من استهزائهم بآياتي بالمرصاد وأذيقهم بأسى، وأحلّ بهم إن تمادوا في غيهم سخطي.

قال الخازن⁽³⁾: ﴿ثُمَّ ذَرَّهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ يعني: دعهم يا محمد فيما هم

(3) لباب التأويل.

(1) المحرر الوجيز.

(2) جامع البيان.

فيه يخوضون من باطلهم وكفرهم بالله . ومعنى يلعبون : يستهزؤون ويسخرون .
وقيل : معناه يا محمد إنك إذا أقمت الحجة عليهم وبلغت في الأعداء والإنذار
هذا المبلغ العظيم فحينئذ لم يبق عليك من أمرهم شيء فذرهم فيما هم فيه من
الخوض واللعب وفيه وعيد وتهديد للمشركين . وقال بعضهم : هذا منسوخ بآية
السيف وفيه بُعد لأنه مذكور لأجل التهديد والوعيد .



خوف

(خوف - رهب - فزع - وجل - شفق)

- **الْخَوْفُ**: توقع مكروه عن أمانة مظنونة ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ [الإسراء: 57].
- **الرَّهْبُ**: خوف مع اضطراب واحتراز شديد ﴿وَيَدْعُونَكَ رَعْبًا وَرَهْبًا﴾ [الأنبياء: 90].
- **الْفَزَعُ**: رهب تحقق فجأة فأحدث نفاقاً وفراراً ﴿فَفَزَعَنَا مِنَ السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ [النمل: 87].
- **الْوَجَلُ**: استشعار الخوف ﴿إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ﴾ [الحجر: 52].
- **الشفقُ**: الإشفاق: عناية مختلطة بخوف؛ لأن المشفق يحب المشفق عليه ويخاف مما يلحقه ﴿وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: 49].



النصوص اللغوية:

قال ابن فارس⁽¹⁾: الخاء والواو والفاء أصلٌ واحد يدلُّ على الذُّعْرِ والْفَزَعِ. يقال: خِفْتُ الشَّيْءَ خَوْفًا وَخِيفَةً. والياء مبدلةٌ من واو لمكان الكسرة. ويقال: خَاوَفَنِي فَلَانٌ فَخُفَّتُهُ، أي: كنتُ أشدَّ خوفًا منه. فأما قولهم: تَخَوَّفْتُ الشَّيْءَ، أي: تنقَّصتُهُ، فهو الصحيح الفصيح، إلا أنه من الإبدال، والأصلُ النَّوْنُ من التَّنْقُصِ.

(1) معجم مقاييس اللغة.

قال الخليل⁽¹⁾: الخَافَةُ تصغيرها خُويْفَةٌ، واشتقاقها من الخَوْفِ: وهي جبة يلبسها العسال والسقاء. والخَافَةُ: العيبة. وصار الوار في يخاف أليفاً لأنه على بناء عَمِلَ يَعْمَلُ فألقوا الواو استثقلاً. وفيها ثلاثة أشياء: الحرف والصرف والصوت. وربما ألقوا الحرف وأبقوا الصرف والصوت، وربما ألقوا الحرف بصرفها وأبقوا الصوت، فقالوا: يَخَافُ، وأصله يَخَوْفُ، فألقوا الواو واعتمدوا الصوت على صرف الواو. وقالوا: خَافَ، وحده خَوْفٌ، فألقوا الواو بصرفها وأبقوا الصوت، واعتمدوا الصوت على فتحة الخاء فصار منها أليفاً لينةً، وكذلك نحو ذلك فافهم. ومنه التَّخْوِيفُ الإِخَافَةُ والتَّخَوُّفُ. والنعْت: خَائِفٌ وهو الفرع، وتقول: طريقٌ مَخَوْفٌ يخافُه الناسُ، ومُخِيفٌ يُخِيفُ الناسَ. والتَّخَوُّفُ: التنقصُ، ومنه قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ﴾ [النحل: 47]. وخَوَّفْتُ الرَّجُلَ: جعلت فيه الخَوْفَ. والخِيفَةُ: الخوفُ، وقد جرت كسرة الخاء الواو. وقد يقال: خَوَّفْتُ الرَّجُلَ أَي: صيرته بحالٍ يخافُه الناسُ.

قال الجوهرى⁽²⁾: خَافَ الرَّجُلُ يَخَافُ خَوْفاً وخِيفَةً ومَخَافَةً، فهو خَائِفٌ، وقومٌ خَوَّفٌ على الأصل وخُيِّفٌ على اللفظ. والأمر منه خَفٌ بفتح الخاء. والخِيفَةُ: الخوفُ، والجمع خِيفٌ، وأصله الواو. وخَاوَفَهُ فخافَه يَخَوْفُهُ: غلبه بالخوفِ أَي: كان أشدَّ خَوْفاً منه. والإِخَافَةُ: التَّخْوِيفُ. يقال: وجعٌ مُخِيفٌ، أَي: يُخِيفُ من رآه.

وطريقٌ مَخَوْفٌ؛ لأنه لا يُخِيفُ وإنما يُخِيفُ فيه قاطعُ الطريقِ. وتَخَوَّفْتُ عليه الشيءَ، أَي: خِيفْتُ. وتَخَوَّفَهُ، أَي: تَنَقَّصَهُ. ومنه قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ﴾ والخَافَةُ: خريطةٌ من أجمٍ يُشْتَارُ فيها العسلُ.

(2) الصحاح في اللغة.

(1) العين.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء: 57].

قال أبو السعود⁽¹⁾: ﴿وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ بتركة كدأب سائر العباد، فأين هم من كشف الضرّ فضلاً عن الإلهية؟

قال الألوسي⁽²⁾: ﴿وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ كدأب سائر العباد فأين هم من ملك كشف الضرّ فضلاً عن كونهم آلهة ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ حقيقةً بأن يحذره ويحترز عنه كل أحد من الملائكة والرسول ﷺ وغيرهم. والجملة تعليل لقوله سبحانه: ﴿وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ وفي تخصيصه بالتعليل زيادة تحذير للكفرة من العذاب، وتقديم الرجاء على الخوف لما أن متعلقه أسبق من متعلقه ففي الحديث القدسي: «سبقت رحمتي غضبي» وفي اتحاد أسلوب الجمليتين إيماء إلى تساوي رجاء أولئك الطالبين للوسيلة إليه تعالى بالطاعة والعبادة وخوفهم، وقد ذكر العلماء أنه ينبغي للمؤمن ذلك ما لم يحضره الموت، فإذا حضره الموت ينبغي أن يغلب رجاءه على خوفه. وفي الآية دليل على أن رجاء الرحمة وخوف العذاب مما لا يخل بكمال العابد، وشاع عن بعض العابدين أنه قال: لست أعبد الله تعالى رجاء جنته ولا خوفاً من ناره والناس بين قادح لمن يقول ذلك ومادح، والحق التفصيل وهو أن من قاله إظهاراً للاستغناء عن فضل الله تعالى ورحمته فهو مخطيء كافر، ومن قاله لاعتقاد أن الله عز وجل أهل للعبادة لذاته حتى لو لم يكن هناك جنة ولا نار لكان أهلاً لأن يعبد فهو محقق عارف كما لا يخفى.

● قال تعالى: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ

بِاللَّهِ﴾ [الأنعام: 81].

(2) روح المعاني.

(1) إرشاد العقل السليم.

قال الفخر الرازي⁽¹⁾: والتقدير: وكيف أخاف الأصنام التي لا قدرة لها على النفع والضرر، وأنتم لا تخافون من الشرك الذي هو أعظم الذنوب.

قال البيضاوي⁽²⁾: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ﴾ ولا يتعلق به ضرر. ﴿وَلَا تَخَافُونَ أَنْتُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ﴾ وهو حقيق بأن يخاف منه كل الخوف لأنه إشراك للمصنوع بالصانع، وتسوية بين المقدور العاجز بالقادر الضار النافع.

قال البغوي⁽³⁾: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ﴾ يعني: الأصنام وهي لا تبصر ولا تسمع ولا تضر ولا تنفع، ﴿وَلَا تَخَافُونَ أَنْتُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا﴾، حجة وبرهاناً، وهو القادر على كل شيء.

● قال تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا﴾ [النساء: 3].

قال الزمخشري⁽⁴⁾: ولما نزلت الآية في اليتامى وما في أكل أموالهم من الحوب الكبير، خاف الأولياء أن يلحقهم الحوب بترك الإقسط في حقوق اليتامى، وأخذوا يتحرّجون من ولايتهم، وكان الرجل منهم ربما كان تحته العشر من الأزواج والثمان والست فلا يقوم بحقوقهن ولا يعدل بينهن، ف قيل لهم: إن خفتم ترك العدل في حقوق اليتامى فتحرجتم منها، فخافوا أيضاً ترك العدل بين النساء فقللوا عدد المنكوحات، لأن من تخرج من ذنب أو تاب عنه وهو مرتكب مثله فهو غير متحرّج ولا تائب، لأنه إنما وجب أن يتخرج من الذنب ويُتاب منه لقبحه، والقبح قائم في كل ذنب، وقيل: كانوا لا يتحرّجون من الزنا وهم يتحرّجون من ولاية اليتامى، ف قيل: إن خفتم الجور في حق اليتامى فخافوا الزنا. فانكحوا ما حلّ لكم من النساء، ولا تحوموا حول المحرمات. وقيل: كان الرجل يجد اليتيمة لها مال وجمال أو يكون وليها، فيتزوجها ضناً بها عن غيره، وربما اجتمعت عنده عشر منهن، فيخاف - لضعفهن وفقد من يغضب لهن - أن يظلمهن

(3) معالم التنزيل.

(4) الكشاف.

(1) التفسير الكبير.

(2) أنوار التنزيل.

حقوقهن ويفرط فيما يجب لهنّ، فقليل لهنّ: إن خفتن أن لا تقسطوا في يتامى النساء فانكحوا من غيرهن ما طاب لكم. ويقال للإناث اليتامى كما يقال للذكور، وهو جمع يتيمة على القلب، كما قيل: أيامى، والأصل: أيامم ويتائم. وقرأ النخعي «تقسطوا» بفتح التاء على أن لا مزيدة مثلها في ﴿لَيْلًا يَعْلَمُ﴾ [الحديد: 29] يريد: وإن خفتن أن تجوروا ﴿مَا طَابَ﴾ [النساء: 3] ما حلّ ﴿لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ [النساء: 3] لأنّ منهن ما حرم كاللاتي في آية التحريم.

● قال تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا﴾ [النساء: 35].

قال الفخر الرازي⁽¹⁾: ﴿خِفْتُمْ﴾ أي علمتم. قال: وهذا بخلاف قوله: ﴿وَالَّذِي تَخَافُونَ شُرُوهُ﴾ [النساء: 34] فإن ذلك محمول على الظن، والفرق بين الموضوعين أن في الابتداء يظهر له أمارات النشوز فعند ذلك يحصل الخوف، وأما بعد الوعظ والهجر والضرب لما أصرت على النشوز، فقد حصل العلم بكونها ناشزة: فوجب حمل الخوف ههنا على العلم. طعن الزجاج فيه فقال: ﴿خِفْتُمْ﴾ ههنا بمعنى: أيقنتم خطأ، فإننا لو علمنا الشقاق على الحقيقة لم نحتج إلى الحكمين.

قال القرطبي⁽²⁾: قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا﴾ [النساء: 35]. فكأن كل واحد من الزوجين يأخذ شقاً غير شقّ صاحبه، أي: ناحية غير ناحية صاحبه. والمراد: إن خفتن شقاقاً بينهما؛ أي: وإن خفتن تباعد عشرتهما وصحبتهما ﴿فَابْعَثُوا﴾. و﴿خِفْتُمْ﴾ على الخلاف المتقدم. قال سعيد بن جبير: الحُكْمُ أن يعظها أولاً، فإن قبلت وإلا هجرها، فإن هي قبلت وإلا ضربها، فإن هي قبلت وإلا بعث الحاكم حكماً من أهله وحكماً من أهلها، فينظران ممن الضرر، وعند ذلك يكون الخلع. وقد قيل: له أن يضرب قبل الوعظ. والأول أصح لترتيب ذلك في الآية. والجمهور من العلماء على أن المخاطب بقوله: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ﴾ الحُكَّامُ

(1) التفسير الكبير. (2) الجامع لأحكام القرآن.

والأمراء. وأن قوله: ﴿إِنْ يُرِيدَ إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ [النساء: 35] يعني الحكمين.

● قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: 175].

قال الطبري⁽¹⁾: يعني بذلك تعالى ذكره: إنما الذي قال لكم أيها المؤمنون: إن الناس قد جمعوا لكم، فخوفوكم بجموع عدوكم، ومسيرهم إليكم، من فعل الشيطان، ألقاه على أفواه من قال ذلك لكم، يخوفكم بأولياؤه من المشركين أبي سفيان وأصحابه من قريش، لترهبوهم، وتجنبوا عنهم.

وقال آخرون: معنى ذلك: إنما ذلكم الشيطان يعظم أمر المشركين أيها المنافقون في أنفسكم فتخافونه.

عن السدي، قال: ذكر أمر المشركين وعظمتهم في أعين المنافقين فقال: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾: يعظم أولياؤه في صدوركم فتخافونهم.

فإن قال قائل: وكيف قيل: ﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾ وهل يخوف الشيطان أولياؤه؟ قيل: إن كان معناه يخوفكم بأولياؤه يخوف أولياؤه. قيل ذلك نظير قوله: ﴿لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا﴾ [الكهف: 2] بمعنى: لينذركم بأسه الشديد، وذلك أن البأس لا ينذر، وإنما ينذره به. وقد كان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول: معنى ذلك: يخوف الناس أولياؤه، كقول القائل: هو يعطي الدراهم، ويكسو الثياب، بمعنى: هو يعطي الناس الدراهم، ويكسوهم الثياب، فحذف ذلك للاستغناء عنه. وليس الذي شبه ذلك بمشبهه، لأن الدراهم في قول القائل: هو يعطي الدراهم معلوم أن المعطى هي الدراهم، وليس كذلك الأولياء في قوله: ﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾ مخوفين، بل التخويف من الأولياء لغيرهم، فلذلك افترقا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾. يقول:

(1) جامع البيان.

فلا تخافوا أيها المؤمنون المشركين، ولا يعظمن عليكم أمرهم، ولا ترهبوا جمعهم مع طاعتكم إياي، ما أطعتموني، واتبعتم أمري، وإني متكفل لكم بالنصر والظفر، ولكن خافوني، واتفوا أن تعصوني وتخالفوا أمري، فتهلكوا إن كنتم مؤمنين. يقول: ولكن خافوني دون المشركين، ودون جميع خلقي أن تخالفوا أمري إن كنتم مصدقي رسولي وما جاءكم به من عندي.

● قال تعالى: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي...﴾ [مريم: 5].

قال الزمخشري⁽¹⁾: كان مواليه - وهم عصبته إخوته وبنو عمه - شرار بني إسرائيل، فخافهم على الدين أن يغيروه ويبدلوه، وأن لا يحسنوا الخلافة على أمته، فطلب عقبا من صلبه صالحا يقتدى به في إحياء الدين ويرتسم مراسمه فيه: ﴿مِنْ وَرَائِي﴾ بعد موتي. وقرأ ابن كثير: «من وراي» بالقصر، وهذا الظرف لا يتعلق بـ (خفت) لفساد المعنى، ولكن بمحذوف. أو بمعنى الولاية في الموالي: أي خفت فعل الموالي وهو تبديلهم وسوء خلافتهم من ورائي. أو خفت الذين يلون الأمر من ورائي. وقرأ عثمان ومحمد بن علي وعلي بن الحسين رضي الله عنهم «خفت الموالي من ورائي» وهذا على معنيين، أحدهما: أن يكون ﴿وَرَائِي﴾ بمعنى خلفي وبعدي، فيتعلق الظرف بالموالي: أي قلوا وعجزوا عن إقامة أمر الدين، فسأل ربه تقويتهم ومظاهرتهم بولي يرزقه. والثاني: أن يكون بمعنى قدامي، فيتعلق بخفت، ويريد أنهم خفوا قدامه ودرجوا ولم يبق منهم من به تقو واعتضاد.

قال البيضاوي⁽²⁾: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ﴾ يعني بني عمه وكانوا أشرار بني إسرائيل، فخاف أن لا يحسنوا خلافته على أمته ويبدلوا عليهم دينهم. ﴿مِنْ وَرَائِي﴾ بعد موتي، وعن ابن كثير بالمد والقصر بفتح الياء وهو يتعلق بمحذوف، أو بمعنى «الموالي» أي خفت فعل الموالي من ورائي، أو الذين يلون الأمر من ورائي. وقرئ «خفت الموالي من ورائي» أي قلوا وعجزوا عن إقامة الدين

(2) أنوار التنزيل.

(1) الكشاف.

بعدي، أو خفوا ودرجوا قدامي، فعلى هذا كان الظرف متعلقاً بـ ﴿خِفْتِ﴾ [الفَصَص: 7].

● قال تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةَ مُوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾﴾ [طه: 67-68].

قال الطبري⁽¹⁾: يعني تعالى ذكره بقوله: فأوجس في نفسه خوفاً موسى فوجده. وقوله: ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ﴾ يقول تعالى ذكره: قلنا لموسى إذ أوجس في نفسه خيفة: ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ﴾ على هؤلاء السحرة، وعلى فرعون وجنده، والقاهر لهم.

قال البغوي⁽²⁾: أي وجد، وقيل: أضمر في نفسه خوفاً، واختلفوا في خوفه: طبع البشرية، وذلك أنه ظن أنها تقصده. وقال مقاتل: خاف على القوم أن يلتبس عليهم الأمر فيشكوا في أمره فلا يتبعوه.

قال النسفي⁽³⁾: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةَ مُوسَىٰ﴾ أضمر في نفسه خوفاً ظناً منه أنها تقصده للجلبة البشرية أو خاف أن يخالج الناس شك فلا يتبعوه ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ﴾ [طه: 68] الغالب القاهر. وفي ذكر «إن» و«أنت» وحرف التعريف ولفظ العلو وهو الغلبة الظاهرة مبالغة بينة.

● قال تعالى: ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ﴾ [الرعد: 13].

قال الفخر الرازي⁽⁴⁾: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ﴾ فاعلم أن من المفسرين من يقول: عنى بهؤلاء الملائكة أعوان الرعد، فإنه سبحانه جعل له أعواناً، ومعنى قوله: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ﴾ أي: وتسبح الملائكة من خيفة الله تعالى وخشيته. قال ابن عباس رضي الله عنهما: إنهم خائفون من الله لا كخوف ابن آدم، فإن أحدهم لا

(1) مدارك التنزيل.

(1) جامع البيان.

(2) التفسير الكبير.

(2) معالم التنزيل.

يعرف من على يمينه ومن على يساره، ولا يشغله عن عبادة الله طعام ولا شراب ولا شيء.

قال الماوردي⁽¹⁾: ﴿وَأَلْمَلَيْكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ﴾ فيه وجهان: أحدهما: وتسبح الملائكة من خيفة الله تعالى.

الثاني: من خيفة الرعد.

قال الألويسي⁽²⁾: ﴿وَأَلْمَلَيْكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ﴾ أي: ويسبح الملائكة ﷺ من هيبتة تعالى وإجلاله جل جلاله، وقيل: الضمير يعود على الرعد، والمراد بالملائكة أعوانه جعلهم الله تعالى تحت يده خائفين خاضعين له وهو قول ضعيف.

● قال تعالى: ﴿تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الروم: 28].

قال ابن عاشور⁽³⁾: والخوف: انفعال نفساني ينشأ من توقع إصابة مكروه يبقى، وهو هنا التوقي من التفريط في حظوظهم من الأرزاق وليس هو الرعب بقرينة قوله: ﴿تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ﴾، أي: كما تتوقون أنفسكم من إضاعة حقوقكم عندهم.

قال أبو حيان⁽⁴⁾: ﴿تَخَافُونَهُمْ﴾ خبر ثان لأنتم، والتقدير: فأنتم مستون معهم فيما رزقناكم، تخافونهم كما يخاف بعضكم بعضها أيها السادة. والمقصود نفي الشركة والاستواء والخوف.

قال الراغب⁽⁵⁾: أي: كخوفكم، وتخصيص لفظ الخيفة تنبيهاً أن الخوف منهم حالة لازمة لا تفارقهم، والتخوف: ظهور الخوف من الإنسان.

(4) البحر المحيط.

(5) مفردات الراغب.

(1) النكت والعيون.

(2) روح المعاني.

(3) التحرير والتنوير.

● قال تعالى: ﴿ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ يَعْبادِرِ فَأَنْقُونَ﴾ [الزمر: 16].

قال الفخر الرازي⁽¹⁾: أي ذلك الذي تقدم ذكره من وصف العذاب فقوله: ﴿ذَلِكَ﴾ مبتدأ وقوله: ﴿يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ﴾ خبر، وفي قوله: ﴿يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ﴾ قولان الأول: التقدير ذلك العذاب المعد للكفار هو الذي يخوف الله به عباده أي: المؤمنين، لأننا بينا أن لفظ العباد في القرآن مختص بأهل الإيمان وإنما كان تخويفاً للمؤمنين لأجل أنهم إذا سمعوا أن حال الكفار ما تقدم خافوا فأخلصوا في التوحيد والطاعة. الوجه الثاني: أن هذا الكلام في تقدير جواب عن سؤال، لأنه يقال إنه تعالى غني عن العالمين منزه عن الشهوة والانتقام وداعية الإيذاء، فكيف يليق به أن يعذب هؤلاء المساكين إلى هذا الحد العظيم، وأجيب عنه بأن المقصود منه تخويف الكفار والضلال عن الكفر والضلال، فإذا كان التكليف لا يتم إلا بالتخويف والتخويف لا يكمل الانتفاع به إلا بإدخال ذلك الشيء في الوجود وجب إدخال ذلك النوع من العذاب في الوجود تحصيلاً لذلك المطلوب الذي هو التكليف، والوجه الأول عندي أقرب.

قال الشوكاني⁽²⁾: ﴿يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ﴾ أي: يحذرهم بما توعد به الكفار من العذاب؛ ليخافوه، فيتقوه.

● قال تعالى: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ﴾ [النحل: 47].

قال الزمخشري⁽³⁾: ﴿عَلَى تَخَوُّفٍ﴾ متخوفين، وهو أن يهلك قوماً قبلهم فيتخوفوا فيأخذهم بالعذاب وهم متخوفون متوقعون، وهو خلاف قوله: ﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَسْعُرُونَ﴾ [النحل: 26] وقيل: هو من قولك: تخوفته وتخونت، إذا تنقصته، أي: يأخذهم على أن يتنقصهم شيئاً بعد شيء في أنفسهم وأموالهم حتى يهلكوا.

(3) الكشاف.

(1) التفسير الكبير.

(2) فتح القدير.

قال البغوي⁽¹⁾: ﴿أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ﴾، والتخوُّف: التنقُّص، أي: ينقص من أطرافهم ونواحيهم الشيء بعد الشيء حتى يهلك جميعهم، يقال: تخوَّفه الدهر وتخوَّنَه: إذا نقصه وأخذ ماله وحشمه. ويقال: هذه لغة بني هذيل. وقال الضحاك والكلبي: هو من الخوف، أي: يعذب طائفة فيتخوف الآخرون أن يصيبهم مثل ما أصابهم.



(1) معالم التنزيل.

خول

(خول - فوض - وكل - زعم)

- **التَّخْوِيلُ**: إعطاء حق التصرف المحدود في ما تملك ﴿وَرَكَّبْنَا مَا خَوْلْنَاكُمْ وَرَأَىٰ ظُهُورِكُمْ﴾ [الأنعام: 94].
- **التَّفْوِيزُ**: إعطاء حق التصرف المطلق في ما تملك ﴿وَأَفْوِضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ﴾ [غافر: 44].
- **التَّوَكُّيلُ**: أن تعتمد على غيرك في تدبر مصالحك لثقتك به ﴿حَسَبْنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: 173].
- **الرَّعِيمُ**: الكفيل المتصرف بما بين يديه ﴿كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [القصص: 62].



شرح المعاني:

هذه منظومة التكافل في القرآن الكريم. والتكافل من الكفل هو المسند الذي يكون خلف ظهر الراكب حتى لا يسقط إذا جمح به البعير أو الفرس، والذي يُعبر عنه في يومنا هذا بحزام الأمان في السيارة. فمن الذي تستند إليه ويمنعك من السقوط والخوف والأذى وكل ما تريد؟

المخول: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوْلْنَاكُمْ وَرَأَىٰ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [الأنعام: 94]، ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوْلَانَهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: 49]

التخويل هو أن تطلق يد صاحبك بكل ما تملكه ولا يكون إلا في الخَوْل كالمال العظيم الذي لصاحبه أتباع وأنصار أو رجل له هيبة ومكانة. الخولي هو الذي يحافظ على أموالك وأنت تطلق يده في كل ما تملك من أموال وأناس وموظفين ومكاتب. والآية ﴿وَتَرْكُتُمْ مَا خَوَّلْتُمْ وِرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾ [الأنعام: 94] تخاطب كل من له أتباع. كل متبوع له سلطة ونفوذ وأموال يسمى خَوْل وإذا أطلق يدك فيما يملك يقال: خَوْلك. أنت تكون مخوِّلاً في أمر عظيم ويقال: خَوْلته في أمر عظيم. والكفل هو الرديف.

الوكيل: الذي يقوم عنك بما تعجز أن تقوم به أنت. لا تعرف كيف تدافع عن نفسك فأنت توكل محامياً فتستند عليه كما يستند الراكب على الكفل. قال تعالى: ﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِنَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلاً﴾ [الإسراء: 2] الله تعالى يقوم بما يعجز عنه كل الناس. ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: 173]، ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً﴾ [النساء: 81].

الكفيل: الذي يقوم بحقوق الناس عليك وفي كلا الحالتين أنت عاجز عن أن تقوم بمصالحك عاجز أن تسدد حقوقك وحقوق الناس تحتاج لكفيل قال تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِئُمُ إِنِّي لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: 37]، ليس بوسع مريم عليها السلام أن تؤدي للناس حقوقهم كل حاجاتها عند الناس وتحتاج لكفيل وهو زكريا. ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [النحل: 91].

المفوض: الذي يحمل عنك همومك وخوفك وأنت عاجز عنه تفوضه إلى من يستطيع أن يقوم به. موسى عليه السلام بعد أن فاوض فرعون وهددوه ولم يستطع أن يقاوم دولة قال: ﴿فَسْتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفَوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ

بِالْعِبَادِ ﴿[غافر: 44]، فردّ تعالى عليه: ﴿فَوَقَدَهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿[غافر: 45]، رب العالمين عندما فوّض موسى ﷺ الأمر إليه نصره وسنده وتكفل به .

الزعيم: ﴿سَلِّمُوا إِلَيْهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَدِلُوا وَعَدِلُوا﴾ [القلم: 40] ﴿قَالُوا نَفَقْدُ صَوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ﴾ [يوسف: 72] الزعيم هو الذي يقيقك وينصرك بالسلطة، قد يكون ملكاً أو وزيراً أو أميراً أو مديراً له سلطة ينصرك بها. والزعيم هو الذي يتفقد الآخرين ويكفل حاجاتهم وأمرهم ليس بماله ولكن بسلطته لهذا استعملت كلمة الزعيم لكل من يتكفل بأمر الناس من حيث السلطة. ففي قصة يوسف ﷺ مثلاً عندما قال ﴿وَأَنَا بِهِ﴾ قالها لأنه موظف عند الملك وله سلطة. وهناك من يتكفل من حيث الجاه ويسمى شفيع يشفع للناس عند السلطة.

الولي: الذي يقوم عليك بالنصرة وهو التالي إليك وليس بينك وبينه رجل أو أحد أقرب منه، أنت وأبوك مثلاً أو جدك أو ابنك أو ابن ابنك أو أخوك أو ابن أخوك أو عمك أو ابن عمك هؤلاء أقرب الناس إليك. والولي هو الذي يليك مباشرة ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا أَوْلِيَّكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٌ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَكِيلٍ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الأنفال: 72] متتالون واحد بعد الثاني لذا لا يمكن أن تتخذوا عدواً ولبياً ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تَلْقَوْنَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ حَرَجْتُمْ جِهَدًا فِي سَبِيلِي وَابْتَغَاءَ مَرْضَاتِي تُسْرِوْنَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿[الممتحنة: 1].



النصوص اللغوية:

قال ابن فارس⁽¹⁾: الخاء والواو واللام أصلٌ واحدٌ يدلُّ على تعهّد الشّيء. من ذلك: «إنّه كان يتخوّلهم بالموعظة»، أي: كان يتعدّهم بها. وفلان خوليٌّ مالٍ: إذا كان يُصلّحه. ومنه: خولك الله مالاً، أي: أعطاكه؛ لأنّ المال يُتخوّل، أي: يُتعهّد. ومنه خول الرجل، وهم حشمه. أصله أنّ الواحد خائلٌ، وهو الراعي. يقال فلانٌ يخولُ على أهله، أي: يرعى عليهم. ومن فصيح كلامهم: تخولت الرّيح الأرضَ: إذا تصرّفت فيها مرّةً بعد مرّة.

قال الخليل⁽²⁾: والخولُ: ما أعطاك الله من العبيد والنعم، وهؤلاء خولُ فلانٍ أي: اتّخذهم كالعبيد ذلاًّ وفهراً. وخول اللّجام: أصلُ فأسيه. وخالاني فلانٌ أي: خالفتني.

قال الجوهري⁽³⁾: الخائلُ: الحافظُ للشّيء. يقال: فلانٌ يخولُ على أهله، أي: يرعى عليهم. وخوّلَهُ اللهُ الشّيءَ، أي: ملكه إيّاه. وقد خلّتُ المالَ أخولُهُ: إذا أحسنت القيام عليه. يقال: هو خالٌ مالٍ وخائلٌ مالٍ وخوليٌّ مالٍ، أي: حسنُ القيام عليه. والتخوّلُ التعهّدُ.

وفي الحديث: كان النبي ﷺ يتخوّلنا بالموعظة مخافة السامة. وتخوّلتُ في فلانٍ خالاً من الخير، أي: أخلّتُ وتوسّمت. وخولُ الرجل: حشمه، الواحد خائلٌ. وقد يكون الخولُ واحداً، وهو اسمٌ يقع على العبد والأمة. قال الفراء: هو جمع خائلٍ، وهو الراعي.

وقال غيره: هو مأخوذٌ من التّخويل، وهو التمليك. والخالُ: أخو الأمّ، والخالَةُ أختها. يقال: خالٌ بينَ الخوُولَةِ. وبين فلانٍ خوُولَةٌ. وتقول:

(1) معجم مقاييس اللغة.

(3) الصحاح في اللغة.

(2) العين.

اسْتَحْلُ خَالًا غَيْر خَالِكَ واسْتَحْوَنُ خَالًا غَيْر خَالِكَ، أي: اتَّخَذَ. والاستِخْوَالُ أيضاً: مثل الاستِخْيَالِ.

والخَالُ: لواء الجيش. ويقال: تطَايَرَ الشرُّ أحوَلَ أحوَلَ، أي: متفرِّقاً، وهو الشر الذي يتطَايَر من الحديد الحارَّ إذا ضُرِبَ.

وذهب القوم أحوَلَ أحوَلَ: إذا تفرَّقوا شتَّى. وهما اسمان جُعِلَا واحداً وبنيًا على الفتح.



في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾ [الأنعام: 94].

قال الفخر الرازي⁽¹⁾: وهذا يدل على أن كل مال يكتسبه الإنسان ولم يصرفه في مصارف الخيرات فصفته هذه التي ذكرها الله تعالى في هذه الآية، أما إذا صرفها إلى الجهات الموجبة للتعظيم لأمر الله والشفقة على خلق الله فما ترك تلك الأموال وراء ظهره ولكنه قدمها تلقاء وجهه، كما قال تعالى: ﴿وَمَا نُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِّنْ خَيْرٍ يَّجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [البقرة: 110]، وثالثها: أن أولئك المساكين أتعبوا أنفسهم في نصرة الأديان الباطلة، والمذاهب الفاسدة وظنوا أنهم ينتفعون بها عند الورود في محفل القيامة، فإذا وردوه وشاهدوا ما في تلك المذاهب من العذاب الشديد والعقاب الدائم حصلت فيه جهات كثيرة من العذاب. منها عذاب الحسرة والندامة: وهو أنه كيف أنفق ماله في تحمل العناء الشديد والبلاء العظيم في تحصيل ما لم يحصل له منه إلا العذاب والعناء، ومنها عذاب الخجلة: وهو أنه ظهر له أن كل ما كان يعتقد في دار الدنيا كان محض الجهالة وصريح الضلالة،

(1) التفسير الكبير.

ومنها حصول اليأس الشديد مع الطمع العظيم، ولا شك أن مجموع هذه الأحوال يوجب العذاب الشديد والآلام العظيمة الروحانية.

قال الزمخشري⁽¹⁾: ﴿وَرَكَّكُمْ مَا خَوْلَتْكُمْ﴾ ما فضلنا به عليكم في الدنيا فشغلتكم به عن الآخرة.

قال أبو السعود⁽²⁾: ﴿وَرَكَّكُمْ مَا خَوْلَتْكُمْ﴾ تفضّلناه عليكم في الدنيا فشغلتكم به عن الآخرة ﴿وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾ ما قدمتم منه شيئاً ولم تحمّلوا نقيراً.



(2) إرشاد العقل السليم.

(1) الكشف.

خون

(خون - ختر - غل - خدع - نفاق)

(مكر - كيد - نكث)

- **الْخِيَانَةُ**: نقض العهد أو الحق بدون قصد مسبق وإنما لعارض غير مقصود ﴿لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَتَكُمْ﴾ [الأنفال: 27].
- **الْخَتْرُ**: الاسترخاء والفتور المتعمد عن أداء الواجب الميسر بقصد مسبق ﴿وَمَا يَجْمَدُ بِطَائِنِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ [لقمان: 32].
- **الْغُلُولُ**: خيانة المال العام للدولة ﴿وَمَنْ يَعْلَلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [آل عمران: 161].
- **الْخِدَاعُ**: إلباس الباطل لباس الحق فكأنه هو ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ﴾ [الأنفال: 62].
- **النَّفَاقُ**: الدخول إلى الحق من بابيه ثم الخروج من نفق مظلم يبعده عنه ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [المنافقون: 1].
- **الْمَكْرُ**: صرف الغير عما هو بصده بحيلة لنفعه أو ضرره ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: 43].
- **الْكَيْدُ**: خداع شديد بتدبير وقدرة للخير أو الشر ﴿فَارَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾ [الصفافات: 98].
- **النَّكْثُ**: نقض العهد لجبن الناكث عن الوفاء به ﴿وَإِنْ تَكْثُرُوا أَيَّمَنَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعْتُمْ فِي دِينِكُمْ﴾ [التوبة: 12].



النصوص اللغوية:

قال ابن فارس⁽¹⁾: الخاء والواو والنون أصلٌ واحد، وهو التنقص. يقال: خانَهُ يَخُونُهُ خَوْنًا. وذلك نُقْصَانُ الوَفَاءِ. ويقال: تَخَوَّنَنِي فلانٌ حَقِّي، أي: تَنَقَّصَنِي.

ويقال الخَوَّانُ: الأسد. والقياسُ واحد. فأما الذي يقال إنهم كانوا يسمُّون في العربيَّة الأولى الرِّبِيع الأوَّل [خَوَّانًا]، فلا معنى له ولا وجه للشُّغْل به.

قال الخليل⁽²⁾: خُنْتُ مَخَانَةً وَخَوْنًا، وذلك في الوُدِّ والنصح. وتقول: خانَهُ الدهر والنعيم خَوْنًا. وهو تغيُّر حاله إلى شرِّ منها. وخانني فلانٌ خِيَانَةً. الخَوْنُ في النظر فتره، ومن ذلك يقال للأسد: خائِنُ العين.

وخائِنَةُ العين: ما تخونُ من مُسارَقةِ النظر أي: تنظر إلى ما لا يحل. وإذا نبا سيفك عن الضريبة فقد خانك، كقول القائل: أخوك... وربما خانك. وكل ما غيرك عن حالك فقد تخونك. والتخونُ: التنقص. والخوانُ من أسماء الأسد. والخوانُ: المائدة، معربة، وجمعه: الخُونُ، والعدد: أخونة.

قال الجوهري⁽³⁾: خانَهُ في كذا يَخُونُهُ خَوْنًا وَخِيَانَةً وَمَخَانَةً، واخْتانَهُ. قال الله تعالى: ﴿أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾ [البقرة: 187] أي: يَخُونُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا. ورجلٌ خائِنٌ وخائِنَةٌ أيضًا، والهَاءُ للمبالغة مثل علامة ونسابة.

وقومٌ خَوْنَةٌ، كما قالوا حَوَكَةٌ. وخَوْنُهُ نَسَبُهُ إلى الخِيَانَةِ.

والخَوَّانُ: الأسد. أبو عمرو: التَخَوُّنُ: التَعَهُدُ. يقال: الحُمَّى تَخَوُّنُهُ. أي تعهده.

(3) الصحاح في اللغة.

(1) معجم مقاييس اللغة.

(2) العين.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَتَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأَنْفَال: 27].

قال الزمخشري⁽¹⁾: معنى الخون: النقص، كما أن معنى الوفاء التمام. ومنه: تخونه، إذا تنقصه، ثم استعمل في ضد الأمانة والوفاء، لأنك إذا خنت الرجل في شيء فقد أدخلت عليه النقصان فيه، وقد استعير فقيلاً: خان الدلو الكرب، وخان المشتار السبب لأنه إذا انقطع به فكأنه لم يف له. ومنه قوله تعالى: ﴿وَتَخُونُوا أَمْنَتَكُمْ﴾ والمعنى لا تخونوا الله بأن تعطلوا فرائضه، ورسوله بأن لا تستنوا به. و﴿أَمْنَتَكُمْ﴾ فيما بينكم بأن لا تحفظوها ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ تبعة ذلك ووباله، وقيل وأنتم تعلمون أنكم تخونون، يعني أن الخيانة توجد منكم عن تعمد لا عن سهو. وقيل: وأنتم علماء تعلمون قبح القبيح وحسن الحسن.

قال الماوردي⁽²⁾: قوله عز وجل: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: لا تخونوا الله سبحانه والرسول ﷺ كما صنع المنافقون في خيانتهم.

والثاني: لا تخونوا الله والرسول فيما جعله لعباده من أموالكم. ويحتمل ثالثاً: أن خيانة الله بمعصية رسوله، وخيانة الرسول، بمعصية كلماته.

﴿وَتَخُونُوا أَمْنَتَكُمْ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: فيما أخذتموه من الغنيمة أن تحضروه إلى المغنم.

(2) النكت والعيون.

(1) الكشاف.

الثاني: فيما ائتمن الله العباد عليه من الفرائض والأحكام أن تؤدوها بحقها ولا تخونوها بتركها.

والثالث: أنه على العموم في كل أمانة أن تؤدى ولا تخان.

● قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا﴾ [التحریم: 10].

قال الطبري⁽¹⁾: يقول تعالى ذكره: مَثَلُ اللَّهِ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّاسِ وسائر الخلق امرأة نوح وامرأة لوط، كانتا تحت عبدين من عبادنا، وهما نوح ولوط فخانتاهما. ذُكر أن خيانة امرأة نوح زوجها أنها كانت كافرة، وكانت تقول للناس: إنه مجنون. وأن خيانة امرأة لوط، أن لوطاً كان يُسِرُّ الضيف، وتَدَلَّ عليه. ذكر من قال ذلك: عن موسى بن أبي عائشة، عن سلمان بن قيس، عن ابن عباس، قوله: ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ قال: كانت امرأة نوح تقول للناس: إنه مجنون. وكانت امرأة لوط تَدَلَّ على الضيف.

قال أبو السعود⁽²⁾: ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ بيان لما صدرَ عنهُما من الجنابة العظيمة مع تحقق ما ينفىها من صحبة النبي أي: خانتاهما بالكفر والنفاق، وهذا تصويرٌ لحالهما المحاكية لحال هؤلاء الكفرة في خيانتهم لرسول الله ﷺ بالكفر والعصيان مع تمكنهم التام من الإيمان والطاعة.

● قال تعالى: ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلُعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ﴾ [المائدة: 13].

قال الفخر الرازي⁽³⁾: وفي الخائنة وجهان: الأول: أن الخائنة بمعنى المصدر، ونظيره كثير، كالكافية والعافية، وقال تعالى: ﴿فَأَهْلِكُوا بِالطَّغْيَةِ﴾ [الحاقة: 5] أي: بالطغيان. وقال ﴿لَيْسَ لَوْعِنَهَا كَاذِبَةٌ﴾ [الواقعة: 2] أي: كذب.

(3) التفسير الكبير.

(1) جامع البيان.

(2) إرشاد العقل السليم.

وقال: ﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً﴾ [الغاشية: 11] أي: لغواً. وتقول العرب: سمعت راغية الإبل. وثاغية الشاء يعنون رغاءها وثغاءها. وقال الزجاج: ويقال عافاه الله عافية، والثاني: أن يقال: الخائنة صفة، والمعنى: تطلع على فرقة خائنة أو نفس خائنة أو على فعلة ذات خيانة. وقيل: أراد الخائن، والهاء للمبالغة كعلامة ونسابة. قال صاحب «الكشاف» وقرئ على خيانة منهم.

قال ابن عطية⁽¹⁾: ﴿عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ﴾ وغائلة وأمور فاسدة، واختلف الناس في معنى ﴿خَائِنَةٍ﴾ في هذا الموضع فقالت فرقة ﴿خَائِنَةٍ﴾ مصدر كالعاقبة وكقوله تعالى: ﴿فَأْمَلِكُوا بِالطَّاعِغَةِ﴾ [الحاقة: 5] فالمعنى على خيانة، وقال آخرون معناه على فرقة خائنة فهي اسم فاعل صفة المؤنث، وقال آخرون المعنى على خائن فزيدت الهاء للمبالغة كعلامة ونسابة.

● قال تعالى: ﴿أَنَّا كُنْتُمْ تَحْتَانُونَ أَنفُسِكُمْ﴾ [البقرة: 187]

قال الزمخشري⁽²⁾: ﴿تَحْتَانُونَ أَنفُسِكُمْ﴾ تظلمونها وتنقصونها حظها من الخير. والاختيان من الخيانة، كالاكتساب من الكسب فيه زيادة وشدة.

قال الماوردي⁽³⁾: قوله تعالى: ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّا كُنَّا كُنْتُمْ تَحْتَانُونَ أَنفُسِكُمْ﴾ سبب هذه الخيانة التي كان القوم يختانون أنفسهم، شيان: أحدهما: إتيان النساء.

الثاني: الأكل والشرب، وذلك أن الله تعالى أباح في أول الإسلام الأكل والشرب والجماع في ليل الصيام قبل نوم الإنسان، وحرّمه عليه بعد نومه، حتى جاء عمر بن الخطاب ذات ليلة من شهر رمضان، يريد امرأته، فقالت له: إني قد نمّت، وظن أنها تعتل عليه، فوقع بها، وجاء أبو قيس ابن صرمة، وكان يعمل في أرض له، فأراد الأكل، فقالت له امرأته: نسخر لك شيئاً، فغلبته عيناه، ثم

(3) النكت والعيون.

(1) المحرر الوجيز.

(2) الكشاف.

أحضرت إليه الطعام، فلم يأكل منه فلما أصبح لاقى جهداً. وأخبر عمر وأبو قيس رسول الله ﷺ بما كان منهما، فأنزل الله تعالى: ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾. ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ﴾ فيه تأويلان: أحدهما: العفو عن ذنوبهم.

والثاني: العفو عن تحريم ذلك بعد النوم.

● قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر: 19].

قال الفخر الرازي⁽¹⁾: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ والمعنى أنه سبحانه عالم لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض، والحاكم إذا بلغ في العلم إلى هذا الحد كان خوف المذنب منه شديداً جداً، قال صاحب «الكشاف»: الخائنة صفة النظرة أو مصدر بمعنى الخائنة، كالعافية المعافاة، والمراد استراق النظر إلى ما لا يحل كما يفعل أهل الريب، والمراد بقوله ﴿وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ مضمرات القلوب، والحاصل أن الأفعال قسمان: أفعال الجوارح وأفعال القلوب، أما أفعال الجوارح، فأخفاها خائنة الأعين، والله أعلم بها، فكيف الحال في سائر الأعمال.

قال أبو السعود⁽²⁾: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ﴾ النظرة الخائنة كالنظرة الثانية إلى غير المحرم واستراق النظر إليه أو خيانة الأعين على أنها مصدرٌ كالعافية.

● قال تعالى: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ﴾ [الأنفال:

.71].

قال الطبري⁽³⁾: يقول تعالى ذكره لنبيه: وإن يرد هؤلاء الأسارى الذين في

(3) جامع البيان.

(1) التفسير الكبير.

(2) إرشاد العقل السليم.

أيديكم خيانتك: أي الغدر بك والمكر والخداع، بإظهارهم لك بالقول خلاف ما في نفوسهم، ﴿فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ﴾ يقول: فقد خالفوا أمر الله ممن قبل وقعة بدر، وأمكن منهم ببدر المؤمنين. ﴿وَاللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ بما يقولون بألسنتهم ويضمرونه في نفوسهم، ﴿حَكِيمٌ﴾ في تدبيرهم وتدبير أمور خلقه سواهم.

قال البغوي⁽¹⁾: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ﴾، يعني الأسارى، ﴿فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ﴾، ببدر، ﴿وَاللَّهُ عَلَيْهِمْ حَكِيمٌ﴾، قال ابن جريج: أراد بالخيانة الكفر، أي: إن كفروا بك فقد كفروا بالله من قبل، فأمكن منهم المؤمنين ببدر حتى قتلوهم وأسروهم، وهذا تهديد لهم إن عادوا إلى قتال المؤمنين ومعاداتهم.

قال الشوكاني⁽²⁾: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ﴾ بما قالوه لك بألسنتهم من أنهم قد آمنوا بك وصدّقوك، ولم يكن ذلك منهم عن عزيمة صحيحة ونية خالصة، بل هو مماكرة ومخادعة، فليس ذلك بمستبعد منهم، فإنهم قد فعلوا ما هو أعظم منه، وهو أنهم خانوا الله من قبل أن تظفر بهم، فكفروا به وقاتلوا رسوله.



(2) فتح القدير.

(1) معالم التنزيل.

خوي - خواء

(خواء - خلاء - فراغ - فضاء - هواء - جوف وأجوف)

هذه منظومة الفراغ في القرآن الكريم وآخر كلمة في باب حرف الخاء. خواء خوي. والخواء نوع من أنواع الفراغ وكل نوع من الفراغ له اسم يقال: خالٍ وخاوي وفارغ وفاضي وأجوف وهوائي. وقد استعمل القرآن الكريم كل كلمة استعمالاً دقيقاً بحيث لا تغني كلمة عن كلمة أخرى.

الخلاء: الفراغ بعد انشغال، كأن تكون منشغلاً بشيء ثم أصبحت خالياً. كل من كان منشغلاً بشيء ثم لم يعد منشغلاً بشيء أو أحد يقال له: خالياً (يقال خالي شغل) أي لم يعد له شغل الآن. ويقال: ثوب خالٍ من العيوب أي: كان فيه عيب ثم لم يعد فيه. أما إذا لم يكن فيه عيوب أصلاً فيقال ليس فيه عيوب. قال تعالى: ﴿وَإِذَا حَلَوْا عَضُوا عَلَيْكُمْ الْأَنَامِلَ مِنَ الْفَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران: 119]، ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا حَلَوْا إِلَىٰ شَيْطَانِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَءُونَ﴾ [البقرة: 14]، هؤلاء كانوا مع المؤمنين ثم لم يعودوا معهم وذهبوا إلى شياطينهم. وقال تعالى: ﴿أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ [يوسف: 9] يعقوب عليه السلام كان مشغولاً بيوسف عليه السلام فظن إخوة يوسف أنهم لو قتلوه يصبح أبوهم خالياً بعد انشغاله بيوسف.

وعندنا خالي، وعندنا خلي الخالي هو الذي كان منشغلاً فلم يعد له شغل فإذا لم يكن شاغلاً أو مشتغلاً أصلاً يسمى خَلِي (يقال ويل للشجي من الخلي). ويقال لفراغ الإنسان من شغله خالي.

خواء: فراغ شيء كان مملوءاً لكنه أفرغ بكارثة ﴿فَتَلَاكَ بِيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا

ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿النمل: 52﴾، ﴿سَخَرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَتَمَنِيَةً أَيَّامٍ حُسُومًا فَفَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعِجَازٌ نَحْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة: 7] ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [البقرة: 259]، ﴿وَأَحِيطَ بِشَمْرِهِ فَاصْبَحَ يَقْلُبُ قَلْبَهُ كَفَيْهِ عَلَى مَا أَفْقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ [الكهف: 42]، ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فِيهَا خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَبُرُّ مُعْتَلَّةً وَقَصِرَ مَشِيدٍ﴾ [الحج: 45] كانت مأهولة فلما أصابتها كارثة أصبحت خاوية فرغت ولم يعد فيها أهل. يقال: خلت الديار إذا سافر أهلها كانت منشغلة فخلت. لما تكون البطن فارغة يقال: خواء. إذا كان فراغ البطن اعتيادياً يسمى: خلاء وإذا كان بمرض يسمى: خواء.

فراغ: كل شيء كان ممتلئاً ليمتلئ مرة أخرى يقال له فارغ. الفترة بين الامتلاءتين تسمى فراغاً ﴿فَإِذَا فَرَّغَتْ فَأَنْصَبْ﴾ [الشرح: 7] فرغ من الصلاة ليصلي مرة أخرى. وتستعمل كلمة فراغ استعمالاً خاطئاً فيما يتعلق بأوقات الفراغ فالفراغ هو عطلة بين نشاطين أو راحة بين حصتين (في المدارس). يخلو الإنسان في فترة الفراغ من عمله ليعمل مرة أخرى، وقال تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَّنَا عَلَي قَلْبِهَا لَآتُوتُ مِنِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [القصص: 10] فرغ الله تعالى قلب أم موسى منه تماماً بعد أن كان مملوءاً به قبل أن تضعه في التابوت ثم ترمي به في اليم ليأخذه عدو له، ثم يمتلئ قلبها مرة ثانية بعد أن رده الله تعالى إليها. فالربط هو جعل قلبها فارغاً بين فترتين من ساعة إلقاء موسى في التابوت إلى عودته إليها. ولو لم يفرغ الله تعالى قلبها في تلك الفترة لما ألقته. إذن فراغ تعني: كان عنده شغل فرغ منه ثم يبدأ بشغل آخر. وهذا الفراغ فضيلة لأنه راحة بين طرفين. قال تعالى: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهُ الثَّقَلَانِ﴾ [الرحمن: 31] عندنا فرغ يفرغ أي: يقصد وهذا هو المقصود بالآية أي: سنقصدكم بالعمل، وعندنا فرغ يفرغ وهي الفترة الممتدة بين عمليتين أو فترة هدوء وخلو بلا عمل.

فضاء: شيء ضيق جداً خرج من ضيقه إلى سعة واسعة فيها فراغ هائل ليس

معكم أحد. كأن يكون هناك إنسان قد حُبس في غرفة أو زنزانة ضيقة ثم أُطلق سراحه إلى الصحراء يقال: أفضى أي: ذهب إلى الفضاء، ويقال: بقيت فضى أي: في مكان واسع. ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذَتْ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [النساء: 21].

جوف وأجوف: هو الفراغ الباطني. كل فراغ في باطن الأرض أو الكرة أو في بطنك أنت فهو أجوف يقال: في جوفه ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ [الأحزاب: 4].

هواء: ﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾ [إبراهيم: 43] تخيل المنظر يوم القيامة وقد جاء في القرآن الكريم ذكر الوعيد والنار مع الكفر. فالمشرك بالله تعالى يخرج سريعاً ﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾ أي: مسرعين بخوف شديد وعيناه مفتوحتان من الرعب ومثبتتان على ما يرعبه ولا يستطيع أن يغلقهما ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفِيلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخَّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ [إبراهيم: 42]. قال تعالى: ﴿وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾ أي: فارغة مع ارتجاف، كالقشة في الهواء يرميها الهواء في كل مكان باضطراب وحيرة. يقال الفؤاد هواء ليدل على أنه فارغ جداً لكن بتردد وحيرة وخوف.

هذه منظومة الفراغ في القرآن الكريم وكل فراغ له كلمة تدل عليه مباشرة بدقة متناهية.

نعود لآية عجيبة فهمناها خطأ وترتب عليها تصرفات خاطئة من الرجال في حق النساء وهي ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذَتْ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [النساء: 21] كل كلمة في القرآن الكريم مقصودة قصداً ولا يحل محلها كلمة أخرى. كل من يطلق امرأته يخالف هذه الآية، فإذا أردت الطلاق أو الاستبدال وكنت قد كتبت لزوجتك قنطاراً من الذهب فبأي حق تساومها على مهرها لتسترده أو تجعلها تتنازل هي عن هذا المهر أو أن تعطيك شيئاً بديلاً لكي تطلقها؟ وهذه كارثة لأمرين: الأول لأنهن أخذن منك ميثاقاً غليظاً وكلمة الميثاق

الغليظ لم ترد في القرآن الكريم إلا مرتين إحداهما الميثاق الذي أخذه تعالى على الأنبياء بأنهم إذا التقوا محمداً ﷺ عليهم أن يؤمنوا به أولاً وينصرونه ثانياً وهذا الميثاق الغليظ هو قضية الكون ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَقًا غَلِيظًا﴾ [الأحزاب: 7]. والثاني هو الميثاق بين الزوج والزوجة ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْتُمْ مِنْكُمْ مِيثَقًا غَلِيظًا﴾ [النساء: 21] كل المواثيق في الأرض تنتج مصلحة مادية أو سياسية أو اجتماعية كالمواثيق بين الدول والأفراد، لكن ما من ميثاق على وجه الأرض يبيح لك عرضاً إلا ميثاق الزواج الغليظ فهو الوحيد الذي يبيح العرض بكلمة زوجتك نفسي - قبلت. بهذه الكلمة أباح الله تعالى الزوج والزوجة كل منهما للآخر، إذن ما من شيء على الأرض يعادل أن تبيح الزوجة لك عرضها، أما المهر فهو هدية فقط بمناسبة فرحة الرجل بهذه المرأة التي أباحت له عرضها بميثاق الله عز وجل. هذه الإفاضة تعني أنهما كانا في صرة ضيقة لا تفتح إلا للضرورة كما جاء في وصف آخر ﴿أَحَلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَاوِ الرَّفَثِ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِيَاسٍ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَاسٍ لَهُنَّ﴾ [البقرة: 187].

خاوية: من سنن الله في الكون أن كل قوة عاتية فريدة في التاريخ تستبد في الأرض لا بد أن يأتيها العذاب من حيث لا تحتسب. فقوم عاد كانوا أقوى دولة في العالم وقالوا: ﴿فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [فصلت: 15]، والتاريخ مليء بأقوام استبدوا في الأرض منها ما كان عادلاً إلى حد معتدل ولهم وازع إما قانون أو شرع أو خلق، وهناك قوة منفلة انفلاتاً كاملاً. ومن سنن الله تعالى أن كل قوة غاشمة لا بد أن يأتيها العذاب من الله تعالى من حيث لا تحتسب ﴿فَتَلَّكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [النمل: 52] وهذا العذاب من حيث لا يحتسبون سماه الله تعالى في القرآن الأخذ ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرْآنَ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: 102].

القرى والقرية في القرآن هي كل مجتمع له حكومة وأعراف وتاريخ كل دولة من دول العالم تسمى قرية في اصطلاح القرآن. وللعلم أن رب العالمين لا يحاسب الناس في الدنيا على الشرك والإيمان وإنما على العدل والظلم ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود: 117] فإذا كان أهلها مصلحون يحقون العدل فيما بينهم وبينهم وبين غيرهم يوفقههم الله تعالى، وعندما تأتي قوة طاغية تستبد بالأرض يأخذهم: أي يستولي عليهم بالكامل. وكلمة الأخذ مأخوذة من أخذ الأسير في الحرب. ﴿كَذَابِ آلِ فِرْعَوْنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَآخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [آل عمران: 11]، معظم أخذ الله تعالى على غرار تسونامي: أعاصير، أمطار هائلة، طوفان، رجفة، صيحة، ربح صرصر، قلب ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِيَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: 112].



النصوص اللغوية:

قال ابن فارس⁽¹⁾: الخاء والواو والياء أصلٌ واحدٌ يدلُّ على الخُلُوِّ والسَّقُوطِ. يقال: خَوَّتِ الدَّارُ تَخْوِي. وَخَوَى النَّجْمُ: إِذَا سَقَطَ وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَ سِقُوطِهِ مَطْرٌ؛ وَأَخْوَى أَيضاً.

وَخَوَّتِ النَّجْمُ تَخْوِيَةً: إِذَا مَالَتْ لِلْمَغِيبِ. وَخَوَّتِ الْإِبِلُ تَخْوِيَةً: إِذَا خُمِصَتْ بُطُونُهَا. وَخَوِيَتِ الْمَرْأَةُ خَوِيًّا، إِذَا لَمْ تَأْكُلْ عِنْدَ الْوِلَادَةِ. وَيُقَالُ خَوَى الرَّجُلُ: إِذَا تَجَافَى فِي سَجُودِهِ، وَكَذَا الْبَعِيرُ إِذَا تَجَافَى فِي بُرُوكِهِ. وَهُوَ قِيَاسُ الْبَابِ؛ لِأَنَّهُ إِذَا خَوَى فِي سَجُودِهِ فَقَدْ أَخْلَى مَا بَيْنَ عَضْدِهِ وَجَنْبِهِ. وَخَوَّتِ الْمَرْأَةُ عِنْدَ جُلُوسِهَا عَلَى

(1) معجم مقاييس اللغة.

المِجْمَر. وَخَوَى الطائر: إذا أرسل جناحيه. فأما الخَواةُ فالصَّوت. وقد قلنا إنَّ أكثر ذلك لا ينقاس، وليس بأصلٍ.

قال الجوهري⁽¹⁾: خَوَتِ النجوم تَخوي خَيًّا: أمحلت، وذلك إذا سقطت ولم تمطر في نوبتها. وأخَوَتْ مثله. وخَوَتِ الدارُ خَواءً ممدود: أقوت، وكذلك إذا سقطت. ومنه قوله تعالى: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً﴾ [النمل: 52]، أي: خالية، ويقال ساقطة، كما قال تعالى: ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾ [البقرة: 259]، أي: ساقطة على سقفها. وخَوَتِ المرأةُ وخَوِيَتْ أيضاً خَوِيًّا، أي: خلا جوفها عند الولادة. وخَوِيَتْ لها تَخَوِيَّةٌ: إذا عملت لها خَوِيَّةً تأكلها، وهي طعام. والخَوِيُّ: البطن السهل من الأرض، على فَعِيل. وحكى أبو عبيد: الخَواءُ: الصوت. وخَوَى البعير تَخَوِيَّةً: إذا جافى بطنه عن الأرض في بُروكه. وكذلك الرجلُ في سجوده، والطائرُ إذا أرسلَ جناحيه. ويقال أيضاً: خَوَّتِ النجوم، إذا مالت للمغيب.

قال الخليل⁽²⁾: وَخَوَى يَخوي خَوِيًّا وأصابه ذاك من الخَواء. وفي الحديث: «ذا صلى أحدكم فليُخَوِّ ما بين عَضْدَيْهِ وَجَنْبَيْهِ» أي: يَنْفَتِحُ ويتجافى. وخَوَتِ الدَّارُ: باد أهلها، وهي قائمةٌ بلا عامرٍ.

وتقول: خَوَى أي: تهدم ووقع. وخَوَى البعير تَخَوِيَّةً أي: برك، ثم مكن لثفناته في الأرض. ومُخَوَاهُ: موضعُ تَخَوِيَّتِهِ، وجمعه مُخَوِيَّات.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً﴾ [النمل: 52].

قال البغوي⁽³⁾: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً﴾، نصب على الحال أي: خالية.

(3) معالم التنزيل.

(1) الصحاح في اللغة.

(2) العين.

قال أبو السعود⁽¹⁾: ﴿خَاوِيَةً﴾ أي: خالية أو ساقطة متهدمة.

● قال تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾ [البقرة:

.259].

قال ابن عطية⁽²⁾: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتُ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتُ مِائَةَ عَامٍ﴾ عطفت (أو) في هذه الآية على المعنى، لأن مقصد التعجب في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ﴾ يقتضي أن المعنى أرأيت كالذي حاج، ثم جاء قوله ﴿أَوْ كَالَّذِي﴾، عطفاً على ذلك المعنى.

قال السدي: يقول هي ساقطة على سقفها أي: سقطت السقف ثم سقطت الحيطان عليها، وقال غير السدي: معناه خاوية من الناس على العروش أي: على البيوت، وسقفها عليها لكنها خوت من الناس والبيوت قائمة. و﴿خَاوِيَةً﴾ معناه خالية، يقال: خوت الدار تخوي خواء وخويًا ويقال خويت قال الطبري: والأول أفصح وقوله: ﴿أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ معناه من أي طريق وبأي سبب؟ وظاهر اللفظ السؤال عن إحياء القرية بعمارة وسكان كما يقال الآن في المدن الخربة التي يبعد أن تعمر وتسكن فكأن هذا تلهف من الواقف المعبر على مدينته التي عهد فيها أهله وأحبته، وضرب له المثل في نفسه بما هو أعظم مما سأل عنه، والمثال الذي ضرب له في نفسه يحتمل أن يكون على أن سؤاله، إنما كان عن إحياء الموتى من بني آدم، أي أنى يحيي الله موتاهما، وقد حكى الطبري عن بعضهم أنه قال كان هذا القول شكاً في قدرة الله على الإحياء، فلذلك ضرب له المثل في نفسه.

● قال تعالى: ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فِيهَا خَاوِيَةٌ

عَلَى عُرُوشِهَا﴾ [الحج: 45].

(2) المحرر الوجيز.

(1) إرشاد العقل السليم.

قال الألوسي⁽¹⁾: والخواء إما بمعنى السقوط من خوى النجم إذا سقط، وقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ متعلق به، والمراد بالعروش السقوف، والمعنى فهي ساقطة حيطانها على سقوفها بأن تعطل بنيانها فخرت سقوفها ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف، وإسناد السقوط على العروش إليها لتنزيل الحيطان منزلة كل البنيان لكونها عمدة فيه، وإما بمعنى الخلو من خوت الدار تخوى خواء إذا خلت من أهلها، ويقال: خوى البطن يخوي خوى إذا خلا من الطعام، وجعل الراغب أصل معنى الخواء هذا وجعل خوى النجم من ذلك فقال: يقال: خوى النجم وأخوى إذا لم يكن منه عند سقوطه مطر تشبيهاً بذلك فقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ إما متعلق به أو متعلق بمحذوف وقع حالاً، و﴿عَلَىٰ﴾ بمعنى مع أي فهي خالية مع بقاء عروشها وسلامتها، ويجوز على تفسير الخواء بالخلو أن يكون ﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ خبراً بعد خبر أي فهي خالية وهي على عروشها أي قائمة مشرفة على عروشها على أن السقوف سقطت إلى الأرض وبقيت الحيطان قائمة وهي مشرفة على السقوف الساقطة، وإسناد الإشراف إلى الكل مع كونه حال الحيطان لما مر آنفاً.

قال الشعراوي⁽²⁾: هلاك القُرَى لا بُدُّ أن يكون له سبب، فلما وقع عليها الهلاك أصبحت ﴿خَاوِيَةً عَلَىٰ عُرُوشِهَا...﴾ الشيء الخاوي يعني: الذي سقط وتهدم على غيره، وقوله: ﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا...﴾ يدل على عِظَم ما حَلَّ بها من هلاك، حيث سقط السقف أولاً، ثم انهارت عليه الجدران، أو: أن الله تعالى قلبها رأساً على عَقِب، وجعل عاليها سافلها.

● قال تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة: 7].

قال الفخر الرازي⁽³⁾: وأما وصف النخل بالخواء، فيحتمل أن يكون وصفاً

(3) التفسير الكبير.

(1) روح المعاني.

(2) تفسير الشعراوي.

للقوم، فإنّ الرّيح كانت تدخل أجوافهم فتصرعهم كالنخل الخاوية الجوف، ويحتمل أن تكون الخالية بمعنى البالية لأنها إذا بليت خلت أجوافها، فشبّهوا بعد أن أهلكوا بالنخل البالية.

قال العزّ بن عبد السلام⁽¹⁾: ﴿خَاوِيَةً﴾ بالية أو خالية الأجواف أو ساقطة الأبدان خاوية الأصول شبّهوا بها لأن أبدانهم خلت من أرواحهم كالنخل الخاوية أو لأنّ الرّيح قطعت رؤوسهم عن أجسادهم أو كانت تدخل من أفواههم فتخرج حشوتهم من أدبارهم فصاروا كالنخل الخاوية.



(1) التفسير العظيم.

خبیب

(خبیب - تبّ - تعس - خسر - خسیء - فشل)

- الخَيْبَةُ: فوات المطلوب مع بذل الجهد ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ أَفْتَرَى﴾ [طه: 61].
- تَبَّ: الاستمرار في الخسران ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: 1].
- التَّعَسُ: عدم الانتعاش مع العثرة ﴿فَتَعَسَّ لَهُمْ﴾ [محمد: 8].
- الخُسْرُ: انتقاص رأس المال ﴿قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ [النازعات: 12].
- الخَسَاءُ: الانقياض والتقدم مع الطرد ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [البقرة: 65].
- الفَشْلُ: ضعف مع جبن ﴿وَلَا تَنْزِعُوا فَأَنْفُسُكُمْ وَأَنْتُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأنفال: 46].



النصوص اللغوية:

قال الخليل⁽¹⁾: الخَيْبَةُ: حرمان الجد، خَابَ يَخِيبُ. وجعل الله سعي فلانٍ في خِيَابِ بن هِيَابٍ وبيَابِ بن بِيَابٍ، في مثلٍ للعرب. ولا يقال منه: خَابَ وهَابَ.

والخِيَابُ: القدح الذي لا يوري، والذي لا يفوز من السهام أيضاً. خَبَوُ وَخَبَا خَبَتِ النَّارُ تَخْبُو خَبُوءاً أي: طَفِئَتْ. وَأَخْبَاهَا مُخْبِئاً. وَخَبَتِ الْحَرْبُ: سَكُنَتْ. وَالْحَبَاءُ: مَا خَبَّتْ مِنْ ذَخِيرَةٍ لِيَوْمٍ مَا. وامرأة مُخْبِئَةٌ أي: معصر قبل

(1) العين.

قبل أن تتزوج. والخباء، مهموز ممدود: سمة تُخبأ في موضع خفي من الدابة، وهي لذیعة بالنار، والجميع: أخبئة، على الأصل مهموز. والخباء من بيوت الأعراب، جمعه: أخبية، بغير همز. وتخبئت كسائي تخبياً إذا جعلته خباً. والخباء: غشاء البرة والشعيرة في السنبله. وخبت حدة النار أي: سكنت. وفي الحديث: «أطلبوا الرزق في خبايا الأرض».

قال الجوهري⁽¹⁾: خَابَ الرجل خَيْبَةً: إذا لم ينل ما يَطْلُبُ. وَخَيْبَتْهُ أَنَا تَخْيِيبًا. وفي المثل: الهَيْبَةُ خَيْبَةٌ. ويقال: خَيْبَةُ لزيد وَخَيْبَةُ لزيد، فالنصب على إضمار فعلٍ، والرفع على الابتداء. الكسائي: يقال وَقَعُوا في وادي تُخَيَّبَ غيرَ مصروفٍ، معناه الباطلُ.

قال الفيروزآبادي⁽²⁾: خَابَ يَخِيْبُ خَيْبَةً: حُرِمَ، وَخَيْبَهُ اللهُ، وَخَسِرَ، وَكَفَرَ، وَلَمْ يَنْلُ مَا طَلَبَ. وفي المثل: «الهَيْبَةُ خَيْبَةٌ» خَيْبَةُ لزيدٍ، بِالرَّفْعِ وَالنَّصْبِ: دُعَاءٌ عَلَيْهِ.

وسَعِيُهُ في خِيَابِ بَنِ هَيَّابٍ، مُشَدَّدَيْنِ، أَي: خَسَارٍ. وَالخِيَابُ أَيضاً: القَدْحُ لَا يُورِي. و«وَقَعَ في وادي تُخَيَّبَ» بضم التاء والخاء وفتحها وكسر الياء غيرَ مَصْرُوفٍ، أَي: في الباطلِ.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿وَأَسْتَفْتِحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [إبراهيم: 15].

قال الألوسي⁽³⁾: (خاب) خسر وهلك.

(3) روح المعاني.

(1) الصحاح في اللغة.

(2) القاموس المحيط.

قال الطبري(1): ﴿وَحَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ يقول: هلك كل متكبر جائر حائد عن الإقرار بتوحيد الله وإخلاص العبادة له.

قال ابن عطية(2): خاب: خسر ولم ينجح.

● قال تعالى: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى﴾ [طه: 61].

قال الخازن(3): أي: خسر من ادعى مع الله إلهاً آخر، وقيل: معناه خسر من كذب على الله تعالى.

قال أبو السعود(4): أي: على الله كائناً من كان بأي وجه كان فيدخل فيه الافتراء المنهني عنه دخولاً أولياً، وقد خاب فرعونُ المفتري فلا تكونوا مثله في الحَيِّية، والجملة اعتراضٌ مقررٌ لمضمون ما قبلها.

قال ابن عاشور(5): ﴿وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى﴾ في موضع الحال من ضمير ﴿لَا تَقْتَرُوا﴾ وهي مسوقة مساق التعليل للنهي، أي: اجتنبوا الكذب على الله فقد خاب من افتري عليه من قبل. بعد أن وعظهم فنهاهم عن الكذب على الله وأنذرهم عذابه ضرب لهم مثلاً بالأمم البائدة الذين افتروا الكذب على الله فلم ينجحوا فيما افتروا لأجله.

● قال تعالى: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنِ دَسَّهَا﴾ [الشمس: 10].

قال أبو السعود(6): لإبراز كمال الاعتناء بتحقيق مضمونه والإيدان بتعلق القسم به أيضاً أصالة، أي: خسر مَنْ نَقَصَهَا وأخفأها بالفجور وأصلُ دَسَّى دَسَسَ كَتَقَضَّى وَتَقَضَّضَ.

- | | |
|--------------------|-------------------------|
| (1) جامع البيان. | (4) إرشاد العقل السليم. |
| (2) المحرر الوجيز. | (5) التحرير والتنوير. |
| (3) لباب التأويل. | (6) إرشاد العقل السليم. |

قال البغوي⁽¹⁾: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّنَهَا﴾، أي: خابت وخسرت نفس أضلها الله فأفسدها.

وقال الحسن: معناه قد أفلح من زكى نفسه فأصلحها وحملها على طاعة الله عز وجل: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّنَهَا﴾ أهلكتها وأضلها وحملها على المعصية، فجعل الفعل للنفس.

قال البيضاوي⁽²⁾: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّنَهَا﴾ نقصها وأخفاها بالجهالة والفسوق.



(2) أنوار التنزيل.

(1) معالم التنزيل.

خير

(خير - رزق - مال - بنون)

- **الْخَيْرُ:** ما يرغب فيه الكل لقيمته العالية ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المؤمنون: 55-56].
- **الرِّزْقُ:** العطاء الجاري المطلوب دوامه ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مریم: 62].
- **المَالُ:** الملك المعد للبيع والشراء والربح والخسارة ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف: 46].
- **الْبَنُونَ:** الأولاد الذكور وهم أفضل أنواع الخير ﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾ [القلم: 14].



شرح المعاني:

وغير ذلك مثل: (نعمة - مئة - فضل - بركة - إحسان - هبة):

هذه من منظومة الفيوضات الإلهية الذي لا حد له، ويبدأ بكلمة الرحمة وكل أنواع الفيوضات الإلهية من نعمة وفضل وإحسان ومئة وبركة كلها تتفرع من كلمة خير.

الخير: في كتاب الله تعالى يشمل كل أنواع الفيوضات، كل شيء تشتهي النفس وتحبها حباً جماً عظيماً مهما كان نوعه ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ﴾

وَالْبَيِّنَ وَالْقَنْطِيرَ الْمُقَنْطَرَةَ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةَ وَالْأَنْعَامَ وَالْحَرْثَ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ ﴿١٤﴾ [آل عمران: 14] كل هذه الشهوات إلى آخر ما في الدنيا من منع ومتاع وشهوة وشهوة من أنواع الخير وكل ما يحبه الناس ولا يختلفون في حبه فهو من الخير ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات: 8] فالخير هو كل شيء تحبه من نفوذ وسمعة وبنين ومال وصحة ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: 35] اختبار لكل ما تحبه. فالخير كل شيء تحبه إيجابياً كان أم سلبياً.

الرزق: هو الخير وكل ما سيأتي هو كله خير، والدافع للخير الرحمة. والخير يتفرع إلى أنواع، كل نوع من أنواعه له كلمة تدل عليه مباشرة. والرزق هو الخير المتعلق بالطعام والغذاء ﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ [المائدة: 88] نعمة الغذاء ومكافحة الجوع وكل ما يتعلق بالطعام والإطعام هو الرزق وهو الذي يمسك على الإنسان حياته. حيثما وردت كلمة الرزق في القرآن دلت على الطعام ﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [النحل: 114]، ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَشَاتٌ كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [الأنعام: 142]. ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَنْطَعِمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [يس: 47]، فهموا أن الطعام هو الرزق. ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: 172]، ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: 126]، ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأَكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَ مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إني تَرَكْتُ مَلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ [يوسف: 37]، ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: 19] وهكذا في كل مرة ترد

كلمة رزق في القرآن فهي تعني الطعام حصراً ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَنُوتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: 25]. قال تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: 22]، أصل الغذاء المطر.

النعمة: الخير عام وهو كل مجموعة النعم مادية ومعنوية. إذا جزأنا الخير إلى جزئيات فكل جزئية هي نعمة. قال تعالى: ﴿وَإِن تَعَدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل: 18] أنعم الله تعالى علينا بنعم عديدة كالسمع والبصر وغيرها يمكن عدّها، لكن لا يمكن حصرها أي معرفة أسرارها وإعجازها وفضل الله تعالى علينا بها وقدرته سبحانه وتعالى. النعمة جزئية واحدة من الخير العام الشامل. والفرق بين الخير والرزق في القرآن ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِن أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: 47] هذا خير عام ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 215] هذا مال، خير مال في الإنفاق والرزق هو الطعام. والطعام في كثير من العصور والعهود أفضل من المال بكثير خاصة في حالات المجاعة تكون فيها كسرة الخبز أفضل من مليون دولار ولهذا قال تعالى: ﴿أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ [البلد: 14].

المنة: نعمة معنوية لا يفعلها إلا الله عز وجل، وهي أعلى من كل ماديات الأرض، ولا يهبها إلا الملوك العظام لأتباعهم. والمنة غير مادية ليس بها شهوة، وإنما هي عطاء عظيم لا يفعله إلا الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾ [الصافات: 114] من غير الله تعالى قادر على أن يفعل لموسى وهارون ما من الله تعالى به عليهما، ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِسْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [آل

عمران: 164] من الذي يستطيع أن يمنّ علينا برسول مثل محمد ﷺ إلا الله تعالى، ﴿يَمْنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمْنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الحجرات: 17]. المِنَّةُ إذن هي النعمة العظيمة غير المادية لأنها أكبر وأرقى وأعلى من كل ماديات الأرض ولا يفعلها إلا الله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ [القصص: 5] من الله تعالى على بني إسرائيل بعدما استضعفوا بأن أورثهم الأرض.

الفضل: وسام أو نعمة يهبها الله تعالى لعباد مخصوصين جداً ليميزهم على من سواهم، كأن يكون عندك مئة ضابط ثم تعطي واحداً منهم وساماً فيصبح يشار إليه بالبنان. قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضْلُوكَ وَمَا يُضْلُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَصُرُونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: 113] لم يؤت تعالى هذا إلا للرسول ﷺ. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ [الإسراء: 55] كل نبي له ميزة عن الآخرين موسى وعيسى وسليمان وداود ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجْعَالُ آوِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ [سبأ: 10] الجبال تؤب مع داود فقط والحديد يلين له، ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عِلْمَنَا مَطِيقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ [النمل: 16]، ﴿وَلَا يَأْتِلْ أُولَؤُلَا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا أَلَا يُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: 22] من غير أبي بكر آتاه الله تعالى هذا الفضل؟ وفضل الله تعالى عيسى ابن مريم بأشياء ميزه بها عن غيره من إبراء الأكمه والأبرص والكلام في المهد وغيرها، ﴿فَأَنْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسَّهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران: 174]، نزلت في غزوة أحد عندما خرج الرسول ﷺ مع أبي بكر وعمر وعلي وبعض الصحابة في أثر أبي سفيان وجمعه ليرهبوهم، فقيل لهم: إن الناس قد اجتمعوا لكم فقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل. وقيل: إن حسبنا الله ونعم الوكيل قالها سيدنا

إبراهيم عليه السلام عندما ألقى في النار فنجاه الله تعالى منها . والله تعالى يعطي كل إنسان فضلاً لا يعطيه لأحد غيره فيصبح متميزاً على من سواه ﴿وَأَن أَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ ثُمَّ تُؤْبَأُ إِلَيْهِ يَمْعَكُمْ مَنَّاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ [هود: 3] ، ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: 58] .

البركة: شيء يسير يقوم بوظيفة الشيء الكبير، مثل حفنة ماء سقى بها النبي صلى الله عليه وسلم جيشاً كاملاً . فالبركة هي الشيء اليسير يودعه الله تعالى طاقات كبيرة وبركة كبيرة . كلما قلنا: تبارك الذي جعل في السماء بروجاً أي: أعطانا نعمة لا حدود لها فتخيل كم يستفيد الناس من النجوم والبروج وكذلك انظر في تلك الحبة الصغيرة (الحبة السوداء أو حبة البركة) كم أودع الله تعالى فيها من البركة ففيها شفاء للعديد من الأمراض وفيها طاقات هائلة . والليلة المباركة التي نزل فيها القرآن الكريم ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبْرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ [الدخان: 3] . هي ليلة مكونة من بضع ساعات هي خير من عبادة ألف شهر تغفر فيها الذنوب وعجائبها لا تنتهي . وقال تعالى: ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكًا لَّيْلَتُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: 29] . كتاب واحد لا تنقضي عجائبه وكل عصر يكتشف فيه الناس ما لم يعلمه أحد قبلهم وفيه منافع وأسرار جديدة . وقال تعالى على لسان عيسى ابن مريم عليه السلام: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم: 31] تكلم في المهد وأحيا الموتى وأبرأ الأكمه والأبرص . فالبركة هي أن يودع الشيء اليسير طاقة أشياء كثيرة .

هذه هي منظومة الفيوضات الإلهية . عندما يفيض الله تعالى على عباده بفضله وإحسانه ورحمته ونعمته ومنته . وفي الحديث عن سورة البقرة: «خذوها فإن أخذها بركة وتركها حسرة وندامة ولا يطيحها البطلة» فسورة البقرة فيها من المنافع علمياً ونفسياً وعقيدة وحماية وعصمة الكثير .

قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا

مِنْ خَيْرٍ فَلَأَشْكُمُ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُؤَفَّ
إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَظْلَمُونَ ﴿البقرة: 272﴾ كل شيء في كل الاتجاهات نفسي أو مالي
أو علاجي أو جسدي وكل خير داخل في هذه الآية. ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مِمَّا عَمِلَتْ
مِنْ خَيْرٍ مُّخَضَّرًا وَمِمَّا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيَحَدَّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ
وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿آل عمران: 30﴾ يشمل كل شيء حتى الخاطرة. ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ
يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَهُ فِتْنَةٌ أُنْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَيْرٌ
الْدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿الحج: 11﴾. وخير عام ليس فقط مال بل
كل ما تشتهي النفس.

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَعِبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْكُلُوا الْخَيْرَ
لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ ﴿الحج: 77﴾، بكل أنواعه. ﴿فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَفُوكُمْ بِالسِّتَةِ
حِدَادٍ أَشْحَةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ سَبِيرًا ﴿
[الأحزاب: 19] على كل شيء العلم والهداية والمال وكل ما هو محبوب. ﴿مَا يَوَدُّ
الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِّنْ رَبِّكُمْ
وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿البقرة: 105﴾، حتى
الصحة. فالخير شيء والرزق شيء آخر والفضل شيء آخر.

الفضل: لو تأمل كل إنسان في نفسه لوجد أن فيه فضلاً لا يملكه الآخر إما
نفسياً أو علم أو أخلاق أو صوت: ولا بد أن يكون له ميزة أو صفة أو حال أو
سمت معين لا يملكه الآخر. ﴿وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ
الْعَظِيمِ ﴿الحديد: 29﴾، ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿[الأحزاب: 47]
سيتميزون بفضل من الله تعالى على الكثيرين وهم قلة.



النصوص اللغوية:

قال ابن فارس⁽¹⁾: الخاء والياء والراء أصله العطف والميل، ثم يحمل عليه. فالخير: خلاف الشر؛ لأن كلَّ أحدٍ يميلُ إليه ويعطف على صاحبه. والخيرة: الخيار. والخير: الكرم. والاستخارة: أن تسأل خيرَ الأمرين لك. وكل هذا من الاستخارة، وهي الاستعفاف. ويقال استخرته. قالوا: وهو من استخارة الضبيع، وهو أن تجعل خشبةً في ثُقبَةٍ بيتها حتى تخرج من مكانٍ إلى آخر.

ثم يُصَرَّف الكلامُ فيقال رجلٌ خيرٌ وامرأةٌ خيرة: فاضلة. وقومٌ خيارٌ وأخيارٌ، وامرأةٌ خيرةٌ في جمالها وميسمها. وفي القرآن: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حَسَنَاتٌ﴾ [الرحمن: 70]. ويقال: خايرتُ فلاناً فخرته. وتقول: اخترتُ بني فلانٍ رجلاً. قال الله تعالى: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا﴾ [الأعراف: 155]. تقول هو الخيرة خفيفة، مصدر اختار خيرةً، مثل ارتاب ريبة.

قال الجوهري⁽²⁾: الخَيْرُ: ضِدُّ الشَّرِّ. تقول منه: خِرتَ يا رَجُلٌ فأنت خائِرٌ. وخارَ اللهُ لك.

وقوله تعالى: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾ [البقرة: 180] أي: مالا. والخيارُ: خلاف الأشرار. والخيارُ: الاسم من الاختيار. والخيارُ: القِتَاءُ، وليس بعربي. ورجلٌ خَيْرٌ وخَيْرٌ، مشدد ومخفف. وكذلك امرأةٌ خيرةٌ وخيرة. قال الله تعالى: ﴿وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ﴾ [التوبة: 88]، جمع خيرة، وهي الفاضلة من كلِّ شيء. فإن أردت معنى التفضيل قلت: فلانة خيرُ الناس ولم تقل خيرةً، وفلان خيرُ الناس ولم تقل أخيرٌ، لا يُثنى ولا يُجمع، لأنه في معنى أفعل. والخيرُ بالكسر: الكرم. والخيرةُ الاسم من قولك: خارَ اللهُ لك في هذا الأمر. والخيرةُ مثال العنبة: الاسم من قولك اختاره اللهُ.

(2) الصحاح في اللغة.

(1) معجم مقاييس اللغة.

يقال: محمدٌ خَيْرُهُ اللهُ من خَلْقِهِ، وخَيْرُهُ اللهُ أيضاً بالتسكين. والاختيارُ: الاضطفاءُ. وكذلك التَحْيِيرُ. وتصغيرُ مُحْتَارٍ: مُحَيَّرٌ. والاسْتِخَارَةُ الخَيْرَةُ. يقال: اسْتَخِرَ اللهُ يَخِرُ لَكَ. وخَيْرَتُهُ بين شيئين، أي: فَوَضْتُ إليه الخِيَارُ.

قال الراغب⁽¹⁾: الخَيْرُ: ما يرغب فيه الكل، كالعقل مثلاً، والعدل، والفضل، والشيء النافع، وضده: الشر. قيل: والخير ضربان: خير مطلق، وهو أن يكون مرغوباً فيه بكل حال، وعند كل أحد كما وصف ﷺ به الجنة فقال: (لا خير بخير بعده النار، ولا شر بشر بعده الجنة).

وخير وشر مقيدان، وهو أن يكون خيراً لواحد شراً لآخر، كالمال الذي ربما يكون خيراً لزيد وشراً لعمرو، ولذلك وصفه الله تعالى بالأمرين فقال في موضع: ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا﴾ [البقرة: 180]، وقال في موضع آخر: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَيْنَ ﴿٥٥﴾ نَسَارِعُ لَهُمْ فِي الْحَيَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المؤمنون: 55-56]، وقوله تعالى: ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا﴾، أي: مالاً. وقال بعض العلماء: لا يقال للمال خير حتى يكون كثيراً، ومن مكان طيب، كما روي أن علياً رضي الله عنه دخل على مولى له فقال: ألا أوصي يا أمير المؤمنين؟ قال: لا، لأن الله تعالى قال: ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا﴾، وليس لك مال كثير.

* المعاني المشتركة:

جاءت كلمة (خير) في القرآن الكريم بالمعاني المشتركة التالية:

- 1 - الإيمان: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ﴾ [الأنفال: 23].
- 2 - المال: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَأَنْفُسِكُمْ﴾ [البقرة: 272].
- 3 - الإسلام: ﴿مَنْعَ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيبٍ﴾ [ق: 25] لأن الوليد بن المغيرة منع ابن أخيه من الدخول في الإسلام.

(1) مفردات الراغب.

- 4 - الأفضل: ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّزِقِينَ﴾ [المائدة: 114].
- 5 - العافية: ﴿وَإِن يُرَدَّكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾ [يونس: 107].
- 6 - القرآن: ﴿مَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِّنْ رَبِّكُمْ﴾ [البقرة: 105].
- 7 - النصر: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيمًا﴾ [الأحزاب: 25].
- 8 - الأفضل والأحسن: ﴿مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾ [البقرة: 106].
- 9 - الصلاح: ﴿فَكَابِتُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ [الثور: 33].
- 10 - القوة: ﴿أَهْمَ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبَعِّعُ﴾ [الدخان: 37].
- 11 - الإصلاح: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ [آل عمران: 104].
- 12 - الرخاء: ﴿إِنِّي أَرْسَلْتُكُمْ بِخَيْرٍ﴾ [هود: 84].
- 13 - الولد الصالح: ﴿فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: 19].
- 14 - حسن الأدب: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: 5].
- 15 - النوافل المتعددة: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ﴾ [الأنبياء: 73].
- 16 - الشراء المتنوع: ﴿وَلَوْ كُنْتَ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَأَسْتَكْرَثْتُ مِنْ الْخَيْرِ﴾ [الأعراف: 188].
- 17 - كل ما يسعد العبد: ﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: 26].



في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ﴾ [البقرة: 180].

قال الألويسي⁽¹⁾: ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا﴾ أي: مالا - كما قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه ومجاهد - وقيده بعضهم بكونه كثيراً إذ لا يقال في العرف للمال خيراً إلا إذا كان كثيراً، كما لا يقال: فلان ذو مال إلا إذا كان له مال كثير، ويؤيده ما أخرجه البيهقي وجماعة - عن عروة - أن علياً كرم الله تعالى وجهه دخل على مولى له في الموت وله سبعمائة درهم أو ستمائة درهم، فقال: ألا أوصي؟ قال: لا إنما قال الله تعالى: ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا﴾ وليس لك كثير مال، فدع مالك لورثتك. وما أخرجه ابن أبي شيبة عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن رجلاً قال لها: أريد أن أوصي، قالت: كم مالك؟ قال: ثلاثة آلاف، قالت: كم عيالك؟ قال: أربعة، قالت: قال الله تعالى: ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا﴾ وهذا شيء يسير فاتركه لعيالك فهو أفضل، والظاهر من هذا أن الكثرة غير مقدرة بمقدار، بل تختلف باختلاف حال الرجل فإنه بمقدار من المال يوصف رجل بالغنى ولا يوصف به غيره لكثرة العيال. وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما تقديرها، فقد أخرج عبد بن حميد عنه: «من لم يترك ستين ديناراً لم يترك خيراً» ومذهب الزهري أن الوصية مشروعة مما قل أو كثر، - فالخير - عنده المال مطلقاً - وهو أحد إطلاقاته - ولعل اختياره إيذاناً بأنه ينبغي أن يكون الموصي به حلالاً طيباً لا خبيثاً لأن الخبيث يجب رده إلى أربابه ويأثم بالوصية فيه.

قال الشوكاني⁽²⁾: وشرط سبحانه ما كتبه من الوصية بأن يترك الموصي خيراً. واختلف في جواب هذا الشرط ما هو؟ فروي عن الأخفش، وجهان: أحدهما أن التقدير: إن ترك خيراً، فالوصية، ثم حذفت الفاء.

(2) فتح القدير.

(1) روح المعاني.

والثاني : أن جوابه مقدّر قبله : أي : كتب الوصية للوالدين ، والأقربين إن ترك خيراً . واختلف أهل العلم في مقدار الخير ، فقليل : ما زاد على سبعمائة دينار ، وقيل : ألف دينار ، وقيل ما زاد على خمسمائة دينار . والوصية في الأصل : عبارة عن الأمر بالشيء ، والعهد به في الحياة ، وبعد الموت ، وهي هنا : عبارة عن الأمر بالشيء بعد الموت . وقد اتفق أهل العلم على وجوب الوصية على من عليه دين ، أو عنده وديعة ، أو نحوها . وأما من لم يكن كذلك ، فذهب أكثرهم إلى أنها غير واجبة عليه سواء كان فقيراً ، أو غنياً ، وقالت طائفة : إنها واجبة ، ولم يبين الله سبحانه ها هنا القدر الذي كتب الوصية به للوالدين ، والأقربين ، فقليل : الخمس . وقيل : الربع . وقيل : الثلث .

● قال تعالى : ﴿سَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [المؤمنون : 56] .

قال الزمخشري (1) : والمعنى : أن هذا الإمداد ليس إلا استدراجاً لهم إلى المعاصي ، واستجراراً إلى زيادة الإثم ، وهم يحسبونه مسارعة لهم في الخيرات ، وفيما لهم فيه نفع وإكرام ، ومعالجة بالثواب قبل وقته . ويجوز أن يراد في جزاء الخيرات كما يفعل بأهل الخير من المسلمين .

قال الماوردي (2) : ﴿سَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ [المؤمنون : 56] فيه وجهان : أحدهما : نجعله في العامل خيراً .

والثاني : أنما نريد لهم بذلك خيراً .

قال أبو السعود (3) : على حذف الرّاجع إلى الاسم أي أيحسبون أن الذي نمدهم به من المال والبنين نسارعُ به لهم فيما فيه خيرُهم وإكرامُهم على أن الهمة لإنكارِ الواقعِ واستتبابه .

● قال تعالى : ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ﴾ [البقرة : 106] .

(3) إرشاد العقل السليم .

(1) الكشاف .

(2) النكت والعيون .

قال الفخر الرازي⁽¹⁾: أن هذه الآية لا تدل على وقوع النسخ، بل على أنه لو وقع النسخ لوقع إلى خير منه، ومن الناس من أجاب عن الاعتراض الأول بأن الآيات إذا أطلقت فالمراد بها آيات القرآن لأنه هو المعهود عندنا، وعن الثاني: بأن نقل القرآن من اللوح المحفوظ لا يختص ببعض القرآن وهذا النسخ مختص ببعضه، ولقائل أن يقول على الأول: لا نسلم أن لفظ الآية مختص بالقرآن، بل هو عام في جميع الدلائل، وعلى الثاني: لا نسلم أن النسخ المذكور في الآية مختص ببعض القرآن، بل التقدير والله أعلم ما ننسخ من اللوح المحفوظ فإننا نأتي بعده بما هو خير منه.

قال البغوي⁽²⁾: ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا﴾ أي بما هو أنفع لكم وأسهل عليكم وأكثر لأجركم، لا أن آية خير من آية، لأن كلام الله واحد وكله خير.

● قال تعالى: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:

.273].

قال الفخر الرازي⁽³⁾: وهو يجري مجرى ما إذا قال السلطان العظيم لعبده الذي استحسنت خدمته: ما يكفيك بأن يكون علي شاهداً بكيفية طاعتك وحسن خدمتك، فإن هذا أعظم وقعاً مما إذا قال له: إن أجرك واصل إليك.

قال ابن عطية⁽⁴⁾: وعد محض أي: يعلمه ويحصيه ليجازي عليه ويشيب.

قال الطبري⁽⁵⁾: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ يعني به: وما تتصدقوا به من مال، فللفقراء الذين أحصروا في سبيل الله، فلما اعترض في الكلام بقوله: «فلا أنفسكم»، فأدخل الفاء التي هي جواب الجزاء فيه تركت إعادتها في قوله: «للفقراء»، إذ كان الكلام مفهوماً معناه.

(4) المحرر الوجيز.

(5) جامع البيان.

(1) التفسير الكبير.

(2) معالم التنزيل.

(3) التفسير الكبير.

● قال تعالى: ﴿وَتَكَرَّوْا فَاِنَّ خَيْرَ اَلْزَادِ اَلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوْنَ﴾ [البقرة: 197].

قال الزمخشري⁽¹⁾: حث على الخير عقيب النهي عن الشر؛ وأن يستعملوا مكان القبيح من الكلام الحسن، ومكان الفسوق البر والتقوى؛ ومكان الجدل الوفاق والأخلاق الجميلة. أو جعل فعل الخير عبارة عن ضبط أنفسهم حتى لا يوجد منهم ما نهوا عنه، وينصره قوله تعالى: ﴿وَتَكَرَّوْا فَاِنَّ خَيْرَ اَلْزَادِ اَلتَّقْوَىٰ﴾ أي اجعلوا زادكم إلى الآخرة اتقاء القبائح فإن خير الزاد اتقاؤها. وقيل: كان أهل اليمن لا يتزودون ويقولون: نحن متوكلون ونحن نحج بيت الله أفلا يُطعمنا فيكونون كلاً على الناس، فنزلت فيهم. ومعناه: وتزودوا واتقوا الاستطعام وإبرام الناس والتثقل عليهم، فإن خير الزاد التقوى.

قال الماوردي⁽²⁾: ﴿وَتَكَرَّوْا فَاِنَّ خَيْرَ اَلْزَادِ اَلتَّقْوَىٰ﴾ تأويلان: أحدهما: تزودوا بالأعمال الصالحة، فإن خير الزاد التقوى.

والثاني: أنها نزلت في قوم من أهل اليمن، كانوا يحجون ولا يتزودون، ويقولون: نحن المتوكلون، فنزلت فيهم: ﴿وَتَكَرَّوْا﴾، يعني من الطعام.

قال الألويسي⁽³⁾: أخرج البخاري وأبو داود والنسائي وابن المنذر وابن حبان والبيهقي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون ويقولون: نحن متوكلون، ثم يقدمون فيسألون الناس فنزلت. فالتزود بمعناه الحقيقي. وهو اتخاذ الطعام للسفر. والتقوى بالمعنى اللغوي. وهو الاتقاء من السؤال. وقيل: معنى الآية اتخذوا التقوى زادكم لمعادكم فإنها خير زاد، فمفعول (تزودوا) محذوف بقرينة خبر إن. وهو التقوى بالمعنى الشرعي. وكان مقتضى الظاهر أن يحمل ﴿خَيْرَ اَلْزَادِ﴾ على ﴿اَلتَّقْوَىٰ﴾ فإن المسند إليه والمسند إذا كانا معرفتين يجعل ما هو مطلوب الإثبات مسنداً، والمطلوب هنا إثبات خير الزاد

(1) الكشف.

(3) روح المعاني.

(2) النكت والعيون.

للتقوى لكونه دليلاً على تزوّدها إلا أنه أخرج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر للمبالغة لأنه حينئذ يكون المعنى إن الشيء الذي بلغكم أنه خير الزاد وأنتم تطلبون نعتة هو التقوى فيفيد اتحاد خير الزاد بها .

● قال تعالى : ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حَسَنَاتٌ﴾ [الرَّحْمَنُ : 70].

قال ابن عاشور⁽¹⁾ : ﴿خَيْرَاتٌ﴾ صفة لمحذوف يناسب صيغة الوصف ، أي : نساء خَيْرَات ، وخيرات مخفف من خيرات بتشديد الياء مؤنث خير وهو المختص بأن صفته الخير ضد الشر . وخفف في الآية طلباً لخفة اللفظ مع السلامة من اللبس بما أتبع به من وصف ﴿حَسَنَاتٌ﴾ الذي هو جمع حسناء ومعنى ﴿خَيْرَاتٌ﴾ أنهم فضلات النفس كرائم الأخلاق .

قال الطبري⁽²⁾ : ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حَسَنَاتٌ﴾ يقول تعالى ذكره : في هذه الجنان الأربع اللواتي اثنتان منهنّ لمن يخاف مقام ربه ، والأخريان منهنّ من دونهما المدهامتان خيرات الأخلاق ، حسان الوجوه . عن قتادة ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حَسَنَاتٌ﴾ يقول : في هذه الجنان خيرات الأخلاق ، حسان الوجوه .

قال أبو السعود⁽³⁾ : ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ﴾ صفةٌ أُخرى لجنّتانِ كالجُملةِ التي قبلها . والكلامُ في جميعِ الضميرِ كالَّذي مرَّ فيما مرَّ . وخيراتٌ مخففةٌ من خَيْرَاتٍ لأنَّ خَيْراً الذي بمَعْنَى أخيرٍ لا يجمعُ . وقد قُرِئَ على الأصلِ ﴿حَسَنَاتٌ﴾ أي حسانُ الخَلْقِ والخُلُقِ .

● قال تعالى : ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ [آل عمران : 104].

قال الفخر الرازي⁽⁴⁾ : أن هذه الآية مشتملة على الأمر بثلاثة أشياء : الدعوة إلى الخير ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، ومعلوم أن الدعوة إلى الخير

(3) إرشاد العقل السليم .

(4) التفسير الكبير .

(1) التحرير والتنوير .

(2) جامع البيان .

مشروطة بالعلم بالخير وبالمعروف وبالمنكر، فإن الجاهل ربما عاد إلى الباطل وأمر بالمنكر ونهى عن المعروف، وربما عرف الحكم في مذهبه وجهله في مذهب صاحبه فنهاه عن غير منكر، وقد يغلظ في موضع اللين ويلين في موضع الغلظة، وينكر على من لا يزيده إنكاره إلا تمادياً، فثبت أن هذا التكليف متوجه على العلماء.

قال أبو السعود⁽¹⁾: أي لتكن منكم أمة داعين إلى الخير وأياً ما كان فتوجيه الخطاب إلى الكل مع إسناد الدعوة إلى البعض لتحقيق معنى فرضيتها على الكفاية وأنها واجبة على الكل لكن بحيث إن أقامها البعض سقطت عن الباقي، ولو أخل بها الكل أتموا جميعاً لا بحيث يتحتم على الكل إقامتها على ما ينبىء عنه قوله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَتِ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً﴾ [التوبة: 122] الآية، ولأنها من عظام الأمور وعزائمها التي لا يتولاها إلا العلماء بأحكامه تعالى ومراتب الاحتساب وكيفية إقامتها، فإن من لا يعلمها يوشك أن يأمر بمنكر وينهى عن معروف ويغلظ في مقام اللين ويلين في مقام الغلظة وينكر على من لا يزيده الإنكار إلا التمادي والإصرار، وقيل: من بيانية كما في قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ﴾ [الفتح: 29]. الآية، والأمر من كان الناقصة والمعنى كونوا أمة تدعون الآية كقوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: 110] الآية، ولا يقتضي ذلك كون الدعوة فرض عين، فإن الجهاد من فروض الكفاية مع ثبوته بالخطاب العام، والدعاء إلى الخير عبارة عن الدعاء إلى ما فيه صلاح ديني أو دنيوي.

● قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات: 8].

قال ابن عطية⁽²⁾: ﴿الْخَيْرِ﴾ المال على عرف ذلك في كتاب الله تعالى، قال عكرمة: ﴿الْخَيْرِ﴾ حيث وقع في القرآن فهو المال، ويحتمل أن يراد هنا الخير

(2) المحرر الوجيز.

(1) إرشاد العقل السليم.

الدنياوي من ماله وصحة وجاه عند الملوك ونحوه، لأن الكفار والجهال لا يعرفون غير ذلك، فأما المحب في خير الآخرة فممدوح له مرجو له الفوز.

قال الراغب⁽¹⁾: أي: المال الكثير وقال بعض العلماء: إنما سمي المال ها هنا خيراً تنبيهاً على معنى لطيف، وهو أن الذي يحسن الوصية به ما كان مجموعاً من المال من وجه محمود، وعلى هذا قوله: ﴿قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّوَالِدَيْنِ﴾ [البقرة: 215].

قال الماوردي⁽²⁾: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ يعني الإنسان، وفي الخيرها هنا وجهان: أحدهما: المال، الثاني: الدنيا.

ويحتمل ثالثاً: أن الخيرها هنا الاختيار، ويكون معناه: وإنه لحب اختياره لنفسه لشديد.

● قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ اخْتَرْتَهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ﴾ [الدخان: 32].

قال الراغب⁽³⁾: يصح أن يكون إشارة إلى إيجاده تعالى إياهم خيراً، وأن يكون إشارة إلى تقديمهم على غيرهم. والمختار في عرف المتكلمين يقال لكل فعل يفعله الإنسان لا على سبيل الإكراه، فقولهم: هو مختار في كذا، فليس يريدون به ما يراد بقولهم فلان له اختيار؛ فإن الاختيار أخذ ما يراه خيراً، والمختار قد يقال للفاعل والمفعول.



(3) مفردات الراغب.

(1) مفردات الراغب.

(2) النكت والعيون.

خيـط

(خيـط - حبل - سلسلة)

- **الْخَيْطُ**: ما يخاط به الثوب لأنه رفيع جداً ﴿حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ﴾ [البقرة: 187].
- **الْحَبْلُ**: ما يقاد به الجمل لأنه غليظ ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ [المسد: 5].
- **السِّلْسِلَةُ**: حبل طويل من حلقات معدنية قوية ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ﴾ [الحاقة: 32].



النصوص اللغوية:

قال ابن فارس⁽¹⁾: الخاء والياء والطاء أصلٌ واحد يدلُّ على امتدادِ الشيء في دقَّةٍ، ثم يحمل عليه فيقال في بعض ما يكون منتصباً. فالخَيْطُ معروفٌ. والخَيْطُ الأبيض: بياضُ النهار. والخَيْطُ الأسود: سوادُ الليل. قال الله تعالى: ﴿حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ [البقرة: 187]. ويقال لما يسيلُ من لعابِ الشَّمْسِ: خَيْطٌ باطلٌ.

فأمَّا قولهم للذي بدا الشَّيْبُ في رأسه خَيْطٌ، فهو من الباب، كأنَّ الباديَ من ذلك مشبَّهٌ بالخَيْطِ. قال الهذلي: ويقال: نعمة خَيْطَاءٌ؛ وخَيْطُهَا طُولُ عُنُقِهَا. والخِيَاطةُ معروفةٌ، فأمَّا الخَيْطُ بالكسر، فالجماعةُ من النَّعامِ؛ وهو قياس الباب؛ لأنَّ المجتمع يكون كالذي خِيطَ بعضُه إلى بعض.

(1) معجم مقاييس اللغة.

قال الخليل⁽¹⁾: الْخَيْطُ: قَطِيعٌ مِنَ النِّعَامِ، الْوَاحِدَةُ خَيْطَى، وَنِعَامَةٌ خَيْطَى، وَخَيْطُهَا: طَوْلٌ قَصَبِهَا وَعُنُقُهَا، وَيُقَالُ: هُوَ مَا فِيهَا مِنْ اخْتِلَاطِ سَوَادٍ فِي بَيَاضٍ لَازِمٍ لَهَا، كَالْعَيْسِ فِي الْإِبِلِ الْعَرَابِ. وَثَوْبٌ مَخِيْطٌ، حَدَهُ مَخِيُوْطٌ، فَلَيْنُوا الْيَاءَ كَمَا لَيْنُوهَا فِي خَاظٍ، فَالْتَقَى سَاكِنَانِ: سَكُونُ الْيَاءِ وَسَكُونُ الْوَائِ السَّاكِنَةُ فَقَالُوا: مَخِيْطٌ، وَيُقَالُ: مَخُوْطٌ بِالْقَاءِ الْيَاءَ لِالْتِقَاءِ السَّاكِنِيْنَ. وَكَذَلِكَ مَكُوْلٌ وَمَكِيْلٌ. وَالْخِيَاطُ: الْإِبْرَةُ، وَالْخِيَاطُ الْفَاعِلُ وَحِرْفَتُهُ الْخِيَاطَةُ. «وَالْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ» يَعْنِي الصَّبْحَ. وَخَاظٌ فَلَانٌ خَيْطَةٌ وَاحِدَةٌ: إِذَا سَارَ سَيْرَةً وَلَمْ يَقْطَعْ السَّيْرَ.

قال الجوهري⁽²⁾: الْخَيْطُ: السِّلْكُ، وَجَمْعُهُ خُيُوْطٌ وَخُيُوْطَةٌ. وَالْمَخِيْطُ: الْإِبْرَةُ، وَكَذَلِكَ الْخِيَاطُ. وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: 40] وَالْخَيْطُ الْأَسْوَدُ: الْفَجْرُ الْمَسْتَطِيلُ. وَيُقَالُ: سَوَادُ اللَّيْلِ. وَالْخَيْطُ الْأَبْيَضُ: الْفَجْرُ الْمَعْتَرِضُ. وَخَيْطُ الرَّقَبَةِ: نُخَاعُهَا. يُقَالُ: جَاخَشَ فَلَانٌ عَنْ خَيْطِ رَقَبَتِهِ، أَي: دَافَعَ عَنْ دَمِهِ. وَخَيْطٌ بَاطِلٌ: الَّذِي يُقَالُ لَهُ لُعَابُ الشَّمْسِ وَمُخَاظُ الشَّيْطَانِ. وَالْخَيْطُ بِالْكَسْرِ: الْقَطِيعُ مِنَ النِّعَامِ، وَكَذَلِكَ الْخَيْطِي. وَنِعَامَةٌ خَيْطَاءٌ بَيْنَةُ الْخَيْطِ، وَهُوَ طَوْلٌ عُنُقِهَا. وَقَدْ خِطَّتْ الثَّوْبَ خِيَاطَةً فَهُوَ مَخِيُوْطٌ وَمَخِيْطٌ. وَالْخَيْطَةُ فِي كَلَامِ هُذَيْلٍ: الْوَيْدُ. وَخَيْطُ الشَّيْبِ فِي رَأْسِهِ، مِثْلُ وَخَطَ.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: 40].

(2) الصحاح في اللغة.

(1) العين.

قال الفخر الرازي⁽¹⁾: ﴿الْخَيْاطُ﴾ ما يخاط به. قال الفراء: ويقال خياط ومخيط، كما يقال إزار ومئزر ولحاف وملحف، وقناع ومقنع، وإنما خص الجمل من بين سائر الحيوانات، لأنه أكبر الحيوانات جسماً عند العرب.

قال الماوردي⁽²⁾: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخَيْاطِ﴾ [الأعراف: 40] فيه قولان: أحدهما: سم الخياط: ثقب الإبرة.

والثاني: أن سم الخياط هو السم القاتل الداخل في مسام الجسد أي: ثقبه. قال الشعراوي⁽³⁾: ﴿سَمِّ الْخَيْاطِ﴾ هو ثقب الإبرة، أي الذي تدخل فيه فتلة الخيط، ولا تدخل فتلة الخيط في الثقب إلا أن يكون قطر الفتلة أقل من قطر الثقب، وأن تكون الفتلة من الصلابة بحيث تنفذ، وأن تكون الفتلة غير مستوية الطرف؛ لأنها إن كانت مقصوفة وأطرافها مستوية فهي لا تدخل في الثقب؛ لذلك نجد الخياط يجعل للفتلة سناً ليدخلها في ثقب الإبرة. وحين نأتي بالجمل ونقول له: ادخل في سم الخياط، فهل يستطيع؟ طبعاً لا؛ لذلك نجد الحق سبحانه قد علق دخول هؤلاء الجنة على استحيل. بعض الناس قالوا: وما علاقة الجمل بسم الخياط؟ نقول: إن الجمل يطلق أيضاً على الحبل الغليظ المفتول من حبال، مثل حبال المركب إننا نجده سميكاً مجدولاً. وأخذ الشعراء هذه المسألة؛ ونجد واحداً منهم يصف انشغاله بالحيب وشوقه إليه وصباته به حتى يهزل ويستبد به الضعف.

● قال تعالى: ﴿حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ط ثُمَّ أَتَمُوا الصِّيَامَ إِلَى الْآيِلِ وَلَا تُبْشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾ [البقرة: 187].

قال البغوي⁽⁴⁾: يعني بياض النهار من سواد الليل، سمياً خيطين لأن كل

(1) التفسير الكبير.

(2) النكت والعيون.

(3) تفسير الشعراوي.

(4) معالم التنزيل.

واحد منهما يبدو في الابتداء ممتداً كالخيـط . أنزلت : ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ﴾ [البقرة: 187] ولم ينزل قوله : ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾ فكان رجال إذا أرادوا الصوم ربط أحدهم في رجله الخيـط الأبيض والخيـط الأسود ولا يزال يأكل حتى يتبين له رؤيتهما ، فأنزل الله تعالى بعده ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾ فعلموا إنما يعني بهما الليل والنهار .

عن عدي ابن حاتم قال : «لما نزلت ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ﴾ عمدت إلى عقال أسود وإلى عقال أبيض فجعلتهما تحت وسادتي فجعلت أنظر إليهما في الليل لا يستبين لي ، فغدوت إلى رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له فقال : «إنما ذلك سواد الليل وبياض النهار» . عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال : «إن بلائاً ينادي بليل فكلوا واشربوا حتى ينادي ابن أم مكتوم» قال : «كان ابن أم مكتوم رجلاً أعمى لا ينادي حتى يقال له أصبحت أصبحت» واعلم أن الفجر فجران كاذب وصادق ، فالكاذب يطلع أولاً مستطيلاً كذب السرحان يصعد إلى السماء فبطلوعه لا يخرج الليل ولا يحرم الطعام والشراب على الصائم ، ثم يغيب فيطلع بعده الفجر الصادق مستطيلاً ينتشر سريعاً في الأفق ، فبطلوعه يدخل النهار ويحرم الطعام والشراب على الصائم .

قال الماوردي⁽¹⁾ : ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ﴾ ، فكان رجال إذا أرادوا الصوم ربط أحدهم في رجله الخيـط الأبيض والخيـط الأسود ، فلا يزال يأكل حتى يتبين له رؤيتهما ، فأنزل الله تعالى بعد ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾ ، فعلموا أنه إنما يعني الليل والنهار .

والقول الثاني : أنه يريد بالخيـط الأبيض ضوء النهار ، وهو الفجر الثاني ، وبالخيـط الأسود سواد الليل قبل الفجر الثاني . وروى الشعبي عن عدي بن حاتم : أنه عمد إلى خيـطين أبيض وأسود ، وجعلهما تحت وسادته ، فكان يراعيهما في

(1) النكت والعيون .

صومه، ثم أخبر رسول الله ﷺ فقال: «إِنَّكَ لَعَرِيضُ الْوَسَادَةِ، إِنَّمَا هُوَ بَيَاضُ النَّهَارِ وَسَوَادُ اللَّيْلِ».

وسُمِّيَ خَيْطًا، لأن أول ما يبدو من البياض ممتد كالخيـط، والخيـط في كلامهم عبارة عن اللون.

والثالث: ما حكى عن حذيفة بن اليمان أن الخيـط الأبيض ضوء الشمس، ورويَ كان النبي ﷺ يتسحر وأنا أرى مواقع النبل، قال: قلت بعد الصبح؟ قال: هو الصبح إلا أنه لم تطلع الشمس، وهذا قول قد انعقد الإجماع على خلافه، وقد روى سواده بن حنظلة عن سُمرة بن جندب قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا يَمْنَعَنَّكُمْ مِنْ سُحُورِكُمْ أَذَانُ بِلَالٍ وَلَا الْفَجْرُ الْمُسْتَطِيلُ وَلَكِنَّ الْفَجْرَ الْمُسْتَطِيرَ فِي الْأُفُقِ». وقال النبي ﷺ: «الْفَجْرُ فَجْرَانِ، فَالَّذِي كَأَنَّهُ ذَنْبُ السَّرْحَانِ لَا يُحْرَمُ شَيْئًا، وَأَمَّا الْمُسْتَطِيرُ الَّذِي يَأْخُذُ الْأُفُقَ فَإِنَّهُ يُحِلُّ الصَّلَاةَ وَيُحْرَمُ الطَّعَامَ».



خيـل

(خيـل - خيال - سراب - أسطورة)

- **الخيـل**: اسم للأفراس الذكية جداً والتي توحى لفارسها الخبير بأرقى صور الشهامة والفروسية فيخيل إليه أنه أكثر الناس نخوة وشجاعة كما يقول أحد الفرسان عن فرسه الأصيل:
لو كان يدري ما المحاورة اشتكى ولكن لو علم الكلام مكلمي
أي يشتكي شدة الإرهاق والتعب من صولات فارسه وجولاته.
﴿ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ﴾ [النحل: 8].
- **الخيـال**: الصورة المجردة في المنام أو في المرأة أو في الماء يعيدها العقل الباطن فتكون خيالاً لا حقيقة ﴿ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهُمْ شَاعِروْنَ ﴾ [طه: 66].
- **السـراب**: الماء الوهمي في المفازة ﴿ كَرَّابٍ بَقِيْعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً ﴾ [النور: 39].
- **الأسطـورة**: قصة بطولية خيالية يذكرها الآباء للأطفال لتسليتهم ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَآذًا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ [النحل: 24].



النصوص اللغوية:

قال ابن فارس⁽¹⁾: الخاء والياء واللام أصلٌ واحد يدلُّ على حركةٍ في تلوُّن.

(1) معجم مقاييس اللغة.

فمن ذلك الحَيَالُ، وهو الشَّخص. وأصله ما يتخيَّله الإنسان في منامه؛ لأنَّه يتشبهه ويتلوَّن. ويقال: حَيَّلْتُ للنَّاقة. إذا وضعت لولدها حَيَالاً يَفْرَعُ منه الذُّب فلا يقربُه. والحَيْلُ معروفة. وسمعت من يحكي عن بشر الأسيدي عن الأصمعي قال: كنتُ عند أبي عمرو بن العلاء، وعنده غلامٌ أعرابيٌّ فسئل أبو عمرو: لم سميت الخيلُ خيالاً؟ فقال: لا أدري. فقال الأعرابيُّ: لا خيالها. فقال أبو عمرو: اكتبوا. وهذا صحيح؛ لأنَّ المختالَ في مشيته يتلوَّن في حركته ألواناً. والأخيلُ طائرٌ، وأظنه ذا ألوانٍ، يقال هو الشُّقْرَاق.

والعرب تشاءم به. يقال بعير مَحْيُولٌ، إذا وقع الأخيلُ على عجزه ففَقَّطعه.

ويقال تخيَّلت السَّماء: إذا تهيَّأت للمطر، ولا بدَّ أن يكون عند ذلك تغيُّر لونٍ. والمخيلةُ: السَّحابة. والمخيلةُ التي تعد بمطرٍ. فأما قولهم خيَّلتُ على الرَّجل تَخْيِلاً: إذا وجَّهت التَّهمة إليه، فهو من ذلك؛ لأنَّه يقال: يشبه أن يكون كذا يُخَيَّلُ إليَّ أنَّه كذا، ومنه تخيَّلتُ عليه تخيلاً: إذا تفرَّست فيه.

قال الخليل⁽¹⁾: أَخْوَلُ الرَّجُلُ إذا كان ذا أحوالٍ، فهو مُخَوِّلٌ ومُخَوِّلٌ، وهو كريم الخالٍ أيضاً والخؤولةُ مصدر الخال. والخالُ: بثرةٌ في الوجه تضرب إلى السواد، وجمعه خيلائنٌ. والخالُ: ثوب ناعم من ثياب اليمن، قال: والخالُ: ثوبٌ من ثياب الجهال ويقالُ: رجل خالٌ ومُختالٌ أي: شديد الخيلاء.

والخالُ كالظلع والغمز في الدابة. يقال: خالَ الفرس يخالُ خالاً، والفرس خائلٌ، والخوَلُ: ما أعطاك الله من العبيد والنعم وهؤلاء خوَلٌ لفلان. والخالُ: اللواء، أي: لواؤها.

والأخيلُ: تذكير الخيلاء.

والأخيلُ: طائر يسميه الفرس كاجول، خضرته مشربة حمرة، يتشام به

(1) العين.

لعرب. والأخيل: الشاهين، والجميع: أخايل. والخيال: كل شيء تراه كالظل. وخيالك في المرأة. وهو ما يأتي العاشق أيضاً في النوم على صورة عشيقته. وتقول: تحيل لي الخيال. والحال: الرجل السمع، يشبه بالغميم البارق. وتحيل إلي أي: شبه. والخيال: غيم ينشأ، يُحِيلُ إليك أنه ما طر ثم يعدوك. فإذا أرعد وأبرق فالاسم المَخِيلَةُ، فإذا ذهب غيماً لم يسم مَخِيلَةً وإن لم يمطر سُمِّيَ خُلْباً. وخيلت السماء: أغامت ولم تمطر. وكل خليقٍ لشيء فهو مَخِيلٌ له. ويقال: خيلته خيلاً. ويقال: خيل علينا وتحيل علينا أي: أدخل علينا التهمة وشبهها. وإخال زيداً يكرمك. وتحيل عليك فلان. إذا اختارك وتفرس فيك الخير. ويقال: إن فلاناً مَخِيلٌ للخير، وكل شيء اشتبه عليك فهو مَخِيلٌ، وقد أخال.

وأخالت الناقة فهي مَخِيلَةٌ، إذا كانت حسنة العطل. وإذا كان في ضرعها لبن فهي مَخِيلَةٌ أيضاً. والخيل جماعة الفرس، لم تُؤخذ من واحد مثل التبل والإبل. والتخايل: خيلاء في مهلة.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ﴾ [الأنفال: 60]

قال الزمخشري⁽¹⁾: ﴿وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ﴾ تخصيصاً للخيل من بين ما يتقوى به، كقوله: ﴿وَجَبْرَيْلَ وَمِيكَائِيلَ﴾ [البقرة: 98] وعن ابن سيرين رحمه الله: أنه سئل عن أوصى بثلاث ماله في الحصون؟ فقال: يشتري به الخيل، فترابط في سبيل الله ويغزي عليها، فليل له: إنما أوصى في الحصون.

قال الماوردي⁽²⁾: قوله عز وجل ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ

(2) النكت والعيون.

(1) الكشاف.

الْخَيْلِ ﴿[الأنفال: 60] فيه خمسة أقاويل: أحدها: أن القوة ذكور الخيل، ورباط الخيل إناثها.

والثاني: القوة السلاح.

والثالث: القوة: التصافي واتفاق الكلمة.

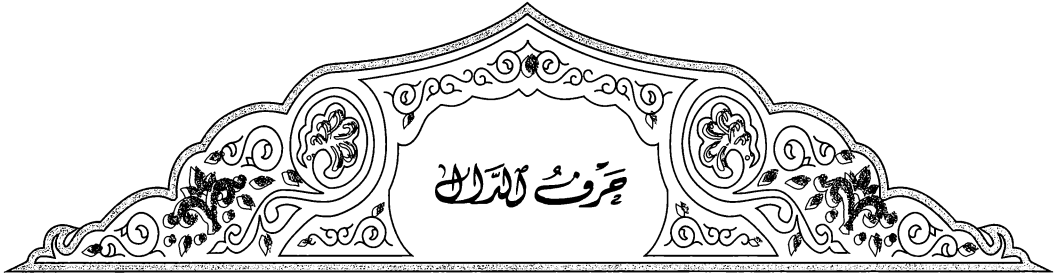
والرابع: القوة: الثقة بالله تعالى والرغبة إليه.

والخامس: القوة: الرمي. روى يزيد بن أبي حبيب قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول على المنبر: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِيَّ قالها ثلاثاً. ﴿وَمِنْ رَبَاطِ الْخَيْلِ﴾ على قول عكرمة إناثها خاصة، وعلى قول الجمهور على العموم الذكور والإناث. وقد روى عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: «ارتبطوا الخيل فَإِنَّ ظُهُورَهَا لَكُمْ عِزٌّ، وَأَجْوَابُهَا لَكُمْ كَنْزٌ».

قال ابن عطية⁽¹⁾: ﴿الْخَيْلِ﴾ والمركوب في الجملة والمحمول عليه من الحيوان والسلاح كله والملابس الباهتة والآلات والنفقات كلها داخله في القوة، وأمر المسلمون بإعداد ما استطاعوا من ذلك، ولما كانت الخيل هي أصل الحروب وأوزارها والتي عقد الخير في نواصيها وهي أقوى القوة وحصون الفرسان خصها الله بالذكر تشريفاً على قوله: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾ [البقرة: 98].



(1) المحرر الوجيز.



دَبّ

(دَبّ - تَسَلَّلَ - خَطَوُ - رَجَلَ -

رَحَفَ - سَعَى - سَلَكَ - سَارَ - انْطَلَقَ)

■ **الدَّبِيبُ:** المشي الخفيف بدون صوت كدبيب النمل ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ﴾ [التور: 45].

■ **التَّسَلَّلَ:** المشي الخفي عن الأنظار عمداً ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَادِعٍ﴾ [التور: 63].

■ **الْخَطُو:** المشي على اتساع ما بين القدمين بانتظام.

■ **الرَّجَلَ:** - بكسر الجيم - الماشي على قدميه ﴿وَإِذْ فِي النَّاسِ بِالْحِجِّ يَأْتُونَكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾ [الحج: 27].

■ **الرَّحَفُ:** مشي الجيش ببطء وصمت وكثافة ﴿إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُلُوهُمُ الْأَدْبَانَ﴾ [الأنفال: 15].

■ **السَّعَى:** المشي السريع دون العَدْوِ لِأَمْرٍ جَادٍ ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا﴾ [البقرة: 205].

■ **السُّلُوكُ:** المشي من أول الطريق إلى آخره والخروج منه ﴿لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾ [نوح: 20].

■ **السَّيْرُ:** المشي السياحيّ المستمر في أنحاء متفرقة من الأرض ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: 109].

■ **الانطلاق:** المشي السريع للمتخلف عن الركب ليلحق بهم ﴿أَنْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ [المُرسلات: 29].



شرح المعاني:

الزَّحْفُ: المشي على غير قوائم، ومنه زحف الجيش لبطء مسيرته كأنه طفل يزحف على مقعده ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُلُوهُمُ الْأَذْبَارَ﴾ [الأنفال: 15]. الزحف هو المشي الخفيف مع البطء بدون صوت.

الْحَطْوُ: الحُطْوَةُ هي المسافة بين القدمين بالمشي، وكل من يمشي ويتوقف يقال له يخطو. الخطى والخطوة هو المشي المتقطع المتوقف ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ [التور: 21] الشيطان يأخذ الناس خطوة.

الدبيب: إذا أنهى الطفل مرحلة الزحف جاءت مرحلة الدبيب بخفة وبدون صوت كما تدبّ بعض الحيوانات بشكل بطيء رتيب بلا صوت ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [هود: 6]، وكل من يدبّ على الأرض فهو دابة. ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّىٰ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَأَبْتَ اللَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾ [فاطر: 45].

المشي: هو قانون التحرك للأحياء، وهو الحركة الرتيبة التلقائية للانتقال من مكان إلى مكان (من غرفة إلى غرفة مثلاً) ويسمى مشياً ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا

يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿45﴾ [التور: 45]، أما إذا سِرَّتْ من وحدة إلى وحدة أو من مدينة إلى مدينة يقال سار.

السَّعي: عندما يبلغ الطفل 15 إلى 20 سنة يبدأ بالسعي بالجِدِّ والنشاط ولهدف معيَّن ﴿فَمَا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَىٰ قَالَ يَبْنَؤُا إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَتَّبِعُ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الصافات: 102]، كان إسماعيل عليه السلام طفلاً زحف وخطا ودَبَّ ومشى ثم أصبح سعيًا. فالمشي رتيب، أما السعي فله هدف معيَّن ويحتاج إلى نشاط وقوة ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ [البقرة: 205] ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ [الإسراء: 19].

السير: هو الانتقال من وحدة إلى وحدة أو من بلد إلى بلد. قال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ [القصاص: 29] من مدين إلى مصر. وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَىٰ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا قُرَىٰ ظَاهِرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّبِيحَ سِيرُوا فِيهَا لِيَالِي وَيَأْمَأْ آمِنِينَ﴾ [سبأ: 18] ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [العنكبوت: 20] ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ﴾ [الرؤم: 42] ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [النمل: 69] ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ [الأنعام: 11].

الانطلاق: كل من يمشي أو يدب أو يسير أو يخطو أو يزحف يبدأ رتيباً ثم تزداد حركته حتى يسرع، أما إذا كان عندك شيء مهم جداً فأنت تقفز قفزة هائلة وتبدأ من أول خطواتك بنشاط وسرعة يقال: انطلق. السجين الذي حُبس فترة من الزمن ثم أفرج عنه ينطلق إلى خارج السجن ولا يمشي مشياً.

السُّلوك: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾ [المدثر: 42] السلوك هو الإقحام في أضيق

مكان، من هنا جاءت كلمة السلك كأن تدخل خيطاً في مسبحة أو خرز أو إبرة هذا السلك أدخلته في مكان ضيق، لم يقل تعالى: ما أدخلكم في سقر ولكن قال تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾ [المدثر: 42]؛ لأن الدخول إلى جهنم في غاية الضيق والإقحام ﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّبِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ [الفرقان: 13] ﴿يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً﴾ [الطور: 13]. وقال تعالى: ﴿أَسْأَلُكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ عَيْرٍ سُوءٍ﴾ [القصص: 32].

التَّسَلُّلُ: المشي في اختفاء بحيث لا يراك أحد ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْتَلُونَكُمْ مِنْكُمْ لُوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التور: 63].

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس⁽¹⁾: الدال والباء أصلٌ واحد صحيح مُنْقَاسٌ، وهو حركةٌ على الأرض أخفٌ من المشي. تقول: دَبَّ دَبِيبًا. وكلُّ ما مَشَى على الأرض فهو دَابَّةٌ. وفي الحديث: «لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ دَبُّوبٌ وَلَا قَلَّاعٌ». يُرَادُ بِالذَّبُّوبِ النَّمَامُ الَّذِي يَدِبُ بَيْنَ النَّاسِ بِالنَّمَائِمِ. وَالْقَلَّاعُ: الَّذِي يَشِي بِالْإِنْسَانِ إِلَى سُلْطَانِهِ لِيَقْلَعَهُ عَنْ مَرْتَبَةٍ لَهُ عِنْدَهُ. وَيُقَالُ: نَاقَةٌ دَبُّوبٌ، إِذَا كَانَتْ لَا تَمْشِي مِنْ كَثَرَةِ اللَّحْمِ إِلَّا دَبِيبًا. وَيُقَالُ: مَا بِالْدارِ دَبِّيٌّ وَدَبِّيٌّ، أَي: أَحَدٌ يَدِبُّ. وَيُقَالُ: طَعَنَةُ دَبُّوبٌ، إِذَا كَانَتْ تَدِبُّ بِالْدمِّ. قال الهذلي: وَيُقَالُ رَكِبَ فُلَانٌ دَبَّةً فُلَانٍ، وَأَخَذَ بِدَبَّتِهِ، إِذَا فَعَلَ مِثْلَ فِعْلِهِ، كَأَنَّهُ مَشَى مِثْلَ مَشِيهِ. وَالدَّبَّاءُ: القَرْعُ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ شَادًّا، وَمُحْتَمَلٌ أَنْ يَكُونَ سَمِّيَ بِذَلِكَ لِمَلَاستِهِ، كَأَنَّهُ يَخْفُفُ إِذَا دُحِرَجَ. وَأَمَّا الدَّبُّبُ فِي الشَّعْرِ فَمِنْ بَابِ الإِبْدَالِ؛ لِأَنَّ الدالَّ فِيهِ مَبْدَلَةٌ مِنْ زاي. وَالْأدْبَبُ مِنَ الإِبْلِ: الأزْبُ.

(1) معجم مقاييس اللغة.

وفي الحديث - إن صحَّ - : «أَيُّتُكُنَّ صَاحِبَةُ الْجَمَلِ الْأَدْبَبِ». وأمَّا الدَّبُّوبُ، فيقال إنَّه الغار البعيد القَعْرُ.

قال الجوهري⁽¹⁾: دَبَّ عَلَى الْأَرْضِ يَدِبُّ دَبِيْبًا. وكلُّ ماشٍ عَلَى الْأَرْضِ دَابَّةٌ ودَيْبٌ. والدابة: التي تُرْكَبُ. ودابَّةُ الْأَرْضِ: أحدُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ. وقولهم أَكْذَبُ مَنْ دَبَّ وَدَرَجَ أَي: أَكْذَبَ الْأَحْيَاءَ وَالْأَمْوَاتِ. وَدَبَّ الشَّيْخُ، أَي: مَشَى مَشِيًّا رَوِيدًا. وَأَدْبَيْتَ الصَّبِيَّ، أَي: حَمَلْتَهُ عَلَى الدَّيْبِ. وَيُقَالُ: مَا بِالْدارِ دُبِّيٌّ وَدَيْبِيٌّ، أَي أَحَدٌ. وَدَبَبُ الْوَجْهِ: زَعْبُهُ. وَالدُّبُّ مِنَ السَّبَاعِ، وَالْأُنْثَى دُبَّةٌ. وَأَرْضٌ مَدَبَّةٌ، أَي ذاتِ دِبْبَةٍ. وَمَدِبُّ السَّيْلِ وَمَدَبَّةٌ: مَوْضِعُ جَرِيهِ. يُقَالُ: تَنَحَّ عَنْ مَدِبِّ السَّيْلِ وَمَدَبِّهِ، وَمَدِبُّ النَّمْلِ وَمَدَبِّهِ، فَالاسْمُ مَكْسُورٌ وَالْمَصْدَرُ مَفْتُوحٌ. وَالدَّبَّةُ الَّتِي لِلدَّهْنِ. وَالدَّبَّةُ أَيضًا: الْكَثِيبُ مِنَ الرَّمْلِ. وَدَبَبْتُ دِبَّةً خَفِيَّةً. وَالدَّبَّةُ بِالضَّمِّ: الطَّرِيقُ. يُقَالُ: دَعْنِي وَدَبَّتِي، أَي: دَعْنِي وَطَرِيقَتِي وَسَجِيَّتِي. وَنَاقَةٌ دَبُوبٌ: لَا تَكَادُ تَمْشِي مِنْ كَثْرَةِ لَحْمِهَا، إِنَّمَا تَدِبُّ. وَتَقُولُ: فَعَلْتُ كَذَا مِنْ شُبِّ إِلَى دُبِّ، وَإِنْ شَتَّ نَوْنَتْ، أَي مِنْ الشَّبَابِ إِلَى أَنْ دَبَبْتُ عَلَى الْعَصَا.

قال الراغب⁽²⁾: الدَّبُّ والدَّيْبُ: مَشْيٌ خَفِيفٌ، وَيَسْتَعْمَلُ ذَلِكَ فِي الْحَيَوانِ، وَفِي الْحَشْرَاتِ أَكْثَرَ، وَيَسْتَعْمَلُ فِي الشَّرَابِ وَالْبَلَى (يُقَالُ: دَبَّ الْبَلَى فِي الثَّوبِ، أَي: سَرَى)، وَنَحْوَ ذَلِكَ مِمَّا لَا تَدْرِكُ حَرَكَتَهُ الْحَاسَةَ، وَيَسْتَعْمَلُ فِي كُلِّ حَيَوانٍ وَإِنْ اخْتَصَّتْ فِي التَّعَارِفِ بِالْفَرَسِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ﴾ [النُّور: 45].

وقيل: إنها حيوان بخلاف ما نعرفه يختص خروجها بحين القيامة، وقيل: عنى بها الأشرار الذين هم في الجهل بمنزلة الدواب، فتكون الدابة جمعاً لكل شيء يدب، نحو: خائنة جمع خائن، وقوله: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الأنفال: 22] فإنها عام في جميع الحيوانات، ويقال: ناقة دَبُوبٌ: تدب في مشيها لبطئها، وما بالدار دِبِّيٌّ، أَي: مِنْ يَدِبُّ، وَأَرْضٌ مَدُوبَةٌ: كَثِيرَةٌ ذَوَاتُ الدَّيْبِ فِيهَا.

(2) مفردات الراغب.

(1) الصحاح في اللغة.

المعنى المشترك لكلمة (د ب ب):

وقد وردت كلمة (دبب) في القرآن الكريم على أربعة أوجه:

الوجه الأول: الدَّابَّةُ هي الأَرْضُ ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ﴾ [سَبَأ: 14].

الوجه الثاني: الدَّابَّةُ يعني الخَلْقُ العظيم وهي التي تخرج آخر الزمان ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل: 82].

الوجه الثالث: الدَّوَابُّ ما خلا الناس والأنعام ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَأَلْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ كَذَلِكَ﴾ [فَاطِر: 28].

الوجه الرابع: الدَّابَّةُ ما دَبَّ على وجه الأرض ﴿وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ﴾ [الشورى: 29].



في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ﴾ [النور: 45].

قال الفخر الرازي⁽¹⁾: اعلم أن هذا هو النوع الثالث من الدلائل على الوجدانية؛ وذلك لأنه لَمَّا استدل أولاً بأحوال السماء والأرض وثانياً بالآثار العلوية استدل ثالثاً بأحوال الحيوانات. لِمَ قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ﴾ مع أن كثيراً من الحيوانات غير مخلوقة من الماء؟ أمّا الملائكة فهم أعظم الحيوانات عدداً وهم مخلوقون من النور، وأما الجن فهم مخلوقون من النار،

(1) التفسير الكبير.

وخلق الله آدم من التراب لقوله: ﴿خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾ [آل عمران: 59] وخلق عيسى من الريح لقوله: ﴿فَنفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾ [التحریم: 12] وأيضاً نرى أن كثيراً من الحيوانات متولد لا عن النطفة. والجواب من وجوه:

أحدها: (وهو الأحسن) ما قاله القفال أن قوله: ﴿مِنْ مَاءٍ﴾ صلة كل دابة وليس هو من صلة خلق، والمعنى أن كل دابة متولدة من الماء فهي مخلوقة لله تعالى. وثانيها: أن أصل جميع المخلوقات الماء على ما يروى «أول ما خلق الله تعالى جوهرة فنظر إليها بعين الهيبة فصارت ماء ثم من ذلك الماء خلق النار والهواء والنور»، ولما كان المقصود من هذه الآية بيان أصل الخلقة وكان الأصل الأول هو الماء لا جرم ذكره على هذا الوجه. وثالثها: أن المراد من الدابة التي تدب على وجه الأرض ومسكنهم هناك فيخرج عنه الملائكة والجن، ولما كان الغالب جداً من هذه الحيوانات كونهم مخلوقين من الماء، إما لأنها متولدة من النطفة، وإما لأنها لا تعيش إلا بالماء لا جرم أطلق لفظ الكل تنزيلاً للغالب منزلة الكل.

قال الماوردي⁽¹⁾: فيه قولان: أحدهما: أن أصل الخلق من ماء ثم قلب إلى النار فخلق منها الجن، وإلى النور فخلق منها الملائكة، وإلى الطين فخلق منه من خلق وما خلق.

الثاني: أنه خالق كل دابة من ماء النطفة.

● قال تعالى: ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ﴾ [البقرة: 164].

قال البيضاوي⁽²⁾: عطف على «أنزل»، كأنه استدل بنزول المطر وتكوين النبات به وبث الحيوانات في الأرض، أو على «أحيا» فإن الدواب ينمون بالخصب ويعيشون بالحياة. والبث: النشر والتفريق.

(2) أنوار التنزيل.

(1) النكت والعيون.

قال أبو السعود⁽¹⁾: ﴿مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ﴾ من العقلاء وغيرهم، والجملة معطوفة على (أنزل) داخلة تحت حكم الصلة، وقوله تعالى: فأحيا... إلخ متصل بالمعطوف عليه بحيث كانا في حكم شيء واحد، كأنه قيل: وما أنزل في الأرض من ماءٍ وبثَّ فيها... إلخ، أو على أحيا بحذف الجار والمجرور العائد إلى الموصول.

● قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: 6].

قال الفخر الرازي⁽²⁾: اعلم أنه تعالى لمَّا ذكر في الآية الأولى أنه ﴿يَعْلَمُ مَا يُرْسُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [البقرة: 77] أردفه بما يدل على كونه تعالى عالماً بجميع المعلومات، فثبت أن رزق كل حيوان إنما يصل إليه من الله تعالى، فلو لم يكن عالماً بجميع المعلومات لما حصلت هذه المهمات.

قال الرَّجَّاج: الدَّابَّة اسمٌ لكلِّ حيوان، لأن الدابة اسم مأخوذ من الدبيب، وبنيت هذه اللفظة على هاء التأنيث، وأطلق على كل حيوان ذي روح ذكراً كان أو أنثى، إلا أنه بحسب عرف العرب اختص بالفرس، والمراد بهذا اللفظ في هذه الآية الموضوع الأصلي اللغوي فيدخل فيه جميع الحيوانات، وهذا متفق عليه بين المفسرين، ولا شك أن أقسام الحيوانات وأنواعها كثيرة، وهي الأجناس التي تكون في البر والبحر والجبال، والله يحصيها دون غيره، وهو تعالى عالم بكيفية طبائعها وأعضائها وأحوالها وأغذيتها وسمومها ومساكنها، وما يوافقها وما يخالفها، فالإله المدبر لإطباق السموات والأرضين، وطبائع الحيوان والنبات؛ كيف لا يكون عالماً بأحوالها؟ روي أن موسى ﷺ عند نزول الوحي إليه تعلق قلبه بأحوال أهله، فأمره الله تعالى أن يضرب بعصاه على صخرة فانشقت وخرجت صخرة ثانية، ثم ضرب بعصاه عليها فانشقت وخرجت صخرة ثالثة، ثم ضربها

(1) إرشاد العقل السليم.

(2) التفسير الكبير.

بعصاه فانشقت فخرجت منها دودة كالذرة وفي فمها شيء يجري مجرى الغذاء لها، ورفع الحجاب عن سَمْعِ موسى ﷺ فسمع الدودة تقول: سبحان من يراني، ويسمع كلامي، ويعرف مكاني، ويذكرني ولا ينساني.

● قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ [الأنعام:

.38].

قال الشعراوي⁽¹⁾: إنه سبحانه يوضح لنا: أنا أعطي الآيات التي أعلم أن الفطرة السليمة تستقبلها كآية وتؤمن بها. وأنزلت لكم القرآن لتؤمنوا بالرسول الذي يحمله منهجاً يصلح حياتكم. وقد جعلتكم سادة للكون، تخدمكم كل الكائنات، لأنكم بنو آدم. وكان الأجدر بكم أن تنتبهوا إلى أن الحيوان في خدمتكم، والنبات في خدمة الحيوان وخدمة الإنسان، وكل كائنات الوجود تصب جهدها المسخر لخدمتكم. فإذا كنتم قد جنتم للأجناس كلها وجعلتها دونكم وأعطيتها ما يصلحها وقيمها ووضعت لها نظاماً، وأعطيتها من الغرائز ما يكفي لصلاح أمرها حتى تؤدي مهمتها معكم على صورة تريحكم، فإذا كان هذا هو شأننا وعملنا مع من يخدمكم فكيف يكون الحال معكم؟ إنني أنزلت المنهج الذي يُصلح حياة من استخلفته سيدياً في الأرض.

﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمٌّ أُمَّتُكُمْ مَّا قَرَّبْنَا فِي الْأَكْتَابِ مِنْ شَيْءٍ نُرَّ إِلَيْنَ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: 38].

وكل الدواب دون الإنسان، أعطاهما الإله الإيمان بالفطرة، وهداها إلى الرزق بالغريزة. وميّز الإنسان فوق كل الكائنات بالعقل، ولكن الإنسان يستخدم عقله مرة استخداماً سليماً صحيحاً فيصل إلى الإيمان، ويستخدمه مرة استخداماً سيئاً فيضل عن الإيمان. وكان على الإنسان أن يعلم أنه تعلم محاكاة ما دونه من الكائنات؛ فقاويل تعلم من الغراب كيف يوارى سوءة أخيه. ومصمم الطائرات

(1) تفسير الشعراوي.

تعلم صناعة الطيران من دراسة الطيور. إذن كان يجب أن يتعلم الإنسان أن له خالقاً جعل له من الأجناس ما تخدمه ليطور من حياته ومن رعاية كرامته بعد الموت.

● قال تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الأنفال: 22].

قال الألويسي⁽¹⁾: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ﴾ استئناف مسوق لبيان كمال سوء حال المشبه بهم مبالغة في التحذير وتقريراً للنهي إثر تقرير، والدواب جمع دابة، والمراد بها إما المعنى اللغوي أو العرفي، أي إن شر من يدب على الأرض أو شر البهائم ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي في حكمه وقضائه.

قال البغوي⁽²⁾: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ﴾، أي: شرّ من دبّ على وجه الأرض [من خلق الله].

قال الفخر الرازي⁽³⁾: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ أَلْضَمُّ الْبُكْمِ الَّذِينَ لَا يَعْقُلُونَ﴾ واختلّفوا في الدواب، فقيل: شبههم بالدواب لجهلهم وعدولهم عن الانتفاع بما يقولون. ويقال لهم: ولذلك وصفهم بالصم والبكم وبأنهم لا يعقلون. وقيل: بل هم من الدواب لأنه اسم لما دبّ على الأرض ولم يذكره في معرض التشبيه، بل وصفهم بصفة تليق بهم على طريقة الدم، كما يقال لمن لا يفهم الكلام، هو شبح وجسد وطلل على جهة الدم.



(3) التفسير الكبير.

(1) روح المعاني.

(2) معالم التنزيل.

دُبْر

(دُبْر - خَلْف - آخِر - عَقِب - قَفَا - وَرَاء)

- الدُّبْر: الذي يلي مؤخرة الشيء مباشرة ﴿فَسَبَّحَهُ وَيَذْبَرُ النُّجُورَ﴾ [الطور: 49].
- الخَلْف: ضد الأمام المباشر ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ [البقرة: 255].
- الأخر: بالكسر - ضد الأول ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ [النحل: 30].

- العقب: ضد القدام ﴿أَنْقَلَبْتُمْ عَلَيَّ أَعْقَابِكُمْ﴾ [آل عمران: 144].
- القفا: ضد الوجه ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: 36].
- الورا: ضد الأمام البعيد ﴿وَمِنْ وَرَائِهِ إِسْحَاقُ يَعْقُوبَ﴾ [هود: 71].



شرح المعاني:

الدُّبْر: ﴿وَمِنْ أَلْيَلٍ فَسَبَّحَهُ وَأَذْبَرَ السُّجُودَ﴾ [ق: 40] تأتي عندما يكون الشيء وراء الشيء مباشرة مرة واحدة ومنقطعاً عما بعده. يقال صليت دُبْر الأذان أي: مباشرة بعد الأذان، ما إن انتهى الأذان قمت فصليت وانتهت الصلاة ولم يعد لها وجود ممتد على الزمن الآتي، وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ أَلْيَلٍ فَسَبَّحَهُ﴾ يتكلم عن ركعتي سنة المغرب، ما إن تنتهي من فريضة المغرب حتى تصلي مباشرة بعدها السُّنَّة فتصلي ركعتي السُّنَّة بعد ثلاث ركعات فرض صلاة المغرب مباشرة بدون انقطاع وبدون فاصلة زمنية أو فجوة زمنية ثم ينتهي الأمر عند هذا الحد.

الخَلْف: خلفك زمن ممتد قد يكون بعد ساعة أو ساعتين أو أكثر، يقال:

جئت خلفك أو خلف مجيئك أي أن الزمن ممتد لساعات أو أكثر، أما لو قلت: جئت دُبُر مجيئك أي مباشرة بعد مجيئك وانتهى المجيء مرة واحدة. قال تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَفْلُونَ﴾ [يونس: 92] خلفك تعني زمناً ممتداً، عندما جعل الله تعالى فرعون آية في الأزمنة التالية إلى يوم القيامة فكل الأجيال ترى في بقاء جثة فرعون آية عرضة للنظر والتفتيش. فالخلف ممتد والدُبُر مقطوع محدود، والدُبُر متصل والخلف قد يكون هناك فسحة. واشتق التخلف من خلف ولا يقال للتخلف تخلفاً إلا عندما يمتد، فلا نقول لطالب رسب مرة واحدة أنه متخلف، أما إذا رسب أعوام عديدة فيقال له متخلف.

وهناك فرق بين خَلَفَ أي من يأتي بعدك وخَلْفَ بتسكين اللام وهي تعني الجهة.

الوراء: فوراء هو البعد المحيط بك إحاطة كاملة، والشيء الذي وراءك مسيطر جداً ومحيط وله امتداد هائل. قال تعالى: ﴿وَأَمْرًا تُهَيِّئُ فَأَيَّمُ الْفِئَمَةِ فَعَلِمَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: 71] لم يقل من بعد إسحق لأنه لا مقارنة بين يعقوب وإسحق؛ فإسحق رجل مغمور أما يعقوب فملاً الدنيا هو وأولاده، وهم حديث الدنيا منذ وُلِدَ يعقوب قبل الإسلام بألفي عام إلى يوم القيامة، وحديث بني إسرائيل يشغل الدنيا كلها، فأهمية يعقوب بعد إسحق عظيمة. وكل كلمة «وراء» في القرآن يأتي وراءها شيء عظيم هائل ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُجِبُونَ الْعَجَلَةَ وَيَدْرُونَ وِرَاءَهُمْ يَوْمًا نَقِيلًا﴾ [الإنسان: 27] ذلك الفرع الأكبر أي: هول مسيطر عليك يمشي وراءك كأجلك ويقول عليه الصلاة والسلام: «إن الرزق ليجري وراء أحدكم كما يجري وراءه أجله» فكل كلمة «وراء» معناها كبير ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَنُفِّخَنَّ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا آسَلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ [النساء: 102].

بعد: ﴿رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل

عمران: 8] لا تقال «بعد» للأشخاص وإنما تستعمل في أنها تأتي بحدث بعد حدث، يقال نجحت بعد أن درست أو شبت بعد أن أكلت، هذه البعدية لا تأتي إلا لحدث بعد حدث، ففي الآية الزيع حدث والهداية حدث.

كل هذه المنظومة إذا جاءت قبلها (من) تعطي معنى مختلفاً. يقال: نسيت بعد أن تعلّمت تعني نسيت بعد التعلّم بعشرين سنة مثلاً أو بعدما كبر، لكن إذا قلنا: نسيت من بعد أن تعلمت فهي تعني نسيت من أول يوم. قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يُوَفِّقُكُمْ وَيُنَكِّرُكُمْ مَنْ يُرِيدُ إِلَيْكُمْ أَزْدِلُ إِلَيْكُمْ أَلْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [التحل: 70] تعني كل ما تعلّمته نسيت، وقال تعالى: ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ [الحج: 5] كل ما تتعلمه الآن لا تفهمه من البداية، فقد تكون طعنت في السنّ وخرّفت ولم يعد لك قدرة على تعلّم شيء جديد لكن ما تعلمته سابقاً يبقى فتذكره. وقال تعالى: ﴿وَلَكِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: 145] إذا اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك الوحي مباشرة تكون من الظالمين. وقوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: 120] بقيت مستمراً للنهية إلى أن متّ وأنت على هذا ما لك من الله من ولي ولا نصير. ومن هذا يتبين لنا أنه ليس في القرآن حرف زائد أو حركة زائدة كما يقول بعض المفسرين، فكل حرف وكل حركة فيها دلالة على تغيير الصورة والمعنى.

العقب: نتيجة لزومية، أنت ترتوي عقب شربك وتشبع عقب أكلك وتنام عقب تعبك. الشيء لزوم الشيء، فالعقب شيء يأتي بعد شيء وهو من لوازمه ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف: 28] الإنسان يتزوج ويأتيه أولاد، هؤلاء الأولاد بعده لكنهم من لوازمه. يقال: أنا نجحت بعد دراسة سنتين وقد لا أنجح. العقب لا بد أن يأتي، ما دمت تزوجت وحملت زوجتك فالعقب لا بد أن يأتي. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِعَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَدْرَهُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: 22] بما أنك

في هذه الدار فمن لوازمها أن هناك داراً آخرة ستأتي عقب هذه الدار لأنها من لزومياتها ولا احتمال في عدم وصولك إليها؛ لهذا لم يستعمل (وراء أو بعد أو خلف)، فكما أن ابنك عقبك لزوماً فالدار الآخرة عقب الدنيا لزوماً. وكلمة عقب أعجوبة العجائب وعندنا عَقِبَ وَعُقِبَ وَعُقِبَ وكل منها تعني شيئاً مختلفاً:

يقال: صُمْتُ عَقِبَ شَعْبَانَ بكسر القاف، تعني أنك صمت آخر يومين من شعبان 29 و30 بمعنى الشيء النهائي.

ويقال: صمت عَقِبَ شَعْبَانَ بتسكين القاف، تعني أنك صمت أول يوم من رمضان مباشرة بعد شعبان.

ويقال: صمت عَقِبَ شَعْبَانَ بضم القاف، هذا الصوم ممتد ويمكن أن تصوم بعد شعبان بأربعة أشهر مثلاً.

قال تعالى: ﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ [الكهف: 44] أي: مباشرة بعد أن تموت من ساعة أن تغرغر يتصرف الله تعالى معك لأنه خير ثواباً وخير عقباً.

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس⁽¹⁾: الدال والباء والراء. أصل هذا الباب أن جُلِّه في قياس واحد، وهو آخر الشيء وخلفه خلاف قبيله.

وتشدد عنه كلمات يسيرة نذكرها. فمعظم الباب أن الدُبُرَ خلاف القُبُل. والدَّبِير: ما أدبَرَتْ به المرأة من غزلها حين تفتله. قال ابن السكيت: القَبِيل من القَتْل: ما أقبلت به إلى صدرك، والدَّبِير: ما أدبَرَتْ به عن صدرك. ودابرة الطائر:

(1) معجم مقاييس اللغة.

الإصبع التي في مؤخر رجله. وتقول: جعلتُ قوله دُبْرٌ أذني، أي: أغضيتُ عنه وتصاممتُ. ودبّر النهارُ وأدبّر، وذلك إذا جاء آخره، وهو دُبْرُه. ودبّرتُ الحديثَ عن فلانٍ، إذا حدّثتَ به عنه، وهو من الباب؛ لأنّ الآخر المحدثُ يدبّر الأوّل يجيء خلفه. ودابرة الحافر: ما حاذى مؤخر الرُسغ. وقطعَ الله دابِرهم، أي آخِر مَنْ بَقِيَ منهم. والدّابِر من السّهام: الذي يخرج من الهدف، كأنه ولى الرّامي دُبْرُه، وقد دبّر يدبّر دُبوراً. والدّبران: نجمٌ، سمّي بذلك لأنّه يدبّر الثّريا. ودابّرتُ فلاناً: عاديتُه. وفي الحديث: «لا تدابّروا»، وهو من الباب، وذلك أن يترك كلُّ واحدٍ منهما الإقبالَ على صاحبه بوجهه. والتدبير: أن يدبّر الإنسان أمره، وذلك أنّه ينظر إلى ما تصير عاقبته وآخِرُه، وهو دُبْرُه. والتدبير: عتق الرّجل عبده أو أمته عن دُبْر، وهو أن يعتق بعد موت صاحبه، كأنه يقول: هو حرٌّ بعد موتي. ورجلٌ مقابلٌ مدابّرٌ، إذا كان كريمَ النّسب من قبيل أبويه؛ ومعنى هذا أن من أقبل منهم فهو كريمٌ، ومن أدبّر منهم فكذلك. والمدابرة: الشاة تُشقُّ أذنّها من قبل ففاها. والدّابِر [من] القِداح: الذي لم يخرج؛ وهو خلاف الفائز، وهو من الباب؛ لأنّه ولى صاحبه دُبْرُه. والدّابِر التابع، يقال: دبّر دُبوراً، وعلى ذلك يفسّر قوله جلّ ثناؤه: ﴿وَأَيْلِيلٌ إِذْ أَدْبَرَ﴾ [المدثر: 33]، يقول: تبع النّهار. ودبّر بالقمار، إذا ذهب به. ويقال: ليس لهذا الأمرِ قبلةٌ ولا دِبْرَةٌ، أي ليس له ما يقبلُ به فيعرف ولا يدبّر به فيعرف. ورجلٌ أدابّر: يقطع رحمة؛ وذلك أنّه يدبّر عنها ولا يقبلُ عليها.

والدّبور: ريحٌ تُقبلُ من دُبْرِ الكعبة. والدّابرة: ضربٌ من أخذ الصّرع. قال أبو زيد: يقال «هو لا يصلي الصّلاة إلّا دبّرياً»، والمحدثون يقولون: دُبّرياً؛ وذلك إذا صلّاها في آخر وقتها، يريد وقد أدبّر الوقت. وأما الكلمات الأخرُ فأراها شاذّةً عن الأصل الذي ذكرناه، وبعضها صحيح. فأما المشكوك فيه فقولهم: إنّ دُبّاراً اسمُ يوم الأربعاء، وإنّ الجاهليّة كذا كانوا يسمّونه. وفي مثل هذا نظرٌ. وأمّا الصّحيح فالدّبّار، وهي المَشَارَات من الزّرع. قال بشرٌ: ومن ذلك الدّبّر، وهو المال الكثير؛ يقال مالٌ دِبْرٌ، ومالان دِبْرٌ، وأمواًلٌ دِبْرٌ.

قال الفيروزآبادي⁽¹⁾: الدُّبْرُ، بالضم وبضمّتين: نقيضُ القُبْلِ، والدبر من كُلِّ شيءٍ: عَقْبُهُ ومؤخَّرُهُ. وَجِئْتُكَ دُبْرَ الشَّهْرِ، وفيه، وعليه، وأدْبَارُهُ، وفيها: أي: آخرُهُ، والأسْتُ، والظَّهْرُ، وزَاوِيَةُ البَيْتِ، وبالفتح: جماعةُ النَّحْلِ والزَّنَابِيرِ، ويكسُرُ فيهما، أدْبُرٌ ودُبُورٌ، ومَشَارَاتُ المَزْرَعَةِ، كالدُّبَارِ، بالكسر، واحِدُهُما: بهاءٍ، وأولادُ الجرادِ، ويكسُرُ، وخَلْفُ الشيءِ، والموتُ، والجبلُ، ومنه حديثُ النَّجَاشِيِّ: «ما أَحِبُّ أنَّ لي دَبْرًا ذَهَبًا، وأني أَدَيْتُ رجلاً من المسلمين»، ورُقَادُ كُلِّ ساعةٍ، والالْتِتَابُ، وقِطْعَةٌ تَعْلُظُ في البَحْرِ كالجَزِيرَةِ، يَعْلوها الماءُ، وَيَنْضُبُ عنها، والمالُ الكثيرُ، ويكسُرُ، ومُجَاوِزَةُ السَّهْمِ الهَدَفِ، كالدُّبُورِ. وَجَعَلَ كَلَامَكَ دَبْرًا أذْنَهُ: لم يُضغِ إليه، ولم يُعْرَجِ عليه.

والدَّبْرَةُ: نقيضُ الدَّوْلَةِ، والعاقِبَةُ، والهَزِيمَةُ في القِتَالِ، والبُقْعَةُ تُزْرَعُ، وبالكسرِ: خِلافُ القِبْلَةِ. ومالُهُ قِبْلَةٌ ولا دِبْرَةٌ، أي: لم يَهْتَدِ لِجِهَةِ أمرِهِ، وبالتحريكِ: قَرَحَةُ الدَّابَّةِ دَبْرٌ وأدْبَارٌ، دَبْرٌ، كَفَرَحٌ، وأدْبَرٌ، فهو دَبْرٌ.

المعنى المشترك لكلمة (د ب ر)

وقد وردت كلمة (دبر) في القرآن الكريم على ستة أوجه:

الوجه الأول: الأدبار يعني الظهور ﴿فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ﴾ [الأنفال: 15].

الوجه الثاني: الأدبار يعني أديان آبائهم الباطلة ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَرْتَدُوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ﴾ [محمّد: 25].

الوجه الثالث: الأدبار يعني عقيب الشيء ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَيَّحُهُ وَأَدْبَرَ السُّجُودِ﴾ [ق: 40].

الوجه الرابع: أدبر أي ذهب ﴿وَأَيُّلِ إِذْ أَدْبَرَ﴾ [المدن: 33].

الوجه الخامس: دابّرهم يعني غابرههم وآخرههم ﴿فَقَطَعَ دَابِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [الأنعام: 45].

(1) القاموس المحيط.

الوجه السادس: التدبر يعني التفكير ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ [محمد: 24].

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُلُوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَنْ يُؤْلِمِهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبْرُهُ﴾ [الأنفال: 15-16].

قال الفخر الرازي⁽¹⁾: ومعنى ﴿فَلَا تُلُوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾ أي لا تجعلوا ظهوركم مما يليهم. ثم إنه تعالى لما نهى عن هذا الانهزام بيّن أن هذا الانهزام محرم إلا في حالتين: إحداهما: أن يكون متحرفاً للقتال، والمراد منه أن يخيل إلى عدوه أنه منهزم، ثم ينعطف عليه، وهو أحد أبواب خدع الحرب ومكايدها، يقال: تحرف وانحرف إذا زال عن جهة الاستواء والثانية التحيز. . .

﴿وَمَنْ يُؤْلِمِهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبْرُهُ﴾ إلا في هاتين الحالتين، فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير.

قال ابن عطية⁽²⁾: والعبارة بالدبر في هذه الآية متمكنة الفصاحة، لأنها بشعة على الفارّ ذامة له، وقرأ الجمهور «دُبْرُه» بضم الباء، وقرأ الحسن بن أبي الحسن «دِبْرُه» بسكون الباء، واختلف المتأولون في المشار إليه بقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ فقالت فرقة الإشارة إلى يوم بدر وما وليه، وفي ذلك اليوم وقع الوعيد بالغضب على من فرّ، ونسخ بعد ذلك حكم الآية بآية الضعف، وبقي الفرار من الزحف ليس بكبيرة وقد فرّ الناس يوم أحد فعفا الله عنهم، وقال فيهم يوم حنين: ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ﴾ [التوبة: 25] ولم يقع على ذلك تعنيف.

(2) المحرر الوجيز.

(1) التفسير الكبير.

● قال تعالى: ﴿وَأَدْبَرَ السُّجُودِ﴾ [ق: 40].

قال الزمخشري⁽¹⁾: ﴿وَأَدْبَرَ السُّجُودِ﴾ التسبيح في آثار الصلوات، والسجود والركوع يعبر بهما عن الصلاة. وقيل: النوافل بعد المكتوبات. وعن علي رضي الله عنه: الركعتان بعد المغرب. وروي عن النبي ﷺ: «من صلى بعد المغرب قبل أن يتكلم كتبت صلاته في عليين». وعن ابن عباس رضي الله عنهما: الوتر بعد العشاء. والأدبار: جمع دبر. وقرئ: «وأدبار» من أدبرت الصلاة إذا انقضت وتمت. ومعناه: ووقت انقضاء السجود، كقولهم: آتيك خفوق النجم.

قال الطبري⁽²⁾: ﴿وَأَدْبَرَ السُّجُودِ﴾ [ق: 40] يقول: سبح بحمد ربك أدبار السجود من صلاتك.

واختلف أهل التأويل في معنى التسبيح الذي أمر الله نبيه أن يسبحه أدبار السجود، فقال بعضهم: غني به الصلاة، قالوا: وهما الركعتان اللتان يصليان بعد صلاة المغرب.

وقال آخرون: عنى بقوله ﴿وَأَدْبَرَ السُّجُودِ﴾: التسبيح في أدبار الصلوات المكتوبات، دون الصلاة بعدها.

وقال آخرون: هي النوافل في أدبار المكتوبات. ذكر من قال ذلك في قوله: ﴿وَأَدْبَرَ السُّجُودِ﴾: النوافل.

وأولى الأقوال في ذلك بالصحة، قول من قال: هما الركعتان بعد المغرب، لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك، ولولا ما ذكرت من إجماعها عليه، لرأيت أن القول في ذلك ما قاله ابن زيد، لأن الله جل ثناؤه لم يخصص بذلك صلاة دون صلاة، بل عمّ أدبار الصلوات كلها، فقال: وأدبار السجود، ولم تقم بأنه معني به: دبر صلاة دون صلاة، حجة يجب التسليم لها من خبر ولا عقل.

(2) جامع البيان.

(1) الكشاف.

● قال تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ﴾ [المدثر: 33].

قال القرطبي⁽¹⁾: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ﴾ أي ولى، وكذلك «دبر». وقال بعض أهل اللغة: دبر الليل: إذا مضى، وأدبر: أخذ في الإدبار.

قال الماوردي⁽²⁾: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ﴾ فيه وجهان: أحدهما: إذ ولى.

الثاني: إذ أقبل عند إدبار النهار.

واختلف في أدبر ودبر على قولين: - أحدهما: أنهما لغتان ومعناهما واحد. - الثاني: أن معناهما مختلفان، وفيه وجهان:

أحدهما: أنه دبر إذا خلفته خلفك، وأدبر إذا ولى أمامك.

الثاني: أنه دبر إذا جاء بعد غيره وعلى دبر، وأدبر إذا ولى مدبراً.

● قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ وَأَسْتَكْبَرَ﴾ [المدثر: 23].

قال الفخر الرازي⁽³⁾: أدبر عن سائر الناس إلى أهله.

قال أبو السعود⁽⁴⁾: ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ﴾ عن الحق أو عن رسول الله ﷺ.

قال ابن كثير⁽⁵⁾: أي: صرف عن الحق، ورجع القهقري مستكبراً عن الانقياد للقرآن.

● قال تعالى: ﴿فَقَطَعَ دَابِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

[الأنعام: 45].

قال الفخر الرازي⁽⁶⁾: الدابر: التابع للشيء من خلفه كالولد، للوالد يقال: دبر فلان القوم يدبرهم دبوراً ودبراً إذا كان آخرهم.

(4) إرشاد العقل السليم.

(5) تفسير ابن كثير.

(6) التفسير الكبير.

(1) الجامع لأحكام القرآن.

(2) النكت والعيون.

(3) التفسير الكبير.

قال البيضاوي⁽¹⁾: أي آخرهم بحيث لم يبق منهم أحد من دبره دبراً ودبوراً إذا تبعه. ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ على إهلاكهم، فإن هلاك الكفار والعصاة من حيث إنه تخلص لأهل الأرض من شؤم عقائدهم وأعمالهم، نعمة جليلة يحق أن يحمد عليها.

● قال تعالى: ﴿وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ﴾ [يوسف: 25].

قال الطبري⁽²⁾: فقدته من دبر، يعني: شقته من خلف لا من قدام، لأن يوسف كان هو الهارب وكانت هي الطالبة.

قال الزمخشري⁽³⁾: ﴿وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ﴾ اجتذبت من خلفه فانقذ، أي انشق حين هرب منها إلى الباب وتبعته تمنعه.

قال البغوي⁽⁴⁾: ﴿وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ﴾ أي: فشقته ﴿مِنْ دُبُرٍ﴾، أي: من خلف، فلما خرجا لقا العزيز.

● قال تعالى: ﴿تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى﴾ [المعارج: 17].

قال الألوسي⁽⁵⁾: ﴿مَنْ أَدْبَرَ﴾ في الدنيا عن الحق.

قال ابن عاشور⁽⁶⁾: أي من أدبر وتولى عن الإيمان بالله. وفيه الطباق لأن الإدبار والتولي يضادان الدعوة في الجملة؛ إذ الشأن أن المدعو يقبل ولا يدبر.

قال الفخر الرازي⁽⁷⁾: يعني من أدبر عن الطاعة وتولى عن الإيمان.

● قال تعالى: ﴿فَالْمُدْبِرَاتِ أَمْرًا﴾ [النازعات: 5].

قال الطبري⁽⁸⁾: يقول: فالملائكة المدبرة ما أمرت به من أمر الله، وكذلك قال أهل التأويل.

- | | |
|--------------------|-----------------------|
| (1) أنوار التنزيل. | (5) روح المعاني. |
| (2) جامع البيان. | (6) التحرير والتنوير. |
| (3) الكشاف. | (7) التفسير الكبير. |
| (4) معالم التنزيل. | (8) جامع البيان. |

عن قتادة: ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾ قال: هي الملائكة.

قال الماوردي⁽¹⁾: ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾ فيهم قولان: أحدهما: هي الملائكة، قاله الجمهور، فعلى هذا في تدبيرها بالأمر وجهان: أحدهما: تدبير ما أمرت به وأرسلت فيه. الثاني: تدبير ما وكلت فيه من الرياح والأمطار. الثاني: هي الكواكب السبعة، وعلى هذا في تدبيرها للأمر وجهان: الأول: تدبير طلوعها وأفولها. الثاني: تدبير ما قضاه الله فيها من تقلب الأحوال.

قال ابن عطية⁽²⁾: (المدبرات)، فلا أحفظ خلافاً أنها الملائكة ومعناه أنها تدبر الأمور التي سخرها الله تعالى وصرفها فيها كالرياح والسحاب وسائر المخلوقات.



(2) المحرر الوجيز.

(1) النكت والعيون.

دثر

(دُثْر - أُثْث - فُرْش - مَتَاع - زَمَل)

- **الدُّثْرُ**: الأغطية الثقيلة التي تقي النائم من البرد ﴿يَتَأَيَّهَا الْمَدِيرُ﴾ [المدثر: 1].
- **الأثْثُ**: واحده أثاثه: حاجات البيت الخشبية الثابتة التي تشير إلى مكانة هذه الأسرة. ﴿هُمْ أَحْسَنُ أَثْثًا وَرِيَاءًا﴾ [مريم: 74].
- **الفُرْشُ**: للجلوس أو النوم المريح من بسط ونحوهما ﴿وَفُرْشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ [الواقعة: 34].
- ﴿فُرْشٍ بَطَّانِيهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ [الرحمن: 54].
- **الْمَتَاعُ**: ما ينتفع به في البيت من أدوات ضرورية للمأكل والمشرب ونحو ذلك. ﴿وَالْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: 241].
- **الْمُزْمَلُ**: المتزمل في ثوبه لا يريد الانطلاق كسلاً ﴿يَتَأَيَّهَا الْمُرْمَلُ﴾ [المزمل: 1].



النصوص اللغوية:

قال ابن فارس⁽¹⁾: الدال والشاء والراء أصلٌ واحد منقاسٌ مطرد. وهو تضاعفٌ شيءٍ وتناضدهُ بعضه على بعض. فالدُّثْرُ: المال الكثير. والدُّثَارُ: ما تدثر به الإنسان، وهو فوق الشُّعار. فأما قول القائل: فإنه أراد الدُّثْرَ فحرك الشاء، وهو

(1) معجم مقاييس اللغة.

الكثير. ومن الباب تَدَثَّرُ الفَحْلُ الناقَة، إِذَا تَسَنَّمَهَا، كَأَنَّهُ صَارَ دِثَاراً لَهَا. وتَدَثَّرَ الرَّجُلُ فَرَسَهُ، إِذَا وَثَبَ عَلَيْهِ فَرَكِبَهُ. والدُّثُورُ: الرَّجُلُ النَّوْمُ، وَسُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ يَتَدَثَّرُ وَيَنَامُ. فَأَمَّا قَوْلُهُمْ رَسَمٌ دَائِرٌ، فَهُوَ مِنْ هَذَا، وَذَلِكَ أَنَّهُ يَكُونُ ظَاهِراً حَتَّى تَهَبَ عَلَيْهِ الرِّيحُ وَتَأْتِيَهُ الرِّوَامِسُ، فَتَصِيرُ لَهُ كَالدُّثَارِ فَتَغْطِيهِ.

قال الجوهري⁽¹⁾: الدَّثَرُ بالفتح: المال الكثير. يقال: مَالٌ دَثْرٌ، وَمَالَانِ دَثْرٌ، وَأَمْوَالٌ دَثْرٌ. وَعَكْرٌ دَثْرٌ، أَي كَثِيرٌ، وَهُوَ مِنَ الْأَوَّلِ إِلَّا أَنَّهُ جَاءَ بِالتَّحْرِيكِ. والدُّثَارُ: كُلُّ مَا كَانَ مِنَ الثِّيَابِ فَوْقَ الشُّعَارِ. وَقَدْ تَدَثَّرَ، أَي تَلَقَّفَ فِي الدِّثَارِ. وَتَدَثَّرَ الفَحْلُ الناقَة، أَي تَسَنَّمَهَا. وَتَدَثَّرَ الرَّجُلُ فَرَسَهُ، إِذَا وَثَبَ عَلَيْهِ فَرَكِبَهُ. والدُّثُورُ: الدَّرُوسُ. وَقَدْ دَثَّرَ الرَّسَمَ وَتَدَاثَّرَ. والدُّثُورُ: الرَّجُلُ الخَامِلُ النَّوْمُ. وَدَثَّرَ الطَّائِرُ تَدَثِّيراً، أَصْلَحَ عُشَّهُ.

قال ابن منظور⁽²⁾: الدُّثُورُ: الدَّرُوسُ. وَقَدْ دَثَّرَ الرَّسَمَ وَتَدَاثَّرَ وَدَثَّرَ الشَّيْءُ يَدَثِّرُ دَثُوراً وَانْدَثَّرَ: قَدَّمَ وَدَرَسَ؛ وَسَيْفٌ دَائِرٌ: بَعِيدُ العَهْدِ، بِالصُّقَالِ.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الْمَدْيَرُ﴾ [المدثر: 1].

قال الزمخشري⁽³⁾: ﴿الْمَدْيَرُ﴾ لايس الدثار، وهو ما فوق الشعار: وهو الثوب الذي يلي الجسد، ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: «الأنصار شعار والناس دثار» وقيل: هي أول سورة نزلت. وروى جابر بن عبد الله عن رسول الله ﷺ: «كنت على جبل حراء فنوديت: يا محمد، إنك رسول الله، فنظرت عن يميني ويساري فلم أر شيئاً، فنظرت فوقي فرأيت شيئاً» وفي رواية عائشة: «فنظرت فوقي

(3) الكشاف.

(1) الصحاح في اللغة.

(2) اللسان.

فإذا به قاعد على عرش بين السماء والأرض» - يعني الملك الذي ناداه - «فرعبت ورجعت إلى خديجة فقلت: دثروني دثروني»، فنزل جبريل وقال: ﴿يَأْتِيهَا الْمَدِيثُ﴾. وعن الزهري: أول ما نزل: سورة ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ﴾ [العلق: 1] إلى قوله: ﴿مَا لُرَّ يَعْلَمُ﴾ [العلق: 5] فحزن رسول الله ﷺ وجعل يعلو شواهد الجبال، فأتاه جبريل فقال: إنك نبي الله، فرجع إلى خديجة وقال: «دثروني وصبوا عليّ ماء بارداً»، فنزل: يا أيها المدثر. وقيل: سمع من قريش ما كرهه فاغتم، فتغطى بثوبه مفكراً كما يفعل المغموّم. فأمر أن لا يدع إنذارهم وإن أسمعوه وأذوه.

قال الماوردي⁽¹⁾: ﴿يَأْتِيهَا الْمَدِيثُ﴾ فيه قولان:

أحدهما: يا أيها المدثر بثيابه.

الثاني: بالنبوة وأثقالها.

قال ابن عاشور⁽²⁾: نودي النبي ﷺ بوصفه في حالة خاصة تلبس بها حين نزول السورة، وهي أنه لما رأى الملك بين السماء والأرض فرق من رؤيته فرجع إلى خديجة فقال: دثروني دثروني، أو قال: زملوني، أو قال: زملوني فدثروني، على اختلاف الروايات، والجمع بينها ظاهر، فدثرته فنزلت: ﴿يَأْتِيهَا الْمَدِيثُ﴾.



(2) التحرير والتنوير.

(1) النكت والعيون.

دَحْرَ

(دَحْرَ - هَزَمَ - دَحَرَ - قَهَرَ)

شرح المعاني:

الهزم: إذا قامت الحرب الحقيقية وتقابل الجيشان واستطاع أحدهما أن يجعل الآخر يخسر المعركة وهو في مكانه فقد هزمه. الهزم هو تحطيم العدو في مكان المعركة. مثل هزيمة منتخب لكرة القدم تسمى هزيمة لأن الفريقين ما زالوا في الميدان لكنهم منهزمون. أول مراحل منظومة الهزيمة أن تخسر المعركة وأنت في ميدانها الجغرافي ﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَتْهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: 251] هم لا يزالون في المعركة لكنهم خسروا الحرب. ﴿سَيَهْرَمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبُرَ﴾ [القمر: 45].

الدحر: طرد العدو بعد الهزيمة وانتهى العدو ﴿قَالَ أَخْرَجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأعراف: 18] الدحر بعد خسران المعركة تدفعه بقوة وعنفة، والدحر لا يكون إلا عندما تطارد العدو وقد أخرجته من ميدان المعركة.

الدخر: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: 60] الدخر قد يكون بإذلال أو بغير إذلال. إذا أذلت العدو وأنت تطارده يسمى دحراً.

القهر: إذا هزمت العدو ودحرتَه ودخرتَه استوليت على إرادته استيلاء كاملاً،

وهو ما نسميه اليوم بالاستعمار، يسمى ذلك قهراً ولا تزيد أن تكون عبداً من عبده يأمرك فتطيع ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: 18] ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ [الضحى: 9] ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَدْرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذُرْكُ وَعَالِهَتُكَ قَالَ سَنَقْبِلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَجِيءُ نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ [الأعراف: 127].



النصوص اللغوية:

قال ابن فارس⁽¹⁾: الدال والحاء والراء أصل واحد، وهو الطرد والإبعاد. قال الله تعالى: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَذْمُوماً مَذْحُوراً﴾ [الأعراف: 18].

قال الجوهري⁽²⁾: الدحور: الطرد والإبعاد. وقد دحره. قال الله تعالى: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَذْمُوماً مَذْحُوراً﴾، أي: مقصياً.

قال الفيروزآبادي⁽³⁾: الدحور: الطرد، والإبعاد، والدفع، كاللحور، فغلهن كجعل، وهو داجر ودحور.

قال الراغب⁽⁴⁾: الدحر: الطرد والإبعاد، يقال: دحره دحوراً، قال تعالى: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَذْمُوماً مَذْحُوراً﴾، وقال: ﴿فَنُلْقِي فِي جَهَنَّمَ مَلُوماً مَدْحُوراً﴾ [الإسراء: 39]، وقال: ﴿وَيُقَذَّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ﴾ (أ) ﴿دُحُوراً﴾ [الصافات: 8-9].

(3) القاموس المحيط.

(4) مفردات الراغب.

(1) معجم مقاييس اللغة.

(2) الصحاح في اللغة.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿قَالَ أَخْرَجْ مِنْهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الأعراف: 18].

قال الطبري⁽¹⁾: ﴿مَذْمُومًا مَّدْحُورًا﴾ يقول: معيباً.

وأما المدحور: فهو الْمُقْصَى.

يعني: اخرج منها لعيناً منقياً.

قال البغوي⁽²⁾: أي: معيباً، والذم أشد العيب، والمدحور: المبعد

المطرود، مذمُومًا مدحوراً، أي: لعيناً شقيماً.

قال الماوردي⁽³⁾: المدحور فيه قولان:

أحدهما: المدفوع. الثاني: المطرود.

● قال تعالى: ﴿فَنُلْقِي فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الإسراء: 39].

قال أبو السعود⁽⁴⁾: ﴿مَدْحُورًا﴾ مبعداً من رحمة الله تعالى.

قال القرطبي⁽⁵⁾: والمدحور: المُهان المبعد المُقْصَى. ويقال في الدعاء:

اللهم اذحر عنا الشيطان؛ أي: أبعده.

قال الشعراوي⁽⁶⁾: ﴿مَدْحُورًا﴾: أي: مطرود مُبْعَدًا من رحمة الله، وهذا

الجزء في الآخرة.

أما الذي لا يؤمن بها، فلا بُدَّ لكي نستطيع العيش معه في الدنيا، أن يُذيقه

الله بعض العذاب، ويُعَجِّله له في الدنيا قبل عذاب الآخرة، كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ

اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ [طه:

123-124] أي: في الدنيا.

(4) إرشاد العقل السليم.

(5) الجامع لأحكام القرآن.

(6) تفسير الشعراوي.

(1) جامع البيان.

(2) معالم التنزيل.

(3) النكت والعيون.

دَحَضَ

(دَحَضَ - كَذَبَ - فَرَى - فَنَدَ)

- الدَّحْضُ: إبطال حجة الخصم الداحضة، أي الباطلة ﴿مَجْنَهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [الشورى: 16].
- الكَذِبُ: قول ليس صادقاً ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَةٌ﴾ [الزمر: 60].
- الفَرِيُّ: الكذب المتقن ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: 24].
- الفَنْدُ: غرابة القول بحيث لا يصدق ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ﴾ [يوسف: 94].



النصوص اللغوية:

قال ابن فارس⁽¹⁾: الدال والحاء والضاد أصلٌ يدلُّ على زوالٍ وزَلَقٍ. يقال: دَحَضَتْ رجله: زَلَقَتْ. ومنه دَحَضَتْ الشَّمْسُ: زالت. ودَحَضَتْ حُجَّةً فلانٍ، إذا لم تَثْبُت. قال الله جلَّ ثناؤه: ﴿مَجْنَهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [الشورى: 16].

قال الجوهري⁽²⁾: مكانٌ دَحَضٌ ودَحَضٌ أيضاً بالتحريك، أي: زَلَقٌ.

(1) معجم مقاييس اللغة.

(2) الصحاح في اللغة.

وَدَحَضَتْ رِجْلَهُ تَدْحَضُ دَحْضًا: زَلِقَتْ. وَدَحَضَتْ الشَّمْسُ عَنِ كَيْدِ السَّمَاءِ: زَالَتْ. وَدَحَضَتْ حُجَّتَهُ دُحُوضًا: بَطَلَتْ. وَأَدْحَضَهَا اللَّهُ. وَالْإِدْحَاضُ: الْإِزْلَاقُ.

قال ابن منظور⁽¹⁾: الدَّحَضُ: الزَّلْقُ، وَالْإِدْحَاضُ: الْإِزْلَاقُ، دَحَضَتْ رِجْلُ الْبَعِيرِ، وَفِي الْمَحْكَمِ: دَحَضَتْ رِجْلَهُ، فَلَمْ يُخَصَّصْ، تَدْحَضُ دَحْضًا وَدُحُوضًا زَلِقَتْ، وَدَحَضَهَا وَأَدْحَضَهَا أَزَلَقَهَا. وَفِي حَدِيثٍ وَفَدٍ مَدْحِجٍ: نُجْبَاءٌ غَيْرُ دَحْضِ الْأَقْدَامِ؛ الدَّحَضُ: جَمْعُ دَاحِضٍ وَهُمْ الَّذِينَ لَا ثَبَاتَ لَهُمْ وَلَا عَزِيمَةَ فِي الْأُمُورِ.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿مَجْنَهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [الشورى: 16].

قال الفخر الرازي⁽²⁾: ﴿مَجْنَهُمْ دَاحِضَةٌ﴾ أي باطلة. وتلك المخاصمة هي أن اليهود قالوا: أَلَسْتُمْ تَقُولُونَ إِنْ الْأَخْذُ بِالْمَتَّفِقِ أَوْلَى مِنَ الْأَخْذِ بِالْمَخْتَلَفِ؟ فَنَبِؤَةُ مُوسَى وَحَقِيَّةُ التَّوْرَةِ مَعْلُومَةٌ بِالِاتِّفَاقِ، وَنَبِؤَةُ مُحَمَّدٍ لَيْسَتْ مَتَّفِقَةً عَلَيْهَا، فَإِذَا بَنَيْتُمْ كَلَامَكُمْ فِي هَذِهِ الْآيَةِ عَلَى أَنَّ الْأَخْذَ بِالْمَتَّفِقِ أَوْلَى، وَجِبَ أَنْ يَكُونَ الْأَخْذُ بِالْيَهُودِيَّةِ أَوْلَى، فَبَيَّنَ تَعَالَى أَنَّ هَذِهِ الْحِجَّةَ دَاحِضَةً، أَي بَاطِلَةً فَاسِدَةً، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْيَهُودَ أَطْبَقُوا عَلَى أَنَّهُ إِنَّمَا وَجِبَ الْإِيمَانُ بِمُوسَى ﷺ لِأَجْلِ ظُهُورِ الْمَعْجَزَاتِ عَلَى وَفْقِ قَوْلِهِ، وَهُنَا ظَهَرَتِ الْمَعْجَزَاتُ عَلَى وَفْقِ قَوْلِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَالْيَهُودَ شَاهَدُوا تِلْكَ الْمَعْجَزَاتِ، فَإِنْ كَانَ ظُهُورُ الْمَعْجَزَةِ يَدُلُّ عَلَى الصِّدْقِ، فَهُنَا يَجِبُ الْاعْتِرَافُ بِنَبِؤَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَإِنْ كَانَ لَا يَدُلُّ عَلَى الصِّدْقِ وَجِبَ فِي حَقِّ مُوسَى أَنْ لَا يَقْرَأُوا بِنَبِؤَتِهِ.

(2) التفسير الكبير.

(1) اللسان.

قال الطبري⁽¹⁾: ﴿مُجَنَّهُمْ دَاحِضَةٌ﴾ يقول: خصومتهم التي يخاصمون فيها باطلة ذاهبة عند ربهم ﴿وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ﴾ يقول: وعليهم من الله غضب، ولهم في الآخرة عذاب شديد، وهو عذاب النار.

وذكر أن هذه الآية نزلت في قوم من اليهود خاصموا أصحاب رسول الله ﷺ في دينهم، وطمعوا أن يصدّوهم عنه، ويردّوهم عن الإسلام إلى الكفر. ذكر الرواية عمن ذكر ذلك عنه:

عن ابن عباس، قوله: ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَجِيبَ لَهُمْ مُجَنَّهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ [الشورى: 16] قال: هم أهل الكتاب كانوا يجادلون المسلمين، ويصدّونهم عن الهدى من بعد ما استجابوا لله. وقال: هم أهل الضلالة كان استجيب لهم على ضلالتهم، وهم يتربصون بأن تأتيهم الجاهلية.

قال الماوردي⁽²⁾: ﴿مُجَنَّهُمْ دَاحِضَةٌ﴾ فيه وجهان: أحدهما: باطلة.

الثاني: خاسرة.

قال أبو السعود⁽³⁾: ﴿مُجَنَّهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ زَالَةٌ زَائِلَةٌ باطلةٌ بَلْ لا حجة لهم أصلاً وإنما عبّر عن أباطيلهم بالحجة مجازاً معهم على زعمهم الباطل.



(3) إرشاد العقل السليم.

(1) جامع البيان.

(2) النكت والعيون.

دحو

(دحو - طحا)

- **الدَّحْوُ:** حشو الشيء الأجوف بقوة ﴿وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ [النَّازِعَات: 30].
فقد دحا الأرض بكل الكنوز والمعادن.
- **الطَّحُو:** بسط الشيء والذهاب به ﴿وَالْأَرْضُ وَمَا طَحَّهَا﴾ [الشمس: 6].



النصوص اللغوية:

قال ابن فارس⁽¹⁾: الدال والحاء والواو أصلٌ واحدٌ يدلُّ على بَسَطٍ وتمهيد.
يقال: دحا الله الأرض يدحوها دَحْوًا: إذا بَسَطَهَا. ويقال: دحا المطرُ الحَصَى
عن وجه الأرض، وهذا لأنه إذا كان كذا فقد مهَّد الأرض. ويقال للفرس إذا رمى
بيديه رمياً، لا يرفع سُنْبُكَه عن الأرض كثيراً: مرَّ يدحُو دَحْوًا. ومن الباب أُدْحِي
النَّعام: الموضع الذي يُفَرِّخ فيه، أُفْعولٌ من دحوت؛ لأنه يدحوه برجله ثم يبيض
فيه. وليس للنَّعام عُشٌّ.

قال الجوهري⁽²⁾: دَحَوْتُ الشيء دَحْوًا: بسطته. ودحا المطرُ الحصى عن
وجه الأرض. ويقال لللاعب بالجوز: أبعِدِ المَدَى وادحُه، أي: ازمِه. ويقال
للفرس: مرَّ يدحُو دَحْوًا، وذلك إذا رمى بيديه رمياً لا يرفع سُنْبُكَه عن الأرض
كثيراً. ومدحى النَّعامَ: موضع بيضها. وأدحيتها موضعها الذي تفرخ فيه؛ وهو
أُفْعولٌ من دَحَوْتُ، لأنها تدحوه برجلها ثم تبيضُ فيه. وليس للنَّعام عُشٌّ.

(1) معجم مقاييس اللغة.

(2) الصحاح في اللغة.

قال الراغب⁽¹⁾: قال تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ [النَّازِعَات: 30]، أي: أزالها عن مقرها، كقوله: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ﴾ [المُزْمَل: 14]، وهو من قولهم: دحا المطر الحصى عن وجه الأرض، أي: جرفها. ومَرَّ الفرس يدحو دحواً إذا جريده على وجه الأرض، فيدحو ترابها، ومنه: أدحي النعام، وهو أفعال من دحوت.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ [النَّازِعَات: 30].

قال الطبري⁽²⁾: اختلف أهل التأويل في معنى قوله: ﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾ فقال بعضهم: دحيت الأرض من بعد خلق السماء.

وعن عليّ كرم الله وجهه، عن ابن عباس، قوله حيث ذكر خلق الأرض قبل السماء، ثم ذكر السماء قبل الأرض، وذلك أن الله خلق الأرض بأقواتها من غير أن يدحوها قبل السماء، ثم استوى إلى السماء فسوّاهنّ سبع سموات، ثم دحا الأرض بعد ذلك، فذلك قوله: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: والأرض مع ذلك دحاها، وقالوا والأرض خلقت ودحيت قبل السماء.

والقول الذي ذكرناه عن ابن عباس من أن الله تعالى خلق الأرض، وقدر فيها أقواتها، ولم يدحها، ثم استوى إلى السماء فسوّاهنّ سبع سموات، ثم دحا الأرض بعد ذلك، فأخرج منها ماءها ومرعاها، وأرسى جبالها، أشبه بما دلّ عليه ظاهر التنزيل، لأنه جلّ ثناؤه قال: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾، والمعروف من معنى

(2) جامع البيان.

(1) مفردات الراغب.

«بَعْدَ» أنه خلاف معنى «قَبْلَ»، وليس في دحو الله الأرض بعد تسويته السموات السبع، وإغطاشه ليلها، وإخراجه ضحاها، ما يوجب أن تكون الأرض تُخلقت بعد خلق السموات؛ لأن الدحو إنما هو البسط في كلام العرب، والمدّ يقال منه: دحا يدحو دَحْوًا.

قال ابن عطية⁽¹⁾: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ متوجه على أن الله تعالى خلق الأرض ولم يدحها، ثم استوى إلى السماء وهي دخان فخلقها وبنائها، ثم دحا الأرض بعد ذلك. وقرأ مجاهد: و«الأرض مع ذلك». وقال قوم: إن ﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾ معناه مع ذلك. والذي قلناه تترتب عليه آيات القرآن كلها، ونسب الماء والمرعى إلى الأرض حيث هما يظهران فيها، ودحو الأرض بسطها.

قال العزّ بن عبد السلام⁽²⁾: ﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾ مع ذلك، أو خلق الأرض قبل السماء ثم دحاها بعد السماء ﴿دَحَاهَا﴾ بسطها، ودحيت من موضع الكعبة أو من مكة أو حرثها وشقها أو سواها.



(2) التفسير العظيم.

(1) المحرر الوجيز.

دَخَرَ

(دَخَرَ - دَحَرَ - هَزَمَ - فَهَرَ - طَرَدَ)

- الدَّخْرُ: إذلال العدو عن دحره ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: 60].
- الدَّخْرُ: طرد العدو بعد هزيمته من المعركة ﴿قَالَ أَخْرَجَ مِنْهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ [الأعراف: 18].
- الهِزْمُ: تحطيم العدو في أرض المعركة ﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: 251].
- الفَهْرُ: الاستيلاء على إرادة العدو بعد هزيمته ودحره ودخره.
- الطَّرْدُ: الإبعاد على سبيل الاستخفاف ﴿وَيَقْوَمُ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ﴾ [أفلا نذكرون] [هود: 30].

* * *

شرح المعاني:

الهزم: إذا قامت الحرب الحقيقية وتقابل الجيشان واستطاع أحدهما أن يجعل الآخر يخسر المعركة وهو في مكانه فقد هزمه. الهزم هو تحطيم العدو في مكان المعركة. مثل هزيمة منتخب لكرة القدم تسمى هزيمة لأن الفريقين ما زالوا في الميدان لكنهم منهزمون. أول مراحل الهزيمة هي أن تخسر المعركة وأنت في ميدانها الجغرافي ﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَعَاتَكَ اللَّهُ الْمَلِكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ

الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿البقرة: 251﴾ هم لا يزالون في المعركة لكنهم خسروا الحرب. ﴿سَيَهْرُمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبْرَ﴾ [القمر: 45].

الدَّخْرُ: طرد العدو بعد الهزيمة ﴿قَالَ أَخْرَجَ مِنْهَا مَذْءُومًا مَذْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأعراف: 18] الدخر بعد خسران المعركة هو أن تدفع العدو بقوة وعنق، والدخر لا يكون إلا عندما تطارد العدو وقد أخرجته من ميدان المعركة.

الدَّخْرُ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: 60] الدخر قد يكون بإذلال أو بغير إذلال. إذا أذلت العدو وأنت تطارده يسمى دخراً.

القَهْرُ: بعد هزم العدو ودحرته ودخرته استوليت على إرادته استيلاء كاملاً وهو ما نسميه اليوم بالاستعمار يسمى قهراً لا تزيد أن تكون عبداً من عبده يأمرك فتطيع ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: 18] ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ [الضحى: 9] ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَنْتَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقْبِلُ آبَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ [الأعراف: 127].



النصوص اللغوية:

قال ابن فارس⁽¹⁾: الدال والخاء والراء أصلٌ يدلُّ على الذلِّ. يقال: دَخَرَ الرَّجُلُ، وهو داخِر: إذا ذلَّ. وأدخَرَه غيره: أدلَّه. فأما الدَّخْدَارُ فالثوب الكريم يُصانُ. قال: وليس هذا من الكلمة الأولى في شيء؛ لأنَّ هذه مُعَرِّبة، قالوا: أصلها تَخْتُ دار، أي مَصُونٌ في تَخْتُ.

(1) معجم مقاييس اللغة.

قال الجوهري⁽¹⁾: الدُّخُورُ: الصَّغَارُ والذُّلُّ. يقال: دَخَرَ الرجلُ - بالفتح - فهو داخِرٌ. وأدخَرَهُ غيره.

قال ابن منظور⁽²⁾: دَخَرَ الرجلُ، بالفتح، يَدخِرُ دُخُوراً، فهو داخِرٌ، ودَخِرَ دَخِراً: ذَلَّ وصَغُرَ يَصْغُرُ صَغَاراً، وهو الذي يفعل ما يؤمر به، شاء أو أبى صاغِراً قَمِيئاً. والدَّخِرُ التحير. والدُّخُورُ: الصَّغَارُ والذُّلُّ، وأدخَرَهُ غيره.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿وَهُمْ دَخِرُونَ﴾ [التحل: 48].

قال الطبري⁽³⁾: ﴿وَهُمْ دَخِرُونَ﴾ يعني: وهم صاغرون، يقال منه: دخر فلان لله يدخر دخراً ودخوراً: إذا ذلَّ له وخضع.

قال أبو السعود⁽⁴⁾: ﴿وَهُمْ دَخِرُونَ﴾ أي صاغرون منقادون، حال من الضمير في ظلالة والجمع باعتبار المعنى وإيراد الصيغة الخاصة بالعقلاء أن الدخور من خصائصهم، والمعنى ترجع الظلال من جانب إلى جانب بارتفاع الشمس وانحدارها أو باختلاف مشارقيها ومغاربها، فإنها كل يوم من أيام السنة تتحرك على مدار معين من المدارات اليومية بتقدير العزيز العليم، منقادة لما قدر لها من التفيؤ أو واقعة على الأرض ملتصقة بها على هيئة الساجد، والحال أن أصحابها من الأجرام داخرة منقادة لحكمه تعالى، ووصفها بالدخور مغن عن وصف ظلالتها به، وكلاهما حال من الضمير المشار إليه، والمعنى ترجع ظلالات تلك الأجرام حال كونها منقادة لله تعالى داخرة، فوصفها بهما مغن عن وصف ظلالتها بهما،

(1) الصحاح في اللغة.

(2) اللسان.

(3) جامع البيان.

(4) إرشاد العقل السليم.

ولعل المراد بالموصول الجمادات من الجبال والأشجار والأحجار التي لا يظهر لظلالها أثر سوى التفيؤ بما ذكر من ارتفاع الشمس وانحدارها أو اختلاف مشارقتها ومغاربها، وأما الحيوان فظله يتحرك بتحركه. وقيل: المراد باليمين والشمال يمين الفلك وهو جانبه الشرقي لأن الكواكب منه تظهر آخذة في الارتفاع والسطوع، وشماله وهو جانبه الغربي المقابل له، فإن الظلال في أول النهار تبتدىء من الشرق واقعة على الربع الغربي من الأرض، وعند الزوال تبتدىء من الغرب واقعة على الربع الشرقي منها، وبعد ما بين سجود الظلال وأصحابها من الأجرام السفلية الثابتة في أخبارها ودخورها له سبحانه وتعالى شرع في بيان سجود المخلوقات المتحركة بالإرادة سواء كانت لها ظلال أو لا.

● قال تعالى: ﴿سَيَدْحُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: 60].

قال ابن عطية⁽¹⁾: والداخر: هو الصاغر الذليل.

قال الشعراوي⁽²⁾: أي: منكسرين صاغرين أذلاء، قالوا: لأنك لا تدعو واحداً إلا إذا كنت مطيعاً له، لأن الدعاء والعبادة متساويان، لذلك قال ﷺ: «كل أمر لا يبدأ باسم الله فهو أبتر» يعني: لا بركة فيه.

قال الفخر الرازي⁽³⁾: أي صاغرين وهذا إحسان عظيم من الله تعالى حيث ذكر الوعيد الشديد على ترك الدعاء، فإن قيل روي عن رسول الله ﷺ أنه قال حكاية عن رب العزة أنه قال: «من شغله ذكرى عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين» فهذا الخبر يقتضي أن ترك الدعاء أفضل، فكيف الجمع بينهما؟ قلنا لا شك أن العقل إذا كان مستغرقاً في الشاء كان ذلك أفضل من الدعاء، لأن الدعاء طلب للحظ والاستغراق في معرفة جلال الله أفضل من طلب الحظ، أما إذا لم يحصل ذلك الاستغراق كان الاشتغال بالدعاء أولى.

(3) التفسير الكبير.

(1) المحرر الوجيز.

(2) تفسير الشعراوي.

دَخَلَ

(دَخَلَ - نَفَذَ - وَلَجَ - افْتَحَهُ - وَقَبَّ - دَسَّ)

شرح المعاني:

الدخول: الدخول هو الوصول إلى باطن الشيء على شرط أن يكون المخرج هو نفس المدخل. عندنا دخل يدخل دخولاً، فهو مَدَّخَلَ بالفتح، وعندنا أدخل يُدْخِل إدخالاً والإدخال يصير مَدْخِلاً ﴿لِيَدْخِلْنَهُمْ مُدْخِلاً يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ [الحج: 59]. المَدْخَلَ من دخل والمُدْخَلَ من أدخل. وعندما يصير الدخول صعباً يقال: ادَّخَلَ مَدْخِلاً ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغْرَبَاتٍ أَوْ مُدْخِلاً لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾ [التوبة: 57] أي المكان الذي يصعب الدخول فيه فالهارب أو الخائف أو المنهزم مثلاً يذهب لمكان ضيق يختبئ فيه، ويدخله بصعوبة كدخول المغارات. ادَّخَلَ يَدْخُلُ ادَّخِلاً فهو مَدْخَلٌ إذا كان الدخول صعباً. هذا من باب الدخول إلى الشيء، وفي القرآن مشترك. وكلمة دخل بالإضافة إلى هذه المعاني تأتي بمعنى الباطل، يقال: فلان فيه غش وفيه باطل وفيه دَخَلَ. ويقال: دخل في الباطل ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَخَذُونَ آيْمَانَكُمْ دَخِلاً بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلِيُبَيِّنَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [النحل: 92]. إذن الدخول هو الوصول إلى وسط الشيء، فإذا دخلت فهو مَدْخَلٌ وإذا أُدْخِلت فهو مُدْخَلٌ وإذا كان الدخول بصعوبة فهو مَدْخَلٌ، وكل هذه الكلمات جاءت في كتاب الله تعالى.

النفذ: كل شيء مدخله ومخرجه هو نفسه يسمى دخل مثل بيوتنا جميعاً ندخل ونخرج من نفس المكان، فإذا كان المدخل من مكان والمخرج من مكان مقابل

يقال نفذ ﴿يَمَعَّشَرَ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِنَّ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَفْطَارِ أَسْمَانٍ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ [الرَّحْمَنِ: 33] مدخل السماء غير مخرجها، وأنت في الفضاء الأعلى تدخل من مكان وتخرج من مكان آخر فأنت تنفذ فيها نفوذاً فدخولك على طريقة النفوذ. جميع الأنفاق فيها منفذ، يقال: نفذت من النفق ولا يقال: دخلت النفق، وفي علامات المرور ما يسمى منفذ وليس مدخل وهذه كلمة في غاية الدقة اللغوية.

الولوج: عندما تدخل في مكان ضيق ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفِئِحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: 40] الجمل قيل أنه حبل السفينة وقيل أنه البعير، وفي الحاليتين يكون من الصعب دخولهما في سَمِّ الْخِيَاطِ لضعفه. ﴿يُولِجُ النَّهَارَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [الحديد: 6] ليس هناك حد فاصل بين اشتباك الليل والنهار وإنما الفصل بينهما في غاية الصعوبة. الليل والنهار يتشابكان وليسا على وتيرة واحدة فلا ندركهما ولا تشعر كيف يحدث الليل والنهار، فلو كان لديك طفل وراقبته على مدى عشرين عاماً لا ترفع بصرك عنه فإنك لن تدرك نموّه، وهكذا الليل والنهار يقصران ويطولان ولا ندرك كيف حدث هذا. فكل مدخل ضيق على عقلك أو على بصرك أو على جسمك أو على يدك يسمى وليجة ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَةً وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: 16] فرق أن يكون لك لي أو يكون لك وليجة فالوليّ مثل: (أب، جد، أعمام، عشيرتك، لهم نفوذ كامل وأصل في حياتك) أما الوليجة فهو شخص ليس من عشيرتك لكنه عاش بينكم وانتمى لكم فهذا تصرفه في أضييق حدود وهو ملحق بكم إلحاقاً. هذا «الوليجة» يقدم خدمات ليثبت نفسه. يقول تعالى على المؤمنين في القرآن وهما نوعان: مؤمنون يتخذون الكافرين أولياء ﴿يَتَّأَيُّبُهُمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة:

[51] وعندنا مؤمنون يتخذون من عدوهم وليجة يستعينون به في بعض الأمور بشكل خفي وسموه وليجة لأنك تدخل إليه سراً في أضيق مكان.

الاقترحام: الدخول إلى وسط شيء مخيف مهلك بقوة وشدة وعنف يسمى اقترحاماً ﴿هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَرِحٌ مَعَكُمْ لَا مَرْجَأَ بِهِمْ إِلَيْهِمْ صَالُوا النَّارِ﴾ [ص: 59] الاقترحام إلى النار يكون بقوة ولا يكون بسهولة أو سرور وإنما في غاية الرعب والشدة، ومن هذه الآية يفهم أن الدخول إلى النار ليس على وتيرة واحدة لأن عذاب النار متفاوت، فالمشرك الخالد في النار ناره ليست على وتيرة واحدة فبعضهم عذابه أقل أو أكثر من الآخر ﴿وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلَدِّ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [السَّجْدَة: 21] ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ [النحل: 88] فالمشرك النافع لغيره لا يكون عذابه مثل عذاب المشرك الذي يظلم الناس ويبيدهم.

الوقب: الوقب هو الكوة. كل شيء يدخل في شيء يسمى وقباً (خنجر في نصله، سيف في غمده، قفل في بيته، غلق في مغلقة، الليل عندما يدخل في برجه، الشمس عندما تدخل في برجها) ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ [الفلق: 3] يدخل دخولاً غير كريم لأن الليل عندما يدخل في برجه والليل غدار لا ندري ماذا فيه ولذلك أمرنا بالاستعاذة عند دخول الليل. كل شيء إذا دخل في غمده تتوقع منه خطراً فهو وقب. وفي الحديث: «لعن الله من ناول أخاه سيفه غير مغمود» «لعن الله من أشار لأخيه بحديدة» وإفزاز المسلم وإخافته بكلمة أو إشارة من الذنوب العظيمة يوم القيامة.

الدرس: الدخول إلى أماكن الريبة والتخريب والخيانة وهي جملة (الدسائس) التي تفسد حياة الفرد والجماعية لأن الدسائس جرائم تقوم على الدخول المريب في مفاصل الحياة اليومية للفرد والجماعات فتتكشف عن خراب مخرب أو مؤامرة مدمرة أو فكر هدام ﴿قَدْ أَلْفَحَ مَنْ رَزَّكَهَا﴾ ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّنَهَا﴾ [الشمس: 9-10].



النصوص اللغوية:

قال ابن فارس⁽¹⁾: الدال والخاء واللام أصلٌ مطرد منقاس، وهو الوُلُوج. يقال: دخل يدخُل دخولاً. والدَّخْلَةُ باطنُ أمرِ الرَّجُل. تقول: أنا عالمٌ بدخْلته. والدَّخَل: العيب في الحسب، وكأنَّه قد دخل عليه شيءٌ عابه. والدَّخَل كالدَّغَل، وهو من الباب؛ لأنَّ الدَّغَلَ هذا قياسه أيضاً. ويقال إنَّ المدخُول: المهزُول؛ وهو الصَّحيح، لأنَّ لحمه كأنَّه قد دُخِل. ودَخَيْلُك الذي يُدَاخِلُك في أمورك. والدَّخَال في الورد: أن تشربَ الإبل ثم تردَّ إلى الحوض ليشرب منها ما عساه لم يكن شرب. قال الهذلي: ويقال إنَّ كلَّ لحمةٍ مجتمعمة دُخِلَتْ، وبذلك سُمِّي هذا الطائر دُخْلًا. ويقال: دُخِل فلانٌ، وهو مدخولٌ، إذا كان في عقله دَخَلٌ. وبنو فلانٍ في بني فلان دَخِيلٌ، إذا انتسبوا معهم. ونَخْلَةٌ مدخولةٌ: عَفْنَةُ الجوف. والدَّخْلُ الذي يُدَاخِلُك في أمورك. والدَّخَل من ريش الطائر: ما بين الظُّهْرَانِ والبُطْنَانِ، وهو أجودُ الرِّيش. وداخِلَةُ الإزار: طَرْفه الذي يلي الجسد. والدَّخَل من الكلاء: ما دَخَلَ منه في أصول الشجر.

قال الجوهري⁽²⁾: دَخَلَ دُخُولاً: يقال: دَخَلْتُ البيت. والصحيح فيه أن تريد دَخَلْتُ إلى البيت وحذفت حرف الجرِّ فانصب انتصابَ المفعول به. وادَّخَلَ على افتعل، مثل دَخَلَ. وقد جاء في الشعر اندخَلَ، وليس بالفصح. ويُقال: تَدَخَّلَ الشيء، أي دَخَلَ قليلاً قليلاً. وقد تداخَلني منه شيءٌ. والدَّخَلُ خلافُ الخَرْج. والدَّخَلُ العيبُ والريبةُ. وكذلك الدَّخَلُ بالتحريك. يقال: هذا الأمرُ فيه دَخَلٌ ودَغَلٌ، بمعنى. وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنخِذُوا يَمَنُكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ﴾ [التحل: 94] أي مكرراً وخديعةً. وهم دَخَلٌ في بني فلان، إذا انتسبوا معهم وليسوا منهم. والمدخَلُ بالفتح: الدُّخُولُ، وموضعُ الدُّخُولِ أيضاً. تقول: دَخَلْتُ مَدَخَلًا حسناً، ودَخَلْتُ

(1) معجم مقاييس اللغة.

(2) الصحاح في اللغة.

مَدَخَلَ صِدْقٍ. والمُدْخَلُ بضم الميم: الإدخال. والمفعول مِنْ أَدْخَلَهُ، تقول: أَدْخَلْتُهُ مُدْخَلَ صِدْقٍ. وداخِلَةُ الإِزَارِ: أحد طرفيه الذي يلي الجسد. وداخِلَةُ الرجلِ أيضاً: باطنُ أمره. وكذلك الدُّخْلَةُ بالضم. يقال: هو عالمٌ بَدْخَلَتِهِ. ودَخِيلُ الرجلِ ودُخْلُهُ: الذي يُدَاخِلُهُ في أموره ويختصُّ به.

ودُخِلَ فلانٌ فهو مَدْخُولٌ، أي: في عقله دَخَلٌ. ونَحْلَةٌ مَدْخُولَةٌ، أي: عَفْنَةٌ الجوفِ. والمَدْخُولُ: المهزولُ. والدَّوْخَلَةُ: هذا المنسوج من الخوص يُجْعَلُ فيه الرُّطْبُ، يشدُّ ويخفف.

قال الفيروزآبادي⁽¹⁾: دَخَلَ دُخُولاً وَمَدْخَلاً، وتَدَخَّلَ وأَنْدَخَلَ وأَدْخَلَ، كَأَفْتَعَلَ: نَقِيضُ حَرَجٍ، ودَخَلْتُ به، وأَدْخَلْتُهُ إِدْخَالاً وَمَدْخَلاً. وداخِلَةُ الإِزَارِ: طَرْفُهُ الذي يلي الجَسَدِ ويَلي الجانِبَ الأيْمَنَ. وداخِلَةُ الأَرْضِ: حَمَرُها وغامِضُها، ج: دَوَاخِلُ. ودَخَلَةُ الرَّجُلِ، مُثَلَّثَةٌ، ودَخِيلَتُهُ ودَخِيلُهُ ودُخْلُهُ، بضم اللام وفتحها، ودُخَيْلاؤُهُ وداخِلَتُهُ ودُخْلُهُ، كَسَكَّرٍ، ودِخَالُهُ، ككِتَابٍ، ودُخَيْلاؤه، كَسَمِيهِى، ودِخْلُهُ، بالكسر والفتح: نَيْتُهُ ومَذْهَبُهُ، وجميعُ أمره، وخَلْدُهُ، وبِطَانَتُهُ. (والدَّخِيلُ) والدُّخْلُ، كقَنْفُذٍ ودِرْهَمٍ: المُدَاخِلُ والمُباطِنُ.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ [البقرة: 58].

قال الماوردي⁽²⁾: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾: اختلفوا فيها على ثلاثة أقاويل:

الأول: أنها بيت المقدس.

(2) النكت والعيون.

(1) القاموس المحيط.

والثاني: أنها قرية بيت المقدس.

والثالث: أنها «أريحا» قرب بيت المقدس.

قال الفخر الرازي⁽¹⁾: واعلم أن الكلام في هذه الآية على نوعين: النوع الأول: ما يتعلق بالتفسير فنقول: أما قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ فاعلم أنه أمر تكليف، ويدل عليه وجهان: الأول: أنه تعالى أمر بدخول الباب سُجْدًا، وذلك فعل شاق فكان الأمر به تكليفاً ودخول الباب سجداً مشروط بدخول القرية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، فثبت أن الأمر بدخول القرية أمر تكليف لا أمر بإباحة. الثاني: أن قوله: ﴿ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْدُوا عَلَىٰ آذَانِكُمْ﴾ [المائدة: 21] دليل على ما ذكرناه. أما القرية فظاهر القرآن لا يدل على عينها، وإنما يرجع في ذلك إلى الأخبار، وفيه أقوال: أحدها: وهو اختيار قتادة والربيع وأبي مسلم الأصفهاني أنها بيت المقدس، واستدلوا عليه بقوله تعالى في سورة المائدة: ﴿ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾، ولا شك أن المراد بالقرية في الآيتين واحد، وثانيها: أنها نفس مصر، وثالثها: وهو قول ابن عباس وأبي زيد أنها أريحاء وهي قرية من بيت المقدس.

● قال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ ادْخُلْنِي مَدْخَلَ صِدْقٍ﴾ [الإسراء: 80].

قال الزمخشري⁽²⁾: قرئ «مدخل ومخرج» بالضم والفتح: بمعنى المصدر. ومعنى الفتح: أدخلني فأدخل مدخل صدق، أي: أدخلني القبر مدخل صدق إدخالاً مرضياً على طهارة وطيب من السيئات، وأخرجني منه عند البعث إخراجاً مرضياً، ملقى بالكرامة، آمناً من السخط، يدل عليه ذكره على أثر ذكر البعث. وقيل: نزلت حين أمر بالهجرة، يريد إدخال المدينة والإخراج من مكة. وقيل: إدخاله مكة ظاهراً عليها بالفتح، وإخراجه منها آمناً من المشركين. وقيل: إدخاله الغار وإخراجه منه سالماً. وقيل إدخاله فيما حمله من عظيم الأمر - وهو النبوة -

(2) الكشاف.

(1) التفسير الكبير.

وإخراجه منه مؤدياً لما كلفه من غير تفریط. وقيل: الطاعة. وقيل: هو عامٌ في كل ما يدخل فيه ويلاسه من أمر ومكان:

قال البغوي⁽¹⁾: قوله **دَخَلَ**: ﴿وَقُلْ رَبِّ ادْخُلْنِي مَدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مَخْرَجَ صِدْقٍ﴾ [الإسراء: 80]، والمراد من المدخل والمخرج: الإدخال والإخراج، واختلف أهل التفسير فيه.

فقال ابن عباس والحسن وقتادة: «أدخلني مدخل صدق»: المدينة. «وأخرجني مخرج صدق»: مكة، نزلت حين أمر النبي ﷺ بالهجرة. وقال الضحاك: «وأخرجني مخرج صدق»: من مكة آمناً من المشركين، «وأدخلني مدخل صدق»: مكة ظاهراً عليها بالفتح.

وقال مجاهد: أدخلني في أمرك الذي أرسلتني به من النبوة مدخل صدق الجنة، وأخرجني من الدنيا، وقد قمت بما وجب عليّ من حقها، مخرج صدق. وعن الحسن أنه قال: «أدخلني مدخل صدق»: الجنة، «وأخرجني مخرج صدق»: من مكة.

وقيل أدخلني في طاعتك، وأخرجني من المناهي. وقيل: معناه أدخلني حيث ما أدخلتني بالصدق، وأخرجني بالصدق، أي: لا تجعلني ممن يدخل بوجه ويخرج بوجه؛ فإنّ ذا الوجهين لا يكون آمناً ووجههاً عند الله. ووصف الإدخال والإخراج بالصدق لما يؤول إليه الخروج والدخول من النصر والعزّ ودولة الدين، كما وصف القدم بالصدق فقال: ﴿أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [يونس: 2].

● قال تعالى: ﴿لِيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾

[الصّحّ: 59].

قال الفخر الرازي⁽²⁾: وفيه مسائل: المسألة الأولى: قرئ مدخلاً بضم الميم وهو من الإدخال، ومن قرأ بالفتح فالمراد الموضع.

(2) التفسير الكبير.

(1) معالم التنزيل.

المسألة الثانية: قيل في المدخل الذي يرضونه أنه خيمة من درة بيضاء لا فصم فيها ولا وصم لها سبعون ألف مصراع. وقال أبو القاسم القشيري هو أن يدخلهم الجنة من غير مكروه تقدم. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: إنما قال يرضونه، لأنهم يرون في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر يرضونه ولا يبغون عنها حولاً، ونظيره قوله تعالى: ﴿وَمَسْكَنٌ تَرْضَوْنَهَا﴾ [التوبة: 24] وقوله: ﴿فِي عِشَّةٍ رَاضِيَةٍ﴾ [الحاقة: 21] وقوله: ﴿أَرْجِعْ إِلَى رَبِّكَ رَاضِيَةً مَرْضِيَةً﴾ [الفجر: 28] وقوله: ﴿وَمَسْكَنٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: 72].

قال الشوكاني⁽¹⁾: قرأ أهل المدينة: «مدخلاً» بفتح الميم، وقرأ الباقون بضمها، وهو اسم مكان أريد به الجنة، وانتصابه على أنه مفعول ثانٍ أو مصدر ميمي مؤكد للفعل المذكور، وقد مضى الكلام على مثل هذا في سورة سبحان. وفي هذا من الامتنان عليهم والتبشير لهم ما لا يقادر قدره، فإن المدخل الذي يرضونه هو الأوفق لنفوسهم والأقرب إلى مطلبهم، على أنهم يرون في الجنة ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وذلك هو الذي يرضونه وفوق الرضا.

● قال تعالى: ﴿وَنُدْخِلْكُمْ مَدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: 31].

قال الطبري⁽²⁾: ﴿وَنُدْخِلْكُمْ مَدْخَلًا كَرِيمًا﴾ فإن القراء اختلفت في قراءته، فقرأه عامة قراء أهل المدينة وبعض الكوفيين ﴿وَنُدْخِلْكُمْ مَدْخَلًا كَرِيمًا﴾ بفتح الميم، وكذلك الذي في الحجّ ﴿وَنُدْخِلْكُمْ مَدْخَلًا كَرِيمًا﴾ فمعنى ﴿وَنُدْخِلْكُمْ مَدْخَلًا﴾ فيدخلون دخولاً كريماً، وقد يحتمل على مذهب من قرأ هذه القراءة أن يكون المعنى في المدخل: المكان والموضع، لأن العرب ربما فتحت الميم من ذلك بهذا المعنى.

(2) جامع البيان.

(1) فتح القدير.

المُدْخِلُ الكَرِيمُ: هو الطيبُ الحَسَنُ، المَكْرَمُ بنفي الآفاتِ والعاهاتِ عنه، وبارتِفاعِ الهمومِ والأحزانِ ودخولِ الكدرِ في عيشِ من دخله؛ فلذلك سماه اللهُ كَرِيماً.

وفي الحديث: عن السديّ ﴿وَدُخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيماً﴾ [النساء: 31] قال الكريم: هو الحسن في الجنة.

قال القرطبي⁽¹⁾: ﴿وَدُخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيماً﴾ [النساء: 31].

قال أبو سعيد بن الأعرابي: سمعت أبا داود السجستاني يقول: سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل يقول: المسلمون كلهم في الجنة؛ فقلت له: كيف؟ قال: يقول الله ﷻ: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا نُهَوْنَ عَنْهُ نَكُفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيماً﴾ [النساء: 31] يعني الجنة. وقال النبي ﷺ: «أذخرت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»؛ فإذا كان الله ﷻ يغفر ما دون الكبائر والنبي ﷺ يشفع في الكبائر فأَيُّ ذنبٍ يبقى على المسلمين؟

● قال تعالى: ﴿نَتَّخِذُوكَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمُ﴾ [التحل: 92].

قال الفخر الرازي⁽²⁾: قال الواحدي: الدخل والدغل الغش والخيانة. قال الزجاج: كل ما دخله عيب قيل هو مدخول وفيه دخل. وقال غيره: الدخل ما أدخل في الشيء على فساد.

قال الشعراوي⁽³⁾: الدَّخْلُ: أن تدخل في الشيء شيئاً أدنى منه من جنسه على سبيل الغشِّ والخداع، كأن تدخل في الذهب عيار 24 قيراطاً مثلاً ذهباً من عيار 18 قيراطاً، أو كأن تدخل في اللوز مثلاً نوى المشمش على أنه منه. فكأن الأيمان القائمة على الصدق والوفاء يعطيها صاحبها وهو ينوي بها الخداع والغش، فيحلف لصاحبه وهو يقصد تنويمه والتغريب به.

(3) تفسير الشعراوي.

(1) الجامع لأحكام القرآن.

(2) التفسير الكبير.

● قال تعالى: ﴿مِن نِّسَائِكُمُ الَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: 23].

قال الطبري⁽¹⁾: واختلف أهل التأويل في معنى قوله: ﴿مِن نِّسَائِكُمُ الَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾ فقال بعضهم معنى الدخول في هذا الموضع: الجماع.

عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله: ﴿مِن نِّسَائِكُمُ الَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾ والدخول: النكاح. وقال آخرون: الدخول في هذا الموضع: هو التجريد.

وأولى القولين عندي بالصواب في تأويل ذلك، ما قاله ابن عباس، من أن معنى الدخول: الجماع والنكاح، لأن ذلك لا يخلو معناه من أحد أمرين: إما أن يكون على الظاهر المتعارف من معاني الدخول في الناس، وهو الوصول إليها بالخلوة بها، أو يكون بمعنى الجماع، وفي إجماع الجميع على أن خلوة الرجل بامرأته لا يحرم عليه ابنتها إذا طلقها قبل مسيسها ومباشرتها، أو قبل النظر إلى فرجها بالشهوة؛ ما يدل على أن معنى الدخول: هو الوصول إليها بالجماع.

قال البغوي⁽²⁾: يعني: في نكاح بناتهن إذا فارقتُموهنَّ أو مثنى. وقال علي عليه السلام: أم المرأة لا تحرم إلا بالدخول بالبنت كالربيبة.



(1) جامع البيان.

(2) معالم التنزيل.

دخن

(دَخْن - عَجْر - قَتْر - سَمُومٌ)

- **الدُّخَانُ:** مخفف ما يرشح عن اللهب من غبار أسود ساخن ﴿فَارْتَقَبَ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ [الدُّخَانُ: 10] و(الدخن) الكُدْرَةُ في السواد.
- **العُبَارُ:** ما يرشح من التراب عند هبوب الريح من دخان بارد يؤدي العين والأنف ﴿وَوَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾ [عَبَسَ: 40].
- **القَتْرُ:** ما يرشح من الشواء من دخان ساطع أبيض يحمل رائحة الشواء ﴿زَهَقَهَا فَزَرَّةٌ﴾ [عَبَسَ: 41].
- **السَّمُومُ:** ما يرشح في الصحراء من ريح حارة يؤثر تأثير السم ﴿وَوَقَدْنَا عَذَابَ السَّمُورِ﴾ [الطور: 27].



النصوص اللغوية:

قال ابن فارس⁽¹⁾: الدال والخاء والنون أصلٌ واحد، وهو الذي يكون عن الوقود، ثم يشبه به كلُّ شيء يُشْبِهُهُ مِنْ عداوةٍ ونظيرها. فالدُّخَانُ معروفٌ، وجمعه دواخن على غير قياس. ويقال: دَخَنْتِ النَّارُ تَدَخُنُ: إذا ارتفع دُخَانُهَا، ودَخِنْتُ تَدَخُنُ، إذا أَلْقَيْتَ عَلَيْهَا حطباً فأفسدتها حتى يهيج لذلك دُخَانٌ وكذلك دَخِنَ الطَّعَامُ يَدَخُنُ. ويقال: دَخَنَ العُبَارُ: ارتفع. فأما الحديث: «هُدْنَةٌ عَلَى دَخْنٍ»،

(1) معجم مقاييس اللغة.

فهو استقرارٌ على أمورٍ مكروهة. والدُّخْنَةُ من الألوان: كُدْرَةٌ في سوادٍ. شاةٌ دُخْنَاءُ، وكَبِشٌ أَدْحَنُ، وليلةٌ دُخْنَانَةٌ. ورجلٌ دَخِنُ الحُلُقِ. وأبناء دُخَانٍ: غنيٌّ وباهلة. والدُّخْنَةُ بَخُورٌ يدخِّن به البيت.

قال الجوهري⁽¹⁾: دُخَانُ النار معروف، والجمع دَوَاخِنُ. والدَّخْنُ أيضاً: الدُّخَانُ. ومنه: هُدْنَةٌ على دَخِنٍ أي سكونٌ لعلَّةٍ لا لصلح. والدَّخْنُ أيضاً: الكُدُورَةُ إلى السواد.

وَدَخِنَتِ النارُ تَدُخِنُ وتَدَخِنُ: ارتفع دُخَانُهَا. وادَّخِنَتْ مثله على افتعلت. ودَخِنَتِ النارُ بالكسر، إذا أَلْقِيَتْ عليها حطباً وأفسدتها حتَّى يهيج لذلك دُخَانُ. ودَخِنَ الطيبُ أيضاً، إذا تَدَخِنَتِ القِدْرُ. ورجلٌ دَخِنُ الحُلُقِ. والدُّخْنَةُ كالذَّرِيرَةِ تُدَخِّنُ بها البيوت. والدُّخْنَةُ من الألوان كالكُدْرَةِ في سوادٍ. وكَبِشٌ أَدْحَنُ، وشاةٌ دُخْنَاءُ بَيْنَةَ الدَّخْنِ. وليلةٌ دُخْنَانَةٌ.

قال الفيروزآبادي⁽²⁾: الدُّخْنُ، بالضم: حَبُّ الجَاوِزِ، أو حَبُّ أَصْغَرُ منه، أَمْلَسُ جِدًّا، بارِدٌ يابِسٌ، حابِسٌ لِلطَّبْعِ. والدُّخَانُ، كغرابٍ وجَبَلٍ ورُمَانٍ: العُثَانُ أَدْحِنَةٌ ودَوَاخِنٌ ودَوَاخِينٌ.

وابنُ دُخَانٍ: غَنِيٌّ وباهلةٌ. وهُدْنَةٌ على دَخِنٍ، محرَّكةٌ، أي: سكونٌ لِعَلَّةٍ، لا لِصَلْحٍ. ودَخِنَ الطعَامُ، كَفَرِحَ: أَصَابَهُ دُخَانٌ فَأَخَذَ رِيحَهُ، ودخن خُلُقُهُ: ساءَ، وَخَبَّتْ. والدَّوَاخِنُ: كُؤَى تُتَّخَذُ على المَقَالِي والأثُونَاتِ. والدُّخْنَةُ: كُدْرَةٌ في سَوَادٍ. دَخِنَ، كَفَرِحَ، فهو أَدْحَنُ، وهي دُخْنَاءُ، وَذَرِيرَةٌ تُدَخِّنُ بها البيوتُ. ويومٌ دُخْنَانٌ، كَسُخْنَانٍ. والدَّخْنُ، محرَّكةٌ: الحِقْدُ، وسوءُ الحُلُقِ، وفِرْنَدُ السَّيْفِ، وَتَغْيِيرُ العَقْلِ والدَّيْنِ والحَسَبِ. والدُّخْنَاءُ أو الدُّخْنَانُ، بالضم: عَضْفُورٌ.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ [فصلت: 11].

قال القرطبي⁽¹⁾: أي عمَد إلى خلقها وقصد لتسويتها. والاستواء من صفة الأفعال على أكثر الأقوال؛ يدل عليه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ [البقرة: 29] وقد مضى القول هناك.

قال الماوردي⁽²⁾: فيه وجهان: أحدهما: عمد إلى السماء، الثاني: استوى أمره إلى السماء.

قال أبو السعود⁽³⁾: ﴿وَهِيَ دُخَانٌ﴾ أي أمرٌ ظلمانيٌّ عبرَ به عن مادتها أو عن الأجزاء المتصغرة التي ركبت هي منها أو دخانٌ مرتفعٌ من الماء كما سيأتي وإنما خصَّ الاستواء بالسماء مع أن الخطاب المترتب عليه متوجهٌ إليهما معاً حسبما ينطق به قوله تعالى: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ﴾.

● قال تعالى: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ [الدخان: 10].

قال الماوردي⁽⁴⁾: ثلاثة أقاويل:

الأول: ما أصاب أهل مكة من شدة الجوع حتى صار بينهم وبين السماء كهيئة الدخان لَمَّا دعا عليهم رسول الله ﷺ في إبطائهم عن الإيمان وقصدهم له بالأذى، فقال: «اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِسَبْعِ كَسْبَعِ يَوْسُفَ» قاله ابن مسعود. قال أبو عبيدة والدخان الجذب. وقال ابن قتيبة: سمي دخاناً لِيَسَّ الأَرْض منه حتى يرتفع منها الدخان.

الثاني: أنه يوم فتح مكة لَمَّا حجبت السماء الغيوم، قاله عبد الرحمن بن الأعرج.

(3) إرشاد العقل السليم.

(4) النكت والعيون.

(1) الجامع لأحكام القرآن.

(2) النكت والعيون.

الثالث: أنه دخان يهيج بالناس يوم القيامة يأخذ المؤمن منه كالزكمة، وينفخ الكافر حتى يخرج من كل مسمع منه، رواه أبو سعيد الخدري مرفوعاً.

قال العزّ بن عبد السلام⁽¹⁾: ﴿يُدْخَانٍ مُّبِينٍ﴾ لَمَّا دَعَا عَلَيْهِمُ الرَّسُولُ ﷺ بِسَبْعِ كَسْبَعِ يَوْسُفَ حَتَّى صَارَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ كَهَيْئَةِ الدُّخَانِ. قال أبو عبيدة الدخان الجذب. قال ابن قتيبة سمي دخاناً لِيَبَسَ الأَرْضُ مِنْهُ حَتَّى يَرْتَفِعَ مِنْهَا غُبَارٌ كالدخان، وقيل لسنة الجذب غبراء لكثرة الغبار فيها، أو يوم فتح مكة لما حجبت السماء الغبرة، أو دخان يهيج بالناس في القيامة فيأخذ المؤمن منه كالزكمة وينفخ الكافر حتى يخرج من كل مسمع منه.



(1) التفسير العظيم.

دَرّ

(دَرّ - ثَجّ - سَالَ - سَفَح - سَفَكَ

- سَكَبَ - صَبَّ - طَافَ)

- **الدَّرّ:** نزول اللبن من الثدي بغزارة، ويستعار للمطر الغزير ﴿وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا﴾ [الأنعام: 6].
- **الثَّجّ:** صوت الماء المتلاطم في المجرى ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنْ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا﴾ [التين: 14].
- **السَّيْلُ:** انسياب الماء في الأودية والمنخفضات ﴿فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا﴾ [الرعد: 17].
- **السَّفْحُ:** طفح السائل من الإناء أو العين ﴿إِلَّا أَنْ يَكُونَ مِيتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا﴾ [الأنعام: 145].
- **السَّفْكُ:** دوام عملية السفح ﴿مَنْ يُفْسِدْ فِيهَا وَيَسْفِكْ الدِّمَاءَ﴾ [البقرة: 30].
- **السَّكْبُ:** ما تفرغه من إنائك أو دلوك ﴿وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ﴾ [الواقعة: 31].
- **الصَّبُّ:** قوة نزول الماء من الأعلى ﴿أَنَا صَبِيحًا أَلْمَاءَ صَبًّا﴾ [عبس: 25].
- **الطُّوفَانُ:** اندفاع الماء من شدة السفك ليحيط بالناس ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ﴾ [الأعراف: 133].



النصوص اللغوية:

قال ابن فارس⁽¹⁾: الدال والراء في المضاعف يدلُّ على أصلين: أحدهما تولد شيء عن شيء، والثاني اضطرابٌ في شيء. فالأول الدَّرُّ دَرَّ اللَّبَنُ. والدَّرَّةُ دِرَّةُ السَّحَابِ: صَبُّهُ. ويقال: سَحَابٌ مِدْرَارٌ. ومن ذلك قولهم: «لله دَرَّة»، أي: عمله، وكأنَّه شُبِّهَ بالدَّرِّ الذي يكونُ من ذوات الدَّرِّ. ويقولون في الشَّتْمِ: «لا دَرَّ دَرُّهُ» أي: لا كَثُرَ خَيْرُهُ. ومن الباب: دَرَّتْ حَلُوبَةُ الْمُسْلِمِينَ، أي: فَيَثُومُ وَخَرَجَهُمْ. ولهذه الشُّوقُ دِرَّةٌ، أي: نَفَاقٌ، كأنَّها قد دَرَّتْ، وهو خلاف الغِرَارِ.

ومن هذا قولهم: استدرَّتِ المِعْرَى استدراراً، إذا أرادت الفحل، كأنَّها أرادت أن يَدِرَّ لها ماءٌ فحَلَّها. وأمَّا الأصل الآخرُ فالدَّرِيرُ من الدوابِّ: الشَّدِيدُ العَدُوُّ السَّرِيعُ.

والدُّرْدُرُ: مَنَابِتُ أَسْنَانِ الصَّبِيِّ. وهو مِنْ تَدَرَّدَتِ اللَّحْمَةُ تَدَرَّدَرًا، إذا اضطربت، ودَرَدَرَ الصَّبِيُّ الشَّيْءَ، إذا لَاقَهُ، يُدَرِّدُهُ. وَدَرَّرَ الرِّيحُ: مَهَبُهَا. وَدَرَّرَ الطَّرِيقُ: قَصَدُهُ؛ لِأَنَّهُ لَا يَخْلُو مِنْ جَاءٍ وَذَاهِبٍ. والدُّرُّ كِبَارُ اللَّوْلُوِّ، سَمِّيَ بِذَلِكَ لِاضْطِرَابِ يُرَى فِيهِ لَصَفَائِهِ، كَأَنَّهُ مَاءٌ يَضْطَرِبُ.

قال الجوهري⁽²⁾: الدَّرُّ: اللَّبَنُ. يقال في الذَّمِّ: لا دَرَّ دَرُّهُ، أي: لا كَثُرَ خَيْرُهُ. ويقال في المَدْحِ: لله دَرُّهُ: أي عمله. والله دَرُّكَ من رَجُلٍ. وناقَةٌ دَرُورٌ، أي: كثيرة اللبن، ودارٌ أيضاً. ونوقٌ دَرَارٌ. وفرسٌ دَرِيرٌ، أي سريعٌ.

والدَّرَّةُ: اللَّوْلُوَّةُ، والجمع دُرٌّ ودُرَّاتٌ.

والكوكب الدَّرِيُّ: الثاقب المضيئ، نُسِبَ إِلَى الدَّرِّ لَبِيَاضِهِ. وقد تُكْسَرُ الدال فيقال دَرِيٌّ. والدَّرَّةُ: التي يَضْرَبُ بِهَا. والدَّرَّةُ أيضاً: كثرة اللبن وسيلانه. وللحاق

(2) الصحاح في اللغة.

(1) معجم مقاييس اللغة.

دِرَّة، أي: استِدْرار للجَرْي. وللِسوق دِرَّة، أي نَفَاقٌ، وللِسحاب دِرَّة: أي صَبٌّ، والجمع دِرَرٌ، أي ذات دِرَرٍ. وَسَمَاءٌ مِدْرَارٌ، أي تَدْرُّ بالمطر. ويقال: هما على دَرَرٍ واحدٍ بالفتح، أي على قَصْدٍ واحد. ونحن على دَرَرِ الطريق، أي على قَصْدِهِ. ودَرَرُ الريح أيضاً: مَهَبُهَا. ودَرَّ الضَّرْعُ باللبن يَدْرُ دُروراً. ودَرَّتْ حَلوبَةُ المسلمِين، أي فَيَتْهُم. وأدَرَّتِ الناقَةُ، فهي مُدِرٌّ، إذا دَرَّ لَبَنُهَا. والريح تُدِرُّ السَّحابَ وتَسْتَدِرُّهُ، أي تَسْتَحْلِبُهُ.

قال الفيروزآبادي⁽¹⁾: الدَّرُّ: النَّفْسُ، وَاللَّبْنُ، كالدَّرَّةِ، بالكسْرِ، وكثُرَتْهُ، كالأَسْتِدْرَارِ، يَدْرُ وَيَدْرُ. والدَّرَّةُ، بالكسْرِ: الاسمُ. والله دَرُّهُ، أي: عَمَلُهُ. ولا دَرَّ دَرُّهُ: لا زَكَى عَمَلُهُ. ودَرَّ النَّبَاتُ: ائْتَفَّ.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا﴾ [الأنعام: 6] ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ [نوح: 11].

قال الطبري⁽²⁾: المطر، ويعني بقوله: «مدراراً»: غزيرة دائمة.

قال الفخر الرازي⁽³⁾: يريد الغيث والمطر، فالسمااء معناه المطر ههنا، والمدرار الكثير الدر، وأصله من قولهم در اللبن إذا أقبل على الحالب منه شيء كثير، فالمدرار يصلح أن يكون من نعت السحاب، ويجوز أن يكون من نعت المطر، يقال سحاب مدرار إذا تتابع أمطاره. ومفعال يجيء في نعت يراد المبالغة فيه. قال مقاتل ﴿مِدْرَارًا﴾ متتابعاً مرة بعد أخرى ويستوي في المدرار المذكور والمؤنث.

(3) التفسير الكبير.

(1) القاموس المحيط.

(2) جامع البيان.

قال ابن عطية⁽¹⁾: ﴿مَدْرَارًا﴾ بناء تكثير كمذكار ومئنات، ومعناه يدر عليهم بحسب المنفعة، لأن الآية إنما سياقها تعديد النعم وإلا فظاهرها يحتمل النعمة ويحتمل الإهلاك، وتحتمل الآية أن تراد السماء المعروفة على تقدير وأرسلنا مطر السماء لأن مدراراً لا يوصف به إلا المطر.

قال الألويسي⁽²⁾: أي غزيراً كثيراً الصب، وهو صيغة مبالغة يستوي فيه المذكر والمؤنث، وهو حال من السماء والظرف متعلق بأرسلنا.



(2) روح المعاني.

(1) المحرر الوجيز.

دَرَج - الدَّرَجَة

(الدَّرَجَة - الوَجَاهَة - الرُّفَى - المَقَام - القَدْر)

شرح المعاني:

الدرجة: هي مراحل الصعود، فكل له منهج صعود حتى الطالب في الابتدائية ثم المتوسطة ثم الثانوية ثم الجامعة فالحياة كلها درجات لكن أعظم الدرجات في الآخرة ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَالْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: 21] فالقرآن الكريم يصف الدرجات في قسم منها بأنها (أعظم) ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلٍ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلِهِ﴾ [الحديد: 10] وهناك درجة عالية ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى﴾ [طه: 75] إذن فالدرجات مراحل متعددة تنتقل من درجة إلى درجة أعلى.

الوجيه: هو أن يكون للشخص وجه في مجتمعه، وجه مقبول إذا حضر يُعد وإذا غاب يُفقد وإذا سأل يُعطى وإذا طلب أُجيب وإذا شفع يشفع ويحببه الناس ويقومون له إذا أقبل ويودعونه إذا غاب، هكذا هو الوجيه كما قال تعالى في سيدنا عيسى ابن مريم عليه السلام: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ لِمَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ [آل عمران: 45] هذه الوجاهة ترتب لصاحبها عدة ألقاب وعدة كلمات جاء بها القرآن، فلا تكون وجيهاً إلا إذا ترقيت درجات في مجتمعك ثم صارت لك منزلة ثم صارت لك زلفى ثم صرت وسيلة ثم كان لك مقام ثم كان لك قدم صدق ثم كان لك مقعد صدق وهذه أمور تجري في الدنيا والآخرة كما قال تعالى: ﴿وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ وهذه الكلمات القرآنية قد تتحقق في الدنيا كما تتحقق في الآخرة.

الزلفى: القرب من الملك أو الحاكم، فالملك له حاشية وجلساء اعتاد الناس أن يروههم في مجلس الملك، هؤلاء من أهل الزلفى. ﴿فَعَقَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ﴾ [ص: 25] ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ [الأعراف: 206] هذه العنودية هي الزلفى لأنها قريبة من الملك سواء كان الملك في الدنيا أو ملك الملوك يوم القيامة، هذه هي الزلفى. إذا كنت من أهل الزلفى أي من الجالسين عند الملك أو الأمير دائماً فالزلفى لها صلاحيات تجعل لك وجاهة، كل ذلك من أسباب الواجهة، فإذا كانت لك درجة رفيعة فأنت وجيه فإذا بلغت القمة في الزلفى فأنت في مقعد الصدق. ومقعد الصدق هو الذي يجلس عن يمين الملك كما ورد في الأحاديث: «الذين عن يمين الله وكلتا يديه يمين، اثنان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه - وجبت محبتي للمتزاورين في».

قدم الصدق: الذي لا ترد شفاعته ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكٰفِرُونَ إِنَّكَ هٰذَا لَسٰحِرٌ مُّبِينٌ﴾ [يونس: 2] وهو سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام الذي لا ترد شفاعته أبداً، فعندما يقول عليه الصلاة والسلام: «من يقول سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم في اليوم مئة مرة غفر الله ذنوبه» وكثير من هذه الأحاديث في هذا الباب فيقولون أن الله تعالى لم يقل ذلك لكن الله ﷻ أعطى النبي ﷺ الصلاحيات، فإذا قال عليه الصلاة والسلام شيئاً من هذا القبيل فإنه يجيبه إلى ذلك فكأن الله تعالى أعطاه شيئاً من صلاحياته ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107] هذه الرحمة منها ما وكله الله تعالى إليه فقال له عليه الصلاة والسلام: «قل ما شئت وأنا أقبل وأجيب» ولهذا سمي المولى ﷺ نفسه «رؤوفاً رحيماً» وسمى المصطفى «رؤوف رحيم» ولم يعط هذين الاسمين لأحد من خلقه إلا للنبي عليه الصلاة والسلام.

هذه الوسيلة هي كتابت الملك ينوب عنه وأحياناً يصدر أوامر وتعليمات من

غير أن يرجع إلى الملك لأنه خوَّله بذلك. وقال عليه الصلاة والسلام: «ألا وإني أوتيت القرآن ومثله معه».

المُقام: دار الإقامة ﴿خَلِيدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ [الفرقان: 76] ﴿الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمَقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نُصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ [فاطر: 35] الجنة والفردوس الأعلى من دار الإقامة. والمقام هو نوع من الوجاهة في الشدائد، والوجهاء أنواع كل في مجاله ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الإسراء: 79] فمثلاً شخص وجاهته يستعملها لنصرة المظلومين وآخر في الصلح بين المتخاصمين وهكذا فصاحب المقام هو من يلجأ إليه الناس لوجاهته في شدائدهم (الفقر، المرض، العدو، المحن وما إلى ذلك) يتوخون منه أنه قادر على أن يخفف آلامهم وأحزانهم وأن يجدوا عنده ما يحتاجونه فهذا مقام ﴿وَلَمَنْ حَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ [الرحمن: 46] فيوم القيامة الناس في تلك المحنة العظيمة في الحشر ذلك الفرع الأكبر فمن الذي يقوم على أمر الناس ومن الذي يفزعون إليه؟.

القدر: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿[الطلاق: 3] وقد سميت ليلة القدر لأن فيها قيمة عظيمة عند الناس فكل من له قدر له مواصفات عظيمة تجعله في أعين الناس كبيراً هذا هو القدر كل ما كبر الأمر سواء أكان عليمًا أو عالمًا أو حاكماً أو مشرعاً عظيماً أو غيره فكل شيء له قيمة هائلة عند الناس وقيمة أساسية يكون ذا قدر.

هذه هي منظومة الوجاهة، وكل هذه الكلمات تصب في أنك وجيه ﴿وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [آل عمران: 45] كسيد الخلق سيدنا محمد ﷺ وسيدنا عيسى ابن مريم ﷺ وكل الأنبياء وكثير من أتباع الأنبياء، وهناك وجهاء من الأمة في الدنيا والآخرة من صالحين وعلماء ومجاهدين وشهداء وكل هؤلاء يشفعون يوم القيامة، فلكل ذي قيمة وقدر يوم القيامة شفاعة، والكثير من الصالحين يدخرون هذه الوجاهة للآخرين وليس لأنفسهم، فإذا كان وجيهاً وطلب لنفسه سقطت وجاهته،

فمن عناصر الوجاهة أن لا يطلب لنفسه بل للآخرين أما هو فالملك أو الحاكم هو الذي يعرف قدره فيعطيه فإذا أعطاه قِبَل، أما أن يسأل فهذا ليس وجيهاً وهذا معنى كلام المصطفى ﷺ الذي ادّخر شفاعته ليوم القيامة.

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس⁽¹⁾: الدال والراء والجيم أصلٌ واحد يدُلُّ على مُضِيِّ الشَّيْءِ والمُضِيِّ في الشَّيْءِ. من ذلك قولهم: دَرَجَ الشَّيْءُ، إذا مَضَى لسبيله. ورجع فلانٌ أدراجَه، إذا رَجَعَ في الطَّرِيق الذي جاء منه. ودَرَجَ الصَّبِيُّ، إذا مَشَى مَشِيَّتَهُ. قال الأصمعيّ: دَرَجَ الرَّجُلُ، إذا مَضَى ولم يُخَلِّفْ نَسْلاً.

ومدّارج الأكمة: الطُّرق المعترضة فيها.

فأمّا الدَّرَج لبعض الأصونة والآلات، فإن كان صحيحاً فهو أصلٌ آخَرٌ يدُلُّ على سَتْرٍ وتَغْطِيَةٍ. من ذلك أدْرَجْتُ الكِتَابَ، وأدْرَجْتُ الحَبْلَ. قال: ومن هذا الباب الثاني الدَّرَجَة، وهي خِرْقٌ تُجَعَلُ في حياءِ النَّاقَةِ ثم تُسَلُّ، فإذا شَمَّتْها النَّاقَةُ حَسِبْتُها ولَدَها فَعَطَفْتُ عليه.

قال الجوهري⁽²⁾: دَرَجَ الرَّجُلُ والصَّبُّ يَدْرُجُ دُرُوجاً ودَرَجَاناً، أي: مشى. ودَرَجَ، أي: مضى لسبيله. يقال: درج القوم، إذا انقرضوا. والاندراج مثله. وفي المثل: أكذب من دَبِّ ودَرَجَ، أي: أكذب الأحياء والأموات. قال الأصمعيّ: دَرَجَ الرَّجُلُ، إذا لم يُخَلِّفْ نَسْلاً. ودَرَجَتِ النَّاقَةُ وأدْرَجَتْ، إذا جازت السنة ولم تُنْتَجِ، فهي مدّارجٌ إذا كانت تلك عادتها. وأدْرَجْتُ الكِتَابَ: طويته. ودَرَجَهُ إلى كذا واستدرجه، بمعنى، أي أدناه منه على التدرّج، فتدَرَّجَ هو. والدَّرُوجُ: الرِّيحُ السريعة المَرَّة؛ يقال: رِيحٌ دَرُوجٌ، وقِدْحٌ دَرُوجٌ. والمَدْرَجَةُ المَذْهَبُ والمَسْلَكُ.

(1) معجم مقاييس اللغة.

(2) الصحاح في اللغة.

وقولهم: خَلَّ دَرَجُ الضَّبِّ، أي: طريقه، لئلا يسلك بين قدميك فتنتفخ. والجمع الأدرَجُ، ومنه قولهم: رجعتُ أدرَاجي، أي رجعتُ في الطريق الذي جئت منه. والدَّرَجَةُ المِرْقَاةُ، والجمع الدَّرَجُ. والدَّرَجَة واحدة الدَّرَجَات، وهي الطبقات من المراتب. والدَّرَجَةُ، مثال الهمزة: لغة في الدَّرَجَة، وهي المِرْقَاة.

والدَّرَجَة أيضاً: طائر أسود باطن الجناحين وظاهرهما أغمبر على خِلقة القطا إلا أنها أطف. والدَّرَجُ الذي يُكْتَبُ فيه، وكذلك الدَّرَجُ بالتحريك. يقال: أنفذته في دَرَجِ الكتاب، أي في طَيِّه. وذهب دمه أدرَاج الرياح، أي هدرأ. والدَّرَجُ، بالضم: حِفْشُ النِّسَاء. والدَّرَجَة أيضاً: شيء يُدْرَجُ فيُدْخَلُ في حِيَاءِ الناقَة ثم تَشْمُهُ فتظنُّه ولدها فترأمه. والدَّرَاجُ والدَّرَاجُ: ضربٌ من الطير، للذكر والأنثى، حتى تقول: الحَيْقُطَانُ، فيختصُّ بالذكر. وأرضٌ مَدْرَجَةٌ، أي: ذات دُرَاج. والدَّرَاجَةُ، بالفتح: الحال، وهي التي يُدْرَجُ عليها الصبي إذا مشى.

قال الفيروزآبادي⁽¹⁾: دَرَجٌ دُرُوجاً ودَرَجَاناً: مشى، ودرج القوم: انْقَرَضُوا، كاندَرَجُوا، ودرج فلانٌ: لم يُخَلِّفْ نَسْلاً، أو مَضَى لسبيلِهِ، كدَرَجَ، كَسَمِعَ، ودرج الناقَة: جازتِ السَّنة ولم تُتَبَّجْ، كأدْرَجَتْ، وطوى، كدَرَجَ وأدْرَجَ. وكَسَمِعَ صَعَدَ في المَرَاتِبِ، وَلَزِمَ المَحَجَّةَ من الدِّينِ أو الكلام. والدَّرَاجُ، كَشَدَّادٍ: النَّمَامُ، والقُنْفُذُ، وكَرْمَانٍ: طَائِرٌ. ودَرَجَ، كَسَمِعَ: دامَ على أَكْلِهِ. والدَّرُوجُ: الرِّيحُ السَّرِيعَةُ المَرَّةً.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿وَالرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: 228].

قال البغوي⁽²⁾: ﴿وَالرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ قال ابن عباس: بما ساق إليها من

(2) معالم التنزيل.

(1) القاموس المحيط.

المهر وأنفق عليها من المال، وقال قتادة: بالجهاد، وقيل بالعقل، وقيل بالشهادة، وقيل بالميراث، وقيل: بالدية وقيل بالطلاق، لأن الطلاق بيد الرجال، وقيل بالرجعة، وقال سفيان وزيد بن أسلم: بالإمارة وقال القتيبي وللرجال عليهن درجة معناه فضيلة في الحق.

قال الزمخشري⁽¹⁾: ﴿دَرَجَةٌ﴾ زيادة في الحق وفضيلة. قيل: المرأة تنال من اللذة ما ينال الرجل، وله الفضيلة بقيامه عليها وإنفاقه في مصالحها.

● قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [الأنفال:

. [4]

قال الطبري⁽²⁾: يعني جلّ ثناؤه بقوله: ﴿لَهُمْ دَرَجَاتٌ﴾ لهؤلاء المؤمنين الذين وصف جلّ ثناؤه صفتهم درجات، وهي مراتب رفيعة.

ثم اختلف أهل التأويل في هذه الدرجات التي ذكر الله أنها لهم عنده ما هي، فقال بعضهم: هي أعمال رفيعة وفضائل قدّموها في أيام حياتهم. ذكر، عن مجاهد: ﴿لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ قال: أعمال رفيعة.

وقال آخرون: بل ذلك مراتب في الجنة.

قال الشعراوي⁽³⁾: والدرجات عند البشر هي ارتقاعات يسعى إليها، فما بالناس بالدرجات التي عند الرب؟ وما دام الله سبحانه وتعالى قد وعدهم بالدرجات العالية عنده فقد ضمنوا المغفرة؛ لأن الواحد منهم سيظهر بالمغفرة، وجاء الحق بعطاء الدرجات قبل المغفرة لأنه سبحانه خلق الخلق ويعرف أنهم أهل أغيار، ويعلم أن هناك من أسرفوا على أنفسهم، ويحاولون فعل الخيرات لأنهم يؤمنون بأن الحسنات يذهبن السيئات، وسبحانه علمنا أن معالم الدين تأخذ حظها من المسرفين على أنفسهم، لأن من لم يسرف على نفسه تجده يطيع الله طاعة هادئة

(3) تفسير الشعراوي.

(1) الكشف.

(2) جامع البيان.

رتيبة فليس وراءه ما يلهب ظهره. أما من عملوا السيئات فإن هذه السيئات تقضى مضاجعهم. والمسرف على نفسه لحظة الإسراف يظن أنه أخذ من الله شيئاً واحداً من خلف منهجه، فيوضح له ربنا: إياك أن تظن أن هناك من يخدع الله. فأنت ستعمل كثيراً وبشوق لخدمة منهج الله، ونجد المسرف على نفسه لحظة الإفاقة والتوبة، وهو يندفع إلى فعل الخيرات. مصداقاً لقول الرسول ﷺ: «إن الله تعالى ليؤيد الدين بالرجل الفاجر»؛ لأن فجر الفاجر يتجسد أمامه ويريه سوء المصير، فيندفع إلى فعل الخيرات ليمحو السيئات، أما من لم يخطئ فنجد هادئ القلب، مطمئن النفس، لا يلهب ظهره شيء.

● وقال تعالى: ﴿هُمَّ دَرَجَتْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [آل عمران: 163].

قال الراغب⁽¹⁾: أي: هم ذوو درجات عند الله، ودرجات النجوم تشبيهاً بما تقدم. ويقال لقارة الطريق: مدرجة، ويقال: فلان يتدرج في كذا، أي: يتصعد فيه درجة درجة، ودرج الشيخ والصبي درجاناً: مشى مشية الصاعد في درجه. والدرج: طي الكتاب والثوب، ويقال للمطوي: درج. واستعير الدرج للموت، كما استعير الطي له في قولهم: طوته المنية، وقولهم: من دب ودرج، أي: من كان حياً فمشى، ومن مات فطوى أحواله.

● قال تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: 182].

قال الزمخشري⁽²⁾: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم﴾ سنستدنيهم قليلاً قليلاً إلى ما يهلكهم ويضاعف عقابهم.

قال القرطبي⁽³⁾: أخبر تعالى عن كذب بآياته أنه سيستدرجهم. قال ابن عباس: هم أهل مكة. والاستدرج هو الأخذ بالتدرج، منزلة بعد منزلة. والدرج: لف الشيء؛ يقال: أدرجته ودرجته، ومنه أدرج الميت في أكفانه.

(3) الجامع لأحكام القرآن.

(1) مفردات الراغب.

(2) الكشاف.

وقيل : هو من الدَّرَجَة ؛ فالاستدراج أن يُحَطَّ درجة بعد درجة إلى المقصود . قال الضحاك : كلما جددوا لنا معصية جددنا لهم نعمة . وقيل لذي النون : ما أقصى ما يخدع به العبد؟ قال : بالألطف والكرامات ؛ لذلك قال سبحانه : ﴿سَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ نسبغ عليهم النعم ونسيهم الشكر .

قال الماوردي⁽¹⁾ : والاستدراج أن تنطوي على حالة منزلة بعد منزلة .

وفي اشتقاقه قولان : أحدهما : أنه مشتق من الدرج لانطوائه على شيء بعد شيء .

والثاني : أنه مشتق من الدرجة لانحطاطه من منزلة بعد منزلة .

وفي المشار إليه باستدراجهم قولان :

أحدهما : استدراجهم إلى الهلكة .

والثاني : الكفر .



(1) النكت والعيون .

دَرَسَ

(دَرَسَ - تَلَا - قَرَأَ)

- **الدُّرُسُ:** تناول ما كتبه الأولون بالحفظ وإدامة القراءة.
- **التَّلَاوَةُ:** قراءة الكتاب بالترتيب المنظم من الأول إلى الآخر بتدبر، وقراءة القرآن بالترتيب المنظم من الأعلى إلى الأسفل ﴿أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ [العنكبوت: 45].
- **القِرَاءَةُ:** قراءة القرآن بصوت مسموع ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: 204].



شرح المعاني:

القراءة: هو جمع الحروف والقراء، هو الجمع. لا يقال: قرأ الباء وإنما يقال: نطق الباء، فالقراءة هي جمع الحروف لتصبح كلمة لها معنى فتنتقل منها إلى بقية المراحل التعليمية (اقرأ كتابك) القراءة أي عندك قدرة على تجميع الحروف فتعرف أن هذه الكلمة تعني كذا. والفرق بينك وبين من لا يقرأ أنك تقرأ وتكتب وهو أمي لا يعرف الحروف ولا يصنع بها كلمة، وأخذت كلمة الأمي أي كما ولدته أمه. والقراءة هي مرحلة أولية للعملية التعليمية، وأول ما أمر به النبي عليه الصلاة والسلام (اقرأ) أي أن يجمع حروف الكون ليفهم معانيه. مجرد نطق الكلمة هو القراءة وهذا ما يفعله الأجانب عندما يقرؤون القرآن.

التلاوة: إذا كان يعرف المعنى ويتحقق منه ويحسن استنباط المعاني

المقصودة من الكلمة التي قرأها تسمى تلاوة وحتى لو لم يعرف المعنى، فالتلاوة قراءة مع فهم واستنباط للمعنى، وكلما تقدم استنباطك للمعنى تزداد تلاوتك حتى تصبح حق التلاوة، ومن إعجاز القرآن قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخٰسِرُونَ﴾ [البقرة: 121]. القرآن فيه آيات محكمة وآيات متشابهات فالمحكم من الآيات ما تعلق بالعبادات، والمتشابه منها التي تتكلم عن العلوم وغيرها. ويقول تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشٰبِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشٰبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: 7] يقال أن اليهود والنصارى إذا آمنوا فهم يتلون الكتاب حق تلاوته ويفهون من آيات الكتاب ما لم يفهمه المسلمون إلى عصرنا هذا؛ وذلك لما لهم من خلفية بالكتب السابقة التي نزلت قبل الإسلام، ويقول رب العالمين بأن من أهل الكتاب من يستنبط من هذا الكتاب لأنهم يتلونه حق تلاوته ويستنبطون معاني أرادها الله تعالى. وهناك بعض المستشرقين والمنصفين الموضوعيين من تكلم عن القرآن كلاماً لم يصل إليه المسلمون، ومنهم غارودي ولويس بوكاي واكتشفوا من علوم القرآن ما لم يكتشفه المسلمون. كل تلاوة قراءة وليست كل قراءة تلاوة؛ فالتلاوة هي قراءة بتدبر وعمق وهي أخص من القراءة.

الدرس: الدراسة تأتي بعد القراءة والتلاوة، وهي أن تستوعب كل ما تتلوه، فأنت تقرأ الكتاب أولاً ثم تتلوه بحيث تفهم معانيه ثم تدرسه بحيث لم يعد في هذا المكتوب أمامك شيء لا تعرفه وكل ما هو مكتوب أصبح في دماغك كما تدرس الآثار (آثار انمحت كقصر أصبح خراباً ثم آثاراً ثم درست فلم يبق منها شيء). اعتبر المكتوب أمامك بناء لم يعد فيه شيء إلا وقد نقلته إلى دماغك، قال تعالى: ﴿وَلٰكِن كُؤُنَا رَبِّنٰنِ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتٰبَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: 79] وفي حديث النبي عليه الصلاة والسلام كلام في غاية الإعجاز: «ما اجتمع قوم في

بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده» يتلونه تلاوة متدبر عالم ثم ينقلون المعلومات من المكتوب إلى عقولهم، لذا فهم درسوه أي انمحي ما فيه لأنه نُقِلَ إلى عقولهم.

عرف: هو التعلم التدريجي، والمعرفة متدرجة ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَاعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [النمل: 93] وكل علوم الأرض التي أصبحت حقائق ثابتة بدأت معرفة ثم تطورت جيلاً بعد جيل إلى أن أصبحت علماً يقينياً، وما من علم إلا بدأ بالمعرفة ثم انتهى إلى العلم اليقيني قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ [محمد: 19] لا يجحد بها إلا مكابر ﴿وَحَمِّدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل: 14].

علم: بعد القراءة تلاوة ثم دراسة ثم معرفة ثم علم، لذلك يقال: فلان عارف بالله ولا يقال عالم بالله وليس في وسع العقل البشري بقوانين الدنيا أن يصل للتعرف إلى الله تعالى معرفة يقينية أي معرفة ذاته وصفاته سبحانه، لأنه كما قال تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: 103] العبد يقال له عارف بالله (متدرج) ولا يقال عالم بالله، أما الله سبحانه وتعالى فمن أسمائه العليم وليس العارف، والله تعالى هو العالم لأن علمه قطعي وليس تدريجياً.

هكذا هي المنظومة المقدسة كما هي، وأول علاقة بين العبد وربيه هي العلم ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: 31] مع آدم. ومع داوود عليه السلام ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾ [الأنبياء: 80]. ومع الرجل الصالح في سورة الكهف ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ ومع موسى عليه السلام ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَعْبَكَ عَلَيَّ أَنْ تَعْلَمَ مِنْ مِمَّا عَلَّمْتَ رَسُولًا﴾ [الكهف: 66].

ومع عيسى عليه السلام ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَذْكَرَ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَلَدَتِكَ إِذْ أُيِّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: 110]. ومع محمد عليه الصلاة والسلام ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: 113] فالتعليم هو العلاقة المقدسة بين الله تعالى وعباده وأنبيائه، ولذا قال موسى عليه السلام ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: 114] وما من شيء أقدس من أن تكون عالماً أو متعلماً.

وفي الحديث الشريف عن الرسول عليه الصلاة والسلام: «الناس عالم ومتعلم، ولا خير فيمن سواهما» وقال عليه السلام: «الناس عالم ومتعلم، وما سواهما رعا وهمج» إذا كنت من العلماء أو المتعلمين فقد فزت بكل المراحل في الوجهة فتكون وجيهاً ذا مكانة وزلفى لأنك صرت ربانياً ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: 79] حينئذ هذه المنزلة العظيمة جعلها الله تعالى مع الأنبياء تماماً وجعل العلماء كذلك ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: 18] أولو العلم أي كل ذي علم. ويقول عليه الصلاة والسلام: «من جاءه أجله وهو يطلب علماً لقي الله يوم يلقاه وليس بينه وبين الأنبياء إلا درجة النبوة».

ما من منزلة من منازل الوجهة إلا وتنطبق بمجملها على العلماء والمتعلمين وطلاب العلم الذين تفرش الملائكة لهم أجنحتها رضياً بما يفعلون. هذه المنظومة هي المتجلية يوم القيامة، وما من أحد يسبق العلماء يوم القيامة لأنهم يُبعثون مع الأنبياء، ولو تتبعنا القرآن لوجدنا أن كلمة العلم والتعلم مع الأنبياء والصالحين أعجوبة العجائب.

هناك علوم خاصة بالدنيا وفيها نقص كما هو الآن، فهناك علوم بلغت مرحلة متقدمة مما كشف الله تعالى به للغربيين فجعلوا الحياة الدنيا في منتهى الراحة وملكوا الدنيا بالمواصلات وغيرها من الاكتشافات والاختراعات لكن هؤلاء لم يفتنوا بعلومهم في مجالات الدنيا بعلم الآخرة ولذا فهو ناقص ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ [الرُّوم: 7] فهذه الأجيال اهتمت بالخدمات الدنيوية التي تسهل الحياة ونسيت الآخرة والله تعالى يقول: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القَصَص: 77] ولكي يكتمل العلم يجب أن نجمع بين العلمين، وليس الرجل رجل الدنيا وليس الرجل رجل الآخرة وإنما الرجل رجلهما. ولا بد أن يطلب علم الدنيا والآخرة والحديث عن رسول الله عليه الصلاة والسلام لما رأى عليه الصلاة والسلام شخصاً صائماً وأصحابه يظلمونه فسأل عليه الصلاة والسلام: «ماذا يفعل؟» قالوا: صائم وأصحابه يظلمونه فقال عليه الصلاة والسلام: «من أين يعيش؟» قالوا: يكفونه، فقال عليه الصلاة والسلام: «كلهم خير منه». فالإسلام دين وسطي متوازن «اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً» وهذا هو التوازن المنطقي الصحيح.

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس⁽¹⁾: الدال والراء والسين أصلٌ واحد يدلُّ على خفاءٍ وخفضٍ وعَفَاءٍ. فالدَّرْسُ: الطَّرِيقُ الخَفِيّ. يقال: دَرَسَ المنزِلُ: عفا. ومن الباب الدَّرِيسُ: الثُّوبُ الخَلَقُ. ومنه دَرَسَتِ المرأةُ: حَاضَت. ودَرَسْتُ الحَنْطَةَ وغيرها

(1) معجم مقاييس اللغة.

في سُنْبُلِهَا، إِذَا دُسَّتْهَا، فَهَذَا مَحْمُولٌ عَلَى أَنَّهَا جُعِلَتْ تَحْتَ الْأَقْدَامِ، كَالطَّرِيقِ الَّذِي يُدْرَسُ وَيُمَشَى فِيهِ. قَالَ: وَالذَّرْسُ: الْجَرْبُ الْقَلِيلُ يَكُونُ بِالْبَعِيرِ. وَمِنَ الْبَابِ دَرَسْتُ الْقُرْآنَ وَغَيْرَهُ، وَذَلِكَ أَنَّ الدَّارِسَ يَتَّبِعُ مَا كَانَ قَرَأَ، كَالسَّالِكِ لِلطَّرِيقِ يَتَّبِعُهُ. وَمِمَّا شَدَّ عَنِ الْبَابِ الدَّرَوَاسُ: الْغَلِيظُ الْعُنُقِ مِنَ النَّاسِ وَالذَّوَابِّ.

قال الجوهري⁽¹⁾: دَرَسَ الرَّسْمُ يَدْرُسُ دُرُوسًا، أَي: عَفَا. وَدَرَسَتْهُ الرِّيحُ، يَتَعَدَّى وَلَا يَتَعَدَّى. وَدَرَسْتَ الْكِتَابَ دَرَسًا وَدِرَاسَةً. وَدَرَسَتِ الْمَرْأَةُ دُرُوسًا، أَي: حَاضَتْ. وَدَرَسُوا الْحِنِطَةَ دِرَاسًا، أَي: دَاسَوْهَا.

وَالذَّرْسُ أَيْضًا: الطَّرِيقُ الْخَفِيُّ. وَدَارَسْتُ الْكُتُبَ وَتَدَارَسْتُهَا وَأَدَارَسْتُهَا، أَي: دَرَسْتُهَا. وَالذَّرْسُ بِالْكَسْرِ: الدَّرِيسُ، وَهُوَ الثَّوْبُ الْخَلْقُ. وَالْجَمْعُ دِرْسَانٌ. وَقَدْ دَرَسَ الثَّوْبُ دَرَسًا، أَي: أَخْلَقَ. وَحَكَى الْأَصْمَعِيُّ: بَعِيرٌ لَمْ يُدْرَسْ، أَي: لَمْ يُرْكَبْ. وَالذَّرَوَاسُ: الْغَلِيظُ الْعُنُقِ مِنَ النَّاسِ وَالْكَلابِ، وَهُوَ الْعَظِيمُ أَيْضًا.

قال الفيروزآبادي⁽²⁾: دَرَسَ الرَّسْمُ دُرُوسًا: عَفَا، وَدَرَسَتْهُ الرِّيحُ، لِأَزْمِ مُتَعَدِّ. وَدَرَسَتْ الْمَرْأَةُ دَرَسًا وَدُرُوسًا: حَاضَتْ، وَهِيَ دَارِسٌ. وَدَرَسَ الْكِتَابَ يَدْرُسُهُ وَيَدْرِسُهُ دَرَسًا وَدِرَاسَةً: قَرَأَهُ، كَأَدْرَسَهُ وَدَرَسَهُ. وَدَرَسَ الْجَارِيَةَ: جَامَعَهَا. وَدَرَسَ الْحِنِطَةَ دَرَسًا وَدِرَاسًا: دَاسَهَا. وَدَرَسَ الْبَعِيرُ: جَرِبَ جَرَبًا شَدِيدًا، فَقَطَرَ. وَدَرَسَ الثَّوْبَ: أَخْلَقَهُ؛ فَدَرَسَ هُوَ، لِأَزْمِ مُتَعَدِّ. وَأَبُو دِرَاسٍ: فَرَجُ الْمَرْأَةِ.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿وَدَرَسُوا مَا فِيهِ﴾ [الأعراف: 169].

قال الطبري⁽³⁾: ﴿وَدَرَسُوا مَا فِيهِ﴾ فإنه معطوف على قوله: ﴿وَرَبُّنَا أَلْكِتَابَ﴾

(3) جامع البيان.

(1) الصحاح في اللغة.

(2) القاموس المحيط.

[الأعراف: 169] ومعناه: فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب، ودرسوا ما فيه. ويعني بقوله: ﴿وَدَرَسُوا مَا فِيهِ﴾ قرؤوا ما فيه. يقول: ورثوا الكتاب فعملوا ما فيه ودرسوه، فضيعوه وتركوا العمل به، وخالفوا عهد الله إليهم في ذلك. كما قالوا في قوله: ﴿وَدَرَسُوا مَا فِيهِ﴾ قال: علموه وعلموا ما في الكتاب الذي ذكر الله وقرأ: ﴿بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكُتُبَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: 79].

قال الفخر الرازي⁽¹⁾: ﴿وَدَرَسُوا مَا فِيهِ﴾ أي فهم ذاكرون لما أخذ عليهم لأنهم قد قرؤوه ودرسوه.

قال الشوكاني⁽²⁾: وقيل: معنى ﴿وَدَرَسُوا مَا فِيهِ﴾ أي: محوه بترك العمل به والفهم له، من قولهم: درست الريح الآثار إذا محتها.

● قال تعالى: ﴿وَمَا آتَيْنَهُمْ مِّنْ كِتَابٍ يَدْرُسُونَهَا﴾ [سبأ: 44].

قال الزمخشري⁽³⁾: وما آتيناهم كتباً يدرسونها فيها برهان على صحة الشرك، ولا أرسلنا إليهم نذيراً يندرهم بالعقاب إن لم يشركوا، كما قال عز وجل: ﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ﴾ [الرؤم: 35] أو وصفهم بأنهم قوم أميون أهل جاهلية لا ملة لهم وليس لهم عهد بإنزال كتاب ولا بعثه رسول كما قال تعالى: ﴿أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِّن قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ﴾ [الزخرف: 21] فليس لتكذيبهم وجه متشبه، ولا شبهة متعلق، كما يقول أهل الكتاب وإن كانوا مبطلين: نحن أهل كتب وشرائع، ومستندون إلى رسل ومن رسل الله.

قال أبو السعود⁽⁴⁾: ﴿وَمَا آتَيْنَهُمْ مِّنْ كِتَابٍ يَدْرُسُونَهَا﴾ فيها دليل على صحة الإشراك كما في قوله تعالى: ﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ﴾ [الرؤم: 35] وقوله تعالى: ﴿أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِّن قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ﴾ وقرئ يدرسونها ويدرسونها بتشديد الدال يفتعلون من الدرس.

(1) التفسير الكبير.

(3) الكشاف.

(2) فتح القدير.

(4) إرشاد العقل السليم.

قال الفخر الرازي⁽¹⁾: يعني غير القرآن ما آتيناهم كتاباً وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير، فلما كان المؤتى في الآية الأولى هو الكتاب، فحمل الإيتاء في الآية الثانية على إيتاء الكتاب أولى.

● قال تعالى: ﴿وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ﴾ [الأنعام: 105].

قال الشعراوي⁽²⁾: ﴿وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ﴾ [الأنعام: 105]؟ إننا نعلم أن السماء تتدخل حين يطم الفساد، لكن إن وجد في الذات الإنسانية نفس لؤامة فهي مناعة للنفس ووقاية لها. فإن فعل الإنسان ذنباً تلومه نفسه فيرجع، وإن اختفت النفس اللؤامة وصارت النفس أمارة بالسوء، امتنع في المجتمع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فمعنى ذلك أن الفساد قد طمّ، وهنا تتدخل السماء وتأتي ببيان جديد ومعجزة جديدة. إن الفساد لا يتأبى إلا من وجود طبقات تطحن في طبقات، والذين يطحنون بالفساد هم من يستقبلون المنهج بشوق، لكن الطاحن المستفيد من الفساد هو الذي يعارض المنهج؛ ولذلك فإن كل جماعة حاربت الرسل هم من الطاحنين للناس، لكنّ المطحونين إنما يريدون من ينقذهم.

قال ابن عجيبة⁽³⁾: ﴿دَرَسْتَ﴾ هذه الأخبار وعفت، وأخبرت بها من إملاء غيرك عليك، كقولهم: أساطير الأولين، وليكون عاقبة قوم آخرين الاهتداء، وإليهم الإشارة بقوله: ﴿وَلِنُنَبِّئَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: 105] أي: وليتضح معناه عند قوم آخرين، فيهدتوا به إلى معرفتي وتوحيدي ومحل رضواني وكرامتي، فالخطاب متحد، والأثر مختلف على حسب السابقة.



(3) البحر المديد.

(1) التفسير الكبير.

(2) تفسير الشعراوي.

دَرَكَ

(دَرَكَ - بَلَغَ - لَحِقَ - وَرَدَ)

- **الإِدْرَاكُ:** الوصول السريع لشيء بعيد ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّسَيَّرَةٍ﴾ [النساء: 78].
- **البُلُوغُ:** الوصول إلى أقصى المطلوب ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ [الأحاف: 15].
- **اللَّحَاقُ:** الوصول إلى من سبقك بشدة ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: 101].
- **الْوُرُودُ:** الوصول إلى مصدر الماء البعيد ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ﴾ [القَصَص: 23].



النصوص اللغوية:

قال ابن فارس⁽¹⁾: الدال والراء والكاف أصل واحد، وهو لحوق الشيء بالشيء ووصوله إليه. يقال: أدركت الشيء أدركه إدراكاً. ويقال: فرس درك الطريدة، إذا كانت لا تفوته طريدة. ويقال: أدرك الغلام والجارية، إذا بلغا. وتدارك القوم: لحق آخرهم أولهم. وتدارك الثريان، إذا أدرك الثرى الثاني المطر الأول. فأما قوله تعالى: ﴿بَلِ أَدْرَاكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ [النمل: 66]، فهو من هذا؛ لأن علمهم أدركهم في الآخرة حين لم ينفعهم. والدرك القطعة من الحبل تشد في

(1) معجم مقاييس اللغة.

طَرَفَ الرَّشَاءِ إِلَى عَرْقُوتِ الدَّلْوِ؛ لثَلَا يَأْكُلُ الْمَاءَ الرَّشَاءَ. وَهُوَ وَإِنْ كَانَ لِهَذَا فِيهِ تُدْرِكُ الدَّلْوُ. وَمِنْ ذَلِكَ الدَّرَكُ، وَهِيَ مَنَازِلُ أَهْلِ النَّارِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْجَنَّةَ دَرَجَاتٌ، وَالنَّارَ دَرَكَاتٌ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُنْفِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [النِّسَاءَ: 145]، وَهِيَ مَنَازِلُهُمُ الَّتِي يُدْرِكُونَهَا وَيَلْحَقُونَ بِهَا، نَعُودٌ بِاللَّهِ مِنْهَا.

قال الجوهري⁽¹⁾: الإِدْرَاكُ: اللُّحُوقُ. يُقَالُ: مَشَيْتُ حَتَّى أَدْرَكْتُهُ، وَعِشْتُ حَتَّى أَدْرَكْتُ زَمَانَهُ. وَأَدْرَكْتُهُ بِبَصْرِي، أَي: رَأَيْتُهُ. وَأَدْرَكَ الْغُلَامُ وَأَدْرَكَ الثَّمْرُ، أَي: بَلَغَ. وَرَبَّمَا قَالُوا: أَدْرَكَ الدَّقِيقُ بِمَعْنَى فَتِيَ. وَاسْتَدْرَكْتُ مَا فَاتَ وَتَدَارَكْتُهُ، بِمَعْنَى: وَتَدَارَكَ الْقَوْمُ، أَي تَلَا حَقْوًا، أَي لِحِقَ آخِرَهُمْ أَوْلَهُمْ. وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿حَتَّى إِذَا أَدْرَكُوا فِيهَا جَمِيعًا﴾ [الأعراف: 38] وَأَصْلُهُ تَدَارَكَوا، فَأَدْغَمْتَ التَّاءَ فِي الدَّالِ وَاجْتَلَبْتَ الْأَلْفَ لِيَسْلَمَ السُّكُونُ. وَتَدَارَكَ الثَّرْيَانُ، أَي أَدْرَكَ ثَرَى الْمَطْرِ ثَرَى الْأَرْضِ. وَقَوْلُهُمْ: دَرَاكٌ أَي أَدْرِكُ، وَهُوَ اسْمٌ لِفِعْلِ الْأَمْرِ، وَكُسِرَتِ الْكَافُ لِاجْتِمَاعِ السَّاكِنِينَ لِأَنَّ حَقَّهَا السُّكُونُ لِلْأَمْرِ. وَالدَّرِيكَةُ: الطَّرِيدَةُ. وَالدَّرَكُ بِالتَّحْرِيكِ: قِطْعَةُ حَبْلِ تُشَدُّ فِي طَرَفِ الرَّشَاءِ إِلَى عَرْقُوتِ الدَّلْوِ، لِيَكُونَ هُوَ الَّذِي يَلِي الْمَاءَ فَلَا يَعْفَنُ الرَّشَاءَ. وَالدَّرَكُ التَّبِعَةُ، يَسْكُنُ وَيَحْرَكُ. يُقَالُ مَا لِحَقَّكَ مِنْ دَرَكٍ فَعَلِيَّ خَلَاصُهُ. وَدَرَكَاتُ النَّارِ: مَنَازِلُ أَهْلِهَا، وَالنَّارُ دَرَكَاتٌ وَالْجَنَّةُ دَرَجَاتٌ. وَالْقَعْرُ الْآخِرُ دَرَكٌ وَدَرَكٌ. وَالدَّرَاكُ الْمُدَارَكَةُ. يُقَالُ: دَارَاكَ الرَّجُلُ صَوْتَهُ، أَي تَابَعَهُ. لَا بَارَكَ اللَّهُ فِيهِ وَلَا تَارَكَ وَلَا دَارَكَ، كُلُّهُ بِمَعْنَى:

قال الفيروزآبادي⁽²⁾: الدَّرَكُ، مَحْرَكَةٌ: اللَّحَاقُ. أَدْرَكَهُ: لِحَقَّهُ. وَرَجُلٌ دَرَاكٌ وَمُدْرِكَةٌ وَمُدْرِكٌ. وَتَدَارَكُوا: لِحِقَ آخِرُهُمْ أَوْلَهُمْ. وَالدَّرَاكُ، ككِتَابٍ: لِحَاقُ الْفَرَسِ الْوَحْشِ، وَإِتْبَاعُ الشَّيْءِ بَعْضِهِ عَلَى بَعْضٍ. وَالمُتَدَارِكُ: قَافِيَةٌ تَوَالِي فِيهَا حَرَفَانِ مُتَحَرِّكَانِ بَيْنَ سَاكِنَيْنِ، كَمُتَفَاعِلُنْ وَفَعُولُنْ فَعَلْ وَفَعُولٌ فُلْ، كَأَنَّ بَعْضَ الْحَرَكَاتِ أَدْرَكَ بَعْضًا، وَلَمْ يَعْفَهُ عَنْهُ اعْتِرَاضُ سَاكِنٍ بَيْنَ الْمُتَحَرِّكَيْنِ.

(2) القاموس المحيط.

(1) الصحاح في اللغة.

والتَّذْرِيكَ مِنَ الْمَطَرِ: أَنْ يُدَارِكَ الْقَطْرُ. وَاسْتَدْرَكَ الشَّيْءَ بِالشَّيْءِ: حَاوَلَ إِدْرَاكَهُ بِهِ. وَأَدْرَكَ الشَّيْءُ: بَلَغَ وَقْتَهُ وَانْتَهَى، وَفَنِي. ﴿وَأَدَارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا﴾ [الأعراف: 38]: أَصْلُهُ: تَدَارَكُوا.

المعنى المشترك لكلمة (د ر ك)

وقد وردت كلمة (درك) في القرآن الكريم على أربعة أوجه:

الوجه الأول: أدركه يعني: أجمعه ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَأَمِنْتُ﴾ [يونس: 90].

الوجه الثاني: أدرك أي: لحق ﴿قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾ [الشعراء: 61].

الوجه الثالث: أدرك يعني: اجتمع ﴿بَلِ ادْرَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ [التمل: 66].

الوجه الرابع: الإدراك يعني: الرؤية ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْبَصَرُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْبَاصِرَ﴾ [الأنعام: 103].

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [النساء: 145].

قال البغوي⁽¹⁾: وقال ابن مسعود رضي الله عنه: (في الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ) في توأبيت من حديد مقللة في النار. وقال أبو هريرة: بيت مقفل عليهم تتوقد فيه النار من فوقهم ومن تحتهم، ﴿وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء: 145] مانعاً من العذاب.

قال أبو السعود⁽²⁾: وهو الطبقة التي في قعر جهنم، وإنما كان ذلك لأنهم

(2) إرشاد العقل السليم.

(1) معالم التنزيل.

أخبتُ الكفرة حيث ضمّوا إلى الكفر الاستهزاء بالإسلام وأهله وخداعهم، وأما قوله ﷺ «ثلاثٌ من كن فيه فهو منافقٌ وإن صامَ وصلّى وزعم أنه مسلمٌ: مَنْ إذا حدث كذبٌ وإذا وعد أخلف وإذا ائتمنَ خان» ونحوه فمن باب التشديد والتهديد والتغليظ مبالغةً في الزجر وتسميةً طبقاتها السبعِ ذكراً لكونها متداركةً متتابعةً بعضها تحت بعض، وقرئ بفتح الراء وهو لغة كالسَّطْر والسَطْر ويعضده أن جمعه أدراك.

قال الشعراوي⁽¹⁾: والدرك دائماً في نزول. والأثر الصالح يميز لنا ذلك بالقول: «النار دركات كما أن الجنة درجات». فالنزول إلى أسفل هو الدرك، والصعود إلى أعلى هو صعود الدرج. وفي عصرنا نضع مستوى سطح البحر كمقياس؛ لأن اليابسة متعرجة، أما البحر فهو مستطرق.

● قال تعالى: ﴿لَا تَخَفْ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى﴾ [ظه: 77].

قال الطبري⁽²⁾: فإنه يعني: لا تخاف من فرعون وجنوده أن يدركوك من ورائك، ولا تخشى غرقاً من بين يديك ووَحَلاً. وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك، قال أهل التأويل.

قال الألوسي⁽³⁾: ﴿دَرَكَ﴾ بسكون الراء وهو اسم من الإدراك أي اللحق كالدرك بالتحريك، وقال الراغب: الدرك بالتحريك في الآية ما يلحق الإنسان من تبعة، أي لا تخاف تبعة، والجمهور على الأول، أي: لا تخاف أن يدرككم فرعون وجنوده من خلفكم.

قال ابن عاشور⁽⁴⁾: (الدَّرَك) بفتحيتين اسم مصدر الإدراك، أي لا تخاف أن يدركك فرعون.

(3) روح المعاني.
(4) التحرير والتنوير.

(1) تفسير الشعراوي.
(2) جامع البيان.

● قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ﴾ [يونس: 90].

قال أبو السعود⁽¹⁾: أي لحقه وأجمه.

قال الشعراوي⁽²⁾: والإدراك: قصد للمدرك أن يلحق بالشيء، والغرق معنى، فكيف يتحول المعنى إلى شيء يلاحق الفرعون؟ نعم، فكأن الغرق جندي من الجنود، وله عقل ينفعل؛ فيجري إلى الأحداث: ﴿إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَأَمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَأَمَنْتُ بِهِ بُنَا إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: 90].

والإيمان إذا أطلق فهو الإيمان بالقوة العليا، بدليل أن الحق سبحانه وتعالى قد قال: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات: 14]. لأن الإيمان يتطلب انقياد القلب، والإسلام يقتضي اتباع أركان الإسلام، فالإيمان كما قال رسول الله ﷺ: «قل آمنت بالله ثم استقم» وفي هذا القول ذكراً محدد بأن الإيمان إنما يكون لله الأعلى. لكن لو قلت - مثلاً -: «آمنت أنك رجل طيب» فهذا إيمان له متعلق، أما إذا ذُكر الإيمان بإطلاق فهو ينصرف إلى الإيمان بالله تعالى؛ ولذلك قال الله سبحانه للأعراب: ﴿وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾.

● قال تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ [الأنعام:

[103].

قال الطبري⁽³⁾: اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ فقال بعضهم: معناه: لا تحيط به الأبصار وهو يحيط بها. واعتلّ قائلو هذه المقالة لقولهم هذا بأن قالوا: إن الله قال: «فَلَمَّا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَأَمَنْتُ» قالوا: فوصف الله تعالى ذكره الغرق بأنه أدرك فرعون، ولا شك أن الغرق غير موصوف بأنه رآه، ولا هو مما يجوز وصفه بأنه يرى شيئاً. قالوا:

(3) جامع البيان.

(1) إرشاد العقل السليم.

(2) تفسير الشعراوي.

فمعنى قوله: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ بمعنى: لا تراه بعيداً، لأن الشيء قد يدرك الشيء ولا يراه، كما قال جل ثناؤه مخبراً عن قيل أصحاب موسى ﷺ حين قرب منهم أصحاب فرعون: ﴿فَلَمَّا تَرَاهُ الْجَمْعَانِ قَالِ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾ [الشعراء: 61] لأن الله قد كان وعد نبيه موسى ﷺ أنهم لا يدركون لقوله: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرْكًا وَلَا نَخَشِي﴾ [طه: 77] قالوا: فإن كان الشيء قد يرى الشيء ولا يدركه ويدركه ولا يراه، فكان معلوماً بذلك أن قوله: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ من معنى لا تراه الأبصار بمعزل، وأن معنى ذلك: لا تحيط به الأبصار لأن الإحاطة به غير جائزة. قالوا: فالمؤمنون وأهل الجنة يرون ربهم بأبصارهم ولا تدركه أبصارهم، بمعنى: أنها لا تحيط به؛ إذ كان غير جائز أن يوصف الله بأن شيئاً يحيط به. قالوا: ونظير جواز وصفه بأنه يرى ولا يدرك جواز وصفه بأنه يُعلم ولا يحاط به، وكما قال جل ثناؤه: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة: 255] قالوا: فنفي جل ثناؤه عن خلقه أن يكونوا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء. قالوا: ومعنى العلم في هذا الموضع: المعلوم قالوا: فلم يكن في نفيه عن خلقه أن يحيطوا بشيء من علمه إلا بما شاء نفي عن أن يعلموه. قالوا: فإذا لم يكن في نفي الإحاطة بالشيء علماً نفي للعلم به، كان كذلك لم يكن في نفي إدراك الله عن البصر نفي رؤيته له.

● قال تعالى: ﴿لَوْلَا أَنْ تَدَارَكُهُ نِعْمَةٌ مِّنْ رَبِّهِ﴾ [القلم: 49].

قال الفخر الرازي⁽¹⁾: وقرئ (رحمة من ربه)، لِمَ لَمْ يَقُلْ: لَوْلَا أَنْ تَدَارَكْتَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ؟ الجواب: إنما حسن تذكير الفعل لفصل الضمير في تداركه، وقرأ ابن عباس وابن مسعود تداركته، وقرأ الحسن: تداركه، أي تداركه على حكاية الحال الماضية، بمعنى لولا أن كان، يقال: فيه تداركه، كما يقال: كان زيد

(1) التفسير الكبير.

سيقوم فمنعه فلان، أي كان يقال فيه: سيقوم، والمعنى كان متوقفاً منه القيام.
قال أبو السعود⁽¹⁾: وَقُرِيَءَ رَحْمَةً وَهُوَ تَوْفِيقُهُ لِلتَّوْبَةِ وَقَبُولُهَا مِنْهُ، وَحَسُنَ
تَذْكِيرُ الْفِعْلِ لِلْفَصْلِ بِالضَّمِيرِ، وَقُرِيَءَ تَدَارَكْتُهُ وَتَدَارَكُهُ أَي تَدَارَكُهُ عَلَى حِكَايَةِ
الْحَالِ الْمَاضِيَةِ بِمَعْنَى لَوْلَا أَنْ كَانَ يُقَالُ فِيهِ تَدَارَكُهُ.

● قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَدَارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا﴾ [الأعراف: 38].

قال الطبري⁽²⁾: القول في تأويل قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَدَارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا﴾.
يقول تعالى ذكره: حتى إذا تداركت الأمم في النار جميعاً، يعني: اجتمعت فيها،
يقال: قد أداركوا وتداركوا، إذا اجتمعوا، يقول: اجتمع فيها الأولون من أهل
الملل الكافرة والآخرين منهم.

قال الزمخشري⁽³⁾: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَدَارَكُوا فِيهَا﴾ أي تداركوا بمعنى تلاحقوا
واجتمعوا في النار.

قال الألوسي⁽⁴⁾: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَدَارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا﴾ غاية لما قبله، أي يدخلون
فوجاً فوجاً لاعتناً بعضهم بعضاً إلى انتهاء تلاحقهم باجتماعهم في النار.



(1) إرشاد العقل السليم.

(2) جامع البيان.

(3) الكشاف.

(4) روح المعاني.

دِرْهَم

(دِرْهَم - دِينَار)

■ **الدَّرْهَم:** الفضة المطبوعة المتعامل بها ﴿وَشَرَّوْهُ يَشْرِبُ بِحَسِّ دَرَّهَمٍ مَعْدُودَةٍ﴾ [يُوسُف: 20].

■ **الدِّينَار:** الذهب المطبوع المتعامل به ﴿وَمِنْهُمْ مَنٌ إِنْ تَأَمَّنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: 75].



النصوص اللغوية:

قال الجوهري⁽¹⁾: الدَّرْهَمُ فارسيٌّ معرَّب، وكسر الهاء لغة، وربَّما قالوا دِرْهَامٌ. وجمع الدَّرْهَمِ دَرَاهِمٌ، وجمع الدَّرْهَامِ دَرَاهِيمٌ. وشيخٌ مُدْرَهَمٌ، أي مُسِنَّ. وقد اذْرَهَمَّ اذْرَهَمَاماً، أي سَقَطَ من الكِبَرِ.

قال الفيروزآبادي⁽²⁾: الدَّرْهَمُ، كمنْبَرٍ ومِحْرَابٍ وزَبْرَجٍ: الجمع: دَرَاهِمٌ ودَرَاهِيمٌ. ورَجُلٌ مُدْرَهَمٌ، بفتح الهاء: كثيرها، ولا تَقْلُ: دُرْهَمٌ، لكنَّه إذا وُجِدَ اسْمُ المَفْعُولِ، فالفِعْلُ حَاصِلٌ. ودَرَهَمَتِ الحُبَارَى: صَارَ ورَقُهَا كالدَّرَاهِمِ. وشيخٌ مُدْرَهَمٌ، كَمُشْمَعِلٍ: ساقِطٌ كِبَرًا. واذْرَهَمَ بَصْرَةً: أَظْلَمَ، وكَبَرَ سِنَّهُ.

قال الراغب⁽³⁾: قال تعالى: ﴿وَشَرَّوْهُ يَشْرِبُ بِحَسِّ دَرَّهَمٍ مَعْدُودَةٍ﴾ [يُوسُف: 20]، الدرهم: الفضة المطبوعة المتعامل بها.

(3) مفردات الراغب.

(1) الصحاح في اللغة.

(2) القاموس المحيط.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿وَشَرَّوْهُ يَشْمَنِ بِحَسِبِ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾ [يُوسُف: 20].

قال الفخر الرازي (1): ﴿دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾ قيل تعد عدداً ولا توزن، لأنهم كانوا لا يزنون إلا إذا بلغ أوقية، وهي الأربعون، ويعدون ما دونها فليل للقليل معدود، لأن الكثيرة يمتنع من عدها لكثرتها، وعن ابن عباس كانت عشرين درهماً، وعن السدي اثنين وعشرين درهماً. قالوا والإخوة كانوا أحد عشر فكل واحد منهم أخذ درهمين إلا يهوذا لم يأخذ شيئاً.

قال الطبري (2): فإنه يعني **بِحَسِبِ** أنهم باعوه بدراهم غير موزونة ناقصة غير وافية لزهدهم فيه. وقيل: إنما قيل معدودة ليعلم بذلك أنها كانت أقلّ من الأربعين، لأنهم كانوا في ذلك الزمان لا يزنون ما كان وزنه أقلّ من أربعين درهماً، لأن أقلّ أوزانهم وأصغرها كان الأوقية، وكان وزن الأوقية أربعين درهماً.

وقال آخرون: بل كان عددها اثنين وعشرين درهماً، أخذ كل واحد من إخوة يوسف، وهم أحد عشر رجلاً، درهمين درهمين منها.

قال الماوردي (3): ﴿دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾ اختلف في قدرها على ثلاثة أقاويل:

الأول: أنه بيع بعشرين درهماً اقتسموها، وكانوا عشرة، فأخذ كل واحد منهم درهمين.

الثاني: باثنين وعشرين درهماً، كانوا أحد عشر فأخذ كل واحد درهمين.

الثالث: بأربعين درهماً.

(3) النكت والعيون.

(1) التفسير الكبير.

(2) جامع البيان.

قال ابن عطية⁽¹⁾: ﴿دِرْهَمٌ مَّعْدُودَةٌ﴾ عبارة عن قلة الثمن لأنها دراهم لم تبلغ أن توزن لقلتها، وذلك أنهم كانوا لا يزنون ما دون الأوقية، وهي أربعون درهماً، واختلف في مبلغ ثمن يوسف عليه السلام: فقيل باعوه بعشرة دراهم، وقال ابن مسعود: بعشرين، وقال مجاهد: بائتين وعشرين، أخذ منها إخوته درهمين، وقال عكرمة: بأربعين درهماً دفعت ناقصة خفافاً، فهذا كان بخسها.

قال أبو السعود⁽²⁾: ﴿دِرْهَمٌ﴾ بدل من ثمن أي لا دنانير.



(2) إرشاد العقل السليم.

(1) المحرر الوجيز.

دری

(دَرَى - عَرَفَ - عَلِمَ)

■ **الدَّرَايَة:** المعرفة المدركة بضرب من الفطنة ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّٰهُ يَرِيكَ﴾ [عبس: 3].

■ **العرفان:** المعرفة الدقيقة بجزء من الشيء ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾ [النحل: 83].

■ **العِلْم:** المعرفة الشاملة بكل أجزاء الشيء ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: 31].



النصوص اللغوية:

قال الجوهري⁽¹⁾: دَرَيْتُهُ وَدَرَيْتُ بِهِ دَرِيًّا وَدُرِيَّةً وَدُرِيَّةً وَدِرَايَةً، أَي: علمت به .
 وَأَدْرَيْتُهُ، أَي: أعلمته . وَمُدَارَاةُ النَّاسِ تَهْمِزٌ وَلَا تَهْمِزٌ، وَهِيَ الْمُدَاجَاةُ
 وَالْمَلَايِنَةُ . قَالَ الْأَصْمَعِيُّ⁽²⁾: الدَّرِيَّةُ غَيْرُ مَهْمُوزٍ، وَهِيَ دَابَّةٌ يَسْتَرُّ بِهَا الصَّائِدُ، فَإِذَا
 أَمَكَّنَهُ رَمَى . وَيُقَالُ: تَدَرَّتِ الْمَرْأَةُ، أَي: سَرَّحَتْ شَعْرَهَا . وَقَوْلُهُمْ: إِنَّ بَنِي فُلَانٍ
 أَدْرَوْا مَكَانًا، كَأَنَّهُمْ اعْتَمَدُوهُ بِالْغَزْوِ وَالْغَارَةِ . وَتَدَرَّاهُ وَادَّرَاهُ بِمَعْنَى، أَي: حَتَلَهُ،
 تَفَعَّلَ وَافْتَعَلَ بِمَعْنَى . وَقَوْلُهُمْ: جَابُ الْمِدْرَى، أَي: غليظ القر، يُدَلُّ بِذَلِكَ عَلَى
 صَغُرِ سِنَّ الْغَزَالِ؛ لِأَنَّ قَرْنَهُ فِي أَوَّلِ مَا يَطْلَعُ يَغْلُظُ، ثُمَّ يَدِقُّ بَعْدَ ذَلِكَ إِذَا طَالَ .

(2) الأضداد.

(1) الصحاح في اللغة.

قال الراغب⁽¹⁾: الدراية: المعرفة المدركة بضرب من الحيل، يقال: دريته، ودريت به، درية، نحو: فطنة، وشعرة، وادريت.

والدرية: لما يتعلم عليه الطعن، وللناقة التي ينصبها الصائد ليأنس بها الصيد، فيستتر من ورائها فيرميه، والمِدْرَى: لقرن الشاة؛ لكونها دافعة به عن نفسها، وعنه استعير المدري لما يصلح به الشعر، قال تعالى: ﴿لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ [الطَّلَاق: 1].

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا أَلْكَتَبُ﴾ [الشورى: 52].

قال الطبري⁽²⁾: يقول جل ثناؤه لنبيه محمد ﷺ: ما كنت تدري يا محمد أي شيء الكتاب ولا الإيمان اللذين أعطيناكهما.

وعن السدي: ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا أَلْكَتَبُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾ [الشورى: 52] يعني محمداً ﷺ.

قال الفخر الرازي⁽³⁾: واختلف العلماء في هذه الآية مع الإجماع على أنه لا يجوز أن يقال أن الرسل كانوا قبل الوحي على الكفر، وذكروا في الجواب وجوهاً: الأول: ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا أَلْكَتَبُ﴾ [الشورى: 52] أي القرآن ﴿وَلَا الْإِيمَانُ﴾ أي الصلاة، لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيْمَانَكُمْ﴾ [البقرة: 143] أي صلاتكم. الثاني: أن يحمل هذا على حذف المضاف، أي ما كنت تدري ما الكتاب ومن أهل الإيمان، يعني من الذي يؤمن، ومن الذي لا يؤمن الثالث. ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان حين كنت طفلاً في المهدي. الرابع: الإيمان

(3) التفسير الكبير.

(1) مفردات الراغب.

(2) جامع البيان.

عبارة عن الإقرار بجميع ما كلف الله تعالى به، وإنه قبل النبوة ما كان عارفاً بجميع تكاليف الله تعالى، بل إنه كان عارفاً بالله تعالى، وذلك لا ينافي ما ذكرناه. الخامس: صفات الله تعالى على قسمين: منها ما يمكن معرفته بمحض دلائل العقل، ومنها ما لا يمكن معرفته إلا بالدلائل السمعية، فهذا القسم الثاني لم تكن معرفته حاصلة قبل النبوة.

● قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَدْرَى لَعَلَّهُ فِتْنَةً لَكُمْ﴾ [الأنبياء: 111].

قال الزمخشري⁽¹⁾: وما أدري لعل تأخير هذا الموعد امتحان لكم لينظر كيف تعلمون.

قال القرطبي⁽²⁾: أي: لعل الإمهال.

قال ابن عطية⁽³⁾: وإن أدري لعله وإن أدري أقرب «بفتح الياء فيهما وأنكر ابن مجاهد فتح هذه الياء ووجهه أبو الفتح، قوله: ﴿لَعَلَّهُ﴾ الضمير فيه عائد على الإملاء لهم وصفح الله تعالى عن عذابهم وتمادي النعمة عليهم، و﴿فِتْنَةً﴾ معناه امتحان وابتلاء.

قال أبو السعود⁽⁴⁾: أي ما أدري لعل تأخير جزائكم استدراج لكم وزيادة في افتتانكم، أو امتحانكم لينظر كيف تعملون.

● قال تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ [القدر: 2].

قال الزمخشري⁽⁵⁾: يعني: ولم تبلغ درايتك غاية فضلها ومنتهى علو قدرها، ثم بين ذلك بأنها خير من ألف شهر، وسبب ارتقاء فضلها إلى هذه الغاية ما يوجد فيها من المصالح الدينية التي ذكرها: من تنزل الملائكة والروح، وفصل كل أمر حكيم.

(4) إرشاد العقل السليم.

(5) الكشاف.

(1) الكشاف.

(2) الجامع لأحكام القرآن.

(3) المحرر الوجيز.

قال الطبري⁽¹⁾: وقوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ يقول: وما أشعرك يا محمد أي شيء ليلة القدر، خير من ألف شهر. اختلف أهل التأويل في معنى ذلك، فقال بعضهم: معنى ذلك: العمل في ليلة القدر بما يرضي الله، خير من العمل في غيرها ألف شهر.

قال الألويسي⁽²⁾: لما فيه من الدلالة على أن علوها خارج عن دائرة دراية الخلق لا يعلم ذلك ولا يعلم به إلا علام الغيوب كما يشعر به.

● قال تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾ [الحاقة: 3].

قال الفخر الرازي⁽³⁾: وقوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ أي: وأي شيء أعلمك.

قال ابن عطية⁽⁴⁾: ﴿أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾، وفي ﴿أَدْرَاكَ﴾، ضمير عائد على (ما) هو ضمير الفاعل. ثم ذكر تعالى تكذيب ﴿ثَمُودُ وَعَادُ﴾ [الحاقة: 4] بهذا الأمر الذي هو حق مشيراً إلى أن من كذب بذلك ينزل عليه مثل ما نزل بأولئك.

قال الماوردي⁽⁵⁾: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾ قال يحيى بن سلام: بلغني أن كل شيء في القرآن فيه «وما أدراك» فقد أدراه إياه وعلمه إياه، وكل شيء قال فيه «وما يدريك» فهو ما لم يعلمه إياه. وفيه وجهان:

أحدهما: وما أدراك ما هذا الاسم، لأنه لم يكن في كلامه ولا كلام قومه، قاله الأصم.

الثاني: وما أدراك ما يكون في الحاقة.

● قال تعالى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ [الشورى: 17].

قال الطبري⁽⁶⁾: يقول تعالى ذكره: وأي شيء يدريك ويعلمك، لعل الساعة التي تقوم فيها القيامة قريب.

(4) المحرر الوجيز.

(5) النكت والعيون.

(6) جامع البيان.

(1) جامع البيان.

(2) روح المعاني.

(3) التفسير الكبير.

قال أبو السعود⁽¹⁾: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ أي: أيُّ شيءٍ يجعلك عالماً.

قال الشعراوي⁽²⁾: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ [الشورى: 17] لأنهم سبق أن طلبوا من الرسول أن يأتي بها، كما حكى القرآن عنهم: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الأنبياء: 38] طلبوها على وجه الاستهزاء والسخرية والتكذيب بها. والفعل «دَرَى يدري» أتى مرة بصيغة المضارع هنا ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ [الشورى: 17] وأتى بصيغة الماضي في قوله تعالى: ﴿الْحَاقَّةُ ﴿١٧﴾ مَا الْحَاقَّةُ ﴿١٨﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ﴿١٩﴾﴾ [الحاقة: 1-3]. معنى ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ في الماضي يعني شيء قديم لم تعرفه من زمان، لكن تعرفه الآن. أما ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ يعني: لا أحد يخبرك بها إلا نحن ﴿لَا يَجْلِيهَا لَوْفَهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأعراف: 187]، أما صيغة المستقبل فلم تأت أبداً.



(1) إرشاد العقل السليم.

(2) تفسير الشعراوي.

دَرَأَ

(دَرَأَ - دَفَعَ - صَرَفَ - كَفَّ)

شرح المعاني:

دَرَأَ: دفع بسرعة. عندك ولد وأنت جالس فإذا بأفعى تمر على قدمه فتقوم بسرعة متناهية لتدراً عنه الضرر وقد تغامر بحياتك وتمسك بالأفعى بيدك إنقاذاً له من ضررها. ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِعَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُءُونَ بِالْحَسَنَةِ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: 22] هذه كلمة «يدرؤون» كلمة إعجازية، فأولو الألباب لا ينتظرون زمناً حتى يتقربوا بالحسنات وإنما معنى الآية أنهم بسرعة هائلة يقومون بالحسنة بعد أن يرتكبوا ذنباً، كالغيبة مثلاً كلنا للأسف يغتاب، وعندما نغتاب قد ننتظر يوماً أو أكثر ثم نستغفر وهذا ليس دَرَأً، وإنما الدَّرَأُ هو فعل بعض عباد الله الذين يراقبونه مراقبة شديدة وبلغ حبهم له، بقدر خشيتهم له فبمجرد أنه اغتاب أو أذنب ذنباً يستغفر ويتوب حتى قبل أن تبادر الملائكة إلى تسجيل هذا الذنب، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: 17]. فكلما قربت توبتك بسرعة شديدة بعد الذنب فهذا يسمى دَرَأً. قال ﷺ: «ادرؤوا الحدود بالشبهات» لشدة حرصه ﷺ على أمته وعلى الإنسانية، ومن شدة خوفه من تشويه جسد الإنسان إذا ارتكب ذنباً من ذنوب الحدود التي تنال من الجسم كالزنا - مثلاً - وحدّ الرجم، والسرقه وحدّها قطع اليد، والقذف وحدّ الرجم؛ فادرؤوا الحدود بالشبهات بسرعة قبل إقامة الحد فإذا جاءك أحد قد أذنب ذنباً من الذنوب التي ينبغي معها أن يشوه جسمه بالحدّ،

فعليك أن تأخذ هذه الجريمة بأية شبهة وبسرعة من حيث إذا كان هناك أي خلل في الجريمة أو باب من أبواب الشك والشبهة، كما فعل ﷺ عندما جاءه رجل فقال أنه زنا فقال له ﷺ: «ألم تكن تصلي معنا؟» قال الرجل: بلى، فقال له ﷺ: «أذهب». فدرأ عنه الضرر ﷺ من رحمته بأتمته. فالدرأ هو السرعة في وقايتك من الضرر ولهذا قال تعالى في الآية: ﴿وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾ [الرعد: 22] قال: يدرؤون ولم يقل: يستغفرون أو يتوبون علماً أنه قالها في مواضع أخرى ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ اللَّهُ ذُنُوبَهُ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: 135] وهذا لأن المذكورين في الآية هم شريحة من شرائح عباد الله تعالى الصالحين وهم أولو الألباب، فهؤلاء يُدخل الله تعالى لهم أزواجهم وأهلهم في درجاتهم لأنهم أناس فاضلون من صفاتهم أنهم إذا أذنبوا يُتبعون الحسنة السيئة فيدرؤون بها عن أنفسهم ﴿أُولَٰئِكَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [القصص: 54].

وقوله تعالى: ﴿وَيَذَرُوا عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [الثور: 8] جريمة القذف يجب أن يأتي بأربعة شهود لكن إذا حضر الشهود أو لاعت عدم المرأة على الفور، لكن إذا قامت وهي التي لاعتت يدرأ عنها العذاب فوراً بسرعة متناهية ويطلق سراحها فوراً ويحق لها مفارقة زوجها لأنه لا يستحق أن تكون مع رجل يقذفها ويتهمها باطلاً. فإذا لاعتت يجب أن يخرجوها بسرعة باللمحة وترجع إلى بيتها مصونة.

دفع: الدفع يكون بقوة، أما الدرأ فكما ذكرنا يكون بسرعة. وهذا من إعجاز القرآن الكريم. قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: 251].

صرف: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهٖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رَجُلًا بُرْهَنَ رَبِّهٖ كَذَٰلِكَ لِنَصَرَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: 24] قصة يوسف عليه السلام الذي أوتي شطر الحسن وعاش في بيت العزيز فأغرمت به امرأة العزيز، فتخيل موقف

يوسف عليه السلام : امرأة حسناء زوجها عقيم وفي بيتها ترعاه منذ كان صبياً ثم أُغرمت به ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ﴾ الصرف أي صرف قلبه 180 درجة، ولم يقل تعالى لنُدفع عنه السوء وإنما قال لنصرف عنه السوء أي لم يعد في وسع يوسف عليه السلام أن يفكر في هذا الأمر، وهذا الصرف لا يقدر عليه إلا الله تعالى ولهذا جاء بضمير الجمع (لنصرف) وعندما يكون الأمر يقدر عليه عباد الله تعالى يقول (أنا) فَصَرَفْتُ يوسف عن تلك المرأة في تلك الساعة لا يقدر عليه إلا الله تعالى سبحانه. إذا أردت أن تسافر اليوم مثلاً ثم يأتيك أحدهم يخبرك خبراً يصرفك عن السفر 180 درجة فيصرفك عنه صرفاً نهائياً.

كَفَّ: عندك عدو بدأ يتهياً وبدأ يباشر أول خطوات العدوان ويحشد قوة ويتحرك فتأتي قوة تمنعه من ذلك هذا يسمى كَفَّ كما قال تعالى: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المائدة: 11] ﴿وَعَدَّكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ [الفتح: 20] ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [الفتح: 24] ما الذي منع كفار قريش من قتال محمد عليه السلام؟ وما الذي أطفأ شوكتهم؟

النصوص اللغوية:

قال الجوهري⁽¹⁾: الدرء: الدفع. وفي الحديث: «ادرؤوا الحدود ما استطعتم». ودرأ علينا فلان يدرأ دروياً، واندرأ، أي: طلع مفاجأة، ومنه كوكب دري على فِعِيلٍ مثل: سَكِيرٍ وَحَمِيرٍ؛ لشدة توقده وتلألئه. وقد درأ الكوكب

(1) الصحاح في اللغة.

دُرُوءًا. قال الفراء: والعرب تسمي الكواكب العظام التي لا تعرف أسماءها: الدراري. وتقول: تَدْرَأُ علينا فلان، أي: تطاول.

وقولهم: السلطان ذو تُدْرٍا بضم التاء، أي: ذو عُدَّةٍ وقوَّةٍ على دفع أعدائه عن نفسه، وهو اسم موضوع للدفع، والتاء زائدة. وتقول: تَدَارَأْتُمْ أي: اختلفتم وتدافعتم، وكذلك اَدَارَأْتُمْ. وأصله: تدارأتم فأدْغِمَتِ التاء في الدال، واجْتَلِبَتِ الألف ليصح الابتداء بها.

والمدارأة: المخالفة والمدافعة. يقال: فلان لا يدارئ ولا يمارئ. فأما المدارأة في حُسْنِ الخُلُقِ والمعاشرة. وتقول: جاء السيل دُرْءًا بالضم، أي من بلد بعيد.

والدَّرْءُ بالفتح: العَوْجُ، يقال أقمتُ دَرْءَ فلانٍ، أي: اعوجاجه وشَعْبُهُ.

ومنه قولهم: بئرٌ ذاتُ دَرْءٍ، وهو الحَيْدُ. وطريق ذو دُرُوءٍ على فُعُولٍ أي ذو كسور وجِرْفَةٍ. والدَرِيئَةُ: البعير أو غيره، يستتر به الصائد، فإذا أمكنه الرمي رمى، قال أبو زيد: وهو مهموز لأنها تُدْرَأُ نحو الصيد أي تُدْفَعُ. أبو عبيدة: اَدْرَأْتُ للصيد على افتَعَلْتُ، إذا اتخذت له دريئة. والدريئة أيضاً: حَلَقَةٌ يُتَعَلَّمُ عليها الطعنُ.

قال الراغب⁽¹⁾: الدرء: الميل إلى أحد الجانبين، يقال: قومت درأه ودرأت عنه: دفعت عن جانبه. وفلان ذو تدرئ، أي: قوي على دفع أعدائه. ودارأته: دافعته.

وقوله: ﴿فَادْرَأْتُمْ فِيهَا﴾ [البقرة: 72]، هو تفاعلتهم، أصله: تدارأتم، فأريد منه الإدغام تخفيفاً، وأبدل من التاء دال فسُكِّنَ للإدغام فاجتلب لها ألف الوصل فحصل على أفاعلتهم.

(1) مفردات الراغب.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾ [الرعد: 22].

قال الطبري⁽¹⁾: يقول: ويدفعون إساءة من أساء إليهم من الناس، بالإحسان إليهم. قال ابن زيد في قوله: ﴿وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾ يدفعون الشرّ بالخير، لا يكافئون الشرّ بالشرّ ولكن يدفعونه بالخير.

قال الفخر الرازي⁽²⁾: ﴿وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾ وفيه وجهان: الأول: أنهم إذا أتوا بمعصية درؤها ودفعوها بالتوبة كما روي أن النبي ﷺ قال لمعاذ بن جبل: «إذا عملت سيئة فاعمل بجنبها حسنة تمحها» والثاني: أن المراد أنهم لا يقابلون الشر بالشر بل يقابلون الشر بالخير كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُؤًا بِالْفُجُورِ كَرَامًا﴾ [الفرقان: 72] وعن ابن عمر رضي الله عنهما ليس الوصول من وُصِلَ ثم وُصِلَ، تلك المجازاة لكنه من قُطِعَ ثم وُصِلَ وعطف على من لم يصله، وليس الحلِيم من ظلم ثم حلم حتى إذا هيجه قوم احتاج، لكن الحلِيم من قدر ثم عفا.

قال أبو السعود⁽³⁾: أي يُجازون الإساءة بالإحسان أو يُتبعون الحسنَةَ السيئة فتمحوها. عن ابن عباس رضي الله عنهما: يدفعون بالحسن من الكلام ما يرد عليهم من سييء غيرهم. وعن الحسن: إذا حُرِّمُوا أعطوا وإذا ظَلَمُوا عَفَوْا وإذا قُطِعُوا وصلوا.

● قال تعالى: ﴿وَيَذَرُونَ عَنْهَا الْعَذَابَ﴾ [النور: 8].

قال الماوردي⁽⁴⁾: أي يدفع، وفي هذا العذاب قولان:

أحدهما: أنه الحد، وهو مذهب مالك، والشافعي.

(3) إرشاد العقل السليم.

(4) النكت والعيون.

(1) جامع البيان.

(2) التفسير الكبير.

الثاني: أنه الحبس، وهو مذهب أبي حنيفة.

قال الشعراوي⁽¹⁾: (يَدْرَأُ) أي: يبعد العذاب عن الزوجة أن تشهد هي الأخرى أربع شهادات بالله، تقول: أشهد الله أنه كاذب فيما رمانني به، وفي الخامسة تقول: غضب الله عليّ إن كان هو من الصادقين. فإن امتنعت الزوجة عن هذه الشهادة فقد ثبت عليها الزنا، وإن حلفت فقد تعادلا، ولم يُعَدَّ كل منهما صالحاً للآخر، وعندها يُفَرَّقُ الشرع بينهما تفريقاً نهائياً لا عودة بعده، ولا تحل له أبداً.

قال ابن عاشور⁽²⁾: ﴿وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ﴾ [النور: 8] الآية. وإذ قد كانت أيمان المرأة لرد أيمان الرجل، وكانت أيمان الرجل بدلاً من الشهادة وسميت شهادة، كانت أيمان المرأة لردها يناسب أن تسمى شهادة؛ لأنها كالشهادة المعارضة، ولكونها بمنزلة المعارضة كانت أيمان المرأة كلها على إبطال دعواه لا على إثبات براءتها أو صدقها. والدرء: الدفع بقوة، واستعير هنا للإبطال. وتقدم عند قوله تعالى: ﴿وَيَدْرَأُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾ [الرعد: 22].

● قال تعالى: ﴿قُلْ فَادْرَأُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران: 168].

قال القرطبي⁽³⁾: ﴿قُلْ فَادْرَأُوا﴾ أي قل لهم يا محمد: إن صدقتم فادفعوا الموت عن أنفسكم. والدرء الدفع. بين بهذا أن الحذر لا ينفع من القدر، وأن المقتول يقتل بأجله، وما علم الله وأخبر به كائن لا محالة. وقيل: مات يوم قيل هذا سبعون منافقاً. وقال أبو الليث السمرقندي: سمعت بعض المفسرين بسمرقند يقول لما نزلت الآية: ﴿قُلْ فَادْرَأُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ﴾ مات يومئذ سبعون نفساً من المنافقين.

(3) الجامع لأحكام القرآن.

(1) تفسير الشعراوي.

(2) التحرير والتنوير.

قال الخازن⁽¹⁾: ﴿قُلْ فَادْرَأُوا﴾ أي: فادفعوا.

● قال تعالى: ﴿فَادْرَأْتُمْ فِيهَا﴾ [البقرة: 72].

قال الفخر الرازي⁽²⁾: ﴿فَادْرَأْتُمْ فِيهَا﴾ فيه وجوه: أولها: اختلفتم واختصمتم في شأنها لأن المتخاصمين يدرأ بعضهم بعضاً أي يدافعه ويزاحمه. وثانيها: «أدارأتم» ينفي كل واحد منكم القتل عن نفسه ويضيفه إلى غيره. وثالثها: دفع بعضكم بعضاً عن البراءة والتهمة. وجملة القول فيه أن الدرء هو الدفع. فالمتخاصمون إذا تخاصموا فقد دفع كل واحد منهم عن نفسه تلك التهمة، ودفع كل واحد منهم حجة صاحبه عن تلك الفعل، ودفع كل واحد منهم حجة صاحبه في إسناد تلك التهمة إلى غيره وحجة صاحبه في براءته عنه، قال القفال: والكناية في (فيها) للنفس، أي اختلفتم في النفس ويحتمل في القتلة لأن قوله: ﴿قَتَلْتُمْ﴾ [البقرة: 72] يدل على المصدر.

قال الزمخشري⁽³⁾: ﴿فَادْرَأْتُمْ﴾ اختلفتم واختصمتم في شأنها، لأن المتخاصمين يدرأ بعضهم بعضاً، أي يدفعه ويزاحمه، أو تدافعتم، بمعنى طرح قتلها بعضكم على بعض، فدفع المطروح عليه الطارح، أو لأن الطرح في نفسه دفع، قال الماوردي⁽⁴⁾: ثلاثة أوجه: الأول: أن الدرء الاعوجاج، يعني اعوجاج الأعادي.

والثاني: وهو المشهور، أن الدرء المدافعة، ومعناه أي: تدافعتم في القتل. والثالث: معناه اختلفتم وتنازعتم، قاله السدي، وقيل إن هذه الآية وإن كانت متأخرة في التلاوة، فهي متقدمة في الخطاب على قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ﴾ [البقرة: 67] الآية؛ لأنهم أمرُوا بذبحها، بعد قتلهم، واختلفوا في قاتله.

(1) لباب التأويل.
(2) التفسير الكبير.
(3) الكشاف.
(4) النكت والعيون.

دَسَّ

(دَسَّ - خَفِيَ - بَطَنَ - سَرَّ)

■ **الدَّسُّ:** إخفاء الشيء خفاءً مطلقاً ﴿يَمْسِكُمْ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ﴾ [النحل: 59].

■ **الخَفَاءُ:** استتار البدن أو الصوت ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: 55].

■ **البَاطِنُ:** كل ما لا يرى بالعين المجردة ﴿وَدَرُّوا ظِلْمَهُ الْأَيْمِ وَبَاطِنَهُ﴾ [الأَنْعَامُ: 120].

■ **السَّرُّ:** الخبر المهم «لا يعلنه» ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تَعْلِنُونَ﴾ [التغابن: 4].



النصوص اللغوية:

قال ابن فارس⁽¹⁾: الدال والسين في المضاعف والمطابق أصلٌ واحد يدُّ على دخول الشيء تحت خفاءٍ وسرٍّ. يقال: دَسَسْتُ الشَّيْءَ فِي التُّرَابِ أَدُسُّهُ دَسًّا. قال الله تعالى: ﴿يَمْسِكُمْ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ﴾ [النحل: 59]. والدَّسَّاسَةُ: حَيَّةٌ صَمَاءٌ تَكُونُ تَحْتَ التُّرَابِ. فأما قولهم دُسَّ البعيرُ ففيه قولان، كلُّ واحدٍ منهما من قياس الباب: فأحدهما أن يكون به قليل من جَرَبٍ، فإن كان كذا فلا نَّ ذلك الجربُ كالشَّيء الخفيف المُندَسِّ. والقول الآخر، هو أن يُجعل الهنأُ على

(1) معجم مقاييس اللغة.

مَسَاعِرِ البعير. ومن الباب: الدَّسِيس. وقولهم: «العِرْقُ دَسَّاسٌ»؛ لأنه يُنزَعُ في خَفَاءٍ ولُطْفٍ.

قال ابن منظور⁽¹⁾: الدَّسُّ: إدخال الشيء من تحته، دَسَّهُ يَدُسُّهُ دَسًّا فاندَسَّ ودَسَّسَهُ ودَسَّاه؛ الأخيرة على البدل كراهية التضعيف. وفي الحديث: اسْتَجِيدُوا الخَالَ فَإِنَّ العِرْقَ دَسَّاسٌ، أي دَخَالَ لأنه يُنزَعُ في خَفَاءٍ ولُطْفٍ. ودَسَّهُ يَدُسُّهُ دَسًّا إذا أدخله في الشيء بقهر وقوَّة.

قال الراغب⁽²⁾: الدس: إدخال الشيء في الشيء بضرب من الإكراه. يقال: دسسته فدس وقد دس البعير بالهناء (الهناء: ضرب من القطران). وقيل: ليس الهناء بالدس.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ﴾ [النحل: 59].

قال الطبري⁽³⁾: يقول: يدفنه حيًّا في التراب فيئده. كما: عن ابن جريج: ﴿أَيْمَسِّكُهُ عَلَى هُوْبٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ﴾ [النحل: 59] يئد ابنته.

قال الفخر الرزاي⁽⁴⁾: ﴿أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ﴾ والدس إخفاء الشيء في الشيء. يروى أن العرب كانوا يحفرون حفيرة ويجعلونها فيها حتى تموت. وروى عن قيس بن عاصم أنه قال: يا رسول الله إني وارىت ثمانى بنات فى الجاهلية فقال ﷺ: «أعتق عن كل واحدة منهن رقبة» فقال: يا نبي الله إني ذو إبل، فقال: «أهد عن كل واحدة منهن هدياً». وروى أن رجلاً قال يا رسول الله: ما أجد

(1) اللسان.

(3) جامع البيان.

(2) مفردات الراغب.

(4) التفسير الكبير.

حلاوة الإسلام منذ أسلمت، فقد كانت لي في الجاهلية ابنة فأمرت امرأتي أن تزينها فأخرجتها إلي فانتهيت بها إلى واد بعيد القعر فألقيتها فيه، فقالت: يا أبت قتلتني، فكلما ذكرت قولها لم ينفعني شيء، فقال ﷺ: «ما كان في الجاهلية فقد هدمه الإسلام وما كان في الإسلام يهدمه الاستغفار». واعلم أنهم كانوا مختلفين في قتل البنات، فمنهم من يحفر الحفيرة ويدفنها فيها إلى أن تموت، ومنهم من يرميها من شاهق جبل، ومنهم من يغرقها، ومنهم من يذبحها، وهم كانوا يفعلون ذلك تارة للغيرة والحمية، وتارة خوفاً من الفقر والفاقة ولزوم النفقة.

قال الماوردي⁽¹⁾: فيه وجهان:

أحدهما: أنها المؤءودة التي تدس في التراب قتلاً لها.

الثاني: أنه محمول على إخفائه عن الناس حتى لا يعرفوه كالمدسوس في التراب لخفائه عن الأبصار، وهو محتمل.

قال أبو السعود⁽²⁾: ﴿أَمْ يَدُسُّهُ﴾ يُخْفِيهِ.



(2) إرشاد العقل السليم.

(1) النكت والعيون.

دَسْرَ

(دَسْرَ - حَبْلٌ - وَثَاقٌ - عَلٌّ - رَبَاطٌ - طَوْقٌ - سِلْسِلَةٌ)

- **الدَّسَارُ:** حبل من ليف تشد به ألواح، وجمعه دُسْرٌ ﴿وَحَمَلْتَهُ عَلَى ذَاتِ الْوَجِّ وَدُسْرٍ﴾ [القمر: 13].
- **الحَبْلُ:** معروف مما يربط الشيء الثقيل ويتوصل به إلى الشيء الصعب ﴿فَإِذَا جَاهَلْتُمْ وَعَصَيْتُهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾ [طه: 66].
- **الوِثَاقُ:** بالفتح والكسر: كل ما يوثق به الشيء المطلوب خوف الإفلات ﴿حَتَّى إِذَا اتَّخَذْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوِثَاقَ﴾ [محمد: 4].
- **العُلُّ:** حديد يوضع في عنق السجين لتجمع يديه إلى عنقه ﴿إِذِ الْأَعْلَى فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ﴾ [غافر: 71].
- **الرَّبَاطُ:** ربط الشيء المتحرك بشيء ثابت لكي لا ينفلت ﴿لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [القصص: 10].
- **الطَّوْقُ:** ما يجعل في العنق حلقة كطوق الحمام، وصنعة كطوق الذهب ﴿سَيَطُوفُونَ مَا بِخَلَوْا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران: 180].
- **السِّلْسِلَةُ:** حبل من المعدن اللين ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ [الحاقة: 32]، ﴿سَلْسِلًا وَأَعْلَاقًا وَسَعِيرًا﴾ [الإنسان: 4].
- فالسلاسل من معدن لين لليدين والأغلال لليدين من حديد للعنق وتجمع إليه اليدان.



النصوص اللغوية:

قال ابن فارس⁽¹⁾: الدال والسين والراء أصلٌ واحد يدلُّ على الدَّفْعِ . يقال: دَسَرْتُ الشَّيْءَ دَسْرًا، إِذَا دَفَعْتَهُ دَفْعًا شَدِيدًا . وفي الحديث: «ليس في العَنْبَرِ زَكَاةٌ، إِنَّمَا هُوَ شَيْءٌ دَسَرَهُ الْبَحْرُ»، أي: رماه ودفع به . وفي حديث عُمرَ رضي الله عنه: «إِنَّ أَحْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ يُؤَخَذَ الرَّجُلُ فَيُدْسَرُ كَمَا تُدْسَرُ الْجَزُورُ»، أي: يُدْفَعُ . ومن الباب: دَسَرَهُ بِالرُّمْحِ، وَرُمِحَ مِدْسَرًا .

ويقال للجمل الضَّخْمُ القويُّ: دَوْسَرِيٌّ . ودَوْسَرٌ: كتيبةٌ؛ لأنَّها تدفع الأعداء . ومما شدَّ عن الباب وهو صحيحٌ: الدَّسَارُ: خَيْطٌ من ليفٍ تُشَدُّ به ألواحُ السَّفِينَةِ، والجمع دُسْرٌ . قال الله تعالى: ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسْرٍ﴾ [القَمَرُ: 13] . ويقال الدُّسْرُ: المَسَامِيرُ .

قال الجوهري⁽²⁾: الدَّسَارُ: واحد الدُّسْرِ، وهي خيوطٌ تُشَدُّ بها ألواحُ السفينة، ويقال هي المَسَامِيرُ . وقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسْرٍ﴾ أيضًا . والدُّسْرُ الدَّفْعُ . قال ابن عباس رضي الله عنهما في العَنْبَرِ: إِنَّمَا هُوَ شَيْءٌ يَدْسُرُهُ الْبَحْرُ دَسْرًا، أَي يَدْفَعُهُ . ودَسَرَهُ بِالرُّمْحِ . ورجلٌ مِدْسَرٌ . والدَّوْسَرُ الجَمَلُ الضَّخْمُ، والأنثى دَوْسَرَةٌ . وجَمَلٌ دَوْسَرِيٌّ، كأنه منسُوبٌ إليه، ودَوْسَرَانِيٌّ أيضًا .

قال الفيروزآبادي⁽³⁾: الدُّسْرُ: الطَّعْنُ، والدَّفْعُ، والجِماعُ، وهو مِدْسَرٌ، وإصلاحُ السفينةِ بالدَّسَارِ للمَسْمَارِ، وإدخالُ الدَّسَارِ في شيءٍ بقوةٍ . والدَّسَارُ: خَيْطٌ من ليفٍ تُشَدُّ به ألواحُها دُسْرًا ودُسْرًا . والدُّسْرُ: السُّفْنُ تَدْسُرُ المَاءَ بصدورها، الواحدة: دَسْرَاءُ . والدَّوْسَرُ: الجَمَلُ الضَّخْمُ، وهي: بهاءٍ، ونَبَتْ اسمُ حَبِّه: الرُّنُّ، وكتيبةٌ للثُّعْمَانِ بنِ المُنْذِرِ، والأسدُ الصُّلْبُ، والشَّيْءُ القديمُ، والزَّوَانُ في الحِطَّةِ، وفرسٌ، والدَّكْرُ الضَّخْمُ، وبهاءٍ: المَمْضَعَةُ .

(3) القاموس المحيط .

(1) معجم مقاييس اللغة .

(2) الصحاح في اللغة .

والدَّوَايسِرُ، كَعُلَابِيطَ: الشَّدِيدُ الضَّخْمُ، كَالدَّوَسِرِ وَالذَّوَسِرِيِّ وَالذَّوَسِرَانِيِّ.
وَنَاقَةٌ دَاسِرَةٌ: سَرِيعَةٌ.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسْرٍ﴾ [القَمَر: 13].

قال الطبري⁽¹⁾: يقول تعالى ذكره: وحملنا نوحاً إذ التقى الماء على أمر قد قُدر، على سفينة ذات ألواح ودُسر. والدسر: جمع دسار، وقد يقال في واحدتها: دسير، كما يقال: حَبِيكَ وَجِبَاكَ، والدُّسَار: المسمار الذي تشدُّ به السفينة، يقال منه: دسرت السفينة إذا شددتها بمسامير أو غيرها.

وقد اختلف أهل التأويل في ذلك، فقال بعضهم في ذلك بنحو الذي قلنا فيه. عن أبي صخر، عن القُرَظِيِّ، وسُئِلَ عن هذه الآية ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسْرٍ﴾ قال: الدُّسَرُ: المسامير. عن قتادة، قوله: ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسْرٍ﴾ حدثنا أن دُسَرَهَا: مساميرها التي شُدَّتْ بها.

قال الفخر الرازي⁽²⁾: أي سفينة، حذف الموصوف وأقام الصفة مقامه، إشارة إلى أنها كانت من ألواح مركبة موثقة بدثر، وكان انفكاكها في غاية السهولة، ولم يقع فهو بفضل الله، والدسر المسامير.

قال الزمخشري⁽³⁾: ﴿عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسْرٍ﴾ أراد السفينة، وهي من الصفات التي تقوم مقام الموصوفات فتنوب منابها وتؤدي مؤداها، بحيث لا يفصل بينها وبينها.

قال ابن عجيبة⁽⁴⁾: ﴿وَدُسْرٍ﴾ ومسامير، جمع: دسار، وهو المسمار، فعال من: دسره: إذا دفعه؛ لأنه يدسر به منفعده.

(3) الكشاف.

(4) البحر المديد.

(1) جامع البيان.

(2) التفسير الكبير.

دَسَى

(دَسَى - خَبَثٌ - رَجَزٌ - رَجِسٌ - نَجِسٌ)

- الدَّسْوُ: نقيض التزكية ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّنَهَا﴾ [الشمس: 10].
- الخَبَثُ: المحظور والفاسد الذي لا يوافق النفس فتتفر منه ﴿وَجَعَلَهُ مِنْ الْقَرِيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبِيثَةَ﴾ [الأنبياء: 74].
- الرَّجَزُ: المحظور الذي يؤدي إلى الاضطراب النفسي والعقلي والوسواس ﴿وَنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهَبَ عَنْكُمْ رَجَزَ الشَّيْطَانِ﴾ [الأنفال: 11].
- الرَّجِسُ: المحظور المستقدر الذي يؤدي إلى الاضمحلال ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رَجِسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ [المائدة: 90].
- النَّجِسُ: المحظور الذي ينقض الطهارة والنظافة المادية والمعنوية ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ [التوبة: 28].



النصوص اللغوية:

قال الليث⁽¹⁾: دَسَا فلان يَدَسُو دَسْوَةً، وهو نقيض زكا يَزُكُو زَكَاةً، وهو داسٍ لا زاكٍ، ودَسَى نَفْسَهُ. قال: ودَسَى يَدَسَى لغةً، ويدَسُو أصوب.

واعتبر الليث ما قاله في دَسَى من قوله يَزُكُو: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّهَا﴾ (٩) وَقَدْ

(1) الليث.

خَابَ مَنْ دَسَّهَا ﴿١٠﴾ [الشمس: 9-10]؛ أَي: أَخْفَاهَا، وقد تقدم قولنا إِنَّ دَسَّاهَا فِي الْأَصْلِ دَسَّسَهَا، وَإِن السِّنَات تَوَالَتْ فَقَلِبْتَ إِحْدَاهُن يَاءً، وَأَمَّا دَسَى غَيْرَ مُحَوَّلٍ عَنِ الْمُضْعَفِ مِنْ بَابِ الدَّسِّ فَلَا أَعْرَفُهُ وَلَا أَسْمَعُهُ، وَالْمَعْنَى خَابَ مِنْ دَسَى نَفْسَهُ أَي أَخْمَلَهَا وَأَخْسَّ حَظَّهَا، وَقِيلَ خَابَتْ نَفْسٌ: دَسَّاهَا اللَّهُ بِرُوحِهِ .

قال الفيروزآبادي⁽¹⁾: دَسَى، كَسَعَى: ضِدُّ زَكَ. وَدَسَّاهُ تَدْسِيَّةٌ: أَغْوَاهُ، وَأَفْسَدَهُ، وَدَسَى عَنْهُ حَدِيثًا: احْتَمَلَهُ.

قال الراغب⁽²⁾: قال تعالى: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس: 10]، أَي: دَسَّسَهَا فِي الْمَعَاصِي، فَأَبْدَلَ مِنْ إِحْدَى السِّنَات يَاءً، نَحْو: تَظْنَيْتَ، وَأَصْلُهُ تَظَنَنْتَ.

قال الزمخشري⁽³⁾: دَسَى نَفْسَهُ: نَقِضَ زَكَّاهَا، أَصْلُهُ دَسَسَ كَتَقَضَى الْبَازِي.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس: 10].

قال الفخر الرازي⁽⁴⁾: فقالوا: ﴿دَسَّاهَا﴾ أَصْلُهُ دَسَّسَهَا مِنَ التَّدْسِيسِ، وَهُوَ إِخْفَاءُ الشَّيْءِ فِي الشَّيْءِ، فَأَبْدَلْتَ إِحْدَى السِّنَات يَاءً، فَأَصْلُ دَسَى دَسَسَ، كَمَا أَنَّ أَصْلَ تَقَضَى الْبَازِي تَقَضُّضَ الْبَازِي، وَكَمَا قَالُوا: أَلْبَيْتُ وَالْأَصْلُ لَبَيْتُ، وَمَلْبِي وَالْأَصْلُ مَلْبَبُ، ثُمَّ نَقُولُ: أَمَّا الْمَعْتَزِلَةُ فَذَكَرُوا وَجْهًا تَوَافُقَ قَوْلِهِمْ: أَوْلَاهَا: أَنَّ أَهْلَ الصَّلَاحِ يَظْهَرُونَ أَنفُسَهُمْ، وَأَهْلَ الْفَسْقِ يَخْفُونَ أَنفُسَهُمْ وَيَدْسُونَهَا فِي الْمَوَاضِعِ الْخَفِيَّةِ، كَمَا أَنَّ أَجْوَادَ الْعَرَبِ يَنْزِلُونَ الرُّبَا حَتَّى تَشْتَهَرَ أَمَاكِنُهُمْ وَيَقْصِدُهُمُ الْمَحْتَاجُونَ، وَيُوقِدُونَ النَّيْرَانَ بِاللَّيْلِ لِلطَّارِقِينَ. وَأَمَّا اللَّثَامُ فَإِنَّهُمْ يَخْفُونَ أَمَاكِنَهُمْ

(3) أساس البلاغة.

(4) التفسير الكبير.

(1) القاموس المحيط.

(2) مفردات الراغب.

عن الطالبين . وثانيها : ﴿ خَابَ مَنْ دَسَّهَا ﴾ أي دس نفسه في جملة الصالحين وليس منهم . وثالثها : ﴿ مَنْ دَسَّهَا ﴾ في المعاصي حتى انغمس فيها . ورابعها : ﴿ مَنْ دَسَّهَا ﴾ من دس في نفسه الفجور ، وذلك بسبب مواظبته عليها ومجالسته مع أهلها . وخامسها : أن من أعرض عن الطاعات واشتغل بالمعاصي صار خاملاً متروكاً منسياً ، فصار كالشيء المدسوس في الاختفاء والخمول . وأما أصحابنا فقالوا : المعنى خابت وخسرت نفس أضلها الله تعالى وأغواها وأفجرها وأبطلها وأهلكها ، هذه ألفاظهم في تفسير ﴿ دَسَّهَا ﴾ . قال الواحدي رحمه الله : فكأنه سبحانه أقسم بأشرف مخلوقاته على فلاح من طهره وخساره من خذله حتى لا يظن أحد أنه هو الذي يتولى تطهير نفسه أو إهلاكها بالمعصية من غير قدر متقدم وقضاء سابق .

قال البيضاوي⁽¹⁾ : ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّهَا ﴾ نقصها وأخفاها بالجهالة والفسوق ،

وأصل دسى دسس كتقضي وتقضض .

قال الماوردي⁽²⁾ : ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّهَا ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : على ما قضى وقد خاب من دسى الله نفسه .

الثاني : من دسى نفسه .

وفي «دساها» سبعة تأويلات :

الأول : أغواها وأضلها ، لأنه دسى نفسه في المعاصي .

الثاني : إثمها وفجورها .

الثالث : خسرها .

الرابع : كذبها .

الخامس : أشقاها .

السادس : جنبها الخير .

السابع : أخفاها وأخملها بالبخل .

(2) النكت والعيون .

(1) أنوار التنزيل .

دَعَّ

(دَعَّ - زَجَرَ - هَنَّ)

■ الدَّعُّ: الطرد بالدفع العنيف من الصدر ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾

[الماعون: 2].

■ الزَّجْرُ: الطرد بالصوت ﴿وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَّازْدَجَرَ﴾ [القمر: 9].

■ الهَنْزُ: الطرد بالحركات العنيفة غير الموزونة ﴿فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى

مُذْبِرًا﴾ [النمل: 10].



النصوص اللغوية:

قال ابن دريد⁽¹⁾: دَعَّه: دَفَعَهُ دَفْعًا عَنِيفًا. وفي التنزيل: ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾ [الماعون: 2]؛ أَي يَعْنِفُ بِهِ عُنْفًا دَفْعًا وَأَنْتَهَارًا، وفيه: ﴿يَوْمَ يَدْعُوتُ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾ [الطور: 13]؛ وفي الحديث: «اللهم دَعَّهَا إِلَى النَّارِ دَعًّا».

قال الراغب⁽²⁾: الدَّعُّ: الدفع الشديد، وأصله أن يقال للعائر: دع دع، كما يقال له: لعا، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُوتُ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾ [الطور: 13]، وقوله: ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾ [الماعون: 2]. قال الشاعر:

دع الوصي في قفا يتيمة

(2) مفردات الراغب.

(1) الجمهرة.

قال الجوهري⁽¹⁾: دَعَعْتُهُ أَدَعُهُ دَعًّا، أي: دفعته.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾ [الطور: 13].

قال الزمخشري⁽²⁾: ﴿دَعًّا﴾ مدعوعين، يقال لهم: هذه النار.

قال أبو السعود⁽³⁾: أي يدفعون إليها دفعاً عنيفاً شديداً بأن تغلّ أيديهم إلى أعناقهم وتجمع نواصيهم إلى أقدامهم فيدفعوا إلى النار، وقُرِيءَ يُدْعَوْنَ مِنَ الدُّعَاءِ فيكون دَعًّا حالاً بمعنى مدعوعين.

قال القاسمي⁽⁴⁾: أي: يُدْفَعُونَ إِلَيْهَا بعنف. يقال: دَعَعْتُ فِي قِفَاهِ، إِذَا دَفَعْتَهُ فِيهِ بِإِزْعَاجٍ.

● قال تعالى: ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾ [الماعون: 2].

قال الطبري⁽⁵⁾: يقول: فهذا الذي يكذب بالدين، هو الذي يدفع اليتيم عن حقه ويظلمه. يقال منه: دَعَعْتُ فَلَانًا عَنْ حَقِّهِ، فَأَنَا أَدَعُهُ دَعًّا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك: عن ابن عباس، ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾ قال: يدفع حق اليتيم. عن مجاهد، في قول الله: ﴿يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾ قال: يدفع اليتيم فلا يُطعمه.

قال البغوي⁽⁶⁾: ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾، يقهره ويدفعه عن حقه، والدعُّ: الدفع بالعنف والجفوة.

(4) محاسن التأويل.

(5) جامع البيان.

(6) معالم التنزيل.

(1) الصحاح في اللغة.

(2) الكشاف.

(3) إرشاد العقل السليم.

قال الفخر الرازي⁽¹⁾: ﴿يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾ فالمعنى أنه يدفعه بعنف وجفوة كقوله: ﴿يَوْمَ يَدْعُونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً﴾ [الطور: 13] وحاصل الأمر في دع اليتيم أمور: الأول: دفعه عن حقه وماله بالظلم. والثاني: ترك المواساة معه، وإن لم تكن المواساة واجبة. وقد يذم المرء بترك النوافل لاسيما إذا أسند إلى النفاق وعدم الدين. والثالث: يزجره ويضربه ويستخف به، وقرىء (يَدْعُ) أي يتركه، ولا يدعو بدعوة، أي يدعوا جميع الأجانب ويترك اليتيم مع أنه عليه الصلاة والسلام قال: «ما من مائدة أعظم من مائدة عليها يتيماً». وقرىء يدعو اليتيم، أي يدعو رياء ثم لا يطعمه وإنما يدعو استخداماً أو قهراً أو استطالة.

قال العزّ بن عبد السلام⁽²⁾: ﴿يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾ يحقره أو يظلمه أو يدفعه دفعاً شديداً عن حقه وماله ظلماً وطمعاً فيه أو إبعاداً له وزجراً.



(1) التفسير الكبير.

(2) التفسير العظيم.

دَعَا

(دَعَا - بَهْل - ضَرَع - اسْتَعَاثَ - طَلَبَ)

- **الدُّعَاءُ:** طلب الحوائج من الله ﷻ : ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي﴾ [غافر: 60].
- **الابْتِهَالُ:** الاجتهاد والمبالغة في الدعاء من ظلم ظالم ﴿ثُمَّ نَبْتِهَلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران: 61].
- **الاسْتِعَاثَةُ:** عندما تكون في خطر محقق ﴿وَهُمَا يَسْتَعِيثَانِ اللَّهُ وَيَلَاكُ ءَامِنٌ﴾ [الأحقاف: 17].
- **التَّضَرُّعُ:** عندما تطلب العفو عن إساءة بالغة ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا﴾ [الأنعام: 43].
- **الطَّلَبُ:** الفحص عن وجود الشيء، عيناً كان أو معنى ﴿أَوْ يُصْبِحَ مَأْوَاهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا﴾ [الكهف: 41].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس⁽¹⁾: الدال والعين والحرف المعتل أصل واحد، وهو أن تميل الشَّيء إليك بصوتٍ وكلام يكون منك. تقول: دعوت أدعو دعاءً. والدَّعوة إلى الطَّعام بالفتح، والدَّعوة في النَّسب بالكسر. قال أبو عبيدة: يقال في النَّسب

(1) معجم مقاييس اللغة.

دعوة، وفي الطعام دعوة. هذا أكثرُ كلام العرب إلاَّ عَدِيَّ الرَّبَابِ، فإنَّهم ينصبون الدَّالَّ في النَّسب ويكسرونها في الطَّعام.

والادِّعاء في الحرب: الاعتزاء، وهو أن تقول: أنا ابنُ فلانٍ. قال: وداعية اللَّبن: ما يُترَك في الضَّرع ليدعُو ما بعده. وهذا تمثيلٌ وتشبيه. وفي الحديث أنه قال للحالب: «دَعُ داعيةَ اللَّبن». ثم يُحمل على الباب ما يُضاهيه في القياس الذي ذكرناه، فيقولون: دَعَا الله فلاناً بما يكره؛ أي: أنزل به ذلك، قال: لأنَّه إذا فَعَلَ ذلك بها فقد أماله إليها. وتداعَت الحيطان، وذلك إذا سقط واحدٌ وآخرُ بعده، فكأنَّ الأوَّل دعا الثاني. وربَّما قالوا: داعيناهما عليهم، إذا هدمناها واحداً بعد الآخر. ودَوَاعِي الدَّهر: صُروفه، كأنَّها تُميل الحوادث. ولبني فلانٍ أدعيةٌ يتداعون بها، وهي مثل الأغلوطه، كأنَّه يدعو المسؤول إلى إخراج ما يعميه عليه.

قال الخليل⁽¹⁾: الادِّعاء أن تدَّعي حقاً لك أو لغيرك، تقول ادَّعى حقاً أو باطلاً.

قال الجوهري⁽²⁾: الدَّعوةُ إلى الطعام بالفتح. يقال: كنا في دعوةِ فلانٍ ومدعاةِ فلانٍ، وهو في الأصل مصدرٌ، يريدون الدُّعاء إلى الطعام. والدَّعوةُ بالكسر في النسب، يقال: فلان دَعِيٌّ بين الدَّعوة والدَّعوى في النسب. والدَّعِيُّ أيضاً: من تَبَنَّتهُ.

قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ﴾ [الأحزاب: 4]. وادَّعيتُ على فلانٍ كذا. والاسم الدَّعوى. والادِّعاء في الحرب: الاعتزاز، وهو أن يقول: أنا فلان ابن فلان. وتداعَت الحيطانُ للخراب، أي: تهدمت. والأدعيةُ مثل الأُحجية. والمُدعاةُ: المُحاجة. يقال: بينهم أدعيةٌ يتداعون بها. وهي مثل الأغلوطات. حتَّى الألغاز من الشعر أدعيةٌ. ودَعَوْتُ فلاناً، أي: صِحْتُ به واستدعيتُهُ، ودَعَوْتُ الله له وعليه دُعاءً. والدَّعوةُ المرَّة الواحدة. والدُّعاءُ: واحد الأُدعيةِ، وأصله

(2) الصحاح في اللغة.

(1) العين.

دُعَاؤُ. ودَاعِيَّة اللّين: ما يترك في الضرع لِيَدْعُوَ ما بعده. وفي الحديث: «دَعَّ دَاعِيِي اللّين». ودَوَاعِي الدهر: صروفه. وقولهم: ما بالدار دُعُوِيٌّ بالضم، أي أحد. قال الكسائي: هو من دَعَوْتُ، أي ليس فيها من يَدْعُو - لا يتكلَّم به إلا مع الجحد - قال الأَخفش: سمعتُ من العرب من يقول: لو دَعَوْنَا لَأَندَعِينَا، أي: لأَجبِنَا؛ كما تقول: لو بعثونا لانبعثنا.

المعنى المشترك لكلمة (د ع ا)

وقد وردت كلمة (دعا) في القرآن الكريم على سبعة أوجه:

الوجه الأول: الدعاء يعني القول ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَانَهُمْ إِذِ جَاءَهُمْ بِأَسْنَاءٌ﴾ [الأعراف: 5].

الوجه الثاني: الدعاء بمعنى العبادة ﴿قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا﴾ [الأنعام: 71].

الوجه الثالث: الدعاء يعني النداء ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرَ﴾ [القمر: 10].

الوجه الرابع: الدعاء بمعنى الاستغاثة ﴿وَأَدْعُوا مِنْ أَسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [يونس: 38].

الوجه الخامس: الدعاء بمعنى الاستفهام (والمناداة له) ﴿قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾ [البقرة: 68].

الوجه السادس: ادع ربك، بمعنى: سل ربك ﴿أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ﴾ [الأعراف: 134].

الوجه السابع: الدعاء يعني العذاب ﴿كَلَّا إِنَّهَا لَأَطَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَاعَةٌ لِّلشَّوٰى ﴿١٦﴾ تَدْعُوا مِنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾﴾ [المعارج: 15-17].



في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءَ وَنِدَاءَ﴾ [البقرة: 171].

قال الفخر الرازي⁽¹⁾: ﴿إِلَّا دُعَاءَ وَنِدَاءَ﴾ لا يساعد عليه لأن الأصنام لا تسمع شيئاً. الثالث: قال ابن زيد: مثل الذين كفروا في دعائهم ألهتهم كمثل الناقع في دعائه عند الجبل، فإنه لا يسمع إلا صدى صوته، فإذا قال: يا زيد يسمع من الصدى «يا زيد»؛ فكذلك هؤلاء الكفار إذا دعوا هذه الأوثان لا يسمعون إلا ما تلفظوا به من الدعاء والنداء.

قال أبو السعود⁽²⁾: ﴿إِلَّا دُعَاءَ وَنِدَاءَ﴾ فإن الأصنام بمعزلٍ من ذلك، وقد عرفت أن حسن التمثيل فيما تشابه أفراد الطرفين.

قال ابن عاشور⁽³⁾: ﴿إِلَّا دُعَاءَ وَنِدَاءَ﴾ من تكملة أوصاف بعض أجزاء المركب التمثيلي في جانب المشبه به، وذلك صالح لأن يكون مجرد إتمام للتشبيه إن كان المراد تشبيه المشركين بقلة الإدراك، ولأن يكون احتراضاً في التشبيه إن كان المراد تشبيه الأصنام حين يدعوها المشركون بالغنم حين ينطق بها رعاتها فهي لا تسمع إلا دعاء ونداء، ومعلوم أن الأصنام لا تسمع لا دعاء ولا نداء، فيكون حينئذٍ مثل قوله تعالى: ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة: 74] ثم قال: ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ﴾ [البقرة: 74].

● قال تعالى: ﴿قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبِّكَ﴾ [البقرة: 68].

قال الشعراوي⁽⁴⁾: وكان سؤالهم يبين نقص درجة الإيمان عندهم، لم يقولوا

(3) التحرير والتنوير.

(4) تفسير الشعراوي.

(1) التفسير الكبير.

(2) إرشاد العقل السليم.

ادع لنا ربنا، بل قالوا ادع لنا ربك، وكأنه رب موسى وحده. ولقد تكررت هذه الطريقة في كلام بني إسرائيل عدة مرات، حتى إنهم قالوا كما يروي لنا القرآن الكريم: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هَهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة: 24].

ولقد استمر الحوار بينهم وبين موسى فترة طويلة، يوجهون السؤال لموسى فيدعو الله فيأتيه الجواب من الله تبارك وتعالى، فبدلاً من أن ينفذوا الأمر وتنتهي المسألة يوجهون سؤالاً آخر.

فيدعو موسى ربه فيأتيه الجواب، ويؤدي الجواب إلى سؤال في غير محله منهم، ثم يقطع الحق سبحانه وتعالى عليهم أسباب الجدل بأن يعطيهم أوصافاً لبقرة لا تنطبق إلا على بقرة واحدة فقط، فكأنهم شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم.

نأتي إلى أسئلة بني إسرائيل، يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾ [البقرة: 68] سؤال لا معنى له ولا محل، لأن الله تبارك وتعالى قال لهم إنها بقرة ولم يقل - مثلاً - إنها حيوان على إطلاقه فلم يكن هناك محل للسؤال.

● قال تعالى: ﴿وَأَدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [الأعراف: 56].

قال الألوسي⁽¹⁾: أي ذوي خوف من الرد لقصوركم عن أهلية الإجابة وطمع في إجابته تفضلاً منه، وقيل خوفاً من عقابه وطمعاً في جزيل ثوابه. وقال ابن جريج: المعنى خوف العدل وطمع الفضل. وعن عطاء خوفاً من الميزان وطمعاً في الجنان. وأصل الخوف انزعاج القلب لعدم أمن الضرر، وقيل: توقع مكروه يحصل فيما بعد، والطمع توقع محبوب يحصل له، ونصبهما على الحالية كما أشير إليه، وَجَوَّزَ أن يكون على المفعولية لأجله. قيل: ولما كان الدعاء من الله تعالى بمكان كرهه وقيده أولاً بالأوصاف الظاهرة وآخرها بالأوصاف الباطنة.

(1) روح المعاني.

وقيل : الأمر السابق من قبيل بيان شرط الدعاء والثاني من قبيل بيان فائدته .
وقيل : لا تكرر ، فما تقدم أَمْرٌ بالدعاء بمعنى السؤال وهذا أَمْرٌ بالدعاء بمعنى
العبادة ، والمعنى اعبدوه جامعين في أنفسكم الخوف والرجاء في عبادتكم القلبية
والقالبية وهو كما ترى ، ومن الناس من أبقى الدعاء على المعنى الظاهر وعمم في
متعلق الخوف والطمع ، والمعنى عنده ادعوه وأنتم جامعون في أنفسكم الخوف
والرجاء في أعمالكم كلها ، وليس بشيء ، والمختار عند جلة المفسرين ما تقدم .

قال الفخر الرازي⁽¹⁾ : ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ والمعطوف ينبغي أن يكون
مغايراً للمعطوف عليه . والقول الثاني هو الأظهر ، لأن الدعاء مغاير للعبادة في
المعنى .

إذا عرفت هذا فنقول : اختلف الناس في الدعاء ، فمنهم من أنكره واحتج على
صحة قوله بأشياء : الأول : أن المطلوب بالدعاء إن كان معلوم الوقوع كان واجب
الوقوع لامتناع وقوع التغيير في علم الله تعالى ، وما كان واجب الوقوع لم يكن في
طلبه فائدة ، وإن كان معلوم اللاوقوع كان ممتنع الوقوع فلا فائدة أيضاً في طلبه .
الثاني : أنه تعالى إن كان قد أراد في الأزل إحداث ذلك المطلوب ، فهو حاصل
سواء حصل هذا الدعاء أو لم يحصل ، وإن كان قد أراد في الأزل أن لا يعطيه فهو
ممتنع الوقوع فلا فائدة في الطلب ، وإن قلنا أنه ما أراد في الأزل إحداث ذلك
الشيء ، لا وجوده ولا عدمه ، ثم إنه عند ذلك الدعاء ، صار مريداً له لزم وقوع
التغير في ذات الله وفي صفاته ، وهو محال ؛ لأن على هذا التقدير : يصير إقدام
العبد على الدعاء علة لحدوث صفة في ذات الله تعالى ، فيكون العبد متصرفاً في
صفة الله بالتبديل والتغيير ، وهو محال . والثالث : أن المطلوب بالدعاء إن اقتضت
الحكمة والمصلحة إعطاءه ، فهو تعالى يعطيه من غير هذا الدعاء لأنه منزّه عن أن
يكون بخيلاً ، وإن اقتضت الحكمة منعه ، فهو لا يعطيه سواء أقدم العبد على
الدعاء لم يقدم عليه . والرابع : أن الدعاء غير الأمر ، ولا تفاوت بين البابين إلا

(1) التفسير الكبير .

كون الداعي أقل رتبة، وكون الأمر أعلى رتبة وإقدام العبد على أمر الله سوء أدب، وإنه لا يجوز. الخامس: الدعاء يشبه ما إذا أقدم العبد على إرشاد ربه وإلهه إلى فعل الأصلح والأصوب، وذلك سوء أدب أو أنه ينبه الإله على شيء ما كان منتبهاً له، وذلك كفر، وأنه تعالى قصر في الإحسان والفضل فأنت بهذا تحمله على الإقدام على الإحسان والفضل، وذلك جهل. السادس: إن الإقدام على الدعاء يدل على كونه غير راض بالقضاء، إذ لو رضي بما قضاه الله عليه لترك تصرف نفسه، ولما طلب من الله شيئاً على التعيين، وترك الرضا بالقضاء أمرٌ من المنكرات.

● قال تعالى: ﴿لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ [الفرقان:

. [14]

قال أبو السعود⁽¹⁾: ﴿وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ أي بحسب كثرة الدعاء المتعلق به لا بحسب كثرته في نفسه فإن ما يدعونه ثبوراً واحداً في حد ذاته لكنه كلما تعلق به دعاءً من تلك الأدعية الكثيرة صار كأنه ثبورٌ مغايرٌ لما تعلق به دعاءٌ آخرٌ منها وتحقيقه: لا تدعوه دعاءً واحداً وادعوه أدعيةً كثيرةً فإن ما أنتم فيه من العذاب لغاية شدته وطول مدته مستوجبٌ لتكرير الدعاء في كل آن. وهذا أدل على فظاعة العذاب وهوله جعل تعدد الدعاء وتجده لتعدد العذاب بتعدد أنواعه وألوانه أو لتعدد الجلود كما لا يخفى.

قال ابن عاشور⁽²⁾: والدعاء: النداء بأعلى الصوت.

قال الألوسي⁽³⁾: لا تدعوه دعاءً واحداً وادعوه أدعية كثيرة، فإن ما أنتم فيه من العذاب لغاية شدته وطول مدته مستوجب لتكرير الدعاء في كل آن، ثم قال: وهذا أدل على فظاعة العذاب وهوله من جعل تعدد الدعاء وتجده لتعدد العذاب

(1) إرشاد العقل السليم.

(3) روح المعاني.

(2) التحرير والتنوير.

بتعدد أنواعه وألوانه أو لتعددته بتجدد الجلود كما لا يخفى ، وأما ما قيل من أن المعنى أنكم وقعتم فيما ليس ثبوركم فيه واحداً إنما هو ثبور كثير إما لأن العذاب أنواع وألوان ، كل نوع منها ثبور لشدته وفضاعته أو لأنهم كلما نضجت جلودهم بدلوا جلوداً غيرها فلا غاية لهلاكهم فلا يلائم المقام كيف وهم إنما يدعون هلاكاً ينهي عذابهم وينجيهم منه فلا بد أن يكون الجواب إقناطاً لهم عن ذلك ببيان استحالته ودوام ما يوجب استدعاه من العذاب الشديد ، انتهى .

● قال تعالى : ﴿ وَنَقُورٍ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَةِ وَتَدْعُونِي إِلَى النَّارِ ﴾ (٤١) تَدْعُونِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأَشْرِكَ بِهِ ﴾ [غافر: 41-42] .

قال الفخر الرازي⁽¹⁾ : والمراد أن الأوثان التي تدعوني إلى عبادتها ليس لها دعوة في الدنيا ولا في الآخرة ، وفي تفسير هذه الدعوة احتمالان :

الأول : أن المعنى ما تدعوني إلى عبادته ليس له دعوة إلى نفسه لأنه جمادات والجمادات لا تدعو أحداً إلى عبادة نفسها ، وقوله : ﴿ فِي الْآخِرَةِ ﴾ يعني أنه تعالى إذا قلبها حيواناً في الآخرة فإنها تتبرأ من هؤلاء العابدين .

والاحتمال الثاني : أن يكون قوله : ﴿ لَيْسَ لَكُمْ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ ﴾ معناه ليس له استجابة دعوة في الدنيا ولا في الآخرة ، فسميت استجابة الدعوة بالدعوة إطلاقاً لاسم أحد المتضايفين على الآخر ، كقوله : ﴿ وَحَزَّوْاُ سَيِّئَةً سَيِّئَةً مِّثْلَهَا ﴾ [الشورى: 40] .

قال الماوردي⁽²⁾ : ﴿ أَنْمَا تَدْعُونِي إِلَيْهِ ﴾ [غافر: 43] أي من عبادة ما تعبدون من دون الله . ﴿ لَيْسَ لَكُمْ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

الأول : لا يستجيب لأحد في الدنيا ولا في الآخرة .

الثاني : لا ينفع ولا يضر في الدنيا ولا في الآخرة .

(2) النكت والعيون .

(1) التفسير الكبير .

الثالث: ليس له شفاعة في الدنيا ولا في الآخرة.

● قال تعالى: ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَتُهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بِأَسْنَاءَ﴾ [الأعراف: 5].

قال أبو السعود⁽¹⁾: ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَتُهُمْ﴾ أي دعاؤهم واستغاثتهم ربهم أو ما كانوا يدعونهم من دينهم ويتحلونهم من مذهبهم.

قال الشعراوي⁽²⁾: بهذا القول اتضحت المسألة، ومن قوله ﴿دَعْوَتُهُمْ﴾ نفهم أن المسألة ادعاء. ونحن نقول: فلان ادعى دعوى على فلان، فإما أن يقيم بينة ليثبت دعواه، وإما ألا يقيم. والدعوى تطلق أيضاً على الدعاء ﴿وَأَخِرُ دَعْوَتُهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس: 10].



(1) إرشاد العقل السليم.

(2) تفسير الشعراوي.

دَفَع

(دَفَع - دَحَض - هَزَم - دَحَرَ - دَخَرَ - أَجَلَى
- طَرَدَ - شَرَدَ - فَهَرَ - أَثَخَنَ)

شرح المعاني:

الدَّفْعُ: ﴿وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: 251] أن لا تسمح للعدو بالتقدم وأن تجبر العدو بأن يبقى مكانه ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمِيذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ [آل عمران: 167] مرحلة الصمود في المعركة بحيث لا يستطيع التقدم. ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ ﴿يَا لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [الطور: 7-8] يتقدم على المجرم حتى يسحقه. ﴿وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَادَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَمَا يُدْرِكُهُمْ مِنَ الْعَذَابِ إِذِ اتَّخَذُوا اللَّهَ مَعِينًا وَمَا يُدْرِكُهُمْ مِنَ الْعَذَابِ إِذِ اتَّخَذُوا اللَّهَ مَعِينًا﴾ [الحج: 40] ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ ﴿لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُمْ دَافِعٌ﴾ [المعارج: 1-2].

الدحض: أول الهزائم في المعارك هي هزيمة أحد الجانبين في المفاوضات. وهذا ما يحصل الآن من الجهد الذي يسبق المعركة في إطلاق النار من مفاوضات، يسمى إذا انهزم أحد الجانبين دحضاً. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُجَاجِرُونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُمْ مَجْهُدًا حِصَّةً عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ [الشورى: 16] هذه ليست هزيمة عسكرية وإنما هزيمة سياسية كأن تخسر

المفاوضات وتفشل في إقناع العدو. ﴿وَجَبَدِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَطْلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا﴾ [الكهف: 56].

الهزم: إذا قامت الحرب الحقيقية وتقابل الجيشان واستطاع أحدهما أن يجعل الآخر يخسر المعركة وهو في مكانه فقد هزمه. الهزم هو تحطيم العدو في مكان المعركة. مثل هزيمة منتخب لكرة القدم تسمى هزيمة لأن الفريقين ما زالوا في الميدان لكنهم منهزمون. وأول مراحل منظومة الهزيمة تخسر المعركة وأنت في ميدانها الجغرافي ﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَتْهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: 251] هم لا يزالون في المعركة لكنهم خسروا الحرب. ﴿سَيَهْرَمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبُرَ﴾ [القمر: 45].

الدَّحْرُ: بعد الهزيمة يندحر العدو ﴿قَالَ أَخْرَجْنَا مِنْهَا مَذْمُومًا مَذْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأعراف: 18] فالدحر يكون بعد خسران المعركة، تدفعه بقوة وعنق لخارج ميدان المعركة، والدحر لا يكون إلا عندما تطارد العدو وقد أخرجته من ميدان المعركة.

الدخر: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾ [النمل: 87] ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: 60] الدخر قد يكون بإذلال أو بغيره. فإذا أذلت العدو وأنت تطارده يسمى دخراً. إذن: دحض بالمفاوضات. هزم بالمعركة. دحر خارج أرض المعركة. ودخر بإذلال.

أَجْلَى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ﴾ [الحشر: 3] عندما يخسر أحد الفريقين المتحاربين المعركة وينهزم تحصل مفاوضات آتية سريعة، إما أن يتوغل في بلادهم أو يجلبهم من ديارهم كما فعل

الرسول عليه الصلاة والسلام مع اليهود عندما أجلاهم من المدينة. فالجلاء هو اتفاق الطرفين أن يترك الطرف المنهزم في المعركة دياره ويكون ذلك باحترام.

الطَّرْدُ: إذا تم الجلاء بمهانة يسمى طرداً ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَطَرَدْتَهُمْ فَتَكُونُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: 52].

التشريد: ذلك الطرد إذا تم بتعذيب وتنكيل ليخاف الآخرون فيهربوا يسمى تشريداً ﴿فَإِنَّمَا تَتَفَنَّهٖمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرَّدَ بِهِمْ مَن خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَدَّكُرُونَ﴾ [الأنفال: 57] هؤلاء هربوا من تلقاء أنفسهم خوفاً مما سمعوا أنه حلّ بغيرهم. فالطرد مباشر والشرود عن خوف ورعب مما حصل أو مما سمعت أنه حصل.

القهر: بعد أن هزم العدو ودخرته ودخرته استوليت على إرادته استيلاء كاملاً، وهو ما نسميه اليوم بالاستعمار يسمى قهراً، لا تزيد أن تكون عبداً من عبده يأمرك فتطيع ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: 18] ﴿فَأَمَّا آلِيَمِةَ فَلَا يُفَهَرُ﴾ [الضحى: 9] ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَنَدَّرُوا مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتِكَ قَالَ سَتَقْبَلُونَ أَنبَاءَهُمْ وَتَسْتَعْتَبُونَهُمْ وَإِنَّا لَفَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ [الأعراف: 127].

أثخن: بالجراح ﴿وَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَتَّخْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ﴾ [محمَّد: 4].

أسباب الهزيمة:

1 - الإشاعات ﴿لَئِن لَّمْ يَنْهَ الْأَمْنَفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُحَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب: 60].

2 - الاغترار بالقوة التي ليس وراءها أي قيم أو شرعية ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ [التوبة: 25] ما من جيش عرمرم

للمسلمين كذلك الجيش حتى قال أحدهم لن نُغلب اليوم من قلة ونسي أن الإسلام جاء يحارب بقيم ومبادئ، والهزيمة كانت نتيجة الاغترار بقوتهم، بقي مع النبي ﷺ ثلاثة من أهل بيته وكسبوا المعركة وأوثقوا الأسرى. الحرب المقدسة الكريمة الأخلاقية تعتمد على قوة الشرعية والحق الذي يقاتلون من أجله لا على القوة العسكرية ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقاتِلُوا أوليَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: 76].

3 - الفرقة: والأمة في عصرنا الحاضر متفرقة ولا يمكن أن تنتصر في أي حرب ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنزَعُوا فَنفَشَلُوا وَنَذَهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبَرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: 46].

من اللامعقول أن كل قوة عظيمة غازية إذا كنت تديرها حكومة تظلم شعبها أو أن شعبها يظلم بعضهم بعضاً ويكيد بعضهم لبعض أن ينتصروا إلا بعد أن يزيلوا هذا الوهن.

4 - تواطؤ رئيس الدولة: يتواطأ الرئيس مع العدو كما حصل من حكام العرب في 48 ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾ [المائدة: 52].

وإذا راجعنا تاريخ المسلمين لوجدنا أنهم لم يهزموا من عدو الخارج أبداً وإنما هزيمتهم كانت من الداخل. وطبيعة هذه الأمة المسلمة أن تنتصر برجالٍ كل واحد منهم أمة في حد ذاته، وهذه الأمة يقودها واحد تنبهر به أمته ويدفعهم دفعا إلى الأمام وقوانين النصر والهزيمة هي كقوانين الإنجاب، سواء كانت الأمة مسلمة أم كافرة، وإذا حققت الأمة العدل فيما بين شعبها ينصرها الله تعالى في الدنيا وحسابهم على الله تعالى في الآخرة.



النصوص اللغوية:

قال ابن فارس⁽¹⁾: الدال والفاء والعين أصلٌ واحد مشهور، يدلُّ على تنحية الشيء. يقال: دَفَعْتُ الشيءَ أدفعُهُ دَفْعاً. ودافع الله عنه السُّوءَ دِفاعاً. والمدفَعُ الفقير؛ لأن هذا يدافعُه عند سؤاله إلى ذلك.

والدُّفْعَةُ من المطر والدم وغيره. وأما الدُّفَاعُ فالسَّيلُ العظيم. وكل ذلك مشتقٌّ من أن بعضه يدفَعُ بعضاً.

والمدفَعُ البعير الكريم، وهو الذي كلما جيء به ليُحمَل عليه أُخِّر وجيء بغيره إكراماً له.

قال الجوهري⁽²⁾: دَفَعْتُ إلى فلان شيئاً. ودَفَعْتُ الرجل فانَدَفَعَ. وانَدَفَعَ الفرس، أي أسرع في سيره، وانَدَفَعُوا في الحديث. والمُدْفَعَةُ: المماطلة. ودافع عنه ودَفَعَ بمعنى. تقول منه: دافع الله عنك السوءَ دِفاعاً. واستدَفَعْتُ الله الأسواء، أي طلبتُ منه أن يدفَعها عني. وتدافع القوم، أي دَفَعَ بعضهم بعضاً. والدُّفْعَةُ من المطر وغيره بالضم مثل الدُّفْعَةِ. والدَّفْعَةُ بالفتح: المرَّة الواحدة. والمدفَعُ بالتحديد: الفقير والذليل، لأنَّ كلاً يدفَعُه عن نفسه. والدَّفَاعُ: الشاةُ أو الناقةُ التي تدفع اللبأ في ضرعها قبيل النتاج. يقال: دَفَعَتِ الشاةُ، إذا أضرعت على رأس الولد. والمدفَعُ واحد مدافعِ المياه التي تجري فيها. والمدفَعُ بالكسر: الدفوعُ. والدُّفَاعُ: السيلُ العظيم.



(1) معجم مقاييس اللغة.

(2) الصحاح في اللغة.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا﴾ [النساء: 6].

قال ابن عطية⁽¹⁾: ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ﴾ الآية. أمر من الله بالتحرز والحزم، وهذا هو الأصل في الإشهاد في المدفوعات كلها، إذا كان حبسها أولاً معروفاً.

قال أبو السعود⁽²⁾: ﴿فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ من غير تأخير عن حد البلوغ، وفي إيثار الدفع على الإيتاء الوارد في أول الأمر إيدان بتفاوتهما بحسب المعنى كما أشير إليه فيما سلف.

قال الماوردي⁽³⁾: ﴿فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ يعني التي تحت أيديكم أيها الأولياء عليهم.

● قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الحج: 38].

قال البغوي⁽⁴⁾: يريد: يدفع غائلة المشركين عن المؤمنين ويمنعهم عن المؤمنين.

قال أبو السعود⁽⁵⁾: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ كلامٌ مستأنفٌ مسوقٌ لتوطين قلوب المؤمنين ببيان أن الله تعالى ناصرهم على أعدائهم بحيث لا يقدرُونَ على صدِّهم عن الحجِّ ليتفرَّغُوا إلى أداء مناسكِهِ. وتصديرُهُ بكلمة التَّحْقِيقِ لإبرازِ الاعتناء التَّامِّ بمضمونه، وصيغة المفاعلة إمَّا للمبالغة أو للدلالة على تكرر الدَّفْعِ، فإنَّها قد تُجرَّدُ عن وقوع الفعل المتكرر من الجانبين فيبقى تكررُه كما في الممارسة؛ أي يبالغ في دفع غائلة المشركين وضررهم الذي من جملته الصَّدُّ عن

(1) المحرر الوجيز.

(2) إرشاد العقل السليم.

(3) النكت والعيون.

(4) معالم التنزيل.

(5) إرشاد العقل السليم.

سبيل الله مبالغة من يغالب فيه أو يدفعها عنهم مرةً بعد أخرى حسبما تجدد منهم القصد إلى الإضرار بالمسلمين كما في قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾ [المائدة: 64] وقرئ يدفع والمفعول محذوف.

قال الشعراوي⁽¹⁾: صيغة يدافع: مبالغة من يدفع، معنى يدفع يعني: شيئاً واحداً، أو مرة واحدة، وتنتهي المسألة، أما يدافع فتدل على مقابلة الفعل بمثله، فالله يدافعهم وهم يقابلون أيضاً بالمدافعة، فيحدث تدافع وتفاعل من الجانبين، وهذا لا يكون إلا في معركة. والمعركة تعني: منتصر ومنهزم، لذلك الحق - تبارك وتعالى - يطمئن المؤمنين أنه سيدخل المعركة في صفوفهم، وسيدافع عنهم.

فقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الحج: 38] أمر طبيعي؛ لأن الحق سبحانه ما كان ليرسل رسولا، ويتركه لأهل الباطل يتغلبون عليه، وإلا فما جدوى الرسالة إذن؛ لذلك يطمئن الله تعالى رسوله ويبيّره، فيقول: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الصفات: 171-173].

● قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ﴾ [الحج: 40].

قال الألوسي⁽²⁾: تحريض على القتال المأذون فيه بإفادة أنه تعالى أجرى العادة بذلك في الأمم الماضية لينتظم به الأمر وتقوم الشرائع وتسان المتعبدات من الهدم فكأنه لما قيل: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ﴾ [الحج: 39]؛ قيل: فليقاتل المؤمنون، فلولا القتال وتسليط الله تعالى المؤمنين على المشركين في كل عصر وزمان، لهدمت متعبداتهم ولذهبوا شذراً مدراً، وقيل: المعنى لولا دفع الله بعض الناس ببعض بتسليط مؤمني هذه الأمة على كفارها لهدمت المتعبدات المذكورة إلا أنه تعالى سلط المؤمنين على الكافرين فبقيت هذه المتعبدات بعضها للمؤمنين وبعضها لمن في حمايتهم من أهل الذمة. وقال مجاهد: أي لولا دفع ظلم قوم

(2) روح المعاني.

(1) تفسير الشعراوي.

بشهادة العدول ونحو ذلك لهدمت . وقال قوم: أي لولا دفع ظلم الظلمة بعدل الولاية . وقالت فرقة: أي لولا دفع العذاب عن الأشرار بدعاء الأختيار . وقال قطرب: أي لولا الدفع بالقصاص عن النفوس . وقيل بالنبيين ﷺ عن المؤمنين ، والكل مما لا يقتضيه المقام ولا ترتضيه ذوو الأفهام .

● قال تعالى: ﴿لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ﴾ ﴿٢﴾ مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿٣﴾

[المعارج: 2-3].

قال الطبري⁽¹⁾: يقول تعالى ذكره: ليس للعذاب الواقع على الكافرين من الله دافع يدفعه عنهم .

قال أبو السعود⁽²⁾: ﴿لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ﴾ صفةٌ أخرى لعذابٍ، أو حالٌ منه لتخصيصه بالصفة أو بالعمل أو من الضمير في للكافرين على تقدير كونه صفةً لعذابٍ أو استئنافٌ ﴿مِّنَ اللَّهِ﴾ متعلقٌ بواقعٍ أو بدافعٍ أي ليس له دافعٌ من جهته تعالى: ﴿ذِي الْمَعَارِجِ﴾ ذي المصاعد التي يصعدُ فيها الملائكةُ بالأوامرِ والنواهي، أو هي عبارةٌ عن السمواتِ المترتبة بعضها فوق بعضٍ .

قال القرطبي⁽³⁾: أي هذا العذاب للكافرين في الآخرة لا يدفعه عنهم أحد . وقيل إن اللام بمعنى على ، والمعنى: واقع على الكافرين . ورُوي أنها في قراءة أبيّ كذلك . وقيل: بمعنى عن؛ أي ليس له دافع عن الكافري من الله . أي ذلك العذاب من الله ذي المعارج؛ أي ذي العلوِّ والدرجات الفواضل والنعم؛ قاله ابن عباس وقتادة .



(3) الجامع لأحكام القرآن .

(1) جامع البيان .

(2) إرشاد العقل السليم .

دَفَق

(دَفَق - جَرَى - فَاضَ - سَالَ - سَفَكَ - سَكَبَ - صَبَّ)

■ **الدَّفَقُ**: اندفاع الماء الكثير فجأة وبقوة من مضيق واحد ﴿حَلَقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ﴾ [الطارق: 6].

■ **الجَزِيُّ**: المرّ السريع ﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الزخرف: 51].

■ **الفَيْضُ**: مجاوزة الماء لشواطئه ﴿تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾ [المائدة: 83].

■ **السَّيْلُ**: جريان الجامد والساكن ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾ [سبأ: 16].

■ **السَّفْكُ**: جريان الدم عمداً ﴿يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ [البقرة: 30].

■ **السَّكْبُ**: جريان السائل من الإناء برفق ﴿وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ﴾ [الواقعة: 31].

■ **الصَّبُّ**: جريان السائل من الأعلى بقوة ﴿أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا﴾ [عبس: 25].



النصوص اللغوية:

قال ابن فارس⁽¹⁾: الدال والفاء والقاف أصلٌ واحد مطَّردٌ قياسه، وهو دَفَق الشيء قُدماً. من ذلك: دَفَقَ الماءُ، وهو ماءٌ دافق. وهذه دُفْقَةٌ من ماء. ويحمل قولهم: جاؤوا دُفْقَةً واحدة، أي: مرّة واحدة. وبعبير أدفَق: إذا بانَ مِرْفَقاه عن

(1) معجم مقاييس اللغة.

جَنَّبِيهِ. وذلك أَنَّهُما إذا بانا عنه فقد اندفعا عنه واندَفَقَا. والِدَّفَقُ، على فِعَلٍ، من الإبل: السريع. ومشى فلان الدَّفِقَى، وذلك إذا أَسْرَعَ. قال أبو عبيدة: الدَّفِقَى أَفْصَى العَنَقِ. ومنه حديث الزُّبْران: «تمشي الدَّفِقَى، وتجلسُ الهَبْنَقَةَ». ويقال سَيْلٌ دُفَاقٌ: يَمَلأُ الوَادِي. ودَفَقَ اللهُ رُوحَهُ، إذا دُعِيَ عليه بالموت.

قال الجوهري⁽¹⁾: دَفَقْتُ المَاءَ أَدْفِقُهُ دَفْقًا، أي: صببته، فهو ماءٌ دافِقٌ، أي: مَدْفُوقٌ، كما قالوا: سَرُّ كاتِمٌ، أي: مَكْتُومٌ، لأنَّه من قولك دُفِقَ المَاءُ على ما لم يَسْمَ فاعله. ولا يقال: دَفَقَ المَاءُ. ويقال: دَفَقَ اللهُ رُوحَهُ، إذا دُعِيَ عليه بالموت. ودَفَقْتُ كَفَاهُ النَّدَى، أي: صَبَّتَاهُ؛ شُدَّدَ للكثرة. والاندِفاقُ: الانصبابُ، والتَدَفُّقُ: التَصَبُّبُ. وسَيْلٌ دُفَاقٌ بالضم: يَمَلأُ الوادي. وناقَةٌ دِفاقٌ بالكسر، أي: مُتَدَفِّقَةٌ في السير. والدَّفِقُ السريعُ من الإبل. ويقال أيضًا: مشى فلانُ الدِفِقَى، إذا أَسْرَعَ. وسيرٌ أَدْفَقُ.

قال ابن منظور⁽²⁾: دَفَقَ المَاءَ والدَّمْعُ يَدْفِقُ وَيَدْفُقُ دَفْقًا ودُفُوقًا واندَفَقَ وتَدَفَّقَ واستَدَفَّقَ: انصبَّ، وقيل: انصبَّ بمرَّةٍ فهو دافِقٌ، أي مدفوقٌ، كما قالوا سِرُّ كاتِمٌ أي مَكْتُومٌ، لأنه من قولك دُفِقَ المَاءُ، على ما لم يسم فاعله، ومنهم من قال: لا يقال دَفَقَ المَاءُ. وكلُّ مُراقٍ دافِقٌ ومُنْدَفِقٌ، وقد دَفَقَهُ يَدْفِقُهُ وَيَدْفُقُهُ دَفْقًا ودَفَّقَهُ. والاندِفاقُ الانصبابُ. والتدَفُّقُ التصببُ.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ﴾ [الطارق: 6].

قال الزمخشري⁽³⁾: والدَفِقُ: صبَّ فيه دَفْعٌ. ومعنى دافِقٌ: النسبة إلى الدَفِقِ

(3) الكشاف.

(1) الصحاح في اللغة.

(2) اللسان.

الذي هو مصدر دَفَق، كاللابن والتامر. أو الإسناد المجازي. والدَفَق في الحقيقة لصاحبه، ولم يقل ماءين لامتزاجهما في الرحم، واتحادهما حين ابتدئ في خلقه. قال البغوي⁽¹⁾: ﴿خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ﴾، مدفوق، أي مصبوب في الرحم، وهو المنى، فاعل بمعنى مفعول كقوله: ﴿عِشَّةٌ رَاضِيَةٌ﴾ [الحَاقَّة: 21]، أي مرضية، والدَفَق: الصب، وأراد ماء الرجل وماء المرأة، لأن الولد مخلوق منهما، وجعله واحداً لامتزاجهما.

قال أبو السعود⁽²⁾: ﴿خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ﴾ استئنافٌ وقع جواباً عن استفهامٍ مقدرٍ كأنه قيل: ممَّ خلق؟ فقيل: خلق من ماءٍ ذي دَفَقٍ، وهو صبٌّ فيه دَفَعٌ وسيلانٌ بسرعةٍ، والمرادُ به الممتزجُ من الماءينِ في الرحمِ.

قال ابن عاشور⁽³⁾: ومعنى ﴿دَافِقٍ﴾ خارج بقوة وسرعة، والأشهر أنه يقال على نطفة الرجل.

وصيغة ﴿دَافِقٍ﴾ اسم فاعل من دَفَق القاصر، وهو قول فريق من اللغويين. وقال الجمهور: لا يستعمل دَفَق قاصراً. وجعلوا دافقاً بمعنى اسم المفعول وجعلوا ذلك من النادر. وعن الفراء: أهل الحجاز يجعلون المفعول فاعلاً، إذا كان في طريقة النعت. وسيبويه جعله من صيغ النسب كقولهم: لأبن وتامر، فُفسر دافق: بذى دَفَق.



(3) التحرير والتنوير.

(1) معالم التنزيل.

(2) إرشاد العقل السليم.

دَفَاءٌ

(دَفَاءٌ - حَرٌّ - حَمَاوَةٌ - أَجَاجٌ - حَرُورٌ

- حَمِيمٌ - يَحْمُومٌ - سَمُومٌ)

■ **الدَّفَاءُ:** الحَرُّ المَرِيحُ ضدَّ البَرْدِ المَوْءِمْ ﴿لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ﴾ [النحل: 5].

■ **الحَرُّ:** المَوْءِمْ: ضدَّ البَرْدِ المَوْءِمْ ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا﴾ [التوبة: 81].

■ **الحَمَاوَةُ:** الحَرُّ المَتَوَلِّدُ مِنَ المَصَادِرِ كَالنَّارِ وَالشَّحْنِ ﴿فِي عَيْنِ حِمَّةٍ﴾ [الكهف: 86].

■ **الأَجَاجُ:** المَاءُ شَدِيدُ الحَرَارَةِ وَالمَلُوحَةُ ﴿هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ [الفرقان: 53].

■ **الحَرُورُ:** شِدَّةُ الرِّيحِ الحَارَّةِ ﴿وَلَا الظُّلُّ وَلَا الحَرُورُ﴾ [فاطر: 21].

■ **الحَمِيمُ:** المَاءُ الشَّدِيدُ الحَرَارَةِ ﴿يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الحَمِيمُ﴾ [الحج: 19].

■ **الْيَحْمُومُ:** الدِّخَانُ الشَّدِيدُ السَّوَادُ ﴿وَطَلَّ مِنْ يَحْمُومٍ﴾ [الواقعة: 43].

■ **السَّمُومُ:** الرِّيحُ الشَّدِيدَةُ الحَرَارَةِ ﴿وَوَقْنَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾ [الطور: 27].



النصوص اللغوية:

قال ابن فارس⁽¹⁾: الدال والفاء والهمزة أصلٌ واحد يدلُّ على خلاف البرد. فالدَّفء: خلاف البرد. يقال دَفُوَ يومنا، وهو دَفِيٌّ. قال الكلابي: دَفِيٌّ. والأوَّلُ أعرف في الأوقات، فأما الإنسان فيقال: دَفِيٌّ فهو دَفَانٌ وامرأةٌ دَفَأِيٌّ.

وثوبٌ ذو دِفءٍ ودَفَاءٍ. وما عَلَى فلان دِفءٌ، أي: ما يدفئه. وقد أَدَفَأني كذا، واقعد في دِفءٍ هذا الحائط، أي: كِنُهُ. ومن الباب الدَفِيُّ من الأمطار، وهو الذي يجيء صيفاً. والإبل المُدَفَأة: الكثيرة؛ لأنَّ بعضها تُدَفِي بعضاً بأنفاسها. وهو قوله جلَّ ثناؤه: ﴿لَكُمْ فِيهَا دِفءٌ وَمَنْفَعٌ﴾ [التحل: 5]. ومن ذلك حديثُ رسول الله ﷺ: «لنا من دِفئهم وصرامهم ما سلّموا بالميثاق». ومن الباب الدَفَأُ: الانحناء. وفي صفة الدِّجَال: «أنَّ فيه دَفَأً» أي انحناء. فإن كان هذا صحيحاً فهو من القياس؛ لأنَّ كلَّ ما أدَفَأ شيئاً فلا بدَّ من أن يُعْشاه ويجنأ عليه.

قال الجوهري⁽²⁾: الدَّفءُ: نتاجُ الإبلِ وألبانها، وما يُنتَفَعُ به منها. قال الله تعالى: ﴿لَكُمْ فِيهَا دِفءٌ﴾ وفي الحديث: «لنا من دِفئهم ما سلّموا بالميثاق». أيضاً: السخونة، تقول منه دَفِيُّ الرَّجُلُ دَفَاءَةً، مثل كَرِهَ كَرَاهَةً، وكذلك: دَفِيٌّ دَفَأً، مثل ظَمِيٌّ ظَمَاءً، والاسم: الدَّفءُ بالكسر وهو: الشيء الذي يدفئك، والجمع: الأَدَفَاءُ.

تقول: ما عليه دِفءٌ، لأنه اسم، ولا تقل: ما عليه دَفَاءَةٌ، لأنه مصدر. وتقول: اقعد في دِفءٍ هذا الحائط، أي: كِنِهِ. ورجل دَفِيٌّ على فِعْلٍ، إذا لَبَسَ ما يُدَفِيُّهُ. وكذلك رجل دَفَانٌ، وامرأةٌ دَفَأِيٌّ. وقد أدَفَأه الثوب، وتدَفَأ هو بالثوب واستدَفَأ به وادَفَأ به، وهو افتعل، أي: لَبَسَ ما يدفئه. ودَفَوْتُ ليلتنا بالضم، ويومٌ

(1) معجم مقاييس اللغة.

(2) الصحاح في اللغة.

دَفِيءٌ عَلَى فَعِيلٍ، وَلَيْلَةٌ دَفِيئَةٌ، وَكَذَلِكَ الثَّوْبُ وَالْبَيْتُ. وَالْمُدْفِئَةُ: الْإِبِلُ الْكَثِيرَةُ لِأَنَّ بَعْضَهَا يَدْفِيءُ بَعْضًا بِأَنْفَاسِهَا، وَقَدْ يَشْدُدُ.

قال الفيروزآبادي⁽¹⁾: الدَّفَاءُ، بالكسر ويُحَرِّكُ: نَقِيضُ حِدَّةِ الْبَرْدِ، كَالدَّفَاءَةِ، أَدْفَاءٌ، دَفِيءٌ، كَفَرِحَ وَكُرِمَ، وَتَدَفَأَ وَاسْتَدَفَأَ وَادْفَأَ وَادْفَأَهُ: أَلْبَسَهُ الدَّفَاءَ، لَمَّا يُدْفِئُهُ. وَالدَّفَانُ: الْمُسْتَدْفِيءُ، كَالدَّفِيءِ، وَهِيَ الدَّفَايُ، وَأَرْضٌ دَفِيئَةٌ وَدَفِيئَةٌ وَمَدْفَأَةٌ، وَإِبِلٌ مُدْفَأَةٌ وَمُدْفِئَةٌ وَمُدْفَأَةٌ وَمُدْفِئَةٌ: كَثِيرَةُ الْأَوْبَارِ وَالشُّحُومِ. وَالدَّفِيئِيُّ: الدَّثِيئِيُّ. وَبِهَاءٍ: الْمِيرَةُ قُبْلَ الصَّيْفِ. وَالدَّفَاءُ، بالكسر: نِتَاجُ الْإِبِلِ، وَأَوْبَارُهَا، وَالانْتِفَاعُ بِهَا، وَالْعَطِيئَةُ، وَدَفَاءٌ مِنَ الْحَائِطِ: كَنَّهُ، وَمَا أَدْفَأَ مِنَ الْأَصْوَابِ وَالْأَوْبَارِ. وَأَدْفَأَهُ: أَعْطَاهُ كَثِيرًا، وَالْقَوْمُ اجْتَمَعُوا، وَالدَّفَأُ، مُحَرَّكَةً: الْجَنَّا، وَهُوَ أَدْفَأُ، وَهِيَ دَفَايُ.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿وَاللَّاتُ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [التحل: 5].

قال الفخر الرازي⁽²⁾: والدَفَاءُ عند أهل اللغة ما يستدفاً به من الأكسية، قال الأصمعي: ويكون الدَفَاءُ السخونة. يقال: أقدف في دَفَاءٍ هذا الحائط، أي في كَنَّهُ. وقرىء: (دَف) بطرح الهمزة وإلقاء حركتها على الفاء.

قال الطبري⁽³⁾: يقول تعالى ذكره: ومن حججه عليكم أيها الناس ما خلق لكم من الأنعام، فسخرها لكم، وجعل لكم من أصوافها وأوبارها وأشعارها ملابس تدفئون بها. عن عليٍّ رضي الله عنه، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَاللَّاتُ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ﴾ يقول: الثياب.

(3) جامع البيان.

(1) القاموس المحيط.

(2) التفسير الكبير.

قال البغوي⁽¹⁾: ﴿لَكُمْ فِيهَا دَفءٌ﴾ [التَّحَلُّ: 5] يعني: من أوبارها وأشعارها وأصوافها ملابس ولُحفاً تستدفئون بها.

قال الشعراوي⁽²⁾: والدَّفءُ هو الحرارة للمبرود، تماماً مثلما نعطي المحرور برودة، وهذا ما يفعله تكييف الهواء في المنازل الحديثة. نجد الحق سبحانه هنا قد تكلم عن الدفء ولم يتكلم عن البرد، ذلك أن المقابل معلوم، وهو في آية أخرى يقول: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَبِيلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ﴾ [التَّحَلُّ: 81].

وهذا ما يحدث عندما نسير في الشمس الحارة؛ فنضع مظلة فوق رؤوسنا لتقينا حرارة الشمس الزاعقة الشديدة. ونحن في الشتاء نلبس قلنسوة، أي: نلف شيئاً حول رؤوسنا، وهكذا نعلم أن اللباس يفعل الشيء ومقابله، بشرط أن يختار الإنسان اللباس المناسب للجو المناسب.



(2) تفسير الشعراوي.

(1) معالم التنزيل.

دَكَّ

(دَكَّ - دَكَّاء - سَوَّى - بَسَطَ)

- **الدُّكُّ:** تسوية الأرض اللينة السهلة تلبد بألة ثقيلة ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ [الفجر: 21].
- **الدَّكَّاءُ:** الأرض التي سويت ودكت ﴿وَإِذَا جَاءَ وَعَدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءً﴾ [الكهف: 98].
- **البَسَطُ:** جعل الشيء المكور واسعاً ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا﴾ [نوح: 19].
- **التَّسْوِيَةُ:** جعل الشيء الصعب بالوعورة سهلاً ﴿فَسَوَّيْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ [البقرة: 29].


النصوص اللغوية:

قال ابن فارس⁽¹⁾: الدال والكاف أصلان: أحدهما يدلُّ على تطامن وانسطاح. من ذلك الدكَّان، وهو معروف. قال العَبْدِيُّ: ومنه الأرضُ الدَّكَّاءُ: وهي الأرضُ العريضة المستوية. قال الله تعالى: ﴿جَعَلَهُ دَكَّاءً﴾ [الكهف: 98]. ومنه النَّاقَةُ الدَّكَّاءُ، وهي التي لا سَنَامَ لها. قال الكسائي: الدُّكُّ من الجبال: العِراضُ، واحدها أدُّكُّ. وفرس أدُّكُّ الظَّهر، أي عريضه. والأصل الآخر يقرب

(1) معجم مقاييس اللغة.

من باب الإبدال، فكأن الكاف فيه قائمةٌ مقام الفاف. يقال: دَكَّت الشيء، مثل دَقَّقْتَهُ، وكذلك دَكَّكْتَهُ. ومنه دُكَّ الرَّجُلُ فهو مدكوكٌ: إذا مَرِضَ. ويجوز أن يكون هذا من الأوَّل، كأنَّ المرضَ مَدَّهُ وبَسَطَهُ؛ فهو محتملٌ للأمرين جميعاً. والدَّكْدَاكُ من الرَّمْلِ كأنه قد دُكَّ دَكًّا، أي: دُقَّ دَقًّا. قال أهلُ اللغة: الدَّكْدَاكُ من الرَّمْلِ: ما التَّبَدَّ بالأرض فلم يرتفع. ومن ذلك حديثُ جرير بن عبد الله حين سأله رسولُ الله ﷺ عن منزله ببيشة، فقال: «سَهْلٌ ودَكْدَاكٌ، وَسَلَمٌ وَأَرَاكٌ». ومن هذا الباب: دَكَّكَ التُّرَابَ عَلَى المَيِّتِ أَدَّكَ دَكًّا. إِذَا هَلَّتْهُ عَلَيْهِ. وكذلك الرِّكِيَّةُ تَدْفِنُهَا. وقيل ذلك لأنَّ التُّرَابَ كَالْمَدْقُوقِ. ومما شَدَّ عن هذين الأصلين قولهم، إن كان صحيحاً: أُمَّةٌ مَدَكَّةٌ: قَوِيَّةٌ عَلَى العَمَلِ. ومن الشاذِّ قولهم: أَقَمْتُ عِنْدَهُ حَوْلًا دَكِيكًا، أَي تَامًّا.

قال ابن منظور⁽¹⁾: الدَّكُّ: هدم الجبل والحائط ونحوهما، دَكَّهُ يَدُكُّهُ دَكًّا. الدَّكُّ كسر الحائط والجبل. وجبل دُكَّ: ذليل، وجمعه دِكَكَّةٌ، مثل جُحْرٍ وَجِحْرَةٍ. وقد تَدَكَّدَكَتِ الجِبَالُ، أَي صارت دَكَاوَاتٍ، وهي رواب من طين، واحدتها دَكَاءٌ. وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَجَلَّتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدَكَّا دَكَّةً وَنَحْدَةً﴾ [الحاقة: 14]؛ قال الفراء: دَكُّهَا زَلَزَلْتُهَا، ولم يقل فدككن لأنه جعل الجبال كالواحدة، ولو قال فدككت دَكَّةً لكان صواباً.

قال الفيروزآبادي⁽²⁾: الدَّكُّ: الدَّقُّ والهِدْمُ، وما اسْتَوَى من الرَّمْلِ، كَالدَّكَّةِ، دِكَاكٌ، والمُسْتَوِي من المَكَانِ، دُكُوكٌ، وَتَسْوِيَةٌ صَعُودِ الْأَرْضِ وَهَبُوطِهَا، وقد اندكَّ المَكَانُ. ودك: كَبَسُ التُّرَابِ وَتَسْوِيَتُهُ، وَدَفْنُ البِئْرِ وَطَمُّهَا، وَالتَّلُّ، وبالضم: الشَّدِيدُ الضَّخْمُ، وَالجَبَلُ الذَّلِيلُ، كقِرْدَةٍ، وَجَمْعُ الأَدَكِّ: للفرس العَرِيضِ الظَّهْرِ. والدَّكَاءُ: الرَّابِيَةُ مِنَ الطِّينِ لَيْسَتْ بِالْعَلِيظَةِ.

(2) القاموس المحيط.

(1) اللسان.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ [الأعراف: 143].

قال الفخر الرزاي⁽¹⁾: ﴿جَعَلَهُ دَكًّا﴾ قال الزجاج: يجوز (دَكًّا) بالثنوين و(دَكَء) بغير تنوين، أي جعله مدفوقاً مع الأرض، يقال: دككت الشيء إذا دققته أدكته دكاً، والدكاء والدكاوات: الروابي التي تكون مع الأرض ناشزة.

قال ابن عطية⁽²⁾: «دكاً»، وقرأ حمزة والكسائي وابن عباس والربيع بن خثيم وغيرهم «دكاء» على وزن حمراء، والدكاء الناقة التي لا سنام لها، فالمعنى جعله أرضاً دكاء تشبيهاً بالناقة، فروي أنه ذهب الجبل بجملته، وقيل ذهب أعلاه وبقي أكثره، وروي أن الجبل تفتت وانسحق حتى صار غباراً تذرؤه الرياح، وقال سفيان: روي أنه ساخ في الأرض وأفضى إلى البحر الذي تحت الأرضين، قال ابن الكلبي فهو يهوي فيه إلى يوم القيامة.

قال أبو السعود⁽³⁾: ﴿جَعَلَهُ دَكًّا﴾ مذكوكاً مُفْتَتًّا، والدُّكُّ والدُّقُّ أَخْوَان كالشك والشق، وقرئ دكاً أي أرضاً مستويةً ومنه ناقةٌ دكاءٌ للتي لا سنام لها، وقرئ دُكاً جمعُ دكَّاء أي قطعاً.

● قال تعالى: ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ [الحاقة: 14].

قال الطبري⁽⁴⁾: ﴿فَدُكَّتَا﴾ وقد ذكر قبل الجبال والأرض، وهي جماع، ولم يقل: فدككن، لأنه جعل الجبال كالشيء الواحد.

قال الزمخشري⁽⁵⁾: ﴿فَدُكَّتَا﴾ فدكت الجملتان: جملة الأرضين وجملة

(4) جامع البيان.

(5) الكشف.

(1) التفسير الكبير.

(2) المحرر الوجيز.

(3) إرشاد العقل السليم.

الجبال، فضرب بعضها ببعض حتى تندق وترجع كثيباً مهيلاً وهباءً منبثاً، والدكُّ أبلغ من الدق. وقيل: فبسطنا بسطة واحدة، فصارتا أرضاً لا ترى فيها عوجاً ولا أمثاً، من قولك: اندكَّ السنام إذا انفرش، وبغير أدك وناقة دكاء. ومنه: الدكان.

قال الألويسي (1): ﴿فَدَكَّكَ دَكَّةً وَجِدَّةً﴾ فضربت الجملتان إثر رفعهما بعضها ببعض ضربة واحدة حتى تفتت وترجع كما قال سبحانه ﴿كَيْبًا مَّهِيلاً﴾ [المزمل: 14]، وقيل تتفرق أجزاءها كما قال سبحانه: ﴿هَبَاءً مُنْبَثًا﴾ [الواقعة: 6] وفرقوا بين الدكِّ والدق بأن في الأول تفرق الأجزاء وفي الثاني اختلافها. وقال بعض الأجلة أصل الدك الضرب على ما ارتفع لينخفض ويلزمه التسوية غالباً، فلذا شاع فيها حتى صار حقيقة، ومنه أرض دكاء للمتسعة المستوية، وبغيراً دك وناقة دكاء إذا ضعفا فلم يرتفع سنامهما واستوت خدجتهما مع ظهريهما، فالمراد ههنا فبسطنا بسطة واحدة وسويتا فصارتا أرضاً لا ترى فيها عوجاً ولا أمثاً، ولعل التَّفَتُّت مقدمة للتسوية أيضاً.

● قال تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ [الفجر: 21].

قال القرطبي (2): والدك: الكسر والدق؛ وقد تقدّم. أي زلزلت الأرض، وحُرِّكت تحريكاً بعد تحريك. وقال الزجاج: أي زلزلت فدكَّ بعضها بعضاً. وقال المبرد: أي ألصقت وذهب ارتفاعها. يقال: ناقة دكَّاء، أي لا سنام لها، والجمع دُكُّ. وقد مضى في سورة «الأعراف» و«الحاقة» القول في هذا. ويقولون: دُكَّ الشيء أي هُدم.

﴿دَكَّا دَكًّا﴾ أي مرة بعد مرة؛ زلزلت فكسّر بعضها بعضاً؛ فتكسر كل شيء على ظهرها. وقيل: دُكَّتْ جبالها وأنشازها حتى استوت. وقيل: دُكَّتْ أي استوت في الانفراش؛ فذهب دُورها وقُصورها وجبالها وسائر أبنيتها؛ ومنه سمي الدكان،

(2) الجامع لأحكام القرآن.

(1) روح المعاني.

لاستوائه في الانفراس. والدُّكُّ: حَطُّ المرتفع من الأرض بالبسط؛ وهو معنى قول ابن مسعود وابن عباس: تمدَّ الأرض مدَّ الأديم.

قال النسفي⁽¹⁾: ﴿إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ﴾ إذا زلزلت ﴿دَكَّا دَكًّا﴾ دَكًّا بعد دك، أي كرر عليها الدك حتى عادت هباءً منبثاً.



(1) مدارك التنزيل.

دَلَّ

(دَلَّ - عَرَفَ - عَلِمَ - هَدَى)

- **الدَّالُّ والدَّلِيلُ:** إبانة الشيء بأمانة تتعلمها، يقال: دلت على الطريق ﴿مَا دَهَمَ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ﴾ [سَبَأ: 14].
- **المَعْرِفَةُ:** إدراك تفاصيل الشيء بتفكير وتدبر ﴿وَيَدْخُلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا هُمْ﴾ [مَحَمَّد: 6].
- **العِلْمُ:** إدراك مجمل الشيء ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ﴾ [المُمْتَحَنَةُ: 10].
- **الهُدَى:** الدلالة بلطف ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ [السَّجْدَةُ: 24].



النصوص اللغوية:

قال ابن فارس⁽¹⁾: الدال واللام أصلان: أحدهما إبانة الشيء بأمانة تتعلمها، والآخر اضطراب في الشيء. فالأول قولهم: دلت فلاناً على الطريق. والدليل: الأمانة في الشيء. وهو بين الدلالة والدلالة. والأصل الآخر قولهم: تدلّل الشيء، إذا اضطرب.

ومن الباب دلال المرأة، وهو جرأتها في تغنج وشكل، كأنها مخالفة وليس بها خلاف، وذلك لا يكون إلا بتمايل واضطراب. ومن هذه الكلمة: فلان يدلّ على أقرانه في الحرب، كالبازي يدلّ على صيده. ومن الباب الأول قول الفراء عن العرب: أدلّ يدلّ، إذا ضرب بقرابة.

(1) معجم مقاييس اللغة.

قال الجوهري⁽¹⁾: الدَّلِيلُ: ما يُسْتَدَلُّ به. والدَّلِيلُ: الدَّالُّ. وقد دَلَّه على الطريق يَدُلُّه دَلَالَةً ودِلَالَةً ودُلُولَةً، والفتح أعلى.

والدَّلِيلِي: الدَّلِيلُ. والدَّلُّ: العُنْجُ والشِّكْلُ. وقد دَلَّتِ المرأَةُ تَدِلُّ بالكسر، وتَدَلَّلَتْ، وهي حسنة الدَّلِّ والدَّلَالِ. ويقال أَدَلَّ فَأَمَلَّ، والاسمُ الدَّالَّةُ. وفلان يُدِلُّ على أقرانه في الحرب، كالبازي يُدِلُّ على صيده. وهو يُدِلُّ بفلانٍ، أي يثق به. قال أبو عبيد: الدَّالُّ قريب المعنى من الهَدْيِ؛ وهما من السكينة والوقار في الهيئة والمنظرِ والشمائل وغير ذلك.

قال الراغب⁽²⁾: الدلالة: ما يتوصل به إلى معرفة الشيء، كدلالة الألفاظ على المعنى، ودلالة الإشارات، والرموز، والكتابة، والعقود في الحساب، وسواء كان ذلك بقصد ممن يجعله دلالة، أو لم يكن بقصد، كمن يرى حركة إنسان فيعلم أنه حي، قال تعالى: ﴿مَا دَلَّكُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةٌ الْأَرْضِ﴾ [سَبَأ: 14]. أصل الدلالة مصدر كالكتابة والإمارة، والبدال: من حصل منه ذلك، والدليل في المبالغة كعالم، وعليم، وقادر، وقدير، ثم يسمى الدال والدليل دلالة، كتسمية الشيء بمصدره.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿فَلَمَّا فَضَّيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةٌ الْأَرْضِ﴾ [سَبَأ: 14].

قال أبو السعود⁽³⁾: ﴿فَلَمَّا فَضَّيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ﴾ أي على سليمان عليه السلام ﴿مَا

(3) إرشاد العقل السليم.

(1) الصحاح في اللغة.

(2) مفردات الراغب.

دَهْمٌ ﴿ أَي الْجَنِّ أَوْ آلِهِ ﴾ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ ﴿ أَي الْأَرْضُ أُضِيفَتْ إِلَى فِعْلِهَا .
قال الفيروزآبادي (1) : ﴿ مَا دَهْمٌ عَلَى مَوْتِهِ ﴾ موت سليمان .

قال ابن عطية (2) : الضمير في ﴿ عَلَيْهِ ﴾ عائد على سليمان ، و ﴿ قَضِينَا ﴾ بمعنى أنفذنا وأخرجناه إلى حيز الوجود وإلا فالقضاء الآخر به متقدم في الأزل . وروي عن ابن عباس وابن مسعود في قصص هذه الآية أن سليمان ﷺ كان يتعبد في بيت المقدس وكان ينبت في محرابه كل سنة شجرة فكان يسألها عن منافعها ومضارها وسائر شأنها فتخبره فيأمر بها فتقلع فتصرف في منافعها وتغرس لتتناسل ، فلما كان عند موته خرجت شجرة فقال لها ما أنت؟ فقالت : أنا الخروب خرجت لخراب ملكك هذا ، فقال سليمان ﷺ : ما كان الله ليخبره وأنا حي ولكنه لا شك حضور أجلي فاستعد ﷺ وغرسها وصنع منها عصاً لنفسه وجدَّ في عبادته ، وجاءه بعد ذلك ملك الموت فأخبره أنه قد أمر بقبض روحه وأنه لم يبق له إلا مدة يسيرة ، فروي أنه أمر الجن حينئذ فصنعت له قبة من رخام تشف وجعل فيها يتعبد ولم يجعل لها باباً ، وتوكأ على عصاه على موضع يتماسك معه وإن مات ، ثم توفي ﷺ على تلك الحالة ، وروي أنه استعد في تلك القبة بزاد سنة وكان الجن يتوهمون أنه يتغذى بالليل وكانوا لا يقربون من القبة ولا يدخلون من كوة كانت في أعاليها ، ومن رام ذلك منهم احترق قبل الوصول إليها ، هذا في المدة التي كان سليمان ﷺ حياً في القبة ، فلما مات بقيت تلك الهيبة على الجن ، وروي أن القبة كان لها باب وأن سليمان أوصى بعض أهله بكتمان موته على الجن والإنس وأن يترك على حاله تلك سنة ، وكان غرضه في هذه السنة أن تعمل الجن عملاً كان قد بدئ في زمن داود قدر أنه بقي منه عمل سنة ، فأحب الفراغ منه ، فلما مضى لموته سنة ، خر عن عصاه والعصا قد أكلتها الأرض ، وهي الدودة التي تأكل العود ، فرأت الجن انحداره ، فتوهمت موته فجاء جسور منهم

(1) بصائر ذوي التمييز .

(2) المحرر الوجيز .

فقرب فلم يحترق، ثم خطر فعاد ثم قرب أكثر ثم قرب حتى دخل من بعض تلك الكوى فوجد سليمان ميتاً، فأخبر بموته، فنظر ذلك الأكل فقدر أنه منذ سنة، وقال بعض الناس: جعلت الأرضة فأكلت يوماً وليلة ثم قيس ذلك بأكلها في العصا فعلم أنها أكلتها منذ سنة فهكذا كانت دلالة ﴿دَابَّةُ الْأَرْضِ﴾ على موته، وللمفسرين في هذه القصص إكثارٌ، عُمِدَّتُهُ ما ذكرته، وقال كثير من المفسرين ﴿دَابَّةُ الْأَرْضِ﴾ هي سوسة العود وهي الأرضة، وقرأ ابن عباس والعباس بن المفضل «الأرض» بفتح الراء جمع أرضة فهذا يقوي ذلك التأويل. وقالت فرقة ﴿دَابَّةُ الْأَرْضِ﴾ حيوان من الأرض شأنه أن يأكل العود، وذلك موجود وليس السوسة من دواب الأرض. وقالت فرقة منها أبو حاتم اللغوي ﴿الْأَرْضِ﴾ هنا مصدر أرضت الأثواب والخشبة إذا أكلتها الأرضة، فكأنه قال دابة الأكل الذي هو بتلك الصورة على جهة التسوس، وفي مصحف عبد الله «الأرض أكلت منسأته»، والمنسأة العصا.



دَلِي

(دَلِي - سَقَطَ - نَزَلَ)

■ **الإدلاء:** أن ترسل الشيء حتى يصل . تقول: دليت الدلو إذا أنزلتها وأرسلتها في البئر . ودلوت الدلو إذا أخرجتها ﴿فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ﴾ [يوسف: 19].

■ **الإسقاط:** طرح الشيء من مكان عال بقوة على شكل عقوبة ﴿فَأَسْقَطَ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ [الشعراء: 187].

■ **الإنزال:** طرح الشيء من مكان عال على شكل نعمة ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾ [الكهف: 1].



النصوص اللغوية:

قال ابن فارس⁽¹⁾: الدال واللام والحرف المعتل أصلٌ يدلُّ على مقاربة الشيء ومدانته بسهولة ورفق . يقال: أدليتُ الدلو، إذا أرسلتها في البئر، فإذا نَزَعَتْ فقد دَلَوْتُ . والدُّلُو ضَرْبٌ مِنَ السَّيْرِ سَهْلٌ . قال: والدَّلَاةُ: الدُّلُو أيضاً، ويُجْمَعُ عَلَى الدَّلَاءِ .

ويقال: أدلى فلانٌ بحجته، إذا أتى بها . وأدلى بماله إلى الحاكم: إذا دفعه إليه . قال جل ثناؤه: ﴿وَتُدَلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ﴾ [البقرة: 188] . ويقال: دلوتُ إليه

(1) معجم مقاييس اللغة .

بفلانٍ: استشفعت به إليه. ومن ذلك حديث عمر في استسقائه بالعباس: «اللهم إنا نتقربُ إليك بعمِّ نبيِّك، وقَفِيَّةِ آبائه، وكُبرِ رجاله، ودَلُونَا به إليك مستشفِّعِينَ». ويحمل على هذا قولهم: جاء فلانٌ بالدُّلُو، أي الدَّاهية.

ويقال: دَالَيْتُ الرَّجُلَ، إذا دارَيْتَهُ. ويقال هو دَلَاءٌ مالٍ: إذا كان سائِسَ مالٍ وخَائِلَهُ.

قال الجوهرى⁽¹⁾: الدَّلُّو: واحدة الدَّلَاءِ التي يُسْتَقَى بها وكذلك الدَّلَا بالفتح، الواحدة دَلَاةٌ. وجمع الدَّلُّو في أقلِّ العدد أَدَلٍ. والدَّلُّو برَجٍّ من بروج السماء.

والدَّلُّو سَمَةٌ لِلإِبِلِ. وقولهم: جاء فلانٌ بالدَّلُّو، أي: بالدَّاهية. والدَّالِيَّةُ: المَنْجُونُ تديرها البقر، والناعورة يديرها الماء. ودَلَوْتُ الدَّلُو: نزعتهَا. وأدَلَيْتُهَا: أرسلتها في البئر لتمتلي. ودَلَوْتُ الناقة دَلُوًا: سِرْتُهَا سيراً رويداً. وأدَلَوْلِي، أي: أسرع.

ودَلَوْتُ الرجل ودَالَيْتُهُ، إذا رَفَقْتُ به ودارَيْتَهُ. ودَلَّاهُ بَغُرورٍ، أي: أوقعه فيما أراد من تغريره، وهو من إدلاء الدَّلُّو. ودَلَوْتُ بفلانٍ إليك، أي: استشفعت به إليك. وتَدَلَّلِي من الشجرة. وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَدَدَلَى﴾ [التَّجْم: 8] أي: تدل.

وأدَلِي بحجته، أي: احتجَّ بها. وهو يُدَلِي برِجْمِهِ، أي: يمتُّ بها. وأدَلِي بماله إلى الحاكم دَفَعَهُ إليه. ومنه قوله تعالى: ﴿وَتَدَلُّوا بِهَا إِلَى الْمُكَامِرِ﴾ يعني الرشوة.

قال الفيروزآبادي⁽²⁾: الدَّلُّو: مؤنث، وقد تُذَكَّرُ والجمع: أدَلٍ ودِلَاءٌ ودُلِيٌّ ودِلِيٌّ ودَلِي، كَعَلَى، وِبُرْجٍ في السماء، وَسِمَةٌ لِلإِبِلِ، والدَّاهِيَّةُ. والدَّلَاةُ: دَلُّوٌ صَغِيرٌ. ودَلَوْتُ وأدَلَيْتُ: أرسلتها في البئر. ودَلَّاهَا: جَبَدَهَا لِيُخْرِجَهَا. والدَّالِيَّةُ: المَنْجُونُ، والنَّاعورَةُ، وشيءٌ يُتَّخَذُ من خُوصٍ، يُشَدُّ في رأسِ جِدَعٍ طَوِيلٍ،

(1) الصحاح في اللغة.

(2) القاموس المحيط.

والأرض تُسقى بِدَلْوٍ أَوْ مَنجُونٍ. والدَّوَالِي: عِنَبٌ أَسْوَدٌ غَيْرُ حَالِكٍ، وَبُسْرٌ يُعَلَّقُ، فَإِذَا أُرْطَبَ أَكِلَ.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ﴾ [يُوسُف: 19].

قال الفخر الرازي⁽¹⁾: ﴿فَأَدْلَى دَلْوَهُ﴾ ونقل الواحدي عن عامة أهل اللغة أنه يقال: أدلى دلوه إذا أرسلها في البئر، ودلاها إذا نزعها من البئر. يقال: أدلى يدلي إدلاء إذا أرسل، ودلا يدلوا إذا جذب وأخرج، والدلو معروف، والجمع دلاء.

قال الطبري⁽²⁾: ﴿فَأَدْلَى دَلْوَهُ﴾ يقول: أرسل دلوه في البئر، يقال أدليت الدلو في البئر إذا أرسلتها فيها وإذا استقيت فيها قلت دلوت أدلو دلواً، وفي الكلام محذوف استغنى بدلالة ما ذكر عليه فترك، وذلك فأدلى دلوه فتعلق به يوسف فخرج فقال المدلى.

قال الماوردي⁽³⁾: ﴿فَأَدْلَى دَلْوَهُ﴾ أي أرسلها ليملاًها، يقال: أدلاها إذا أرسل الدلو ليملاًها، ودلاها إذا أخرجها ملاًى. قال قتادة: فتعلق يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ بالدلو حين أرسلت. والبئر بيت المقدس معروف مكانها.

● قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ﴾ [البقرة: 188].

قال الشعراوي⁽⁴⁾: ﴿وَتُدْلُوا﴾ مأخوذة من «أدلى»، ونحن ندلي الدلو لرفع

(3) النكت والعيون.

(4) تفسير الشعراوي.

(1) التفسير الكبير.

(2) جامع البيان.

الماء من البئر. و«دَلَاه»: أي أخرج الدلو، أما «أدلى»: فمعناها «أنزل الدلو». ولذلك في قصة الشيطان الذي يغوي الإنسان قال الحق: ﴿فَدَلَّهُمَا بِرُؤُوسِهِمَا فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءُهُمَا﴾ [الأعراف: 22]. ﴿وَتَدَلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ﴾ [البقرة: 188] أي ترشوا الحكام لتأكلوا فريقاً من أموال الناس بالباطل، ومن العجيب أن هذا النص بعينه هو نص الرشوة.

والرشوة مأخوذة من الرشاء، والرشاء هو الحبل الذي يعلق فيه الدلو، فأدلى ودلاً في الرشوة. ولماذا يدلون بها إلى الحكام؟ إنهم يفعلون ذلك حتى يعطيهم الحكام التشريع التقنيي لأكل أموال الناس بالباطل، وذلك عندما نكون محكومين بقوانين البشر، لكن حينما نكون محكومين بقوانين الله فالحاكم لا يبيح مثل هذا الفعل؛ ولذلك وضع رسول الله ﷺ هذا المبدأ فقال: «إنما أنا بشر وإنه يأتيني الخصم، فلعل بعضكم أن يكون أبلغ من بعض، فأحب أنه صادق فأقضي له بذلك، فمن قضيت له بحق مسلم فإنما هي قطعة من النار فليأخذها أو ليركها». إن الذي يقول ذلك هو رسول الله ﷺ، وهو المعصوم، إنه يحذر من أن يحاول أحد أن يبالغ في قوة الحجة ليأخذ بها حقاً ليس له.

قال البيضاوي⁽¹⁾: ﴿وَتَدَلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ﴾ عطف على المنهي، أو نصب بإضمار أن، والإدلاء الإلقاء، أي: ولا تلقوا حكومتها إلى الحكام.

قال الزمخشري⁽²⁾: ﴿وَتَدَلُّوا بِهَا﴾ وتلقوا بعضها إلى حكام السوء على وجه الرشوة. وتدلوا: مجزوم داخل في حكم النهي، أو منصوب بإضمار أن، كقوله: ﴿وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ﴾ [البقرة: 42].

● قال تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَدَلَّى﴾ [التجم: 8].

قال ابن عطية⁽³⁾: ﴿ثُمَّ دَنَا فَدَلَّى﴾ فقال الجمهور: استند إلى جبريل عليه السلام،

(3) المحرر الوجيز.

(1) أنوار التنزيل.

(2) الكشاف.

أي دنا إلى محمد في الأرض عند حراء. وقال ابن عباس وأنس في حديث الإسراء ما يقتضي أنه يستند إلى الله تعالى، ثم اختلف المتأولون، فقال مجاهد: كان الدنو إلى جبريل. وقال بعضهم: كان إلى محمد. و: ﴿دَنَا فَنَدَّى﴾ على هذا القول معه حذف مضاف، أي دنا سلطانه ووحيه وقدره لا الانتقال، وهذه الأوصاف منتفية في حق الله تعالى. والصحيح عندي أن جميع ما في هذه الآيات هو مع جبريل، بدليل قوله: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ [النجم: 13] فإن ذلك يقضي بنزلة متقدمة، وما روي قط أن محمداً ﷺ رأى ربه قبل ليلة الإسراء، أما أن الرؤية بالقلب لا تمنع بحال. و﴿دَنَا﴾ أعم من: «تدلى»، فبين تعالى بقوله: ﴿فَنَدَّى﴾ هيئة الدنو كيف كانت، و: ﴿قَابَ﴾ [النجم: 9] معناه: قدر. وقال قتادة وغيره: معناه من طرف العود إلى طرفه الآخر. وقال الحسن ومجاهد: من الوتر إلى العود في وسط القوس عند المقبض.

قال الماوردي⁽¹⁾: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَّى﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه جبريل.

الثاني: أنه الرب. وقوله: ﴿فَنَدَّى﴾ فيه وجهان:

أحدهما: تعلق فيما بين والسفل لأنه رآه منتصباً مرتفعاً ثم رآه متدلياً.

الثاني: معناه قرب، ومنه قوله تعالى: ﴿وَتَدَلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ﴾ [البقرة:

188] أي تقربوها إليهم.

قال أبو السعود⁽²⁾: ﴿ثُمَّ دَنَا﴾ [النجم: 8] أي أراد الدنو من النبي عليه الصلاة

والسلام ﴿فَنَدَّى﴾ أي استرسل من الأفق الأعلى مع تعلق به فدنا من النبي، يقال:

تدلت الثمرة، ودلّى رجليه من السرير، وأدلى دلوّه. والدوالي: الثمر المعلق.

(2) إرشاد العقل السليم.

(1) النكت والعيون.

دَلَك

(دَلَك - مَسَح - دَهَن)

- **الدَّلَكُ:** زوال شيء عن شيء، ولا يكون إلا برفق ﴿أَقْرِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ﴾ [الإسراء: 78]. و الدَّلَكُ: دفع الشيء براحة اليد برفق.
- **المَسَحُ:** إمرار اليد على الشيء وإزالة الأثر عنه ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَجْزَلِكُمْ﴾ [المائدة: 6].
- **الدَّهْنُ:** طلاء الشيء الرديء بلون يزينه ﴿وَدُّوْا لَوْ نَدَّهْنُ فَيُدَّهِنُونَ﴾ [القلم: 9].



النصوص اللغوية:

قال ابن فارس⁽¹⁾: الدال واللام والكاف أصلٌ واحد يدلُّ على زوال شيء عن شيء، ولا يكون إلا برفق. يقال: دَلَكْتُ الشَّمْسُ: زالت. ويقال: دَلَكْتُ غابت. والدَّلَكُ وقتُ ذُلُوكِ الشَّمْسِ. ومن الباب: دَلَكْتُ الشَّيْءَ، وذلك أنك إذا فعلت ذلك لم تَكُدْ يدُكَ تستقرُّ على مكانٍ دُونَ مكان. والدَّلُوكُ: ما يتدَلَّكُ به الإنسان من طيبٍ وغيره. والدَّلِيكُ: طعامٌ يُتَّخَذُ من زُبْدٍ وتَمْرٍ شبه الثريد، والمدلوك: البعير الذي قد دَلَكْتَهُ الأسفار وكَدَّنْتَهُ، ويقال: بل هو الذي في رُكْبَتَيْهِ دَلَكٌ، أي: رخاوة؛ وذلك أخَفُّ من الطَّرَقِ. وفرسٌ مَدْلُوكٌ الحَجَبَةِ، أي: ليس بحَجَبَتِهِ إشرافٌ.

(1) معجم مقاييس اللغة.

وأرضٌ مدلوكة، أي: مأكولة؛ وذلك إذا كانت كأنها ذُلكت ذُكاً. ويقال: الدُّلاكة آخراً ما يكون في الضرع من اللبن، كأنه سُمي بذلك لأنَّ اليد تَدلك الضرع.

قال ابن منظور⁽¹⁾: ودَلَكَتِ الثوب: إذا مُصَّتَه لتغسله. ودَلَكُهُ الدهرُ: حَنَكَه وعَلَّمَه. الدُّلكُ: عقلاء الرجال، وهم الحُنكُ. ورجل دَلِك حَنِيك: قد مارس الأمور وعَرَفَهَا. وبغير مَدْلُوك: إذا عاودَ الأسفار ومرن عليها، وقد دَلَكْتَه الأسفارُ؛ وتَدَلَكُ بالشيء: تَحَلَّقُ به. والدَّلُوكُ: ما تُدَلِّكُ به من طيب وغيره. وتَدَلَّلَكَ الرجلُ أي: دَلَكَ جسده عند الاغتسال.

قال الجوهري⁽²⁾: دَلَكْتُ الشيء بيدي أدلُّكُهُ: ذُكاً. ودَلَكَتِ الشمسُ دُلوكاً: زالت. وقال تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾ [الإسراء: 78]، ويقال: دُلوكُها: غروبُها.

وَدَالَكَ الرجلُ غريمه، أي: ماظله. والدَّلُوكُ: ما يُدَلِّكُ به من طيبٍ وغيره. والدَّلِيكُ: الترابُ الذي تسفيهه الريح، والدَّلِيكُ: طعامٌ يَتَّخَذُ من زُبْدٍ وتمرٍ كالشريد. وتَدَلَّلَكَ الرجلُ، أي: دَلَكَ جسده عند الاغتسال. وفرسٌ مَدْلُوكُ الحَجَبَةِ: إذا لم يكن لِحَجَبَتِهِ إشرافٌ.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ﴾ [الإسراء: 78].

قال الفخر الرازي⁽³⁾: اختلف أهل اللغة والمفسرون في معنى دلوك الشمس على قولين: أحدهما: أن دلوكها غروبها. والقول الثاني: أن دلوك الشمس هو

(3) التفسير الكبير.

(1) اللسان.

(2) الصحاح في اللغة.

زوالها عن كبد السماء، وهو اختيار الأكثرين من الصحابة والتابعين واحتج القائلون بهذا القول على صحته: الحجة الأولى: روى الواحدي في البسيط عن جابر أنه قال: «طعم عندي رسول الله ﷺ وأصحابه ثم خرجوا حين زالت الشمس فقال النبي ﷺ هذا حين دلت الشمس». الحجة الثانية: روى صاحب «الكشاف» عن النبي ﷺ أنه قال: «أتاني جبريل عليه السلام للدلوك الشمس حين زالت الشمس فصلى بي الظهر».

الحجة الثالثة: قال أهل اللغة معنى الدلوك في كلام العرب الزوال، ولذلك قيل للشمس إذا زالت نصف النهار دالكة، وقيل لها إذا أفلت دالكة لأنها في الحالتين زائلة، هكذا قاله الأزهري: وقال القفال: أصل الدلوك الميل، يقال: مالت الشمس للزوال، ويقال: مالت للغروب؛ إذا عرفت هذا فنقول: وجب أن يكون المراد من الدلوك ههنا الزوال عن كبد السماء، وذلك لأنه تعالى علق إقامة الصلاة بالدلوك، والدلوك عبارة عن الميل والزوال، فوجب أن يقال إنه أول ما حصل الميل والزوال تعلق به هذا الحكم، فلما حصل هذا المعنى حال ميلها من كبد السماء وجب أن يتعلق به وجوب الصلاة، وذلك يدل على أن المراد من الدلوك في هذه الآية ميلها عن كبد السماء، وهذه حجة قوية في هذا الباب استنبطتها بناء على ما اتفق عليه أهل اللغة: أن الدلوك عبارة عن الميل والزوال، والله أعلم. الحجة الرابعة: قال الأزهري الأولى حمل الدلوك على الزوال في نصف النهار، والمعنى ﴿أَقِرِ الصَّلَاةَ﴾ أي أدمها من وقت زوال الشمس إلى غسق الليل، وعلى هذا التقدير فيدخل فيه الظهر والعصر والمغرب والعشاء، ثم قال: ﴿أَقِرِ الصَّلَاةَ﴾ فإذا حملنا الدلوك على الزوال دخلت الصلوات الخمس في هذه الآية، وإن حملناه على الغروب لم يدخل فيه إلا ثلاث صلوات وهي المغرب والعشاء والفجر، وحمل كلام الله تعالى على ما يكون أكثر فائدة أولى؛ فوجب أن يكون المراد من الدلوك الزوال.

واحتج الفراء على قوله الدلوك هو الغروب واعلم أن هذا الاستدلال ضعيف

لأن عندنا الدلوك عبارة عن الميل والتغير، وهذا المعنى حاصل في الغروب فكان الغروب نوعاً من أنواع الدلوك فكان وقوع لفظ الدلوك، على الغروب لا ينافي وقوعه على الزوال كما أن وقوع لفظ الحيوان على الإنسان لا ينافي وقوعه على الفرس، ومنهم من احتج أيضاً على صحة هذا القول بأن الدلوك اشتقاقه من الدلك لأن الإنسان يدلك عينيه عند النظر إليها، وهذا إنما يصح في الوقت الذي يمكن النظر إليها ومعلوم أنها عند كونها في وسط السماء لا يمكن النظر إليها، أما عند قربها من الغروب فيمكن النظر إليها وعندما ينظر الإنسان إليها في ذلك الوقت يدلك عينيه، فثبت أن لفظ الدلوك مختص بالغروب. والجواب أن الحاجة إلى ذلك التبيين عند كونها في وسط السماء أتم، فهذا الذي ذكرته يدل على أن الدلوك عبارة عن الزوال من وسط السماء أولى، والله أعلم.

قال أبو حيان⁽¹⁾: الدلوك زوال الشمس نصف النهار. قيل واشتقاقه من الدلك لأن الإنسان تدلك عينه عند النظر إليها. وقيل الدلوك من وقت الزوال إلى الغروب. الغسق سواد الليل وظلمته. قال الكسائي: غسق الليل غسوقاً والغسق الاسم بفتح السين. وقال النضر بن شميل: غسق الليل دخول أوله.



(1) البحر المحيط.

دَمْدَم

(دَمْدَم - أَرْز - عَلَى - عَصْف - قَصْف - قَرَع - رَعْد)

- **الدَّمْدَمَةُ:** صوت الهدّة كوقوع قنبلة عظيمة ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمُ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا﴾ [الشّمس: 14].
- **الأزيز:** صوت غليان القدر ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكٰفِرِينَ تَوْرَهُمْ آزًا﴾ [مريم: 83].
- **الغليان:** صوت القدر إذا طفحت بعد الأزيز ﴿كَأَلْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾﴾ كغلي الحمير ﴿٤٦﴾﴾ [الدخان: 45-46].
- **العصف:** صوت الريح الشديدة حين تحرك العاصفة ﴿جَاءَهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ [يونس: 22].
- **القصف:** صوت الريح حين تقصف الشجر ﴿فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ﴾ [الإسراء: 69].
- **القرع:** صوت ضرب الحديد مع الحديد، ومنه قرع طبول الحرب ﴿كَذَبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ﴾ [الحاقة: 4].
- **الرّعد:** صوت السحاب ليمطر بغزارة ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ﴾ [الرّعد: 13].



شرح المعاني:

العقوبات من البشر كما هي العقوبات من الله تعالى . البشر يضعون العقوبات من أجل رفع الظلم الذي يمكن دفعه . الظلم نوعان ظلم يمكن للمظلوم أن يدفعه عن نفسه كأن يُضْرَبَ أو يُقْتَلَ أو يُسْرَقَ يقيم دعوى فيرفع عنه الظلم . والقرآن الكريم يقسم هذه العملية القضائية إلى قسمين : القسط وهو رفع الظلم أولاً ثم العدل وهو إثبات الحق وهو المرحلة الثانية، قال تعالى : ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف: 29] وقال تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: 90] وهذا في كل العالم، العملية القضائية تقوم برفع الظلم وإثبات الحق، لكن المخلوقين يختلفون في بعض قيم العقوبات باختلاف حضاراتهم ودياناتهم مما يؤثر في نوع العقوبة المشروعة والشرعية، فمثلاً اتفق البشر على أن الحبس والغرامة عقوبات شرعية واختلفوا في العقوبات البدنية من قتل أو جلد أو قطع يد أو قصاص . كل قوانين العقوبات في العالم هي عقوبات من المعقول، والتعذيب الذي يمارس في العالم كله علناً في كثير من دول العالم وخاصة في دول العالم الثالث وبخاصة الدول العربية والإسلامية المتخلفة أصبح ظاهرة معلنة . ومن الغريب أن العالم المتحضر بدأ يستسيغ هذا النوع من العقوبات ولا ينفي ذلك على رغم ما نسمعه منهم . هذا المعقول يقابله عقوبات من الله ﷻ هي من اللامعقول، وهذه العقوبات تحدث إذا انقلب الظلم إلى طغيان . الظلم كما قلنا نوعان : نوع تستطيع أن تدفعه عن نفسك إما بقوتك أو قوة القانون أو ما شاكل ذلك وهذا الذي يضع له البشر القوانين . وهناك ظلم ليس للمظلوم أي قدرة على دفعه وهو ما يسمى طغياناً، فإذا انقلب الظلم إلى طغيان وصار لا يمكن دفعه إلا بقوة خارقة، يضع الله تعالى له قوانين العقاب وهي حتمية تاريخية إلى أن تقوم الساعة فيتدخل الله تعالى تدخلاً

مباشراً بغير أسباب لينتقم من الطاغية، والتاريخ شاهد على ذلك. العقاب إذن من الله ﷻ كالعقاب من البشر وكما أن للبشر نوعاً من أنواع التعذيب بالأصوات فإن الله تعالى مثل هذا وهو سبحانه لا يُسأل عمّا يفعل. البشر يعذبون بالأصوات والله تعالى يعذب بالأصوات والعذاب بالأصوات هو من أشد وأقسى أنواع التعذيب، سواء في قوانين البشر من المعقول أو قوانين الله تعالى من اللامعقول. هناك معتقل عسكري ومعتقل مدني، والمعتقل العسكري يعذب عذاباً لا يمكن احتمالها فيصرخ صراخاً لا يمكن وصفه بكل أدوات الوصف بحيث لو خيّرت بين أن تسمع صراخ المعذبين أو أن تكون من المُعذبين لاخترت أن تكون من المعذبين لأن صراخ المعذبين يجعلك تشعر أنه لا قيمة لك لمجرد سماعك هذا الصرخ وهو صرخ من المعقول، وعادة في السجون ما يختارون للتعذيب أناساً مرضى نفسياً يتلذذون بسماع هذه الأصوات وبتعذيب المعتقلين.

منظومة العقوبات الصوتية في كتاب الله تعالى 15 كلمة، كل كلمة تعبر عن نوع من أنواع الأصوات التي تشعر فيها بالعذاب الهائل لأن الصوت له لغة كما أن للعين لغة، فمن النظرة يمكن أن تعرف إذا كانت هذه النظرة تعني حباً أو شوقاً أو عتاباً أو استفهاماً أو ازدراء أو ولهاً أو غضباً أو مدحاً أو غيرها، لأن النظرة تعكس ما في قلبك من مشاعر، فللعين لغة وكذلك للصوت لغة، ومن الصوت يمكن أن تفهم إن كان المتكلم يزجرك أو ينهرك أو يكفك عن عمل أو يستفهم أو يمدح أو أي شعور يريد أحدهم أن يعبر عنه. والأصوات مختلفة فهناك أصوات تدل على البهجة والأصوات التي تؤنس كالأذان وهناك أصوات تدخل السعادة والبهجة إلى قلبك وهناك أصوات تدخل الحزن كالبكاء وصوت الناي والكمّان. هذه لغة الأصوات، ومن الأصوات ما هي أدوات للتعذيب الشديد استعملها البشر للتعذيب من صرخ وأصوات أخرى.

هذا الطغيان ليس له دافع إلا الله ﷻ. فرعون طغى واستأسد على بني إسرائيل وكان يقتل أبناءهم ويستحيي نساءهم، ولذا قال تعالى لموسى: ﴿أَذْهَبْ

إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿ طه: 24 ﴾ لم يقل إنه ظلم فكان لا بد لهذا الطغيان من أن ينتهي بكارثة، وما من طاغية على وجه الأرض إلا ولا بد أن ينتهي نهاية غير متوقعة، يهيبه الله تعالى لها الأسباب فيزيل الطاغية إزالة تشفي صدور الذين طغى عليهم. الله عز وجل تعذيباً بالأصوات لكن كل صوت له اسم معين كما جاء في القرآن الكريم. والله تعالى له عدة أسباب للتعذيب: منها الغرق (كما حصل مع فرعون) والأعاصير (ثمود) والخسف (قارون) والمسح والتشريد (بني إسرائيل) وأحياناً يسلب الله تعالى بعض الناس على بعض وهذا من انتقام الله تعالى منهم إذا طغوا.

كل كلمة قرية في القرآن الكريم تعني مجتمعاً ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ [التحل: 112] مجتمع ظالم، بعضهم يظلم بعضاً فيسلط الله تعالى بعضهم على بعض ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: 40] كل جماعة طاغية سلط الله تعالى عليها تسليطاً مباشراً لأن هذا الطغيان ليس بوسع أحد أن يدفعه إلا الله تعالى. وهذه سنة من سنن الله تعالى في خلقه ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهُ غَفْلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴾ [إبراهيم: 42] الله تعالى ليس غافلاً وكل شيء يجري بأمره.

من ضمن العذاب وأدوات التعذيب التعذيب بالأصوات:

دمدم: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا ﴾ [الشمس: 14] هو صوت الهدء عندما تسقط عمارة مرة واحدة تصدر منها صوت (دَم) صوت رهيب إذا سمعته شعرت بالفزع الشديد. من ضمن عقوبة الله تعالى للطغاة أن ينزل عليهم عذاباً بصوت عجيب كصوت الهدء فيتفاجأون فيه وما يحدث من تفجيرات في العالم من ضمن هذا الصوت. الرعد مثلاً في بعض الحالات يملؤك رعباً

وفزعاً بحيث تهرب منه لمجرد الصوت فماذا لو جعله الله تعالى صوت عذاب؟ قوم عاد وثمود أهلكوا بالصيحة، والصيحة نسميها اليوم القنبلة الفراغية، ثمود كانت بيوتهم في الجبال أهلكهم الله تعالى بصوت عظيم كالدمدمة مات كل من في البيوت ثم ألقى عليهم بعض الحجارة. فالدمدمة صوت من أصوات الرعب يسخرها الله ﷻ إذا وجد طاغية أو شعباً طاغياً يهلكه الله تعالى بهذا الصوت.

الرعد: ﴿أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْوَابَهُمْ فِيءَ آذَانِهِمْ مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: 19] في بعض الحالات نسمع صوت رَعْدٍ تكاد الأذن تنفجر من الصوت.

القصف: ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا يُجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا﴾ [الإسراء: 69] القاصف والقصف هو الصوت الصادر من الريح التي تكسر الأشجار وتوقع البنيان لكنها لا تثير إعصاراً أو فيضاناً.

العصف: ﴿فَالْعَصْفَ عَصَافًا﴾ [المُرسلات: 2] هي الريح التي تصدر أصواتاً هائلة تكسر الأشجار وتوقع البنيان وتثير حالة من الطوفان والعصف يعقب كل نوع من أنواع التفجير، ويقال أن العصف الذري لا بد أن يعقبه عصف.

القرع: ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [الرعد: 31] الكفران كفران النعمة، السلاح نعمة والعلم نعمة وكل ما يفتح للإنسان هو نعمة من نعم الله تعالى فإذا استعملها الإنسان بالخير فهذا استعمال النعمة في طاعة الله تعالى وإذا استعملها في ظلم الآخرين والاعتداء عليهم فهذا من كفران النعمة وعذابهم من الله تعالى أن يصيبهم بصناعاتهم قارعة، ونحن نرى الآن أن كثيراً من الصناعات بدأت تضر بأصحابها مثل الأسلحة النووية والقنبلة الجرثومية وغيرها كما حصل في مفاعل تشيرنوبل الذي بتسريب بسيط حدث فيه مات أكثر من 120 ألف شخص في ليلة واحدة. والقرع هو ضرب شيء صلب بشيء صلب، والقارعة نوع من الشعور بالخوف

والرعب من صوت كصوت ضرب الحديد بالحديد. أصوات قوية تصدر من شيئين صليين يضرب أحدهما بالآخر يسمى هذا قرعاً.

الزجر: صوت الطرد ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَجْدَةٌ﴾ [النازعات: 13] إنسان نائم وتريد إيقاظه فتصرخ به، يسمى هذا زجراً أو أن تطرد حيواناً كاسحاً فتصدر صوتاً قوياً فيهرب، فما بالك إذا أراد ربك أن يوقظ نياماً أو يُنهي حكماً أو يبعث أمواتاً أو يهلك طاغية؟ يستعمل صوتاً من أصوات الزجر بحيث يصبح بعدها الطاغية إنساناً هامداً.

البكاء: هو حزن مع سيلان الدمع وهو نوع من أنواع التعذيب. ماذا لو أن طفلك بكى طوال الليل من ألم أو مرض فستكون أنت في غاية الألم والتعذيب، والرسول ﷺ كان يقول لفاطمة عندما كان الحسين يبكي: «يا فاطمة أسكتيه فإن بكاءه يؤذيني»، كان ﷺ يشعر بألم لمجرد بكاء الطفل. ماذا لو أبكاك الله ﷻ على عزيز مما تملك من وطن أو مال أو أهل بكاء الشكالي ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [التوبة: 82] وما أشد تعذيب الباكي إذا كان طاغية فقد ملكه.

وهناك فرق بين بكى وبكاء، فالبكاء إذا كان الصوت أكثر من الحزن، وبكى إذا كان الحزن في قلبك أكثر من صوت البكاء كما قال تعالى: ﴿إِذَا نُتِلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم: 58].

الزلزلة: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [الزلزلة: 1] هزة أرضية تسقط المباني وتحدث أصواتاً مرعبة. وهناك زلزلة مادية وهي أي اضطراب مادي يحصل اهتزاز فتسقط المباني وتحدث أصواتاً تفتت الأعصاب وتشعرك بألم شديد، ولا بد أن تجثو على ركبتيك، ويوم القيامة ولشدة أهوالها وأصواتها المرعبة يجثو الأنبياء على ركبهم من شدة الرعب من الأصوات ويشعرون بعذاب شديد فيجثون على الركب من شدة الخوف كما ذكر ﷺ في الحديث الشريف. هذه الزلزلة تحدث أصواتاً وكل شيء حولك يحدث أصواتاً مرعبة. وهناك زلزلة معنوية فقد تكون

الزلزلة اضطراباً نفسياً من الداخل ﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ [الأحزاب: 11]. فالزلزلة إما أن تكون صوتاً خارجياً أو اضطراباً من داخلك يجعلك مضطرباً حتى تسقط من الوهن والإعياء.

الصيحة: صوت كالقنبلة الفراغية تحدث صوتاً هائلاً يموت الناس بها.

التصدية: التصفيق الحاد والصفير الحاد ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [الأنفال: 35]. الضوضاء في السجون والتعذيب بهذه الأصوات أصبح منتشراً، مثلاً أن يضعوا موسيقى معينة طوال 24 ساعة أو صوتاً مستمراً: بكاء أو غيره. والآية تشير إلى المشركين الذين كانوا يجتمعون حول المسلمين في صلاتهم فيصفقون ويصفرون بشكل مستمر بحيث يحاولون أن يمنعوا المسلمين عن صلاتهم من شدة الإزعاج الذي يسببه هذا الصفير والتصفيق.

التغيظ: هو صوت الحقد. لسانك ساكت لكن قلبك يغلي من الحقد، وإذا أمسكت بالذي تحقد عليه تريد أن تخنقه تصدر صوتاً مما في قلبك عليه لأن حقدك شديد. هذا الصوت يكون على السامع أشد من الخنق. قال تعالى: ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا وَزَفِيرًا﴾ [الفرقان: 12] التغيظ لا يكون إلا مع الزفير. عندما تريد أن تبدي غيظك من أحد تصدر صوتاً موحشاً كالوحش الكاسر وهذا صوت الحقد الذي يصل إلى حد الانتقام كما جهنم يوم القيامة. يقول الشاعر:

عوى الذئب فاستأنست بالذئب إذ عوى وصوت إنسان فكدت أطيّر

الأزيز: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤْزُهُمْ أَزًّا﴾ [مريم: 83] صوت الرصاص أو صوت سقوط الجبل، لو كنت في حرب ومرت عليك من جانب أذنك رصاصة أو صاروخ أو قنبلة تسمع لها أزيزاً يذهب بالقلوب وصوت الطائرة في الحرب وهي تقصف صوت مخيف يشعر الناس برعب شديد. وصوت أزيز الطائرات أشد من الموت. الأزيز صوت يستعمل للعقوبات من الله رب العالمين

فيسلّط على الطاغية أزيزاً من داخله كالنمرود كان يشعر بأزيز في أذنيه لا يدعه ينام حتى مات .

الضبح: صوت الخيل عندما تكون في سرعة متناهية ﴿وَالْعَدِيدِ صَبْحًا﴾ [العاديات: 1]. تصوّر مئة فرس تضح معاً تصدر صوتاً يشعرك برعب شديد، هذا الضبح تمثله الآن هدير الدبابات والمدرعات في معركة. في السابق كانت الخيل عندما تضح تلقي الرعب في قلوب العدو والأصوات كفيلة بإنهاك العدو.

التفجير: شيء صلب تفجّره فيحدث صوتاً عظيماً. ﴿وَإِنَّ مِنَ الْجَبَارَةِ لِمَا يُنْفَجِرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ﴾ [البقرة: 74] ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [البقرة: 60] فجر الله تعالى لبني إسرائيل اثنتي عشرة عيناً من الماء من صخرة فهذا التفجير أحدث صوتاً عظيماً فما بالك إذا كان التفجير بقنابل وعبوات وغيرها .

الحسيس: صوت النار المرعب، فالنار عندما تتقلب لها حسيس يمزق الأعصاب ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾ [الأنبياء: 102].

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس⁽¹⁾: الدال والميم أصلٌ واحد يدلُّ على غشيان الشيء، ومن ناحية أن يُطلَى به . تقول: دَمَمْتُ الثَّوبَ، إذا طليته: أي صبغ، وكلُّ شيءٍ طُلِيَ على شيءٍ فهو دِمَامٌ. فأما الدَّمْدَمَةُ فالإهلاك. قال الله تعالى: ﴿فَدَمَدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ﴾ [الشمس: 14]. وذلك لِمَا عَشَّاهم به من العذاب والإهلاك.

(1) معجم مقاييس اللغة.

وَقَدْرٌ دَمِيمٌ: مَطْلِيَّةٌ بِالطَّحَالِ. وَالذَّمَامُ: جُحْرُ الْيَرْبُوعِ، لِأَنَّهُ يَدْمُهُ دَمًا، أَيْ: يُسَوِّيهِ تَسْوِيَةً. فَأَمَّا قَوْلُهُمْ: رَجُلٌ دَمِيمٌ الْوَجْهَ فَهُوَ مِنَ الْبَابِ، كَأَنَّ وَجْهَهُ قَدْ طَلِيَ بِسَوَادٍ أَوْ قُبْحٍ. يُقَالُ: دَمَّ وَجْهُهُ يَدْمُ دَمَامَةً، فَهُوَ دَمِيمٌ. وَأَمَّا الدَّيْمُومَةُ، وَهِيَ الْمَفَازَةُ لَا مَاءَ بِهَا، فَمِنَ الْبَابِ؛ لِأَنَّهَا كَأَنَّهَا فِي اسْتَوَائِهَا قَدْ دُمَّتْ، أَيْ: سُويتْ تَسْوِيَةً، كَالشَّيْءِ الَّذِي يُطْلَى بِالشَّيْءِ. وَالذَّمَامُ مِنَ الْأَرْضِ: رَوَابٍ سَهْلَةٌ.

قال ابن منظور⁽¹⁾: دَمَّ الشَّيْءُ يَدْمُهُ دَمًا: طَلَاهُ. وَالذَّمُّ وَالذَّمَامُ مَا دُمَّ بِهِ.

وَدَمَّ الشَّيْءُ إِذَا طَلِيَ. وَالذَّمَامُ، بِالْكَسْرِ: دَوَاءٌ تُطْلَى بِهِ جِبْهَةُ الصَّبِيِّ وَظَاهِرُ عَيْنَيْهِ، وَكُلُّ شَيْءٍ طَلِيَ بِهِ فَهُوَ دِمَامٌ؛ وَقَالَ يَصِفُ سَهْمًا: وَخَلَقْتُهُ، حَتَّى إِذَا تَمَّ وَاسْتَوَى، كَمُخَّةِ سَاقٍ أَوْ كَمُتْنِ إِمَامٍ، قَرَنْتُ بِحِقْوِيهِ ثَلَاثًا، فَلَمْ يَزِغْ عَنِ الْقَصْدِ، حَتَّى بُصِّرَتْ بِدِمَامٍ يَعْنِي بِالذَّمَامِ الْغِرَاءَ الَّذِي يُلْزَقُ بِهِ رِيشُ السَّهْمِ، وَعَنْى بِالثَّلَاثِ الرِّيَشَاتِ الثَّلَاثَ الَّتِي تُرَكَّبُ عَلَى السَّهْمِ، وَيَعْنِي بِالْحِقْوِ مُسْتَدَقَّ السَّهْمِ مِمَّا يَلِي الرِّيَشَ، وَبُصِّرَتْ: يَعْنِي رِيشَ السَّهْمِ طَلِيَتْ بِالْبَصِيرَةِ، وَهِيَ الدَّمُ.

وَالذَّمَامُ: الطَّلَاءُ بِحَمْرَةٍ أَوْ غَيْرِهَا.

قال الجوهري⁽²⁾: الذَّمَامُ بِالْكَسْرِ: دَوَاءٌ تَطْلَى بِهِ جِبْهَةُ الصَّبِيِّ وَظَاهِرُ عَيْنَيْهِ. وَكُلُّ شَيْءٍ طَلِيَ بِهِ فَهُوَ دِمَامٌ.

وَقَدْ دَمَمْتُ الشَّيْءَ أَدْمُهُ بِالضَّمِّ، إِذَا طَلَيْتَهُ بِأَيِّ صَبْغٍ كَانَ. وَالْمَدْمُومُ: الْأَحْمَرُ.

وَالْمَدْمُومُ: الْمَمْتَلِيُّ شَحْمًا مِنَ الْبَعِيرِ وَغَيْرِهِ. وَقَدْ دُمَّ بِالشَّحْمِ، أَيْ: أُوقِرَ.

وَقَدْرٌ مَدْمُومَةٌ وَدَمِيمٌ، أَيْ: مَطْلِيَّةٌ بِالطَّحَالِ. وَالذَّمِيمُ: الْقَبِيحُ. وَقَدْ دَمَمْتُ يَا فُلَانٌ تَدِيمٌ وَتَدْمٌ دَمَامَةً، أَيْ: صرْتُ دَمِيمًا. وَالذَّمَّةُ: لُعبَةٌ. وَالذَّمَّةُ: الطَّرِيقَةُ. وَالذَّمَّةُ: بِالْكَسْرِ: الْبَعْرَةُ. وَالذَّمَامُ: إِحْدَى جِجْرَةِ الْيَرْبُوعِ، مِثْلُ الرَّاهِطَاءِ.

(1) اللسان.

(2) الصحاح في اللغة.

والجمع دَوَامٌ على فواعلَ . وكذلك الدُّمَّةُ والدُّمَمَةُ أيضاً . ودَمَّ اليربوعُ جحرَهُ ،
أي : كَبَسَهُ . والدَّيْمُومَةُ : المفازة لا ماء بها . والمُدَّمُ المطويُّ من الكِرَارِ .

في القرآن الكريم:

● قال تعالى : ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمُ ﴾ [الشمس: 14] .

قال الزمخشري⁽¹⁾ : ﴿ فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ ﴾ فأطلق عليهم العذاب ، وهو من تكرير
قولهم : ناقة مدمومة : إذا ألبسها الشحم .

قال الفخر الرازي⁽²⁾ : أما قوله تعالى : ﴿ فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمُ بِذُنُوبِهِمْ
فَسَوَّاهَا ﴾ فاعلم أن في الدمومة وجوهاً ، الوجه الأول : قال الزجاج : معنى دمدم
أطبق عليهم العذاب ، يقال : دمدمت على الشيء إذا أطبقت عليه ، ويقال : ناقة
مدمومة ، أي قد ألبسها الشحم ، فإذا كررت الإطباق قلت دمدمت عليه . قال
الواحدي : الدم في اللغة اللطخ ، ويقال للشيء السمين : كأنما دم بالشحم دماً ،
فجعل الزجاج دمدم من هذا الحرف على التضعيف نحو «ككبوا» وبابه ، فعلى هذا
معنى دمدم عليهم ، أطبق عليهم العذاب وعمهم كالشيء الذي يلطخ به من جميع
الجوانب . الوجه الثاني : تقول للشيء يدفن : دمدمت عليه ، أي سويت عليه ،
فيجوز أن يكون معنى فدمدم عليهم ، فسوى عليهم الأرض بأن أهلكهم فجعلهم
تحت التراب . الوجه الثالث : قال ابن الأنباري : دمدم غضب ، والدمدمة الكلام
الذي يزعج الرجل . والوجه الرابع : دمدم عليهم أرجف الأرض بهم ، رواه ثعلب
عن ابن الأعرابي .

(2) التفسير الكبير .

(1) الكشف .

قال الماوردي (1): ﴿فَدَمَدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

الأول: معناه فغضب عليهم.

الثاني: معناه فأطبق عليهم.

الثالث: معناه فدمر عليهم، وهو مثل دمدم، كلمة بالحبشية نطقت بها العرب.

قال الزجاج (2): أي: أطبق عليهم العذاب. يقال: دمدمت على الشيء: إذا

أطبقت فكررت الإطباق. وقال المؤرّج: الدمدمة: إهلاك باستئصال.

قال الألويسي (3): ﴿فَدَمَدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ﴾ [الشمس: 14] فأطبق عليهم

العذاب، وقالوا دمدم عليه القبر أي أطبقه، وهو مما تكرر فيه الفاء فوزنه فعفل لا فعلل من قولهم ناقة مدمومة إذا لبسها الشحم وغطاها، وقال في «القاموس» معناه أتم العذاب عليهم، وقال مؤرّج الدمدمة إهلاك باستئصال، وفي «الصحاح» دمدمت الشيء ألزفته بالأرض وطحطحته. وقرأ ابن الزبير (فدهدم) بهاء بين الدالين والمعنى كما تقدم.



(3) روح المعاني.

(1) النكت والعيون.

(2) معاني القرآن.

دمي (دمي)

النصوص اللغوية:

قال الجوهري⁽¹⁾: الدَّمُّ أصله: دَمَوْتُ بالتحريك، وإنما قالوا: دَمِي يَدَمِي لحال الكسرة التي قبل الياء، كما قالوا رَضِيَ يَرْضَى وهو من الرضوان. وبعض العرب يقول في تثنيته دَمَوَانٍ. وتصغير الدَّمِّ دُمِيٌّ. والجمع دِمَاءٌ، والنسبة إليه دَمِيٌّ، وإن شئت دَمَوِيٌّ. ويقال: دَمِي الشيء يَدَمِي ودُمِيًّا فهو دَمٍ. والمُدَمَّى: السهم الذي عليه حُمرة الدم وقد جَسِدَ به حتى يضرب إلى السواد.

وكان الرجل إذا رمى العدوَّ بسهم فأصاب ثم رماه به العدوُّ وعليه دَمٌ، جعله في كنانته تبرُّكاً به. ويقال: المُدَمَّى: الشديد الحمرة من الخيل وغيره. وكلُّ أحمرٍ شديد الحمرة فهو مُدَمَّى. يقال: كُمَيْتٌ مُدَمَّى. ويقال: المُدَمَّى: السهم الذي يتعاوره الرُّمَاءُ بينهم. قال الأصمعي: المُسْتَدَمِي: الذي يَسْتَخْرَجُ من غريمه دَيْنَهُ بالرفق. قال: والمُسْتَدَمِي أيضاً: الذي يقطر من أنفه الدم، المطأطئ رأسه. وأدَمَيْتُهُ أنا ودَمَيْتُهُ تَدَمِيَّةٌ، إذا ضربته حتى خرج منه دَمٌ. والدامِيَّةُ: الشَّجَّةُ التي تَدَمِي ولا تسيل. ودَمُّ الأخوين: العُنْدَمُ. والدَمَّةُ أخصُّ من الدَّمِّ.

قال الخليل⁽²⁾: الدَّمُّ معروف، والقطعة منه دَمَةٌ واحدة، وكأنَّ أصله دَمِيٌّ لأنك تقول: دَمِيَّتْ يَدُهُ. والمُدَمَّى من الخيل الأشقرُّ الشديدُ الحُمرة، شُبهُ لون الدَّمِّ، وكل

(2) العين.

(1) الصحاح في اللغة.

شيء فيه سوادٌ وحُمْرة فهو مُدْمَى . وبَقْلَةٌ لها زهرة يقال لها : دُمِيَّةُ الغِزْلانِ . والدُّمِيَّةُ : الصَّنَمُ والصُّورَةُ المُنْقَشَةُ . وشَجَّةٌ دامية : دَمِيَّتٌ ولَمَّا تَسِيلُ ، وقيل إذا سالتُ ، والأوَّلُ أصوبُ لأنَّ الدامِعةَ سائلةٌ ، والداميةُ التي تَدْمَى ولم تَدْمَعْ بعدُ .

قال الفيروزآبادي⁽¹⁾ : الدَّمُ : أَصْلُهُ دَمِيٌّ ، تَثْنِيَّتُهُ دَمَانٍ وَدَمِيَّانِ دِمَاءٌ وَدُمِيٌّ ، وَقَطْعَتُهُ : دَمَةٌ ، أَوْ هِيَ لُغَةٌ فِي الدَّمِ ، وَقَدْ دَمِيَ ، كَرَضِيَ ، دَمَى ، وَأَدْمَيْتُهُ وَدَمَيْتُهُ . وَهُوَ دَامِي الشَّفَةِ : فَقِيرٌ . وَبَنَاتُ دَمٍ : نَبْتُ . وَالدَّمُ : السَّنُّورُ . وَدَمُ الغِزْلانِ : بَقْلَةٌ . وَدَمُ الأَخْوَيْنِ : م ، وَفَارِسِيَّتُهُ : خُونٌ سِياوُشَانُ . وَالدُّمِيَّةُ ، بِالضَّمِّ : الصُّورَةُ المُنْقَشَةُ مِنَ الرُّخامِ ، أَوْ عَاطِمٌ ، وَالصَّنَمُ دُمَى . وَالمُدْمَى : السَّهْمُ عَلَيْهِ حُمْرَةُ الدَّمِ ، وَالمُشَدِّدُ الحُمْرَةَ مِنَ الخَيْلِ وَغيرِهِ . وَالمُسْتَدْمِي : مَنْ يَسْتَخْرِجُ مِنْ غَرِيْمِهِ دَيْنَهُ بِالرَّفْقِ ، وَمَنْ يَقْطُرُ مِنْ أَنْفِهِ الدَّمُ ، وَهُوَ مُتَطَأَطِيٌّ . وَالدَامِيَّةُ : شَجَّةٌ تَدْمَى وَلَا تَسِيلُ . وَالدَامِيَاءُ : الخَيْرُ ، وَالبَرَكَةُ . وَدَمِيَّتٌ لَهُ تَدْمِيَّةٌ : سَهَلَتْ لَهُ سَبِيلاً ، وَطَرَفَتْهُ ، وَقَرَّبَتْ لَهُ ، وَظَهَرَتْ .

في القرآن الكريم:

● قال تعالى : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمِيَّةُ وَالدَّمُ ﴾ [المائدة: 3].

قال الطبري⁽²⁾ : الدَّمُ ، فَإِنَّ الدَّمِ المَسْفُوحِ دُونَ مَا كَانَ مِنْهُ غَيْرِ مَسْفُوحٍ ، لِأَنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَناءُوه قَالَ : ﴿ قُلْ لَّا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ ﴾ [الأنعام: 145] فَأَمَّا مَا كَانَ قَدْ صَارَ فِي مَعْنَى اللَّحْمِ كَالكَبِدِ وَالمُطَّحَالِ ، وَمَا كَانَ فِي اللَّحْمِ غَيْرِ مَسْفُوحٍ ، فَإِنَّ ذَلِكَ غَيْرِ حَرَامٍ ، لِإِجْمَاعِ الجَمِيعِ عَلَى ذَلِكَ .

(2) جامع البيان .

(1) القاموس المحيط .

قال الزمخشري⁽¹⁾: كان أهل الجاهلية يأكلون هذه المحرمات: البهيمة التي تموت حتف أنفها، والفصيد وهو الدم في المباعر.

قال الفخر الرازي⁽²⁾: واعلم أن تحريم الميتة موافق لِمَا في العقول، لأن الدم جوهر لطيف جداً، فإذا مات الحيوان حتف أنفه احتبس الدم في عروقه وتعفن وفسد وحصل من أكله مضار عظيمة. والثاني: الدم: قال صاحب «الكشاف» كانوا يملؤون المعوي من الدم ويشوونه ويطعمونه الضيف، فالله تعالى حرم ذلك عليهم. والثالث: لحم الخنزير، قال أهل العلم: الغذاء يصير جزءاً من جوهر المغتذي، فلا بدّ أن يحصل للمغتذي أخلاق وصفات من جنس ما كان حاصلاً في الغذاء.

● قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ﴾ [البقرة: 84].

قال الفخر الرازي⁽³⁾: قوله تعالى: ﴿لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ﴾ ففيه إشكال، وهو أن الإنسان ملجأ إلى أن لا يقتل نفسه، وإذا كان كذلك فلا فائدة في النهي عنه. والجواب عنه من أوجه: أحدها: أن هذا الإلجاء قد يتغير كما ثبت في أهل الهند أنهم يقدرّون في قتل النفس التخلص من عالم الفساد واللحوق بعالم النور والصلاح أو كثير ممن صعب عليه الزمان، وثقل عليه أمر من الأمور، فيقتل نفسه، فإذا انتفى كون الإنسان ملجأ إلى ترك قتله نفسه صح كونه مكلفاً به. وثانيها: المراد لا يقتل بعضكم بعضاً، وجعل غير الرجل نفسه إذا اتصل به نسباً ودينياً وهو كقوله تعالى: ﴿فَأَقْضُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [البقرة: 54]. وثالثها: أنه إذا قتل غيره فكأنما قتل نفسه لأنه يقتص منه. ورابعها: لا تتعرضوا لمقاتلة من يقتلكم فتكونوا قد قتلتم أنفسكم. وخامسها: لا تسفكون دماءكم من قوامكم في مصالح الدنيا بهم فتكونون مهلكين لأنفسكم.

(3) التفسير الكبير.

(1) الكشاف.

(2) التفسير الكبير.

قال ابن عطية⁽¹⁾: ﴿دِمَاءُكُمْ﴾ جمع دم، وهو اسم منقوص أصله دمي، وتثنيته دميان، وقيل أصله دمي بسكون الميم، وحركت في التثنية لتدل الحركة على التغيير الذي في الواحد.

قال البغوي⁽²⁾: أي لا تريقون دماءكم، أي: لا يسفك بعضكم دم بعض. وقيل: لا تسفكوا دماء غيركم فتسفك دماءكم، فكأنكم سفكتم دماء أنفسكم.



(1) المحرر الوجيز.

(2) معالم التنزيل.

دَمَّرَ

(دَمَّرَ - بَادَ - مَحَقَّ - هَلَكَ - بَطَشَ)

- **الدَّمَارُ:** انتهاء بُنيَّةِ الشيء بحرب أو زلزال ﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَتْ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ﴾ [الأعراف: 137].
- **الْبِيَادُ:** التفرق والفتن في البيداء، يقال: «باد بيد بياد». ﴿قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا﴾ [الكهف: 35].
- **الْمَحَقُّ:** نقصان الشيء إلى حدِّ الهلاك ﴿يَمَحِقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الصِّدْقَ﴾ [البقرة: 276].
- **أَهْلَكَ:** فعل به ما يزيل روحه حيث لا عقب له ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى﴾ [النجم: 50-51].
- **الْبَطْشُ:** قهر العدو بصولة تذهب القدرة على الحركة ﴿وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جِبَارِينَ﴾ [الشعراء: 130].



النصوص اللغوية:

قال ابن فارس⁽¹⁾: الدال والميم والراء أصلٌ واحد يدلُّ على الدخول في البيت وغيره. يقال: دَمَّرَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ، إِذَا دَخَلَهُ. وَفَرَّقَ نَاسٌ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ دَخُولُهُ بِإِذْنٍ أَوْ غَيْرِ إِذْنٍ، فَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «مَنْ أَطَّلَعَ

(1) معجم مقاييس اللغة.

في بيت قومٍ بغيرِ إذنٍ فقد دمر»، أي: دخل. قال أبو عبيد: هذا إذا كان بغيرِ إذنٍ، فإن كان بإذنٍ فليس بدمور. وهذا تفسيرٌ شرعيٌّ، وأمّا قياس الكلمة فما ذكرناه أولاً. قال الشيباني والأصمعي: المدمر: الداخل في القُترة. ويقال: دَمَرَ القُنْفُذُ إذا دخلَ جُحره. وقال ناسٌ: المدمر: الصائد يدخن بأوبار الإبل وغيرها حتى لا يجد الصيدَ ريحَه. والذي عندنا أنّ المدمر: هو الداخلُ قُتْرته، فإذا دخلها دخن. وليس المدمر من نعتِ المدخن، والقياس لا يقتضيه. وقال الله تعالى: ﴿دَمَرَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَلُهَا﴾ [محمد: 10]. والدمار: الهلاك. ويقال إن التدمري: ضربٌ من اليرابيع. فإن كان صحيحاً فهو القياس، لأنه يدمر في جحرته.

قال الخليل⁽¹⁾: الدمار: استئصال الهلاك، يقال: دَمَرَ القومُ يدمرون دماراً أي: هلكوا. ودمر عليهم: مَقَتَهُمْ. ودمرهم الله تدميراً. وقال الله عز وجل: ﴿فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا﴾ [الفرقان: 36]، يعني فرعونَ وقومه الذين مسخوا قردةً وخنازير. والمدمر: اسمُ الصياد. وتدمر: اسمُ مدينةٍ بناها الشياطين بإذنِ سليمان بن داود عليه السلام.

والتدمري من اليرابيع: ضربٌ لئيم الخلقَةِ علب اللحم أي عَضِلٌ.

يقال: هو من معزى اليرابيع، وأمّا ضأنها فهو شفاريتها، وعلامة الضأن فيها أن له في وسط ساقه ظُفراً في موضع صيصية الديك، ويوصف به الرجل اللئيم. والدمور: الدخول على القوم بلا إذنٍ، ودمر يدمر دَمراً ودموراً.

قال الجوهري⁽²⁾: الدمار: الهلاك. يقال: دَمَرَهُ تدميراً، ودمر عليه بمعنى.

وتدمير الصائد: أن يدخن قُتْرته بالوبر لئلا يجد الوحش ريحَه فيه. ودمر يدمر دَموراً: دخلَ بغيرِ إذنٍ. وفي الحديث: «مَنْ سَبَقَ طَرْفَهُ اسْتِئْذَانَهُ فَقَدْ دَمَرَ. تدمري، إذا كان صغيراً قصيراً».

(2) الصحاح في اللغة.

(1) العين.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا﴾ [الفرقان: 36].

قال الفخر الرازي⁽¹⁾: (دَمَّرْنَاهُمْ) أهلكتناهم إهلاكاً، فإن قيل: الفاء للتعقيب والإهلاك لم يحصل عقيب ذهاب موسى وهرون إليهم بل بعد مدة مديدة، قلنا: التعقيب محمول ههنا على الحكم لا على الوقوع، وقيل: إنه تعالى أراد اختصار القصة فذكر حاشيتها أولها وآخرها لأنهما المقصود من القصة بطولها، أعني إلزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم.

قال البيضاوي⁽²⁾: ﴿بِعَايِنَتْنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا﴾ [الفرقان: 36] أي فذهب إليهم فكذبوهما فدمرناهم، فاقصر على حاشيتي القصة اكتفاء بما هو المقصود منها، وهو إلزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم، والتعقيب باعتبار الحكم لا الوقوع.

قال أبو السعود⁽³⁾: ﴿فَدَمَّرْنَاهُمْ﴾ إثر ذلك التَّكْذِيبِ الْمُسْتَمِرِّ ﴿تَدْمِيرًا﴾ عَجِيباً هائلاً لا يُقَادَرُ قَدْرُهُ ولا يُدْرِكُ كُنْهَهُ فاقصر على حاشيتي القصة اكتفاء بما هو المقصود وحمل قوله تعالى: فدمرناهم على معنى فحكمتنا بتدميرهم مع كونه تعسفاً ظاهراً مما لا وجه؛ له إذ لا فائدة يُعتدُّ بها في حكاية الحكم بتدميرهم لأنه قد وقع وانقضى، والتَّعْرُضُ في مطلع القصة لإيتاء الكتاب مع أنه كان بعد مهلك القوم ولم يكن له مدخل في هلاكهم كسائر الآيات للإيذان من أوَّل الأمر ببلوغه عليه الصلوة والسلام غاية الكمال ونيله نهاية الآمال التي هي إنجاء بني إسرائيل من ملكة فرعون وإرشادهم إلى طريق الحق بما في التَّوراة من الأحكام، إذ به يحصل تأكيد الوعد بالهداية على الوجه الذي مرَّ بيانه.

(3) إرشاد العقل السليم.

(1) التفسير الكبير.

(2) أنوار التنزيل.

● قال تعالى: ﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا الْأَخْرِينَ﴾ [الشُّعْرَاءُ: 172].

قال الألوسي⁽¹⁾: أهلكتناهم أشد إهلاك وأفظعه وكان ذلك الائتفاك. والظاهر العطف على ﴿فَنَجَّيْنَاهُ﴾ [الشُّعْرَاءُ: 170] والتدمير متراخ عن التنجية من مطلق العذاب، فلا حاجة إلى القول بأن المراد أردنا تنجيته أو حكمنا بها أو معنى ﴿فَنَجَّيْنَاهُ﴾ فاستجبنا دعاءه في تنجيته، وكل ذلك خلاف الظاهر. وجوز الطيبي كون ﴿ثُمَّ﴾ للتراخي في الرتبة.

قال الشعراوي⁽²⁾: أي: الذين لم يؤمنوا بدعوته، ولم ينتهوا عن هذه الفاحشة، ثم بين نوعية هذا التدمير.

قال القرطبي⁽³⁾: ﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا الْأَخْرِينَ﴾ أي أهلكتناهم بالخسف والحصب. قال مقاتل: خسف الله بقوم لوط وأرسل الحجارة على من كان خارجاً من القرية.

● قال تعالى: ﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ [الأعراف: 137].

قال الفخر الرازي⁽⁴⁾: وقوله: ﴿وَدَمَّرْنَا﴾ قال الليث: الدمار: الهلاك التام. يقال: دمر القوم يدمرون دماراً أي هلكوا.

قال البغوي⁽⁵⁾: دمرنا: أهلكتنا.

قال أبو السعود⁽⁶⁾: ﴿وَدَمَّرْنَا﴾ أي خربنا وأهلكنا.



- | | |
|---------------------------|-------------------------|
| (1) روح المعاني. | (4) التفسير الكبير. |
| (2) تفسير الشعراوي. | (5) معالم التنزيل. |
| (3) الجامع لأحكام القرآن. | (6) إرشاد العقل السليم. |

دمع

(دَمَع)

■ **الدَّمْعُ**: اسم للسائل من العين. ومصدر دمعت العين دمعاً ودمعاناً.
﴿تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا﴾ [التوبة: 92].



النصوص اللغوية:

قال ابن فارس⁽¹⁾: الدال والميم والعين أصلٌ واحد يدُلُّ على ماءٍ أو عبْرَةٍ. فمن ذلك الدَّمْعُ ماءُ العَيْنِ، والقَطْرَةُ دَمْعَةٌ. والفِعْلُ دَمَعَتِ العَيْنُ دَمْعًا وَدَمَعَتْ دَمْعًا وَدَمَعَتْ دُمُوعًا أَيضًا. وَعَيْنٌ دَامِعَةٌ. وَجَمْعُ الدَّمْعِ دُمُوعٌ. وَيُقَالُ امْرَأَةٌ دَمِيعَةٌ: سَرِيعَةٌ البكاءِ كَثِيرَةُ الدَّمْعِ. وَيُقَالُ شَجَّةٌ دَامِعَةٌ: تَسِيلُ دَمًا. كَذَا هُوَ فِي كِتَابِ الخَلِيلِ. وَالْأَصْحَحُ مِنْ هَذَا أَنَّ التِي تَسِيلُ دَمًا هِيَ الدَّامِيَّةُ، فَأَمَّا الدَّامِعَةُ، فَأَمْرُهَا دُونَ ذَلِكَ، لِأَنَّهَا التِي كَأَنَّهَا يَخْرُجُ مِنْهَا مَاءٌ أَحْمَرٌ رَقِيقٌ، وَذَكَرَ اليَزِيدِيُّ أَنَّ الدَّمْعَ أَثْرُ الدَّمْعِ عَلَى الخَدِّ.

ويقال: دُمَاعًا. والدَّمْعُ مَخْفَفٌ وَمَثْقَلٌ: مَا يَسِيلُ مِنَ الكَرَمِ أَيَّامَ الرَّبِيعِ.

قال الخليل⁽²⁾: دَمَعَتِ العَيْنُ تَدْمَعُ دَمْعًا وَدَمْعًا وَدُمُوعًا. مِنْ قَالَ: دَمَعَتْ قَالَ: دَمَعًا، وَمِنْ قَالَ: دَمَعَتْ قَالَ: دَمْعًا. وَعَيْنٌ دَامِعَةٌ، وَالدَّمْعُ: مَاؤُهَا. وَالدَّمْعَةُ القَطْرَةُ. وَالدَّمْعُ: مَجْتَمَعُ الدَّمْعِ فِي نَوَاحِيهَا. يُقَالُ: فَاضَتْ مَدَامِعِي وَمَدَامِعِ

(2) العين.

(1) معجم مقاييس اللغة.

عيني . والماقيان من المدامع ، وكذلك المؤخران . وامرأة دَمِعَةٌ : سريعة الدمعة والبكاء ، وإذا قلت : ما أكثر دَمَعَتَهَا خَفَّتْ ، لأنَّ ذلك تأنيث الدمع .

ويقال للماء الصّافي : كأنه دَمِعة . والدَّمَاعُ من الثرى ما تراه يتحلّب عنه التدى ، أو يكاد . ودُمُاعُ الكرم ما يسيل منه أيام الربيع . والدَّمَاعُ : ما تحرك من رأس الصبيّ إذا ولد ما لم يشتدّ ، وهي اللَّماعة والغاذية أيضاً . وشجّة دامعة : تسيل دماً .

قال الجوهري⁽¹⁾ : الدَّمَعُ : دَمَعُ العين . والدَّمَعةُ القَطْرَةُ منه . ودَمَعَتِ العينُ تَدْمَعُ دَمْعاً ، ودَمِعَتْ بالكسر دَمْعاً : لغتُ حكاها أبو عبيدة . وامرأةٌ دَمِعةٌ : سريعةُ الدَّمَعةِ . والدَّمَاعةُ من الشجّاجِ بعد الدامية . والمَدَامِيعُ : المآقي ، وهي أطراف العين . والدَّمَاعُ بالضم : ماء العين من عِلَّةٍ أو كِبَرٍ ، ليس الدَّمَعُ .

في القرآن الكريم:

● قال تعالى : ﴿ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ ﴾ [التوبة: 92] .

قال الزمخشري⁽²⁾ : ﴿ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ ﴾ [المائدة: 83] كقولك : تفيض دمعاً ، وهو أبلغ من يفيض دمعها ، لأنّ العين جعلت كأن كلها دمع فائض ، و«من» للبيان كقولك : أفديك من رجل ، ومحل الجار والمجرور النصب على التمييز .

قال الشوكاني⁽³⁾ : ﴿ وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ ﴾ في محل نصب على الحال : أي تولوا عنك لما قلت لهم : لا أجد ما أحملكم عليه ، حال كونهم باكين .

(3) فتح القدير .

(1) الصحاح في اللغة .

(2) الكشاف .

قال أبو السعود⁽¹⁾: ﴿مِنَ الدَّمْعِ﴾ أي دمعاً، فإن من البيانية مع مجرورها في حيز النصب على التمييز وهو أبلغ من يفيض دمعها لإفادتها أن العين بعينها صارت دمعاً فياضاً، والجملة حالية.

قال الشعراوي⁽²⁾: وكلمة «تفيض أعينهم» توضح ما في قلب هؤلاء المؤمنين. والفيض دائماً للدموع، والدموع هي ماء حول العين يهيجه الحزن فينزل، فإذا اشتد الحزن ونفذ الدمع وجمدت العين عن البكاء؛ يؤخذ من سائل آخر فيقال: «بكيت دماً».



(2) تفسير الشعراوي.

(1) إرشاد العقل السليم.

دَمَغَ

(دَمَغَ - حَبَطَ - جَلَدَ - ضَرَبَ - صَكَ - وَكَنَ)

■ **الدَّمَغُ:** الضرب على الدماغ ﴿بَلْ نَقَّذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ﴾ [الأنبياء: 18].

■ **الْحَبَطُ:** ضرب الشيء على غير استواء ﴿الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ [البقرة: 275].

■ **الْجَلْدُ:** ضرب الشيء بالجلد ﴿فَأَجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾ [النور: 4].

■ **الضَّرْبُ:** ضرب الشيء بشيء يحدث صوتاً ﴿أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾ [البقرة: 60].

■ **الصَّكُّ:** ضرب الشيء بكلتا اليدين معاً ﴿فَصَكَتَ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ [الذَّارِيَات: 29].

■ **الْوَكْزُ:** ضرب الشيء بالعكس (أي مؤخرة اليد) بقوة ﴿فَوَكَّزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ﴾ [القَصص: 15].



النصوص اللغوية:

قال ابن فارس⁽¹⁾: الدال والميم والغين كلمة واحدة لا تتفرّع ولا يقاس عليها. فالدماغ معروف. ودَمَغْتُهُ ضَرْبَتُهُ عَلَى رَأْسِهِ حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى الدَّمَاعِ. وهي الدَّمَاعِة.

(1) معجم مقاييس اللغة.

قال الخليل⁽¹⁾: دَمَغ: الدَّمَغُ: كَسَرُ الصَّاقُورَةِ عَنِ الدِّمَاغِ. والقهر والأخذ من فوقِ دَمَغٌ أيضاً كما يَدَمَغُ الحقُّ الباطل. والدَامِغَةُ: طَلْعَةٌ تَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ شَطِيئَاتِ قَلْبِ النَّخْلَةِ: طَوِيلَةٌ صَلْبَةٌ، إِنْ تَرَكْتَ أَفْسَدَتِ النَّخْلَةَ، فَإِذَا عَلِمَ بِهَا امْتَصَحَتْ، أَيْ قَلِعَتْ وَنَزَعَتْ. والدَامِغَةُ: حَدِيدَةٌ يُشَدُّ بِهَا أَعْلَى آخِرَةِ الرَّحْلِ.

قال الجوهري⁽²⁾: الدِّمَاغُ: واحد الأَدْمِغَةِ. وقد دَمَعَهُ دَمْعًا: شَجَّهُ حَتَّى بَلَغَتِ الشَّجَّةُ الدِّمَاغَ؛ واسمُها الدَامِغَةُ. والدَامِغَةُ: طَلْعَةٌ تَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ شَطِيئَاتِ القَلْبِ طَوِيلَةٌ صَلْبَةٌ، إِنْ تُرِكَتْ أَفْسَدَتِ النَّخْلَةَ.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿بَلْ نَقَّذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ﴾ [الأنبياء: 18].

قال الألويسي⁽³⁾: ﴿فَيَدْمَغُهُ﴾ أي يمحقه بالكلية كما فعلنا بأهل القرى المحكية، وأصل الدمغ كسر الشيء الرخو الأجوف، وقد استعير للمحق. وجوز أن يكون هناك تمثيل لغلبة الحق على الباطل حتى يذهب برمي جرم صلب على رأس دماغه رخو ليشقه، وفيه إيحاء إلى علو الحق وتسفل الباطل وأن جانب الأول باق والثاني فان.

قال الماوردي⁽⁴⁾: قوله تعالى: ﴿بَلْ نَقَّذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

الأول: أن الحق الكلام المتبوع، والباطل المدفوع. ومعنى يدمغه أي يذهب ويهلكه كالمشجوج تكون دماغه في أم رأسه تؤدي لهلاكه.

(1) العين.
(2) الصحاح في اللغة.
(3) روح المعاني.
(4) النكت والعيون.

الثاني: أن الحق القرآن، والباطل إبليس.

الثالث: أن الحق المواعظ والباطل المعاصي، قاله بعض أهل الخواطر.

ويحتمل الرابع: أن الحق الإسلام، والباطل الشرك.

قال الفخر الرازي⁽¹⁾: والدمغ تصويراً لإبطاله فجعله كأنه جرم صلب

كالصخرة - مثلاً - قذف به على جرم رخو فدمغه.

قال الطبري⁽²⁾: ﴿فَيَدْمَغُهُ﴾ يقول: فيهلكه كما يدمغ الرجل الرجل بأن يشجّه

على رأسه شجة تبلغ الدماغ، وإذا بلغت الشجة ذلك من المشجوج لم يكن له بعدها حياة.

قال الشعراوي⁽³⁾: ﴿فَيَدْمَغُهُ﴾ أي: يصيبه في أهم الأعضاء وسيدها

والمتحكم فيها، لا في عضو آخر يمكن أن يُجبر.



(3) تفسير الشعراوي.

(1) التفسير الكبير.

(2) جامع البيان.

دينار

(دينار - درهم)

■ **الدينار:** الذهب المطبوع المتعامل به ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ﴾ [آل عمران: 75].

■ **الدرهم:** الفضة المطبوعة المتعامل بها ﴿وَشَرَّوْهُ بِشَمْنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾ [يوسف: 20].



النصوص اللغوية:

قال ابن فارس⁽¹⁾: الدال والنون والراء كلمة واحدة، وهي الدينار.

ويقولون: دَنَرٌ وَجْهٌ فُلَانٍ، إِذَا تَلَأَلَأَ وَأَشْرَقَ.

قال الخليل⁽²⁾: دَنَرٌ وَجْهٌ فُلَانٍ: إِذَا أَشْرَقَ وَتَلَأَلَأَ. وَدِينَارٌ مُدَنَّرٌ أَي: مَضْرُوبٌ دِينَاراً.

قال الجوهري⁽³⁾: المُدَنَّرُ مِنَ الْخَيْلِ: الَّذِي يَكُونُ فِيهِ نُكْتٌ فَوْقَ الْبَرَشِ.

قال الفيروزآبادي⁽⁴⁾: الدِّينَارُ، مَعْرَبٌ، أَصْلُهُ دِنَارٌ، فَأُبْدِلَ مِنْ إِحْدَاهُمَا يَاءٌ لِئَلَّا يَلْتَبَسَ بِالْمَصَادِرِ، كَكِذَابٍ وَتَفْسِيرُهُ فِي ح ب ب. وَالدِّينَارِيُّ: فَرَسٌ. وَدِينَارُ الْأَنْصَارِيِّ: صَحَابِيٌّ. وَعَمْرُو بْنُ دِينَارٍ: تَابِعِيٌّ، وَأَبُوهُ - قَيْلٌ - صَحَابِيٌّ.

(1) معجم مقاييس اللغة.

(2) العين.

(3) الصحاح في اللغة.

(4) القاموس المحيط.

والدِّينَوْرُ، بكسر الدال والمُدَنَرُ: فرسٌ فيه نُكْتُ فوقَ البَرَشِ. ودَنَرٌ وَجْهُهُ تَدْنِيرًا: تلاًلاً. ودينارٌ مُدَنَرٌ: مَضْرُوبٌ. ودَنَرٌ، بالضم، فهو مُدَنَرٌ: كَثْرَ دَنَائِرِهِ.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿وَمِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنٍ إِن تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنٍ إِن تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ﴾ [آل عمران: 75].

قال الفخر الرازي⁽¹⁾: المراد من ذكر القنطار والدينار ههنا العدد الكثير والعدد القليل، يعني أن فيهم من هو في غاية الأمانة حتى لو أوّتمن على الأموال الكثيرة أدى الأمانة فيها، ومنهم من هو في غاية الخيانة حتى لو أوّتمن على الشيء القليل، فإنه يجوز فيه الخيانة، ونظيره قوله تعالى: ﴿وَإِن أَرَدْتُمْ أَسْبَدَالَ زَوْجِ مَكَانِ زَوْجٍ وَاَتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا﴾ [النساء: 20] وعلى هذا الوجه، فلا حاجة بنا إلى ذكر مقدار القنطار، وذكروا فيه وجوهاً الأول: إن القنطار ألف ومائتا أوقية، قالوا: لأن الآية نزلت في عبد الله بن سلام حين استودعه رجل من قريش ألفاً ومائتي أوقية من الذهب فرده ولم يخن فيه، فهذا يدل على القنطار هو ذلك المقدار الثاني: روي عن ابن عباس أنه ملاً جلد ثور من المال الثالث: قيل القنطار هو ألف ألف دينار أو ألف ألف درهم، وقد تقدم القول في تفسير القنطار.

قال الطبري⁽²⁾: فتأويل الكلام: ومن أهل الكتاب الذي إن تأمنه يا محمد على عظيم من المال كثير، يؤدّه إليك، ولا يخنك فيه؛ ومنهم الذي إن تأمنه على دينار يخنك فيه، فلا يؤدّه إليك إلا أن تلحّ عليه بالتقاضي والمطالبة. والباء في

(1) التفسير الكبير.

(2) جامع البيان.

قوله: ﴿بِدِينَارٍ﴾، و«على» يتعاقبان في هذا الموضع، كما يقال: مررت به، ومررت عليه.

قال أبو السعود⁽¹⁾: ﴿مَنْ إِنْ تَأَمَّنْهُ بِقَنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ﴾ على أن المقصود بيانُ اتِّصافِهم بمضمون الجملة الشرطية لا كونهم ذواتِ المذكورين، كأنه قيل: بعضُ أهلِ الكتاب بحيث إن تأمَّنه بقنطارٍ أي بمالٍ كثيرٍ يؤدِّه إليك كعبد الله بن سلام استودعه قرشيَّ ألفاً ومائتي أوقية ذهباً فأداها إليه ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأَمَّنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ﴾ كفنحاص بن عازوراء استودعه قرشيَّ آخرَ ديناراً فجحده. وقيل: المأمونون على الكثير النصارى إذ الغالبُ فيهم الأمانة، والخائنون في القليل اليهودُ إذ الغالبُ فيهم الخيانة.



(1) إرشاد العقل السليم.

دنو

(دَنُو - قَرَب)

■ **الدُّنُو:** القرب بالذات إلى أبعد حدوده ﴿ثُمَّ دَنَا فَدَدَكَ﴾ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴿٩﴾ [النجم: 8-9].

■ **القَرَبُ:** ضيق المسافة بكافة الصيغ، من الزمان والمكان والخطوة والرعاية والقدرة ﴿وَلَا نَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الأنعام: 152].
﴿أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ [الأنبياء: 1].



النصوص اللغوية:

قال ابن فارس⁽¹⁾: الدال والنون والحرف المعتل أصلٌ واحد يُقاس بعضه على بعض، وهو المقارَبة. ومن ذلك الدَنِيُّ، وهو القَرِيب، من دنا يدنو. وسُمِّيت الدنيا لدنوِّها، والنسبة إليها دُنْيَاوِيٌّ. والدَنِيُّ من الرجال: الضعيف الدُونُ، وهو من ذلك لآنه قريب المأخذ والمنزلة. ودانَيْت بين الأمرين: قاربت بينهما. وهو ابن عمِّه دُنْيَا ودُنْيَاءٌ. والدَنِيُّ: الدُون، مهموز. يقال: رجلٌ دَنِيٌّ، وقد دُنُوَ يَدُنُو دَنَاءَةً. وهو من الباب أيضاً، لآنه قريب المنزلة. والأدْنَى من الرجال: الذي فيه انكبابٌ على صدره. وهو من الباب، لأنَّ أعلاه دانٍ من وسطه. وأدْنَتِ الفَرَسُ وغيرها: إذا دنا نتاجها. والدَنِيَّة: النقيصة. وجاء في الحديث: «إذا أكلتم فدُنُوا»

(1) معجم مقاييس اللغة.

أي: كلوا مما يليكم مما يدنو منكم. ويقال: لقيته أدنى دنيي، أي: أول كل شيء.

قال الخليل⁽¹⁾: والدنو، غير مهموز، دنا فهو دانٍ ودنيي، وسُميت الدنيا لأنها دنت وتأخرت الآخرة، وكذلك السماء الدنيا هي القربى إلينا.

ورجلٌ دُنياويٌّ، وكذلك النسبة إلى كل ياء مؤنثة نحو حُبلى ودهنا وأشباه ذلك.

وتقول: هو ابن عمه دُنيا ودُنِيَّةٌ أي: لَحَا. والمدني من الناس: الضعيف الذي إذا آواه الليل لم يبرح ضعفاً. وقد دَنَى فلان في نخله ومَنبته. ودانيت بين الشيين: قاربت بينهما، ودانيا لغة في دانيال اسم نبي من بني إسرائيل.

قال الجوهري⁽²⁾: دَنَوْتُ منه دُنُوًّا، وأدْنَيْتُ غيري. وسُميت الدنيا لدُنُوها؛ والجمع دُنَى والنسبة إليها دُنياويٌّ، ويقال: دُنْيويٌّ ودُنْيِيٌّ. ويقال: أدنت الناقة، إذا دنا نتاجها ودانيت بين الأمرين، أي: قاربت. وبينهما دناوةٌ، أي: قرابةٌ.

يقال: ما تزداد منا إلا قرباً ودناوةً. والدني: القريب، غير مهموز. وقولهم: لقيته أدنى دنيي، أي: أول شيء. وأما الدني بمعنى الدون فهو مهموز. ويقال: إنه ليدني في الأمور تدنيَّةً، أي: يتتبع صغيرها وخسيسها. وفي الحديث: «إذا أكلتم فدنوا» أي: كلوا مما يليكم. والمدني من الرجال: الضعيف. وتدني فلان، أي: دنا قليلاً قليلاً. وتدناوا، أي: دنا بعضهم من بعض.

المعنى المشترك لكلمة (د ن ا)

وقد وردت كلمة (دنا) في القرآن الكريم على أربعة أوجه:

الوجه الأول: أدنى يعني: أجدر ﴿وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا﴾ [البقرة:

[282].

(2) الصحاح في اللغة.

(1) العين.

الوجه الثاني: أدنى يعني: أقرب ﴿وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَذَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَأَعْلَمَهُم بِرَجْعَتِمْ﴾ [السَّجْدَة: 21].

الوجه الثالث: أدنى يعني: أقل ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا حَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَىٰ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾ [المجادلة: 7].

الوجه الرابع: أدنى يعني: دون ﴿أَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ [البقرة: 61].

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّخْلِ مِنَ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ﴾ [الأنعام: 99].

قال الزمخشري⁽¹⁾: ﴿دَانِيَةٌ﴾ سهلة المجتنى معرضة للقاطف، كالشيء الداني القريب المتناول؛ ولأنَّ النخلة وإن كانت صغيرة ينالها القاعد فإنها تأتي بالثمر لا تنتظر الطول. وقال الحسن: دانية قريب بعضها من بعض. وقيل: ذكر القريبة وترك ذكر البعيدة، لأنَّ النعمة فيها أظهر وأدلّ بذكر القريبة على ذكر البعيدة، كقوله: ﴿سَرَّيْلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ﴾ [النحل: 81].

قال القرطبي⁽²⁾: ﴿دَانِيَةٌ﴾ قريبة، ينالها القائم والقاعد. عن ابن عباس والبراء بن عازب وغيرهما. قال الزجاج: منها دانية ومنها بعيدة، فحذف؛ ومثله ﴿سَرَّيْلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ﴾ وخصَّ الدانية بالذكر، لأن من الغرض في الآية ذكر القدرة والامتنان بالنعمة، والامتنان فيما يقربُ متناوله أكثر.

قال الماوردي⁽³⁾: ﴿دَانِيَةٌ﴾ فيه قولان:

(3) النكت والعيون.

(1) الكشاف.

(2) الجامع لأحكام القرآن.

أحدهما: دانية من المجتني لقصر نخلها وقرب تناولها، قاله ابن عباس .
والثاني: دانية بعضها من بعض لتقاربها، قاله الحسن .

● قال تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ [التَّجْم: 8].

قال الفخر الرازي⁽¹⁾: وفيه وجوه مشهورة الوجه الأول: أن جبريل دنا من النبي ﷺ أي بعد ما مد جناحه وهو بالأفق عاد إلى الصورة التي كان يعتاد النزول عليها وقرب من النبي ﷺ، وعلى هذا ففي (تدلى) ثلاثة وجوه:

أحدها: فيه تقديم وتأخير تقديره ثم تدلى من الأفق الأعلى فدنا من النبي ﷺ. الثاني: الدنو والتدلي بمعنى واحد كأنه قال دنا فقرب. الثالث: دنا أي قصد القرب من محمد ﷺ وتحرك عن المكان الذي كان فيه فتدلى فنزل إلى النبي ﷺ. الوجه الثاني: على ما ذكرنا من الوجه الأخير في قوله: ﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى﴾ [التَّجْم: 7] أن محمداً ﷺ دنا من الخلق والأمة ولأن لهم وصار كواحد منهم ﴿فَتَدَلَّى﴾ أي فتدلى إليهم بالقول اللين والدعاء الرفيق فقال: ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ [فصلت: 6] وعلى هذا ففي الكلام كما لان كأنه تعالى قال إلا وحي يوحى جبريل على محمد، فاستوى محمد وكمل فدنا من الخلق بعد علوه وتدلى إليهم وبلغ الرسالة. الوجه الثالث: وهو ضعيف سخيف، وهو أن المراد منه هو ربه تعالى وهو مذهب القائلين بالجهة والمكان، اللهم إلا أن يريد القرب بالمنزلة، وعلى هذا يكون فيه ما في قوله ﷺ حكاية عن ربه تعالى: «من تقرب إليّ شبراً تقربت إليه ذراعاً، ومن تقرب إليّ ذراعاً تقربت إليه باعاً، ومن مشى إليّ أتيتته هرولة» إشارة إلى المعنى المجازي، وههنا لما بين أن النبي ﷺ استوى وعلا في المنزلة العقلية لا في المكان الحسي؛ قال وقرب الله منه تحقيقاً لما في قوله «من تقرب إليّ ذراعاً تقربت إليه باعاً».

قال أبو السعود⁽²⁾: ﴿ثُمَّ دَنَا﴾ أي أراد الدنو من النبي ﷺ عليهما الصلاة والسلام

(1) التفسير الكبير.

(2) إرشاد العقل السليم.

﴿فَدَلَّكَ﴾ أي استرسلَ من الأفقِ الأعلى مع تعلقٍ به فدنا من النبي، يقال تدلّت الثمرة ودلّي رجله من السريرِ وأدلى دلوّه، والدوّالي الثمرُ المعلقُ.

● قال تعالى: ﴿قَالَ أَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ [البقرة]:

[61].

قال الزجاج⁽¹⁾: معنى قوله أَسْتَبْدِلُونَ الذي هو أدنى، غير مَهْمُوزٍ: أي أَقْرَبُ، ومعنى أَقْرَبُ أَقْلُ قِيَمَةً، كما تقول ثوب مُقَارِبٌ، فأما الخسيس فاللغة فيه دَنُوٌّ دَنَاءَةٌ، وهو دَنِيٌّ بالهمز، وهو أدنأُ منه.

قال الطبري⁽²⁾: يعني بقوله: ﴿قَالَ أَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ قال لهم موسى: أتأخذون الذي هو أحسّ خطراً وقيمةً وقدراً من العيش، بدلاً بالذي هو خير منه خطراً وقيمةً وقدراً وذلك كان استبدالهم. وأصل الاستبدال: هو ترك شيء لآخر غيره مكان المتروك. ومعنى قوله: أدنى أحسّ وأوضع وأصغر قدراً وخطراً، وأصله من قولهم: هذا رجل دنيء بين الدناءة، وإنه ليذني في الأمور بغير همز إذا كان يتبع خسيسها. وقد ذكر الهمز عن بعض العرب في ذلك سماعاً منهم، يقولون: ما كنت دنياً ولقد دنأت. بهمز الداني، وأنه سمعهم يقولون: إنه لدانيء خبيث، بالهمز. فإن كان ذلك عنهم صحيحاً، فالهمز فيه لغة وتركه أخرى. ولا شك أن من استبدل باليمن والسلوى البقل والقثاء والعدس والبصل والثوم، فقد استبدل الوضيع من العيش بالرفيع منه. وقد تأول بعضهم قوله: ﴿الَّذِي هُوَ أَدْنَى﴾ بمعنى الذي هو أقرب، ووجه قوله: ﴿أَدْنَى﴾ إلى أنه أفعل من الدنو الذي هو بمعنى القرب. وبنحو الذي قلنا في معنى قوله: ﴿الَّذِي هُوَ أَدْنَى﴾ قاله عدد من أهل التأويل في تأويله.

وعن سعيد، عن قتادة قال: ﴿أَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾

يقول: أَسْتَبْدِلُونَ الذي هو شرّ بالذي هو خير منه؟

(2) جامع البيان.

(1) معاني القرآن.

● قال تعالى: ﴿ذَلِكَ أَدَّى أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ﴾ [المائدة: 108].

قال الفخر الرازي⁽¹⁾: والمعنى ذلك الحكم الذي ذكرناه والطريق الذي شرعناه أقرب إلى أن يأتوا بالشهادة على وجهها، وأن يأتوا بالشهادة لا على وجهها، ولكنهم يخافون أن يحلفوا على ما ذكروه لخوفهم من أن ترد أيمان على الورثة بعد أيمانهم، فيظهر كذبهم ويفتضحون فيما بين الناس.

قال أبو السعود⁽²⁾: ﴿أَدَّى أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهَهَا﴾ [المائدة: 108] أي أقرب أن يؤدي الشهود الشهادة على وجهها الذي تحمّلوها عليه من غير تحريف ولا خيانة خوفاً من العذاب الأخرى، وهذه كما ترى حكمة شرعية التحليف بالتغليظ المذكور.

قال ابن كثير⁽³⁾: ﴿ذَلِكَ أَدَّى أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهَهَا﴾ [المائدة: 108] أي: شرعية هذا الحكم على هذا الوجه المرضي؛ من تحليف الشاهدين الذميين، واستريب بهما، أقرب إلى إقامتهما الشهادة على الوجه المرضي.

● قال تعالى: ﴿ذَلِكَ أَدَّى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنَهُنَّ﴾ [الأحزاب: 51].

قال القرطبي⁽⁴⁾: ﴿ذَلِكَ أَدَّى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنَهُنَّ﴾ قال قتادة وغيره: أي ذلك التخيير الذي خيرناك في صحبتهن أدنى إلى رضاهن إذ كان من عندنا؛ لأنهن إذا علمن أن الفعل من الله قرّت أعينهن بذلك ورضين؛ لأن المرء إذا علم أنه لا حقّ له في شيء كان راضياً بما أوتي منه وإن قلّ، وإن علم أن له حقاً لم يقنعه ما أوتي منه، واشتدت غيرته عليه وعظّم حرصه فيه. فكان ما فعل الله لرسوله من تفويض الأمر إليه في أحوال أزواجه أقرب إلى رضاهن معه، وإلى استقرار أعينهن بما يسمح به لهن، دون أن تتعلق قلوبهن بأكثر منه.

(1) التفسير الكبير.

(3) تفسير ابن كثير.

(2) إرشاد العقل السليم.

(4) الجامع لأحكام القرآن.

قال أبو السعود⁽¹⁾: أي أقرب إلى قُرَّة عيونهنَّ ورضاهنَّ جميعاً لأنه حكمٌ كلُّهنَّ فيه سواءٌ ثم إنَّ سَوَّيَتْ بينهما وجدنَّ ذلك تفضلاً منك وإنَّ رجَّحت بعضهنَّ علمنَّ أنه بحكم الله فتطمئنَّ به نفوسهنَّ، وقُرء «تُقَرَّر» بضمِّ التاء ونصب أعينهنَّ و«تُقَرَّر» على البناء للمجهول، وكلهنَّ تأكيدٌ لنونٍ يرضينَ .

قال ابن عاشور⁽²⁾: الإشارة إلى شيء مما تقدم وهو أقرب، فيجوز أن تكون الإشارة إلى معنى التفويض المستفاد من قوله: ﴿تُرْجَى مِنْ نَشَاءٍ مِنْهُنَّ وَتُؤَيَّ إِلَيْكَ مَنْ نَشَاءُ﴾ [الأحزاب: 51]، ويجوز أن تكون الإشارة إلى الابتغاء المتضمن له فعل ﴿ابْتَغَيْتَ﴾ [الأحزاب: 51] أي فلا جناح عليك في ابتغائهن بعد عزلهن ذلك أدنى لأن تُقَرَّر أعينهنَّ. والابتغاء: الرغبة والطلب، والمراد هنا ابتغاء معايشة مَنْ عَزَلْنَهُنَّ.

● قال تعالى: ﴿يُدْنِيكَ عَلَيْنَّ مِنْ جَلْبِيهِنَّ﴾ [الأحزاب: 59].

قال الألويسي⁽³⁾: ﴿يُدْنِيكَ عَلَيْنَّ﴾ يرخين عليهن، يقال إذا زل الثوب عن وجه المرأة أدنى ثوبك على وجهك. وفسر ذلك سعيد بن جبير بيسدلن عليهن، وعندني أن كل ذلك بيان لحاصل المعنى، والظاهر أن المراد بـ«عليهنَّ» على جميع أجسادهن، وقيل: على رؤوسهن أو على وجوههن لأن الذي كان يبدو منهن في الجاهلية هو الوجه. واختلف في كيفية هذا التستر، فأخرج ابن جرير وابن المنذر وغيرهما عن محمد بن سيرين قال: سألت عبيدة السلماني عن هذه الآية ﴿يُدْنِيكَ عَلَيْنَّ مِنْ جَلْبِيهِنَّ﴾ فرجع ملحفة كانت عليه فتقع بها وغطى رأسه كله حتى بلغ الحاجبين وغطى وجهه وأخرج عينه اليسرى من شق وجهه الأيسر، وقال السدي: تغطي إحدى عينيها وجبهتها والشق الآخر إلا العين. وقال ابن عباس وقتادة: تلوي الجلباب فوق الجبين وتشده ثم تعطفه على الأنف وإن ظهرت

(1) إرشاد العقل السليم.

(2) التحرير والتنوير.

(3) روح المعاني.

عينها لكن تستر الصدر ومعظم الوجه . وفي رواية أخرى عن الحبر رواها ابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه تغطي وجهها من فوق رأسها بالجلباب وتبدي عيناً واحدة . وأخرج عبد الرزاق وجماعة عن أم سلمة قالت : لما نزلت هذه الآية ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبَابِهِنَّ﴾ خرج نساء الأنصار كأن على رؤوسهن الغربان من السكينة وعليهن أكسية سود يلبسناها .

قال الطبري⁽¹⁾ : يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ : يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين ، لا يتشبهن بالإماء في لباسهنّ إذا هن خرجن من بيوتهنّ لحاجتهنّ ، فكشفن شعورهنّ ووجوههنّ ، ولكن ليدنين عليهنّ من جلابيبهنّ ، لئلا يعرض لهنّ فاسق ، إذا علم أنهنّ حرائر بأذى من قول . ثم اختلف أهل التأويل في صفة الإدناء الذي أمرهنّ الله به ، فقال بعضهم : هو أن يغطين وجوههنّ ورؤوسهنّ ، فلا يبدين منهنّ إلا عيناً واحدة .

قال الشعراوي⁽²⁾ : ومعنى : الإدناء : تقريب شيء من شيء ، ومن ذلك قوله تعالى في وصف ثمار الجنة ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ [الحاقة : 23] أي : قريبة التناول سهلة الجنّي ، والمراد : يُدنين جلابيبهن أي : من الأرض لتستر الجسم . وقوله : ﴿عَلَيْهِنَّ﴾ يدل على أنها تشمل الجسم كله ، وأنها ملفوفة حوله مسدولة حتى الأرض .



(2) تفسير الشعراوي .

(1) جامع البيان .

دَهْرٌ

(دَهْرٌ - حِقْبٌ - أَمْدٌ - سَرْمَدٌ - أَبَدٌ - فَتْرَةٌ)

■ **الدَّهْرُ:** الدهر هو زمن الدنيا منذ أن خلقها الله ﷻ إلى أن تقوم الساعة من حيث أن الآخرة ليس فيها زمن مطلقاً وإنما الزمن من قوانين هذه الدنيا، حتى البرزخ ليس فيه زمن ولذلك فإن الذي مات قبل مليون سنة والذي سيموت قبل القيامة بدقيقتين لهما شعور واحد ﴿قَالَ كَمْ لَبِئْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ﴾ (١١٢) قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسَلِّ الْعَاذِينَ ﴿١١٣﴾ [المؤمنون: 112-113].

فالدَّهْرُ إذن زمن الدنيا، وفي بعض استعمالات اللغة يقال: أن كل إنسان له دهره وأنت لك عمرك ودهرك، وكان من العرب من يقول: أنا الدهر ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان: 1].

■ **الحِقْبَةُ/بالكسر:** مدة جيل من الناس ثمانون سنة ﴿لَبِئْسَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ [التين: 23].

■ **الأَبَدُ:** الزمن الممتد المتروك الذي لا آخر له ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا﴾ [التوبة: 84].

■ **الأمْدُ:** الزمن الممتد وله آخر ﴿تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ [آل عمران: 30].

■ **السَّرْمَدُ:** دوام الزمن واتصاله من ليل أو نهار ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا﴾ [الفصص: 71].

■ **الفترة:** السكون الطويل بين نشاطين ﴿يَبِّئُ لَكُمْ عَلَى فِتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ﴾

[المائدة: 19].



النصوص اللغوية:

قال ابن فارس⁽¹⁾: الدال والهاء والراء أصل واحد، وهو الغلبة والقهر. وسُمِّي الدهرُ دَهْرًا لأنه يأتي على كلِّ شيءٍ وَيَغْلِبُهُ. فأما قولُ النبي ﷺ: «لا تَسْبُوا الدَّهْرَ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ»، فقال أبو عبيد: معناه أن العرب كانوا إذا أصابتهم المصائب قالوا: أبادنا الدهرُ، وأتى علينا الدهرُ، وقد ذكروا ذلك في أشعارهم، ويقال: دَهْرٌ دَهِيرٌ، كما يقال: أبدُ أبدٍ. وفي كتاب العين: دَهْرُهُمْ أَمْرٌ، أي نزل بهم. ويقولون: ما دَهْرِي كذا، أي: ما هَمَّتِي. وهذا توسعٌ في التفسير، ومعناه: ما أشغل دَهْرِي به. فأما الهمةُ فما تُسَمَّى دَهْرًا. والدَّهْوَرَةُ جَمْعُ الشَّيْءِ وَقَدْفُهُ فِي مَهْوَاةٍ؛ وهو قياس الباب.

قال الخليل⁽²⁾: والدَّهْرُ: النَّازِلَةُ. دَهْرُهُمْ أَمْرٌ، أي: نَزَلَ بِهِمْ مَكْرُوهٌ. وما دَهْرِي كذا وكذا، أي: ما هَمَّتِي. والدَّهْوَرَةُ: جَمْعُ الشَّيْءِ ثُمَّ قَدْفُهُ فِي مَهْوَاةٍ. وقوله: «لا تَسْبُوا الدَّهْرَ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ» يعني: ما أصابك من الدَّهْرِ فَاللَّهُ فَاعِلُهُ، ليس الدَّهْرُ، فإذا سَبَّبتِ الدَّهْرَ أَرَدْتَ بِهِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ.

قال الجوهري⁽³⁾: الدَّهْرُ: الزمان.

ويجمع على دُهورٍ. ويقال: الدَّهْرُ: الأبدُ. وقولهم: دَهْرٌ وَاهِرٌ، كقولهم: أبدأُ أبدأُ.

(3) الصحاح في اللغة.

(1) معجم مقاييس اللغة.

(2) العين.

وقولهم: دَهْرٌ دَهَارِيْرٌ، أي شديدٌ، كقولهم: لَيْلَةٌ لَيْلَاءٌ، وَنَهَارٌ أَنْهَرٌ، وَيَوْمٌ أَيَّوْمٌ، وَسَاعَةٌ سَوَاعَاءٌ.

ويقال: لا آتِيكَ دَهْرَ الدَّاهِرِيْنَ، أي: أبداً. وفي الحديث: «لا تَسُبُّوا الدَّهْرَ فَإِنَّ الدَّهْرَ هُوَ اللهُ»، لأنهم كانوا يُضَيِّفُونَ النَوَازِلَ إِلَيْهِ، فقليل لهم: لا تَسُبُّوا فاعلَ ذلك بكم، فإن ذلك هو الله تعالى. ويقال: دَهْرَ بِهِمْ أَمْرٌ، أي نزل بهم. وما ذاك بِدَهْرِيٍّ، أي عادتي. وما دَهْرِيٌّ بِكذا، أي هَمَّتِي. والدَّهْرِيُّ بِالضَّمِّ: المُسِنَّ. والدَّهْرِيُّ بِالْفَتْحِ: المُلْحِدُ.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ﴾ [الإنسان: 1].

قال ابن عاشور⁽¹⁾: ﴿الدَّهْرِ﴾: الزمان الطويل أو الزمان المقارن لوجود العالم الدنيوي.

قال الزمخشري⁽²⁾: ﴿حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ﴾ طائفة من الزمن الطويل الممتد.

قال الطبري⁽³⁾: ﴿حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ﴾ اختلف أهل التأويل في قدر هذا الحين الذي ذكره الله في هذا الموضع، فقال بعضهم: هو أربعون سنة، وقالوا: مكثت طينة آدم مصورة لا تنفخ فيها الروح أربعين عاماً، فذلك قدر الحين الذي ذكره الله في هذا الموضع، قالوا: ولذلك قيل: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَّذْكُوراً﴾ [الإنسان: 1] لأنه أتى عليه وهو جسم مصور لم تنفخ فيه الروح أربعون عاماً، فكان شيئاً، غير أنه لم يكن شيئاً مذكوراً، قالوا: ومعنى قوله: ﴿لَمْ يَكُنْ

(3) جامع البيان.

(1) التحرير والتنوير.

(2) الكشاف.

شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴿[الإنسان: 1]﴾: لم يكن شيئاً له نباهة ولا رفعة، ولا شرف، إنما كان طيناً لآزباً وحمماً مسنوناً.

وقال آخرون: لا حدّ للحين في هذا الموضع، وقد يدخل هذا القول من أن الله أخبر أنه أتى على الإنسان حين من الدهر، وغير مفهوم في الكلام أن يقال: أتى على الإنسان حين قبل أن يوجد، وقبل أن يكون شيئاً، وإذا أُريد ذلك قيل: أتى حين قبل أن يُخلق، ولم يقل أتى عليه. وأما الدهر في هذا الموضع، فلا حدّ له يوقف عليه.

● قال تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ [الجاثية: 24].

قال الفخر الرازي⁽¹⁾: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ يعني تولد الأشخاص إنما كان بسبب حركات الأفلاك الموجبة لامتزاجات الطبائع، وإذا وقعت تلك الامتزاجات على وجه خاص حصلت الحياة، وإذا وقعت على وجه آخر حصل الموت، فالموجب للحياة والموت تأثيرات الطبائع وحركات الأفلاك، ولا حاجة في هذا الباب إلى إثبات الفاعل المختار، فهذه الطائفة جمعوا بين إنكار الإله وبين إنكار البعث والقيامة.

قال ابن عطية⁽²⁾: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ أي طول الزمان هو المهلك، لأن الآفات تستوي فيه كمالاتها، فنفى الله تعالى علمهم بهذا وأعلم أنها ظنون وتخرصات تفضي بهم إلى الإشراك بالله تعالى. و«الدَّهْرُ» و«الزمان» تستعمله العرب بمعنى واحد. وفي قراءة ابن مسعود: «وما يهلكنا إلا دهر يمر». وقال مجاهد: ﴿الدَّهْرُ﴾ هنا الزمان، وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «كان أهل الجاهلية يقولون: إنما يهلكنا الليل والنهار»، ويفارق هذا الاستعمال قول

(2) المحرر الوجيز.

(1) التفسير الكبير.

النبي ﷺ: «لا تسبوا الدهر، فإن الله تعالى هو الدهر» وفي حديث آخر: «قال الله تعالى يسب ابن آدم الدهر، وأنا الدهر بيدي الليل والنهار».

ومعنى هذا الحديث: فإن الله تعالى يفعل ما تنسبونه إلى الدهر وتسبونه بسبه.

قال ابن عجيبة⁽¹⁾: ﴿وَمَا يُهْلِكُ إِلَّا الدَّهْرُ﴾ إلا مرور الزمان، وهو في الأصل: مدة بقاء العالم، من: دَهْرَةٌ: إذا غَلَبَهُ، وكانوا يزعمون أن مرور الزمان بالليالي والأيام هو المؤثر في هلاك الأنفس، وينكرون ملك الموت، وقبضه الأرواح بأمر الله تعالى، وكانوا يُضيفون كلَّ حادثة تحدث إلى الدهر والزمان.

فإن كان تُبَعًّا المتقدم؛ فنسبة الفعل إلى الدهر مجاز، كما سيأتي، وعقيدة الموحدين ألا فاعل إلا الله، فالدهر مُسَخَّرٌ بأمر الله وقدرته، بل هو من أسرار الله وأنوار صفاته، ولذلك قال ﷺ: «لا تسبوا الدهر، فإن الله هو الدهر». وقال ﷺ: «قال الله تعال: يُؤذيني ابنُ آدم، يَسُبُّ الدَّهْرَ، وأنا الدهر، بيدي الأمر، أُقَلِّبُ الليلَ والنهارَ»⁽²⁾.



(2) أخرجه البخاري ومسلم.

(1) البحر المديد.

دَهَقَ

(دَهَقَ - مَلَأَ)

- **الدَّهَقُ**: الملية بشراب بنفس الشارب ويذهله ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ [النَّبِيَّ: 34].
- **الملية**: الذي شغله ما فيه بكل جوانبه.



النصوص اللغوية:

قال ابن فارس⁽¹⁾: الدال والهاء والقاف يدلُّ على امتلاءٍ في مجيءٍ ودَّهابٍ واضطرابٍ. يقال: أَدَهَقْتُ الكَأْسَ: ملأتُها. قال الله تعالى: ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ [النَّبِيَّ: 34]. والدَّهْدَقَةُ: دَوْرَانُ البَضْعَةِ الكبيرة في القِدْرِ، تَعْلُو مَرَّةً وَتَسْفَلُ أُخْرَى.

قال الخليل⁽²⁾: الدَّهَقُ: خشبتان يُغْمَزُ أو يُعَصَّرُ بهما السَّاقُ، وادَّهَقْتِ الحِجَارَةَ ادِّهَاقًا، وهو شِدَّةٌ تَلَازِمُهَا، وَدُخُولُ بَعْضِهَا فِي بَعْضٍ.

وكَأْسٌ دِهَاقٌ: مَلَأَى. وَأَدَهَقْتُهَا: شَدَدْتُ مَلَأَهَا. والدَّهْدَقَةُ: دَوْرَانُ البِضْعِ الكثير في القدر إذا غَلَّتْ، تراها تَعْلُو مَرَّةً وَتَسْفَلُ أُخْرَى.

قال الجوهري⁽³⁾: أَدَهَقْتُ الكَأْسَ: ملأتُها. وكَأْسٌ دِهَاقٌ، أي: ممتلئةٌ.

وأَدَهَقْتُ المَاءَ، أي: أفرغته إفراغاً شديداً. قال أبو عمرو: الدَّهَقُ بالتحريك: ضربٌ من العذاب وهو بالفارسية أَشْكَنْجَه. ودَهَقْتُ الشَّيْءَ: كسرتُه وقطعته.

(3) الصحاح في اللغة.

(1) معجم مقاييس اللغة.

(2) العين.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ [النِّبَا: 34].

قال الطبري⁽¹⁾: ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ يقول: وكأساً ملأى متتابعة على شاربها بكثرة وامتلاء، وأصله من الدَّهَق: وهو متابعة الضغط على الإنسان بشدة وعنف، وكذلك الكأس الدهاق: متابعتها على شاربها بكثرة وامتلاء. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. وعن قتادة ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ قال: الدهاق: المَلَأَى المُتْرَعَةَ.

وقال آخرون: الدَّهَاق: الصافية.

وقال آخرون: بل هي المتتابعة.

وعن معمر، قال: قال سعيد بن جبير في قوله: ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ دهاقاً: المتتابعة.

قال الفخر الرازي⁽²⁾: وفي الدهاق أقوال: الأول وهو قول أكثر أهل اللغة كأبي عبيدة والزجاج والكسائي والمبرد، و﴿دِهَاقًا﴾ أي ممتلئة، دعا ابن عباس غلاماً له فقال: اسقنا دهاقاً، فجاء الغلام بها ملأى، فقال ابن عباس: هذا هو الدهاق، قال عكرمة، ربما سمعت ابن عباس يقول: اسقنا وادهق لنا. القول الثاني: دهاقاً أي متتابعة وهو قول أبي هريرة وسعيد بن جبير ومجاهد، قال الواحدي: وأصل هذا القول من قول العرب: أدهقت الحجارة إدهاقاً وهو شدة تلازمها ودخول بعضها في بعض، ذكرها الليث، والمتتابع كالمتداخل. القول الثالث: يروى عن عكرمة أنه قال: ﴿دِهَاقًا﴾ أي صافية، والدهاق على هذا القول يجوز أن يكون جمع داهق، وهو خشبتان يعصر بهما، والمراد بالكأس الخمر،

(2) التفسير الكبير.

(1) جامع البيان.

قال الضحاك: كل كأس في القرآن فهو خمر، التقدير: وخمراً ذات دهاق، أي عصرت وصفيت بالدهاق.

قال الخازن⁽¹⁾: ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ قال ابن عباس: مملوءة مترعة، وقيل متتابعة، وقيل صافية.



(1) لباب التأويل.

دَهْمٌ

(دَهْمٌ - حَوِيٌّ - خَضِرٌ)

- **الدُّهْمَةُ:** سواد الفرس وسواد الليل وسواد الجنان الواسعة الخضرة كأرض العراق ﴿مُدْهَامَتَانِ﴾ [الرَّحْمَنُ: 64].
- **الحَوِيُّ:** السواد البالي المنطفئ ﴿فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى﴾ [الأعلى: 5].
- **الخضرة:** الورق الأخضر الناعم كالورد ﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا﴾ [الأنعام: 99].



النصوص اللغوية:

قال ابن فارس⁽¹⁾: الدال والهاء والميم أصلٌ يدلُّ على غشيانِ الشَّيءِ في ظلامٍ ثم يتفرَّع فيستوي الظَّلامُ وغيره، يقال مرَّ دَهْمٌ من اللَّيْلِ، أي: طائفةٌ. والدُّهْمَةُ السَّواد. والدُّهَيْمَاءُ: تصغير الدَّهْمَاءِ، وهي الدَّاهِيَةُ، سُمِّيت بذلك لإظلامها. ومن الباب الدَّهْمُ: العدد الكثير. وادَّهَمَ الزَّرْعُ: إذا علاه السَّوادُ رِيًّا. قال الله جلَّ ثناؤه في صِفَةِ الْجَنَّتَيْنِ: ﴿مُدْهَامَتَانِ﴾، أي: سوداوانِ في رأي العين، وذلك للرِّيِّ والخُضرة. ودَهَمَتَهُمُ الخيلُ تدهمُهُمُ: إذا غَشِيَتْهُمُ. والدَّهْمَاءُ القِدْرُ.

قال الجوهري⁽²⁾: دَهْمُهُمُ الأمرُ يَدَهْمُهُمُ. وقد دَهَمَتْهُمُ الخيلُ، قال أبو عبيدة: ودَهَمَتْهُمُ بالفتح لغةٌ. والدَّهْمُ العدد الكثير، والجمع الدَّهْمُ.

(1) معجم مقاييس اللغة.

(2) الصحاح في اللغة.

والدَّهْمَةُ: السَّوَادُ. يُقَالُ: فَرَسٌ أَذْهَمٌ، وَبَعِيرٌ أَذْهَمٌ، وَنَاقَةٌ دَهْمَاءٌ. وَأَذْهَمَ الْفَرَسُ إِذْهِمَامًا، أَي: صَارَ أَذْهَمَ، وَأَذْهَمَ الشَّيْءُ إِذْهِمَامًا، أَي: اسْوَدَّ. قَالَ تَعَالَى: ﴿مُدَّهَامَتَانِ﴾، أَي: سَوْدَاوَانِ مِنْ شِدَّةِ الْخُضْرَةِ مِنَ الرَّيِّ. وَالْعَرَبُ تَقُولُ لِكُلِّ أَخْضَرٍ أَسْوَدٌ. وَالدَّهْمَاءُ الْقِدْرُ. وَالْوَطْأَةُ الدَّهْمَاءُ: الْقَدِيمَةُ. وَالدَّهْمَاءُ سَخْنَةُ الرَّجُلِ. وَالشَّاةُ الدَّهْمَاءُ: الْحَمْرَاءُ الْخَالِصَةُ الْحَمْرَةَ. وَدُهْمَاءُ النَّاسِ: جَمَاعَتُهُمْ. وَالدَّهْيَمَاءُ: تَصْغِيرُ الدَّهْمَاءِ، وَهِيَ الدَّاهِيَةُ، سَمِّيَتْ بِذَلِكَ لِإِظْلَامِهَا. وَيُقَالُ لِلْقَيْدِ: الْأَذْهَمُ. وَالدَّهْيَمُ وَأُمُّ الدَّهْيَمِ، مِنْ أَسْمَاءِ الدَّوَاهِي.

قَالَ الْفَيْرُوزَابَادِيُّ⁽¹⁾: الدَّهْمَةُ، بِالضَّمِّ: السَّوَادُ. وَالْأَذْهَمُ: الْأَسْوَدُ، وَالْجَدِيدُ مِنَ الْآثَارِ، وَالْقَدِيمُ الدَّارِسُ، ضِدُّهُ، وَالِدَهْمُ مِنَ الْبَعِيرِ: الشَّدِيدُ الْوُرْقَةُ حَتَّى يَذْهَبَ الْبَيَاضُ، وَهِيَ دَهْمَاءٌ. وَقَدْ أَذْهَمَ الْفَرَسُ إِذْهِمَامًا: صَارَ أَذْهَمَ. وَأَذْهَمَ الشَّيْءُ إِذْهِمَامًا: اسْوَدَّ، وَالْقَيْدُ.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿مُدَّهَامَتَانِ﴾ [الرَّحْمَنُ: 64].

قال الفخر الرازي⁽²⁾: ﴿مُدَّهَامَتَانِ﴾ أي مخضرتان في غاية الخضرة، وأذهام الشيء أي اسود لكن لا يستعمل في بعض الأشياء، والأرض إذا اخضرت غاية الخضرة تضرب إلى أسود، ويحتمل أن يقال: الأرض الخالية عن الزرع يقال لها: بياض أرض وإذا كانت معمورة يقال لها: سواد أرض كما يقال: سواد البلد، وقال النبي ﷺ: «عليكم بالسواد الأعظم ومن كثر سواد قوم فهو منهم». والتحقيق فيه أن ابتداء الألوان هو البياض وانتهائها هو السواد، فإن الأبيض يقبل كل لون والأسود لا يقبل شيئاً من الألوان، ولهذا يطلق الكافر على الأسود ولا

(2) التفسير الكبير.

(1) القاموس المحيط.

يطلق على لون آخر، ولما كانت الخالية عن الزرع متصفة بالبياض واللاخالية بالسواد، فهذا يدل على أنهما تحت الأولين مكاناً، فهم إذا نظروا إلى ما فوقهم، يرون الأفنان تظلمهم، وإذا نظروا إلى ما تحتهم يرون الأرض مخضرة.

قال الزمخشري⁽¹⁾: ﴿مُدْهَامَتَانِ﴾ قد ادهامتا من شدة الخضرة.

قال البغوي⁽²⁾: ناعمتان سوداوان من ريتهما وشدة خضرتهما، لأن الخضرة إذا اشتدت ضربت إلى السواد، يقال: ادهام الزرع إذا علاه السواد رياً ادهيماماً فهو مدهام.

قال الألويسي⁽³⁾: وقوله تعالى: ﴿مُدْهَامَتَانِ﴾ صفة لجنتين وسط بينها الاعتراض لما تقدم من التنبيه على أن تكذيب كل من الموصوف والصفة حقيق بالإنكار والتوبيخ أو خبر مبتدأ محذوف أي هما مدهامتان من الدهمة، وهي في الأصل على ما قال الراغب سواد الليل، ويعبر عن سواد الفرس وقد يعبر بها عن الخضرة كاملة اللون كما يعبر عنها بالخضرة إذا لم تكن كاملة وذلك لتقاربهما في اللون، ويقال: ادهام ادهيماماً فهو مدهام على وزن مُفْعَال إذا اسود أو اشتدت خضرته، وفسرها هنا ابن عباس ومجاهد وابن جبير وعكرمة وعطاء بن أبي رباح وجماعة بخضراوان، بل أخرج الطبراني وابن مردويه «عن أبي أيوب رضي الله تعالى عنه قال: سألت النبي ﷺ عن قوله تعالى: ﴿مُدْهَامَتَانِ﴾ فقال عليه الصلاة والسلام: خضراوان» والمراد أنهما شديدتا الخضرة، والخضرة إذا اشتدت ضربت إلى السواد وذلك من الري من الماء. كما روي عن ابن عباس وابن الزبير وأبي صالح قيل: إن في وصف هاتين الجنتين بما ذكر إشعاراً بأن الغالب عليهما النبات والرياحين المنبسطة على وجه الأرض كما أن في وصف السابقتين بذواتا أفنان إشعاراً بأن الغالب عليهما الأشجار، فإن الأشجار توصف بأنها ذوات أفنان والنبات يوصف بالخضرة الشديدة، فالإقتصار في كل منهما على أحد الأمرين

(1) أساس البلاغة.

(2) معالم التنزيل.

(3) روح المعاني.

مشعر بما ذكر، وبُنِيَّ على هذا كون هاتين الجنتين دون الأوليين في المنزلة والقدر، كيف لا والجنة الكثيرة الظلال والثمار أعلى وأعلى من الجنة القليلة الظلال والثمار، ومن ذهب إلى تفضيل هاتين الجنتين مع اختصاص الوصف بالخضرة بالنبات وكذا كونه أغلب من وصف الأشجار به، فكثيراً ما تسمع الناس يقولون إذا مدحوا بستاناً أشجاره خضر يانعة وهو أظهر في مدحه بأنه ذو ثمار من ذي أفنان، وهو يشعر أيضاً بكثرة مائه والاعتناء بشأنه وبعده عن التصوح والهلاك.



دُهْنٌ

(دُهْنٌ - زَيْتٌ - مُهْلٌ - شَحْمٌ)

- **الدُّهْنُ:** خلاصة الزبدة والذرة ﴿تَبَّتْ بِالذَّهْنِ وَصَبِغَ لِلْأَكْلِينَ﴾ [المؤمنون: 20].
- **الدَّهَانُ:** دُرْدِيّ الزيت ﴿وَرَدَّةٌ كَالدَّهَانِ﴾ [الرحمن: 37].
- **الزَّيْتُ:** عَصَارَةُ الزَيْتُونِ ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ﴾ [الثور: 35].
- **المُهْلُ:** الزيت الفاسد المحروق الزيت المغلي ﴿كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ﴾ [الدخان: 45].
- **الشَّحْمُ:** مصدر الدهن في الجسم الحي ﴿وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا﴾ [الأنعام: 146].



دَهْن

(دَهْن - لَائِن - نَافِق - رَأَى)

- **الْمُدَاهَنَةُ:** تبرير الباطل لذي سلطان ﴿وَدُّوا لَوْ تَدَّهْنُ فَيُدَّهِنُونَ﴾ [القلم: 9].
- **الْمَلَايِنَةُ:** كلامٌ لئِن مع مجرم أو مبتدع خوفاً منه، من الذين قال تعالى فيهم: ﴿وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ [التوبة: 123].
- **النِّفَاقُ:** إظهار الإيمان وإبطان الكفر ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾ [المنافقون: 1].
- **الرِّيَاءُ:** المظاهرة بالطاعات لوجه الناس والسمعة.



شرح المعاني:

الشرك نوعان: شرك خفي وشرك علني. الشرك العلني هو أن تجعل لله نداً وهو خلقك، وهذا النوع من الشرك يخرج المشرك من المِلَّة ولا يغفر ذنبه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: 48]. أمَّا الشرك الخفي أو الشرك الأصغر فهو الذي يحبط العمل ولا يُخرج من المِلَّة وتكون أعمالك صالحة لكنك لم تقصد بها وجه الله تعالى. الشرك الأكبر له صيغة واحدة أما الشرك الأصغر فيأخذ عدة صور وصيغ، هي: المداهنة، الملاينة، النفاق والرياء. وهي أبرز عناصر الشرك الخفي التي حدّر منه الرسول ﷺ ويضاف إليه الشهوة الخفية. نبيّن الفروق بين هذه الكلمات القرآنية:

المداهنة: ﴿وَدُّوا لَوْ نُدَّهِنُ فَيُدَّهِنُونَ﴾ [القلم: 9] هي أن تبرر الباطل: حاكم أو جماعة تبنت باطلاً ليس له نافذة على الحق وليس له وجه أن يبرر فيأتي واحد من الناس يجامل هذا الحاكم فيعطيه فتوى. المداهنة هي تبرير الباطل لقوي تطمع في عطائه. في بعض الدول الإسلامية نصوا أن للذكر مثل حظ الأنثى وخالفوا ما جاء في القرآن أن للذكر مثل حظ الأنثيين وقالوا أن الأنثى في هذه الأيام تخرج للعمل وتساعد الرجل فليس هناك حاجة أن يكون حظ الذكر ضعف حظها، وهذا باطل قطعاً لأن فيه مخالفة لنص من القرآن الكريم، لكن يأتي بعض الناس ويبررون ويقولون هذا جائز وليس هناك حاجة لأن يكون للذكر مثل حظ الأنثيين. فالمداهنة هي إيجاد الترخيص لمحظور. المشركون ودوا لو أن الرسول ﷺ يقرّ لهم ببعض باطلهم من عباداتهم ﴿وَدُّوا لَوْ نُدَّهِنُ فَيُدَّهِنُونَ﴾. المداهنة هي فتوى من تبرير باطل من عالم مفكر يجد تبريراً لباطل مطلق.

أن تمدح فعلاً باطلاً أمام صاحبه لتطمع في عطائه يسمى مداهنة أيضاً.

الملاينة: كلام لئِن مع مجرم قاتل خائن جاسوس تلاينه وتلاطفه في الكلام، هذا يسمى ملاينة. المفروض أن تغلظ القول لهؤلاء وأمثالهم كمن احتلّ وطنك، والقرآن الكريم أوصانا ﴿وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾. شعوب العالم تغلظ القول والفعل لمن ينتهك حرماها وأعراضها ولمن يسمونهم عملاء. والملاينة نوعان: نوع محمود ونوع مذموم. قال تعالى: ﴿فِيمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ﴾ [آل عمران: 159] هذه ملاينة محمودة فانت تغفر ذنوب شعبك لكن ذنوب عدوك تقابلها بغلظة.

النفاق: عقيدة. أن تبطن الكفر وتظهر الإسلام وهذا كل من يوهمك بأنه مسلم وهو في الباطن كافر. قال تعالى: في سورة المنافقون ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ النفاق هو أن لا تؤمن بما تجاهر به وإنما تعني العكس ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بِعَضُوبِهِمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَنُحَدِّثُوكُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ

رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿البَقَرَة: 76﴾ هذا المنافق في الدرك الأسفل من النار ﴿إِنَّ
الْمُنْفِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [النِّسَاء: 145].

الرياء: عمل، تصلي صلاة أمام الناس في غاية الروعة ولا لشيء إلا ليقال
فلان ورع تقي، تبنى مساجد أو تنفق مالك ليس لوجه الله وإنما ليقال فلان منفق
سخي. وفي الحديث عن الرسول ﷺ عن أول من تسعر بهم النار: «عالم ومنفق
وشهيد». كل واحد من هؤلاء كان عمله للناس وليس لوجه الله تعالى. ﴿الَّذِينَ هُمْ
يُرَاءُونَ﴾ [الماعون: 6] ﴿وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا
بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا سَاءَ قَرِينًا﴾ [النِّسَاء: 38].

إذن المداهنة فتوى أو مدح على فعل باطل (ترخيص)، والملاينة بالكلام
الطيب مع عدو، والنفاق عقيدة أن تظهر عكس ما تبطن، والرياء عمل لا يقصد به
وجه الله تعالى.

هذه المنظومة أخطر منظومات الذنوب. كل الذنوب لها باب وهي تنبثق من
حالة معينة. كل شريحة من شرائح العاملين تختلف ذنوبهم عن ذنوب الشرائح
الأخرى، ففي مجال السياسة الذنوب أكثرها من الظلم والجور والخيانة، في
الوظيفة أخطر الذنوب الرشوة والضرر بمصالح الناس عمداً، وأخطر ذنوب
التجارة الغش والاحتكار والظلم، وأخطر ذنوب العلم الكبر والعجب وممالة
السلطان وأن يكسب العالم بعلمه أجراً في الدنيا «شرّ الناس من طلب الدنيا بعمل
الآخرة» والحسد والبغضاء، وأخطر ذنوب الحرب الهروب والتولي يوم الزحف،
وأخطر ذنوب الأسرة عقوق الوالدين ولأهميته جاء ذكره في حديث الثلاثة التي لا
ينفع معها عمل وذكر من ضمنها عقوق الوالدين. وأخطر الذنوب في العبادات:
الرياء. إذن أخطر هذه المنظومات هي الشرك الأصغر وليس فوقها إلا الشرك
الأكبر. الإنسان مخلوق من طين يترقى ليصبح كريستالاً ويتدنى ليصبح وحلاً
وهناك فرق بين الاثنين. بالتوحيد يترقى الطين إلى كريستال ولو تأملت بعقلك
البسيط في نفسك وفيما حولك تترقى ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذَّارِيَات: 21].
لكن أن تداهن أو تلاين عدواً أو تنافق أو ترائي فهذا يحيلك وحلاً.

انظر إلى نفسك ما أنت ومن أنت، يأتي حاكم أو قوي ذو جاه وسلطان يصدر أمراً باطلاً مطلقاً ثم يأتي من يبرر له هذا! هناك من كتب القرآن بالدم فيبر أحدهم هذا الفعل الشنيع وغاب عن باله أن الدم نجس ولا يجوز كتابة القرآن به لكنه فعله مدهنة لحاكم ذي قوة وسلطان. كفار قريش لم يكونوا منافقين بل كان عندهم رجولة ولو بإصرارهم على الكفر لكنهم لم يبطنوا شيئاً ويظهروا شيئاً آخر كأبي لهب وأميه بن خلف وغيرهم.

هذه المنظومة من أحسن الذنوب، والرسول ﷺ قال في حديثه: «لا أخشى عليكم إلا الشرك الأصغر والشهوة الخفية» والشهوة الخفية هي ما يحصل في رمضان وهذه ظاهرة، رجل صالح صائم يلاعب امرأته في يوم رمضان إلى أن جامعها وهو يعلم أن إفتار يوم في رمضان عمداً لا يكفره صيام الدهر، فالشهوة الخفية قوية وقاهرة.

المدهنة والملاينة:

دهن من المشترك اللفظي.

الدَّهْنُ: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَبِغٍ لِلْأَكْلِينَ﴾ [المؤمنون: 20]: عندنا دهن وزيت ومُهَل: الدَّهْنُ هو دُرْدِيُّ الزَّيْتِ وهو الجزء الصلب، والزيت هو الجزء السائل، والمُهَل هو الزيت المغلي.

وعندنا دَهْن: دَهْنٌ وَصَبِغٌ وَلَوْنٌ: دَهْنٌ لَوْنٌ وَاحِدٌ لَامِعٌ وَالصَّبِغُ إِذَا كَانَ مَرَّةً وَاحِدَةً وَلَيْسَ لَامِعاً ﴿صَبَّغَهُ اللَّهُ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صَبَّغَهُ وَنَحْنُ لَهُ عَبِيدُونَ﴾ [البقرة: 138] يعني تصبغ جداراً بلون واحد كله. ولَوْنٌ إِذَا كَانَ أَكْثَرَ مِنْ لَوْنٍ فَهُوَ تَلْوِينٌ ﴿قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾ [البقرة: 69].

دهن: المُدَاهِنُ يَبْرِرُ الْبَاطِلَ بِالْفَتْوَى أَوْ الْمَدِيحِ، وَالْمَلَايِنَةُ الْكَلَامُ الْمَعْسُولُ مَعَ مَنْ يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَظَ لَهُ الْقَوْلُ. وَالنَّفَاقُ عَقِيدَةٌ إِخْفَاءُ كُفْرٍ وَإِظْهَارُ إِيمَانٍ. وَالرِّيَاءُ

أن تعمل أعمالاً عظيمة لكن بقصد الرياء وليس لوجه الله تعالى كأن تجعل أعمالك لشخص تجعله والله تعالى سواء ﴿إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشُّعْرَاءُ: 98]. والمداهنة والنفاق والرياء كله باطل لا يوجد نفاق صالح ولا رياء صالح ولا مداهنة صالحة. أما الملاينة فيوجد ملاينة محمودة وأخرى مذمومة، فالملاينة المذمومة تلك التي تكون مع من ينبغي أن تزجره كسارق سرق سرقة تُقَطَّعُ بها يده لا تقول له بارك الله فيك أو تعذره. والملاينة هي الوحيدة في المنظومة التي فيها نوعان وقد تكون الملاينة مَع من يستحقها عبادة عظيمة وفضيلة تماماً كعدم الملاينة مع من لا يستحقها. الغلظة مع اللصوص والزناة فضيلة وعدم الغلظة مع من يقوم بخطأ بسيط فضيلة. جعفر الصادق كان له خادم، فمن هيئته (وكل آل البيت لهم هيئة خاصة) سكب الخادم عليه الطعام ففزع الخادم فما كان من جعفر الصادق إلا أن قال له: أنت حرٌّ لوجه الله. وفي الحديث أَنَّ الرسول عليه الصلاة والسلام قال: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غَرْفًا يُرَى بَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا» قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: «لمن أُعْطِيَ الطَّعَامَ وَأَلَانَ الْكَلَامِ». «الكلمة اللينة صدقة». لين الكلام مع الناس والجيران والأهل ومع من أساء إليك من مفاتيح الجنة. فالملاينة كما قال ﷺ: «خياركم أَلَايْنِكُمْ مَنَاكِبُ» أي الذي إذا طلب منه أخوه في المسجد أن يتحرك قليلاً لِرِصِّ الصَّفوفِ وَسَدِّ الفرج ينصاع بسهولة ولين ولا يتأبى. والرسول ﷺ كان ألين ما يكون مع المذنبين، والله تعالى أرسل لفرعون الذي ادعى الألوهية نبين «موسى وهارون ﷺ» وأوصاهما ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْسَ لَنَا لَكَ إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه: 44].

جئى برجل يشرب الخمر إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام فقال عمر: ما أكثر ما يؤتى به فغضب الرسول عليه الصلاة والسلام وقال: «لا تكونوا عون الشيطان على أحيكم». كلما كان الإنسان ليناً مع صاحب الذنب كلما كان هذا أَدْعَى أن يتوب المذنب. قال ابن مسعود: لا تحاسبوا الناس كأنكم أرباب. وفي الحديث عن عائشة رضي الله عنها: أن رجلاً استأذن على النبي عليه الصلاة والسلام فقال: «اثنوا له، فلبس ابن العشييرة» أو بئس رجل العشييرة، فلما دخل

عليه ألان له القول. قالت عائشة: فقلت: يا رسول الله قلت له الذي قلت ثم أنت له القول؟! قال: «يا عائشة، إن شر الناس منزلة يوم القيامة من ودّعه - أو تركه - الناس اتّقاء فحشه».

هذه تثير مسألة التقيّة أو التقيّة وهي أن تظهر للآخرين غير ما تبطن في حالات معينة. بعض المذاهب أطلقتته على كل شيء كما في نكاح المتعة وهذا خطأ وبعض المذاهب حرّمته مطلقاً وهذا خطأ أيضاً. إذا كنت متأكداً أن شخصاً يؤذيك في سمعتك وهو ذو قوة يمكنه أن يؤذيك يمكنك أن تتقيه ﴿إِلَّا أَنْ تَكْفُوا مِنْهُمْ تَقِيَّةً﴾ [آل عمران: 28]. فالتقية تجب في بعض الحالات إذا دفعت عن نفسك شراً.

النفاق أخصّ من المرض فالمرض فيه البغض والحسد والحقد والنفاق. الرسول عليه الصلاة والسلام شهد لأهل اليمن بأنهم ألين قلوباً وهي شهادة هي لهم إلى يوم القيامة: «أتاكم أهل اليمن هم ألين قلوباً وأرقّ أفئدة، الإيمان يمانى والحكمة يمانية». وفي الحديث رَبُّظُّ بَيْنَ الْإِيمَانِ وَالْحِكْمَةِ فَالِلَّيْنِ عِلَامَةٌ مِنَ عِلَامَاتِ الْإِيمَانِ.

قال أحدهم لأبي أمامة: علّمني ألين كلمة سمعتها عن رسول الله عليه الصلاة والسلام. قال أبو أمامة: سمعت رسول الله عليه الصلاة والسلام يقول: «ألا كلكم يدخل الجنة إلا من شرد عن الله شرود البعير عن أهله».

كل من يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله، وكل من كان يوحد الله تعالى ومن أهل الصلاة يدخل الجنة إلا من شرد على الله شرود البعير أي: لم يعد ينتمي للأمة واصطف إلى جانب الأعداء. وهذا الحديث بشارة أن الله تعالى يغفر الذنوب ما لم يُصِرُّ المذنب. ما دام يوحد الله توحيداً أكبر وأصغر كما في الحديث: «لا أخاف من أن تشركوا من بعدي أبداً».

من متّ ليس مشركاً شركاً خفياً؟ لا بد أنه عملنا عملاً اغترينا به أو أحدهم مدحنا فأثار فينا العجب والكبر. لكن الله تعالى يقول: ﴿وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ

مَنْ حَرَجَ ﴿[الْحَجَّ: 78] من عظمة هذا الدين أن هناك كفارة لكل ما عمّت به البلوى، فعلى سبيل المثال شرع لنا كفارة المجلس فَمَهَمَا حصل في المجلس من لغط يكفّر بقول: «سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله أنت أستغفرك وأتوب إليك». يكفّر الله تعالى بهذا الدعاء كل من كان في مجلسه لغط. وكذلك الشرك الخفي، فكل من كان له عبادة يعبد الله تعالى بها ويعجب بنفسه يقول: «اللهم إني أعوذ بك من أن أشرك بك شيئاً أعلمه وأستغفرك من شيء لا أعلمه».

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس⁽¹⁾: الدال والهاء والنون أصلٌ واحد يدلُّ على لِينٍ وسُهولةٍ وقِلَّةٍ. من ذلك الدُّهْن. ويقال: دَهَنْتُهُ أَذْهَنُهُ دَهْنًا. والدَّهَان ما يُدْهَن به. قال الله ﷻ: ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ [الرَّحْمَن: 37]. قالوا: هو دُرْدِيُّ الزَّيْت. ويقال: دَهَنَهُ بالعصا دَهْنًا، إذا ضربه بها ضرباً خفيفاً. ومن الباب: الإدهان، من المُدَاهِنَةِ، وهي المصانعة. دَاهَنْتُ الرَّجُلَ: إذا وارتته وأظهرت له خلاف ما تُضْمِرُ له، وهو من الباب، كآته إذا فعل ذلك فهو يدهنه ويسكّن منه. وأذْهَنْتُ إِدْهَانًا: عَشَشْتُ، ومنه قوله جلّ ثناؤه: ﴿وَدُّوْا لَوْ تَدَّهِنُ فَيَدَّهِنُونَ﴾ [القَلَم: 9]. ما يُجْعَل فيه الدُّهْن، وهو أحد ما جاء على مُفْعَلٍ مما يُعْتَمَلُ وأَوَّلُهُ ميم. ومن التشبيه به المُدْهِنُ: نُفْرَةٌ في الجبل يَسْتَنْقِعُ فيها الماء، ومن ذلك حديث النَّهْدِيِّ: «نَشِفَ المُدْهِنُ، وَيَبَسَ الجِعْثُنُ». والدَّهِيْنُ: الناقة القليلة الدَّر. ودَهَنَ المطرُ الأَرْضَ: بَلَّهَا بَلًّا يَسِيرًا. وبنو دُهْنٍ: حيٌّ من العرب، وإليهم ينسب عَمَارُ الدُّهْنِيِّ. والدَّهْنَاء موضعٌ، وهو رملٌ لِينٌ، والنسبة إليها دَهْنَاوِيٌّ.

(1) معجم مقاييس اللغة.

قال الخليل⁽¹⁾: الدُّهْنُ: الاسم. والدَّهْنُ: الفِعْلُ المُجَاوِزُ، والادِّهَانُ: الفعل اللازم. وناقَةٌ دَهِينٌ: قليلةُ اللَّبَنِ حَدًّا يُمَرَى ضَرْعُهَا فلا يَدِرُّ قَطْرَةً.

والدُّهْنُ من المَطَرِ: قَدْرٌ ما يُبَلُّ وَجَهَ الأَرْضِ. والادِّهَانُ: اللَّيْنُ والمُصَانَعَةُ. قال الله تعالى: ﴿وَدُّوْا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾. أي: تَلِينُ لَهُم فَيَلِينُونَ. والمُدَاهِنُ: المُصَانِعُ المُوَارِبُ. وأصل المُدْهِنُ: مِدْهَنٌ، فلَمَّا كَثُرَ على الألسُنِ ضَمَّوهُ، مثل المُنْخَلِ. وكلُّ مَوْضِعٍ حَفَرَهُ سَيْلٌ، أو ماءٌ واكِفٌ في حجر فهو: مُدْهِنٌ. والدَّهْنَاءُ: مَوْضِعٌ كُلُّهُ رَمْلٌ، والنَّسْبَةُ إِلَيْهَا: دَهْنَاوِيٌّ.

قال الجوهري⁽²⁾: الدُّهْنُ معروف. والدَّهَانُ: الأديم الأحمر، ومنه قوله تعالى: ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ [الرَّحْمَنُ: 37]، أي: صارت حمراء كالأديم، من قولهم: فرس وردٌ، والأُنثَى وردةٌ.

والدَّهَانُ أيضاً: جمع دُهْنٍ. يقال: دَهَنْتُهُ بالدِّهَانِ أَذْهَنْتُهُ. وتَدَهَّنَ هو وأَدَهَّنَ أيضاً، على افتعل، إذا تطلَّى بالدُّهْنِ. ودَهَنْتُهُ بالعِصَا: ضَرَبْتُهُ بِهَا. والدَّهَانُ أيضاً: المطر الضعيف، واحدها دُهْنٌ بالضم. عن أبي زيد. ودَهَنَ المطرُ الأرضَ: إذا بَلَّهَا بَلًّا يسيراً. يقال: دَهَنَهَا وَلِيٌّ، وهي مَدْهُونَةٌ. وقومٌ مَدَهَّنُونَ، بتشديد الهاء: عليهم آثار النِّعَمِ. والمُدْهِنُ بالضم لا غير: قارورة الدُّهْنِ. وتَمَدَهَّنَ الرجلُ، إذا أخذ مُدْهِنًا. والجمع مَدَاهِنٌ. والمُدْهِنُ نَقْرَةٌ في الجبل يستنقع فيها الماء. والمُدَاهِنَةُ كالمصانعة. والادِّهَانُ مثله، قال الله تعالى: ﴿وَدُّوْا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ وقال قومٌ: دَاهَنْتُ بمعنى واريْتُ، وأَذَهَنْتُ بمعنى غَشَشْتُ. وناقَةٌ دَهِينٌ: قليلة اللبن.

وقد دَهَنْتِ الناقَةُ تَدْهِنُ دَهَانَةً.

(2) الصحاح في اللغة.

(1) العين.

المعنى المشترك لكلمة (دهن)

وقد وردت كلمة (دهن) في القرآن الكريم على وجهين:

الوجه الأول: الدهان يعني الجلد الأحمر ﴿فَإِذَا أَنْشَقَّتِ السَّمَاءَ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ [الرَّحْمَنُ: 37].

الوجه الثاني: الدهن بعينه ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِلْأَكْلِينَ﴾ [المؤمنون: 20].

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ﴾ [المؤمنون: 20].

قال الطبري⁽¹⁾: الدهن الذي هو من ثمره الزيت، وعن عليّ كرم الله وجهه، عن ابن عباس، قوله: ﴿تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ﴾ يقول: هو الزيت يؤكل ويُدهن به.

قال البيضاوي⁽²⁾: ﴿تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ﴾ أي تنبت ملتبساً بالدهن ومستصحباً له، ويجوز أن تكون الباء صلة معدية لـ ﴿تَنْبُتُ﴾ كما في قولك: ذهب بزيد، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب في رواية ﴿تَنْبُتُ﴾ وهو إما أن أنبت بمعنى نبت. أو على تقدير ﴿تَنْبُتُ﴾ زيتونها ملتبساً بالدهن، وقرئ على البناء للمفعول وهو كالأول وتثمر بالدهن وتخرج بالدهن وتخرج الدهن وتنبت بالدهان.

قال ابن عطية⁽³⁾: «الدهن» بحذف الباء ونصبه، وقرأ سليمان بن عبد الملك والأشهب «بالدهان» بالألف والمراد في هذه الآية تعديد نعمة الزيت على الإنسان

(3) المحرر الوجيز.

(1) جامع البيان.

(2) أنوار التنزيل.

وهي من أركان النعم التي لا غنى بالصحة عنها ويدخل في معنى الزيتون شجر الزيت كله على اختلافه بحسب الأقطار وقرأت فرقة .

● قال تعالى: ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ [الرَّحْمَنُ: 37].

قال ابن كثير⁽¹⁾: ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ كالفرس الورد. وقال العوفي عن ابن عباس: تغير لونها. وقال أبو صالح: كالبرذون الورد، ثم كانت بعد كالدّهان. وحكى البغوي وغيره: أن الفرس الورد تكون في الربيع صفراء، وفي الشتاء حمراء، فإذا اشتد البرد، تغير لونها. وقال الحسن البصري: تكون ألواناً. وقال السدي: تكون كلون البغلة الوردية، وتكون كالمهل كدردي الزيت. وقال مجاهد: ﴿كَالدِّهَانِ﴾ كألوان الدهان. وقال عطاء الخراساني: كلون دهن الورد في الصفرة. وقال قتادة: هي اليوم خضراء، ويومئذ لونها إلى الحمرة يوم ذي ألوان. وقال أبو الجوزاء: في صفاء الدهن. وقال ابن جريج: تصير السماء كالدهن الذائب، وذلك حين يصيبها حر جهنم.

قال ابن الجوزي⁽²⁾: وفي الدهان قولان: أحدهما: أنه واحد، وهو الأديم الأحمر، قاله ابن عباس. والثاني: أنه جمع دهن، والدهن تختلف ألوانه بخضرة وحمرة وصفرة، حكاها اليزيدي، وإلى نحوه ذهب مجاهد. وقال الفراء: شبه تلون السماء بتلون الوردية من الخيل، وشبه الوردية في اختلاف ألوانها بالدهن.

● قال تعالى: ﴿أَفِيْهِذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ﴾ [الواقعة: 81].

قال الزمخشري⁽³⁾: ﴿أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ﴾ أي: متهاونون به، كمن يدهن في الأمر، أي يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاوناً به.

قال القرطبي⁽⁴⁾: ﴿أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ﴾ أي مكذبون؛ قاله ابن عباس وعطاء

(1) تفسير ابن كثير.

(2) زاد المسير.

(3) الكشاف.

(4) الجامع لأحكام القرآن.

وغيرهما. والمُدْهِن الذي ظاهره خلاف باطنه، كأنه شَبَّه بالدُّهْن في سهوله ظاهره. وقال مقاتل بن سليمان وقتادة: مُدْهِنُونَ كافرون؛ نظيره: ﴿وَدُّوا لَوْ نَدَّهْنُ فَيَدَّهِنُونَ﴾ [القلم: 9]. وقال المؤرِّج: المدْهِن المنافق أو الكافر الذي يُلِين جانبه لِيُخْفِي كَفْرَهُ، والإدْهَان والمدَاهِنَةُ التَّكْذِيبُ والكُفْرُ والنِّفَاقُ، وأصله اللَّيْنُ، وأن يُسِرَّ خِلافَ ما يَظْهَرُ.

وأدْهِن ودَاهِن واحد. وقال قوم: دَاهِنْت بِمَعْنَى وَايَرْتِ وَأَدْهِنْت بِمَعْنَى عَشَّشْتِ. وقال الضحاك: «مُدْهِنُونَ» معرضون. قال مجاهد: ممالئون الكفار على الكفر به. قال ابن كيسان: المدْهِن الذي لا يعقل ما حَقَّ اللهُ عَلَيْهِ وَيَدْفَعُهُ بِالْعِلْلِ. وقال بعض اللغويين: مدهنون تاركون للجزم في قَبُولِ الْقُرْآنِ.

قال الماوردي⁽¹⁾: وفي قوله مدهنون أربعة تأويلات: الأول: مكذبون.

الثاني: معرضون.

الثالث: ممالئون الكفار على الكفر به.

الرابع: منافقون في التصديق به حكاه ابن عيسى.

● قال تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ نَدَّهْنُ فَيَدَّهِنُونَ﴾ [القلم: 9].

قال الفخر الرازي⁽²⁾: المسألة الأولى: الإدْهَانُ اللَّيْنُ والمِصْنَاعَةُ والمُقَارِبَةُ فِي الْكَلَامِ. قال المبرد: دَاهِنُ الرَّجُلِ فِي دِينِهِ وَدَاهِنٌ فِي أَمْرِهِ إِذَا خَانَ فِيهِ وَأَظْهَرَ خِلافَ ما يَظْمُرُ، والمعنى تترك بعض ما أنت عليه مما لا يرضونه مصانعة لهم فيفعلوا مثل ذلك ويتركوا بعض ما لا ترضى فتلين لهم ويلينون لك. وروى عطاء عن ابن عباس: لو تكفر فيكفرون.

المسألة الثانية: إنما رفع ﴿فَيَدَّهِنُونَ﴾ ولم ينصب بإضمار أن وهو جواب التمني؛ لأنه قد عدل به إلى طريق آخر وهو أن جعل خبر مبتدأ محذوف أي فهم يدهنون.

(2) التفسير الكبير.

(1) النكت والعيون.

قال أبو السعود⁽¹⁾: ﴿وَدُّوا لَوْ تَدَهَّنُوا﴾ فَإِنَّهُ تَعْلِيلٌ لِلنَّهْيِ أَوْ لِلانْتِهَاءِ وَإِنَّمَا عَبَّرَ عَنْهَا بِالطَّاعَةِ لِلْمَبَالِغَةِ فِي الزَّجْرِ وَالتَّنْفِيرِ أَيْ أَحْبَبُوا لَوْ تَلَايَنُهُمْ وَتَسَامَحُهُمْ فِي بَعْضِ الْأُمُورِ ﴿فَيُدْهِنُونَ﴾ أَيْ فَهُمْ يُدْهِنُونَ حِينَئِذٍ أَوْ فَهُمْ الْآنَ يُدْهِنُونَ طَمَعًا فِي إِدْهَانِكَ، وَقِيلَ هُوَ مَعْطُوفٌ عَلَى تَدَهَّنُ دَاخِلٌ فِي حَيْزِ «لَوْ» وَالْمَعْنَى وَدُّوا لَوْ يُدْهِنُونَ عَقِيبَ إِدْهَانِكَ، وَيَأْبَاهُ مَا سِيَّاتِي مِنْ بَدَائِهِمْ بِالْإِدْهَانِ عَلَى أَنْ إِدْهَانَهُمْ أَمْرٌ مُحَقَّقٌ لَا يَنَاسِبُ إِدْخَالَهُ تَحْتَ التَّمَنِّيِّ، وَأَيًّا مَا كَانَ فَالْمَعْتَبَرُ فِي جَانِبِهِمْ حَقِيقَةُ الْإِدْهَانِ الَّذِي هُوَ إِظْهَارُ الْمَلَائِنَةِ وَإِضْمَارُ خِلَافِهَا، وَأَمَّا فِي جَانِبِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَالْمَعْتَبَرُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى وَدَادَتِهِمْ هُوَ إِظْهَارُ الْمَلَائِنَةِ فَقَطُّ وَأَمَّا إِضْمَارُ خِلَافِهَا فَلَيْسَ فِي حَيْزِ الْاِعْتِبَارِ بَلْ هُمْ فِي غَايَةِ الْكِرَاهَةِ لَهُ إِنَّمَا اِعْتِبَارُهُ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَفِي بَعْضِ الْمَصَاحِفِ فَيُدْهِنُونَا عَلَى أَنَّهُ جَوَابُ التَّمَنِّيِّ الْمَفْهُومِ مِنْ «وَدُّوا» أَوْ أَنْ مَا بَعْدَهُ حِكَايَةُ لَوْ دَادَتِهِمْ، وَقِيلَ عَلَى أَنَّهُ عَطْفٌ عَلَى تَدَهَّنُ بِنَاءٍ عَلَى أَنَّ «لَوْ» بِمَنْزِلَةِ إِنْ النَّاصِبَةِ فَلَا يَكُونُ لَهَا جَوَابٌ وَيَنْسَبُ مِنْهَا وَمِمَّا بَعْدَهَا مَصْدَرٌ يَقَعُ مَفْعُولًا «وَدُّوا» كَأَنَّهُ قِيلَ وَدُّوا أَنْ تَدَهَّنَ فَيُدْهِنُونَا، وَقِيلَ لَوْ عَلَى حَقِيقَتِهَا وَجَوَابِهَا وَكَذَا مَفْعُولٌ وَدُّوا أَيْ وَدُّوا إِدْهَانَكَ لَوْ تَدَهَّنُ فَيُدْهِنُونَا لَسُرُّوا بِذَلِكَ.



(1) إرشاد العقل السليم.

دَابَّ

(دَابَّ - جَدَّ - دَاوَمَ)

- **الدَّابُّ / الدَّابُّ:** مداومة العمل بِجِدٍّ ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ﴾ [إبراهيم: 33].
- **الجِدُّ:** العمل الناجح المنصف المتقن.
- **الدَّوَامُ:** امتداد الزمان على العمل النافع ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ [المائدة: 117].



النصوص اللغوية:

- قال ابن فارس⁽¹⁾: الدال والهمزة والباء أصلٌ واحد يدلُّ على ملازمةٍ ودوام. فالدَّابُّ: العادة والشَّان. قال الفراء: الدَّابُّ، أصله من دَأَبْتُ، إلا أنَّ العربَ حَوَّلَت معناه إلى الشَّان. ودَأَبَ الرَّجُلُ في عمله: إذا جَدَّ. وأدَأَبْتُهُ أنا إذ دَأَبًا. والدَّائِبَانِ: اللَّيْلُ والنَّهَارُ.
- قال الجوهري⁽²⁾: دَأَبَ فلان في عمله، أي: جَدَّ وتعب، دَأَبًا ودُؤُوبًا، فهو دَائِبٌ. وأدَأَبْتُهُ أنا. والدَّائِبَانِ: اللَّيْلُ والنَّهَارُ. والدَّابُّ: العادة والشَّان، وقد يُحَرِّكُ. قال الفراء: أصله من دَأَبْتُ، إلا أنَّ العربَ حَوَّلَت معناه إلى الشَّان.
- قال الفيروزآبادي⁽³⁾: دَأَبَ في عَمَلِهِ، كَمَنَعَ، دَأَبًا، ويُحَرِّكُ، ودُؤُوبًا،

(3) القاموس المحيط.

(1) معجم مقاييس اللغة.

(2) الصحاح في اللغة.

بالضم: جَدَّ وَتَعَبَ، وَأَدَابَهُ. وَالِدَابُّ، أَيْضاً وَيُحَرَّكُ: الشَّانُ، وَالْعَادَةُ، وَالسَّوْقُ الشَّدِيدُ، وَالطَّرْدُ. وَالِدَائِبَانِ: الْجَدِيدَانِ. وَدَوَابُّ، كَجَوْهَرٍ: فَرَسٌ لِبَنِي الْعَبْرِ.
وَبَنُو دَوَابٍ: قَبِيلَةٌ. وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ دَابٍ: م، وَمُحَمَّدُ بْنُ دَابٍ: كَذَّابٌ، وَعِيسَى بْنُ يَزِيدَ بْنِ دَابٍ: هَالِكٌ.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ﴾ [إبراهيم: 33].

قال الطبري⁽¹⁾: ﴿دَائِبَيْنِ﴾ في اختلافهما عليكم. وقيل: معناه: أنهما دائبان في طاعة الله.

عن عكرمة، عن ابن عباس، في قوله: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ﴾ قال: دَوُّوبُهُمَا فِي طَاعَةِ اللَّهِ.

قال الفخر الرازي⁽²⁾: ﴿دَائِبَيْنِ﴾ معنى الدَّوْبُ فِي اللُّغَةِ مَرُورِ الشَّيْءِ فِي الْعَمَلِ عَلَى عَادَةِ مَطْرَدَةٍ، يُقَالُ دَابُّ يَدَابُّ دَابًّا، وَدَوْبًا وَقَدْ ذَكَرْنَا هَذَا فِي قَوْلِهِ: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَابًّا﴾ [يوسف: 47] قال المفسرون: قوله: ﴿دَائِبَيْنِ﴾ معناه يدابان في سيرهما وإنارتهما وتأثيرهما في إزالة الظلمة وفي إصلاح النبات والحيوان، فإن الشمس سلطان النهار والقمر سلطان الليل ولولا الشمس لما حصلت الفصول الأربعة، ولولاها لاختلفت مصالح العالم بالكلية، وقد ذكرنا منافع الشمس والقمر بالاستقصاء في أول هذا الكتاب.

● قال تعالى: ﴿كَذَّابٍ ءَالٍ فِرْعَوْنَ﴾ [آل عمران: 11].

(2) التفسير الكبير.

(1) جامع البيان.

قال ابن عطية⁽¹⁾: الدَّابُّ والدَّابُّ، بسكون الهمزة وفتحها، مصدر دَابَّ يدَابُّ - إذا لازم فعل شيء ودام عليه مجتهداً فيه، ويقال للعادة - دَابُّ - فالمعنى في الآية، تشبيه هؤلاء في لزومهم الكفر ودوامهم عليه بأولئك المتقدمين، وآخر الآية يقتضي الوعيد بأن يصيب هؤلاء مثل ما أصاب أولئك من العقاب.

والكاف في قوله: ﴿كَذَّابٍ﴾ في موضع رفع، التقدير: دَابَّهُمْ ﴿كَذَّابٍ﴾، ويصح أن يكون الكاف في موضع نصب، قال الفراء: هو نعت لمصدر محذوف تقديره كَفَرًا ﴿كَذَّابٍ﴾.

قال الماوردي⁽²⁾: قوله ﴿كَذَّابٍ﴾: ﴿كَذَّابٍ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن الدَّابُّ: العادة، (أي) كعادة آل فرعون والذين من قبلهم.
والثاني: أن الدَّابُّ هنا الاجتهاد، مأخوذ من قولهم: دَابَّتْ فِي الْأَمْرِ، إذا اجتهدت فيه.

فإذا قيل إنه العادة ففيما أشار إليه من عادتهم وجهان:

أحدهما: كعادتهم في التكذيب بالحق.

والثاني: كعادتهم من عقابهم على ذنوبهم.

وإذا قيل إنه الاجتهاد، احتمل ما أشار إليه من اجتهادهم وجهين:

أحدهما: كاجتهادهم في نصره الكفر على الإيمان.

والثاني: كاجتهادهم في الجحود والبهتان.

وفيمن أشار إليهم أنهم كدَّابُّ آل فرعون قولان:

أحدهما: أنهم مشركو قريش يوم بدر، كانوا في انتقام الله منهم لرسوله والمؤمنين، كآل فرعون في انتقامه منهم لموسى وبني إسرائيل، فيكون هذا على القول الأول تذكيراً للرسول والمؤمنين بنعمة سبقت، لأن هذه الآية نزلت بعد بدر

(2) النكت والعيون.

(1) المحرر الوجيز.

استدعاء لشكرهم عليها، وعلى القول الثاني وعداً بنعمة مستقبلية لأنها نزلت قبل قتل يهود بني قينقاع، فحقق وعده وجعله معجزاً لرسوله .

قال أبو السعود⁽¹⁾: ﴿كَذَابٍ ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾ الدَابُّ مصدر دَابَّ في العمل إذا كدح فيه وتعب غلب استعماله في معنى الشَّان والحال والعادة، ومحلُّ الكاف الرفعُ على أنه خبرٌ لمبتدئٍ محذوفٍ وقد جُوِّزَ النصبُ بـ «لن تغني» أو بالوقود، أي لن تغني عنهم كما لم تغني عن أولئك أو توقد بهم النار كما توقد بهم، وأنت خبير بأن المذكور في تفسير الدَابُّ إنما هو التَكْذِيبُ والأخذ من غير تعرُّض لعدم الإغناء لا سيما على تقدير كون «مِنْ» بمعنى البدل كما هو رأيُ المجوِّز، ولا لإيقاد النار فيُحمل على التعليل وهو خلافُ الظاهر على أنه يلزَمُ الفصلُ بين العامل والمعمول بالأجنبي على تقدير النصب بأن تغني وهو قوله تعالى: ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ وَقُودُ النَّارِ﴾ [آل عمران: 10] إلا أن يُجعل استثناءً معطوفاً على خبر إن فالوجهُ هو الرفعُ على الخبرية أي دَابُّ هؤلاء في الكفر وعدم النجاة من أخذ الله تعالى وعذابه كدَابَّ آل فرعون .



(1) إرشاد العقل السليم .

دَارٌ

(دَارٌ - بُرْجٌ - قَصْرٌ - بَيْتٌ - حِصْنٌ)

- **الدَّارُ:** البيت الذي تطول فيه مدة سكن صاحبه به حتى يدور عليه جيل فيعرف بأهله ﴿سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الأعراف: 145].
- **الْبُرْجُ:** البناء الصخري العالي لحراسته بيوت الملوك والمراقبة العالية ﴿وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ﴾ [النساء: 78].
- **الْقَصْرُ:** المسكن المشيد بأسباب البقاء للأولاد والأحفاد. ﴿وَقَصْرِ مَّشِيدٍ﴾ [الحج: 45].
- **الْبَيْتُ:** مأوى الإنسان، يبيت فيه في الليل فيقال «بات». ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا﴾ [النمل: 52].
- **الْحِصْنُ:** غرف على امتداد السور للمراقبة ﴿وَوَظَنُوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ﴾ [الحشر: 2].



النصوص اللغوية:

قال ابن فارس⁽¹⁾: الدال والواو والراء أصلٌ واحد يدُ على إحداق الشيء بالشيء من حوَالِيهِ. يقال: دَارَ يَدُورُ دَوْرَانًا. والدَّوَارِيُّ: الدَّهْرُ؛ لَأَنَّهُ يَدُورُ بِالنَّاسِ

(1) معجم مقاييس اللغة.

أحوالاً. قال: والدُّوَار، مثقلٌ ومخففٌ: حَجَرٌ كان يُؤخذ من الحرم إلى ناحيةٍ ويُطافُ به، ويقولون: هو من جِوار الكعبة التي يُطافُ بها.

والدُّوَار في الرأس هو من الباب، يقال: دِير به وأدِير به، فهو مَدُورٌ به ومُدَار به. والدَّائرة في حَلقِ الفرس: شُعيرات تدور؛ وهي معروفة.

ويقال دارت بهم الدوائر، أي الحالات المكروهة أهدقت بهم. والدار أصلها الواو. والدار القبيلة. قال رسول الله ﷺ: «أَلَا أُنبئكم بخَيْرِ دُورِ الأنصار؟» أراد بذلك القبائل. ومن ذلك الحديث الآخر: «فلم تَبَقْ دَارٌ إِلَّا بُني فيها مَسجد». أي: لم تَبَقْ قبيلةٌ. والدَّارِيُّ العَطَّار: قال رسول الله ﷺ: «مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ كَمَثَلِ الدَّارِيِّ إِنْ لَمْ يُحَدِّكْ مِنْ عِطْرِهِ عَلِقَكَ مِنْ رِيحِهِ» أراد العَطَّار.

وإنما سُمِّيَ دارياً من الدار، أي هو يسكن الدار. والدَّارِيُّ الرَّجُلُ المقيم في داره لا يَكاد يَبْرَح. والدَّارة: أرضٌ سَهْلَةٌ تدور بها جبال، وفي بلاد العرب منها داراتٌ كثيرة. وأصل الدار دارةٌ.

قال الجوهري (1): الدارُ مؤنثةٌ. وإنما قال الله تعالى: ﴿وَلَنِعَمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ [النحل: 30] فذَكَرَ على معنى المَثْوَى والموضع كما قال: ﴿نِعَمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: 31] فأنث على المعنى. والدَّارةُ أَخَصُّ من الدار.

والدَّارةُ: التي حَوْلَ القمر، وهي الهالةُ. ويقال: ما بها دُورِيٌّ وما بها دِيَّارٌ، أي أَحَدٌ. وهو فَيَعَالٌ من دُرْتٌ، وأصله دِيوَارٌ. ودارَ الشيءُ يَدُورُ دَوْرًا ودَوْرانًا. وأدارَهُ غيره ودَوَّرَ به. وتدوير الشيء: جَعَلُهُ مَدُورًا. والمُدَاوِرَةُ كالمُعَالَجَةِ.

والدَّوَّارِيُّ: الدَّهْرُ يدور بالإنسانِ أحوالاً. والدَّارِيُّ العَطَّارُ، وهو مَنْسُوبٌ إلى دارينَ: فُرْضَةٌ بالبحرينِ فيها سوقٌ كان يُحْمَلُ إليها مِسْكٌ من ناحية الهِنْد.

وفي الحديث: «مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ مَثَلِ الدَّارِيِّ إِنْ لَمْ يُحَدِّكْ مِنْ عِطْرِهِ عَلِقَكَ مِنْ رِيحِهِ».

(1) الصحاح في اللغة.

والدَّارِيُّ أيضاً: رَبُّ النِّعَمِ؛ سُمِّيَ بذلك لأنه مُقِيمٌ فِي دَارِهِ، فَسُبِّ إِلَيْهَا. والدائرة: واحدة الدوائر. يقال في الفرس ثماني عشرة دائرة، والدائرة الهزيمة، يقال: عليهم دائرة السوء. والمُدَارَةُ جِلْدٌ يُدَارُ وَيُحْرَزُ عَلَى هَيْئَةِ الدَّلْوِ فَيَسْتَقِي بِهَا. ودُورٌ بالضم: صَنْمٌ، وقد يفتح.

والدُّورُ أيضاً من دُورِ الرَّأْسِ. يقال: دِيرَ بِالرَّجْلِ، وأدِيرَ بِهِ. ودَيْرٌ النصارى، أصله الواو، والجمع أديارٌ. والدَّيرَانِيُّ: صاحب الدَّيرِ.

المعنى المشترك لكلمة (دور)

وقد وردت كلمة (دور) في القرآن الكريم على أربعة أوجه:

الوجه الأول: الدار بمعنى: المنزل ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دِيرِهِمْ جَثِمِينَ﴾ [هود:

. [67]

الوجه الثاني: الدار يعني: المدينة ﴿أَوْ نَحَلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ﴾ [الرعد: 31].

الوجه الثالث: الدار يعني: الجنة ﴿وَلَنِعَمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ [النحل: 30].

الوجه الرابع: الدار يعني: جهنم ﴿وَأَحْلَوْا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴿٧٨﴾ جَهَنَّمَ يَصَلَوْنَهَا وَيَبْسُ الْقَرَارُ ﴿٢٩﴾﴾ [إبراهيم: 28-29].

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [الأنعام: 127].

قال الفخر الرازي⁽¹⁾: وفي قوله: ﴿دَارُ السَّلَامِ﴾ قولان:

(1) التفسير الكبير.

القول الأول: أن السلام من أسماء الله تعالى، فدار السلام هي الدار المضافة إلى الله تعالى، كما قيل للكعبة - بيت الله تعالى - وللخليفة - عبد الله - .

والقول الثاني: أن السلام صفة الدار، ثم فيه وجهان: الأول: المعنى دار السلامة، والعرب تلحق هذه الهاء في كثير من المصادر وتحذفها، يقولون ضلال وضلالة، وسفاه وسفاهة، ولذاذ ولذاذة، ورضاع ورضاعة. الثاني: أن السلام جمع السلامة، وإنما سميت الجنة بهذا الاسم لأن أنواع السلامة حاصلة فيها بأسرها.

إذا عرفت هذين القولين: فالقائلون بالقول الأول قالوا به لأنه أولى، لأن إضافة الدار إلى الله تعالى نهاية في تشريفها وتعظيمها وإكبار قدرها، فكان ذكر هذه الإضافة مبالغة في تعظيم الأمر، والقائلون بالقول الثاني رجحوا قولهم من وجهين: الأول: أن وصف الدار بكونها دار السلامة أدخل في الترغيب من إضافة الدار إلى الله تعالى، والثاني: أن وصف الله تعالى بأنه السلام في الأصل مجاز، وإنما وصف بذلك لأنه تعالى ذو السلام، فإذا أمكن حمل الكلام على حقيقته كان أولى.

قال الزمخشري⁽¹⁾: ﴿دَارُ السَّلَامِ﴾ دار الله، يعني الجنة، أضافها إلى نفسه تعظيماً لها أو دار السلامة من كل آفة وكدر.

قال البيضاوي⁽²⁾: ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ﴾ دار الله، أضاف الجنة إلى نفسه تعظيماً لها، أو دار السلامة من المكاره أو دار تحيتهم فيها سلام.

● قال تعالى: ﴿دَارَ الْبَوَارِ﴾ [إبراهيم: 28].

قال الطبري⁽³⁾: ﴿وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ [إبراهيم: 28] يقول: وأنزلوا قومهم من مشركي قريش دار البوار، وهي دار الهلاك.

(3) جامع البيان.

(1) الكشف.

(2) أنوار التنزيل.

عن أبي إسحاق قال: سمعت عمرًا ذات مرّة يقول: سمعت عليًّا يقول على المنبر، وتلا هذه الآية: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كَفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ [إبراهيم: 28]. قال: هما الأفجران من قريش، فأما أحدهما فقطع الله دابرهم يوم بدر وأما الآخر فمُتَّعوا إلى حين.

عن ابن عباس: ﴿دَارَ الْبَوَارِ﴾ قال: الهلاك. قال ابن جريج، قال مجاهد: ﴿وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ [إبراهيم: 28] قال: أصحاب بدر.

قال أبو السعود⁽¹⁾: ﴿دَارَ الْبَوَارِ﴾ دارُ الهلاك الذي لا هلاك وراءه.

قال ابن كثير⁽²⁾: هم الأفجران من قريش: بنو أمية، وبنو المغيرة، فأما بنو المغيرة، فأحلوا قومهم دار البوار يوم بدر، وأما بنو أمية فأحلوا قومهم دار البوار يوم أحد، وكان أبو جهل يوم بدر، وأبو سفيان يوم أحد، وأما دار البوار فهي جهنم.

● قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ أَلْدَارُ الْآخِرَةُ﴾ [البقرة: 94].

قال ابن عطية⁽³⁾: ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ أَلْدَارُ الْآخِرَةُ﴾ الآية أمر لمحمد ﷺ أن يوبخهم، والمعنى: إن كان لكم نعيمها وحظوتها وخيرها فذلك يقتضي حرصكم على الوصول إليها ﴿فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ﴾، و﴿أَلْدَارُ﴾ اسم ﴿كَانَتْ﴾.

قال الشوكاني⁽⁴⁾: ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ أَلْدَارُ الْآخِرَةُ﴾ هو ردُّ عليهم لما ادَّعوا أنهم يدخلون الجنة، ولا يشاركونهم في دخولها غيرهم، وإلزام لهم بما يتبين به أنهم كاذبون في تلك الدعوى، وأنها صادرة منهم لا عن برهان.

● قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ [البقرة: 243].

(3) المحرر الوجيز.

(4) فتح القدير.

(1) إرشاد العقل السليم.

(2) تفسير ابن كثير.

قال الزمخشري⁽¹⁾: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تقرير لمن سمع بقصتهم من أهل الكتاب وأخبار الأولين، وتعجيب من شأنهم. ويجوز أن يخاطب به من لم ير ولم يسمع، لأنّ هذا الكلام جرى مجرى المثل في معنى التعجيب. روي: أن أهل داوردان - قرية قبل واسط - وقع فيها الطاعون فخرجوا هاربين، فأماتهم الله ثم أحياهم ليعتبروا ويعلموا أنه لا مفرّ من حكم الله وقضائه. وقيل مرّ عليهم حزقيل بعد زمان طويل وقد عريت عظامهم وتفرقت أوصالهم فلوى شدقه وأصابه تعجباً مما رأى، فأوحى إليه: ناد فيهم أن قوموا بإذن الله، فنادى، فنظر إليهم قياماً يقولون: سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت. وقيل: هم قوم من بني إسرائيل دعاهم ملكهم إلى الجهاد فهربوا حذراً من الموت، فأماتهم الله ثمانية أيام ثم أحياهم.

قال الطبري⁽²⁾: يعني تعالى ذكره: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ ألم تعلم يا محمد. وهو من رؤية القلب لا رؤية العين؛ لأن نبينا محمداً ﷺ لم يدرك الذين أخبر الله عنهم هذا الخبر، ورؤية القلب: ما رآه وعلمه به. فمعنى ذلك: ألم تعلم يا محمد الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف.

● قال تعالى: ﴿سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الأعراف: 145].

قال البغوي⁽³⁾: ﴿سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾، قال مجاهد: مصيرها في الآخرة. وقال الحسن وعطاء: يعني جهنم يحذركم أن تكونوا مثلهم. وقال قتادة وغيره: سأدخلكم الشام فأريكم منازل القرون الماضية الذين خالفوا أمر الله لتعتبروا بها. وقال عطية العوفي: أراد دار فرعون وقومه وهي مصر، يدل عليه قراءة قسامة بن زهير: «سأورثكم دار الفاسقين». وقال السدي: دار الفاسقين مصارع الكفار. وقال الكلبي: ما مروا عليه إذا سافروا من منازل عاد وثمود والقرون الذين أهلكوا.

(3) معالم التنزيل.

(1) الكشاف.

(2) جامع البيان.

قال أبو السعود⁽¹⁾: ﴿سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ تلوينٌ للخطاب وتوجيهٌ له إلى قومه عليه الصلاة والسلام بطريق الالتفاتِ حملاً لهم على الجد في الامتثال بما أمروا به، إما على نهج الوعيد والترهيب - على أن المراد بدار الفاسقين أرض مصرَ وديارَ عادٍ وثمودَ وأضرابهم، فإن رؤيتها وهي خاليةٌ عن أهلها خاويةٌ على عروشها موجبةٌ للاعتبار والانزجارِ عن مثل أعمالِ أهلها كيلا يحلَّ بهم ما حل بأولئك - وإما على نهج الوعد والترغيبِ على أن المراد بدار الفاسقين إما أرض مصرَ خاصةً أو مع أرض الجبابرة والعمالقَةِ بالشام فإنها أيضاً مما أتيح لبني إسرائيلَ وكتب لهم حسبما ينطق به قوله ﷺ: ﴿يَقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [المائدة: 21].

● قال تعالى: ﴿نَخَشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾ [المائدة: 52].

قال ابن عطية⁽²⁾: ﴿يَقُولُونَ نَخَشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾ [المائدة: 52] لفظ محظوظ عن عبد الله بن أبيّ، ولا محالة أنه قال بقوله منافقون كثير، والآية تعطي ذلك، و﴿دَائِرَةٌ﴾ معناه نازلة من الزمان وحادثة من الحوادث تحوجنا إلى موالينا من اليهود، وتسمى هذه الأمور دوائر على قديم الزمان من حيث الليل والنهار في دوران، فكأن الحادث يدور بدورانها حتى ينزل فيمن نزل، ومنه قول الله تعالى: ﴿دَائِرَةٌ أَسْوَأُ﴾ [التوبة: 98، الفتح: 6] و﴿وَيَرَبِّصُ بِكُمْ الْأُدَايِرَ﴾ [التوبة: 98].

قال أبو السعود⁽³⁾: ﴿يَقُولُونَ نَخَشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾ وهو حال من ضمير يسارعون، والدائرة من الصفات الغالبة التي لا يُذكر معها موصوفها، أي تدور علينا دائرة من دوائر الدهر ودولة من دُوله بأن ينقلب الأمر وتكون الدولة للكفار. وقيل: نخشى أن يصيبنا مكروه من مكاره الدهر كالجذب والقحط فلا يعطونا الميرة والقرض. روي (أن عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه قال لرسول

(1) إرشاد العقل السليم.

(3) إرشاد العقل السليم.

(2) المحرر الوجيز.

الله ﷺ: إن لي موالِي من اليهود كثيراً عددهم وإنني أبرأ إلى الله ورسوله من ولايتهم، وأوالي الله ورسوله. فقال عبد الله بن أبي: إنني رجل أخاف الدوائر لا أبرأ من ولاية موالِي) وهم يهود بني قَيْنُقَاع، ولعله يُظهِرُ للمؤمنين أنه يريد بالدوائر المعنى الأخيرَ ويُضْمِرُ في نفسه المعنى الأول.

● قال تعالى: ﴿وَيَتَرَبَّصُّ بِكُمْ الدَّوَائِرُ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوِّءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: 98].

قال الشعراوي⁽¹⁾: ﴿وَيَتَرَبَّصُّ بِكُمْ الدَّوَائِرُ﴾. أي يتمنى وينتظر أن يصيب المسلمين كارثة؛ فلا يأخذوا منه الزكاة التي اعتبرها مغرمًا. ولماذا قال الحق: ﴿الدَّوَائِرُ﴾؟ نعلم أن الخطبَ الشديد حين يصيب الإنسان أو القوم إن كان فظيلاً وقويًا يقال: «دارت عليهم الدوائر»: أي أن المصيبة أحاطت بهم؛ فلا منفذ لهم يخرجون منه، وكان بعض من الأعراب يتربصون بالمسلمين الدوائر؛ لأنهم كارهون لدفع الزكاة ويطنون أنها غرامة، ولا يستوعبون أن الزكاة تُكتب في الميزان، وأنها تطهير ونماء للمال، وأنها حمل لعجز العاجز، إن عجز الواحد منهم؛ فسوف يجد من يحمله.

والذي يتربص بكم الدوائر، ولا يفتن إلى حكمة الأخذ منه، هو الذي تأتي عليه دائرة السوء مصداقاً لقوله الحق: ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوِّءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾؛ لأن أيًّا منهم لم يفتن وينتبه لقيمة الوجود في المجتمع الإيماني الذي يعطي له الزكاة إن عجز، فإن تربصت الدائرة بمن يأخذ منك، ولم تفتن إلى أن من يأخذ منك يصح أن يأخذ من الغير لك؛ فسوف تأتي الدائرة عليك.

وقوله الحق: ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوِّءِ﴾ تبدو كأنها دعوة، ومن الذي يدعو؟ إنه الله. وهناك فرق بين أن يدعو غير قادر، وبين أن يدعو قادراً. إن كان ربنا هو من يقول: ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوِّءِ﴾، فدائرة السوء قادمة لهم لا محالة.

(1) تفسير الشعراوي.

قال الألوسي (1): ﴿وَيَتَّبِعُ بِكُمْ الدَّوَابَّ﴾ أي ينتظر بكم نوب الدهر ومصائبه التي تحيط بالمرء لينقلب بها أمركم ويتبدل بها حالكم فيتخلص مما ابتلي به ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾ دعاء عليهم بنحو ما يتربصون به، وهو اعتراض بين كلامين كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غَلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾ [المائدة: 64] وجوز أن تكون الجملة إخباراً عن وقوع ما يتربصون به عليهم، والدائرة اسم للنائبة وهي في الأصل مصدر كالعافية والكاذبة أو اسم فاعل من دار يدور وقد تقدم تمام الكلام عليها.

● قال تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة:

. [282]

قال ابن عجيبة (2): ﴿تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾ أي: تتعاملون فيها نقداً.

قال الزمخشري (3): (تديرونها) وبالنصب على: إلا أن تكون التجارة تجارة حاضرة كبيت الكتاب.

قال البغوي (4): ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً﴾ قرأها عاصم بالنصب على خبر كان وأضمر الاسم، مجازة: إلا أن تكون التجارة تجارة حاضرة أو المبايعة تجارة، وقرأ الباقون بالرفع، وله وجهان:

أحدهما: أن تجعل الكون بمعنى الوقوع معناه إلا أن تقع تجارة.

والثاني: أن تجعل الاسم في التجارة والخبر في الفعل وهو قوله: ﴿تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾ تقديره إلا أن تكون تجارة حاضرة دائرة بينكم، ومعنى الآية إلا أن تكون تجارة حاضرة يداً بيد تديرونها بينكم ليس فيها أجل.



(3) الكشاف.

(4) معالم التنزيل.

(1) روح المعاني.

(2) البحر المديد.

دَوْلٌ

(دَوْلٌ - بَلَدٌ - مَدِينَةٌ - قَرْيَةٌ - مِصْرٌ)

■ **الدُّوْلَةُ: الدُّوْلَةُ:** ما يتداوله الكثيرون (المال) ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دَوْلَةٌ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾ [الحشر: 7].

الدُّوْلَةُ: الكثيرون يتداولون عليه، وهي الوجاهة في الحكم.

■ **الْبَلَدُ:** المكان المحيط الممدود المتأثر باجتماع ساكنيه. قال تعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ [البلد: 1].

والبلدة مؤنث البلد، قال تعالى: ﴿بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ﴾ [سبأ: 15].

■ **الْقَرْيَةُ:** البلد المزدهم بالزوار. قال تعالى: ﴿وَكَانَ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ﴾ [محمد: 13].

■ **الْمَدِينَةُ:** العاصمة في كل وطن. قال تعالى: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ﴾ [القصص: 15].

■ **الْمِصْرُ:** كل مدينة مسورة بسور، ولهذا سميت مصر مصرًا لأنها المدينة الوحيدة المسورة. قال تعالى: ﴿أَهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ﴾ [البقرة: 61].



النصوص اللغوية:

قال ابن فارس⁽¹⁾: الدال والواو واللام أصلان: أحدهما يدلُّ على تحوُّل شيءٍ من مكان إلى مكان، والآخر يدلُّ على ضَعْفٍ واسترخاء. أمَّا الأوَّلُ فقال أهل اللغة: اندالَ القومُ: إذا تحوَّلوا من مكان إلى مكان. ومن هذا الباب: تداوَلَ القومُ الشَّيءَ بينهم: إذا صار من بعضهم إلى بعض، والدَّوَلَةُ والدَّوَلَةُ لغتان.

ويقال بل الدَّوَلَةُ في المال والدَّوَلَةُ في الحرب، وإنَّما سُمِّيا بذلك من قياس الباب؛ لأنَّه أمرٌ يتداوَلُونه، فيتحوَّل من هذا إلى ذاك، ومن ذاك إلى هذا. وأمَّا الأصل الآخر فالدَّوِيلُ من النَّبْتِ: ما ييس لعامه.

قال الخليل⁽²⁾: الدَّوَلَةُ والدَّوَلَةُ لغتان، ومنه الإدالة، قال الحجاج: إنَّ الأرضَ سُدَّالٌ مِنَّا كما أدلنا منها أي نكون في بطنها كما كُنَّا على ظهرها.

وبنو الدَّوَلِ: حَيٌّ من بني حنيفة.

قال الجوهري⁽³⁾: الدَّوَلَةُ في الحرب: أن تُدَالَ إحدى الفِئتين على الأخرى. يقال: كانت لنا عليهم الدَّوَلَةُ. والجمع الدَّوَلُ. والدَّوَلَةُ بالضم، في المال. يقال: صار الفَيْءُ دَوْلَةً بينهم يتداوَلُونه، يكون مرَّةً لهذا ومرَّةً لهذا، والجمع دَوْلَاتٌ ودَوَلٌ.

المعنى المشترك لكلمة (دول)

وقد وردت كلمة (دول) في القرآن الكريم على وجهين:

الوجه الأول: الدَّوَلَةُ يعني: القسمة ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دَوْلَةٌ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾

[الحشر: 7].

(3) الصحاح في اللغة.

(1) معجم مقاييس اللغة.

(2) العين.

الوجه الثاني: الدولة بعينها ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: 140].

[140].

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿لَا يَكُونُ دَوْلَةٌ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾ [الحشر: 7].

قال ابن كثير⁽¹⁾: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دَوْلَةٌ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾ [الحشر: 7] أي: جعلنا هذه المصارف لمال الفيء؛ كيلا يبقى مأكلة يتغلب عليها الأغنياء، ويتصرفون فيها بمحض الشهوات والآراء، ولا يصرفون منه شيئاً إلى الفقراء.

قال ابن عجيبة⁽²⁾: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دَوْلَةٌ﴾ أي: كي لا يكون الفيء الذي حقه أن يكون للفقراء يعيشون به ﴿دَوْلَةٌ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾ أي: يتداوله الأغنياء بينهم، ويختصون به. والدولة: ما يدول للإنسان، أي: ما يدور له من الغنى والجد والغلبة وغيرها، وقيل: الدولة - بالفتح - من المُلْك، وبالضم من المِلْك - بالكسر -.

قال العزّ بن عبد السلام⁽³⁾: ﴿دَوْلَةٌ﴾ ودولة واحد أو بالفتح الظفر في الحرب وبالضم الغنى عن الفقر، أو بالفتح في الأيام، وبالضم في الأموال، أو بالفتح ما كان كالمستقر، وبالضم ما كان كالمستعار، أو بالفتح الظفر في الحرب، وبالضم أيام الملك وأيام السنين التي تتغير.

● قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: 140].

قال الزمخشري⁽⁴⁾: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ﴾ تلك مبتدأ، والأيام صفته. و﴿نُدَاوِلُهَا﴾

(3) التفسير العظيم.

(1) تفسير ابن كثير.

(4) الكشاف.

(2) البحر المديد.

خبره، ويجوز أن يكون ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ﴾ مبتدأ وخبراً، كما تقول: هي الأيام تبلي كل جديد. والمراد بالأيام: أوقات الظفر والغلبة، نداولها: نصرتها بين الناس نديل تارة لهؤلاء وتارة لهؤلاء، ومن أمثال العرب: الحرب سجال. وعن أبي سفيان أنه صعد الجبل يوم أحد فمكث ساعة ثم قال: أين ابن أبي كبشة، أين ابن أبي قحافة، أين ابن الخطاب. فقال عمر: هذا رسول الله ﷺ، وهذا أبو بكر، وها أنا عمر. فقال أبو سفيان يوم بيوم والأيام دول والحرب سجال. فقال عمر رضي الله عنه: لا سواء، قتلانا في الجنة، وقتلاكم في النار. فقال: إنكم تزعمون ذلك فقد خبنا إذن وخسرنا، والمداولة مثل المعاورة. يقال: داوت بينهم الشيء فتداولوه.

قال الطبري⁽¹⁾: يعني تعالى ذكره (بقوله): ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ أيام بدر وأحد، ويعني بقوله: ﴿نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾: نجعلها دولاً بين الناس مصرفة، ويعني بالناس: المسلمين والمشركين. وذلك أن الله ﷻ أдал المسلمين من المشركين ببدر، فقتلوا منهم سبعين، وأسروا سبعين، وأдал المشركين من المسلمين بأحد، فقتلوا منهم سبعين سوى من جرحوا منهم، يقال منه: أдал الله فلاناً من فلان فهو يديله منه إدالة إذا ظفر به فانصرف منه مما كان نال منه المداول منه.

عن قتادة، قوله: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾: إنه والله لولا الدول ما أوذى المؤمنون، ولكن قد يدال للكافر من المؤمن، ويبتلى المؤمن بالكافر ليعلم الله من يطيعه ممن يعصيه ويعلم الصادق من الكاذب.

قال ابن عطية⁽²⁾: أخبر تعالى على جهة التسلية أن ﴿الأيام﴾ على قديم الدهر وغابره أيضاً إنما جعلها دولاً بين البشر، أي: فلا تنكروا أن يدال عليكم الكفار، وقال تعالى: ﴿نُدَاوِلُهَا﴾ فهي مفاعلة من جهة واحدة، وإنما ساغ ذلك لأن

(2) المحرر الوجيز.

(1) جامع البيان.

المدأولة منه تعالى هي بين شيئين، فلما كان ذلك الفريقان يتداولان حسن ذلك، و«الدولة» بضم الدال المصدر، و«الدولة» بفتح الدال الفعلة الواحدة من ذلك، فلذلك يقال في دولة فلان لأنها مرة في الدهر، وسمع بعض العرب الأققاح قارئاً يقرأ هذه الآية، فقال: إنما هو، «وتلك الأيام نداولها بين العرب»، فقيل له: إنما هو «بين الناس» فقال: إنما لله، ذهب ملك العرب ورب الكعبة.



داوم

(داوم - دأب - جد)

■ **الدَّوَامُ:** امتداد الزمان على العمل النافع ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ [المائدة: 117].

■ **الدَّأْبُ:** مداومة العمل بجد ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ﴾ [إبراهيم: 33].

■ **الجِدُّ:** العمل الناجح المنصف المتقن.



النصوص اللغوية:

قال ابن فارس⁽¹⁾: الدال والواو والميم أصلٌ واحد يدلُّ على السُّكون واللُّزوم. يقال: دام الشيء يدوم؛ إذا سکن. والماء الدائم: الساكن. ونهى رسول الله ﷺ أن يُبالَ في الماء الدائم ثم يتوضَّأ منه. والدليل على صحَّة هذا التأويل أنه روي بلفظةٍ أخرى، وهو أنه نهى أن يُبالَ في الماء القائم. ويقال: أدمتُ القدرَ إدامةً: إذا سكَّنتَ غليانها بالماء.

ومن المحمول على هذا وقياسه قياسه، تدويم الطائر في الهواء؛ وذلك إذا حلَّق وكانت له عندها كالوقفه. ومن ذلك قولهم: دوَّمت الشمسُ في كبد السماء، وذلك إذا بلغت ذلك الموضع. ويقول أهلُ العلم بها: إن لها ثمَّ كالوقفه، ثم تدلُّك. قال ذو الرِّمة: أي: كأنها لا تمضي.

(1) معجم مقاييس اللغة.

ويقال: دَوَّمْتُ الزَّعْفَرَانَ: دَفُتُهُ؛ وهو القياسُ لأنَّه يسْكُنُ فيما يُدَافِ فيه. واستَدَمَّتْ الأُمْرَ: إذا رَفَقَتْ به. وكذا يقولون. والمعنى أَنَّهُ إِذَا رَفَقَ به ولم يَعْنُفْ ولم يَعَجَلْ دَامَ له.

وأما قوله: فيقولون: يَدُومُ يَبُلُّ، وليس هذا بشيء، إِنَّمَا يَدُومُ يُبْقِي؛ وذلك أَنَّ اليَاسَ يَجْفُ رَيْقَهُ. والدَّيْمَةُ: مطرٌ يَدُومُ يوماً وليلةً أو أَكْثَرَ. ومن الباب أَنَّ عائِشة رضي الله عنها سُئِلَتْ عن عمل رسول الله ﷺ، فقالت: «كان عمله دِيْمَةً» أي: دائماً. والمعنى أَنَّهُ كان يَدُومُ عليه، سواء قَلَلْ أو كَثَّرَ، ولكنه كان لا يُخَلِّ. تعني بذلك في عبادته ﷺ. فأما قولهم دَوَّمَتِ الخمر، فهو من ذاك؛ لأنها تُخَثِّرُهُ حَتَّى تسْكُنَ حركاته.

والدَّأْمَاءُ: البَحْرُ، ولعلَّه أَن يكون من الباب؛ لأنَّه ماءٌ مقيمٌ لا يُنْزَحُ ولا يَبْرَحُ.

قال الخليل⁽¹⁾: ماء دَائِمٌ: ساكن. والدَّوْمُ مصدر دَامَ يَدُومُ. ودَامَ الماءُ يَدُومُ دَوْماً وأَدَمَّتْهُ إِدَامَةً إِذَا سَكَّنْتَهُ، وكُلُّ شَيْءٍ سَكَّنْتَهُ فَقَدْ أَدَمَّتَهُ. والدَّيْمَةُ: المطر الذي يدوم دَوْماً يوماً وليلةً أو أَكْثَرَ. وفي حديث عائِشة: أَنها سُئِلَتْ هل كان رسول الله ﷺ يُفْضِلُ بعض الأَيام على بعض فقالت: «كان عمله دِيْمَةً». ووادي الدَّوْمِ: موضعٌ. والمُدَامَةُ: الخمر، سُمِّيَتْ به لأنَّه ليس من الشراب شيءٌ يُسْتَطَاعُ إِدَامَةُ شُرْبِهِ غَيْرُهَا.

والتَّدْوِيمُ: تحليق الطائر في الهواء ودَوْرَانُهُ، ودَوِّمَ تدويماً أي يدور ويرتفع. وتدويم الشمس: دَوْرَانُهَا كَأَنَّهَا تدور في مُضِيَّهَا. ودَوِّمَتِ الكلاب أي أَمَعَّتْ في طلب الصَّيْدِ. وتدويمُ الزَّعْفَرَانِ: دَوُّفُهُ وإِدَارَتُهُ في دَوْفِهِ.

والدَّوْمُ: شَجَرُ المُقْلِ، الواحدة دَوْمة. واستِدَامَةُ الأَمْرِ: الأَنَاةُ فيه والنَّظَرُ.

(1) العين.

ومَفَازَةٌ دَيْمُومَةٌ أَي: دَائِمَةٌ البعد.

قال الجوهري⁽¹⁾: دَامَ الشَّيْءُ يَدُومُ وَيَدَامُ، دَوَمًا وَدَوَامًا وَدَيْمُومَةً، وَأَدَامَهُ غَيْرَهُ. وَدَوَمَتِ الشَّمْسُ فِي كَبَدِ السَّمَاءِ.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ [المائدة: 117].

قال الفخر الرازي⁽²⁾: أَي كُنْتُ أَشْهَدُ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ مَا دَمْتُ مَقِيمًا فِيهِمْ.

قال الشوكاني⁽³⁾: ﴿مَا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ أَي مَدَّةَ دَوَامِي فِيهِمْ.

قال أبو السعود⁽⁴⁾: ﴿مَا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ مَا مَصْدَرِيَّةٌ ظَرْفِيَّةٌ تَقَدَّرَ بِمَصْدَرٍ مُضَافٍ إِلَيْهِ زَمَانٌ، وَدَمْتُ صَلَّتْهَا، أَي كُنْتُ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مَدَّةَ دَوَامِي فِيهَا بَيْنَهُمْ.

● قال تعالى: ﴿إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾ [آل عمران: 75].

قال الطبري⁽⁵⁾: اِخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ: ﴿إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِلا مَا دَمْتُ لَهُ مُتَقَاضِيًا. قَالَ: ثَنَا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ، قَوْلُهُ: ﴿إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾: إِلا مَا طَلَبْتَهُ وَاتَّبَعْتَهُ.

وقال آخرون: معنى ذلك: إلا ما دمت عليه قائماً على رأسه.

وأولى القولين بتأويل الآية قول من قال: معنى ذلك: إلا ما دمت عليه قائماً بالمطالبة والاقضاء، من قولهم: قام فلان بحقي على فلان حتى استخرجه لي، أي عمل في تخليصه، وسعى في استخراجه منه حتى استخرجه، لأن

(4) إرشاد العقل السليم.

(5) جامع البيان.

(1) الصحاح في اللغة.

(2) التفسير الكبير.

(3) فتح القدير.

الله ﷻ إنما وصفهم باستحلالهم أموال الأيمن، وأن منهم من لا يقضي ما عليه إلا بالاقتضاء الشديد والمطالبة، وليس القيام على رأس الذي عليه الدين، بموجب له النقلة عما هو عليه من استحلال ما هو له مستحل، ولكن قد يكون - مع استحلاله الذهاب بما عليه لرب الحق - إلى استخراج السبيل بالاقتضاء والمحاكمة والمخاصمة، فذلك الاقتضاء: هو قيام رب المال باستخراج حقه ممن هو عليه.

قال ابن عجيبة⁽¹⁾: (لم يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائماً) على رأسه، مبالغاً في مطالبته. نزلت في عبد الله بن سلام، استودعه قرشي ألفاً ومائتي أوقية ذهباً، فأداها إليه، وفي فنحاص بن عازوراء اليهودي، استودعه قرشي آخر ديناراً، فجحده. وقيل: في النصارى واليهود، فإن النصارى: الغالب عليهم الأمانة، واليهود الغالب عليهم الخيانة.

قال الخازن⁽²⁾: ﴿إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾ قال ابن عباس: يريد: تقوم عليه وتطالبه بالإلحاح والخصومة والملازمة، وقيل: معناه إلا مدة دوامك عليه يا صاحب الحق قائماً على رأسه متوكلاً عليه بالمطالبة له والتعنيف بالرفع إلى الحاكم وإقامة البينة عليه. وقيل أراد أنه إن أودعته شيئاً ثم استرجعته منه في الحال وأنت قائم على رأسه لم تفارقه رده عليك.

● قال تعالى: ﴿قَالُوا يَمْوَسِيَّ إِنَّآ لَن نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا﴾ [المائدة:

.24].

قال أبو السعود⁽³⁾: ﴿مَا دَامُوا فِيهَا﴾ أي في أرضهم وهو بدل من (أبدًا) بدل البعض أو عطف بيان.

قال الألوسي⁽⁴⁾: ﴿مَا دَامُوا فِيهَا﴾ [المائدة: 24] أي في تلك الأرض، وهو

(3) إرشاد العقل السليم.

(4) روح المعاني.

(1) البحر المديد.

(2) لباب التأويل.

بدل من ﴿أَبْدَأُ﴾ بدل البعض؛ وقيل: بدل الكل من الكل، أو عطف بيان لوقوعه بين النكرتين؛ ومثله في الإبدال قوله:

وأكرم أخاك الدهر (ما دمتما) معاً كفى بالممات فرقة وتنائيا

فإن قوله: «ما دمتما» بدل من الدهر.

قال الشعراوي⁽¹⁾: كأن خلاصة قولهم لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: لا ترهق نفسك معنا

ووقر عليك جهدك، فنحن لن ندخل هذه الأرض مادام هؤلاء العمالقة فيها.



(1) تفسير الشعراوي.

دَيْنٌ

(دين - رهن - قرض)

- **الدَّيْنُ:** مبلغ من المال تأخذه من غيرك على أن ترده له في موعد محدد ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [البقرة: 282].
- **الرَّهْنُ:** ما يدفع وثيقة للدَّيْنِ ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهْنٌ مَّقْبُوضَةٌ﴾ [البقرة: 283].
- **الْقَرْضُ:** المال الذي يدفع إلى الآخر مع ذكر مصارفه ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَعِفُهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ [الحديد: 11].



دين

(دين - شريعة - منهاج - ملة)

■ **الدين:** الطاعة المطلقة والجزاء ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ [النساء: 125].

■ **الشريعة:** ما جاء في القرآن من أحكام وشريعة ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 18].

■ **المنهاج:** ما جاءت به السنة ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: 48].

■ **الملة:** اسم اتباع الدين الواحد ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الحج: 78].



شرح المعاني:

الدين هو التوحيد والعقيدة ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: 19] أي: لا إله إلا الله ﴿إِنَّ الدِّينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: 159] عبدوا أصناماً وتركوا عبادة الله تعالى. التوحيد هو لا إله إلا الله: أي تمحصها تمحيصاً دقيقاً تخلص بها لوجه الله تعالى فلا بأس عليك بعد ذلك. وصى الله تعالى بها الأنبياء وهي غير قابلة للتعديل والتبديل أو النسخ، ولا تختلف من نبي إلى نبي آخر. والدين الحق هو الدين الثابت الذي لا يتغير، أما الشريعة فتتغير من نبي إلى نبي.

الشريعة: هي ما عدا لا إله إلا الله وما يلزم لها من الغيبيات ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ [الشورى: 13] والشريعة تتغير من نبي

إلى نبي . والشريعة ما عدا العقيدة أنواع فيها أخلاق ووجدانيات تسمى الرقائق، وفيها لسانيات تسمى الذكر وفيها أنواع الأحكام العملية: الجهاد، البيوع، الفقه (حلال وحرام). إذن الشريعة هي كل ما عدا العقيدة، والعقيدة هي الدين وهي لا إله إلا الله وما يلزم لها . والدين مبني على التصديق «من قال لا إله إلا الله مصداقاً بها قلبه» والشريعة مبنية على الطاعة ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [الأنفال: 1].

المِلَّة: مبنية على الدوام . نلاحظ الدين دين الله والشريعة شريعة الله، أما المِلَّة فلا يقال مِلَّة الله وإنما يقال مِلَّة إبراهيم وعيسى وموسى ومحمد ﷺ . المِلَّة هي الدين إذا استمر الدين طويلاً ودام في أمة من الأمم . لا يوجد من نقول عنه نوحى أو يوسفى أو صالحى لأن شرعهم اندثر وإنما يوجد مسلم، نصرانى . الأمة التي استمرت على مِلَّة من ملل الأنبياء وهم جميعاً متشابهون لكنهم ينتسبون إلى هذا النبي من الأنبياء يسمون مِلَّة إبراهيم، إسماعيل سواء كانت مِلَّة مؤمن أو غيره ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ [يوسف: 37]. المِلَّة هي الدين الذي يدوم على أمة من الأمم واستمر يسمى مِلَّة ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَعَىٰ مِلَّةَ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾ [الحج: 78] ﴿وَمَن يَرْغَبْ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ [البقرة: 130] إبراهيم صاحب التوحيد وهو صاحب مِلَّة لأنه استعمل نظرية الشك يوصل لليقين ومحص التوحيد ووحد الله وآمن به عن عقل وتجربة حتى قال آمنت أنه لا إله إلا الله .

﴿وَقَنَلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِئْتَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ [البقرة: 193] هذه آية عجيبة، أنت تقاتل من ليس لديه دين، هذا الوحيد الذي يجب أن تقاتله . الدين أكرم أهل الكتاب من أول القرآن لآخره وهو يشني عليهم وعلى الموحددين منهم خاصة، فقط بعض أهل الكتاب أشركوا . ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّالِحِينَ﴾ [البقرة: 62] والإشكال مع الذي أشرك بعد ذلك ﴿وَقَنَلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِئْتَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ المطلوب من جميع الأنبياء ومن أصحاب القوة أن يوحدوا العالم على لا إله إلا الله . الدين لا إله إلا الله هذه الأساسية والشرائع متعددة ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا

مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴿ [المائدة: 48] رب العالمين يقول: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: 29] هذا تكريم. كما عليك أن تنقي المسلمين من الشرك ودين المسلمين من الخلل والزيف، عليك أن تنقي عقائد النصارى واليهود الذين أشركوا وتعيدهم إلى الدين (الإسلام) الذي هو الدين الحق والدين الثابت كما قال عيسى: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ﴾ [الصف: 6]. هذا التوحيد أساسي فطري، كونك إنساناً فأنت موحد بطبعك ﴿وَوَطَّنُوا أُنْفُسَهُمْ أَجِطَ بِهِمْ دَعَاؤُ اللَّهِ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ﴾ [يونس: 22] الإيمان فطري فالأصل في الإنسان التوحيد، والشرك طارئ وليس العكس كما يقولون الأصل عبادة الأوثان ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف: 172]. ليس لك عذر أنت موحد بفطرتك أنت ابن آدم والله تعالى نفخ فيه من روحه فكل الكفار في قلبهم مؤمن ﴿وَحَمَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ﴾ [النمل: 14] جعفر الصادق عندما سأله أحدهم عن الله تعالى قال له: أما ركبت البحر يوماً؟ قال: بلى، قال: ألم تأت عاصفة فقلبت السفينة؟ قال: بلى، قال: ماذا فعلت؟ قال: تشبثت بلوح من الخشب، قال: ماذا قلت؟ قال: يا الله فقال له: هو ذاك الله. فالملحد والشيوعي في ساعة العسرة يقول: «يا الله» في اللاشعور هذا هو التوحيد الفطري.

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس⁽¹⁾: الدال والياء والنون أصلٌ واحدٌ إليه يرجع فروعه كلها. وهو جنسٌ من الانقياد والذل. فالدين: الطاعة، يقال: دان له يدين ديناً، إذا

(1) معجم مقاييس اللغة.

أَصْحَبَ وَاِنْقَادَ وَطَاعَ. وَقَوْمٌ دِينٌ، أَي: مُطِيعُونَ مُنْقَادُونَ. وَالْمَدِينَةُ كَأَنَّهَا مَفْعَلَةٌ، سَمَّيْتَ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا تَقَامُ فِيهَا طَاعَةٌ ذَوِي الْأَمْرِ. وَالْمَدِينَةُ: الْأَمَّةُ.

وَالْعَبْدُ مَدِينٌ، كَأَنَّهَا أَذْلَهُمَا الْعَمَلُ.

فَأَمَّا قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعَادَةَ يُقَالُ لَهَا دِينٌ، فَإِنْ كَانَ صَحِيحاً فَلَأَنَّ النَّفْسَ إِذَا اعْتَادَتْ شَيْئاً مَرَّتْ مَعَهُ وَانْقَادَتْ لَهُ.

فَأَمَّا قَوْلُهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾ [يُوسُفُ: 76]، يُقَالُ: فِي طَاعَتِهِ، وَيُقَالُ فِي حُكْمِهِ. وَمِنْهُ: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الْفَاتِحَةُ: 4]، أَي يَوْمَ الْحُكْمِ. وَقَالَ قَوْمٌ: الْحِسَابُ وَالْجِزَاءُ. وَأَيُّ ذَلِكَ كَانَ فَهُوَ أَمْرٌ يُنْقَادُ لَهُ.

قَالَ الْجَوْهَرِيُّ⁽¹⁾: الدَّيْنُ: وَاحِدُ الدَّيُونِ. تَقُولُ: دَيْتُ الرَّجُلَ أَقْرَضْتَهُ، فَهُوَ مَدِينٌ وَمَدْيُونٌ. وَدَانَ فُلَانٌ يَدِينُ دَيْناً: اسْتَقْرَضَ وَصَارَ عَلَيْهِ دَيْنٌ، فَهُوَ دَائِنٌ.

وَرَجُلٌ مَدْيُونٌ: كَثُرَ مَا عَلَيْهِ مِنَ الدَّيْنِ.

وَمَدْيَانٌ: إِذَا كَانَ عَادَتُهُ أَنْ يَأْخُذَ بِالذَّيْنِ وَيَسْتَقْرِضُ. وَأَدَانَ فُلَانٌ إِدَانَةً: إِذَا بَاعَ مِنَ الْقَوْمِ إِلَى أَجْلِ فَصَارَ لَهُ عَلَيْهِمْ دَيْنٌ. تَقُولُ مِنْهُ: أَدَيْتُهُ عَشْرَةَ دِرَاهِمٍ.

وَأَدَانَ: اسْتَقْرَضَ، وَهُوَ افْتَعَلَ. وَفِي الْحَدِيثِ: «أَدَانَ مُعْرِضاً»، أَي: اسْتَدَانَ، وَهُوَ الَّذِي يَعْتَرِضُ النَّاسَ فَيَسْتَدِينُ مِمَّنْ أَمَكَنَهُ. وَتَدَايَنُوا: تَبَايَعُوا بِالذَّيْنِ.

وَاسْتَدَانُوا: اسْتَقْرَضُوا. وَدَايَنْتُ فُلَاناً: إِذَا عَامَلْتَهُ فَأَعْطَيْتُ دَيْناً وَأَخَذْتُ بِدَيْنٍ. وَتَدَايَنْتُ، كَمَا تَقُولُ قَاتِلْتَهُ وَتَقَاتَلْنَا. وَبِعْتُهُ بِدِينَةٍ، أَي: بِتَأْخِيرٍ. وَالدَّيْنُ بِالْكَسْرِ: الْعَادَةُ وَالشَّأْنُ. وَدَانَهُ دَيْناً، أَي: أَذَلَّهُ وَاسْتَعْبَدَهُ. يُقَالُ: دَيْتُهُ فِدَانَ. وَفِي الْحَدِيثِ: «الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ». الْجِزَاءُ وَالْمُكَافَأَةُ. يُقَالُ: دَانَهُ دَيْناً، أَي: جَازَاهُ. يُقَالُ: كَمَا تَدِينُ تُدَانُ، أَي: كَمَا تُجَازِي تُجَازَى، أَي: تُجَازَى بِفَعْلِكَ وَبِحَسَبِ مَا عَمِلْتَ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ [الصَّافَاتُ:

(1) الصحاح في اللغة.

[53] أي مجزيئون محاسبون. ومنه الديان في صفة الله تعالى. وقوم دين، أي دائنون.

وناسٌ يقولون: ومنه سمي المضرُ مدينةً. والدينُ الطاعةُ. ودانٌ له، أي أطاعه.

المعنى المشترك لكلمة (دين)

وقد وردت كلمة (دين) في القرآن الكريم على خمسة أوجه:

الوجه الأول: الدين: يعني: التوحيد ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: 19] [آل عمران: 19]

الوجه الثاني: الدين يعني: الحساب ﴿الَّذِينَ يَكْذِبُونَ يَوْمَ الدِّينِ﴾ [المطففين: 11].

الوجه الثالث: الدين يعني: الحكم ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [يوسف: 76].

الوجه الرابع: الدين يعني: دين الإسلام بعينه ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ﴾ [الفتح: 28].

الوجه الخامس: الدين يعني: الملة ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ [البينة: 5].

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينِ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [البقرة: 282].

قال الزمخشري⁽¹⁾: ﴿إِذَا تَدَايَنْتُمْ﴾ إذا دابن بعضهم بعضاً. يقال: دابنت

(1) الكشاف.

الرجل عاملته ﴿بَدِينٍ﴾ معطياً أو آخذاً كما تقول: بايعته إذا بعته أو باعك.

والمعنى: إذا تعاملتم بدين مؤجل فاكتبوه. فإن قلت: هلاً قيل: إذا تداينتم إلى أجل مسمى وأي حاجة إلى ذكر «الدين» كما قال: داينت أروى، ولم يقل: بدين؟ قلت: ذكر ليرجع الضمير إليه في قوله: ﴿فَاكْتُبُوهُ﴾ [البقرة: 282].

قال أبو السعود⁽¹⁾: ﴿بِتَأْيُهَا الَّذِيْنَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَيْهِ﴾ [البقرة: 282] شروع في بيان حال المُدَايِنَةِ الواقعة في تضاعيف المعاوزات الجارية فيما بينهم ببيع السلع بالنقود بعد بيان حال الربا، أي إذا دايِن بعضكم بعضاً وعامله نسيئةً معطياً أو آخذاً، وفائدة ذكر الدين دفع توهم كون التداين بمعنى المُجازاة أو التنبية على تنوعه إلى الحالِّ والمؤجلِّ وأنه الباعثُ على الكتابة، وتعيين المرجع للضمير المنصوب المتصل بالأمر.

● قال تعالى: ﴿مَنْ بَعْدَ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ [النساء: 11].

قال الفخر الرازي⁽²⁾: لما كان في معنى الاستثناء صار كأنه قال: إلا أن يكون هناك وصية أو دين فيكون المراد بعدهما جميعاً.

يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿مَنْ بَعْدَ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ أن الذي قسم الله تبارك وتعالى لولد الميت الذكور منهم والإناث ولأبويه من تركته من بعد وفاته، إنما يقسمه لهم على ما قسمه لهم في هذه الآية من بعد قضاء دين الميت الذي مات وهو عليه من تركته ومن بعد تنفيذ وصيته في بابها، بعد قضاء دينه كله. فلم يجعل تعالى ذكره لأحد من ورثة الميت ولا لأحد ممن أوصى له بشيء إلا من بعد قضاء دينه من جميع تركته، وإن أحاط بجميع ذلك. ثم جعل أهل الوصايا بعد قضاء دينه شركاء ورثته فيما بقي لما أوصى لهم به ما لم يجاوز ذلك ثلثه، فإن جاوز ذلك ثلثه جعل الخيار في إجازة ما زاد على الثلث من ذلك أو رده إلى ورثته، إن أحبوا أجازوا الزيادة على ثلث ذلك، وإن شاؤوا ردّوه؛ فأما ما كان من

(1) إرشاد العقل السليم.

(2) التفسير الكبير.

ذلك إلى الثلث فهو ماض عليهم. وعلى كل ما قلنا من ذلك الأمة مجمعة. وقد روي عن رسول الله ﷺ بذلك خبر، وهو ما ورد عن عليّ رضي الله عنه قال: إنكم تقرؤون هذه الآية: ﴿مِن بَعْدِ وَصِيَّتِي يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دِينٍ﴾ أن رسول الله ﷺ قضى بالدين قبل الوصية.

قال الماوردي⁽¹⁾: ﴿مِن بَعْدِ وَصِيَّتِي يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دِينٍ﴾ فقدم الدين والوصية على الميراث، لأن الدين حق على الميت، والوصية حق له، وهما مقدمان على حق ورثته، ثم قدم الدين على الوصية وإن كان في التلاوة مؤخراً، لأن ما على الميت من حق أولى أن يكون مقدماً على ما له من حق.

وقد روى ابن إسحاق عن الحارث الأعور عن علي رضي الله عنه قال: إنكم تقرؤون هذه الآية: ﴿مِن بَعْدِ وَصِيَّتِي يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دِينٍ﴾ وإن رسول الله ﷺ قضى بالدين قبل الوصية فإن قيل: فلم قدم ذكر الوصية على الدين إن كان في الحكم مؤخراً؟ قيل لأن ﴿أَوْ﴾ لا توجب الترتيب وإنما توجب إثبات أحد الشئيين مفرداً أو مصحوباً، فصار كأنه قال: من بعد أحدهما أو من بعدهما.

● قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: 19].

قال القرطبي⁽²⁾: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ الدين في هذه الآية الطاعة والملة، والإسلام بمعنى الإيمان والطاعات؛ قاله أبو العالية، وعليه جمهور المتكلمين. والأصل في مسمى الإيمان والإسلام التَّغَايُرُ؛ لحديث جبريل. وقد يكون بمعنى المَرَادَفَةِ، فيسمى كل واحد منهما باسم الآخر؛ كما في حديث وفد عبد القيس وأنه أمرهم بالإيمان (بالله) وحده قال: «هل تدرون ما الإيمان» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وأن تؤدوا خمساً من المغنم» الحديث. وكذلك قوله ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون باباً فأدناها إمطة الأذى

(1) النكت والعيون. (2) الجامع لأحكام القرآن.

وأرفعها قول لا إله إلا الله» أخرجه الترمذي. وزاد مسلم «والحياء شعبة من الإيمان» ويكون أيضاً بمعنى التداخل، وهو أن يطلق أحدهما ويراد به مسماه في الأصل ومسمى الآخر، كما في هذه الآية، إذ قد دخل فيها التصديق والأعمال؛ ومنه قوله ﷺ: «الإيمان معرفة بالقلب وقول باللسان وعمل بالأركان» أخرجه ابن ماجه، وقد تقدّم. والحقيقة هو الأوّل وضعاً وشرعاً، وما عداه من باب التوسع.

قال البغوي⁽¹⁾: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ قال: شهادة أن لا إله إلا الله والإقرار بما جاء من عند الله تعالى وهو دين الله الذي شرع لنفسه وبعث به رسوله ودل عليه أوليائه ولا يقبل غيره ولا يجزي إلا به.

قال العزّ بن عبد السلام⁽²⁾: ﴿الدِّينُ﴾ هنا الطاعة: أي طاعته هي الإسلام، من السلامة، لأنه يقود إليها، أو من التسليم، لأمره في العمل بطاعته.

● قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾

[النساء: 125].

قال الطبري⁽³⁾: وهذا قضاء من الله جلّ ثناؤه للإسلام وأهله بالفضل على سائر الملل غيره وأهلها، يقول الله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا﴾ أيها الناس، وأصوب طريقاً وأهدى سبيلاً.

قال ابن عجيبة⁽⁴⁾: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ أي: لا أحد أحسن ديناً ممن انقاد بكليته إلى مولاه.

● قال تعالى: ﴿يَتَأَهَّلَ الْكُتُبِ لَا تَعْلَمُوا فِي دِينِكُمْ﴾ [النساء: 171].

قال الفخر الرازي⁽⁵⁾: واعلم أنه تعالى لما أجاب عن شبهات اليهود تكلم

(4) البحر المديد.

(5) التفسير الكبير.

(1) معالم التنزيل.

(2) التفسير العظيم.

(3) جامع البيان.

بعد ذلك مع النصارى في هذه الآية، والتقدير يا أهل الكتاب من النصارى لا تغلوا في دينكم: أي لا تفرطوا في تعظيم المسيح، وذلك لأنه تعالى حكى عن اليهود أنهم يبالغون في الطعن في المسيح، وهؤلاء النصارى يبالغون في تعظيمه، وكلا طرفي قصدهم ذميم، فلهذا قال للنصارى: ﴿لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾.

قال الشعراوي⁽¹⁾: إن أمر المنهج لا يحتاج إلى غلو، ولذلك جاء محمد ﷺ من عند الله بالدين الوسط الذي يضع كل أمر في نصابه. وشرح لنا بإخبارات النبوة وإلهامها ما سوف يحدث للإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقد حدث ما تنبأ به رسول الله ﷺ، فالخوارج كفروا علياً، والمسرفون بالتشيع قالوا: إنه نبي، وبعضهم زاد الإسراف فجعله إلهاً.

قال رسول الله ﷺ لعلي - كرم الله وجهه - : «إن فيك من عيسى مثلاً. أبغضته اليهود حتى بهتوا أمه، وأحبه النصارى حتى انزلوه المنزل الذي ليس له».

وكما قال سيدنا علي - كرم الله وجهه - : «ألا وإنه يهلك في اثنان: محب يقرظني بما ليس في، ومبغض يحمله شناتي على أن يبهنني، ألا إني لست بنبي ولا يوحى إلي، ولكني أعمل بكتاب الله وسنة نبيه - ﷺ ما استطعت، فما أمرتكم من طاعة الله فحق عليكم طاعتي فيما أحببتم وكرهتم». وقد أخبر الرسول ﷺ علياً أن المحب الذي يغالي في حبه ليس مع علي، وكذلك الكاره المبغض؛ فالذي يحب علياً بغلو جعل منه إلهاً أو رسولاً، والذي أبغض علياً جعله كافراً. وكذلك النصارى من أهل الكتاب جاؤوا إلى عيسى فأحبوه بغلو وجعلوه إلهاً أو ابن إله أو ثالث ثلاثة، فيقول لهم الحق: ﴿لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ﴾ [النساء: 171]. وقوله الحق: ﴿عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ﴾ [النساء: 157] رد على غلو اليهود الذين رفضوا الإيمان بعيسى، وقالوا في عيسى وأمه البهتان العظيم.

(1) تفسير الشعراوي.

● قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: 256].

قال الزمخشري⁽¹⁾: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ أي لم يجبر الله أمر الإيمان على الإجبار والقسر، ولكن على التمكين والاختيار. ونحوه قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: 99] أي لو شاء لقسرهم على الإيمان ولكنه لم يفعل، وبني الأمر على الاختيار.

قال ابن الجوزي⁽²⁾: قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ في سبب نزولها أربعة أقوال. الأول: أن المرأة من نساء الأنصار كانت في الجاهلية إذا لم يعيش لها ولد، تحلف: لئن عاش لها ولد لتهودنه، فلما أجليت يهود بني النضير، كان فيهم ناس من أبناء الأنصار، فقال الأنصار: يا رسول الله أبناؤنا، فنزلت هذه الآية، هذا قول ابن عباس. وقال الشعبي: قالت الأنصار: والله لنكرهن أولادنا على الإسلام، فإنا إنما جعلناهم في دين اليهود إذ لم نعلم ديناً أفضل منه، فنزلت هذه الآية. والثاني: أن رجلاً من الأنصار تنصّر لهو ولدان قبل أن يبعث النبي ﷺ، ثم قدما المدينة، فلزمهما أبوهما، وقال: والله لا أدعكما حتى تسلما، فأبيا، فاختصموا إلى النبي ﷺ، فنزلت هذه الآية، هذا قول مسروق. والثالث: أن ناساً كانوا مسترضعين في اليهود، فلما أجلى رسول الله ﷺ، بني النضير، قالوا: والله لنذهبن معهم، ولندين بدينهم، فمنعهم أهلهم، وأرادوا إكراههم على الإسلام، فنزلت هذه الآية. والرابع: أن رجلاً من الأنصار كان له غلام اسمه صبيح، كان يكرهه على الإسلام، فنزلت هذه الآية. والقولان عن مجاهد. واختلف علماء الناسخ والمنسوخ في هذا القدر من الآية، فذهب قوم إلى أنه محكم، وأنه من العام المخصوص، فإنه خص منه أهل الكتاب بأنهم لا يكرهون على الإسلام، بل يخيروا بينه، وبين أداء الجزية، وهذا معنى ما روي عن ابن عباس ومجاهد وقتادة. وقال ابن الأنباري: معنى الآية: ليس الدين ما تدين به في الظاهر على جهة الإكراه

(1) الكشاف.

(2) زاد المسير.

عليه، ولم يشهد به القلب، وتنطوي عليه الضمائر، إنما الدين هو المنعقد بالقلب. وذهب قوم إلى أنه منسوخ، وقالوا هذه الآية نزلت قبل الأمر بالقتال، فعلى قولهم، يكون منسوخاً بآية السيف، وهذا مذهب الضحاك، والسدي، وابن زيد، والدين هاهنا: أريد به الإسلام. والرشد: الحق، والغى: الباطل. وقيل: هو الإيمان والكفر. فاما الطاغوت؛ فهو اسم مأخوذ من الطغيان، وهو مجاوزة الحد، قال ابن قتيبة: الطاغوت: واحد، وجمع، ومذكر، ومؤنث.

● قال تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ﴾ [آل عمران: 83].

قال القرطبي⁽¹⁾: قوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ﴾ قال الكلبي: إن كعب بن الأشرف وأصحابه اختصموا مع النصارى إلى النبي ﷺ فقالوا: أئنا أحق بدين إبراهيم؟ فقال النبي ﷺ: «كلاً الفريقين بريء من دينه» فقالوا: ما نرضى بقضائك ولا نأخذ بدينك؛ فنزل ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ﴾ يعني يطلبون. ونصبت «غير» بيبغون، أي يبغون غير دين الله. وقرأ أبو عمرو وحده «يبغون» بالياء على الخبر «وإليه ترجعون» بالتاء على المخاطبة. قال: لأن الأول خاص والثاني عام ففرق بينهما لافتراقهما في المعنى.

قال الفخر الرازي⁽²⁾: اعلم أنه تعالى لما بين في الآية الأولى أن الإيمان بمحمد عليه الصلاة والسلام شرع شرعه الله وأوجبه على جميع من مضى من الأنبياء والأمم، لزم أن كل من كره ذلك فإنه يكون طالباً ديناً غير دين الله، فلهذا قال بعده ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ﴾.

● قال تعالى: ﴿وَلَا يَدِينُونَ دِينَ﴾ [التوبة: 29].

قال الطبري⁽³⁾: يقول: ولا يطيعون الله طاعة الحق، يعني: أنهم لا يطيعون طاعة أهل الإسلام ﴿مَنْ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ [البقرة: 101] وهم اليهود والنصارى،

(3) جامع البيان.

(1) الجامع لأحكام القرآن.

(2) التفسير الكبير.

وكل مطيع ملكاً أو ذا سلطان، فهو دائن له، يقال منه: دان فلان لفلان فهو يدين له ديناً.

قال البغوي⁽¹⁾: ﴿يُحْرِمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ﴾ [التوبة: 29]، أي: لا يدينون الدين الحق، أضاف الاسم إلى الصفة. وقال قتادة: الحق هو الله، أي: لا يدينون دين الله، ودينه الإسلام. وقال أبو عبيدة: معناه لا يطيعون الله تعالى طاعة أهل الحق.

قال ابن عجيبة⁽²⁾: ﴿وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ﴾ أي: لا يدخلون في الإسلام، الذي هو الدين الحق، الناسخ لسائر الأديان ومبطلها.

● قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ [الواقعة: 86].

قال الزمخشري⁽³⁾: ﴿غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ غير مربوبين، من دان السلطان الرعية إذا ساسهم.

قال ابن كثير⁽⁴⁾: ﴿فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾: غير مصدقين أنكم تدانون وتبعثون وتجزون، فردوا هذه النفس، وعن مجاهد: ﴿غَيْرَ مَدِينِينَ﴾: غير موقنين. وقال ميمون بن مهران: غير معذيين مقهورين.

قال ابن عجيبة⁽⁵⁾: ﴿فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ غير مربوبين مقهورين، من: دان السلطان رعيته: إذا ساسهم واستعبدهم، والمحضض عليه.

(4) تفسير ابن كثير.

(5) البحر المديد.

(1) معالم التنزيل.

(2) البحر المديد.

(3) الكشاف.

دُونَ

(دُونَ - تَحْتَ - أَسْفَلَ - قَعْرُ)

- **الدُّونُ:** القاصر عن الاتصال بمن هو فوقه ﴿لَا تَنخِذُوا يَبَانَةَ مِّنْ دُونِكُمْ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: 118].
- **التَّحْتَ:** الجزء المنفصل من تحت الشيء ﴿لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ [المائدة: 66].
- **الأَسْفَلَ:** الجزء المتصل من أسفل الشيء ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ [الأحزاب: 10].
- **القَعْرُ:** التحت البعيد أو النهائي ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾ [القَمَرُ: 20].



النصوص اللغوية:

قال ابن فارس⁽¹⁾: الدال والواو والنون أصل احد يدلُّ على المداناة والمقاربة. يقال: هذا دُونُ ذاك، أي: هو أقربُ منه. وإذا أردتَ تحقيره قلتَ: دُوَيْنَ. ولا يُشتقُّ منه فِعْلٌ. ويقال في الإغراء: دُونَكُهُ! أي: خُذْهُ، أقربُ منه وقربُهُ منك. ويقولون: أمرٌ دُونٌ، وثوبٌ دُونٌ، أي: قريبُ القِيَمَةِ. قال القتيبي: دانٌ يَدُونُ دُونًا: إذا ضَعُفَ، وأدين إدانَةً.

قال الجوهري⁽²⁾: دون: نقيض فوق، وهو تقصير عن الغاية، ويكون ظرفاً.

(2) الصحاح في اللغة.

(1) معجم مقاييس اللغة.

والدُّونُ: الحَقِيرُ الخَسِيسُ. ولا يَشْتَقُّ منه فعلٌ. وبعضهم يقول منه: دانَ يَدُونُ دَوْنًا، وأدينَ إدانَةً. ويقال: هذا دونَ ذاك، أي: أقربُ منه. ويقال في الإغراء بالشيء: دونكهُ. والديوانُ أصله دَوَّانٌ، فعوضُ من إحدى الواوين، لأنَّه يجمع على دَوَوين.

قال الراغب⁽¹⁾: يقال للقاصر عن الشيء: دون، قال بعضهم: هو مقلوب من الدنو، والأدون: الدنيء.

قال الفيروزآبادي⁽²⁾: دُونٌ، بالضم: نَقِيضُ فَوْقَ ويكونُ ظَرْفًا، وبمعنى أَمَامَ، ووراءَ، وفوقَ، ضِدًّا، وبمعنى غيرٍ، قيل: ومنه: «ليس فيما دونَ خَمْسِ أواقٍ صدقةٌ»، أي في غيرِ خَمْسِ أواقٍ، قيل: ومنه الحديثُ: «أجازَ الخُلَعُ دونَ عِقاصِ رأسِها»، أي: بما سِوَى عِقاصِ رأسِها، أو مَعْنَاهُ: بِكُلِّ شيءٍ حتى بِعِقاصِ رأسِها، وبمعنى الشَّرِيفِ، والخَسِيسِ، ضِدًّا، وبمعنى الأَمْرِ والوَعِيدِ.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِلَطَانَةِ مِّن دُونِكُمْ﴾ [آل

عمران: 118].

قال الزمخشري⁽³⁾: ﴿مِّن دُونِكُمْ﴾ من دون أبناء جنسكم وهم المسلمون. ويجوز تعلقه بلا تتخذوا، وبيطانة على الوصف، أي بطانة كائنة من دونكم مجاوزة لكم.

قال ابن عجيبة⁽⁴⁾: ﴿مِّن دُونِكُمْ﴾ ليسوا على دينكم.

(1) مفردات الراغب. (2) القاموس المحيط. (3) الكشاف. (4) البحر المديد.

قال أبو السعود⁽¹⁾: ﴿مِن دُونِكُمْ﴾ أي من دون المسلمين وهو متعلقٌ بلا تتخذوا أو بمحذوف وقع صفةً لبطانة: أي كائنةً من دونكم مجاوزةً لكم.

● قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ﴾ [النساء]:

[48].

قال ابن عطية⁽²⁾: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: 48] فإنها جلت الشك وردت على الطائفتين، المرجئة والمعتزلة، وذلك أن قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ فصل مجمع عليه، وقوله: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ﴾ فصل قاطع بالمعتزلة راد على قولهم رداً لا محيد عنه، ولو وقفنا في هذا الموضوع من الكلام لصح قول المرجئة، فجاء قوله: ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾ راداً عليهم، موجباً أن غفران ما دون الشرك إنما هو لقوم دون قوم، بخلاف ما زعموه من أنه مغفور لكل مؤمن.

قال القاضي أبو محمد: ورامت المعتزلة أن ترد هذه الآية إلى قولها، بأن قالوا: «من يشاء» هو التائب، وما أرادوه فاسد، لأن فائدة التقسيم في الآية كانت تبطل، إذ التائب من الشرك يغفر له.

قال الفخر الرازي⁽³⁾: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ﴾ هو أن يغفره على سبيل التفضل؛ حتى يكون النفي والإثبات متواردين على معنى واحد. ألا ترى أنه لو قال: فلان لا يعطي أحداً تفضلاً، ويعطي زائداً فإنه يفهم منه أنه يعطيه تفضلاً، حتى لو صرح وقال: لا يعطي أحداً شيئاً على سبيل التفضل ويعطي أزيد على سبيل الوجوب، فكل عاقل يحكم بركاكة هذا الكلام، فثبت أن قوله: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ على سبيل التفضل. إذا ثبت هذا فنقول: وجب أن يكون المراد منه أصحاب الكبائر قبل التوبة، لأن عند المعتزلة غفران الصغيرة وغفران الكبيرة بعد التوبة

(3) التفسير الكبير.

(1) إرشاد العقل السليم.

(2) المحرر الوجيز.

واجب عقلاً، فلا يمكن حمل الآية عليه، فإذا تقرر ذلك لم يبق إلا حمل الآية على غفران الكبيرة قبل التوبة وهو المطلوب.

قال البيضاوي⁽¹⁾: ﴿وَيَعْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ﴾ [النساء: 48] أي ما دون الشرك صغيراً كان أو كبيراً.

● قال تعالى: ﴿أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾

[المائدة: 116].

قال الفخر الرازي⁽²⁾: ﴿أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ سؤالان: أحدهما: أن الاستفهام كيف يليق بعلام الغيوب. وثانيهما: أنه كان عالماً بأن عيسى عليه السلام لم يقل ذلك فلم خاطبه به؟ فإن قلت الغرض منه توبيخ النصارى وتقريعهم فنقول: إن أحداً من النصارى لم يذهب إلى القول بإلهية عيسى ومريم مع القول بنفي إلهية الله تعالى فكيف يجوز أن ينسب هذا القول إليهم مع أن أحداً منهم لم يقل به.

والجواب عن السؤال الأول أنه استفهام على سبيل الإنكار.

والجواب عن السؤال الثاني أن الإله هو الخالق والنصارى يعتقدون أن خالق المعجزات التي ظهرت على يد عيسى ومريم هو عيسى عليه السلام ومريم، والله تعالى ما خلقها ألبتة، وإذا كان كذلك فالنصارى قد قالوا إن خالق تلك المعجزات هو عيسى ومريم، والله تعالى ليس خالقها، فصح أنهم أثبتوا في حق بعض الأشياء كون عيسى ومريم إلهين له مع أن الله تعالى ليس إلهاً له فصح بهذا التأويل هذه الحكاية والرواية.

قال أبو السعود⁽³⁾: ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ متعلق بالاتخاذ ومحله النصب على أنه حال من فاعله، أي متجاوزين الله، أو بمحذوفٍ هو صفة لإلهين، أي كائنين من

(3) إرشاد العقل السليم.

(1) أنوار التنزيل.

(2) التفسير الكبير.

دونه تعالى، وأياً ما كان فالمرادُ اتخاذهما بطريق إشراكهما به سبحانه كما في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا﴾ [البقرة: 165] وقوله عز وجل: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: 18].

قال ابن عجيبة⁽¹⁾: قلت: ﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾: صفة لإلهين، أو صلة ﴿أَتَّخِذُونِي﴾.

● قال تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُم يَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: 51].

قال الطبري⁽²⁾: ﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ﴾ أي: ليس لهم من عذاب الله إن عذبهم وليّ ينصرهم فيستنقذهم منه.

قال القرطبي⁽³⁾: ﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ﴾ أي: من غير الله.

قال ابن عجيبة⁽⁴⁾: ﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ﴾ أي: ينصرهم من عذابه.

قال ابن كثير⁽⁵⁾: ﴿مِن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ أي: لا قريب لهم، ولا شفيع فيهم من عذابه إن أراده بهم.



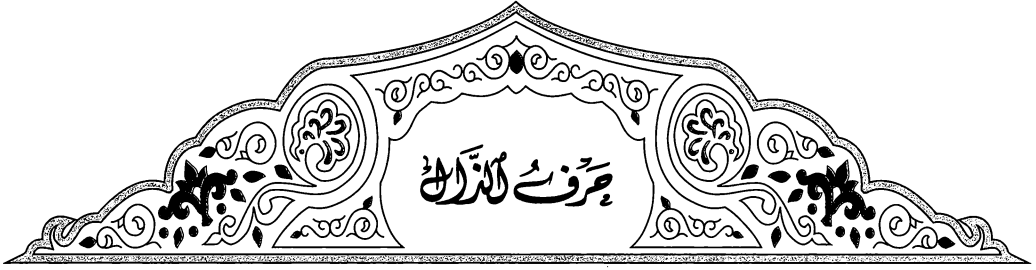
(4) البحر المديد.

(5) تفسير ابن كثير.

(1) البحر المديد.

(2) جامع البيان.

(3) الجامع لأحكام القرآن.



ذَبْذَب

(ذَبْذَب - تَحَيَّر - تَرَدَّد - تَاه)

شرح المعاني:

ذَبْذَب: الكلمة الوحيدة في كتاب الله عز وجل التي تدخل في هذا التكوين كلمة ذَبْذَب ﴿مُذَبِّدِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ [النساء: 143]. والذَبْذَبَة هي اضطراب الحركة. والكون كله يقوم على التذبذب والتردد. الكون موجي وجميع الحركة فيه تقوم على التذبذب والتردد، وكلنا نسمع في الفضائيات أن إرسالها يتم على ذبذبة قدرها كذا ميغاهيرتز. هذا التردد في الكون هو التسيح كما يقول بعض العارفين ﴿وَأَنَّ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسِيحُ بِحَدِيثِهِ﴾ [الإسراء: 44] وربما يكون صحيحاً. كل حركة تبقى تتردد في الفضاء، وهذا شأن الفيزيائيين الذين يعرفون معنى هذه الكلمات وأين مبدأها ومنتهاها، وهم أقدر الناس على تلمس قدرة الله تعالى في الكون. نحن نتكلم عن حركة الإنسان على خلاف حركة الكون. إذا كانت حركة الكون تقوم على الذبذبة والتردد فإن حركة الإنسان تقوم على الثبات والاستقامة: الثبات على مبدأ والاستقامة باتجاهه. والثبات في هذه الأمة بل في كل المخلوقات البشرية تقوم على لا إله إلا الله ﴿يَشِئْتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: 27] فلا إله إلا الله القول الثابت الذي لا

يمكن تحريفه ولا الزيادة عليه ولا نقصه . وهي قضية هذه المخلوقات البشرية الحية وهي رسالة الأنبياء جميعاً وإذا ثبتت لهم هذا القول الثابت أدى إلى هذه الاستقامة ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾ [فصلت: 30] إن الثبات يقوم على مبدأ وهو لا إله إلا الله ثم الاستقامة باتجاهه . فحركة المسلم أينما كان وكل من يؤمن بالله رباً وإلهاً تقوم على الثبات على التوحيد المطلق ثم الاستقامة باتجاه هذا التوحيد، ولكل دين استقامة و﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً﴾ [المائدة: 48] هذا الثبات قد يختل ابتداءً وقد يختل انتهاءً . وعندما يكون الإنسان مختل الحركة فهو إما متردد أو متذبذب أو متحير أو تائه، وهذه تعبر عن شيء اصطلاحى في كتاب الله اسمه النفاق . فالمنافق هو الذي يكون إما متردداً أو متذبذباً أو متحيراً أو تائهاً .

التردد: عقلى . تريد أن تعمل مشروعاً، أن تسافر، أن تنتمى إلى دين فإما أن تكون في البداية ثابتاً ثم تستقيم على هذا الثبات، أو لست واثقاً أو أن يقينك مهزوز . أول مرحلة تبدأ وهي التردد والتردد عقلى . تريد أن تتوجه إلى الحج مثلاً: إن كنت ثابتاً تعلم أن الحج ركن من أركان الدين والذهاب إليه هذا ثبات على اعتقادك أن الحج ركن، والاستقامة أنك تعلم ماذا ينبغي لهذا الركن . هذه الصيغة الوحيدة الصحيحة ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ [يوسف: 108] . الصواب واحد والخطأ متعدد . إذا كنت ثابتاً ومستقيماً . قد تقول ما الحج؟ طواف وسعي؟ في عقلك لم يعد ثابتاً، أول بداية الخلل العقلى يسمى تردداً ﴿إِنَّمَا يَسْتَعِذُّنَا اللَّهُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَفْتَرُونَ﴾ [التوبة: 45] القضية عقلانية عقائدية . ذهب الناس للجهاد فقال أحدهم وهو جالس في بيته: أين أذهب؟ كيف أترك عيالى؟ ثم يبدأ بالفلسفة ثم يبدأ يقول: مَنْ محمد؟ بدأ الخلل في تصويره وعقله . بداية الحركة تفكير تسمى في المصطلح الدينى نيّة . نيّته هنا اختلّت فهذا تردد .

التحير: عندما يستحكم منك التردد يؤدي بك إلى التحير . أين أتوجه؟ مع

محمد أو مع المنافقين الخوالب؟ بعد أن اختل عقلك في موضوع المبدأ اختلت نيتك في التوجه . ليس عندك مرجح أو خطة أو غيره لهذا فأنت بينهما وهذا يسمى تحييراً ﴿قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ أَتُنِتَ قُلْ إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ وَأَمْرًا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: 71]. هذا كان مسلماً ثم ارتدّ فيقول تعالى لمحمد ﷺ: قل لهم ﴿كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ﴾ هذا حيران، الشيطان يقول له تعال . وسبق أن ذكرنا كلمة هوى واشتقاقاتها العجيبة: هوا من الريح، وهوى من الرغبة والشهوة، وهوى السقوط ﴿أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: 31]. بعدما تردد أراد أن يتحرك فتحير في الحركة أين وجهته؟ بعد أن شك في المبدأ تحير في الوجهة التي يتحرك إليها . نحن مسلمون ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسَلْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعْتُ﴾ [آل عمران: 20] استقامة كاملة ليس فيها شك ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ خَافِئًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: 79] استقامة كاملة نحو الثبات الكامل .

التيه: بعدما تحرك ولا يدري أين، يسمى تيهاً . عندما تفقد الهدف أو الوجهة يسمى تيهاً ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [المائدة: 26] بني إسرائيل أربعين عاماً تحركوا حركة دائمة وليس لهم وجهة يذهبون من النهار إلى الليل ثم في الليل يجدون أنفسهم في المكان الذي انطلقوا منه في النهار .

هذه المنظومة كان يُعاب أصحابها لأنهم قلة . في كل المجتمعات وعلى كل المستويات في حركة اليوم الليلة للبشرية كانت هذه المنظومة في غاية القبح: تقول فلان متردد، تائه، متحير، مذبذب أو متذبذب، لقبحها لا يتصف بها إلا قلة من الناس وهذه القلة مذمومة وغير متزنة وغير واضحة المعالم في الحركة وعندها كثير من الاختلاطات والاختلافات والخلل . هذه المنظومة تفرع منها: فلان جبان، خوآن، منافق، ذو وجهين . . . كلها بدأت بأن يكون الإنسان متردداً في ذهنه،

متحيراً في وجهة حركته، تائهاً في حركته الفعلية، مذبذباً في عدة جهات ليس له التزام بشيء. المتذبذب هو ليس ملتزماً بشيء. هكذا كل حركة الكون الإنسانية تخضع لهذه المعايير. الشيء المحزن الذي أخبرنا به الرسول ﷺ: «لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس» وحديث الغرباء «سيأتي يوم يكون المسلم فيه غربياً» وتُرفع الأمانة حتى يقال: إن في بني فلان أميناً. الخلل باضطراب الحركة. اضطربت حركة البشرية جمعاء. كنا سابقاً باتجاه الأمانة عقيدة أولاً ثم استقامة، هكذا كان 90% من الناس في كل مراحل الكون البشرية عندما فقدت الثبات والاستقامة واليوم أصبح هذا سياسة. النبي ﷺ يخبرنا بحديث عجيب طُبق في 11 سبتمبر. بدأ العالم في مرحلة جديدة. منذ خلق آدم إلى ما يسمى بأحداث 11 سبتمبر على وتيرة. كانت الأمم عندها موازين، كل الأجيال كان الناس متفقين على الأمين والخائن والسارق والشريف والصح والخطأ وكان هناك اتفاق على موازين الصواب والخطأ. ومن ذلك التاريخ اختل الميزان بالكامل بحيث أصبح الصواب خطأ والخطأ صواباً. يقول ﷺ: «كيف أنتم إذا لم تأمروا بالمعروف ولم تنهوا عن المنكر؟ قالوا: أو كائن ذلك يا رسول الله؟ قال: «وأشد منه كائن. كيف أنتم إذا رأيتم المنكر معروفاً والمعروف منكراً؟ قالوا: أو كائن ذلك يا رسول الله؟ قال: «وأشد منه كائن. كيف أنتم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف؟». هذا كائن الآن. دول، حكومات، إعلام، مهن عامة، علاقات إنسانية، كل حركة هذا الكون بكل أصنافها هل هي قائمة على الثبات والاستقامة كما كان سابقاً على زمن أجدادنا وأبائنا؟؟ كلا. لأول مرة يختل هذا النظام العالمي كله. هل المنظمات الدولية لها التزام بميثاقها التي وضعته أو أنها متذبذبة بين مصالح الأمم والقوى العظمى؟! هذه ذبذبة ليس لهم موقف. منظمة الأمم المتحدة، الجامعة العربية، منظمة حقوق الإنسان وغيرها... المحتل أصبح رجل السلام، والمدافع عن أرضه أصبح إرهابياً، المعروف والمنكر نسبي من دولة لدولة ومن شعب لشعب ومن أمة لأمة.

قس على ذلك كل شيء وكل المهنة: التاجر سابقاً كان مهيباً ومتخصصاً وكان للتجار كبير يحكم بينهم، أما اليوم فأصبح التاجر يشتغل بكل شيء وذهبت قيم وثبات واستقرار التجارة. عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يقول: السوق دولة له قيمته وقوانينه. وكانت الأسواق متخصصة: سوق الوراقين، سوق القماش، سوق الإبل، سوق الخيول والإسلام لا يقبل بالإخلال بقوانين السوق واستقراره.

كل رؤساء العالم أصابهم التردد أولاً ثم التحير ثم التيه ثم الذبذبة التي أصبحت سمت السياسة في العالم كله، وإجماع الدول على هذا الخلل لم يسبق أن حدث في الكون. وهذا إجماع خطير على مستقبل الكرة الأرضية لأن لها قوانين وضعها الله عز وجل. ليس في وسع قوة خارقة أن تستبد بالضعفاء الذين لا يستطيعون ردها وإلا فإن الله تعالى سيتدخل مباشرة بأسباب لا أحد يستطيع دفعها. الله تعالى أغرق فرعون ودولته، والنمرود الذي ظلم الناس تدخل الله عز وجل ببعوضة تدخل في إذن الجندي فتصرعه. قوم عاد طغوا وقالوا: من أشد منا قوة؟ هذه العبارة بداية النهاية المطلقة لهذا الكون بهذه الذبذبة المعاصرة إن لم تقم قوة عالمية لإنهاء هذا العار فإن كارثة لا بد أن تقع. من عصى الله بعد أن عرفه سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْهِ مَنْ لَا يَعْرِفُهُ. وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَيَّ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْسِكُمْ شَيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ أَنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: 65]. بأس الكل طاقة وليس أذى. والباس أن تفرغ طاقتك وكل ما تستطيع.

﴿ذَلِكَ أَنْ لَّمْ يَكُنْ رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَفْلُونَ﴾ [الأنعام: 131] (القرى أي المجتمع) والمصلحون الذين يحققون العدل فيما بينهم. يقول ابن خلدون: إن الله يُديم دولة الكفر مع العدل، ويسقط دولة الإسلام مع الظلم.



النصوص اللغوية:

قال ابن فارس: الذال والباء في المضاعف أصولٌ ثلاثة: أحدها: طَوَيْتُرٌ، ثم يُحْمَلُ عليه ويشبّه به غيره، والآخِر: الحَدُّ والحِدَّة، والثالث: الاضطرابُ والحركة. فالأوّل: الذُّباب، معروف، وواحدته ذُبابة، وجمع الجمع أذِبَّة.

ومما يشبّه به ويُحْمَلُ عليه ذُبَابُ العَيْن: إنسانُها. ويقال: ذَبَبْتُ عنه: إذا دَفَعْتَ عنه، كأنك طردت عنه الذُّباب الذي يتأذى به. وقول النابغة: فهو جمع ذُبَابٍ.

والمَذْبُوبُ من الإبل: الذي يدخل الذُّبابُ منخره. والمَذْبُوبُ: الأحمق، كأنه شُبّه بالجمل المَذْبُوبِ.

وأما الحَدُّ فذُّباب أسنانِ البعير: حَدُّها.

وذُبَابُ السِّيفِ: حَدُّه.

والأصل الثالث: الذَّبَذَبَةُ: نَوْسُ الشَّيْءِ المَعْلَقِ في الهواء. والرجل المَذْبَذَبُ: المتردّد بين أمرين. والذُّبَذْبُ الذَّكْرُ؛ لأنه يتذبذب أي: يتردّد. والذَّبَذِبُ: أشياء تُعَلَّقُ في هَوْدَجٍ أو رأسِ بعيرٍ. والذَّبُّ: الثَّورُ الوحشيّ، ويسمى ذَبَّ الرِّيادِ.

وقالوا: سُمِّيَ ذَبَّ الرِّيادِ لأنَّه يجيء ويذهب، لا يثبت في موضعٍ واحد. ومن هذا الأصل الثالث قولهم ذَبَّتْ شَفْتُهُ: إذا ذَبَلَتْ من العطش.

ويقال: ذَبَّ النَّبْتُ: إذا دَوَى. وذَبَّ جِسْمُهُ، أي: هَزُلَ.. ومن الاضطراب والحركة قولهم: ذَبَبْنَا ليلتنا، أي: أتعبنا في السير. ولا ينالون الماء إلاَّ بِقَرَبٍ مذبَّبٍ، أي: مُسْرَعٍ.

قال الجوهري⁽¹⁾: التَّذْبَذْبُ: التحرُّكُ. والذَّبَذَبَةُ: نَوْسُ الشَّيْءِ المَعْلَقِ في

(1) الصحاح في اللغة.

الهواء. والذَّبْذَبُ الذَّكْرُ. وفي الحديث: (مَنْ وُقِيَ شَرَّ ذَبْذَبِهِ). أيضاً: أشياء تُعَلَّقُ في الهودج. والمُذَبِّذُ المِترِدُّ بين أمرين. قال الله تبارك وتعالى: ﴿مُذَبِّذِينَ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ [النساء: 143].

قال الراغب⁽¹⁾: الذَّبَابُ يقع على المعروف من الحشرات الطائرة، وعلى النحل، والزناير ونحوهما.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿وَإِنْ يَسْأَلُهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا﴾ [الحج: 73].

قال البغوي⁽²⁾: ﴿وَإِنْ يَسْأَلُهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ﴾ [الحج: 73]، قال ابن عباس: كانوا يطلون الأصنام بالزعران، فإذا جفَّ جاء الذباب فاستلب منه.

قال أبو السعود⁽³⁾: ﴿وَإِنْ يَسْأَلُهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا﴾ بيان لعجزهم عن الامتناع عما يفعل بهم الذباب بعد بيان عجزهم عن خلقه، أي: إن يأخذ الذباب منهم شيئاً.

قال ابن عجيبة⁽⁴⁾: ﴿وَإِنْ يَسْأَلُهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا﴾ من الطيب وغيره، ﴿لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ﴾ أي: هذا الخلق الأردل الأضعف، لو اختطف منهم شيئاً فاجتمعوا على أن يستخلصوه منه، لم يقدرُوا وعن ابن عباس رضي الله عنه: أنهم كانوا يطلونها بالعسل والطيب، ويغلقون عليها الأبواب، فيدخل الذباب من الكوي فيأكله، فتعجز الأصنام عن أخذه.

(3) إرشاد العقل السليم.

(4) البحر المديد.

(1) مفردات الراغب.

(2) معالم التنزيل.

● قال تعالى: ﴿مُذَبِّدِينَ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ [النساء: 143].

قال الطبري⁽¹⁾: يعني جلّ ثناؤه بقوله: ﴿مُذَبِّدِينَ﴾: مترددين، وأصل التذبذب: التحرك والاضطراب. وإنما عنى بذلك: أن المنافقين متحIRON في دينهم، لا يرجعون إلى اعتقاد شيء على صحة فهم لا مع المؤمنين على بصيرة، ولا مع المشركين على جهالة، ولكنهم حيارى بين ذلك، فمثلهم مثل الذي ضرب لهم رسول الله ﷺ، قال: «مَثَلُ الْمُنَافِقِ كَمَثَلِ الشَّاةِ الْعَائِرَةِ بَيْنَ الْغَنَمَيْنِ، تَعِيرُ إِلَى هَذِهِ مَرَّةً وَإِلَى هَذِهِ مَرَّةً، لَا تَدْرِي أَيَّتَهُمَا تَتَّبِعُ».

وعن ابن جريج، قوله: ﴿مُذَبِّدِينَ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ قال: لم يخلصوا الإيمان فيكونوا مع المؤمنين، وليسوا مع أهل الشرك.

قال الخازن⁽²⁾: ﴿مُذَبِّدِينَ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ يعني متحيرين مترددين بين الكفر والإيمان لأنهم ليسوا مع المؤمنين المخلصين ولا مع المشركين المصرحين بالشرك.



(2) لباب التأويل.

(1) جامع البيان.

ذبح

(ذبح - خنق - حس - وأد - ذكو

- صرع - صلب - عقر - نحر)

- **الذَّبْحُ:** شُقُّ حلق الحيوان ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً﴾ [البقرة: 67].
- **الْخَنْقُ:** الموت بالمخنق، وهو حبل يلق على الرقبة أو باليدين حتى الموت ﴿وَالْمُنْخِيقَةُ﴾ [المائدة: 3].
- **الْحَسُّ:** الموت بإصابة الحواس كناية عن قطع الرأس لأنه مجمع الحواس ﴿إِذْ تَحْسُونَهُمْ بِأَذْنِهِ﴾ [آل عمران: 152].
- **الْوَادُ:** الموت بالدفن حياً ﴿وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سِيلَتْ﴾ [التكوير: 8].
- **الذَّكَاءُ:** الموت ذبحاً بالسكين من الحلق ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ [المائدة: 3].
- **الصَّرْعُ:** الموت بالطرح أرضاً بقوة ﴿فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى﴾ [الحاقة: 7].
- **الصَّلْبُ:** الموت بتعليق الإنسان بحبل من رقبته ﴿وَمَا قَلَّوهُ وَمَا صَلَبُوهُ﴾ [النساء: 157].
- **العقر:** الموت بقطع الأرجل ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ﴾ [الأعراف: 77].
- **النَّحْرُ:** قطع نحر الأضحية ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾ [الكوثر: 2].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس⁽¹⁾: الذال والباء والحاء أصل واحد، وهو يدُّ على الشَّقِّ. فالذَّبْحُ: مصدر ذَبَحْتُ الشَّاةَ ذَبْحًا. والذَّبْحُ. المَذْبُوحُ. والذَّبَّاحُ: شُقُوقٌ في أصول الأصابع. ويقال: ذُبِحَ الدَّنُّ: إذا بُزِلَ. والمَذَابِحُ: سيولٌ صغار تشقُّ الأرض شقًّا. وسعدُ الذَّابِحُ: أحد السُّعود. والذَّبْحُ نبتٌ، ولعله أن يكون شاذًّا من الأصل.

قال الخليل⁽²⁾: الذَّبْحُ: قَطْعُ الحُلُقُومِ من باطن عند النَّصِيلِ، ومَوْضِعُهُ المَذْبُوحُ. والذَّبِيحَةُ: الشَّاةُ المَذْبُوحَةُ. والذَّبْحُ: ما أُعِدَّ للذَّبْحِ وهو بمنزلة الذَّبِيحِ والمذبوح. والمَذْبُوحُ: السَّكِينُ الذي يُذْبَحُ به. والذَّابِحُ: شَعْرٌ يَنْبُتُ بَيْنَ النَّصِيلِ والمَذْبُوحِ. والذَّبْحَةُ: داءٌ يأخُذُ في الحَلْقِ وربَّما قَتَلَ. والذَّبْحُ، والذَّبَّاحُ، لغة: نبات من السَّمِّ بالفارسيَّة: سَعْنُ.

والذَّبْحُ: نباتٌ له أصلٌ يُفَشِّرُ عنه قِشْرٌ أسود فيخْرُجُ أبيض كأنَّه جَزْرَةٌ، حلو طيب يُؤْكَلُ، والواحدة ذُبْحَةٌ. ويقال: أَخَذَهُ الذَّبَّاحُ، وهو تَشَقُّقٌ بين أصابع الصَّبِيانِ من التُّرابِ. والذَّابِحُ: كوكبٌ، يقال له: سَعْدُ الذَّابِحِ من منازل القَمَرِ فإذا طَلَعَ الذَّابِحُ انْجَحَرَ النابحُ.

قال الجوهري⁽³⁾: الذَّبْحُ: الشَّقُّ:

وربَّما قالوا: ذَبَحْتُ الدَّنَّ، أي: بَزَلْتُهُ. والذَّبْحُ مصدر ذَبَحْتُ الشَّاةَ. والذَّبْحُ، بالكسر ما يُذْبَحُ: قال الله تعالى: ﴿وَفَدَيْنَهُ بِذَبِيحٍ عَظِيمٍ﴾ [الصَّافَات: 107]. والذَّبِيحُ: المذبوح، والأنثى ذَبِيحَةٌ. والذَّبِيحُ: الذي يَصْلُحُ أن يُذْبَحَ لِلنَّسِكِ.

(1) معجم مقاييس اللغة.

(3) الصحاح في اللغة.

(2) العين.

وَأَذْبَحْتُ: اتَّخَذْتُ ذَبِيحًا. وَتَذَابِحِ الْقَوْمِ، أَي: ذَبَحَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا. يُقَالُ: التَّمَادِحُ التَّذَابِحُ. وَالْمَذْبُوحُ شَقٌّ فِي الْأَرْضِ مِقْدَارُ الشِّبْرِ وَنَحْوِهِ.

يُقَالُ: غَادَرَ السَّيْلُ فِي الْأَرْضِ أَحَادِي وَمَذَابِحَ. وَالْمَذَابِحُ أَيْضًا: الْمَحَارِبُ، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِلْقَرَابِينَ. وَالذُّبَابُ، بِالضَّمِّ وَالتَّشْدِيدِ: شُقُوقٌ تَكُونُ فِي بَاطِنِ الْأَصَابِعِ فِي الرَّجْلِ. وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: مَا دُونَهُ شَوْكَةٌ وَلَا ذُبَابٌ. وَسَعْدُ الذَّبَابِ: مَنْزِلٌ مِنْ مَنَازِلِ الْقَمَرِ، وَهُمَا كَوْكَبَانِ نِيرَانٍ بَيْنَهُمَا مِقْدَارُ ذِرَاعٍ، وَفِي نَحْرِ وَاحِدٍ مِنْهُمْ نَجْمٌ صَغِيرٌ قَرِيبٌ مِنْهُ كَأَنَّهُ يَذْبَحُهُ، فَسُمِّيَ ذَابِحًا. وَالذَّبْحُ نَبْتُ تَأْكُلُهُ النَّعَامُ. وَالذُّبْحَةُ وَجَعٌ فِي الْحَلْقِ. يُقَالُ: أَخَذْتَهُ الذُّبْحَةَ. قَالَ أَبُو زَيْدٍ، وَلَمْ يَعْرِفِ الذُّبْحَةَ بِالتَّسْكِينِ، الَّذِي عَلَيْهِ الْعَامَّةُ.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ [البقرة: 67].

قال الفخر الرازي⁽¹⁾: روي عن ابن عباس وسائر المفسرين أن رجلاً من بني إسرائيل قتل قريباً لكي يرثه ثم رماه في مجمع الطريق ثم شكاً ذلك إلى موسى عليه السلام، فاجتهد موسى في تعرف القاتل، فلما لم يظهر قالوا له: سل لنا ربك حتى يبينه، فسأله فأوحى الله إليه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ فتعجبوا من ذلك ثم شددوا على أنفسهم بالاستفهام حالاً بعد حال واستقصوا في طلب الوصف، فلما تعينت لم يجدوها بذلك النعت إلا عند إنسان معين ولم يبيعها إلا بأضعاف ثمنها، فاشتروها وذبحوها وأمرهم موسى أن يأخذوا عضواً منها فيضربوا به القاتل، ففعلوا فصار المقتول حياً وسمي لهم قاتله وهو الذي ابتدأ بالشكاية فقتلوه قوداً.

(1) التفسير الكبير.

قال الزمخشري⁽¹⁾: ﴿يُذَبِّحُونَ﴾: بيان لقوله: ﴿يَسْؤُمُونَكُمْ﴾ [البقرة: 49] ولذلك ترك العاطف كقوله تعالى: ﴿يُضَاهِيَهُمْ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [التوبة: 30]. وقرأ الزهري: «يذبحون» بالتخفيف كقولك: قطعت الثياب وقطعتها. وقرأ عبد الله: «يقتلون». وإنما فعلوا بهم ذلك لأن الكهنة أنذروا فرعون بأنه يولد مولود يكون على يده هلاكه، كما أنذر نمرود. فلم يغن عنهما اجتهادهما في التحفظ، وكان ما شاء الله.

قال ابن عطية⁽²⁾: «يذبحون» بالتخفيف، والأول أرجح إذ الذبح متكرر. كان فرعون على ما روي قد رأى في منامه ناراً خرجت من بيت المقدس فأحرقت بيوت مصر، فأولت له رؤياه أن مولوداً من بني إسرائيل ينشأ فيخرب ملك فرعون على يديه. وقال ابن إسحاق وابن عباس وغيرهما: إن الكهنة والمنجمين قالوا لفرعون: قد أظلك زمن مولود من بني إسرائيل يخرب ملكك.

وقال ابن عباس أيضاً: إن فرعون وقومه تذاكروا وعد الله لإبراهيم أن يجعل في ذريته أنبياء وملوكاً، فأمر عند ذلك بذبح الذكور من المولودين في بني إسرائيل، ووكل بكل عشر نساء رجلاً يحفظ من يحمل منهن. وقيل: «وكل بذلك القوابل».

وقالت طائفة: معنى ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ يذبحون الرجال ويسمون أبناء لما كانوا كذلك، واستدل هذا القائل بقوله تعالى: ﴿نِسَاءَكُمْ﴾ [البقرة: 49].

● قال تعالى: ﴿وَفَدَيْنَهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾ [الصافات: 107].

قال ابن عجيبة⁽³⁾: ﴿وَفَدَيْنَهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾: ضخم الجثة سمين. قال ابن عباس: هو الكبش الذي قربه هابيل فقبل منه، وكان يرعى في الجنة حتى فُدي به ولد إبراهيم. وعنه: لو تمت تلك الذبيحة لصارت سنة، وذبح الناس أولادهم.

(3) البحر المديد.

(1) الكشاف.

(2) المحرر الوجيز.

رُوي أن الكبش هرب من إبراهيم عند الجمرة، فرماه؛ سبع حصيات، حتى أخذه، فبقيت سنة في الرمي.

قلت: والجمهور: أن الشيطان تعرض له عند ذهابه لذبح ولده، ثلاث مرات، فرماه سبع حصيات عند كل مرة، فبقيت سنة في الرمي. ورُوي أنه لما ذبحه، قال جبريل: الله أكبر، فقال الذبيح: لا إله إلا الله، والله أكبر، فقال إبراهيم: الله أكبر ولله الحمد، فبقيت سنة صبيحة العيد.

قال الطبري⁽¹⁾: وقوله: ﴿وَفَدَيْنَهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾ يقول: وفدينا إسحاق بذبح عظيم، والفدية: الجزاء، يقول: جزيناه بأن جعلنا مكان ذبحه ذبح كبش عظيم، وأنقذناه من الذبح. واختلف أهل التأويل في المفدي من الذبح من ابني إبراهيم، فقال بعضهم: هو إسحاق.

وقال آخرون: الذي فُدي بالذبح العظيم من بني إبراهيم: إسماعيل.

عن مجاهد ﴿وَفَدَيْنَهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾ قال: الذي فُدي به إسماعيل، ويعني تعالى ذكره الكبش الذي فُدي به إسحاق، والعرب تقول لكل ما أُعد للذبح ذبح، وأما الذبح بفتح الذا فهو الفعل.

قال الشعراوي⁽²⁾: ﴿وَفَدَيْنَهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾ ذبح بمعنى مذبوح، وهو الكبش الذي أنزله الله، فداءً لإسماعيل.



(2) تفسير الشعراوي.

(1) جامع البيان.

ذرية

(ذرية - حقد - سبط)

- **الذَّرِيَّةُ:** النسل الممتد ﴿ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: 34].
- **الحَفِيدُ:** ولد الولد ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْزَلِكُمْ بَيْنَ وَحَفَدَةٍ﴾ [النحل: 72].
- **السَّبْطُ:** تكاثر الأحفاد حتى صاروا قبيلة ﴿وَقَطَعْنَهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا﴾ [الأعراف: 160].



النصوص اللغوية:

قال الجوهري⁽¹⁾: الذَّرُّ: جمع ذَرَّةٍ، وهي أصغر النمل. وَذُرِّيَّةُ الرجل: ولده.

والجمع الذَّرَارِيُّ والذَّرِّيَّاتُ. وَذَرَزْتُ الحَبَّ والدواءَ والمِلْحَ أَذَرُهُ ذَرًّا: فَرَّقْتُهُ.

والذَّرُورُ بالفتح: لغة في الذَّرِيرَةِ، يجمع على أَذْرَةٍ. وَذَرَّتِ الشَّمْسُ تَذَرُّ ذُرُورًا بالضم: طلعت. ويقال: ذَرَّ البَقْلُ: إذا طلع من الأرض. وحكى الفراء: ذَارَّتِ الناقَةُ تَذَارُّ مُذَارَّةً وَذِرَارًا: أي ساء حُلْفُهَا، وهي مُذَارٌّ، وهي في معنى العَلُوقِ والمُذَائِرِ.

قال ابن منظور⁽²⁾: ذَرَّ الشَّيْءُ يَذُرُّهُ: أَخَذَهُ بِأَطْرَافِ أَصَابِعِهِ ثُمَّ نَثَرَهُ عَلَى

(2) اللسان.

(1) الصحاح في اللغة.

الشيء. وذَرَّ الشيء يَذُرُهُ: إِذَا بَدَّدَهُ. وَذُرٌّ. إِذَا بُدِّدَ. وفي حديث عمر، رضي الله عنه: ذُرِّي أَجْرٌ لَكَ، أَي: ذُرِّي الدقيق في القَدْرِ لِأَعْمَلِ لَكَ حَرِيرَةً.

والذَّرُّ: مصدر ذَرَرْتُ، وهو أَخَذَكَ الشيء بِأَطْرَافِ أَصَابِعِكَ تَذَرُهُ ذَرٌّ الملح المسحوق على الطعام. وقال أبو زيد: في فلان ذَرَارٌ، أَي: إِعْرَاضٌ غَضَبًا، كَذَرَارِ النَّاقَةِ.

قال الفيروز آبادي⁽¹⁾: الذَّرُّ: صِغَارُ النَّمْلِ، ومثَّهٌ منها زِنَةُ حَبَّةِ شَعِيرٍ، الواحدة: ذَرَّةٌ، وتفريقُ الحَبِّ والمِلْحِ ونحوه، كالذَّرْدَرَةِ، وطَرْحُ الذَّرْوَرِ في العين، والنَّشْرُ. والذَّرْوَرُ: ما يُذَرُّ في العَيْنِ، وَعِطْرٌ، كالذَّرِيرَةِ جمعه: أذَرَّةٌ. والذَّرِيَّةُ، ويكسرُ: ولدُ الرجلِ جمعه: الذَّرِيَّاتُ والذَّرَارِي، والنِّسَاءُ، للواحدِ الجميع. وَذَرَّرَ: تَخَدَّدَ، وَذَرَّ البَقْلُ، وَذَرَّ الشَّمْسُ: طَلَعَا، وَذَرَّ الأَرْضُ النَّبْتَ: أَطْلَعَتْهُ، وَذَرَّ الرجلُ: شَابَ مُقَدِّمَ رَأْسِهِ، يَذَرُّ فِيهِ، بِالْفَتْحِ، شَاذٌ. والذَّرْدَارُ: المِكْثَارُ، وَلَقَبُ رَجُلٍ. والذَّرَارَةُ، بالضم: ما تَنَاطَرَتْ مِنَ الذَّرْوَرِ. والذَّرِيُّ: السِّيفُ الكَثِيرُ المَاءِ، وَفِرْنَدُهُ، وَمَاؤُهُ. والذَّرَارُ، بالكسر: الغَضْبُ، والإِعْرَاضُ. وَذَارَتْ النَّاقَةُ مُذَارَةً وَذَرَارًا: سَاءَ خُلُقُهَا، وَهِيَ مُذَارٌّ. والمِذْرَةُ: آلَةٌ يُذَرُّ بِهَا الحَبُّ.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ [البقرة: 124].

قال الزمخشري⁽²⁾: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ عطف على الكاف، كأنه قال: وجاعل بعض ذريتي، كما يقال لك: سأكرمك، فتقول: وزيداً.

قال الطبري⁽³⁾: القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾.

(3) جامع البيان.

(1) القاموس المحيط.

(2) الكشاف.

يعني جل ثناؤه بذلك، قال إبراهيم لما رفع الله منزلته وكرّمه، فأعلمه ما هو صانع به من تصديره إماما في الخيرات لمن في عصره ولمن جاء بعده من ذريته وسائر الناس غيرهم يهتدي بهديه ويقتدي بأفعاله وأخلاقه: يا ربّ ومن ذريتي فاجعل أئمة يقتدي بهم كالذي جعلتني إماما يؤتمّ به ويتقدى بي مسألة من إبراهيم ربه سأله إياها. كما حدثت عن عمار، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، قال: قال إبراهيم: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ يقول: فاجعل من ذريتي من يؤتمّ به ويقتدي به.

وقد زعم بعض الناس أن قول إبراهيم: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ مسألة منه ربّه لعقبه أن يكونوا على عهده ودينه، كما قال: ﴿وَأَجْنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: 35] فأخبر الله جل ثناؤه أن في عقبه الظالم المخالف له في دينه بقوله: ﴿لَا يَتَأَلَّ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: 124]. والظاهر من التنزيل يدلّ على غير الذي قاله صاحب هذه المقالة لأن قول إبراهيم صلوات الله عليه: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ في إثر قول الله جل ثناؤه: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: 124] فمعلوم أن الذي سأله إبراهيم لذريته لو كان غير الذي أخبر ربه أنه أعطاه إياه لكان مبيّناً ولكن المسألة لما كانت مما جرى ذكره، اكتفى بالذكر الذي قد مضى من تكريره وإعادته، فقال: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ بمعنى: ومن ذريتي فاجعل مثل الذي جعلتني به من الإمامة للناس.

● قال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾

[البقرة: 128].

قال الفخر الرازي⁽¹⁾: قوله تعالى: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ فالمعنى: واجعل من أولادنا (من) للتبعيض وخص بعضهم لأنه تعالى أعلمهما أن في ذريتهما الظالم بقوله تعالى: ﴿لَا يَتَأَلَّ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: 124] ومن الناس من قال: أراد به العرب لأنهم من ذريتهما.

(1) التفسير الكبير.

قال أبو السعود⁽¹⁾: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةٌ مُّسْلِمَةٌ لَّكَ﴾ أي: واجعل بعض ذريتنا، وإنما خصهم بالدعاء لأنهم أحقُّ بالشفقة ولأنهم إذا صلحوا صلح الأتباع وإنما خصّاهم ببعضهم لما علما أن منهم ظلمة وأن الحكمة الإلهية لا تقتضي اتفاق الكل على الإخلاص والإقبال الكلي على الله ﷻ فإن ذلك مما يُخلُّ بأمر المعاش، ولذلك قيل: لولا الحمقى لخربت الدنيا وقيل: أراد بالأمّة المسلمة أمّة محمد ﷺ.

قال ابن عجيبة⁽²⁾: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةٌ﴾ أي: جماعة ﴿مُّسْلِمَةٌ لَّكَ﴾؟ عِلْمًا - بوحى أو إلهام - أنه يكون من ذريتهما من يكفر بالله.

● قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء: 40].

قال الزمخشري⁽³⁾: الذرّة: النملة الصغيرة. وفي قراءة عبد الله: «مِثْقَال» نملة، وعن ابن عباس: أنه أدخل يده في التراب فرفعه ثم نفخ فيه فقال: كل واحدة من هؤلاء ذرة. وقيل: كل جزء من أجزاء الهباء في الكوة ذرة. وفيه دليل على أنه لو نقص من الأجر أدنى شيء وأصغره، أو زاد في العقاب لكان ظلماً، وأنه لا يفعله لاستحالته في الحكمة لا لاستحالته في القدرة.

قال القرطبي⁽⁴⁾: قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ أي: لا يبخسهم ولا ينقصهم من ثواب عملهم وزن ذرّة بل يجازيهم بها ويثيبهم عليها. والمراد من الكلام أن الله تعالى لا يظلم قليلاً ولا كثيراً؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ الْنَّاسَ شَيْئاً﴾ [يونس: 44]، وفي صحيح مسلم عن أنس قال قال رسول الله ﷺ: «إن الله لا يظلم مؤمناً حسنة يعطي بها في الدنيا ويجزى بها في الآخرة وأما الكافر فيقطع بحسنات ما عمل لله بها في الدنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يجزى بها».

(1) إرشاد العقل السليم.

(3) الكشاف.

(2) البحر المديد.

(4) الجامع لأحكام القرآن.

ذراع

(ذراع - يد - كف)

■ **الذِّراعُ**: طرف الأصبع الوسطى إلى المرفق ﴿فِي سِلْسِلَةٍ دَرَعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾
[الحاقة: 32].

■ **اليَدُ**: أصل الأصابع وقاعدتها ﴿إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ﴾ [المائدة: 11].

■ **الكَفُّ**: وجه اليد ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا﴾ [الكهف: 42].



النصوص اللغوية:

قال ابن فارس⁽¹⁾: الذال والراء والعين أصلٌ واحدٌ يدلُّ على امتدادٍ وتحركٍ إلى قُدَمٍ، ثم ترجع الفروعُ إلى هذا الأصل. فالذِّراعُ ذِرَاعُ الإنسان، معروفة. والذَّرْعُ مصدرُ دَرَعْتُ الثَّوبَ والحائِطَ وغيره. ثم يقال: ضاق بهذا الأمرُ ذِرْعًا: إذا تكَلَّفَ أكثرَ ممَّا يطيقُ فَعَجَزَ. ويقالُ دَرَعَهُ القِيءُ: سبَّه.

ومَذَارِعُ الدَّابَّةِ: قوائمها، والواحدُ مَذْرَاعٌ. وتَذَرَعَتِ الإِبِلُ الماءَ: خاضت بأذْرُعِها. ومَذَارِعُ الأرضِ: نواحيها، كأنَّ كلَّ ناحيةٍ منها كالذِّراعِ. ويقالُ دَرَعْتُ البعيرَ: وطَّئْتُ على ذِرَاعِهِ ليركَبَ صاحبي. وتَذَرَعَتِ المرأةُ الحُوصَ: إذا تنفَّته، وذلك أنَّها تُمرِّه مع ذراعها. قال: والذَّرِيعَةُ: ناقةٌ يَتَسَتَّرُ بها الرّامي يرمي الصَّيْدَ.

(1) معجم مقاييس اللغة.

وذلك أنه يَتَذَرَعُ معها ماشياً. ومن الباب: تَذَرَعُ الرَّجُلُ في كلامه. والإِذْرَاعُ: كثرة الكلام. وفرس ذَرِيعٌ: واسع الخطو بين الذَّرَاعَةِ.

وقوائِمُ ذَرِعاتٌ: خفيفات. والذَّرَاعان: نجمان، يقال هما ذِرَاعا الأسد. ويقال للمرأة الخفيفة اليدِ بِالْعَزْلِ: ذِرَاع. قاله الكِسَائِيُّ. ويقال: ثورٌ مُذَرَّعٌ، إذا كان في أذْرِعِهِ لَمْعٌ سَوْدٌ. ومطرٌ مُذَرَّعٌ، وهو الذي إذا حُفِرَ عنه بلغ من الأرض قدر ذِرَاع.

والمُذَرَّعُ من الرجال: الذي يكون أمُّه عربيَّة وأبوه خسيساً غيرَ عربيّ. وإنَّما سُمِّيَ مُذَرَّعاً بالرَّقْمَتَيْنِ في ذِرَاعِ البغل، لأنَّهما أتتا من قِبَلِ الحِمَارِ. ويقال للرجل تَعَدُّهُ أمراً حاضراً: هو لَكَ مِنِّي على حَبْلِ الذَّرَاعِ. ويقال لَصَدْرِ القَنَاةِ: ذِرَاعُ العَامِلِ. والذَّرَاعان: [هَضَبَتَانِ]. قال: والمَذَارِعُ: ما قُرِبَ من الأمصار، مثل القادسيَّة من الكوفة، والمَذَارِع من النَّخْلِ: القرية من البيوت. وزقٌّ مِذْرَاعٌ، أي: طويل ضَخْم. ويقال ذَرَّعَ لي فلانٌ شيئاً من خَبَرٍ، أي: خَبَّرَنِي. ويقال ذَرَّعَ الرجل في سَعِيهِ: إذا عدا فاستعانَ بيديه وحركهما. ويقال للْبَشِيرِ إذا أومأَ بيده: قد ذَرَّعَ البَشِيرُ. وهو علامةُ البِشَارَةِ. قال الخليل⁽¹⁾: الذَّرَاعُ من طَرَفِ المِرْفَقِ إلى طرفِ الإِصْبَعِ الوُسْطَى. ذَرَعْتُ الثوبَ أذْرَعُ ذَرْعاً بالذَّرَاعِ، والذَّرَاعُ السَّاعِدُ كُلُّهُ، وهو الاسم. والرَّجُلُ ذَارِعٌ. والثَّوبُ مَذْرُوعٌ. وذَرَعْتُ الحائِطَ ونحوه. قال:

فلما ذَرَعْنَا الأرضَ تسعينَ غلوةً.....

والمُذَرَّعُ: الممسوح بالأذْرِعِ. ومنهم من يؤنَّثُ الذَّرَاعِ، ومنهم من يذكَّرُ، ويصغرونه على ذَرِيعٍ فقط. والرَّجُلُ يُذَرَّعُ في ساحته تَذَرِيعاً: إذا اتَّسع، وكذلك يَتَذَرَّعُ أي: يتوسع كيف شاء. وموتٌ ذَرِيعٌ، أي: فاشٍ، إذا لم يتدافنوا، ولم

(1) العين.

أسمع له فعلاً. وَذَرَعَهُ الْقَيْءُ، أي: غلبه. وَمِذَارِعُ الدَّابَّةِ قوائمها، وَمِذَارِعُ الأرض نواحيها. وثوب مُوشَى المِذَارِعِ. وَالدَّرْعُ ولدُ البقرة، بقرَةٌ مُذْرَعٌ، وهنَّ مُذْرِعَاتٌ وَمِذَارِيعٌ، أي: ذوات ذُرْعَانِ.

وَالذَّرَاعُ سِمَةٌ بني ثعلبة من اليمن، وأناس من بني مالك بن سعد من أهل الرَّمالِ. وَذِرَاعُ العامل: صدر القناة. وَأَذْرِعَاتٌ: مكان تُنَسَّبُ إليه الخُمور.

وَالذَّرِيعَةُ جملٌ يُخْتَلُّ به الصَّيْدُ، يمشي الصَّيَّادُ إلى جنبه فإذا أمكنه الصَّيْدُ رمى وذلك الجملُ يسيبُ أولاً مع الوحش حتى يأتلفا. وَالدَّرِيعَةُ حلقةٌ يتعلَّم عليها الرَّمي. وَالدَّرِيعَةُ: الوسيلةُ. وَالدَّرَاعُ من النَّجوم، وتقول العرب: إذا طلع الذَّرَاعُ أمَّراتِ الشَّمسِ الكُرَاعِ. واشتدَّ منها الشُّعاعُ. ويقال للثور مُذْرَعٌ. إذا كان في أكارعه لَمَعٌ سوِّدٌ. وَالمِذْرَاعُ الذَّرَاعُ يُذْرَعُ به الأرض والثياب.

وَمِذَارِعُ القرى: ما بَعُدَ من الأمصار.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾ [الحاقة: 32].

قال الفخر الرازي⁽¹⁾: ﴿ذَرْعُهَا﴾ معنى الذرع في اللغة التقدير بالذراع من اليد، يقال: ذرع الثوب يذرعه ذرعاً إذا قدره بذراعه، وقوله: ﴿سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه ليس الغرض التقدير بهذا المقدار بل الوصف بالطول، كما قال: ﴿إِنْ نَسْتَعْفِفْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾ [التوبة: 80] يريد مرات كثيرة والثاني: أنه مقدر بهذا المقدار ثم قالوا: كل ذراع سبعون باعاً وكل باع أبعد مما بين مكة والكوفة، وقال الحسن: الله أعلم بأي ذراع هو.

(1) التفسير الكبير.

قال الشوكاني⁽¹⁾: وذرعها: طولها. قال الحسن: الله أعلم بأيّ ذراع هو. قال نوف الشامي: كل ذراع سبعون باعاً كل باع أبعد مما بينك وبين مكة، وكان نوف في رحبة الكوفة. قال مقاتل: لو أن حلقة منها وضعت على ذروة جبل لذاب كما يذوب الرصاص.

قال الخازن⁽²⁾: ﴿ذَرَعُهَا﴾ أي مقدارها والذرع التقدير بالذراع من اليد أو غيرها ﴿سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾ قال ابن عباس بذرع الملك. وقال نوف البكالي: سبعون ذراعاً كل ذراع سبعون باعاً كل باع أبعد مما بينك وبين مكة وكان في رحبة الكوفة. وقال سفيان: كل ذراع سبعون ذراعاً، وقال الحسن: الله أعلم أي ذراع هو. عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لو أن رضاضة مثل هذه وأشار إلى مثل الجمجمة أرسلت من السماء إلى الأرض وهي مسيرة خمسمائة سنة لبلغت الأرض قبل الليل ولو أنها أرسلت في رأس السلسلة لسارت أربعين خريفاً الليل والنهار قبل أن تبلغ قعرها أو أصلها» أخرجه الترمذي وقال حديث حسن.



(2) لباب التأويل.

(1) فتح القدير.

ذراً

(ذراً - خلق - خزن - بث)

■ **الذُّرُّ:** الخلق الذي تتوالى طبقاته على مرّ الزمان، أي إخراج المخزون من مخازن إلى ظاهر الحياة في عالم الخلق ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَنًا﴾ [التحل: 13].

■ **الْخَلْقُ:** إيجاد المخلوقات ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: 29].

■ **الْخَزْنُ:** بعد أن يخلق الله الخلائق في عالم الأمر يخزنهم في خزائنه ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾ [الحجر: 21].

■ **الْبَثُّ:** الانتشار بعد الولادات ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ [النساء: 1].



النصوص اللغوية:

قال ابن فارس⁽¹⁾: الذال والراء والهمزة أصلان: أحدهما: لونٌ إلى البياض، والآخر: كالشَّيء يُبَدَّرُ وَيُزْرَعُ. فالأول الذُّرَّةُ: وهو البياضُ من شَيْبٍ وغيره. ومنه: ملح ذَرَانِيٍّ وَذَرَانِيٍّ. والذُّرَّةُ البياض. ورجل أذْرَأُ: أشيب، والمرأة ذَرَاءٌ. وقال الشيباني: شَعْرَةُ ذَرَاءٍ، على وزن ذرعاء، أي: بياض. والفعل منه:

(1) معجم مقاييس اللغة.

ذَرِيٌّ يَذْرَأُ. ويقال: إِنَّ الذَّرَاءَ من الغنم: البيضاء الأذن. والأصل الآخر: قولهم ذَرَأْنَا الأَرْضَ، أي بَذَرْنَاها. وزرَعُ ذَرِيَّةٌ، [على] فعيل.

ومن هذا الباب: ذَرَأَ اللهُ الخَلْقَ يَذْرُوهُمْ. قال الله تعالى: ﴿يَذْرُوَكُمْ فِيهِ﴾ [الشورى: 11]. ومما شذَّ عن الباب قولهم: أذْرَأْتُ فلاناً بكذا: أولَعْتُهُ به.

قال الخليل⁽¹⁾: الذَّرَاءَةُ: شَيْبٌ يَبْدُو فِي فُودِي الرَأْسِ قَبْلَ سائِرِهِ،

وَذَرِيٌّ فلانٌ فهو أذْرَأٌ، والمرأة ذَرَاءٌ. وَذَرَأَ اللهُ الخَلْقَ يَذْرُوهُمْ ذَرَاءً أي: خَلَقَهُمْ.

والذَّرِيُّ من قولك: ذَرَأْنَا الأَرْضَ أي: بَذَرْنَاها، وَزَرَعُ ذَرِيَّةٌ بوزن فَعِيل.

ويقال: ذَرَأْتُ الوَضِينَ: بَسَطْتُهُ على وَجْهِ الأَرْضِ. والذَّرِيَّةُ في حديث عمر: النِّسَاءُ.

قال الجوهري⁽²⁾: ذَرَأَ اللهُ الخَلْقَ يَذْرُوهُمْ ذَرَاءً: خَلَقَهُمْ. ومنه: الذَّرِيَّةُ، وهي نَسْلُ الثَّقَلَيْنِ، إلا أَنَّ العَرَبَ تَرَكَتْ هَمْزَهَا، والجمع: الذَّرَارِيُّ. وفي الحديث: «ذَرَاءُ النَّارِ»، أي: أَنَّهُمْ خُلِقُوا لَهَا، ومن قال: ذَرَوُ النَّارِ بغير همز: أراد أَنَّهُمْ يُذَرُونَ فِي النَّارِ. والذَّرَأُ بالتحريك: الشَّيْبُ فِي مُقَدِّمِ الرَأْسِ. رجل أذْرَأٌ وامرأة ذَرَاءٌ.

وَذَرِيٌّ شعره، وَذَرَأٌ لغتان.

والاسم الذَّرَاءَةُ بالضم.

وفرسٌ أذْرَأٌ، وَجَدِيٌّ أذْرَأٌ، أي: أَرْقَشُ الأذُنَيْنِ، وسائِرُهُ أسودٌ. وَعَنَاقُ ذَرَاءٌ، وهو من شِيَابِ المَعَزِ دون الصَّانِ. وَمِلْحُ ذَرَانِيٍّ وَذَرَانِيٍّ بتحريك الراء وتسكينها للمِلْحِ الشديد البياض، وهو مأخوذ من الذَّرَاءَةِ. وحكى بعضهم ذَرَأْتُ الأَرْضَ أي: بَذَرْتُها، وَزَرَعُ ذَرِيَّةٌ.

(2) الصحاح في اللغة.

(1) العين.

* وقد وردت كلمة (ذراً - ذرر) في القرآن الكريم على خمسة أوجه:

الوجه الأول: الذرية: بمعنى الولد ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ [آل عمران: 38].

الوجه الثاني: الذرية: يعني الآباء ﴿وَعَائِلَةٌ لَهُمْ أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِكِ الْمَشْحُونِ﴾ [يس: 41].

الوجه الثالث: الذرة: يعني الخلق ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّةِ وَالْإِنْسِ﴾ [الأعراف: 179].

الوجه الرابع: الذرو: يعني النسف ﴿فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ﴾ [الكهف: 45].

الوجه الخامس: الذرة: يعني النملة الصغيرة ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: 7].

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّةِ وَالْإِنْسِ﴾ [الأعراف: 179].

قال البغوي⁽¹⁾: أخبر الله تعالى أنه خلق كثيراً من الجنّ والانس للنار، وهم الذين حقت عليهم الكلمة الأزلية بالشقاوة، ومن خلقه الله لجهنم فلا حيلة له في الخلاص منها.

عن عائشة أم المؤمنين قالت: «أدرك النبي ﷺ جنازة صبي من صبيان الأنصار، فقالت عائشة: طوبى له عصفور من عصفير الجنة، فقال رسول

(1) معالم التنزيل.

الله ﷻ: «وما يدريك؟ إن الله خلق الجنة وخلق لها أهلاً وهم في أصلاب آبائهم، وخلق النار وخلق لها أهلاً وهم في أصلاب آبائهم». وقيل: اللام في قولهم «لجهنم» لام العاقبة، أي: ذرأناهم، وعاقبة أمرهم جهنم؛ كقوله تعالى: ﴿فَالنَّفْطَةُ ۖ أَلٌ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص: 8].

قال الماوردي⁽¹⁾: ﴿ذَرَانَا لِيَجَهَنَّمَ﴾ أي: خلقنا ممن يصير إلى جهنم بكفره ومعصيته.

قال أبو السعود⁽²⁾: ﴿وَلَقَدْ ذَرَانَا﴾ كلامٌ مستأنفٌ مقررٌ لمضمون ما قبله بطريق التذييل أي: خلقنا.

● قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا﴾ [الأنعام: 136].

قال الطبري⁽³⁾: يقول تعالى ذكره: وجعل هؤلاء العادلون بربهم الأوثان والأصنام لربهم ﴿مِمَّا ذَرَأَ﴾ خالقهم، يعني: مما خلق من الحرث والأنعام، يقال منه: ذرأ الله الخلق يذرؤهم ذراً وذرؤاً: إذا خلقهم.

قال الزمخشري⁽⁴⁾: ﴿مِمَّا ذَرَأَ﴾ فيه أن الله كان أولى بأن يجعل له الزاكي، لأنه هو الذي ذرأه وزكاه، ولا يرد إلى ما لا يقدر على ذره ولا تركيه.

قال الشعراوي⁽⁵⁾: ﴿ذَرَأَ﴾ أي خلق، وبث، وبشر، والحرث يراد به الزرع، وسمى الزرع حرثاً؛ لأنه يأتي بالحرث، و﴿وَالْأَنْعَامِ﴾ وهي تتمثل في ثمانية أزواج في آية تأتي بعد ذلك، وهي الأبل، والبقر، والضأن والمعز.

● قال تعالى: ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرُوكُمْ فِيهَا﴾ [الشورى: 11].

- (1) النكت والعيون.
 (2) إرشاد العقل السليم.
 (3) جامع البيان.
 (4) الكشاف.
 (5) تفسير الشعراوي.

قال الألويسي (1): ﴿يَذَرُوكُمْ﴾ يكثركم، يقال: ذرأ الله تعالى الخلق بثهم وكثرهم، والذرة والذر أخوان ﴿فِيهِ﴾ أي فيما ذكر من التدبير وهو أن جعل سبحانه للناس والأنعام أزواجاً يكون بينهم توالد وجعل التكثر في هذا الجعل لوقوعه في خلاله وأثنائه فهو كالمنبع له .

وعن ابن عباس أن معنى ﴿يَذَرُوكُمْ فِيهِ﴾: يجعل لكم فيه معيشة تعيشون بها، وقريب منه قول ابن زيد يرزقكم فيه، والظاهر عليه أن الضمير لجعل الأزواج من الأنعام .

وقال مجاهد أي يخلقكم نسلاً بعد نسل وقرناً بعد قرن، ويتبادر منه أن الضمير للجعل المفهوم من ﴿جَعَلَ لَكُمْ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ ويجوز أن يكون كما في الوجه الأول ويفهم منه أن الذرة أخص من الخلق وبه صرح ابن عطية قال: ولفظة ذراً تزيد على لفظة خلق معنى آخر ليس في خلق وهو توالي الطبقات على مر الزمان، وقال العتبي: ضمير ﴿فِيهِ﴾ للبطن لأنه في حكم المذكور والمراد يخلقكم في بطون الإناث، وفي رواية عن ابن زيد أنه لما خلق من السماوات والأرض، وهو كما ترى ومثله ما قبله والله تعالى أعلم .

قال ابن عجيبة (2): ﴿يَذَرُوكُمْ فِيهِ﴾ أي: يكثركم فيما ذكر من التدبير البديع، من: الذرة، وهو البث، فجعل الناس والأنعام أزواجاً، حتى كان بين ذكورهم وإناثهم التوالد والتناسل، واختير لفظ «فيه» على «به»؛ لأنه جعل هذا التدبير كالمنبع والمعدن للبث والتكثير. والضمير في «يذروكم» يرجع إلى المخاطبين والأنعام، مغلباً فيه المخاطبون العقلاء على غيرهم .

قال الفخر الرازي (3): ﴿يَذَرُوكُمْ﴾ أي: يكثركم، يقال: ذرأ الله الخلق، أي كثرهم، وقوله: ﴿فِيهِ﴾ أي في هذا التدبير، وهو التزويج وهو أن جعل الناس

(3) التفسير الكبير .

(1) روح المعاني .

(2) البحر المديد .

والأنعام أزواجاً حتى كان بين ذكورهم وإناثهم التوالد والتناسل، والضمير في ﴿يَذَرُوكُمْ﴾ يرجع إلى المخاطبين، إلى أنه غلب فيه جانب الناس من وجهين الأول: أنه غلب فيه جانب العقلاء على غير العقلاء الثاني: أنه غلب فيه جانب المخاطبين على الغائبين، فإن قيل ما معنى يذروكم في هذا التدبير، ولم لم يقل يذروكم به؟ قلنا جعل هذا التدبير كالمنع والمعدن لهذا التكثير، ألا ترى أنه يقال للحيوان في خلق الأزواج تكثير، كما قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ﴾ [البقرة: 179].

● قال تعالى: ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: 34].

قال ابن عاشور⁽¹⁾: وقوله: ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾ حال من آل إبراهيم وآل عمران. والذرية تقدم تفسيرها عند قوله تعالى: ﴿قَالَ وَبِنِ ذُرِّيَّتِي﴾ [البقرة: 124] وقد أجمال البعض هنا: لأن المقصود بيان شدة الاتصال بين هذه الذرية، فمن للاتصال لا للتبعيض أي بين هذه الذرية اتصال القرابة، فكل بعض فيها هو متصل بالبعض الآخر، كما تقدم في قوله تعالى: ﴿فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ [آل عمران: 28].

قال محمد رضا⁽²⁾: ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾ قيل: إن الذرية من مادة ذراً المهموزة؛ أي خلق، كما أن البرية من مادة برأ، وقيل: من مادة ذرو، فأصلها ذروية، وقيل: هي من الذر وأصلها فعلية كقمرية. قال الراغب: والذرية أصلها الصغار من الأولاد، وإن كان قد يقع على الصغار والكبار معا في التعارف، ويستعمل للواحد والجمع، وأصله الجمع. وقال الأستاذ الإمام: يقال: إن لفظ الذرية قد يطلق على الوالدين والأولاد خلافاً لعرف الفقهاء وهو قليل، والمشهور ما جرى عليه الفقهاء وهو أن الذرية الأولاد فقط، فقوله: بعضها من بعض ظاهر على الأول.

(2) تفسير المنار.

(1) التحرير والتنوير.

● قال تعالى: ﴿وَأَيُّهُمُ لَمْ أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ﴾ [يس: 41].

قال الفخر الرازي⁽¹⁾: ﴿حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ بدل قوله: حملناهم إشارة إلى كمال النعمة أي لم تكن النعمة مقتصرة عليكم بل متعدية إلى أعقابكم إلى يوم القيامة، هذا ما قاله الزمخشري، ويحتمل عندي أن يقال على هذا إنه تعالى إنما خص الذرية بالذكر، لأن الموجودين كانوا كفاراً لا فائدة في وجودهم فقال: ﴿حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ أي لم يكن الحمل حملاً لهم، وإنما كان حملاً لما في أصلابهم من المؤمنين كما أن من حمل صندوقاً لا قيمة له وفيه جواهر إذا قيل له: لم تحمل هذا الصندوق وتعب في حمله وهو لا يشتري بشيء؟ يقول: لا أحمل الصندوق وإنما أحمل ما فيه، الثاني: هو أن المراد بالذرية الجنس معناه حملنا أجناسهم وذلك لأن ولد الحيوان من جنسه ونوعه والذرية تطلق على الجنس ولهذا يطلق على النساء «نهى النبي ﷺ عن قتل الذراري»، أي النساء وذلك لأن المرأة وإن كانت صنفاً غير صنف الرجل لكنها من جنسه ونوعه يقال ذرارينا أي: أمثالنا فقوله: ﴿أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ أي أمثالهم وآباؤهم.

قال البيضاوي⁽²⁾: ﴿وَأَيُّهُمُ لَمْ أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ أولادهم الذين يبعثونهم إلى تجاراتهم، أو صبيانهم ونساءهم الذين يستصحبونهم، فإن الذرية تقع عليهن لأنهن مزارعها. وتخصيصهم لأن استقرارهم في السفن أشق وتماسكهم فيها أعجب، وقرأ نافع وابن عامر (ذرياتهم).

● قال تعالى: ﴿قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة:

.124].

قال الطبري⁽³⁾: القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾.

يعني جل ثناؤه بذلك، قال إبراهيم لما رفع الله منزلته وكرمه، فأعلمه ما هو

(3) جامع البيان.

(1) التفسير الكبير.

(2) أنوار التنزيل.

صانع به من تصديره إماماً في الخيرات لمن في عصره ولمن جاء بعده من ذريته وسائر الناس غيرهم يهتدي بهديه ويقتدي بأفعاله وأخلاقه: يا ربّ ومن ذريتي فاجعل أئمة يقتدي بهم كالذي جعلتني إماماً يؤتمّ به ويتقدى بي. مسألة من إبراهيم ربه سأله إياها. كما حدثت عن عمار، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، قال: قال إبراهيم: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ يقول: فاجعل من ذريتي من يؤتمّ به ويقتدي به.

وقد زعم بعض الناس أن قول إبراهيم: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ مسألة منه ربّه لعقبه أن يكونوا على عهده ودينه، كما قال: ﴿وَأَجْنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: 35] فأخبر الله جل ثناؤه أن في عقبه الظالم المخالف له في دينه بقوله: ﴿لَا يَتَأَلَّ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾.

والظاهر من التنزيل يدلّ على غير الذي قاله صاحب هذه المقالة لأن قول إبراهيم صلوات الله عليه: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ في إثر قول الله جل ثناؤه: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: 124] فمعلوم أن الذي سأله إبراهيم لذريته لو كان غير الذي أخبر ربه أنه أعطاه إياه لكان مبيناً ولكن المسألة لما كانت مما جرى ذكره، اكتفى بالذكر الذي قد مضى من تكريره وإعادته، فقال: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ بمعنى: ومن ذريتي فاجعل مثل الذي جعلتني به من الإمامة للناس.

● قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ﴾ [الأعراف:

[179].

قال البغوي⁽¹⁾: أخبر الله تعالى أنه خلق كثيراً من الجنّ والإنس للنار، وهم الذين حقت عليهم الكلمة الأزليّة بالشقاوة، ومنّ خلقه الله لجهنم فلا حيلة له في الخلاص منها.

عن عائشة أم المؤمنين قالت: «أدرك النبي ﷺ جنازة صبي من صبيان

(1) معالم التنزيل.

الأنصار، فقالت عائشة: طوبى له عصفورٌ من عصافير الجنة، فقال رسول الله ﷺ: «وما يدريك؟ إن الله خلق الجنة وخلق لها أهلاً وهم في أصلاب آبائهم، وخلق النار وخلق لها أهلاً وهم في أصلاب آبائهم». وقيل: اللام في قولهم «لجهنم» لام العاقبة، أي: ذرأناهم، وعاقبة أمرهم جهنم؛ كقوله تعالى: ﴿فَالنَّفَطَةُءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القَصص: 8].

قال الماوردي⁽¹⁾: ﴿ذُرَّانَا لِيَجَهَنَّمَ﴾ أي خلقنا ممن يصير إلى جهنم بكفره ومعصيته.

● قال تعالى: ﴿ذُرِّيَّةً مِّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ [الإسراء: 3].

قال ابن الجوزي⁽²⁾: ﴿ذُرِّيَّةً مِّنْ حَمَلْنَا﴾ قال مجاهد: هو نداء: يا ذرية من حملنا. قال ابن الأنباري: من قرأ: «الآن اتخذوا» بالتاء، فإنه يقول: بعد الذرية مضمراً حذف اعتماداً على دلالة ما سبق، تلخيصه: يا ذرية من حملنا مع نوح لا تتخذوا وكيلاً، ويجوز أن يستغني عن الإضمار بقوله:

قال أبو السعود⁽³⁾: ﴿ذُرِّيَّةً مِّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ نُصِبَ عَلَى الْاِخْتِصَاصِ أَوْ النِّدَاءِ عَلَى قِرَاءَةِ النَّهْيِ، وَالْمِرَادُ تَأْكِيدُ الْحَمْلِ عَلَى التَّوْحِيدِ بِتَذْكِيرِ إِعْنَامِهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ فِي ضَمَنِ إِجْنَاءِ آبَائِهِمْ مِنَ الْغَرَقِ فِي سَفِينَةِ نُوحٍ ﷺ، أَوْ عَلَى أَنَّهُ أَحَدٌ مَّفْعُولِيٌّ لَا يَتَّخِذُوا عَلَى قِرَاءَةِ النَّهْيِ وَمِنْ دُونَ حَالٍّ مِنْ وَكَيْلًا فَيَكُونُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا﴾ [آل عمران: 80] وقرى بالرفع على أنه خبرٌ مبتدأ محذوفٍ أو بدلٌ من واو لا تتخذوا بإبدال الظاهر من ضمير المخاطب كما هو مذهب بعض البغاددة، وقرى ذرية بكسر الهمزة (إنه) أي إن نوحاً عليه الصلاة والسلام.



(3) إرشاد العقل السليم.

(1) النكت والعيون.

(2) زاد المسير.

ذرو

(ذرو - طار - رقى - عرج)

■ **الذُّرُوءُ**: ارتفاع الشيء في الهواء إلى أعلى مكان ﴿فَأَصْبَحَ هَشِيمًا نَذْرُوهُ الرِّيحُ﴾ [الكهف: 45].

■ **الطَّيْرَانُ**: الطائر يسبح في الهواء برتابة ﴿وَلَا طَيْرٌ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ [الأنعام: 38].

■ **الرَّقِي**: الصعود على الأقدام درجة درجة ﴿فَلْيَرْقُوا فِي الْأَسْبَابِ﴾ [ص: 10].

■ **الغُرُوجُ**: الصعود إلى الأعلى رأسياً ﴿تَعْرُجُ الْمَلَكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: 4].



النصوص اللغوية:

قال ابن فارس⁽¹⁾: الذال والراء والحرف المعتل أصلان: أحدهما: الشَّيْءُ يُشْرِفُ عَلَى الشَّيْءِ وَيُظَلُّهُ، وَالْآخَرُ: الشَّيْءُ يَتَسَاقَطُ مَتَفَرِّقًا. فَالذُّرُوءُ أَعْلَى السَّنَامِ وَغَيْرِهِ، وَالْجَمْعُ ذُرَى. وَالذَّرَا: كُلُّ شَيْءٍ اسْتَتَرَتْ بِهِ. تقول: أنا في ظلِّ فلانٍ، أي: ذراه. والمِذْرَوَانِ: أطراف الأليتين؛ لأنهما يُشرفان على [ما] بينهما. وأما الآخر فيقول: ذرًا نابُ الجمل: إذا انكسر حده.

ومن الباب ذرَّت الرِّيحُ الشَّيْءَ تَذْرُوهُ. والذَّرَا اسمٌ لما ذرَّته الرِّيح. ويقال:

(1) معجم مقاييس اللغة.

أذرت العين دمعها تُذريه . وأذريت الرجل عن فرسه : رميته . ويقال : إن الذرى اسم لما ضب من الدمع . ومن الباب قولهم : بلغني عنه ذرو من قول ، وذلك ما يساقطه من أطراف كلامه غير متكامل .

قال الخليل⁽¹⁾ : الذرو : ذرو الريح التراب تحمله ثم ثيبه . والمذاره : الخسبة التي تُذرى بها الحبوب تذرية ، وذريت الحب تذرية . وذروته : والذرو اسم لما ذورته بمنزلة التفص اسم ما تنفضه الشجر من الثمر المتساقط ،

والذرى : ما كُنك من الريح البارد من حائط أو غيره . وتذريت من برد الشمال بحائط وبفلاان ونحوه . والإبل السؤل إذا أحست بالبرد تذرت أي : استترت بعضها ببعض ، وبالعضاء من برد الريح .

والذرى : ما أذرت العين من الدمع ، أي : صببت ، تُذري إذراءً .

والإذراء : ضربك الشيء ترمي به أو تصرعه . وضربته بالسيف فأذريت رأسه ، وطعنته فأذريته عن فرسه أي : صرعته .

والسيف يُذري ضربته ، أي يرمي بها ، وقد يوصف به الرمي من غير قطع ، كقوله في الحرب : شهباء تُذري لهباً وجمراً .

والذرة : حب ، الواحدة ذرة أي : أرزن . والذروة : أعلى السنام وكل شيء .

والذروة : أرض بالبادية ، وجمع الذروة ذرى وذروات .

قال الجوهري⁽²⁾ : وذري الشيء بالضم : أعاليه ، الواحدة ذروة وذروة أيضاً بالضم ، وهي أعلى السنام . والذرا أيضاً : اسم لما ذرت الريح ، واسم الدمع المصبوب . ويقال : مر فلان يذرو ذرواً ، أي يمر مرّاً سريعاً . وذرا الشيء ، أي سقط . وذروته أنا ، أي طيرته وأذهبته .

والذاريات : الرياح . وذرت الريح التراب وغيره تذروه وتذريه ، ذرواً وذرياً ،

(2) الصحاح في اللغة .

(1) العين .

أَي سَفْتُهُ . وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ : ذَرَى النَّاسِ الْحِنِطَةَ . وَأُذْرِيْتُ الشَّيْءَ ، إِذَا أَلْقَيْتَهُ ، كَالْقَائِكَ الْحَبِّ لِلزَّرْعِ . وَطَعَنَهُ فَأُذْرَاهُ عَنْ ظَهْرِ دَابَّتِهِ ، أَي أَلْقَاهُ . وَاسْتَذْرَبْتُ الْمَعزَى ، أَي اشْتَهَيْتُ الْفَحْلَ . وَاسْتَذْرَبْتُ بِالشَّجَرَةِ ، أَي اسْتَظَلَلْتُ بِهَا وَصَرْتُ فِي دَفْئِهَا . وَاسْتَذْرَبْتُ بِفُلَانٍ ، أَي التَّجَأْتُ إِلَيْهِ وَصَرْتُ فِي كَنْفِهِ . وَتَذْرِيَةُ الْأَكْدَاسِ مَعْرُوفَةٌ . وَالْمِذْرَى : خَشْبَةٌ ذَاتُ أَطْرَافٍ يُذْرَى بِهَا الطَّعَامُ وَتُنَقَّى بِهَا الْأَكْدَاسُ مِنَ التَّبَنِ . وَمِنْهُ ذَرِيْتُ تَرَابِ الْمَعْدَنِ ، إِذَا طَلَبْتَ مِنْهُ الذَّهَبَ . قَالَ أَبُو زَيْدٍ : ذَرِيْتُ الشَّاةَ تَذْرِيَةً ، وَهُوَ أَنْ تَجَزَّ صَوْفُهَا وَتَدَعَّ فَوْقَ ظَهْرِهَا شَيْئًا مِنْهُ لَتُعْرَفُ بِهِ ، وَذَلِكَ فِي الضَّأْنِ خَاصَّةً وَفِي الْإِبْلِ . قَالَ : وَفُلَانٌ يُذْرِي حَسَبَهُ ، أَي يَمْدَحُهُ وَيَرْفَعُ مِنْ شَأْنِهِ .

وَتَذْرَبْتُ السَّنَامَ : عَلَوْتَهُ وَفَرَعْتُهُ . وَالْمِذْرَوَانِ : أَطْرَافُ الْأَلْيَتَيْنِ ، وَلَا وَاحِدَ لِهَمَا . وَالْمِذْرَوَانِ مِنَ الْقَوْسِ : الْمَوْضِعَانِ اللَّذَانِ يَقَعُ عَلَيْهِمَا الْوَتْرُ مِنْ أَعْلَى وَمِنْ أَسْفَلٍ ، وَلَا وَاحِدَ لِهَمَا . وَقَوْلُهُمْ : جَاءَ فُلَانٌ يُنْفِضُ مِذْرَوَيْهِ ، إِذَا جَاءَ بَأْغِيًّا يَتَهَدَّدُ . وَأُذْرَبْتُ الْعَيْنُ دَمْعًا : صَبَّتْهُ .

في القرآن الكريم:

● قال تعالى : ﴿ وَالذَّرِيَّتِ ذَرَّوْا ﴾ [الذاريات: 1].

قال الطبري⁽¹⁾ : يقول تعالى ذكره ﴿ وَالذَّرِيَّتِ ذَرَّوْا ﴾ يقول : والرياح التي تذر التراب ذرواً ، يقال : ذرت الريح التراب وأذرت . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل . عن خالد بن عرعة ، قال : قام رجل إلى علي رضي الله عنه ، فقال : ما الذاريات ذرواً ، فقال : هي الريح .

قال القرطبي⁽²⁾ : قوله تعالى : ﴿ وَالذَّرِيَّتِ ذَرَّوْا ﴾ قال أبو بكر الأنباري : حدَّثنا

(2) الجامع لأحكام القرآن .

(1) جامع البيان .

عبد الله بن ناجية، حدّثنا يعقوب بن إبراهيم، حدّثنا مكي بن إبراهيم، حدّثنا الجعيد بن عبد الرحمن، عن يزيد بن خصيفة، عن السائب ابن يزيد أن رجلاً قال لعمر رضي الله عنه : إني مررت برجل يسأل عن تفسير مشكل القرآن، فقال عمر: اللهم أمكنني منه؛ فدخل الرجل على عمر يوماً وهو لابس ثياباً وعمامة وعمر يقرأ القرآن، فلما فرغ قام إليه الرجل فقال: يا أمير المؤمنين ما ﴿وَالذَّرِيَّتِ ذَرَّوْا﴾ فقام عمر فحسر عن ذراعيه وجعل يجلده، ثم قال: ألبسوه ثيابه واحملوه على قتب وأبلغوا به حيّه، ثم ليقيم خطيباً فليقل: إن صبيغاً طلب العلم فأخطأه، فلم يزل وضيعاً في قومه بعد أن كان سيداً فيهم. وعن عامر بن واثلة أن ابن الكوّاء سأل علياً رضي الله عنه ، فقال: يا أمير المؤمنين ما ﴿وَالذَّرِيَّتِ ذَرَّوْا﴾ (قال): وملك سلّ تفقّها ولا تسأل نعتنا ﴿وَالذَّرِيَّتِ ذَرَّوْا﴾ الرياح.

قال الماوردي⁽¹⁾: قوله تعالى: ﴿وَالذَّرِيَّتِ ذَرَّوْا﴾ الذاريات: الرياح، واحدتها ذارية لأنها تذرّو التراب والتبن أي تفرقه في الهواء، كما قال تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ﴾ [الكهف: 45] وفي قوله: ﴿ذَرَّوْا﴾ وجهان:

أحدهما: مصدر. الثاني: أنه بمعنى ما ذرت، قاله الكلبي. فكأنما أقسم بالرياح وما ذرت الرياح. ويحتمل قولاً ثالثاً: أن الذاريات النساء الولودات لأن في ترائبهن ذرو الخلق، لأنهن يذرين الأولاد فصرن ذاريات، وأقسم بهن لما في ترائبهن من خيرة عباده الصالحين، وخص النساء بذلك دون الرجال وإن كان كل واحد منهما ذارياً لأمرين. أحدهما: لأنهن أوعية دون الرجال فلاجتماع الذروين خصصن بالذكر.

الثاني: أن الذرو فيهن أطول زماناً وهن بالمباشرة أقرب عهداً.

● قال تعالى: ﴿تَذْرُوهُ الرِّيحُ﴾ [الكهف: 45].

قال ابن عطية⁽²⁾: ﴿تَذْرُوهُ﴾، بمعنى تفرقه، وقرأ ابن عباس: «تذريه»،

(2) المحرر الوجيز.

(1) النكت والعيون.

والمعنى: تقلعه وترمي به، وقرأ الحسن «تذروه الريح» بالإفراد، وهي قراءة طلحة والنخعي والأعمش.

قال أبو السعود⁽¹⁾: ﴿تَذْرُوهُ الرِّيحُ﴾ تفرّقه، وقرىء تُذْرِيهِ من أذراه وتذروه الريح، وليس المشبه به نفس الماء بل هو الهيئة المنتزعة من الجملة.

قال الألوسي⁽²⁾: ﴿تَذْرُوهُ الرِّيحُ﴾ أي تفرقه كما قال أبو عبيدة، وقال الأخفش: ترفعه، وقال ابن كيسان: تجيء به وتذهب. وقرأ ابن مسعود (تذريه) من أذرى رباعياً وهو لغة في ذرى. وقرأ زيد بن علي والحسن والنخعي والأعمش وطلحة وابن أبي ليلى وابن محيصن وخلف وابن عيسى وابن جرير (تذروه الريح) بالإفراد، وليس المشبه به نفس الماء بل هو الهيئة المنتزعة من الجملة وهي حال النبات المنبت بالماء يكون أخضر مهتماً ثم يصير يابساً تطيره الرياح حتى كأنه لم يكن، وعبر بالفاء في الآية للإشعار بسرعة زواله وصورته بتلك الصفة فليست فصيحة، وقيل هي فصيحة والتقدير فزها ومكث مدة فأصبح هشياً.



(1) إرشاد العقل السليم.

(2) روح المعاني.

ذعن

(ذعن - خبت - خشع

- خضع - ضرع - عنت - قنت)

■ **الِذْعَانُ:** انكسار الحركة رغبة ﴿وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾ [النور: 49].

■ **الإِخْبَاتُ:** انكسار القلب مع سكون الجوارح ﴿فَتُخِّتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحج: 54].

■ **الخُشُوعُ:** انكسار الصوت مع المهابة ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ﴾ [طه: 108].

■ **الخُضُوعُ:** التكرس في الصوت والجسد تحبباً ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ﴾ [الأحراب: 32].

■ **الضَّرَاعَةُ:** هي إخبات بزيادة، رفع اليدين والجثو على الركب ﴿فَأَخَذْتَهُم بِالْبِاسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ﴾ [الأنعام: 42].

■ **العنتُ:** انكسار القوة ضعفاً وخوفاً ﴿وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾ [طه: 111].

■ **القُنُوتُ:** انحسار الفكر باتجاه واحد تستسلم له ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَلْبُونَ﴾ [الروم: 26].



شرح المعاني:

منظومة الإذعان للغير أو الانقياد للغير منظومة دقيقة حساسة لأنها من قوانين هذا الكون فما من إنسان إلا وهو منقاد لإنسان آخر ويسمى في لغة القرآن بالإمام ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ﴾ [الإسراء: 71]. هذا الإمام الذي ينقاد له الآخرون قد يكون ملكاً أو رئيساً أو حاكماً أو شيخ قبيلة أو رئيس حزب أو ما شاكل ذلك. من حيث القوانين الكونية في هذا الكون فكل مخلوق لا بد أن ينقاد لمخلوق آخر حتى الملائكة لهم رئيسهم. هذه المنظومة في كتاب الله ﷻ : الإذعان، الخضوع، الذل، الاستسلام، الإخبات، الاستجابة، الاستكانة، الطاعة. كل نوع من هذه الأنواع التي تدل على انقيادك للآخر لها في كتاب الله تعالى مدلول منضبط تماماً، وبين كل انقياد وانقياد بناء على هذه المصطلحات بينها فروق دقيقة حيث تعلم أن لغة القرآن معجزة وأن كل كلمة تدل على نوع من أنواع انقياد إنسان لإنسان أو انقياد عبد لخالقه ﷻ أو انقياد مواطن لحاكمه. وكل كلمة لها فرق دقيق مع الكلمة الأخرى فلا تُغني كلمة عن كلمة ولذا يتم لنا الإثبات أنه ليس في القرآن الكريم مترادف.

كل انقياد له سببه على مستوى الملوك مثلاً: كل شعب ينقاد لملكه أو رئيسه. في الكتاب والسنة النبوية تستعمل كلمة الملك للدلالة على كل حاكم. الملك ينقاد له الناس لأسباب معينة وكل نوع من أنواع الانقياد له كلمة مخصوصة في هذه اللغة الأعجوبة التي ما من لغة على وجه الأرض يمكن أن تحمل المطلق الإلهي والفهم النسبي لله ﷻ إلا هذه اللغة. من الناس من يخضع لملكه لأنه عريق في نسبه يعرفونه أباً عن جدّ، أو لبراعته في فنون الحرب أو لبراعته في الاقتصاد أو ما شاكل ذلك فالناس ينقادون له. أو يكون الملك رؤوفاً بشعبه يعفو عن مسيئهم ويرعاهم ويكلؤهم فينقاد الناس له، وقد يكون الملك قاسياً مجرمًا

قاتلاً معذباً كفرعون مثلاً فينقاد له الناس انقياداً من جراء ذلك . والفراعين في هذا الزمان كثيرون . أكثر الانقيادات في العالم الآن هي من هذا الرعب القاتل حيث شاعت السجون السرية والتعذيب التي تنخلع له القلوب وليس هناك دولة على وجه الأرض إلا ما رحم ربي تخلو من هذا النوع من الترهيب بحيث ينقاد له الناس من حيث هذا الذي يسمونه عما يدور في السجون فينقاد الناس مرعوبين على تفاوت في ذلك خاصة في العالم الإسلامي .

نتأمل في كتاب الله ﷻ لنعرف كيف استعمل القرآن هذه العناوين على كل نوع من أنواع الانقيادات :

الإذعان: ﴿وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾ [النور: 49] هو انقياد بسلاسة ولين طوعاً من غير قهر بعد امتناع . مواطن معارض للحكم يعلن معارضته ثم صار بينه وبين الحكومة حوار ونقاش فاقتنع هذا المعترض بلطف وسلاسة فعاد وأطاعهم وانقاد لهم يسمى هذا إذعاناً . كل انقياد بعد امتناع يتم بسلاسة وحوار ولطف ولين من غير عنف وقهر يسمى إذعاناً كما هو الحال بين المتنافسين في العلم كالعالمين مختلفين في قضية علمية أحدهما يحاول إقناع الآخر بلطف . فالإذعان إذن سلمي بعد اقتناع من غير عنف ولا قهر .

الذل: إن كان الإذعان قهرياً يسمى ذللاً ﴿وَتَرَدَّهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَشَعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ الْخٰسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ أَلَّا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾ [الشورى: 45] المشركون الذين يشركون بالله ﷻ ويعبدون غير الله تعالى ، يوم القيامة يرون النار وينظرون إليها خاشعين من الذل ، هذا ذل قهري من شدة رعبهم وخوفهم ذلوا . كما قال تعالى على بني إسرائيل أن فيهم ذلة . عندنا ذلة وذلل : الذل انقياد بمهانة ، عندما تذلل إنساناً وتقهره على أن يفعل شيئاً يقال : انقاد له أو ذلل له ، قال تعالى في الأبوين : ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: 24]

من هذا القهر الشديد أنت مذلول لأبيك وأمك وتنقاد لهما قهراً ولا تستطيع أن تقول لهما أف وهذا ذلٌ عبقرى كريم يحبه الله تعالى ورسوله تنقاد لأبويك دون أن تقول لهما مه أو أف. أما الذل فهو بدون قهر وهو ما نسميه بالشعور بالنقص ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ﴾ [البقرة: 61] اليهود في التاريخ إذا تمكنوا من بلد وعلوا فيه انتقموا من أهله بإذلال الشعب وتحقيق مصالحهم على حساب مصالح البلد والشعب الذي يسيطرون عليه وهذه بداية إبادتهم وهذا نسقهم في التاريخ ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأعراف: 167]. فالذلة هي سمٌ عام في كل مجتمع فهناك من هو مهزوز ذليل بطبعه ولديه شعور بالنقص والهوان. ﴿يَتَأَيَّبُوا عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِمْ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: 54] هذا أمر من الله تعالى بأن تذل أمام إخوانك المسلمين وهذا من الذل. إذن الإذعان هو انقياد بالنقاش والحوار والذل انقياد بالقهر والقوة والعنف كالمستعمر الذي يملئ عليك إرادته.

الخضوع: انقياد بسكون تام. قال تعالى: ﴿إِنْ شَاءَ نُنزِلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ [الشعراء: 4] أريد أن أريك شيئاً يدخل الرعب في نفسك فتتقاد بسكون تام فلا تتحرك. سجين يرى تعذيباً هائلاً على غيره فينقاد بسكون من غير أن ينطق بكلمة من شدة الرعب الذي يراه هذا يسمى خضوعاً. فالخضوع إذن انقياد بسكون تام وهذا السكون إما أن يكون عن رعب أو عن شدة احترام، كأن تقف بين يدي الله تعالى ولشدة شعورك بهيبته وحبك له تسكن له سكوناً لا تتحرك وتنقاد له بمنتهى السكون. هذا خضوع لله تعالى محبة له سبحانه، وقد كان عروة بن الورد إذا صلى وقفت الطير على رأسه لشدة سكونه في قيام الليل. فالانقياد بسكون تام يسمى خضوعاً، بنو إسرائيل رأوا الجبل قد رُفِعَ فوقهم فسكنوا وخضعوا.

الاستسلام: أسلم واستسلم. قال تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: 44] هو أن تفقد إرادتك بالكامل لمن انقدت له. من هنا أخذ الإسلام والاستسلام: أنا منقاد لله تعالى في كل شؤوني ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا﴾ [الأنعام: 79]. والإسلام أن تنقاد انقياداً شاملاً ليس لك مع الله تعالى إرادة وليس لك مع من تنقاد له انقياداً شيئاً فكل أمرك بيد سيدك ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَدْرُسُهَا﴾ [الأنعام: 59] لا تملك شيئاً ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر: 19] لا تملك من أمرك شيئاً هذا هو الإسلام والاستسلام.

الإخبات: ﴿فَالنَّهْكَمُ إِلَى اللَّهِ وَوَجْدٌ فَلَهُ سَلَمٌ وَسِرٌّ الْمُحِيتِينَ﴾ [الحج: 34]. قد يتم الاستسلام أحياناً بتمرد من الداخل كخادم ينقاد لسيدته ولكن في داخله تمرد. إذا كان الاستسلام يرافقه تواضع يسمى هذا إخباتاً. ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [هود: 23] كلنا آمننا بالله تعالى ولكن ليس عندنا تواضع وعندنا في بعض الأحيان لوم واعتراض على رب العالمين لكن هناك من عباد الله تعالى من ينقاد له انقياداً شاملاً مع التواضع. قال بعض الصالحين بعد أن قطعت يده وفُقت عينه وبُترت رجله قال: يا رب وعزتك وجلالك لو قطعني إرباً إرباً لما شكوت منك. هذا محبت: استسلام مع تواضع شديد «من تواضع لله رفعه» وهناك فرق هائل بين الإخبات والاستسلام. وكل اختلاف في المعنى يؤدي إلى اختلاف في المبنى على هذا النسق الرائع في القرآن.



النصوص اللغوية:

قال ابن فارس⁽¹⁾: الذال والعين والنون أصلٌ واحدٌ يدلُّ على الإصحاب والانقياد. يقال: أذعن الرجل: إذا انقاد، يُذعنُ إذعانا، وبنائه ذعن، إلا أن استعماله أذعن. ويقال: ناقةٌ مذعانٌ: سلسة الرأس منقادة.

قال الجوهري⁽²⁾: أذعن له، أي: خضع وذل.

قال الخليل⁽³⁾: يقال: أذعن إذعانا، وذعن يذعن أيضاً، أي: انقاد وسلس.

ناقةٌ مذعانٌ سلسة الرأس منقادة لقائدها. وفي القرآن: ﴿مُذْعِنِينَ﴾ أي: طائعين.

قال الزمخشري⁽⁴⁾: ذعن له: إذا سلس وانقاد، وهو له مذعن.

وتقول: هو في الإساءة إليك ممعن وأنت منقاد له مذعن.

وأذعن فلان بحقي: أقر به.

وناقة مذعانٌ: سلسة القياد.

ويقال: رجل مذعان مطواع.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾ [الثور: 49].

قال الطبري⁽⁵⁾: يقول تعالى ذكره: وإن يكن الحق لهؤلاء الذين يدعون إلى

(4) أساس البلاغة.

(5) جامع البيان.

(1) معجم مقاييس اللغة.

(2) الصحاح في اللغة.

(3) العين.

الله ورسوله ليحكم بينهم، فيأبون ويُعرضون عن الإجابة إلى ذلك، قِبَل الذين يدعونهم إلى الله ورسوله، يأتوا إلى رسول الله مدعين، يقول: ﴿مُدْعِينَ﴾ منقادين لحكمه، مقرين به طائعين غير مكرهين يقال منه: قد أذعن فلان بحقه: إذا أقر به طائعاً غير مستكره وانقاد له وسلم. وكان مجاهد فيما ذكر عنه يقول في ذلك، ما: عن ابن جريج، عن مجاهد، قوله: ﴿يَأْتُوا إِلَيْهِ مُدْعِينَ﴾ قال: سراعاً.

قال الفخر الرازي⁽¹⁾: ﴿وإن يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُدْعِينَ﴾ على أنهم إنما يعرضون متى عرفوا الحق لغيرهم أو شكوا فأما إذا عرفوه لأنفسهم عدلوا عن الإعراض بل سارعوا إلى الحكم وأذعنوا ببذل الرضا، وفي ذلك دلالة على أنه ليس بهم اتباع الحق، وإنما يريدون النفع المعجل، وذلك أيضاً نفاق.

قال البيضاوي⁽²⁾: ﴿يَأْتُوا إِلَيْهِ مُدْعِينَ﴾ منقادين لعلمهم بأنه يحكم لهم.

قال ابن عطية⁽³⁾: ﴿مُدْعِينَ﴾ أي مظهرين للانقياد والطاعة وهم إنما فعلوا ذلك حيث أيقنوا بالنجح وأما إذا طلبوا بحق فهم عنه.

قال العزّ بن عبد السلام⁽⁴⁾: ﴿مُدْعِينَ﴾ طائعين، أو خاضعين، أو مسرعين، أو مقرين.



(3) المحرر الوجيز.

(4) التفسير العظيم.

(1) التفسير الكبير.

(2) أنوار التنزيل.

ذقن

(ذقن)

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس⁽¹⁾: الذال والقاف والنون كلمة واحدة إليها يرجع سائر ما يشتق من الباب. فالذَقْنُ ذَقْنُ الإنسان وغيره: مَجْمَعٌ لَحْيِيهِ. ويقال: ناقةٌ ذُقُونٌ: تحرك رأسها إذا سارت. والذَّاقنة: طرف الحلقوم الناتئ. وهو في حديث عائشة: «توفي رسول الله ﷺ بين سَحْرِي ونَحْرِي وحاقتي وذافتي». وتقول: ذَقَنْتُ الرَّجْلَ أَذَقْتُهُ، إذا دَفَعْتَ بِجُمْعِ كَفِّكَ فِي لَهْزِمَتِهِ. ودَلُّوْ ذُقُونٌ: إذا لم تكن مستويةً، بل تكون ضخمةً مائلةً.

قال الجوهري⁽²⁾: ذَقْنُ الإنسان: مَجْمَعٌ لَحْيِيهِ. وفي المثل: مُثَقِّلٌ اسْتَعَانَ بِذَقْنِهِ، يضرب لرجل ذليل يستعين برجل آخر مثله. وأصله البعيرُ يحمل عليه الحِمْلُ الثقيل فلا يقدر على النهوض فيعتمد بذَقْنِهِ على الأرض. وذَقَنْتُهُ: ضربتُ ذَقْنَهُ. والذَّاقِنَةُ: طرف الحلقوم الناتئ. وفي المثل: لألْحِقَنَّ حَوَاقِنَكَ بِذَوَاقِنِكَ. وقال أبو زيد: الذَّوَاقِنُ: أسفل البطن. وناقَةٌ ذُقُونٌ: تُرْخِي ذَقْنَهَا فِي السَّيْرِ. ودَلُّوْ ذُقُونٌ. وقد ذَقَنْتُ بِالْكَسْرِ: إذا خرزتها فجاءت شَفْتُهَا مائلةً.

قال الفيروزآبادي⁽³⁾: الذَّقْنُ، بالكسر: الشيخ الهرم، وبالتحريك: مُجْتَمَعُ اللَّحْيَيْنِ مِنْ أَسْفَلِهِمَا، وَيُكْسَرُ، مُدَكَّرٌ جَمْعُهُ: أَذْقَانٌ، ومنه: «مُثَقِّلٌ اسْتَعَانَ بِذَقْنِهِ»:

(3) القاموس المحيط.

(1) معجم مقاييس اللغة.

(2) الصحاح في اللغة.

يُضْرَبُ لِمَنْ اسْتَعَانَ بِأَذَلِّ مِنْهُ، وَأَضْلُهُ الْبَعِيرُ يُحْمَلُ عَلَيْهِ ثَقَلٌ، وَلَا يَقْدِرُ يَنْهَضُ، فَيَعْتَمِدُ بِذَقْنِهِ عَلَى الْأَرْضِ. وَالذَّاقِنَةُ: مَا تَحْتَ الذَّقْنِ، أَوْ رَأْسُ الْحُلُقُومِ، أَوْ طَرَفُهُ النَّاتِيءُ، أَوْ التَّرْقُوتَةُ، أَوْ أَسْفَلُ الْبَطْنِ مِمَّا يَلِي السَّرَّةَ، أَوْ ثَعْرَةُ النَّحْرِ، أَوْ أَعْلَى الْبَطْنِ.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: 109].

قال الفخر الرازي⁽¹⁾: ﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ [الإسراء: 107] وفيه أقوال: القول الأول: قال الزجاج: الذقن مجمع اللحيين وكلما ابتدء الإنسان بالخروج إلى السجود فأقرب الأشياء من الجبهة إلى الأرض الذقن. والقول الثاني: أن الأذقان كناية عن اللحي والإنسان إذا بالغ عند السجود في الخضوع والخشوع ربما مسح لحيته على التراب فإن اللحية يبالغ في تنظيفها فإذا عفرها الإنسان بالتراب فقد أتى بغاية التعظيم.

والقول الثالث: أن الإنسان إذا استولى عليه خوف الله تعالى فربما سقط على الأرض في معرض السجود كالمغشي عليه ومتى كان الأمر كذلك كان خروجه على الذقن في موضع السجود فقوله: ﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ﴾ [الإسراء: 107] كناية عن غاية ولهه وخوفه وخشيته ثم بقي في الآية سؤالان. السؤال الأول: لم قال: ﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ [الإسراء: 107] ولم يقل يسجدون؟ والجواب المقصود من ذكر هذا اللفظ مسارعتهم إلى ذلك حتى أنهم يسقطون. السؤال الثاني: لم قال: ﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ﴾ [الإسراء: 107] ولم يقل على الأذقان والجواب العرب تقول إذا خر الرجل فوق على وجهه خر للذقن، والله أعلم.

(1) التفسير الكبير.

قال الزمخشري⁽¹⁾: ما معنى الخرور للذقن؟ قلت: السقوط على الوجه، وإنما ذكر الذقن وهو مجتمع اللحيين، لأنَّ الساجد أول ما يلقي به الأرض من وجهه الذقن، فإن قلت: حرف الاستعلاء ظاهر المعنى إذا قلت خرّ على وجهه وعلى ذقنه، فما معنى اللام في خرّ لذقنه ولوجهه؟

قلت: معناه جعل ذقنه ووجهه للخرور واختصه به؛ لأن اللام للاختصاص. فإن قلت: لم كرّر يخرون للأذقان؟ قلت: لاختلاف الحالين وهما خرورهم في حال كونهم ساجدين، وخرورهم في حال كونهم باكين.

قال البغوي⁽²⁾: ﴿يَخْرُونَ لِلْأَذْقَانِ﴾ أي: يسقطون على الأذقان، قال ابن عباس: أراد بها الوجوه، ﴿سُجَّدًا﴾.

﴿وَيَخْرُونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ﴾، أي: يقعون على الوجوه يبكون، البكاء مستحب عند قراءة القرآن.

قال أبو السعود⁽³⁾: ﴿وَيَخْرُونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ﴾ كرر الخُرور للأذقان لاختلاف السبب فإن (الأول) لتعظيم أمر الله تعالى أو الشكر لإنجاز الوعد (والثاني) لما أثر فيهم من مواظب القرآن حال كونهم باكين من خشية الله.

قال ابن عجيبة⁽⁴⁾: ﴿يَخْرُونَ لِلْأَذْقَانِ﴾ أي: يسقطون على وجوههم.

والأذقان: جمع ذقن، وهو: أسفل الوجه حيث اللحية. وخصها بالذكر؛ لأنها أول ما تلقى في الأرض من وجه الساجد.



(3) إرشاد العقل السليم.

(4) البحر المديد.

(1) الكشاف.

(2) معالم التنزيل.

ذكر

(ذكر - فرقان - قرآن - كتاب)

■ **الذِّكْرُ:** القرآن لأنه أعظم ما أمر الله به من ذكره ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: 35].
 ذي الذكر: لأن فيه كل أنواع الذكر:

* ذكر الله ﷻ .

* ذكر الآخرة.

* ذكر الأمم السابقة.

■ **الْفُرْقَانُ:** لأنه يفرق بين الحق والباطل في الاعتقاد ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ﴾ [الفرقان: 1].

■ **الْقُرْآنُ:** لأنه أكرم ما يقرأ لإعجاز لغته بين الكتب السماوية ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْتٍ وَنَزَّلْنَاهُ نَزِيلًا﴾ [الإسراء: 106].

■ **الْكِتَابُ:** لأنه أكرم ما يكتب حيث لا باطل فيه ﴿الْمَّ ﴿﴾ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿﴾ [البقرة: 1-2].

* * *

شرح المعاني:

الذكر هو اسم من أسماء القرآن الكريم وأسماء القرآن في القرآن: الذكر، القرآن، الفرقان، والكتاب. ولعل بعض الناس يظن أن هذه الكلمات بمعنى واحد

والجواب لا . الاسم الأصلي لهذا الكتاب هو القرآن: القرآن الكريم الذي جعله الله تعالى علماً على الكتاب الذي أنزل على محمد ﷺ كما جعل التوراة علماً على الكتاب الذي أنزل على موسى ﷺ والإنجيل علماً على الكتاب الذي أنزل على عيسى ﷺ وغير ذلك . والعلم الأصلي لكتاب الله المنزل على محمد ﷺ هو القرآن وله اسم آخر يدل على زاوية أخرى من زوايا هذا الكتاب: الفرقان، واسم آخر يدل على زاوية أخرى من زواياه هو: الذكر، واسم آخر يدل على زاوية أخرى من زواياه وهو الكتاب .

القرآن: قرأ يقرأ قراءة وقرأ يقرأ قرأناً . المصدر فعلان مثل جحدان ونكران في غاية الغلظة، أي أن العقل بلغ مداه في المعنى . كفر يكفر كُفراً (هذا كفر نسبي) وكفر يكفر كفراناً (بلغ منتهاه في الكفر) . رجح يرجح رجوحاً هذا نسبي ورجح يرجح رجحاناً هذا بلغ القمة .

قراءة جاءت من قرأ، لكن بنسبة، لكن قرأناً مثل رجحان هذه قضية بلغت المدى في العمق أي ما تقرأه فيه عمق لا نهائي وأنت توغل في هذه القراءة فهماً بحيث تصل إلى غاية ما يمكن أن يدركه عقلك في زمانك ثم يأتي كل جيل يقرأ ويفهم ما لم تفهمه أنت . كل جيل يقرأ قراءة يستنبط معانيه هذا قرآن وهذا سر هذا الكتاب العزيز . القرآن هو الكلام المنزل على محمد ﷺ وينبغي أن تقرأه قرأناً (فمنهم ظالم لنفسه يقرأ ببساطة، ومنهم مقتصد يفهمه ويتعلم أحكامه ليس عميقاً كفاية ومنهم سابق بالخيرات في زمانه واسع المدى) . لم يقرأ أحد مثل عبد الله ابن عباس (ترجمان القرآن) وعلي بن أبي طالب (سيد الفهم) هذا فهم خاص يؤتاه الله تعالى من يشاء من عباده . ثم جاء الرازي وغيره فهموا من القرآن ما لم يفهمه غيرهم . كل جيل يبعث الله تعالى من يفهم القرآن فهماً جديداً نافعاً يعطي معاني جديدة لم يسبق لأحد الوصول إليها وهذا لا ينقطع فهو كتاب لا تنقضي عجائبه . المطلوب من المسلمين أن يوغلوا في القرآن ويغوصوا في معانيه إلى يوم القيامة كما قال تعالى ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ﴾ [الأعراف: 53] . في زماننا هذا اكتشفت معجزات

وأسرار لم تنتبه إليها الأزمان السابقة مما فتح الله تعالى على الناس من اختراعات. القرآن مجموعة من الكتب ﴿فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ﴾ [البينة: 3] لو جمعنا الكتب تؤلف كتاباً (كتاب الصلاة، كتاب النفس، كتاب الطهارة، كتاب الموت وغيرها) ننظر بها مجتمعة هذا ما يسمى ترتيلاً ﴿وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ [المزمل: 4].

القرآن من حيث عمقه ينبغي أن تكون قراءته قراءة عقلية ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّا بِهِ﴾ [آل عمران: 7] الذين يخصوصون في معاني المتشابه منه غوصاً يدل أن الله واحد وأن هذا الكلام كلام الله تعالى وأنه لا احتمال أن يكون هذا الكلام من صنع البشر لأن ما فيه من معلومات لا يمكن لمحمد ولا جيله أن يعرفها - كما قال موريس بوكاي العالم الفرنسي الذي أسلم - . القرآن بالنسبة لعمق المعنى الذي فيه والذي يقتضي قراءة عظيمة من أصحاب العقول الرشيدة (العقل الراشد لب العقول وذروتها وهو غاية الحكم والفهم والمعرفة) هذا هو القرآن.

الفرقان: القرآن من حيث كونه معجزاً: فإنه يحسم الموقف (واحد دخل في مشكلة مع واحد فقال كلاماً يحسم الموقف) ﴿وَمَا أُنزِلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْأَجْمَعَانِ﴾ [الأنفال: 41] حجة بليغة قوية تحسم الموقف بحيث لا يستطيع أحد في الدنيا أن يشك فيها. (يوم الفرقان: يوم) بدر، كيف أن 312 رجلاً تنزل الملائكة تقاتل معهم هذا فرقان قضية محسومة. ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُنْتَفِقِينَ﴾ [الأنبياء: 48] الضياء التوراة والذكر جزء منها والفرقان جزء منها. معجزة موسى وعيسى ﷺ أقام الحجة على الكافرين. هذه المعجزات هي الفرقان لأنها تحسم الموقف، موسى معجزته خارج التوراة (اليد، العصا، القمّل، الضفادع، الدم وغيرها) هذه التي ما إن رآها السحرة حتى خروا ساجدين حسمت الموقف وهذا فرقان معجزة. القرآن الكريم هو نفسه المعجزة. هذا الفرق بين القرآن والكتب السابقة لأن الكتب السابقة كانت المعجزة خارجها (إحياء الموتى لعيسى ﷺ من خارج الإنجيل). القرآن هو معجز لذا سمي فرقاناً ﴿بَارَكَ

الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿1﴾ [الفرقان: 1] من معانيه اللانهائية، في كل جيل هناك من يكتشف في القرآن معنى جديداً لم يعرضه أحد من قبله. هذا القرآن لأنه معجز في كلامه يحسم المواقف فهو فرقان. الفرقان قد يكون للأنبياء أو الأولياء أو الصالحين أو كل من يعطيه الله تعالى كلاماً حاسماً.

الذكر: نوعان: قلبي ولساني ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: 9] كلاهما اللسان والقلب نوعان إما ذكر عن نسيان وإما ذكر لإدامة الحفظ. والذكر الذي وصفه القرآن هو الحفظ عن ظهر قلب وظاهرة الحفظ لا تضاهيها ظاهرة. ملايين الناس يحفظونه لا يعلمون معناه. هذه الظاهرة لم تتوفر إلا لهذا الكتاب العزيز منذ نزل القرآن إلى اليوم وهو محفوظ في الصدور، وكلما تخلت الأمة عن العمل به كلما سخر الله تعالى من يقوم برعايته من حيث كتابته وطباعته وحفظه وأنواع الخدمات العظيمة. في هذا الزمان الذين يحفظون القرآن آلاف الأضعاف مما كانوا يحفظونه في عهد النبي ﷺ. نساءً ورجالاً وأطفالاً وتركاً، وفرساً، وصينيين يحفظونه وهناك مطابع في كل مكان ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [القمر: 17] هذا القرآن يسر الله تعالى حفظه للناس وهذا من إعجازه.

الكتاب: موضوع معين له عدة آيات تناقش هذا الموضوع يسمى كتاباً. كتاب الطهارة، البيوع، الصلاة، هذا المصحف فيه كتب قيمة. وكل موضوع كتاب: كتاب الموت، النصر، الهزيمة، العادات، الذكر، الصدقة، الصوم. هنا علينا أن نقرأها ﴿وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ﴾ [المزمل: 4] أي ضع الآيات التي تتعامل مع موضوع واحد وادرسها مع بعضها ولا تقسم ما لا ينقسم. هكذا جميع الآيات المتعلقة بكتاب واحد تؤخذ مجتمعة ويُنظر بها مجتمعة. وهذا سبب الاختلاف المذهبي. تضع الآيات في موضوع واحد تنظر إليها كرتة واحدة رتلاً رتلاً على نسق واحد. الرتل متناظر متقدم باتجاه واحد وقانون واحد.

كما يعرف أهل اللغة (أل) إما تكون للعهد الذهني، نقول: جاء الأمير أي: عندنا أمير في البلد فالكل يعرف أن الأمير هو المقصود. وأحياناً تأتي

لاستغراق الجنس: جميع الأمراء يقال لهم الأمير. كذلك كلمة الكتاب ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: 48] رب العالمين ﷺ أنزل الكتاب (أل) للعهد الذهني أي القرآن ليصدق ما بين يديه من الكتب المنزلة كلها (التوراة والإنجيل والزبور والصحف). كلمة الكتاب الأولى للعهد الذهني وهو القرآن والثانية لاستغراق الجنس تعني كل الكتب المنزلة قبل القرآن. والله تعالى يقول أن هذا الكتاب مهيمن على الكتب السابقة. كلمة مهيمن كلمة مشتركة في اللغة وتعني القريب والحافظ والشاهد والمتفوق والأمين والمؤمن. بمعنى أن القرآن رقيب محافظ شاهد متفوق مؤتمن أمين على الكتب السابقة. كل معنى أثبتته القرآن والواقع المعاش:

الرقيب الذي يرصد حسنات وأخطاء الآخر: وهكذا هو القرآن دلّ على حسن أو سوء الأداء في كل ما جاء في القرآن من تقريرات عن التوراة والإنجيل والزبور.

كان للرسول ﷺ معجزات كثيرة ولكن المعجزة الحقيقية كانت القرآن الكريم وهو الوحيد الذي كتبه معجزة وكل الأنبياء كانت معجزاتهم خارج كتبهم وكانت تحصل فقط في زمانهم أما الرسول ﷺ فمعجزته باقية إلى يوم القيامة.



ذكر

(ذكر - كلام - نطق - همس

- لفظ - قول - حديث - خطاب - بيان)

شرح المعاني:

بما أن كلمة الذكر من الكلمات المشتركة حيث أن القرآن ليس فيه ألفاظ مترادفة وإنما مشتركة أي للكلمة أكثر من معنى. تحدثنا عن معنى كلمة الذكر على أنها علم من أعلام القرآن وهنا نتحدث عنها وظيفة من وظائف اللسان.

الكلام: من وظائف اللسان الكلام. كل صوت فيه حروف تشكل كلمة لها معنى أو بلا معنى يسمى كلاماً. شخص صيني يتكلم أمامك لا تعرف ما يقوله، كلام الطفل يشكل حروف ليس له معنى ولكنه كلام. الكلام اسم جنس: كل صوت فيه حرف يسمى كلاماً بغض النظر عن نوعه وقيمه وشكله ومفيد أو غير مفيد. فالكلام اسم جنس والكلمة جمعها كَلِمٌ ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: 10]. ابن مالك كان دقيقاً عندما قال: كلامنا لفظ مفيد كاستقم واسم وفعل ثم حرف الكَلِم.

ورب العالمين سبحانه في كتابه العزيز أطلق الكلمة على كثير من الأشياء: خطبة، كلمة، عيسى كلمة ﴿رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ﴾ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ ﴿[النساء: 171]، القرآن سمّاه كلمة. فالكلمة لها معانٍ عديدة كلها تعني صوت فيه حروف، منها ما هو قصيدة ومنها ما هو قرآن. فعيسى سُمي كلمة لأن وجوده كان بكلمة، ووجد بكلمة (كن). كل ما تسمعه صوتاً فيه حروف يسمى كلاماً.

النطق: هذا الكلام إذا كان بصوت مسموع يسمى نطقاً، تقول: نطق. قد

يتكلم الإنسان بهمس لكن إذا رفع صوته فقد نطق. كان ساكناً فرفع صوته فنطق ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَنُ دَاوُدَ وَقَالَ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ عُلْمَنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ [النمل: 16]. والنطق غير الصوت: الصوت للحيوانات (رغاء للإبل، ثغاء للغنم، صهيل للخيل، نهيق للحمار) فكيف سمّاه القرآن منطوقاً؟ لأن سليمان عليه السلام كان يفهم صوت الطير كأنه يتكلم بكلمات فسمّاها منطوقاً.

الهمس: الكلام بصوت خفيض يسمى همساً. ﴿وَحَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه: 108] فالهمس من وظائف اللسان.

اللفظ: عندما تخرج الكلمة من فمك بقوة وحماسة. متى تفعل ذلك؟ إما أن تكون خطيباً أو مدافعاً أو مهاجماً أو شاتماً أو مادحاً أو ذاكراً أو كافراً. كلما كان كلامك فيه دافع من نفسك عاطفي أو عقائدي أو غضب أو فصل الخطاب يسمى لفظاً. لفظ الأشياء رميها. فالأرض تلفظ التنن أي: ترمي. اللفظ هو الكلمة التي تخرج من فمك بقوة. من دقة القرآن الكريم قال تعالى: ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: 18] ليس أي كلام تقوله عليه رقيب لكن الكلام الذي ترميه بقوة وعناية وبنية يسمى لفظاً. اللفظ الكلمة القوية التي تخرج من الفم بقوة كما تلفظ النواة من التمرة. ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: 18] عندما تقول كلاماً قوياً في أي مجال مدحاً أو قدحاً أو غيبة أو سباً أو مدحاً يرصد الملك كل ذلك فعليك أن تكون حذراً من أي خلل يوردك المهالك.

الذكر: الكلمة أو الكلام الذي تقوله فيما يُحمد أو يذم ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف: 44] ﴿وَأَذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 63] ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتَى يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِزْهِيمٌ﴾ [الأنبياء: 60] أي كل كلمة قوية هي حق وصدق تسمى ذكراً. الذكر هو الكلام الطيب ﴿وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ [الشعراء: 84] ﴿أَوْ يُحِثُّ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ [طه: 113] الذكر من وظائف اللسان لكن لا تطلق إلا على الحق والشيء المهم تقول لي ذكر لي فلان أنه ناجح ﴿أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ [يوسف: 42] القضايا المهمة تقول لها ذكر وكل شيء فيه حق ومدح وذم يسمى ذكراً.

القول: كل كلام مفهوم للمقابل يسمى قولاً. أمامك شخص صيني أو أفريقي يتكلم كلاماً لا تعرفه فتسأل ماذا يقول؟ أي ما معنى كلامه؟ القول هو الكلام المفهوم الواضح ولهذا لما بعث تعالى موسى وهارون إلى فرعون قال: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئِنَّا﴾ [طه: 44] حتى تقوم الحجة عليه فموسى تكلم مع فرعون بلغة يفهمها ولم يتكلم معه بالعبرية التي لا يفهمها فرعون. من تفريعاته أقوال (لما كان صواباً) وأقاويل (قول سيئ). ويقال: نهى عن قال وقيل. القالة أو الكلمة السيئة التي تشيع عن إنسان معين (وقيله يا رب).

الحديث: الكلام في موضوع واحد ﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ [الزمر: 23] ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى﴾ [يوسف: 111] إذا تكلم عن فرعون، فالحديث عن فرعون وعندما نتكلم في التلفزيون عن موضوع يقال تحدث حديثاً. أي موضوع واحد.

الخطاب: ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخُطَابِ﴾ [ص: 20] ﴿وَلَا تُخَاطَبِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [هود: 37] كلام لهم بين يدي ملك أو جمع له قيمة. وفرق بين الغوغاء أي الناس الذين لا قيمة لهم أي كلام تقول لهم يضحكون له أو ما شابهه والملا أو الجمهور الذي له قيمة. مسرحية كوميدية يضحك الناس لا يقتضي وصفاً مهماً لهؤلاء الحضور لكن يفهمون لغة المتحدث فيضحكون. لكن أمام الأطباء أو السياسيين أو العلماء يسمى الكلام خطاباً لأن الحضور يجب أن يكونوا من أهل الاختصاص في جمهور يفهم ما تقوله حتى يفهموا الخطاب. ومنها المخاطبة: واحد يرد على الثاني ﴿وَلَا تُخَاطَبِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ﴾ [هود: 37]. حتى الخطبة بكسر الخاء سميت خطبة لأنه جرى العرف أن الذي يخطب فتاة يلقي كلمة تسمى خطبة من أجل الخطبة، والآن بطلت هذه العادة، الخطبة هي الحفل الذي يلقي فيه الخاطب خطبة. ومنها الخطب (ما خطبكما) أي المصيبة الكبرى وصاحب المصيبة الكبرى كثير الكلام يشكو ويبكي ولهذا يسمى خطباً.

البيان: الكلام البليغ من لسان فصيح. الفصاحة وصف للسان والبلاغة وصف للكلام. يقال: كلام بليغ ولسان فصيح. موسى كان في غاية الدقة

والفصاحة فقال ﴿هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾ [القصص: 34] لم يقل أبلغ مني لساناً. البيان يعني لغة الشعراء والأدباء والمتحدثين البارعين وأصحاب الباع الطويل في صناعة الكلام والجمل، أهل البيان. وأعظم بيان هو القرآن الكريم ومن إعجازه أن علمك الله تعالى البيان ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ أَلْبَانَ ﴿٤﴾﴾ [الرحمن: 3-4]، ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ [القيامة: 19] كل كلام شراح الفقه واللغة يسمى بياناً لأنهم يوضحون الأمر بكلام بليغ من لسان فصيح. اشتقاقاتها: بان وتبين واستبان.

هذه هي وظائف اللسان. وباختصار: الكلام صوت فيه حروف تشكل كلمة، النطق الكلام بصوت مسموع بعد سكون، الهمس الكلام بدون صوت، اللفظ رمي الكلام أو إخراجه بقوة لحماسة أو حب أو مدح أو ذم، القول هو الكلام المفهوم، الحديث الكلام عن موضوع واحد، الخطاب كلام مهم بين يدي ملك أو جمع له قيمة في ذلك الاختصاص، الذكر كلام مهم وهو كلام حق لكل الناس أفراداً وجماعات، البيان كلام بليغ من لسان فصيح.

إذاً الذكر هو الكلام الجميل. فلان يذكرك بخير، فلان له ذكر بين الناس. لكل عبد ذكر في السماء كما له ذكر في الأرض، كل واحد له صيت في الدنيا، يقال: فلان العالم، المجاهد، الكريم، العادل، وفي الملاء الأعلى له نفس الصيت. يقال عن عمر بن عبد العزيز عمر العادل. الذكر هو الكلام الجميل بمنظومة الجمال المتعددة بذكر محاسنه ومآثره، نصائح، مآثر. بتغنيك به: تتغنى بأملك، بأبيك، بشعبك، بأرضك كلها ذكر، وأعظم ما يقول اللسان وما من كلمة من كلمات هذه المنظومة التي هي من وظائف اللسان أقدس من كلمة الذكر فأجل وظائف اللسان هي الذكر. كل من لهم ذكر فهو جميل. وأعظم أنواع الذكر أن تذكر الله ﷻ. عندما تقول كلمة الذكر مضافة (ذكر الملك، ذكر العلم) لكن عندما تطلق كلمة الذكر فهي تعني ذكر الله. الذكر هذا ذكر الله من خصائص هذه الأمة وهذا من خيريتها ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ [آل عمران: 110] ما من أمة على وجه الأرض ذكر الله ﷻ على لسانها على مدى الساعة والدقيقة إلا هذه الأمة. على

مدى النهار الله تعالى ملازم لكل عبارة من عبارات التخاطب. هذه الأمة تذكّر الله تعالى على مدار الدقيقة، إن الله ﷻ في قلوبها، وما من أمة بلغ حبها لله تعالى ولرسوله كما بلغت عند هذه الأمة. عندما تسمع أحاديث الترغيب أو البشائر كما قال تعالى ﴿لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾ [مريم: 97] «من قال لا إله إلا الله مصداقاً بها قلبه دخل الجنة وإن زنى وإن سرق» عقولنا لا تحيط بالله تعالى وكذلك لا تحيط بكرمه أيضاً فهو سبحانه كريم وجواد. ليس في قدرتك الإحاطة بكرم الله تعالى مع هذا عندما تتأمل وترى كم أن الأمة ذكّارة: من أن تستيقظ إلى ساعة ما تنام وهي تذكّر الله تعالى طول النهار. هذا من حيث العموم وكذلك جعل الله تعالى لهذه الأمة عبادة لم تسبق إليها أمة في كل الأمم وهي ذكر الله تعالى ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: 45] ذكر الله أكبر من الصلاة كيف نفهم هذا؟ أيهما أعظم؟ أن تبني للملك مشروعاً اقتصادياً هائلاً أو قصراً عظيماً أو تخترع له آلة جديدة أو أنك تقول فيه كلاماً جميلاً يدخل السعادة والرضى على قلبه؟. هناك فرق بين من ترضى عقله ومن ترضى قلبه: قصيدة واحد أو كلمة طيبة واحدة أو عبارة مدح واحدة لملك من الملوك الكرماء قد تنال من رضاه وعطائه وحبه ما لا ينال صاحب مشروع عظيم قضى عمره فيه. واحد جلس ساعة يقول سبحان الله وبحمده والآخر في هذه الساعة كان يصلي ويصوم ويجاهد أو ينفق أو يعمل عملاً صالحاً. هذه الساعة التي كان هذا يسبح فيها الله، أحب إلى الله تعالى وأعظم أجراً وعطاء من كل ما فعل الآخرون المجاهدون والمعلمون والحكام والبارون بوالديهم. «ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وخير من إنفاق الورق والذهب وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فيضربوا رقابكم وتضربوا رقابهم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: ذكر الله» قال تعالى: ﴿مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُوِّقَ أَكْلُهَا كُلِّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ [إبراهيم: 24-25] لا إله إلا الله تصعد وحدها كالشهاب والأعمال الصالحة ترفعها الملائكة. أنت عملت عملاً فسمعه

الملك بأذنيه منك مباشرة، وغيرك عمل عملاً أُخبر به الملك من غيرك ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ
الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: 10] جميع الأعمال الصالحة ترفعها
الملائكة إلا الكلم الطيب أو التوحيد (لا إله إلا الله) فتصعد لوحدها فيها قوة
اندفاع وتبقى تتردد إلى يوم القيامة ويتوالى ثوابها .

فالذكر أعظم العبادات كما في الأحاديث .

كل عبادة لها حدود، فالصلاة حدود: أركان وشروط وأزمنة، والصيام كذلك
له حدود، والزكاة كذلك، إلا الذكر فهو مطلق بلا زمان ولا مكان ولا عدد
﴿وَأذْكُرُوا اللَّهَ﴾ [البقرة: 203] ﴿وَالذَّكِرِينَ اللَّهُ﴾ [الأحزاب: 35] هذه العبادة مطلقة
افعلها ما شئت . وهناك حديث عجيب: «اذكروا الله حتى يقال مجنون» معناه: أنه
لا قيد عليك: قعوداً ﴿قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: 191] . أذها كما تريد
بذوقك والقيد الوحيد هو أن لا تصرخ «رويدكم فإنكم لا تدعون أصم» ﴿إِنَّ اللَّهَ
لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: 190] أي الصراخ والصوت العالي جداً في الدعاء . ما
عدا هذا يمكنك أن تذكر الله تعالى في كل طريقة وفي كل حال وحدك، قائماً،
قاعداً، وعلى جنبك فهذا ما يوصلك إلى الله تعالى بمسافة أقل من عبادات
أخرى .

هذه الأمة محدثة وفيها خوارق كما في سائر الأمم كان لهم خوارق (عيسى
وموسى وأمهم وغيرهم) لكن ليس بالشيوع والكثرة التي عند هذه الأمة . كل
واحد يحاول أن يكون له ورد محدود، فالذكر المحسوب المحدد تأثيره أكثر من
غيره (تسييح 33 مرة، تهليل 33 مرة، تكبير 33 مرة)، مئة مرة سبحان الله ويحمده
سبحان الله العظيم، استغفار للمؤمنين والمؤمنات 25 مرة، 7 مرات تقول: حسبنا
الله ونعم الوكيل، هذا المعدود يؤثر تأثيراً كاملاً . هذه الأوراد المأثورة عن
الرسول ﷺ في الكتاب والسنة إذا داومت عليها بشكل معين في الثلث الأخير من
الليل، بعد أن تصلي ركعتين تهجداً وتجلس على مصلاّك ولك ورد يومي في هذه
الساعة . وهناك مأثورات كثيرة اختر منها ما تشاء بخشوع وحضور قلب، فمن

النادر ألا ترى شيئاً خارقاً. (الصحابي الذي قرأ البقرة فقط حتى نزلت الملائكة تستمع إليه).

كل من يذكر الله ﷻ بشكل دؤوب ومرتب ومنظم بمواعيد معينة ثم يدعو الله تعالى بإحضار القلب لا بد في النهاية إلا أن يرى شيئاً، نوراً، فتحاً، حركة، يسمع آخرين لا يراهم يرددون معه نفس الذكر على شرط أن يكون قلبه قوياً لأن بعض الناس فقدوا عقولهم. تأثير الذكر في النفس الإسلامية تأثير عجيب إذا داومت عليه يقول تعالى في الحديث القدسي: (أنا جليس من ذكرني) كلما ذكرته سبحانه وتعالى جالسك الله تعالى: لم يقل: هو جليسي ولكنه تعالى قال: (أنا جليس من ذكرني)، فماذا تنتظر من جماعة الله تعالى جليسيهم؟.

حديث: «إن الرجل ليلقي بالكلمة لا يلقي لها بالاً تهوي به في النار سبعين خريفاً» الكلمة التي تؤدي لسخط الله تعالى هي الشرك، الغيبة، البهتان، النميمة، كلمة زور أو كلمة تساعد على قتل أو إيذاء مسلم «من أعان على قتل مسلم بشق كلمة بُعث يوم القيامة مكتوباً على جبهته آيس من رحمة الله»، «إذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول في النار». بينما كلمة لا إله إلا الله، كلمة حق وكلمة حق عند سلطان جائر، شهادة حق كلها من الكلمة الطيبة. لا إله إلا الله كلمة لها قيمة، وكم من العباد يقولون الحق في موطن قد يكلفهم أنفسهم أو يدفعون حياتهم ثمناً لها. ومن أعظمها اليوم، عندما تكون في مجلس يغتاب فيه أحد فقال أحدهم: اتقوا الله لا تغتابوا، ودافع عن الذي يغتابونه وحمى ظهره، فهذه وحدها تنجيه يوم القيامة والله تعالى يحاسبه عليها حساب الكرام. رب العالمين يجزي الطيبين بأحسن الذي كانوا يعملون، ويجزي السيئين بأسوأ الذي كانوا يعملون (غيبة، شرك، بهتان لا يتجاوز عنها الله تعالى) لكرم الله تعالى وجوده وسخائه والسخاء خُلِقَ الله تعالى الأعظم: فالكلمة الواحدة قد تهلك الإنسان والكلمة الواحدة قد تنجيه نجاه ما بعدها هلاك. الذكر يختزل كل العبادات فقد تكون

الصلاة أو الصوم أو الزكاة غير خاشعة ومنضبطة لكن ذكرك الله تعالى كان ذكراً يحبه الله تعالى خفية وخيفة وقياماً وقعوداً بهذا الذكر تختزل جميع العبادات الأخرى كما في الأحاديث المتفق على صحتها. ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: 21] لم يقل: صلى وصام وزكى وإنما قال: وذكر، لأن الذكر أعظم. (ذكراً كثيراً) ذكر مطلق ليس كالعبادات بعدد وكما ذكرنا في الحديث: «اذكروا الله حتى يقول المنافقون مراؤون» ﴿وَأَذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ [المزمل: 8] لا يكون بلسانك فقط وإنما بلسانك ويمس شغاف قلبك، في الأوقات التي فيها نصوص تنقطع عن الدنيا وتتأمل أن الله تعالى جليسك بما يليق بجلاله يحدث لها فتوحات ربانية في العلم والفهم والكرامات بشكل غير منقطع.

﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُوبِكُمْ﴾ [النساء: 103] أي في كل حال. ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّت قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: 2] ارتباط القلب باللسان عند الذكر ضرورة. ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الحديد: 16]. الذكر يأتي عادة بعد العبادات ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ﴾ [البقرة: 200] وهو قمة العبادة. «أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني» «قالوا: يا رسول الله أي الأعمال أفضل؟ قال: أن تموت ولسانك رطب بذكر الله» يقول ﷺ في اختزال العبادات: «من عجز عن الليل أن يكابده ومن بخل بالمال أن ينفقه ومن جبن عن العدو أن يجاهده فليكثر من ذكر الله» قال ﷺ: «سبق المفردون، قالوا: من هم يا رسول الله؟ قال: الذاكرين الله والذاكرات يضع الذكر عنهم أوزارهم» «المولعون بذكر الله المستهترون الذين لا يباليون ما يقال فيهم» «لا تجعلوني كقدح الراكب» الله تعالى لا يقبل الدعاء أو الذكر إلا إذا كان بين صلاتين عن النبي ﷺ. «إنما اجعلوني في أول الدعاء وفي آخره وفي أوسطه».

من المجالس المشهودة من الملائكة: هناك مجالس شريفة، العبد فيها ضامن

على الله يخرج منها مغفوراً له كيوم ولدته أمه: زيارة مريض لوجه الله ﷺ ، مجلس إمام عادل، أو رئيس دولة عادل منصف يحب شعبه ويحبه شعبه؛ إذا جلست عنده فنصحته إذا رأيت خطأ تخرج من ذنوبك كيوم ولدتك أمك. ومنها مجالس الذكر «إن لله ملائكة سياحين يتبعون حلق الذكر» مهمتهم أنهم يتبعون هذه المجالس ومولعون بها ولعاً شديداً. والله تعالى في الحديث في البخاري ومسلم يقول: أشهدكم أنني قد غفرت لهم. قالوا: يا رب إن فيهم فلاناً الخطاء جاء لحاجة يقول تعالى بكرمه وفضله: وله غفرت إنهم القوم لا يشقى جليسهم». مجلس علم أو ذكر تحضره الملائكة يغفر لمن فيه حتى الخطاء الذي ليس من هؤلاء القوم، وإنما مرّ مروراً يغفر له من أجلهم. هذا الزمن الذي فيه الفتن، مجالس الذكر أصبح بعض الناس يحذرون منها، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه، وهذا الزمن سوّقت فيه البغضاء. فيياك والسفه وإياك أن تبغض أحداً وهو يقول: لا إله إلا الله فإنك هالك وتمسك بدين الأعرابي.

«من شغله ذكرى عن مسألتي أعطيته من خير ما أعطي السائلين» هناك فرح بالمنعم وفرح بالنعمة. الكرماء إذا أعطوك تحبهم لأنهم أكرموك وأنت فرح بعطائهم، ولكن هناك من إذا أعطوا لا يفرح بالعطاء وإنما بالمعطي. هناك طبقة من أمة محمد ﷺ ومن كل الأمم السابقة من أتباع الأنبياء عشقوا الله تعالى عشقاً، فعندما يعطيه الله تعالى لا يهمه، لكنه فرح بأن الله تعالى خصّه بالنعمة. هذا الذي يذكر الله تعالى وليس في ذهنه شيء سوى الله تعالى. «والله لو ألقيتني في النار ما شكوت منك» هؤلاء ثلة من الأولين وقليل من الآخرين.

ومن الأوقات الشريفة للذكر بين المغرب والعشاء.

إذاً من أعظم وظائف اللسان أن تذكر الله ﷺ ، والحديث عن ذكر الله

عظيم.



النصوص اللغوية:

قال ابن فارس⁽¹⁾: الذال والكاف والراء أصلان، عنهما يتفرّع كلُّم الباب. فالْمُذَكِّرُ: التي وَلَدَتْ ذَكَرًا. والمِذْكَارُ. التي تَلِدُ الذُّكْرَانَ عَادَةً. والأصل الآخر: ذَكَرْتُ الشَّيْءَ: خِلافُ نَسِيْتُهُ. ثم حمل عليه الذُّكْرُ باللسان. ويقولون: اجعله منك على ذُكْرٍ، بضم الذال، أي: لا تَنْسَهُ. والذُّكْرُ والشَّرْفُ. وهو قياس الأصل. ويقال: رجلٌ ذَكِرٌ وذَكِيرٌ، أي: جيّد الذُّكْرُ شَهْمٌ.

قال الخليل⁽²⁾: الذُّكْرُ: الحفظ للشَّيْءِ تذكّره، وهو مني على ذكر. والذُّكْرُ: جري الشَّيْءِ على لسانك، تقول جرى منه ذِكْرٌ. والذُّكْرُ: الشرف والصوت، قال الله ﷻ: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الرَّحْفُ: 44] والذُّكْرُ: الكتاب الذي فيه تفصيل الدين. وكل كتاب للأنبياء: ذِكْرٌ. والذُّكْرُ: الصلاة، والدعاء، والثناء. والأنبياء إذا حزبهم أمر فزعوا إلى ذكر الله، أي: الصلاة. والذُّكْرَى: اسم للتذكير، والتذكير، والتذكير مجاوز.

والذُّكْرُ من الحديد: أبيضه وأشدّه، وبه سمي السيف مُذَكَّرًا، وبه يُذَكَّرُ القُدوم، والفأس ونحوه. وامرأة مُذَكَّرَةٌ، وناقة مُذَكَّرَةٌ: إذا كانت في خلقه الذُّكْرُ، أو شبيهه في شمائلها. وأذكَرَتِ الناقة والمرأة: إذا ولدت ذَكَرًا. وامرأة مُذَكَّارٌ: إذا أكثرت من ولادة الذُّكُور. ويقال للحبلى في الدعاء: أيسرت وأذكَرَت، أي: يسر عليها وولدت ذَكَرًا. والاسْتِذْكَارُ: الدراسة للحفظ. والتذُّكْرُ: طالب ما قد فات.

قال الجوهري⁽³⁾: الذُّكْرُ: خلاف الأنثى. والجمع ذُكُورٌ، وذُكْرَانٌ، وذِكَارَةٌ أيضاً. والذُّكْرُ العَوْفُ، والجمع المذاكيرُ على غير قياس، كأنهم فرّقوا بين الذُّكْرِ

(1) معجم مقاييس اللغة.

(3) الصحاح في اللغة.

(2) العين.

الذي هو الفحل وبين الذكر الذي هو العضو، في الجمع. ورجل ذكير: جيد الذكر والحفظ. والتذكير: خلاف التأنيث. والذكر والذكرى، بالكسر: خلاف النسيان. وكذلك الذكره.

المعنى المشترك لكلمة (ذكر)

وقد وردت كلمة (ذكر) في القرآن الكريم على ثمانية عشر وجهاً:

الوجه الأول: الذكر يعني به العمل الصالح ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: 152].

الوجه الثاني: الذكر باللسان ﴿فَإِذَا قُضِيَتْمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [البقرة: 200].

الوجه الثالث: الذكر بالقلب ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُ فَمَا لَهُ مِنْ شَيْءٍ أَنْ يَسْأَلَ اللَّهَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شَيْئًا﴾ [آل عمران: 135].

الوجه الرابع: الذكر بمعنى: اذكر أمري عند فلان ﴿أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ [يوسف: 42].

الوجه الخامس: الذكر بمعنى: الحفظ ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 63].

الوجه السادس: الذكر بمعنى: العظة ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ [الأنعام: 44].

الوجه السابع: الذكر بمعنى: الشرف ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف: 44].

الوجه الثامن: الذكر بمعنى: الخبر ﴿هَذَا ذِكْرٌ مِّنْ مَّعَىٰ وَذِكْرٌ مِّنْ قَبْلِي﴾ [الأنبياء: 24].

الوجه التاسع: الذكر بمعنى: الوحي ﴿أَلَمْ يَلْقَ الْذِّكْرَ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا﴾ [القمر: 25].

الوجه العاشر: الذكر يعني: القرآن الكريم ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: 9].

- الوجه الحادي عشر: الذكر يعني: التوراة ﴿فَسَأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ [التحل: 43].
- الوجه الثاني عشر: الذكر يعني: اللوح المحفوظ ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: 105].
- الوجه الثالث عشر: الذكر يعني: البيان ﴿صَّ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ [ص: 1].
- الوجه الرابع عشر: الذكر يعني: التفكير ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ [ص: 87].
- الوجه الخامس عشر: الذكر يعني: الصلوات الخمس ﴿فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 239].
- الوجه السادس عشر: الذكر يعني: الصلاة الواحدة ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الجمعة: 9].
- الوجه السابع عشر: الذكر يعني: التوحيد ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ [طه: 124].
- الوجه الثامن عشر: الذكر يعني: الرسول ﷺ ﴿قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾ [الطلاق: 10].

في القرآن الكريم:

- قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: 10].

قال الفخر الرازي⁽¹⁾: ﴿ذِكْرُكُمْ﴾ وفيه ثلاثة أوجه: أحدها؛ ذكر شرفكم وصيبتكم، كما قال: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف: 44]. وثانيها: المراد فيه

(1) التفسير الكبير.

تذكرة لكم لتحذروا ما لا يحل وترغبوا فيما يجب، ويكون المراد بالذكر الوعد والوعيد، كما قال: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ نَفْعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذَّارِيَات: 55]. وثالثها: المراد ذكر دينكم ما يلزم وما لا يلزم لتفوزوا بالجنة إذا تمسكتم به وكل ذلك محتمل، وقوله: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ كالبعث على التدبر في القرآن لأنهم كانوا غفلاء لأن الخوض من لوازم الغفلة والتدبر دافع لذلك الخوض ودفع الضرر عن النفس من لوازم الفعل فمن لم يتدبر فكأنه خرج عن العقل.

قال الشعراوي⁽¹⁾: وقوله تعالى: ﴿فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ [الأنبياء: 10].. الذكر: سبق أن أوضحنا أن الذكر يُطلق بمعنى: القرآن، أو بمعنى: الكتب المنزلة، أو بمعنى: الصِّيت والشرف. أو بمعنى: التذكير أو التسيح والتحميد. والذكر هنا قد يُراد به تذكيرهم بالله خالقاً، وبمنهجه الحق دستوراً، ولو أنكم تنبهتم لما جاء به القرآن لعرفتُم أن الفطرة تهدي إليه وتتفق معه، ولعرفتُم أن القرآن لم يتعصّب ضدكم، بدليل أنه أقرَّ بعض الأمور التي اهتديتم إليها بالفطرة السليمة ووافقكم عليها. ومن ذلك مثلاً الدِّية في القتل هي نفس الدية التي حدَّدها القرآن، مسائل الخطبة والزواج والمهر كانت أموراً موجودة أقرها القرآن، كثيرون منهم كانوا يُحرِّمون الخمر ولا يشربونها، هكذا بالفطرة، وكثيرون كانوا لا يسجدون للأصنام، إذن: الفطرة السليمة قد تهتدي إلى الحق، ولا تتعارض ومنهج الله. أو: يكون معنى ﴿ذِكْرُكُمْ﴾ [الأنبياء: 10].. شرفكم وصيبتكم ومكانتكم ونباهة شأنكم بين الأمم؛ لأن القرآن الذي نزل للعالم كلها نزل بلغتكم، فكأن الله تعالى يشي عقول الناس جميعاً، ويشي قلوبهم للغتكم، ويحثهم على تعلّمها ومعرفتها والحديث بها ونشرها في الناس، فمن لم يستطع ذلك ترجمها، وأيُّ شرف بعد هذا؟! .

● قال تعالى: ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ [الأنبياء: 50].

(1) تفسير الشعراوي.

قال الطبري⁽¹⁾: يقول جل ثناؤه: وهذا القرآن الذي أنزلناه إلى محمد ﷺ
ذَكَرٌ لِمَنْ تَذَكَّرَ بِهِ، وَمَوْعِظَةٌ لِمَنْ اتَّعَظَ بِهِ.

قال البيضاوي⁽²⁾: ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ﴾ يعني القرآن.

قال أبو السعود⁽³⁾: ﴿وَهَذَا﴾ أي القرآن الكريم أشير إليه بهذا إيذاناً بغاية
وضوح أمره ﴿ذِكْرٌ﴾ يُتَذَكَّرُ، وَصِفَ بِالْوَصْفِ الْأَخِيرِ لِلتَّوْرَةِ لِمُنَاسَبَةِ الْمَقَامِ
وَمُوَافَقَتِهِ لِمَا مَرَّ فِي صَدْرِ السُّورَةِ الْكَرِيمَةِ.

● قال تعالى: ﴿هَذَا ذِكْرٌ مِّنْ مَّعِيَ وَذِكْرٌ مِّنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ
فَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: 24].

قال العزّ بن عبد السلام⁽⁴⁾: (ذِكْرٌ مِّنْ مَّعِيَ) بما يلزمهم من حلال وحرام
﴿وَذِكْرٌ مِّنْ قَبْلِي﴾ ممن نجا بالإيمان وهلك بالشرك، أو ذِكْرٌ مِّنْ مَّعِيَ بِإِخْلَاصِ
التوحيد في القرآن وذكْرٌ مِّنْ قَبْلِي فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ.

قال الماوردي⁽⁵⁾: ﴿هَذَا ذِكْرٌ مِّنْ مَّعِيَ وَذِكْرٌ مِّنْ قَبْلِي﴾ فيه وجهان: أحدهما: هذا
ذكر من معي بما يلزمهم من الحلال والحرام، وذكر من قبلي ممن يخاطب من
الأمم بالإيمان، وهلك بالشرك، قاله قتادة.

الثاني: ذكر من معي بإخلاص التوحيد في القرآن، وذكر من قبلي في التوراة
والإنجيل، حكاه ابن عيسى.

● قال تعالى: ﴿صَّ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ [ص: 1].

قال الزمخشري⁽⁶⁾: ومعناه: أقسم بالسورة الشريفة والقرآن ذي الذكر، كما
تقول: مررت بالرجل الكريم وبالنسمة المباركة، ولا تريد بالنسمة غير الرجل.

(4) التفسير العظيم.

(5) النكت والعيون.

(6) الكشاف.

(1) جامع البيان.

(2) أنوار التنزيل.

(3) إرشاد العقل السليم.

والذكر: الشرف والشهرة، من قولك: فلان مذكور، ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف: 44] أو الذكرى والموعظة، أو ذكر ما يحتاج إليه في الدين من الشرائع وغيرها، كأقاصيص الأنبياء والوعد والوعيد.

قال ابن عجيبة⁽¹⁾: ﴿ذِي الذِّكْرِ﴾ أي: ذي الشرف التام، الباقي، المخلد لمن تمسك به، أو ذي الوعظ البليغ لمن اتعظ به، أو ذي الذكر للأمم والقصص والغيوب. أو: يراد به الجميع. وجواب القسم: محذوف، أي: إنه لكلام معجز، أو: إنه لمن عند الله، أو: إن محمداً لصادق، أو: ما الأمر كما يزعمون، أو: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [يس: 3] وقيل: ﴿إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَّبَ الرَّسُلَ﴾ [ص: 14] أو: ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾ [ص: 64] وهو بعيد.

● قال تعالى: ﴿فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [التحل: 43].

قال الشعراوي⁽²⁾: ﴿فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾. أي: إذا غابث عنكم هذه القضية، قضية إرسال الرسل من البشر - ولا أظنها تغيب - لأنها عامة في الرسالات كلها. وما كانت لتخفى عليكم خصوصاً وعندكم أهل العلم بالأديان السابقة، مثل ورقة بن نوفل وغيره، وعندكم أهل السيرة والتاريخ، وعندكم اليهود والنصارى.. فاسألوا هؤلاء جميعاً عن بشرية الرسل. فهذه قضية واضحة لا تُنكر، ولا يمكن المخالفة فيها.. وماذا سيقول اليهود والنصارى؟.. موسى وعيسى.. إذن بشر.

قال الواحدي⁽³⁾: ﴿فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ يعني: أهل التوراة فيخبرونكم أن الأنبياء كلهم كانوا بشراً.

● قال تعالى: ﴿قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَسُولًا يَنْتَلُونَ﴾ [الطلاق: 10-11].

(3) الوجيز.

(1) البحر المديد.

(2) تفسير الشعراوي.

قال القرطبي⁽¹⁾: إن المعنى قد أنزل الله إليكم صاحب ذكر رسولاً؛ فـ «رسولاً» نعت للذكر على تقدير حذف المضاف. وقيل: إن رسولاً معمول للذكر لأنه مصدر؛ والتقدير: قد أنزل الله إليكم رسولاً. ويكون ذكره الرسول قوله: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾ [الفتح: 29]. ويجوز أن يكون «رسولاً» بدلا من ذكر، على أن يكون «رسولاً» بمعنى رسالة، أو على أن يكون على بابه ويكون محمولا على المعنى، كأنه قال: قد أظهر الله لكم ذكراً رسولاً، فيكون من باب بدل الشيء من الشيء وهو هو. ويجوز أن ينتصب «رسولاً» على الإغراء كأنه قال: اتبعوا رسولاً. وقيل: الذكر هنا الشرف، نحو قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ [الأنبياء: 10]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف: 44]، ثم بين هذا الشرف فقال: «رسولاً». والأكثر على أن المراد بالرسول هنا محمد ﷺ. وقال الكلبي: هو جبريل، فيكونان جميعاً منزلين. ﴿يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ [الطلاق: 11] نعت لرسول. و«آياتِ الله» القرآن. (مبيِّنات) قراءة العامة بفتح الياء؛ أي بينها الله. وقرأ ابن عامر وحفص وحمزة والكسائي بكسرها، أي يبيِّن لكم ما تحتاجون إليه من الأحكام. والأولى قراءة ابن عباس واختيار أبي عبيد وأبي حاتم، لقوله تعالى: ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ﴾ [آل عمران: 118]. ﴿لِيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [الطلاق: 11] أي من سبق له ذلك في علم الله. ﴿مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾ [البقرة: 257] أي من الكفر. ﴿إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة: 257] الهدى والإيمان. قال ابن عباس: نزلت في مؤمني أهل الكتاب. وأضاف الإخراج إلى الرسول لأن الإيمان يحصل منه بطاعته.

● قال تعالى: ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ الْحَوْتَ وَمَا أَنْسَيْنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾

[الكهف: 63].

(1) الجامع لأحكام القرآن.

قال الطبري⁽¹⁾: ﴿أَنْ أذْكَرُكُمْ﴾ [الكهف: 63] فأُن في موضع نصب رداً على الحوت، لأن معنى الكلام: وما أنساني أن أذكر الحوت إلا الشيطان سبق الحوت إلى الفعل، وردّ عليه قوله ﴿أَنْ أذْكَرُكُمْ﴾ [الكهف: 63] وقد ذكر أن ذلك في مصحف عبد الله: «وما أنسانيه أن أذكره إلا الشيطان».

قال الألويسي⁽²⁾: ﴿أَنْ أذْكَرُكُمْ﴾ [الكهف: 63] بدل اشتمال من الهاء أي ما أنساني ذكره لك إلا الشيطان، قيل وفي تعليق الفعل بضمير الحوت أولاً وبذكرة له ثانياً على طريق الإبدال المنبئ عن تنحيته المبدل منه إشارة إلى أن متعلق النسيان ليس نفس الحوت بل ذكر أمره. وفي مصحف عبد الله وقراءته (أن أذكره). وفي إثارة أن والفعل على المصدر نوع مبالغة لا تخفى.

● قال تعالى: ﴿فَأذْكَرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَأَذْكَرُوهُ كَمَا هَدَانَكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ﴾ [البقرة: 198].

قال الفخر الرازي⁽³⁾: ﴿فَأذْكَرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾ تدل على أن الذكر عند المشعر الحرام يحصل عقيب الإفاضة من عرفات، وما ذاك إلا بالبيتوتة بالمزدلفة.

اختلفوا في الذكر المأمور به عند المشعر الحرام فقال بعضهم: المراد منه الجمع بين صلاتي المغرب والعشاء هناك والصلاة تسمى ذكراً قال الله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: 14] والدليل عليه أن قوله: ﴿فَأذْكَرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾ أمر وهو للوجوب، ولا ذكر هناك يجب إلا هذا، وأما الجمهور فقالوا: المراد منه ذكر الله بالتسبيح والتحميد والتهليل، وعن ابن عباس أنه نظر إلى الناس في هذه الليلة وقال: كان الناس إذا أدركوا هذه الليلة لا ينامون. أما قوله تعالى: ﴿وَأَذْكَرُوهُ كَمَا هَدَانَكُمْ﴾: والمعنى أن توقيف الذكر

(3) التفسير الكبير.

(1) جامع البيان.

(2) روح المعاني.

على المشعر الحرام فيه إقامة لوظائف الشريعة، فإذا عرفت هذا قربت إلى مراتب الحقيقة، وهو أن ينقطع قلبك عن المشعر الحرام، بل عن من سواه فيصير مستغرقاً في نور جلاله وصمديته، ويذكره لأنه هو الذي يستحق لهذا الذكر ولأن هذا الذكر يعطيك نسبة شريفة إليه بكونك في هذه الحالة تكون في مقام العروج ذاكراً له ومشتغلاً بالثناء عليه، وإنما بدأ بالأول وثنى بالثاني لأن العبد في هذه الحالة يكون في مقام العروج فيصعد من الأدنى إلى الأعلى وهذا مقام شريف لا يشرحه المقال ولا يعبر عنه الخيال، ومن أراد أن يصل إليه، فليكن من الواصلين إلى العين، دون السامعين للأثر.

● قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [البقرة: 200].

قال الزمخشري⁽¹⁾: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ﴾ فأكثرُوا ذكر الله وبالغوا فيه كما تفعلون في ذكر آبائكم ومفاخرهم وأيامهم.

وكانوا إذا قضوا مناسكهم وقفوا بين المسجد بمنى وبين الجبل، فيعبدون فضائل آبائهم ويذكرون محاسن أيامهم. ﴿أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ في موضع جر عطف على ما أضيف إليه الذكر في قوله: ﴿كَذِكْرِكُمْ﴾ كما تقول كذكر قريش آبائهم، أو قوم أشد منهم ذكراً. أو في موضع نصب عطف على آبائكم، بمعنى أو أشد ذكراً من آبائكم، على أن ذكراً من فعل المذكور ﴿فَمِنَ النَّكَاسِ مَن يَقُولُ﴾ معناه أكثرُوا ذكر الله ودعاه فإنَّ الناس من بين مقل لا يطلب بذكر الله إلا أعراض الدنيا، ومكثر يطلب خير الدارين، فكونوا من المكثرين.

قال العزّ بن عبد السلام⁽²⁾: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ بالتكبير أيام منى، أو بجميع ما سُئِن من الأدعية بمواطن الحج كلها. ﴿كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ﴾ كانوا إذا فرغوا من الحج

(2) التفسير العظيم.

(1) الكشاف.

جلسوا بمنى وافتخروا بمناقب آبائهم فنزلت، أو كذكر: الصغير لأبيه إذا قال: يا بابا، أو كان أحدهم يقول: اللهم إن أبي كان عظيم الجفنة عظيم القبة كثير المال فاعطني مثل ما أعطيته فلا يذكر غير أبيه.

● قال تعالى: ﴿لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان: 1].

قال الطبري⁽¹⁾: ومعنى قوله: ﴿لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾: لم يكن شيئاً له نباهة ولا رفعة، ولا شرف، إنما كان طيناً لازباً وحمأ مسنوناً.

وقال آخرون: لا حدّ للحين في هذا الموضع وقد يدخل هذا القول من أن الله أخبر أنه أتى على الإنسان حين من الدهر، وغير مفهوم في الكلام أن يقال: أتى على الإنسان حين قبل أن يوجد، وقبل أن يكون شيئاً، وإذا أريد ذلك قيل: أتى حين قبل أن يُخلق، ولم يقل أتى عليه. وأما الدهر في هذا الموضع، فلا حدّ له يوقف عليه.

قال الشوكاني⁽²⁾: ﴿لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ في قال الفراء، وقطرب، وثعلب: المعنى أنه كان جسداً مصوراً تراباً وطيناً لا يذكر، ولا يعرف ولا يدري ما اسمه، ولا ما يراد به، ثم نفخ فيه الروح فصار مذكوراً. وقال يحيى بن سلام: لم يكن شيئاً مذكوراً في الخلق، وإن كان عند الله شيئاً مذكوراً. وقيل: ليس المراد بالذكر هنا الإخبار، فإن إخبار الربّ عن الكائنات قديم، بل هو الذكر بمعنى الخطر والشرف، كما في قوله: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الرّخُوف: 44]. قال القشيري: ما كان مذكوراً للخلق وإن كان مذكوراً لله سبحانه. قال الفراء: كان شيئاً ولم يكن مذكوراً. فجعل النفي متوجهاً إلى القيد. وقيل المعنى: قد مضت أزمنة وما كان آدم شيئاً، ولا مخلوقاً ولا مذكوراً لأحد من الخليقة. وقال مقاتل: في الكلام تقديم وتأخير، وتقديره: هل أتى حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً؛ لأنه خلقه بعد خلق الحيوان كله، ولم يخلق بعده حيوان.

(2) فتح القدير.

(1) جامع البيان.

● قال تعالى: ﴿أَوَّلًا يَذْكُرُ الْإِنْسَانَ أَنَا خَلَقْتُهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾

[مریم: 67].

قال القرطبي⁽¹⁾: أي أولاً يذكر هذا القائل: ﴿أَنَا خَلَقْتُهُ مِن قَبْلُ﴾ أي من قبل سؤاله وقوله هذا القول ﴿وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾ فالإعادة مثل الابتداء فلم يناقض. وقرأ أهل الكوفة إلا عاصماً، وأهل مكة وأبو عمرو وأبو جعفر «أَوَّلًا يَذْكُرُ». وقرأ شيبة ونافع وعاصم ﴿أَوَّلًا يَذْكُرُ﴾ بالتخفيف. والاختيار التشديد وأصله يتذكر؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَذْكُرُ أَوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾ [الرعد: 19] وأخواتها. وفي حرف أبي «أَوَّلًا يَتَذَكَّرُ» وهذه القراءة على التفسير لأنها مخالفة لخط المصحف. ومعنى «يَتَذَكَّرُ» يتفكر، ومعنى «يَذْكُرُ» يتنبه ويعلم؛ قاله النحاس.

قال الشعراوي⁽²⁾: ﴿أَوَّلًا يَذْكُرُ الْإِنْسَانَ﴾ [مریم: 67] أي: لو تذكر هذه الحقيقة ما كذب بالبعث، وقد عولجت هذه المسألة أيضاً في قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [يس: 78]. فلو تذكر خلقه الأول ما ضرب لنا هذا المثل. ثم يأتي الجواب منطقياً: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: 79].

● قال تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: 45].

قال ابن عجيبة⁽³⁾: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾، أي: ولذكر الله، على الدوام، أكبر، في النهي من الفحشاء والمنكر، من الصلاة؛ لأنها في بعض الأوقات. فالجزء الذي في الصلاة ينهى عن الفحشاء الظاهرة، والباقي ينهى عن الفحشاء الباطنة، وهو أعظم، ولأن الانتهاء لا يكون إلا من ذاك الله، مراقب له، وثواب ذلك الذكر أن يذكر الله تعالى؛ لقوله: ﴿فَأَذْكُرِي أَذْكَرَكُمُ﴾ [البقرة: 152]. ومن ذكره

(1) الجامع لأحكام القرآن.

(2) تفسير الشعراوي.

(3) البحر المديد.

حَفِظْتُهُ وِرْعَاهُ. أو: لذكر الله أكبر؛ أجراً، من الصلاة، ومن سائر الطاعات، كما في الحديث: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم متضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: وما ذلك يا رسول الله؟ قال ذكروا الله» وسئل أي الأعمال أفضل؟ قال: «أن تموتَ ولسانك رطبٌ من ذكر الله».

قيل: المراد بذكر الله هو الصلاة نفسها، أي: وللصلوات أكبر من سائر الطاعات، وإنما عبّر عنها بذكر الله؛ ليشعر بالتعليل، كأنه قال: والصلاة أكبر؛ لأنها ذكر الله. وعن ابن عباس: ولذكر الله لكم إياكم، برحمته، أكبر من ذكركم إياه بطاعته. وقال ابن عطاء ذكر الله لكم أكبر من ذكركم له؛ لأن ذكره بلا علة، وذكركم مشوب بالعلل والأمانى، ولأن ذكره لا يفنى، وذكركم يفنى. أو: لذكر الله أكبر من أن تفهمه أفهامكم وعقولكم. أو: ذكر الله أكبر من أن تبقى معه معصية.

● قال تعالى: ﴿وَذَكِّرْ لِلْأُولَى الْأَلْبَبِ﴾ [ص: 43].

قال أبو السعود⁽¹⁾: ولتذكيرهم بذلك ليصبروا على الشدائد كما صبر ويلجأوا إلى الله عز وجل فيما يحيق بهم كما لجأ ليفعل بهم ما فعل به من حسن العاقبة.

قال الخازن⁽²⁾: ﴿وَذَكِّرْ لِلْأُولَى الْأَلْبَبِ﴾ يعني سلطنا البلاء عليه فصبر، ثم أزلناه عنه وكشفنا ضره فشكر فهو موعظة لذوي العقول والبصائر.

قال العزّ بن عبد السلام⁽³⁾: ﴿وَذَكِّرْ﴾ عبرة لذوي العقول.

● قال تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: 55].

قال الفخر الرازي⁽⁴⁾: يعني ليس التولي مطلقاً، بل تول وأقبل وأعرض

(1) إرشاد العقل السليم.

(2) لباب التأويل.

(3) التفسير العظيم.

(4) التفسير الكبير.

وادع، فلا التولي يضرك إذا كان عنهم، ولا التذكير ينفع إلا إذا كان مع المؤمنين، وفيه معنى آخر أطف منه، وهو أن الهادي إذا كانت هدايته نافعة يكون ثوابه أكثر، فلما قال تعالى: ﴿فَنُؤَلِّمُ﴾ [الذاريات: 54] كان يقع لمتوهم أن يقول، فحينئذ لا يكون للنبي ﷺ ثواب عظيم، فقل بلى وذلك لأن في المؤمنين كثرة، فإذا ذكرتهم زاد هداهم، وزيادة الهدى من قوله كزيادة القوم، فإن قوماً كثيراً إذا صلى كل واحد ركعة أو ركعتين، وقوماً قليلاً إذا صلى كل واحد ألف ركعة تكون العبادة في الكثرة كالعبادة عن زيادة العدد، فالهادي له على عبادة كل مهتد أجر، ولا ينقص أجر المهتدي، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا﴾ [القلم: 3] أي وإن توليت بسبب انتفاع المؤمنين بل وحالة إعراضك عن المعاندين، وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ الذِّكْرَى نَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يحتمل وجوهاً: أحدها: أن يراد قوة يقينهم كما قال تعالى: ﴿لِيَزِدَّوَأُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح: 4] وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَرَزَدَتْهُمْ إِيْمَانًا﴾ [التوبة: 124] وقال تعالى: ﴿زَادَهُمْ هُدًى وَءَانَّهُمْ نَفَوْنَهُمْ﴾ [محمد: 17] ثانيها: تنفع المؤمنين الذين بعدك فكأنك إذا أكثرت التذكير بالتكرير نقل عنك ذلك بالتواتر فينتفع به من يجيء بعدك من المؤمنين ثالثها: هو أن الذكرى إن أفاد إيمان كافر فقد نفع مؤمناً لأنه صار مؤمناً، وإن لم يفد يوجد حسنة ويزاد في حسنة المؤمنين فينتفعوا، وهذا هو الذي قيل في قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا﴾ [الزخرف: 72].

قال البغوي⁽¹⁾: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى نَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾، فطابت أنفسهم. قال مقاتل: معناه عِظَ بالقرآن كفار مكة، فإن الذكرى تنفع من [سبق] في علم الله أن يؤمن منهم. وقال الكلبي: عِظَ بالقرآن من آمن من قومك فإن الذكرى تنفعهم.

● قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهَا نَذْكِرَةٌ﴾ [عبس: 11].

قال الألوسي⁽²⁾: ﴿كَلَّا﴾ مبالغة في إرشاده ﷺ إلى عدم معاودة ما عوتب

(2) روح المعاني.

(1) معالم التنزيل.

عليه ﷺ وقد نزل ذلك كما في خبر رواه ابن جرير وابن مردويه عن ابن عباس بعد أن قضى عليه الصلاة والسلام نجواه وذهب إلى أهله. وجوز كونه إرشاداً بليغاً إلى ترك المعاتب عليه عليه الصلاة والسلام بناء على أن النزول في أثناء ذلك وقبل انقضائه. وفي بعض الآثار أنه ﷺ بَعُدَ ما عبس في وجه فقير ولا تصدى لغني وتأدب الناس بذلك أدباً حسناً فقد روي عن سفيان الثوري أن الفقراء كانوا في مجلسه أمراء. والضمير في قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا﴾ للقرآن العظيم والتأنيث لتأنيث الخبر أعني قوله سبحانه: ﴿تَذَكَّرُ﴾ أي موعظة يجب أن يتعظ بها ويعمل بموجبها وكذا الضمير في قوله ﷺ: ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ﴾ [المدثر: 55].

قال ابن عجيبة⁽¹⁾: ﴿إِنَّهَا تَذَكَّرُ﴾؛ موعظة يجب أن يُتَعَطَّ بها، ويُعْمَل بموجبها، وهو تعليل للردع عما ذكر بيان رتبة القرآن العظيم الذي استغنى عنه مَنْ تصدَّى له، ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ﴾ أي: فَمَنْ شَاءَ اللَّهُ أن يذكره ذكره. أي: ألهمه الله الاتعاض به، أو: مَنْ شَاءَ حفظه واتعظ به، وَمَنْ رَغِبَ عنها، كما فعله المستغني، فلا حاجة إلى الاهتمام بأمره.

وذكر الضمير؛ لأنَّ التذكرة في معنى الذكر والوعظ. وقال أبو السعود: الضميران للقرآن، وتأنيث الأول لتأنيث خبره، وقيل: الأول للسورة، أو للآيات السابقة، والثاني للتذكرة؛ لأنها في معنى الذكر والوعظ، وليس بذلك؛ فإنَّ السورة والآيات وإن كانت متصفة بما سيأتي من الصفات الشريفة، لكنها ليست مما ألقى على المستغنى عنه، واستحق بسبب ذلك ما سيأتي من الدعاء عليه، والتعجب من كفره المفرط، لنزولها بعد الحادثة، وأما مَنْ جَوَّز رجوعهما إلى العتاب المذكور، فقد أخطأ وأساء الأدب، وخبط خبطاً يقضي منه العجب، فتأمل. هـ.

وحاصلُ المعنى: أن هذه الآيات - أي آيات القرآن - تذكرة، فَمَنْ شَاءَ فليتعظ بها، حاصلة.

(1) البحر المديد.

● قال تعالى: ﴿وَذَكَرَهُمْ بِآيَاتِنَا اللَّهُ﴾ [إبراهيم: 5].

قال الطبري⁽¹⁾: ﴿وَذَكَرَهُمْ بِآيَاتِنَا اللَّهُ﴾ يقول عز وجل: وعظّمهم بما سلف من عناها، لأنها أيام كانت معلومة عندهم، أنعم الله عليهم فيها نعماً جليلاً، أنقذهم فيها من آل فرعون بعد ما كانوا فيما كانوا من العذاب المهين، وغرق عدوّهم فرعون وقومه، وأورثهم أرضهم وديارهم وأموالهم. وكان بعض أهل العربية يقول: معناه: خوّفهم بما نزل بعاد وثمرود وأشباههم من العذاب، وبالغفو عن الآخرين. قال: وهو في المعنى كقولك: خذهم بالشدة واللين. وقال آخرون منهم: قد وجدنا لتسمية النعم بالأيام شاهداً في كلامهم.

وقال: فهذا شاهد لمن قال: ﴿وَذَكَرَهُمْ بِآيَاتِنَا اللَّهُ﴾ بنعم الله. ثم قال: وقد يكون تسميتها غراً، لعلّوهم على الملك وامتناعهم منه، فأيامهم غرّ لهم وطوال على أعدائهم. قال أبو جعفر: وليس للذي قال هذا القول، من أن في هذا البيت دليلاً على أن الأيام معناها النعم وجه، لأن عمرو بن كلثوم إنما وصف ما وصف من الأيام بأنها غرّ، لعزّ عشيرته فيها، وامتناعهم على الملك من الإذعان له بالطاعة، وذلك كقول الناس: ما كان لفلان قطّ يوم أبيض، يعنون بذلك: أنه لم يكن له يوم مذكور بخير. حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، عن الثوري، عن عبيد الله أو غيره، عن مجاهد: ﴿وَذَكَرَهُمْ بِآيَاتِنَا اللَّهُ﴾ قال: بنعم الله.

قال ابن عطية⁽²⁾: ﴿وَذَكَرَهُمْ﴾ الآية. أمر الله عز وجل موسى أن يعظ قومه بالتهديد بنقم الله التي أحلها بالأمم الكافرة قبلهم وبالتعديد لنعمه عليهم في المواطن المتقدمة، وعلى غيرهم من أهل طاعته ليكون جريهم على منهاج الذين أنعم عليهم وهربهم من طريق الذين حلت بهم النقمات، وعبر عن النعم والنقم بـ

(2) المحرر الوجيز.

(1) جامع البيان.

«الأيام» إذ هي في أيام، وفي هذه العبارة تعظيم هذه الكوائن المذكر بها، ومن هذا المعنى قولهم: يوم عصيب، ويوم عبوس، ويوم بسام، وإنما الحقيقة وصف ما وقع فيه من شدة أو سرور. وحكى الطبري عن فرقة أنها قالت: (أيام الله): نعمه: وعن فرقة أنها قالت: (أيام الله): نعمة.

● قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: 152].

قال ابن الجوزي⁽¹⁾: ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ قال ابن عباس، وابن جبير: اذكروني بطاعتي أذكركم بمغفرتي. وقال إبراهيم بن السري: كما أنعمت عليكم بالرسالة، فاذكروني بتوحيدي وتصديق نبيي. قال: فان قيل: كيف يكون جواب: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا﴾ [البقرة: 151]: ﴿فَاذْكُرُونِي﴾؟ فان قوله: ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ أمر وقوله: ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: 152] جزاؤه؛ فالجواب أن المعنى: إن تذكروني أذكركم.

قال ابن العربي⁽²⁾: ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ بالإجابة والطاعة والإرادة ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بالمزيد والتوالي للسلوك وإفاضة نور اليقين.

● قال تعالى: ﴿يَبْنَئِ إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ﴾ [البقرة: 40].

قال ابن عجيبة⁽³⁾: يقول الحقّ جلّ جلاله: ﴿يَبْنَئِ إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ﴾ التي خصصتكم بها، بأن فضلتكم على أهل زمانكم، وجعلت فيكم أنبياء ورسلاً، كلما انقرض نبيّ بعثت نبياً آخر، وجعلتكم ملوكاً وحكاماً على الناس، قبل أن تفسدوا في الأرض بقتل الأنبياء، فتكفروا بهذه النعمة، فإن الإنسان حسود غيورٌ بالطبع، فإذا نظر إلى ما أنعم الله على غيره حملة الحسد والغيرة على السخط والكفران، وإذا نظر إلى ما أنعم الله به عليه حملة حب النعمة على الرضا والشكر، فاذكروا ما أنعمت به عليكم، وقيدوه بالشكر.

(3) البحر المديد.

(1) زاد المسير.

(2) تفسير القرآن.

قال الألويسي⁽¹⁾: ﴿أَذْكُرُوا﴾ أمر الذكر - بكسر الذال وضمها - بمعنى واحد، ويكونان باللسان والجنان، وقال الكسائي: هو بالكسر - للسان - وبالضم - للقلب - وضد الأول الصمت، وضد الثاني النسيان. وعلى العموم: فإما أن يكون مشتركاً بينهما، أو موضوعاً لمعنى عام شامل لهما والظاهر هو الأول، والمقصود من الأمر بذلك - الشكر على النعمة والقيامه بحقوقها - لا مجرد الأخطار بالجنان، أو التفوه باللسان، وإضافة النعمة إلى ضميره تعالى لتشريفها، وإيجاب تخصيص شكرها به سبحانه، وقد قال بعض المحققين: إنها تفيد الاستغراق - إذ لا عهد - ولمناسبتة بمقام الدعوة إلى الإيمان، فهي شاملة للنعم العامة والخاصة بالمخاطبين، وفائدة التقييد بكونها عليهم أنها - من هذه الحيثية أدعى للشكر - فإن الإنسان حسود غيور، وقال قتادة: أريد بها ما أنعم به على آبائهم - مما قصه سبحانه في كتابه - وعليهم من فنون النعمة التي أجلها - إدراك زمن أشرف الأنبياء - وجعلهم من جملة أمة الدعوة له، ويحتاج تصحيح الخطاب حينئذ إلى اعتبار التغليب، أو جعل نعم الآباء نعمهم، فلا جمع بين الحقيقة والمجاز -.

● قال تعالى: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَى﴾ [آل عمران: 36].

قال الطبري⁽²⁾: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَى﴾ لأن الذكر أقوى على الخدمة وأقوم بها، وأن الأنثى لا تصلح في بعض الأحوال لدخول القدس والقيام بخدمة الكنيسة لما يعترها من الحيض والنفاس.

عن قتادة: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَى﴾ كانت المرأة لا تستطيع أن يصنع بها ذلك، يعني أن تحرر للكنيسة فتجعل فيها تقوم عليها وتكنسها فلا تبرحها مما يصيبها من الحيض والأذى، فعند ذلك قالت: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَى﴾.

(2) جامع البيان.

(1) روح المعاني.

قال القرطبي⁽¹⁾: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ﴾ [آل عمران: 36] استدل به بعض الشافعية على أن المطاوعة في نهار رمضان لزوجها على الوطاء لا تساويه في وجوب الكفارة عليها، ابن العربي، وهذه منه غفلة، فإن هذا خبر عن شرع من قبلنا وهم لا يقولون به، وهذه الصالحة إنما قصدت بكلامها ما تشهد له به بيّنة حالها ومقطع كلامها، فإنها نذرت خدمة المسجد في ولدها، فلما رأته أنثى لا تصلح وأنها عورة اعتذرت إلى ربّها من وجودها لها على خلاف ما قصدته فيها. ولم ينصرف (مريم) لأنه مؤنث معرفة، وهو أيضاً أعجمي؛ قاله النحاس. والله تعالى أعلم.

● قال تعالى: ﴿قُلْ الذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ﴾ [الأنعام: 144].

قال البيضاوي⁽²⁾: والمعنى إنكار أن الله حرم شيئاً من الأجناس الأربعة ذكراً كان أو أنثى أو ما تحمل إنانها رداً عليهم، فإنهم كانوا يحرمون ذكور الأنعام تارة وإنانها تارة أخرى وأولادها كيف كانت تارة زاعمين أن الله حرمها. ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ﴾ [البقرة: 133] بل أكنتم شاهدين حاضرين.

قال أبو السعود⁽³⁾: ﴿الذَّكَرَيْنِ﴾ منهما ﴿حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمْ﴾ اشتملت عليه أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ من ذينك النوعين، والمعنى إنكار أن الله سبحانه حرم عليهم شيئاً من الأنواع الأربعة وإظهار كذبهم في ذلك وتفصيل ما ذكر من الذكور والإناث وما في بطونها للمبالغة في الرد عليهم بإيراد الإنكار على كل مادة من مواد افترائهم، فإنهم كانوا يحرمون ذكور الأنعام تارة وإنانها تارة وأولادها كيفما كانت تارة أخرى مسندين ذلك كله إلى الله سبحانه، وإنما عقب تفصيل كل واحد من نوعي الصغار ونوعي الكبار بما ذكر من الأمر بالاستفهام والإنكار مع حصول التبكيت بإيراد الأمر عقب تفصيل الأنواع الأربعة بأن يقال: قل الذكور حرم أم

(1) الجامع لأحكام القرآن.

(2) أنوار التنزيل.

(3) إرشاد العقل السليم.

الإناث أم ما اشتملت عليه أرحامُ الإناث لما في التثنية والتكرير من المبالغة في التبكيث والإلزام.

● قال تعالى: ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثًا﴾ [الشورى: 50].

قال الطبري⁽¹⁾: يقول تعالى ذكره: لله سلطان السموات السبع والأرضين، يفعل في سلطانه ما يشاء، ويخلق ما يحب خلقه، يهب لمن يشاء من خلقه من الولد الإناث دون الذكور، بأن يجعل كل ما حملت زوجته من حمل منه أنثى ﴿وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾ [الشورى: 49] يقول: ويهب لمن يشاء منهم الذكور، بأن يجعل كل حمل حملته امرأته ذكراً لا أنثى فيهم. قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثًا﴾ قال: يخلط بينهم يقول: التزويج: أن تلد المرأة غلاماً، ثم تلد جارية، ثم تلد غلاماً، ثم تلد جارية.

عن السدي، في قول الله ﷻ: ﴿يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾ [الشورى: 49] ليست معهم إناث ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثًا﴾ قال: يهب لهم إناثاً وذكراً، ويجعل من يشاء عقيماً لا يُولد له.



(1) جامع البيان.

ذكو

(ذكو - ذبح - خنق - حس - وأد - صرع - صلب - عقر)

- **الذَّكَاةُ:** الموت ذبحاً بالسكين من الحلق ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ [المائدة: 3].
- **الذَّبْحُ:** شق حلق الحيوان ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ [البقرة: 67].
- **الْخَنْقُ:** الموت بالمخنق، وهو حبل يلق على الرقبة أو باليدين حتى الموت ﴿وَالْمُنْخِيقَةُ﴾ [المائدة: 3].
- **الْحَسُّ:** الموت بإصابة الحواس كناية عن قطع الرأس لأنه مجمع الحواس ﴿إِذْ تَحْسُونَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ﴾ [آل عمران: 152].
- **الْوَأْدُ:** الموت بالدفن حياً ﴿وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سِيلَتْ﴾ [التكوير: 8].
- **الصَّرْعُ:** الموت بالطرح أرضاً بقوة ﴿فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى﴾ [الحاقة: 7].
- **الصَّلْبُ:** الموت بتعليق الإنسان بحبل من رقبته ﴿وَمَا قَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ﴾ [النساء: 157].
- **العُقْرُ:** الموت بقطع الأرجل ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ﴾ [الأعراف: 77].



النصوص اللغوية:

قال ابن فارس⁽¹⁾: الذال والكاف والحرف المعتل أصل واحد مطرد منقاس

(1) معجم مقاييس اللغة.

يدلُّ على حِدَّةٍ [في] الشَّيءِ ونفاذِهِ. يقال للشَّمسِ: «ذُكَاءٌ» لأنَّها تذكو كما تذكو النَّارُ. والصُّبْحُ: ابنُ ذُكَاءٍ، لأنَّه من ضوئِها. ومن الباب: ذَكَيْتُ الذَّيْبَةَ أَذْكِيهَا، وَذَكَيْتُ النَّارَ أَذْكِيهَا، وَذَكَوْتَهَا أَذْكُوهَا. والفَرَسُ المُذَكِّي: الذي يَأْتِي عليه بعد القُرُوحِ سنة؛ يقال ذَكَّى يُذَكِّي. والعرب تقول: «جَرِيُّ المَذَكِّيَّاتِ غِلابٌ»، وَغِلاءٌ أَيْضاً. وَالدُّكَاءُ: ذكاء القلب.

وَالدُّكَاءُ: سُرْعَةُ الفِطْنَةِ، والفعل منه ذَكَيْ يَذَكِّي. ويقال في الحرب والنَّارِ: أَذَكَيْتُ أَيْضاً. والشَّيءُ الذي تُذَكِّي به دُكُوءٌ.

قال الجوهري⁽¹⁾: الدُّكَاءُ ممدودٌ: حِدَّةُ القلبِ. وقد ذَكَيْ الرجلُ بالكسر يَذَكِّي ذُكَاءً، فهو ذَكِيٌّ. والدُّكَاءُ أَيْضاً: السِّنُّ. وقال الحجاج: فُرُزْتُ عن ذُكَاءٍ. وبلغت الدابةُ الدُّكَاءَ، أي: السِّنَّ. وَذُكَاءٌ بالضم غير مصروف: اسمٌ للشَّمسِ معرفة لا تدخلها الألف واللام. تقول: هذه ذُكَاءٌ طالعةٌ. ويقال للصُّبْحِ: ابنُ ذُكَاءٍ، لأنَّها من ضوئِها.

قال الراغب⁽²⁾: ذَكَتِ النَّارُ تَذْكُو: اتقَدت وأضاءت، وَذَكَيْتُهَا تَذَكِيَةٌ. وَذُكَاءٌ اسمٌ للشَّمسِ، وابنُ ذُكَاءٍ للصُّبْحِ، وذلك أَنه تارة يتصور الصُّبْحُ ابناً للشَّمسِ، وتارة حاجباً لها فقيل: حاجبُ الشَّمسِ، وعبر عن سرعة الإدراك وحدة الفهم بالذُّكَاءِ، كقولهم: فلان هو شعله نار. وَذَكَيْتُ الشاةَ: ذبحتها. وَحَقِيقَةُ التَّذَكِيَّةِ: إِخْرَاجُ الحرارة الغريزية، لكن خص في الشرع بإبطال الحياة على وجه دون وجه، ويدل على هذا الاشتقاق قولهم في الميت: خامد وهامد، وفي النار الهامدة: ميتة.



(1) الصحاح في اللغة.

(2) مفردات الراغب.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ [المائدة: 3].

قال الزمخشري⁽¹⁾: ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ إلا ما أدركتم ذكاته وهو يضطرب اضطراب المذبوح وتشخب أوداجه.

قال الماوردي⁽²⁾: وفي مأكولة السبع التي تحل بالذكاة قولان: أحدهما: أن تكون لها عين تطرف أو ذنب يتحرك.

والثاني: أن تكون فيها حركة قوية لا كحركة المذبوح، وهو قول الشافعي، ومالك.

قال أبو السعود⁽³⁾: ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ إلا ما أدركتم ذكاته وفيه بقية حياة يضطرب اضطراب المذبوح. وقيل: الاستثناء مخصوص بما أكل السبع. والذكاة في الشرع بقطع الحلقوم والمريء بمحدد.

قال ابن عجيبة⁽⁴⁾: ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ أي: إلا ما أدركتم ذكاته وفيه حياة مستقرة من ذلك. قاله البيضاوي. وقال ابن جزي: قيل: إنه استثناء منقطع، وذلك إذا أُريد بالمنخقة وأخواتها: ما مات من ذلك بالخنق وما بعده، أي: حُرِّمَتْ عليكم هذه الأشياء، لكن ما ذكَّيتم من غيرها فهو حلال، وهذا ضعيف، وقيل: إنه استثناء متصل، وذلك إن أُريد بالمنخقة وأخواتها ما أصابته تلك الأسباب وأدركت حياته. والمعنى: إلا ما أدركتم حياته من هذه الأشياء، فهو حلال، واختلف أهل هذا القول؛ هل يُشترط أن يكون لم تنفذ مقاتله، أم لا؟ فالأئمة كلهم على عدم الاشتراط إلا مالكَاً ﷻ، وأما مَنْ لم تُشْرِفِ على الموت من هذه الأسباب، فذكاتها جائزة باتفاق.

(1) الكشاف.

(3) إرشاد العقل السليم.

(2) النكت والعيون.

(4) البحر المديد.

ذَلَّ

(ذَلَّ - دَخَرَ - ذَمَّ - صَغَرَ)

- **الذُّلُّ:** ما كان عن قهر وغلبة ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ [آل عمران: 123].
- **الدَّخْرُ:** ما كان عن جرم شديد ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: 60].
- **الذَّمُّ:** ما كان عن فعل غير محمود ﴿وَلَا أَنْ تَذَرِكُمْ نِعْمَةً مِنْ رَبِّيَ لِنِيذٍ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ [القلم: 49].
- **الصَّغَارُ:** المنزلة الدنيا ﴿حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: 29].


النصوص اللغوية

قال ابن فارس⁽¹⁾: الذال واللام في التضعيف والمطابقة أصلٌ واحد يدُ على الخُضوع، والاستكانة، واللين. فالذُّلُّ: ضدُّ العِزِّ. وهذه مقابلةٌ في التضادِّ صحيحة، تدلُّ على الحكمة التي خُصَّتْ بها العرب دون سائر الأمم؛ لأنَّ العِزَّ من العِزَّازِ، وهي الأرض الصُّلبة الشديدة. والذُّلُّ خلاف الصُّعوبة. وحُكي عن بعضهم أنَّه قال: «بعضُ الذُّلِّ - بكسر الذال - أبْقَى للأهلِ والمال». يقال من

(1) معجم مقاييس اللغة.

هذا: دَابَّةٌ ذُلُوءٌ، بَيْنَ الذُّلِّ. ومن الأوَّل: رجلٌ ذَلِيلٌ بَيْنَ الذُّلِّ وَالْمَذَلَّةِ وَالذَّلَّةِ. ويقال لما وُطِئَ من الطَّرِيقِ ذُلٌّ. وَذُلُّ القِطْفِ تَذْلِيلًا: إِذَا لَانَ وَتَذَلَّى. ويقال: أَجْرُ الأُمُورِ عَلَى أَذْلَالِهَا، أَي: اسْتِقَامَتِهَا، أَي عَلَى الأَمْرِ الذِّي تَطْوَعُ فِيهِ وَتَنْقَادُ. ومن الباب: ذَلَاذِلُ القَمِيصِ، وهو ما يَلِي الأَرْضَ من أَسَافِلِهِ، الوَاحِدَةُ ذِلْدَلٌ. ويقولون: أَذْلُوئِي الرَّجُلَ أَذْلِيَاءً: إِذَا أُسْرِعَ.

قال الخليل⁽¹⁾: الذُّلُّ مصدرُ الذُّلُولِ أَي: المُنْقَادِ مِنَ الدَّوَابِّ، ذَلَّ يَذَلُّ، وَدَابَّةٌ ذُلُوءٌ: بَيْنَةَ الذُّلِّ، وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَضْيَاءً، وَذَلَّتْهُ تَذْلِيلًا. ويقال للكَرْمِ إِذَا ذُلِّيَتْ عَنَاقِيدُهُ: قَدْ ذُلِّلَ تَذْلِيلًا. والذُّلُّ: مصدرُ الذَّلِيلِ، ذَلَّ يَذَلُّ وَكَذَلِكَ الذَّلَّةُ.

والذُّلْدَلُ: أَسْفَلُ القَمِيصِ وَالقَبَاءِ وَنحوه ذَلِك، ويقال: شَمَّرُ ذَلَاذِلَكَ.

قال الجوهري⁽²⁾: الذُّلُّ: ضِدُّ العِزِّ. وَرَجُلٌ ذَلِيلٌ بَيْنَ الذُّلِّ وَالذَّلَّةِ وَالْمَذَلَّةِ، مِنْ قَوْمِ أَذْلَاءَ وَأَذَلَّةٍ. وَالذُّلُّ بِالكِسرِ: اللِّينُ، وَهُوَ ضِدُّ الصَّعُوبَةِ يَقَالُ: دَابَّةٌ ذُلُوءٌ بَيْنَةَ الذُّلِّ، مِنْ دَوَابِّ ذُلِّلَ. وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: بَعْضُ الذُّلِّ أَبْقَى لِلأَهْلِ وَالْمَالِ. وَعَيْرُ المَذَلَّةِ: الوَيْدُ، لِأَنَّهُ يُشْحَجُ رَأْسُهُ. وَأَذَلَّهُ وَذَلَّلَهُ وَاسْتَذَلَّهُ، كُلُّهُ بِمَعْنَى.

وقوله تعالى: ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ [الإنسان: 14]، أَي: سُويَّتْ عَنَاقِيدُهَا وَذُلِّيَتْ. وَتَذَلَّلَ لَهُ، أَي: خَضَعَ. وَأَذَلَّ الرَّجُلُ، أَي: صَارَ أَصْحَابُهُ أَذْلَاءً. وَقَوْلُهُمْ: جَاءَ مِنْ أَذْلَالِهِ، أَي: عَلَى وَجْهِهِ. يَقَالُ: دَعَا عَلَى أَذْلَالِهِ، أَي عَلَى حاله. وَأُمُورُ اللَّهِ جَارِيَةٌ عَلَى أَذْلَالِهَا، أَي: عَلَى مَجَارِيهَا وَطُرُقِهَا.

المعنى المشترك لكلمة (ذ ل ل)

وقد وردت كلمة (ذلل) في القرآن الكريم على سبعة أوجه:

الوجه الأول: أذلة يعني: قليلين ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ [آل عمران]:

[123].

(2) الصحاح في اللغة.

(1) العين.

- الوجه الثاني : الذلة يعني : التواضع ﴿أَذَلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: 54].
- الوجه الثالث : الذلة تعني : الجزية ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ﴾ [البقرة: 61].
- الوجه الرابع : التذليل يعني : التسخير ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذَلِيلًا﴾ [الإنسان: 14].
- الوجه الخامس : أذلة يعني : مغلولة أعناقهم ﴿وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً﴾ [النمل: 37].
- الوجه السادس : الذلول يعني : المطواع السليم ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذُلُولٌ﴾ [البقرة: 71].
- الوجه السابع : الذلة يعني : الكآبة أي : سواد الوجه ﴿وَتَرَهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ [يونس: 27].

في القرآن الكريم:

- قال تعالى : ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ [الإسراء: 24].
- قال ابن عجيبة⁽¹⁾ : ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ﴾ ؛ أَلِنَ لَهُمَا جَانِبَكَ الذَّلِيلَ، وتذلل لهما وتواضع . استعار للذل جناحاً، وأضافه إليه؛ مبالغة؛ فإنَّ الطير إذا تذل أرخى جناحه إلى الأرض، كذلك الولد، ينبغي أن يخضع لأبويه، ويلين جانبه، ويتذلل لهما غاية جهده.
- قال الشعراوي⁽²⁾ : ﴿جَنَاحَ الذُّلِّ﴾ : الطائر معروف أنه يرفع جناحه ويرفرف به، إن أراد أن يطير، ويخفضه إن أراد أن يحنو على صغاره، ويحتضنهم ويغذيهم . يدعونا الحق سبحانه وتعالى أن نقتدي به، وأن نعامل الوالدين هذه المعاملة، فنحنو عليهم، ونخفض لهم الجناح، كنايةً عن الطاعة والحنان والتواضع لهما، وإياك أن تكون كالطائر الذي يرفع جناحيه ليطير بهما مُتَعَالِيًا على

(2) تفسير الشعراوي.

(1) البحر المديد.

غيره . وكثيراً ما يُعطينا الشرع الحكيم أمثلة ونماذج للرفقة والرحمة في الطيور، ويجعلها قدوة لنا بني البشر . والذي يرى الطائر يحتضن صغاره تحت جناحه، ويزقهم الغذاء يرى عجباً، فالصغار لا يقدرّون على مضغ الطعام وتكسيهه، وليس لديهم اللعاب الذي يساعدهم على أن يزدردوا الطعام فيقوم الوالدان بهذه المهمة، ثم يناولانهم غذاءهم جاهزاً يسهل بلعه، وإن تيسر لك رؤية هذا المنظر فسوف ترى الطائر وفراخه يتراقصون فرحة وسعادة. إذن: قوله تعالى: ﴿جَنَاحَ الذَّلِّ...﴾. كناية عن الخضوع والتواضع، والذَّلُّ قد يأتي بمعنى القهر والغلبة، وقد يأتي بمعنى العطف والرحمة، يقول تعالى: ﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ...﴾ [المائدة: 54]. فلو كانت الذلّة هنا بمعنى القهر لقال: أذلة للمؤمنين، ولكن المعنى: عطوفين على المؤمنين .

● قال تعالى: ﴿خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ رَهْفُهُمْ ذَلَّةٌ﴾ [المعارج: 44].

قال القرطبي⁽¹⁾: ﴿رَهْفُهُمْ ذَلَّةٌ﴾ أي يغشاهم الهوان. قال قتادة: هو سواد الوجوه. والرهقُ: الغشيان، ومنه غلام مراهق إذا غشي الاحتلام. رهقه (بالكسر) يرهقه رهقاً أي: غشيه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذَلَّةٌ﴾ [يونس: 26].

قال أبو السعود⁽²⁾: ﴿رَهْفُهُمْ ذَلَّةٌ﴾ تغشاهم ذلة شديدة.

قال ابن كثير⁽³⁾: ﴿رَهْفُهُمْ ذَلَّةٌ﴾ أي: في مقابلة ما استكبروا في الدنيا عن الطاعة .

● قال تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾ [البقرة: 61].

قال الفخر الرازي⁽⁴⁾: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ﴾ فالمعنى جعلت الذلة محيطة

(3) تفسير ابن كثير .

(4) التفسير الكبير .

(1) الجامع لأحكام القرآن .

(2) إرشاد العقل السليم .

بهم حتى مشتملة عليهم فهم فيها كمن يكون في القبة المضروبة أو ألصقت بهم حتى لزمتهم ضربة لازم كما يضرب الطين على الحائط فيلزمه والأقرب في الذلة أن يكون المراد منها ما يجري مجرى الاستحقاق كقوله تعالى فيمن يحارب ويفسد: ﴿ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا﴾ [المائدة: 33] فأما من يقول المراد به الجزية خاصة على ما قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: 29] فقوله بعيد لأن الجزية ما كانت مضروبة عليهم من أول الأمر.

قال الزمخشري⁽¹⁾: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ﴾ جعلت الذلة محيطة بهم مشتملة عليهم، فهم فيها كما يكون في القبة من ضربت عليه. أو ألصقت بهم حتى لزمتهم ضربة لازم، كما يضرب الطين على الحائط فيلزمه، فاليهود صاغرون أذلاء أهل مسكنة ومدقعة، إما على الحقيقة وإما لتصاغرهم وتفاقرهم، خيفة أن تضاعف عليهم الجزية.

قال العزّ بن عبد السلام⁽²⁾: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ﴾: أي: ألزموها، قال الفراء: الذلة والذل: بمعنى واحد وقال الحسن: هي الجزية.

● قال تعالى: ﴿إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ﴾ [البقرة: 71].

قال أبو السعود⁽³⁾: أي لم تُذَلَّلْ للكِرَابِ وسُقِيَ الحَرْتُ، و(لا ذلول) صفةٌ لبقرةٌ بمعنى غير ذلول و(لا) الثانية لتأكيد الأولى والفعالان صفتا ذلول كأنه قيل: لا ذلولٌ مثيرةٌ وساقية، وقرء لا ذلول بالفتح أي حيث هي كقولك: مررت برجل لا بخيلٍ ولا جبان.

قال ابن عجيبة⁽⁴⁾: يقول: إنها مسلمة من العمل ليست ذلولاً، أي: مذلة بالعمل.

قال الزمخشري⁽⁵⁾: ﴿لَا ذَلُولٌ﴾ صفة لبقرة بمعنى بقرة غير ذلول، يعني لم

(1) الكشاف.

(2) البحر المديد.

(3) التفسير العظيم.

(4) الكشاف.

(5) إرشاد العقل السليم.

تذلل للكرباب وإثارة الأرض، ولا هي من النواضح التي يسنى عليها لسقي الحروث، و(لا) الأولى للنفي، والثانية مزيدة لتوكيد الأولى، لأن المعنى: لا ذلول تثير وتسقي. على أن الفعلين صفتان للذلول، كأنه قيل: لا ذلول مثيرة وساقية. وقرأ أبو عبد الرحمان السلمي: لا ذلول، بمعنى لا ذلول هناك: أي حيث هي، وهو نفي للذلول؛ ولأن توصف به فيقال: هي ذلول. ونحوه قولك: مررت بقوم لا بخيل ولا جبان. أي فيهم، أو حيث هم.

● قال تعالى: ﴿أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: 54].

قال الفخر الرازي⁽¹⁾: ﴿أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: 54] وهو صفة أبي بكر أيضاً الدليل الذي ذكرناه، ويؤكد ما روي في الخبر المستفيض أنه عليه الصلاة والسلام قال: «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر» فكان موصوفاً بالرحمة والشفقة على المؤمنين وبالشدّة مع الكفار، ألا ترى أن في أول الأمر حين كان الرسول ﷺ في مكة وكان في غاية الضعف كيف كان يذب عن الرسول عليه الصلاة والسلام، وكيف كان يلازمه ويخدمه، وما كان يبالي بأحد من جبابرة الكفار وشياطينهم، وفي آخر الأمر أعني وقت خلافته كيف لم يلتفت إلى قول أحد، وأصر على أنه لا بدّ من المحاربة مع مانعي الزكاة حتى آل الأمر إلى أن خرج إلى قتال القوم وحده، حتى جاء أكابر الصحابة وتضرعوا إليه ومنعوه من الذهاب، ثم لما بلغ بعث العسكر إليهم انهزموا وجعل الله تعالى ذلك مبدأً لدولة الإسلام، فكان قوله: ﴿أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ لا يليق إلا به.

قال الطبري⁽²⁾: ﴿أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾: أرقاء عليهم رحماء بهم، من قول القائل: ذلّ فلان لفلان: إذا خضع له واستكان. ويعني بقوله: ﴿أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾: أشدّاء عليهم غلظاء بهم، من قول القائل: قد عزّني فلان: إذا أظهر العزّة من نفسه له، وأبدى له الجفوة والغلظة. ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل

(1) التفسير الكبير.

(2) جامع البيان.

التأويل . ذكر من قال ذلك : عن أبي أيوب ، عن عليّ رضي الله عنه في قوله : ﴿ أَذَلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ : أهل رقة على أهل دينهم ، ﴿ أَعَزَّةٌ عَلَى الْكُفْرِينَ ﴾ : أهل غلظة على من خالفهم في دينهم .

● قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَانْتَمَ أَذَلَّةٌ ﴾ [آل عمران: 123] .

قال أبو السعود⁽¹⁾ : ﴿ وَانْتَمَ أَذَلَّةٌ ﴾ حالٌّ من مفعول نصركم وأذلة جمع ذليلٍ وإنما جُمع قلةً للإيذان باتصافهم حينئذ بوصفي القلة والذلة ، إذ كانوا ثلاثمائة وبضعة عشر وكان ضعفُ حالهم في الغاية خرجوا على النواضح يعتقبُ النفرُ منهم على البعير الواحد ولم يكن في العسكر إلا فرسٌ واحدٌ ، وقيل : فرسانٍ للمقداد ومرثد وتسعون بعيراً وستُّ أدرعٍ وثمانيةُ سيوفٍ وكان العدو زهاء ألفٍ ومعهم مائةُ فرسٍ وشكة وشوكة .

قال العزّ بن عبد السلام⁽²⁾ : ﴿ أَذَلَّةٌ ﴾ ضعفاء عن مقاومة العدو ، أو قليل عددكم ضعيف حالكم ، كان المهاجرون يومئذ سبعة وسبعين ، وكانت الأنصار مائتين وستة وثلاثين ، والمشركون ما بين تسعمائة وألف .

قال البغوي⁽³⁾ : ﴿ وَانْتَمَ أَذَلَّةٌ ﴾ ، جمع : ذليل ، وأراد به قلة العدد فإنهم كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً ، فنصرهم الله مع قلة عددهم .

● قال تعالى : ﴿ فَاسْأَلِكِ رَبِّكَ ذُلًّا ﴾ [التحل: 69] .

قال الزمخشري⁽⁴⁾ : ﴿ ذُلًّا ﴾ جمع ذلول ، وهي حال من السبل ؛ لأنَّ الله ذلها لها ووطأها وسهلها ، كقوله : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا ﴾ [الملك: 15] أو من الضمير في ﴿ فَاسْأَلِكِ ﴾ أي : وأنت ذلل منقادة لما أمرت به غير ممتنعة .

(3) معالم التنزيل .

(4) الكشف .

(1) إرشاد العقل السليم .

(2) التفسير العظيم .

قال ابن عطية⁽¹⁾: ﴿ذُلَّلًا﴾ يحتمل أن يكون حالاً من ﴿التَّلِّ﴾ [النحل: 68]، أي مطيعة منقادة لما يسرت له، قاله قتادة، وقال ابن زيد: فهم يخرجون بالنحل ينتجعون وهي تتبعهم، وقرأ ﴿أَوْلَتْ يَرَوُا أَنَا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمَّا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ [يس: 71-72].

قال البيضاوي⁽²⁾: ﴿ذُلَّلًا﴾ جمع ذلول وهي حال من السبل، أي مذلة ذلها الله تعالى وسهلها لك، أو من الضمير في أسلكي أي وأنت ذلل منقادة لما أمرت به.

● قال تعالى: ﴿وَذُلَّلَتْ فَطُوفُهَا نَدْلِيلاً﴾ [الإنسان: 14].

قال الفخر الرازي⁽³⁾: ﴿وَذُلَّلَتْ فَطُوفُهَا نَدْلِيلاً﴾ ذكروا في ذلت وجهين الأول: قال ابن قتيبة: ذلت: أدنيت منهم من قولهم: حائط ذليل إذا كان قصير السمك، والثاني: أي جعلت منقادة ولا تمتنع على قطافها كيف شاءوا. قال البراء بن عازب: ذلت لهم فهم يتناولون منها كيف شاءوا، فمن أكل قائماً لم يؤذ به ومن أكل جالساً لم يؤذ به ومن أكل مضطجعاً لم يؤذ به.

قال القرطبي⁽⁴⁾: ﴿وَذُلَّلَتْ﴾ أي سُخِّرَتْ لهم ﴿فَطُوفُهَا﴾ أي ثمارها ﴿نَدْلِيلاً﴾ أي تسخيراً، فيتناولها القائم والقاعد والمضطجع، لا يرد أيديهم عنها بعد ولا شوك؛ قاله قتادة. وقال مجاهد: إن قام أحد لرتفعت له، وإن جلس تدلت عليه، وإن اضطجع دنت منه فأكل منها. وعنه أيضاً: أرض الجنة من ورق، وترابها الزعفران، وطيبها مسك أذفر، وأصول شجرها ذهب وورق، وأفنانها اللؤلؤ والزبرجد والياقوت، والثمر تحت ذلك كله؛ فمن أكل منها قائماً لم تؤذ به، ومن أكل منها قاعداً لم تؤذ به، ومن أكل منها مضطجعاً لم تؤذ به.

(1) المحرر الوجيز.

(3) التفسير الكبير.

(2) أنوار التنزيل.

(4) الجامع لأحكام القرآن.

قال أبو السعود⁽¹⁾: ﴿وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا نَدْلِيلاً﴾ أي سُخِرَتْ ثَمَارُهَا لِمَتَنَاوَلِيهَا
 وَسُهْلَ أَخْذِهَا مِنَ الذُّلِّ وَهُوَ ضِدُّ الصَّعُوبَةِ. وَالجُمْلَةُ حَالٌ مِنْ دَانِيَةٍ أَيْ تَدْنُو ظِلَالُهَا
 عَلَيْهِمْ مُذَلَّلَةٌ لَهُمْ قُطُوفُهَا. أَوْ مَعْطُوفَةٌ عَلَى دَانِيَةٍ أَيْ دَانِيَةٌ عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَمُذَلَّلَةٌ
 قُطُوفُهَا، وَعَلَى تَقْدِيرِ رَفْعِ دَانِيَةٍ فَهِيَ جُمْلَةٌ فَعْلِيَّةٌ مَعْطُوفَةٌ عَلَى جُمْلَةٍ اسْمِيَّةٍ.



(1) إرشاد العقل السليم.

ذم

(ذم - طعن - همز - لمز - نبز - قبح)

- **الذَّمُّ**: ذكر الشيء بصفات قبيحة ﴿مَذْمُومًا مَذْحُورًا﴾ [الإسراء: 18].
- **الطُّعْنُ**: إنكار الصفات الحسنة ﴿وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ﴾ [التوبة: 12].
- **الهُمَزُ**: الذم في إشارة اليد أو العين استهزاء ﴿وَيَلُّ لِكُلِّ هُمَزٍ﴾ [الهمزة: 1].
- **اللُّمَزُ**: الذم بعيب ليس عيباً ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ [التوبة: 58].
- **النَّبْزُ**: الذم باللقب ﴿وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ [الحجرات: 11].
- **التَّقْبِيحُ**: الذم بما تشمئز منه النفوس السليمة ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِمَّنْ أَلْمَقُوحِينَ﴾ [القصاص: 42].



شرح المعاني:

هذه الكلمات تدخل في منظومة الذنوب اللسانية وهي خطيرة جداً يوم القيامة؛ «إن الرجل ليقول الكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً ما يدري ما تبلغ يوم القيامة»، «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده» فاللسان أذى واليد ضرر وهذا هو الفرق بين الضرر والأذى: قال تعالى: ﴿لَنْ يَصُرُوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقْتَلُوكُمْ يُؤَلُّوكُمُ الْأَدَبَ ثُمَّ لَا يُبْصَرُونَ﴾ [آل عمران: 111] أي شتائم، وقال تعالى: ﴿وَلَسَّمَعُنَ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا﴾ [آل عمران: 186] سب وشتم وقدح ولعن واتهامات باطلة. منذ أن جاء

الإسلام إلى اليوم ليس لغير المسلمين من أهل الكتاب إلا الطعن بالمسلمين بشتى الأنواع: أفلام، أقلام وصور ولا يكفون ولا يهدؤون، وصدق الله تعالى إذ قال ذلك وقال: ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [آل عمران: 186]. من دقة الإعجاز القرآني في استعمال الكلمة في هذا الكتاب العزيز نجد كل كلمة ترسم زاوية محددة يعني السب غير الشتم والاستهزاء غير السخرية واللمز والهمز والغمز والنبز تختلف عن بعضها لترسم صورة دقيقة للمعنى بحيث ليس هناك أي اختلاف عليه. وهذا الإعجاز لا يمكن أن يفعله إلا رب العالمين سبحانه وتعالى.

الذم: كل شيء يتعلق بدمتك وأنت قد أخللت به. كل ما تُذمّ عليه عكسه هو ما تُمدح عليه. الخيانة تتعلق بالذمة تُذم عليها ذمّاً عظيماً ويبقى هذا الذم متوارثاً. أن يكون الإنسان خائناً ويعترف بخيانتته علناً يتوارثه الأبناء عن الآباء لأنه يتعلق بالذمة فكما تُمدح على الأمانة تُذم على الخيانة. وكل إخلال بالذمام وكل إخلال بحقوق الآخرين (زوجتك، أهلك، وطنك، شعبك، وظيفتك) كل إخلال بما هو في ذمتك ومن مسؤولياتك هذا النوع من العيب يُذم عليه الإنسان. قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ [الإسراء: 18] بحيث أن ذنوبه من النوع الخياني الذي يخل بالذمة.

القذف والرمي: خاصة بالعرض. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعْنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: 23] كل كلمة قذف أو رمي بكذا تعني اتهام بالزنا تتهمه، تذمه أو تشتمه بما يتعلق بعرضه.

التقيح: الشيء الذي يشمئز منه الناس. قال تعالى: ﴿وَاتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾ [القصاص: 42] المقبوح هو الذي تقشعر منه. يوم القيامة تكون وجوه أهل النار مسودة سواداً حالكاً يُرعب منهم من يراهم وتقشعر منه النفوس ﴿وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ﴾ [الزمر: 60] يُرعب الناس منهم ومن صراخهم ﴿وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا﴾ [فاطر: 37] وكون بعضهم يتبرأ من بعض ﴿الْأَخْلَاءُ﴾

يَوْمِيذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿ [الرَّخْرُف: 67] الإنسان يومئذ يفترق بينه وأهله وفصيلته . هذه الأوضاع المنكرة تسمى قبيح . كل من تُقَبِّحُه لا تُقَبِّحُه إلا لشيء تشمئز منه . كثير من الأعمال السيئة التي تشمئز منها النفوس كأن يقتل المسلمون بعضهم بعضاً كما يحصل الآن في العراق هذا عمل مقبوح ، أن يحرق المسلم مسجداً أو مصحفاً . فالتقبيح هو ذكر فعل منكر بشكل تشمئز منه النفوس .

الغمز واللمز والهمز والنبز: هي من عائلة واحدة لكن تختلف في معناها :

الغمز: يكون بالجفن أو باليد ﴿وَإِذَا مَرُوا بِهِمْ يَغَابِرُونَ﴾ [المطففين: 30] التغامز والغمز هو أن تشتم الآخر بإشارة من يدك أو جفحك امتطاطاً أو اشمئزازاً بدون كلام . والغمز يكون أمام الشخص .

اللمز: يكون خلف الرجل لا أمامه . اللمز في غيبته ولكن اللمز بكل العيوب . اللمز هناك عيب في فلان لا تذكره به مواجهة وإنما تذكره في غيبته ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جَهْدَهُمْ فَيَسْتَخِرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: 79] ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رِضْوَانًا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْتَخْطُونَ﴾ [التوبة: 58] ليس أمام الرسول ﷺ وإنما في غيبته . فاللمز يكون في غيبة الملموز ويكون بتراخي بعد مدة وليس سريعاً . ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [الحجرات: 11] .

الهمز: الاغتياب السريع بعد الافتراق . كأن تكون جالساً في مجلس فيخرج أحد الحضور من المجلس مباشرة ذمّه واحد يسمى همزاً . عبد الله بن مسعود قال: «كنا عند النبي ﷺ فانصرف أحد الناس فوقع فيه رجل فقال النبي ﷺ: تحلل من هذا فقد أكلت لحم أخيك» . لو قلت: سمعت اليوم فلاناً همز فلان فإذا كنت تحسن اللسان العربي فستفهم أنه فعلها بعد أن كان في المجلس وخرج أي بعد أن افترق سريعاً طعن فيه . يقول تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة: 1] .

النبز: يكون بتلقيب إنسان بلقب سيء ، تضيف عليه لقباً يُضحك الناس .

يقول تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْإِثْمَ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُم الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات: 11].

الغيبية: أن تتكلم على إنسان خلف ظهره بكل شيء وليس بعيب واحد وإنما عموماً مطلقاً. قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَانفُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: 12].

السخرية: هو كل كلام يثير الضحك، تقول على فلان شيئاً يضحك عليه الآخرون. قال تعالى: ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأُ مِن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ [هود: 38] ﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سَخِرِيًّا حَتَّىٰ أَنسَوَكُم ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾ [المؤمنون: 110]. السخرية تكون من فعل، يقال: سخر فلان من فلان أي: من أفعاله. وسخر فعل يتعدى ب (من).

الاستهزاء: تستهزىء من الشخص كأن تقول: شكله مضحك، أو أن تستهزىء بقصر قامته أو استهزأت به بذاته يسمى استهزاء. الاستهزاء يكون من ذاته وفعل استهزأ يتعدى بالباء (استهزأ فلان بفلان) أنه من ذاته. فالاستهزاء يكون من الشخص والسخرية تكون من فعل. قال تعالى: ﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ [التوبة: 65] ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِذَا يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهْدَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾ [الفرقان: 41].

هذا هو الفرق بين هذه الكلمات القرآنية من حيث استعمال القرآن لها بدقة عجيبة. هذه المنظومة التي تُخَلَّ بالآداب وتُخَلَّ بالأخلاق وتُخَلَّ بشخصية المؤمن يقول ﷺ في الحديث الشريف: «ليس المؤمن طعاناً ولا لعاناً ولا فاحشاً ولا متفحشاً». لذا إذا أردت أن تعرف كمال الإيمان في المسلم فانظر إلى لسانه فإذا عَفَّ لسانه فقد بلغ المقام. قد يكون المسلم عَفَّ اليد لكن الكمال يكون بعفة

اللسان. كل الأدبيات والأحاديث والآيات تتحدث عن عفة اللسان وعلينا أن نفهم أن الإسلام والإيمان يقوم على قاعدة إيمانية هائلة: «أقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً» «إن العبد ليبلغ بحُسن الخُلُق» فحسن الخُلُق دين هذه الأمة لذلك تحدث تعالى عن هذه المنظومة في القرآن بما ينبغي علينا أن لا نفعل هذه القاذورات حتى ننجو وكما في الحديث: «ويحك ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس على وجوههم في النار إلا حصائد ألسنتهم». متى ما رأيت صاحب مذهب يلعن مسلماً فاعلم أنه هالك. بنى الله تعالى الكون على نظام الامتحانات المستمرة ﴿أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت: 2] كل الناس تصلي وتصوم وتزكي فإذا ظنوا أنهم الفرقة الناجية فهذا هراء، فيوم القيامة ﴿أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: 14] «إذا قال الرجل هلك الناس فهو أهلكهم». هذا القبح السائد اليوم بين المسلمين بعضهم يقتل بعضاً ويهدم مساجد بعض لأول مرة هذا غير ما نزل في القرآن الكريم ﴿يُخْرِجُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾ [الحشر: 2] ولهذا لا بد أن يصب الله تعالى على هذه الأمة البلاء ليطهرها، والبلاء على هذه الأمة في الدنيا ليس عقاباً لها كما هي الحال مع المشركين لأن الله تعالى يعاقبهم في الدنيا وفي الآخرة ﴿وَلَنذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [السجدة: 21]. هذا كله من باب تطهير الذنوب حتى الشوكة يشاكها المسلم تكفر الخطايا «لا تکرهوا الفتن فإن فيها صلاحاً». لكن المسلمين من الحصافة والذكاء ونصوص الدين واضحة بحيث يعلموا كيف ينجون وكيف يهلكون. قد يصلي أحدهم مليون صلاة ويصوم مليون يوم ويزكي لكنه يُكَبِّ في النار والعكس صحيح.



النصوص اللغوية:

قال ابن فارس⁽¹⁾: الذال والميم في المضاعف أصلٌ واحد يدلُّ كلُّه على خلافِ الحمد. يقال: ذَمَّمْتُ فلاناً أذُّمُّه، فهو ذَمِيمٌ ومَذْمُومٌ: إذا كان غير حميد.

ومن هذا الباب: الذِّمَّة، وهي البئر القليلةُ الماء. وفي الحديث: «أنَّه أتى على بئرٍ ذَمَّةٍ». وجمع الذِّمَّةِ ذِمَامٌ.

فأمَّا العَهْدُ فإنَّه يسمَّى ذِمَاماً لأنَّ الإنسان يُذَمُّ على إضاعته منه. وهذه طريقة للعرب مستعملةٌ، وذلك كقولهم: فلانٌ حامي الذِّمَار، أي: يَحْمِي الشَّيْءَ الذي يُغْضِبُ. وحامي الحقيقة، أي: يَحْمِي ما يحقُّ عليه أن يمنعه. وأهل الذِّمَّة: أهلُ العَقْد. قال أبو عبيد: الذِّمَّة الأمان، في قوله ﷺ: «وَيَسَعَى بَذِمَّتِهِمْ». ويقال أهل الذِّمَّة لأنهم أدَّوا الجزية فأمنوا على دمائهم وأموالهم. ويقال في الذِّمَام: مَذَمَّةٌ وَمَذَمَّةٌ، بالفتح والكسر، وفي الذِّمِّ مَذَمَّةٌ بالفتح. وجاء في الحديث: «أنَّ رجلاً سأل النبي ﷺ: ما يُذْهِبُ عني مَذَمَّةُ الرِّضَاع؟ فقال: غُرَّةٌ عَبْدٌ أو أُمَّةٌ». يعني بمذمَّة الرِّضَاعِ ذِمَامَ المُرْضِعة. وكان النَّخَعِيُّ يقول في تفسير هذا الحديث: إنهم كانوا يستحبُّون أن يرَضَّخوا عند فِصال الصَّبِيِّ للظُّرِّ بشيءٍ سوى الأَجْر. فكأنَّه سأله: ما يُسْقِطُ عني حقَّ التي أرضعتني حتى أكونَ قد أدَّيتُ حقَّها كاملاً. حدَّثنا بذلك القَطَّان عن المفسِّر عن القُتَيْبِيِّ. والعرب تقول: أذْهِبْ مَذَمَّتَهُمْ بشيءٍ؛ أي: أعطِهِمْ شيئاً؛ فإنَّ لهم عليك ذِمَاماً. ويقال: افْعَلْ كذا وَخَلَاكَ ذَمٌّ، أي: ولا ذَمَّ عليك.

ويقال: أذَمَّ فلانٌ بفلانٍ: إذا تهاوَنَ به. وأذَمَّ به بغيره: إذا أَخْرَ وانقَطَعَ عن سائر الإبل. وشيءٌ مُذِمٌّ، أي: مَعِيب. ورجلٌ مُذِمٌّ: لا حَرَكَ به. وحكى ابنُ الأعرابيِّ. بئرٌ ذَمِيمٌ، وهي مثْلُ الذِّمَّة.

(1) معجم مقاييس اللغة.

وحكى ابن قتيبة أَنَّ الذَّمِيمَ الْبَوْلُ الَّذِي يَدْمُ وَيَذْنُ مِنْ قَضِيبِ التَّيْسِ .

قال الخليل (1): الذَّمُّ: اللَّوْمُ فِي الْإِسَاءَةِ، وَمِنْهُ التَّدْمُّ، فيقال من التَّدْمُّ: قد قَضَيْتُ مَدْمَةً صاحبي، أي: أَحْسَنْتُ أَنْ لَا أُدْمَ. ويقال: افْعَلْ كَذَا وَكَذَا وَخَلَاكَ ذَمًّا، أي: خَلَاكَ لَوْمًا. والذَّمَامُ: كُلُّ حُرْمَةٍ تَلْزُمُكَ، إِذَا ضَيَّعْتَهَا، الْمَدْمَةُ، وَمِنْهُ سُمِّيَ أَهْلُ الْعَهْدِ أَهْلَ الذِّمَّةِ الَّذِينَ يَرُدُّونَ الْجِزْيَةَ عَلَى رُءُوسِهِمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ كُلِّهِمْ. والذَّمُّ: الْمَذْمُومُ الذَّمِيمُ. وفي حديث يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ الْحَوْتَ قَاءَهُ زَرِيًّا ذَمًّا أَي: مَذْمُومًا مَهْزُولًا يُشَبِّهُ الْهَالِكَ. والذَّمِيمُ: بَثْرٌ أَمْثَالُ بَيْضِ النَّمْلِ تَخْرُجُ عَلَى الْأَنْفِ مِنَ الْحَرِّ وَنَحْوِهِ، الْوَاحِدَةُ ذَمِيمَةٌ، وَيُجْمَعُ عَلَى ذِمَامٍ، وَرَكِيَّةٌ ذَمَّةٌ: قَلِيلَةٌ الْمَاءِ، وَالْجَمْعُ الذَّمَامُ.

قال الجوهري (2): الذَّمُّ: نَقِيضُ الْمَدْحِ. يقال: ذَمَّمْتُهُ فَهُوَ ذَمِيمٌ. قال ابن السكيت: يقال: افْعَلْ كَذَا وَكَذَا وَخَلَاكَ ذَمًّا. قال: وَلَا تَقُلْ وَخَلَاكَ ذَنْبًا.

والمعنى خلا منك ذمًّا، أي لا تَدْمُ. وبثْرٌ ذَمَّةٌ: قَلِيلَةُ الْمَاءِ؛ وَجَمْعُهَا ذِمَامٌ. وماءٌ ذَمِيمٌ، أي: مَكْرُوهٌ.

والذَّمِيمُ: الْمُخَاطُ وَالْبَوْلُ الَّذِي يَدْمُ وَيَذْنُ مِنْ قَضِيبِ التَّيْسِ. وكذلك اللَّبَنُ مِنْ أَخْلَافِ الشَّاةِ. والذَّمِيمُ أَيضاً: شَيْءٌ يَخْرُجُ مِنْ مَسَامِ الْمَارِنِ، كَبَيْضِ النَّمْلِ. وقد ذَمَّ أَنْفَهُ وَذَنَّ. والذَّمَامُ: الْحُرْمَةُ. وأهل الذَّمَّةِ: أَهْلُ الْعَقْدِ. قال أبو عبيد: الذَّمَّةُ: الْأَمَانُ، فِي قَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «وَيَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَذْنَاهُمْ» وَأَذَمَّهُ، أَي: أَجَارَهُ. وَأَذَمَّهُ، أَي: وَجَدَهُ مَذْمُومًا. يقال: أَتَيْتُ مَوْضِعَ كَذَا فَأَذَمَّمْتُهُ، أَي: وَجَدْتُهُ مَذْمُومًا. وَأَذَمَّ بِهِ: تَهَاوَنَ. وَأَذَمَّ الرَّجُلُ: أَتَى بِمَا يُدْمُ عَلَيْهِ. وَأَذَمَّ بِهِ بَعِيرَهُ. وَأَذَمَّتْ رِكَابُ الْقَوْمِ، أَي: أُعِيَتْ وَتَأَخَّرَتْ عَنْ جَمَاعَةِ الْإِبِلِ وَلَمْ تَلْحَقْ بِهَا. وَأَخَذْتَنِي مِنْهُ مَدْمَةٌ وَمَدْمَةٌ، أَي: رِقَّةٌ وَعَارٌ مِنْ تَرْكِ الْحُرْمَةِ. ويقال: أَذْهَبَ مَدْمَتَهُمْ بِشَيْءٍ، أَي: أَعْطَاهُمْ شَيْئًا فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَامًا. والبخلُ مَدْمَةٌ

(2) الصحاح في اللغة.

(1) العين.

بالفتح لا غير، أي: مما يُذَمُّ عليه وهو خلاف المَحَمَّدة. واستَدَمَّ الرجل إلى الناس، أي: أتى بما يُذَمُّ عليه. وتذَمَّم، أي: استنكف. يقال: لو لم أترك الكذب تأثماً لتركته تَذَمُّماً. ورجلٌ مُذَمَّمٌ، أي: مذمومٌ جداً. ورجلٌ مُذَمَّمٌ: لا حراك به. وشيءٌ مُذَمَّمٌ، أي: معيبٌ.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿مَذْمُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الإسراء: 18].

قال الطبري⁽¹⁾: ﴿مَذْمُومًا﴾ على قلة شكره إيانا، وسوء صنيعه فيما سلف من أيادينا عنده في الدنيا.

قال الفخر الرازي⁽²⁾: ﴿مَذْمُومًا﴾ إشارة إلى الإهانة والذم.

قال القرطبي⁽³⁾: ﴿مَذْمُومًا مَّدْحُورًا﴾ أي مطروداً مبعداً من رحمة الله. وهذه صفة المنافقين الفاسقين، والمرائين المداجين، يلبسون الإسلام والطاعة لينالوا عاجل الدنيا من الغنائم وغيرها، فلا يقبل ذلك العمل منهم في الآخرة ولا يُعطون في الدنيا إلا ما قُسم لهم.

قال أبو السعود⁽⁴⁾: ﴿مَذْمُومًا مَّدْحُورًا﴾ مطروداً من رحمة الله تعالى، وقيل: الآية في المنافقين كانوا يُراوون المسلمين ويغزون معهم ولم يكن غرضهم إلا مساهمتهم في الغنائم ونحوها، ويأباه ما يقال إن السورة مكية سوى آيات معينة.

● قال تعالى: ﴿فَنَقَعَدَ مَذْمُومًا مَّحْذُولًا﴾ [الإسراء: 22].

(1) جامع البيان.

(2) تفسير الكبير.

(3) الجامع لأحكام القرآن.

(4) إرشاد العقل السليم.

قال ابن عاشور⁽¹⁾: والمذموم: المذكور بالسوء والعيب.

قال الخازن⁽²⁾: ﴿فَنَقَعَدَ مَذْمُومًا﴾ أي من غير حمد.

قال النسفي⁽³⁾: ﴿فَنَقَعَدَ مَذْمُومًا تَحْذُورًا﴾ فتصير جامعاً على نفسك الذم

والخذلان. وقيل: مشتوماً بالإهانة محروماً عن الإعانة، إذ الخذلان ضد النصر

والعون. دليله قوله تعالى: ﴿إِن يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي

يَنْصُرْكُمْ مِّنْ بَعْدِهِ﴾ [آل عمران: 160] حيث ذكر الخذلان بمقابلة النصر.

قال أبو السعود⁽⁴⁾: ﴿مَذْمُومًا تَحْذُورًا﴾ خبران أو حالان أي جامعاً على نفسك

الذم من الملائكة والمؤمنين والخذلان من الله تعالى، وفيه إشعار بأن الموحد

جامع بين المدح والنصرة.



(1) التحرير والتنوير.

(2) لباب التأويل.

(3) مدارك التنزيل.

(4) إرشاد العقل السليم.

ذنب

(ذنب - حنث - إثم - جرم - جناح

- حوب - خطأ - زلل - سيئة - فاحشة - رجس)

■ **الذُّنْبُ:** كل فعل يعاقب عليه صغيراً كان أو كبيراً ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً﴾ [الزُّمَرُ: 53].

■ **الْحِنْثُ:** المسؤولية عن الذنب ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِعْفًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُثْ﴾ [ص: 44].

■ **الإِثْمُ:** الذنب المتعدي الذي يبطئ بصاحبه عن جنس الطاعات كلها ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ [البَقَرَةُ: 219].

■ **الجُزْمُ:** الذنب الثابت المستحق للعقاب المحدد ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [مَا سَأَلَكُمْ فِي سَفَرٍ ﴿٤٢﴾] [المدثر: 40-42].

■ **الجُنَاحُ:** اللوم عن الذنوب كالنزوع إلى الذنب قبل الشروع فيه ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ﴾ [البَقَرَةُ: 235].

■ **الحُوبُ:** الذنب الذي يعجل الله عقابه في الدنيا ﴿وَأَقْوَامًا يَلْتَئِمُّ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ [النِّسَاءُ: 2].

■ **الْخَطَأُ:** ذنب غير متعمد ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً﴾ [النِّسَاءُ: 92].

■ **(الْخَطِيئَةُ):** الكبيرة التي تحبط الحسنات. ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ رَزَّ بِهِ، بَرِيئًا فَقَدْ أَحْتَمَلَ بُهْتَنَا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [النِّسَاءُ: 112].

- **الرَّزْلُ**: سرعة الوقوع في الذنب ﴿فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: 209].
- **السَّيِّئَةُ**: المعصية عموماً ﴿يَكُلُّ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾ [البقرة: 81] والإحاطة: إحباط العمل.
- **الفَاحِشَةُ**: ما عظم قبحه عند الناس من الذنوب ﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ بُصُورٌ﴾ [النمل: 54].
- **الرَّجْسُ**: الفعل القذر تأباه الفطرة من نتنه. ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: 33]، ﴿إِنَّمَا الْفَنَرُ وَالنَّيْسُ وَالْأَنْهَابُ وَالْأَذْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ [المائدة: 90].



النصوص اللغوية:

قال ابن فارس⁽¹⁾: الذال والنون والباء أصول ثلاثة: أحدها الجرم، والآخر مؤخر الشيء، والثالث كالحظ والنصيب. فالأول الذنب والجرم. يقال: أذنب يُذنب. والاسم الذنب، وهو مُذْنِبٌ. والأصل الآخر الذنب، وهو مؤخر الدواب، ولذلك سُمِّي الأتباع: الذنابي. والمذانب: مذانب التلاع، وهي مسایل الماء فيها. والمذنب من الرطب: ما أرطب بعضه. ويقال للفرس الطويل الذنب: ذنوب. والذئاب: عقب كل شيء. والذائب: التابع؛ وكذلك المُسْتَذِنُّ: الذي يكون عند أذنان الإبل.

قال الخليل⁽²⁾: الأذئاب جمع الذنب. والذنب: الإثم والمعصية، والجمع الذنوب. والمذنب: مسيل الماء بحضيض الأرض وليس بجِدِّ واسع، وإن كان في

(2) العين.

(1) معجم مقاييس اللغة.

سَفْحٌ أَوْ سَنَدٌ فَهُوَ التَّلْعَةُ. وَيُقَالُ لِمَسِيلٍ مَا بَيْنَ التَّلْعَتَيْنِ: ذَنْبُ التَّلْعَةِ. وَالذَّانِبُ: التَّابِعُ لِلشَّيْءِ عَلَى أَثَرِهِ. وَالْمُسْتَذِنُ الَّذِي يَتَلَوُ الذَّنْبَ لَا يُفَارِقُ أَثَرَهُ.

وَالذَّنُوبُ: الْفَرَسُ الْوَاسِعُ هُلْبِ الذَّنْبِ. وَالذَّنُوبُ: مِلءٌ دَلُومٍ مِنْ مَاءٍ، وَيَكُونُ النَّصِيبُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ كَذَلِكَ.

وَالذَّنَابُ آخِرُ كُلِّ شَيْءٍ:

الذَّنَابُ أَيْضاً مِنْ مَذَانِبِ الْمَسَائِلِ، وَهُوَ شَبِيهٌ أَنْ يَكُونَ جِمَاعَ الذَّنْبِ، وَقَدْ يَجْمَعُونَ عَلَى الذَّنَائِبِ. وَالذَّنَابِيُّ: مَوْضِعٌ مَنَّبَتِ الذَّنْبِ. وَالتَّذْنُوبُ، الْوَاحِدَةُ تَذْنُوبَةٌ هِيَ الْبُسْرَةُ الْمُدْنَبَةُ الَّتِي قَدْ أَرْطَبَ طَرْفُهَا مِنْ قَبْلِ ذَنْبِهَا. وَذَنْبَ الْجِرَادِ: سَمِنٌ وَسِمْنُهُ فِي أذْنَابِهِ. وَالتَّذْنِيبُ: التَّعَاطُلُ لِلضُّبَابِ وَالْفَرَاشِ وَالْجِرَادِ وَنَحْوِهَا، وَالتَّذْنِيبُ: إِخْرَاجُهَا أَذْنَابَهَا مِنْ جِحْرَتِهَا وَضَرْبُهَا عَلَى أَفْوَاهِ جِحْرَتِهَا.

قال الجوهري⁽¹⁾: الذَّنْبُ: وَاحِدُ الْأَذْنَابِ. وَالذَّنَابِيُّ: ذَنْبُ الطَّائِرِ، وَهِيَ أَكْثَرُ مِنَ الذَّنْبِ. وَذَنْبُ الْفَرَسِ وَالْبَعِيرِ وَذُنَابُهُمَا، وَذَنْبٌ أَكْثَرُ مِنْ ذُنَابِي فِيهِمَا. وَفِي جَنَاحِ الطَّائِرِ أَرْبَعُ ذُنَابِي بَعْدَ الْخَوَافِي. وَالذَّنَابِيُّ: الْإِتْبَاعُ. الْفَرَاءُ: الذَّنَابِيُّ شَبَهَ الْمَخَاطِطِ يَقَعُ مِنْ أَنْوْفِ الْإِبِلِ. وَالذَّنَابُ بِكَسْرِ الذَّالِ: عَقَبُ كُلِّ شَيْءٍ. وَذُنَابَةُ الْوَادِي أَيْضاً: الْمَوْضِعُ الَّذِي يَنْتَهِي إِلَيْهِ سَيْلُهُ وَكَذَلِكَ ذَنْبُهُ، وَذُنَابَتُهُ أَكْثَرُ مِنْ ذَنْبِهِ. وَالْمِذْنَبُ الْمَعْرِفَةُ. وَالْمِذْنَبُ أَيْضاً: مَسِيلُ مَاءٍ فِي الْحَضِيضِ وَالتَّلْعَةِ فِي السَّنَدِ؛ وَكَذَلِكَ الذَّنَابَةُ وَالذَّنَابَةُ بِالضَّمِّ. وَالذَّانِبُ: التَّابِعُ.

وَالْمُسْتَذِنُ: الَّذِي يَكُونُ عِنْدَ أَذْنَابِ الْإِبِلِ.

وَالتَّذْنُوبُ: الْبُسْرُ الَّذِي قَدْ بَدَأَ فِيهِ الْإِرْطَابُ مِنْ قَبْلِ ذَنْبِهِ. وَقَدْ ذَنْبَتِ الْبُسْرَةُ فِيهِ مُذْنَبَةٌ. وَتَذَنْبَ الْمُعْتَمِّمِ، أَي: ذَنْبَ عِمَامَتِهِ، وَذَلِكَ إِذَا أَفْضَلَ مِنْهَا شَيْئاً فَأَرْخَاهُ كَالذَّنْبِ. وَالذَّنُوبُ الْفَرَسُ الطَّوِيلُ الذَّنْبِ. وَالذَّنُوبُ: النَّصِيبُ. وَالذَّنُوبُ: لَحْمٌ

(1) الصحاح في اللغة.

أَسْفَلَ الْمَتْنِ . وَالذَّنُوبُ: الدَّلُؤُ الْمَلَأَى مَاءً . وَقَالَ ابْنُ السَّكَيْتِ: فِيهَا مَاءٌ قَرِيبٌ مِنْ الْمِلْءِ، تُؤْتَتْ وَتُذَكَّرُ . وَلَا يُقَالُ لَهَا وَهِيَ فَارِغَةٌ ذَنْبٌ . وَالْجَمْعُ فِي أَدْنَى الْعَدَدِ أَذْنِبَةٌ، وَالكَثِيرُ ذَنَائِبٌ، وَالذَّنْبُ: الْجُرْمُ . وَقَدْ أَذْنَبَ الرَّجُلُ . الذَّنْبَانُ، بِالتَّحْرِيكِ: نَبَتْ .

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ﴾ [الدَّارِيَات: 59].

قال الطبري⁽¹⁾: يقول تعالى ذكره: فإن للذين أشركوا بالله من قريش وغيرهم ذنوباً، وهي الدلو العظيمة، وهو السجل أيضاً إذا ملئت أو قاربت الملء، وإنما أريد بالذنوب في هذا الموضع: الحظ والنصيب ومنه قول علقمة بن عبدة: وفي كل قوم قد خبطت بنعمة فحق لسأس من ندادك ذنوب أي نصيب، وأصله ما ذكرت ومنه قول الراجز:

لَنَا ذُنُوبٌ وَلَكُمْ ذُنُوبٌ فَإِنْ أَبَيْتُمْ فَلَنَا الْقَلِيبُ

ومعنى الكلام: فإن للذين ظلموا من عذاب الله نصيباً وحظاً نازلاً بهم، مثل نصيب أصحابهم الذين مضوا من قبلهم من الأمم، على منهاجهم من العذاب، فلا يستعجلون به . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل . ذكر من قال ذلك: حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، عن عليّ رضي الله عنه، عن ابن عباس، قوله: ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا﴾ يقول: دلواً .

قال البيضاوي⁽²⁾: ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا﴾ أي للذين ظلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم

(1) جامع البيان.

(2) أنوار التنزيل.

بالتكذيب نصيباً من العذاب. ﴿مَثَلُ ذُنُوبِ أَحْصِهِمْ﴾ مثل نصيب نظرائهم من الأمم السالفة، وهو مأخوذ من مقاسمة السقاة الماء بالدلاء، فإن الذنوب هو الدلو العظيم المملوء.

● قال تعالى: ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [آل عمران: 11].

قال الألوسي⁽¹⁾: ﴿بِذُنُوبِهِمْ﴾ أي بسببها أو متلبسين بها غير تائبين، والمراد من الذنوب على الأول: التكذيب بالآيات المتعددة، وجيء بالسببية تأكيداً لما تفيدته الفاء، وعلى الثاني: سائر الذنوب، وفي ذلك إشارة إلى أن لهم ذنوباً أخرى، وأصل الذنب التلو والتابع، ثم أطلق على الجريمة لأنها يتلو - أي يتبع -.

قال أبو السعود⁽²⁾: ﴿بِذُنُوبِهِمْ﴾ إن أريد بها تكذيبهم بالآيات فالباء للسببية جيء بها تأكيداً لما تفيدته الفاء من سببية ما قبلها لما بعدها وإن أريد بها سائر ذنوبهم فالباء للملابسة جيء بها للدلالة على أن لهم ذنوباً أخرى أي فأخذهم ملتبسين بذنوبهم غير تائبين عنها كما في قوله تعالى: ﴿وَنَزَهَقَ أُنْفُسَهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [التوبة: 55] والذنب في الأصل التلو والتابع، وسُميت الجريمة ذنباً لأنها تتلو أي يتبع عقابها فاعلها ﴿وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ تذييل مقرر لمضمون ما قبله من الأخذ وتكملة له.

● قال تعالى: ﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ﴾ [العنكبوت: 40].

قال ابن كثير⁽³⁾: ﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ﴾ أي كانت عقوبته بما يناسبه.

قال البيضاوي⁽⁴⁾: ﴿فَكَلَّا﴾ من المذكورين. ﴿أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ﴾ عاقبناه بذنبه.

قال الشعراوي⁽⁵⁾: والأخذ هنا بسبب الذنوب ﴿بِذُنُوبِهِ﴾. ليس ظلماً ولا

(1) روح المعاني.

(2) إرشاد العقل السليم.

(3) تفسير ابن كثير.

(4) أنوار التنزيل.

(5) تفسير الشعراوي.

جبروتاً ولا جزافاً، إنما جزاءً بذنوبهم وعدلاً؛ ولذلك يأتي في تذييل الآية: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: 40].

● قال تعالى: ﴿فَاسْتَغْفِرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَعْفُرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران: 135].

قال الفخر الرازي⁽¹⁾: ﴿فَاسْتَغْفِرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾ وهذا يدل على أن الاستغفار كالأثر، والنتيجة لذلك: الذكر، ومعلوم أن الذكر الذي يوجب الاستغفار ليس إلا ذكر عقاب الله، ونهيه ووعيده، ونظير هذه الآية قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَآئِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: 201] والقول الثاني: أن المراد بهذا الذكر ذكر الله بالثناء والتعظيم والإجلال، وذلك لأن من أراد أن يسأل الله مسألة، فالواجب أن يقدم على تلك المسألة الثناء على الله، فهنا لما كان المراد الاستغفار من الذنوب قدموا عليه الثناء على الله تعالى، ثم اشتغلوا بالاستغفار عن الذنوب.

ثم قال: ﴿فَاسْتَغْفِرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾ والمراد منه الإتيان بالتوبة على الوجه الصحيح، وهو الندم على فعل ما مضى مع العزم على ترك مثله في المستقبل، فهذا هو حقيقة التوبة، فأما الاستغفار باللسان، فذاك لا أثر له في إزالة الذنب، بل يجب إظهار هذا الاستغفار لإزالة التهمة، ولإظهار كونه منقطعاً إلى الله تعالى، وقوله: ﴿لِذُنُوبِهِمْ﴾ أي لأجل ذنوبهم. ثم قال: ﴿وَمَنْ يَعْفُرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ والمقصود منه أن لا يطلب العبد المغفرة إلا منه، وذلك لأنه تعالى هو القادر على عقاب العبد في الدنيا والآخرة، فكان هو القادر على إزالة ذلك العقاب عنه، فصح أنه لا يجوز طلب الاستغفار إلا منه. ثم قال: ﴿وَلَمْ يُبْصِرُوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا﴾ واعلم أن قوله: ﴿وَمَنْ يَعْفُرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه، والتقدير: فاستغفروا لذنوبهم ولم يصبوا على ما فعلوا.

(1) التفسير الكبير.

قال الزمخشري⁽¹⁾: ﴿فَاسْتَغْفِرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾ فتابوا عنها لقبحها نادمين عازمين ﴿وَمَنْ يَعْفُرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ وصف لذاته بسعة الرحمة وقرب المغفرة وإنّ التائب من الذنب عنده كمن لا ذنب له، وأنه لا مفرع للمذنبين إلا فضله وكرمه، وأنّ عدله يوجب المغفرة للتائب، لأن العبد إذا جاء في الاعتذار والتنصل بأقصى ما يقدر عليه وجب العفو والتجاوز وفيه تطيب لنفوس العباد، وتنشيط للتوبة، وبعث عليها وردع عن اليأس والقنوط وأن الذنوب وإن جلت فإن عفوه أجل وكرمه أعظم. والمعنى: أنه وحده معه مصححات المغفرة وهذه جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا﴾ [آل عمران: 135] ولم يقيموا على قبيح فعلهم غير مستغفرين. وعن النبي ﷺ: «ما أصرّ من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرّة» وروي: «لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الإصرار».



(1) الكشاف.

ذهب

(ذهب - مضى - ولى)

- **الذَّهَابُ**؛ على نية عدم الرجوع ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَن إِزْهِيمِ الرُّوعِ﴾ [هُود: 74].
- **المُضِي**؛ النفاذ نهائياً ﴿وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الرَّخْرَف: 8].
- **التَّوَلَّى**؛ ذهب غاضباً ﴿إِلَّا مَن تَوَلَّى وَكُفِرَ﴾ [الْعَاشِيَةِ: 23].



النصوص اللغوية:

قال ابن فارس⁽¹⁾: الذال والهاء والباء أُصِيلٌ يدُلُّ على حُسْنٍ ونِصَارَةٍ. من ذلك الذَّهَبُ معروف، وقد يُوَنَّثُ فيقال: ذَهَبَةٌ، ويجمع على الأذْهَابِ. والمَذَاهِبُ: سُيُورٌ تُمَوِّهُ بِالذَّهَبِ، أو خِلَلٌ من سُيُوفٍ. وكلُّ شَيْءٍ مَمُوءٌ بِذَهَبٍ فهو مُذْهَبٌ.

ويقال رجلٌ ذَهَبٌ: إذا رأى مَعْدِنَ الذَّهَبِ فَدُهِشَ. وكميْتُ مُذْهَبٌ: إذا علته حُمْرَةٌ إلى اصفرار. فأما الذَّهْبَةُ فمَطَرٌ جَوْدٌ. وهي قياس الباب؛ لأنَّ بها تَنْضُرُ الأَرْضُ والتَّبات. والجمع ذَهَابٌ. قال ذو الرُّمَّة: فهذا معظَمُ الباب. وبقي أصلٌ آخر، وهو ذَهَابُ الشَّيْءِ: مُضِيَّهُ. يقال: ذَهَبَ يَذْهَبُ ذَهَاباً وذُهوباً. وقد ذَهَبَ مَذْهَباً حَسَناً.

قال الخليل⁽²⁾: الذَّهَبُ: التَّبْرُ. وأهلُ الحجاز يقولون: هي الذَّهَبُ، وبلغتهم

(2) العين.

(1) معجم مقاييس اللغة.

نزلت: ﴿وَالَّذِينَ يَكْذِبُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة: 34]، ولولا ذلك لَعَلَبَ الْمُذَكَّرُ الْمُؤَنَّثَ. والقطعة منها: ذَهَبَةٌ، وغيرهم يقول: هو الذَّهَبُ. الْمُذْهَبُ: الشَّيْءُ الْمُظْلِي بِمَاءِ الذَّهَبِ،

والمُذْهَبُ: اسم شيطانٍ من ولد إبليس عليه لَعْنَةُ اللَّهِ، يبدو للقرءاء فيفتنهم في الوُضوءِ أو غيره. والذَّهَابُ والذُّهوبُ، لغتان، مصدر ذهبت. والمذْهَبُ: يكون مصدراً كالذَّهَابِ، ويكون اسماً للمَضِعِ، ويكون وقتاً من الزَّمانِ. والمذْهَبُ: المَتَوَضَّأُ، بلغة أهل الحجاز. والذَّهْبَةُ: المَطْرَةُ الجَوْدَةُ، والجميعُ: الذَّهَابُ.

والذَّهْبَةُ: الواحدة من الذَّهَابِ. والذَّهَبُ: مِكْيَالٌ لأهل اليَمَنِ: ويجمع على ذهاب وأذْهاب، ثم على الأذْهابِ جمع الجمع.

قال الجوهري⁽¹⁾: الذَّهَبُ معروف، وربما أُنتَتْ، والقطعة منه ذَهْبَةٌ؛ ويجمع على الأذْهابِ والذُّهوبِ. والذَّهَبُ أيضاً: مِكْيَالٌ لأهل اليمن معروف، والجمع أذْهابٌ، وجمع الجمع أذْهابٌ. وذَهَبَ الرَّجُلُ بالكسر: إذا رأى ذَهَباً في المَعْدِنِ قَبَرَ بَصْرُهُ من عَظْمِهِ في عَيْنِهِ. والمذْهابُ: سُيُورٌ تَمُوهُ بالذهب. وكل شيءٍ مَوَّه بالذهب فهو مُذْهَبٌ، والفاعل مُذْهَبٌ. والإذْهابُ والتذهيبُ واحدٌ، وهو التَمْويهُ بالذهب. والذَّهَابُ المَرُورُ؛ يقال: ذهب فلانٌ ذَهَاباً وذُهوباً، وأذْهَبَهُ غيره. وذهب فلانٌ مذهباً حسناً. وقولهم: به مُذْهَبٌ يَعْنُونَ به الموسوسة في الماء وكثرة استعماله في الوضوء. والذَّهْبَةُ بالكسر: المَطْرَةُ، والجمع الذَّهَابُ.

المعنى المشترك لكلمة (ذهب)

وقد وردت كلمة (ذهب) في القرآن الكريم على ستة أوجه:

الوجه الأول: الذهاب يعني: الكلام ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ [التكوير: 26].

(1) الصحاح في اللغة.

- الوجه الثاني: الذهاب يعني: الدعوة ﴿أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ [طه: 24].
- الوجه الثالث: الذهاب يعني: الهجرة ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيِّدِينَ﴾ [الصّافات: 99].
- الوجه الرابع: الذهاب يعني: الانفراد بالشيء ﴿إِذَا لَذَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ﴾ [المؤمنون: 91].
- الوجه الخامس: الذهاب بعينه ﴿فَأَذْهَبَ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا﴾ [المائدة: 24].
- الوجه السادس: الإذهاب يعني: الاستيفاء ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيْبِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا﴾ [الأحقاف: 20].

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيِّدِينَ﴾ [الصّافات: 99].

قال الطبري⁽¹⁾: يقول: وقال إبراهيم لما أفلجّه الله على قومه ونجاه من كيدهم: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي﴾ يقول: إني مهاجرٌ من بلدة قومي إلى الله: أي إلى الأرض المقدّسة، ومفارقهم، فمعتزلهم لعبادة الله. وكان قتادة يقول في ذلك ما: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيِّدِينَ﴾: ذاهب بعمله وقلبه ونيته. وقال آخرون في ذلك: إنما قال إبراهيم ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي﴾ حين أرادوا أن يلقّوه في النار. ذكر من قال ذلك: حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا أبو داود، قال: ثنا شعبة، عن أبي إسحاق، قال: سمعت سليمان بن صرد يقول: لما أرادوا أن يلقّوا إبراهيم في النار ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيِّدِينَ﴾ فجمع الحطب، فجاءت عجوز على ظهرها حطب، فقيل لها: أين

(1) جامع البيان.

تريدين؟ قالت: أريد أذهب إلى هذا الرجل الذي يُلقَى في النار فلما أُلقي فيها، قال: حَسْبِيَ اللهُ عليه توكلت، أو قال: حسبي الله ونعم الوكيل، قال: فقال الله: ﴿يَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَيَّ إِبرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء: 69] قال: فقال ابن لوط، أو ابن أخي لوط: إن النار لم تحرقه من أجلي، وكان بينهما قرابة، فأرسل الله عليه عُنُقًا من النار فأحرقته. وإنما اخترت القول الذي قلت في ذلك، لأن الله تبارك وتعالى ذكر خبره وخبر قومه في موضع آخر، فأخبر أنه لما نجاه مما حاول قومه من إحراقه ﴿وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي﴾ [العنكبوت: 26] ففسر أهل التأويل ذلك أن معناه: إني مهاجر إلى أرض الشام، فكذلك قوله: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي﴾ لأنه كقوله: ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي﴾.

قال الزمخشري⁽¹⁾: أراد بذهابه إلى ربه: مهاجرته إلى حيث أمره بالمهاجرة إليه من أرض الشام؛ كما قال: ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي﴾.

قال ابن عطية⁽²⁾: قالت فرقة: إن قول إبراهيم: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ﴾ كان بعد خروجه من النار، وإنه أشار بذهابه إلى هجرته من أرض بابل حيث كانت مملكة نمرود فخرج إلى الشام ويروى إلى بلاد مصر، وقالت فرقة: قوله: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ﴾ ليس مراده به الهجرة كما في آية أخرى وإنما مراده لقاء الله بعد الاحتراق ولأنه ظن أن النار سيموت فيها، فقال هذه المقالة قبل أن يطرح في النار، فكأنه قال إني سائر بهذا العمل إلى ربي، وهو سيهديني إلى الجنة، نحا إلى هذا المعنى قتادة، وللعارفين بهذا الذهب تمسك واحتجاج في الصفاء وهو محمل حسن في ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ﴾ وحده، والأول أظهر من نمط الآية بما بعده، لأن الهداية معه تترتب، والدعاء في الولد كذلك، ولا يصح مع ذهاب الفناء.

● قال تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَن إِبرَاهِيمَ الرُّوعُ﴾ [هود: 74].

قال الفخر الرازي⁽³⁾: واعلم أن الروع هو الخوف، وهو ما أوجس من

(1) الكشاف.

(2) التفسير الكبير.

(3) المحرر الوجيز.

الخيفة حين أنكر أضيافه والمعنى: أنه لما زال الخوف وحصل السرور بسبب مجيء البشرى بحصول الولد، أخذ يجادلنا في قوم لوط وجواب لما هو قوله: (أخذ) إلا أنه حذف في اللفظ لدلالة الكلام عليه، وقيل تقديره: لما ذهب عن إبراهيم الروع جادلنا.

قال أبو السعود⁽¹⁾: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ﴾ أي ما أوجس منهم من الخيفة واطمأن قلبه بعرفانهم وعرفان سبب مجيئهم، والفاء لربط بعض أحوال إبراهيم عليه الصلاة والسلام ببعض غيب انفصالها بما ليس بأجنبي من كل وجه بل له مدخل تام في السباق والسياق، وتأخير الفاعل عن الظرف لأنه مصب الفائدة، فإن بتأخير ما حقه التقديم تبقى النفس منتظرة إلى وروده فيتمكن فيها عند وروده إليها فضلاً تمكّن.

● قال تعالى: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ﴾ [فاطر: 8].

قال البغوي⁽²⁾: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ﴾، فيكون معناه: أضمن زين له سوء عمله فأضله الله ذهبت نفسك عليه حسرة، أي تتحسر عليه فلا تذهب نفسك عليهم حسرات. وقال الحسين بن الفضل: فيه تقديم وتأخير مجازه: أضمن زين له سوء عمله فرآه حسناً فلا تذهب نفسك عليهم حسرات، فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء، والحسرة شدة الحزن على ما فات من الأمر، ومعنى الآية: لا تغتم بكفرهم وهلاكهم إن لم يؤمنوا.

قال أبو السعود⁽³⁾: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ﴾ دلالة بيّنة. وإما تمهيداً لصرفه عليه الصلاة والسلام عما كان عليه من الحرص الشديد على إسلامهم والمبالغة في دعوتهم إليه ببيان استحالة تحويلهم عن الكفر لكونه في غاية الحسن عندهم، أي أبعد ما ذكر من زين له الكفر من قبل الشيطان فرآه حسناً فانهمك فيه

(1) إرشاد العقل السليم.

(3) إرشاد العقل السليم.

(2) معالم التنزيل.

يقبل الهداية حتى تطمع في إسلامه وتتعَب نفسك في دعوته . فحذف ما حذف
لدلالة ما مر من قوله تعالى ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ﴾ [فاطر: 8] إلخ على أنه ممن
شاء الله تعالى أن يضلّه فمن يهدي من أضلَّ الله وما لهم من ناصرين .

وَقُرِءَ فلا تُذهب نفسك وقوله تعالى: ﴿حَسْرَتٍ﴾ . إمّا مفعول له أي فلا
تهلك نفسك للحسرات والجمع للدلالة على تضاعف اغتنامه عليه الصلّاة
والسّلام على أحوالهم أو على كثرة قبائح أعمالهم الموجبة للتأسّف والتّحسر
وعليهم . صلة تذهب كما يقال: هلك عليه حياً ومات عليه حزناً أو هو بيان
للمتحرّر عليه ولا يجوز أن يتعلّق بحسرات لأنّ المصدر لا تتقدّم عليه صلته، وإمّا
حالٌ كأن كلها صارت حسرات .

● قال تعالى: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [إبراهيم: 19] .

قال الفخر الرازي (1): ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ والمعنى: أن من
كان قادراً على خلق السموات والأرض بالحق، فبأن يقدر على إفناء قوم وإماتتهم
وعلى إيجاد آخرين وإحيائهم كان أولى، لأن القادر على الأصعب الأعظم بأن
يكون قادراً على الأسهل الأضعف أولى . قال ابن عباس: هذا الخطاب مع كفار
مكة، يريد أميتكم يا معشر الكفار، وأخلق قوماً خيراً منكم وأطوع منكم .

● قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ
وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ [الأحزاب: 33] .

قال الفخر الرازي (2): يعني ليس المنتفع بتكليفكن هو الله ولا تنفع الله فيما
تأتين به . وإنما نفعه لكن وأمره تعالى إياكن لمصلحتكن، وقوله تعالى: ﴿لِيُذْهِبَ
عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ﴾ فيه لطيفة وهي أن الرجس قد يزول عيناً ولا
يطهر المحل فقوله تعالى: ﴿لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ﴾ أي يزيل عنكم الذنوب

(2) التفسير الكبير .

(1) التفسير الكبير .

ويطهركم أي يلبسكم خلع الكرامة، ثم إن الله تعالى ترك خطاب المؤمنات وخاطب بخطاب المذكرين بقوله: ﴿لِيُذْهَبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ﴾ ليدخل فيه نساء أهل بيته ورجالهم، واختلفت الأقوال في أهل البيت، والأولى أن يقال هم أولاده وأزواجه والحسن والحسين منهم وعلي منهم لأنه كان من أهل بيته بسبب معاشرته بنت النبي ﷺ وملازمته للنبي.

قال الطبري⁽¹⁾: إنما يريد الله ليذهب عنكم السوء والفحشاء يا أهل بيت محمد، ويطهركم من الدنس الذي يكون في أهل معاصي الله تطهيراً.

● قال تعالى: ﴿فَنَفْسُكُمُ وَتَذَهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: 46].

قال الفخر الرازي⁽²⁾: ﴿وَتَذَهَبَ رِيحُكُمْ﴾ أي نصرتكم، وذهبت ريح أصحاب محمد حين تنازعوا يوم أحد.

قال أبو السعود⁽³⁾: «وتذهب ريحكم» بالنصب عطف على جواب النهي وقرىء بالجزم على تقدير عطف فتفشلوا على النهي أي تذهب دولتكم وشوكتكم فإنها مستعارة للدولة من حيث إنها في تمشي أمرها ونفاذه مشبهة بها في هبوبها وجريانها. وقيل: المراد بها الحقيقة فإن النصرة لا تكون إلا بريح يعيها الله تعالى وفي الحديث «نصرت بالصبا وأهكلت عاد بالدبور».

● قال تعالى: ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ [البقرة: 17].

قال الزمخشري⁽⁴⁾: ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾؟ قلت: يكون كلاماً مستأنفاً. كأنهم لما شبهت حالهم بحال المستوقد الذي طفئت ناره، اعترض سائل فقال: ما بالهم قد أشبهت حالهم حال هذا المستوقد؟ فقيل له: ذهب الله بنورهم. أو يكون بدلاً من جملة التمثيل على سبيل البيان. فإن قلت: قد رجع الضمير في هذا الوجه إلى

(3) إرشاد العقل السليم.

(4) الكشف.

(1) جامع البيان.

(2) التفسير الكبير.

المنافقين فما مرجعه في الوجه الثاني؟ قلت: مرجعه الذي استوقد؛ لأنه في معنى الجمع. وأما جمع هذا الضمير وتوحيده في ﴿حَوْلَهُ﴾، فللحمل على اللفظ تارة، وعلى المعنى أخرى. فإن قلت: فما معنى إسناد الفعل إلى الله تعالى في قوله: ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾؟ قلت: إذا طفئت النار بسبب سماوي ريح أو مطر، فقد أطفأها الله تعالى وذهب بنور المستوقد. ووجه آخر، وهو أن يكون المستوقد في هذا الوجه مستوقد نار لا يرضاها الله. ثم إما أن تكون ناراً مجازية كمنار الفتنة والعداوة للإسلام، وتلك النار متقاصرة مدة اشتعالها قليلة البقاء. ألا ترى إلى قوله: ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾ [المائدة: 64]، وإما ناراً حقيقية أوقدها الغواة ليتوصلوا بالاستضاءة بها إلى بعض المعاصي، ويتهدوا بها في طرق العبث، فأطفأها الله وخيب أمانهم. فإن قلت: كيف صح في النار المجازية أن توصف بإضاءة ما حول المستوقد؟ قلت: هو خارج على طريقة المجاز المرشح فأحسن تدبره.



ذهل

(ذهل - شغل - نسي - غفل - سها - سمد)

- **الذُّهُولُ:** خوف يورث حزناً ونسياناً ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾ [الحج: 2].
- **الانْشِغَالُ:** عارض يورث نسياناً ﴿شَغَلْتَنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا﴾ [الفتح: 11].
- **النُّسْيَانُ:** شغل يورث غياب معلومة مهمة ﴿وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ [طه: 115].
- **الغَفْلَةُ:** نسيان لعدم الشعور بالأهمية ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: 22].
- **السَّهْوُ:** نسيان بسبب شدة أو كربة ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرٍو سَاهُونَ﴾ [الذاريات: 11].
- **السَّمُودُ:** نسيان من اللهو ﴿وَصَحَّحُونَ وَلَا يَتَّكُونَ﴾ [النجم: 60-61].



شرح المعاني:

الذهول: تتعطل الذاكرة لوجود حدث مخيف عظيم غير مريح يلهيك عن محبوب فتذهل عنه بحيث تنظر إليه ولا تراه. حرب، قبلة، فيضان أو أي شيء مخيف يعطل الذاكرة. هذا الذهول يجعلك تنظر إلى من تحب ولا تراه ﴿يَوْمَ

تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿[الحج: 2].

الانشغال: إذا كان الحدث محبوباً وهذا الحديث يلهيك عن واجب يسمى انشغالاً ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِآلِسِنْتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [الفتح: 11] واجب جهادي أو ثقافي أو وظيفي أو سياسي أو مادي فشغلك عن أداء واجبك عظمت ذاكرتك عن وجوب التحاقك بعملك ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَلْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكَاهُونَ﴾ [يس: 55] منشغلون عن كل واجب وليس في الجنة واجبات، ونعيمها المقيم المتكرر يشغل بال أهلها عن كل شيء فهم منشغلون.

الذهول إذن عكس الانشغال فالذهول بحدث مكروه والانشغال بحدث محبوب.

السمود: نسيان من شدة اللهو غروراً وتكبراً ﴿وَنَضْحَكُونَ وَلَا يُكُونُ ﴿٦٠﴾ وَأَنْتُمْ سَاهُونَ﴾ [النجم: 60-61].

النسيان: قانون بشري يمنع التذكر بما مضى مما ينبغي أن تتذكره. النسيان يشغلك عن شيء مضى ولم تعد تذكره.

السهو: يكون عن شيء حالي أو مستقبلي. الذاكرة تتعطل بالنسيان عما مضى وبالسهو عما هو آت. إذا سهوت عن صلاة العشاء مثلاً ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: 5] لمن هم تاركوا الصلاة الآن وفي المستقبل. أما النسيان فشيء آخر ﴿الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ مِنَ الْمُنْفِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [التوبة: 67] ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَسَيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ [طه: 115] فالنسيان والسهو قانون بشري، النسيان يتكلم عن الماضي والسهو عن الحال والمستقبل ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي عَمْرٍو سَاهُونَ﴾ [الذاريات: 11] الآن.

الغفلة: تعذر الذاكرة عن شيء لم يستقر فيها وليس واضحاً، أي إدراكك له ضعيف لا تدرك أهميته وأبعاده فأهمته ذاكرتك لعدم استقرار صورته وحقيقته في عقلك وفي ذاكرتك (وهم في غفلة معرضون) الحساب قادم وسريع وأقرب ما يكون وحينئذ كل ما مات فقد قامت قيامته، ما إن تموت حتى تبدأ قيامتك ثم يبدأ الحساب من ساعة قيامة قيامتك. من قبل أن تخرج روحك من جسدك يبدأ التعامل معك على أنك من العالم الآخر لأن البرزخ من العالم الآخر ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ نَنْظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [الواقعة: 83-85]. كل يوم نرى جنازة تُدفن ولا يخطر ببالنا أننا سنموت إلا من رحم الله ﷻ ولهذا فاتّباع الجنائز في الإسلام عبادة عظيمة لأنها تذكرك ولعلك تصحح أخطائك ﴿أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: 1] ﴿وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم: 39] إدراك الموضوع في عقلك يكون معدوماً فهو غافل. ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفْلُونَ﴾ [الرّوم: 7]. والغفلة أخطر ما تعاني منه البشرية من آدم إلى قيام الساعة. عندما اقتتل ابنا آدم فقتل أحدهما الآخر حتماً القاتل كان غافلاً عن جريمة القتل وعن هول ما يلقاه القاتل يوم القيامة وأول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة قبل الصلاة والصيام والحج هو الدماء: أنه أسال دماً من آخر، هل كان حقاً؟ أو باطلاً؟ فيحاسب على هذا الأساس.

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس⁽¹⁾: الذال والهاء واللام أصلٌ واحد يدلُّ على شغلٍ عن شيءٍ بذعُرٍ أو غيره. ذَهَلْتُ عن الشيءِ أَذْهَلُ، إذا نسيته أو شُغِلْتُ. وَأَذْهَلَنِي عنه كذا.

(1) معجم مقاييس اللغة.

هذا هو الأصل. وحكي عن اللحياني: [جاء بَعْدَ] ذُهِلٍ من الليل وذَهَلَ، كما تقول: مرَّ هُدًى من الليل. ويجوز أن يكون ذلك لإظلامه وأنه يُذْهِل فيه عن الأشياء. ومما شذَّ عن الباب قولهم للفرس الجواد ذُهِلُوا.

قال الخليل⁽¹⁾: ذهل: الذُّهُلُ: الفرسُ الدَّقِيقُ الجواد. والذُّهُلُ: تَرَكُّكَ الشَّيْءِ تَنَاسَاهُ عَلَى عَمْدٍ، أَوْ يَشْغَلُكَ عَنْهُ شَاغِلٌ. ذَهَلْتُ عَنْهُ، وَذَهَلْتُ لِعَتَانِ تَرَكَتُهُ، وَأَذْهَلَنِي كَذَا عَنْهُ كَذَا وَكَذَا. وَالذُّهْلَانُ: حَيَّانٌ مِنْ رَبِيعَةٍ؛ بَنُو ذُهِلِ بْنِ شَيْبَانَ، وَبَنُو ذُهِلِ بْنِ ثَعْلَبَةَ.

قال الجوهرى⁽²⁾: ذَهَلْتُ عَنْ الشَّيْءِ أَذْهَلًا ذُهْلًا: نَسِيتَهُ وَغَفَلْتُ عَنْهُ. وَأَذْهَلَنِي عَنْهُ كَذَا. وَفِيهِ لُغَةٌ أُخْرَى: ذَهَلْتُ بِالْكَسْرِ ذُهُولًا. قَالَ اللَّحْيَانِيُّ: يُقَالُ: جَاءَ بَعْدَ ذُهِلٍ مِنَ اللَّيْلِ وَذَهَلَ، أَي بَعْدَ هَدًى.

قال الفيروزآبادي⁽³⁾: ذَهَلَهُ، وَعَنْهُ، كَمَنَعَ، ذُهْلًا وَذُهُولًا: تَرَكَهُ عَلَى عَهْدٍ، أَوْ نَسِيَهُ لَشُغْلٍ، أَوْ هُوَ السُّلُوءُ، وَطِيبُ النَّفْسِ عَنِ الْإِلْفِ. وَذَهَلَ مِنَ اللَّيْلِ، وَيُضَمُّ: سَاعَةً. وَالذُّهُلُ، بِالضَّمِّ: الْفَرَسُ الْجَوَادُ.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ﴾ [الحج: 2].

قال الزمخشري⁽⁴⁾: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا﴾ منصوب بتذهل. والضمير للزلزلة. وقرئ «تذهل كل مرضعة» على البناء للمفعول: وتذهل كل مرضعة أي: تذهلها الزلزلة. والذهول: الذهاب عن الأمر مع دهشة.

(3) القاموس المحيط.

(4) الكشاف.

(1) العين.

(2) الصحاح في اللغة.

قال الفخر الرازي⁽¹⁾: أي تذهلها الزلزلة والذهول الذهاب عن الأمر مع دهشة .

قال أبو السعود⁽²⁾: وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا﴾ منتصبٌ بما بعده قُدِّمَ عليه اهتماماً به . والضميرُ للزلزلة أي وقت رؤيتكم إيَّها ومشاهدتكم لهولٍ مطلعها ﴿تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ﴾ أي مباشرةً للإرضاع . ﴿عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾ أي تغفلُ وتذهلُ مع دهشةٍ عمَّا هي بصددِ إرضاعه من طفلها الذي ألقمته ثديها . والتعبيرُ عنه بما دونِ مَنْ لتأكيدِ الذهولِ وكونه بحيثُ لا يخطرُ ببالها أنه ماذا لا أنها تعرف شيئته لكن لا تدري من هو بخصوصه ، وقيل: ما مصدريةٌ أي تذهلُ عن إرضاعها . والأولُ أدلُّ على شدةِ الهولِ وكمالِ الانزعاج . وقرئَ تَذْهَلُ من الإذهالِ مبنياً للمفعولِ أو مبنياً للفاعلِ مع نصبِ كلِّ ، أي تذهلها الزلزلة .

قال الألوسي⁽³⁾: وقرئَ ﴿تَذْهَلُ﴾ من الإذهالِ مبنياً للمفعولِ ، وقرأ ابن أبي عبلة واليماني ﴿تَذْهَلُ﴾ منه مبنياً للفاعلِ و(كل) بالنصب أي يوم تذهل الزلزلة ، وقيل: الساعة كل مرضعة .

قال الشعراوي⁽⁴⁾: ومعنى: ﴿تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ...﴾ [الحج: 2] الذهول: هو انصراف جارحة عن مهمتها الحقيقية لهولٍ رأته فتتشغل بما رأته عن تأدية وظيفتها، كما يذهل الخادم حين يرى شخصاً مهيباً أو عظيماً، فيسقط ما بيده مثلاً، فالذهول - إذن - سلوك لا إرادي قد يكون ذهولاً عن شيء تفرضه العاطفة، أو عن شيء تفرضه الغريزة .



(3) روح المعاني .
(4) تفسير الشعراوي .

(1) التفسير الكبير .
(2) إرشاد العقل السليم .

ذوق

(ذوق - أكل - زاد - طعم)

- **الذُّوقُ**؛ وجود الطعام بالفم فيما يقل تناوله ﴿وَلَيْنَ أَذْقَنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَا مِنْهُ إِنِّهٖ لِيَتُوسَّ كُفُورًا﴾ [هُود: 9].
- **الأَكْلُ** - بالفتح: تناول المطعم: ﴿فَاتَّبَعَهُمْ لِأَكْلُونَ مِنْهَا فَمَالُوا مِنَّهَا الْبُطُونَ﴾ [الصافات: 66].
- **الأَكْلُ** - بالضم: كل ما يؤكل ﴿أَكُلْهَا دَائِمًا وَظِلُّهَا﴾ [الرعد: 35].
- **الزَّادُ**: الطعام المدخر ﴿فَاتَّكَ حَيْرَ الزَّادِ الْتَفَوَّى﴾ [البقرة: 197].
- **الطَّعَامُ**: ما يتناول ساعة الأكل ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حِئهِ مَسْكِينًا وَبَنِيَامًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: 8].



النصوص اللغوية:

قال ابن فارس⁽¹⁾: الذال والواو والقاف أصل واحد، وهو اختبار الشيء من جهة تطعم، ثم يشتق منه مجازاً فيقال: ذُقت المأكول أدوقه ذوقاً. وذُقت ما عند فلان: اختبرته. وكلُّ ما نزلَ بإنسانٍ من مكروه فقد ذاقه. ويقال: ذاق القوس، إذا نظرَ ما مقدارُ إعطائها وكيف قوتها.

قال الخليل⁽²⁾: ذوق: ذاق يذوق ذوقاً ومذاقة ومذاقاً وذواقاً. وذواقه ومذاقه

(1) معجم مقاييس اللغة.

(2) العين.

طيب أي طعمه . وَذُقْتُ فَلَانًا وَذُقْتُ مَا عِنْدَهُ، وما نزل بك مكروه فقد ذُقْتَهُ، وقال الله ﷻ : ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدَّخَان: 49]. وفي الحديث: «إن الله لا يحب الذَّوَاتِينَ وَالذَّوَاتَاتِ» أي: كلما تزوجا كرها ومدًا أعينهما إلى غيرهما .

قال الراغب⁽¹⁾: الذُّوق: وجود الطعم بالفم، وأصله فيما يقل تناوله دون ما يكثر، فإن ما يكثر منه يقال له: الأكل، واختير في القرآن لفظ الذوق في العذاب؛ لأن ذلك - وإن كان في التعارف للقليل - فهو مستصلح للكثير، فخصه بالذكر ليعم الأمرين، وكثر استعماله في العذاب، نحو: ﴿لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ [النساء: 56]، ﴿وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ﴾ [السَّجْدَة: 20].

المعنى المشترك لكلمة (ذوق)

وقد وردت كلمة (ذوق) في القرآن الكريم على خمسة أوجه:

الوجه الأول: الذوق يعني: الإنالة ﴿وَلَيْنَ أَذْقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً﴾ [هُود: 9].

الوجه الثاني: الذوق يعني: الوجود ﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا﴾ [الطَّلَاق: 9].

الوجه الثالث: ذاق بمعنى: أكل ﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا﴾ [الأعراف: 22].

الوجه الرابع: الذوق يعني: العذاب ﴿فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِيَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ﴾ [التَّحَلُّل: 112].

الوجه الخامس: الذوق يعني المعاينة ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران: 185].

(1) مفردات الراغب.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: 56].

قال البغوي⁽¹⁾: ﴿لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ ولم يقل: لتذوق وقال عبد العزيز بن يحيى: إن الله ﷻ يُلبس أهل النار جلوداً لا تألم، فيكون زيادة عذاب عليهم، كلما احترق جلدٌ بدلهم جلدًا غيره، كما قال: ﴿سَرَابِيلُهُمْ مِّنْ قَطْرِانٍ﴾ [إبراهيم: 50].

قال أبو السعود⁽²⁾: ﴿لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ ليدوم ذوقهم ولا ينقطع، كقولك للعزیز: أعزك الله، وقيل: يخلق مكانه جلدًا آخر، والعذابُ للنفس العاصية لا لآلة إدراكها. قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: يُبدلون جلوداً بيضاءً كأمثال القراطيس، وروي أن هذه الآية فُرت عند عمر رضي الله تعالى عنه فقال للقاريء: أعدها فأعادها وكان عنده معاذُ بنُ جبلٍ، فقال معاذُ: عندي تفسيرُها: يُبدل في ساعةٍ مائة مرة، فقال عمر رضي الله عنه: هكذا سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول. وقال الحسنُ: تأكلهم النارُ كلَّ يومٍ سبعين ألف مرة كلما أكلتهم قيل لهم: عودوا فيعودون كما كانوا. وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ: «أن بين منكبي الكافر مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع»، وعن أبي هريرة أنه قال رسولُ الله ﷺ: «ضرسُ الكافرِ أو نابُ الكافرِ مثلُ أُحُدٍ، وغلظُ جلده مسيرة ثلاثة أيام» والتعبيرُ عن إدراك العذابِ بالذوق ليس لبيان قلته بل لبيان أن إحساسهم بالعذاب في كل مرة كإحساس الذائقِ بالمذوق من حيث إنه لا يدخله نقصانٌ بدوام الملاسةِ أو للإشعار بمرارة العذابِ مع إيلامه، أو للتنبيه على شدة تأثيره من حيث إن القوة الذائقة أشد الحواسِّ تأثيراً أو على سرايته للباطن، ولعل السرَّ في تبديل الجلود - مع قدرته تعالى على إبقاء إدراكِ العذابِ وذوقه بحاله مع الاحتراق أو مع إبقاء

(2) إرشاد العقل السليم.

(1) معالم التنزيل.

أبدانهم على حالها مَصُونَةٌ عن الاحتراق - أن النفس ربما تتوهم زوال الإدراك بالاحتراق ولا تستبعد كل الاستبعاد أن تكون مَصُونَةٌ عن التألم والعذاب صيانةً بدنها عن الاحتراق.

● قال تعالى: ﴿وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ﴾ (٢٠) ﴿وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٢١)

[السجدة: 20-21].

قال القرطبي⁽¹⁾: ﴿ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ﴾ والذوق يُستعمل محسوساً ومعنى. وقد مضى في هذه السورة بيانه.

﴿وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى﴾ قال الحسن وأبو العالية والضحاك وأبي بن كعب وإبراهيم النَّخَعِيُّ: العذاب الأدنى مصائب الدنيا وأسقامها مما يُبتلى به العبيد حتى يتوبوا؛ وقاله ابن عباس. وعنه أيضاً أنه الحدود. وقال ابن مسعود والحسين بن عليّ وعبد الله بن الحارث: هو القتل بالسيف يوم بدر. وقال مقاتل: الجوع سبع سنين بمكة حتى أكلوا الحيف؛ وقاله مجاهد.

وعنه أيضاً: العذاب الأدنى عذاب القبر؛ وقاله البراء بن عازب. قالوا: والأكبر عذاب يوم القيامة. قال القشيري: وقيل عذاب القبر.

قال ابن كثير⁽²⁾: ﴿وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ﴾ أي: يقال لهم ذلك تقريباً وتوبيخاً.

قال ابن عباس: يعني بالعذاب الأدنى مصائب الدنيا وأسقامها وآفاتهما، وما يحل بأهلها؛ مما يبتلى الله به عباده؛ ليتوبوا إليه. وقال ابن عباس في رواية عنه: يعني به: إقامة الحدود عليهم. وقال البراء بن عازب ومجاهد وأبو عبيدة: يعني به: عذاب القبر. وقال النسائي: أخبرنا عمرو بن علي، أخبرنا عبد الرحمن بن

(2) تفسير ابن كثير.

(1) الجامع لأحكام القرآن.

مهدي عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص، وأبي عبيدة عن عبد الله: ﴿وَلَنْدِيْقَنَّهُمْ مِنْ الْعَذَابِ الْأَذْيِ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ﴾ قال: سنون أصابتهم.

● قال تعالى: ﴿وَلَيْنَ أَذْقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَكْفُرُ كَفُورًا﴾ ﴿٩﴾ وَلَيْنَ أَذْقْنَاهُ نِعْمَاءً بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتَهُ﴾ [هود: 9-10].

قال الطبري⁽¹⁾: يقول تعالى ذكره: ولئن أذقنا الإنسان منا رخاء وسعة في الرزق والعيش، فبسطنا عليه من الدنيا، وهي الرحمة التي ذكرها تعالى ذكره في هذا الموضع.

ويقول تعالى ذكره: ولئن نحن بسطنا للإنسان في دنياه، ورزقناه رخاء في عيشه، ووسعنا عليه في رزقه وذلك هي النعم التي قال الله جل ثناؤه: ﴿وَلَيْنَ أَذْقْنَاهُ نِعْمَاءً﴾. وقوله: ﴿بَعْدَ ضَرَّاءَ﴾ بعد ضيق من العيش كان فيه وعسرة كان يعالجها.

قال ابن عطية⁽²⁾: ﴿أَذْقْنَا﴾ ها هنا مستعارة، لأن «الرحمة» ها هنا تعم جميع ما ينتفع به من مطعوم وملبوس وجاه وغير ذلك. و﴿الْإِنْسَانَ﴾ ها هنا اسم الجنس والمعنى أن هذا الخلق في سجية الناس، ثم استثني منهم الذين ردتهم الشرائع والإيمان إلى الصبر والعمل الصالح.

قال القرطبي⁽³⁾: ﴿وَلَيْنَ أَذْقْنَاهُ نِعْمَاءً بَعْدَ﴾ أي صحة ورخاء وسعة في الرزق.

● قال تعالى: ﴿فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِيَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ﴾ [التحل: 112].

قال الشعراوي⁽⁴⁾: ﴿فَأَذَقَهَا اللَّهُ...﴾. من الذوق، نقول: ذاق وتذوق الطعام إذا وضعه على لسانه وتذوقه. والذوق لا يتجاوز حلمات اللسان. إذن:

(3) الجامع لأحكام القرآن.

(4) تفسير الشعراوي.

(1) جامع البيان.

(2) المحرر الوجيز.

الذوق خاص بطعم الأشياء، لكن الله سبحانه لم يقل: أذاقها طعم الجوع، بل قال: ﴿لِيَأْسَ الْجُوعَ وَالْخَوْفَ...﴾. فجعل الجوع والخوف وكأنهما لباس يلبسه الإنسان، والمتأمل في الآية يطالع دقة التعبير القرآني، فقد يتحول الجوع والخوف إلى لباس يرتديه الجائع والخائف، كيف ذلك؟ الجوع يظهر أولاً كإحساس في البطن، فإذا لم يجد طعاماً عوض من المخزون في الجسم من شحوم، فإذا ما انتهت الشحوم تغذى الجسم على اللحم، ثم بدأ ينحت العظام، ومع شدة الجوع نلاحظ على البشرة شحوباً، وعلى الجلد هزالاً وذبولاً، ثم ينكمش ويجف، وبذلك يتحول الجوع إلى شكل خارجي على الجلد، وكأنه لباس يرتديه الجائع. وتستطيع أن تتعرف على الجوع ليس من بطن الجائع، ولكن من هيئته وشحوب لونه وتغير بشرته، كما قال تعالى عن الفقراء الذين لا يستطيعون ضرباً في الأرض: ﴿تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَتِهِمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا...﴾ [البقرة: 273]. وكذلك الخوف وإن كان موضعه القلب، إلا أنه يظهر على الجسم كذلك، فإذا زاد الخوف ترتعد الفرائص، فإذا زاد الخوف يرتعش الجسم كله، فيظهر الخوف عليه كثوب يرتديه.

وهكذا جسد لنا التعبير القرآني هذه الأحاسيس الداخلية، وجعلها محسوسة تراها العيون، ولكنه أدخلها تحت حاسة التذوق؛ لأنها أقوى الحواس.

قال الفخر الرازي⁽¹⁾: عذبهم الله بالجوع سبع سنين حتى أكلوا الجيف والعظام والعلهز والقد، أما الخوف فهو أن النبي ﷺ كان يبعث إليهم السرايا فيغيرون عليهم. ونقل أن ابن الراوندي قال لابن الأعرابي الأديب: هل يذاق اللباس؟ قال ابن الأعرابي: لا باس ولا لباس يا أيها النسناس، هب أنك تشك أن محمداً ما كان نبياً أما كان عربياً وكان مقصود ابن الراوندي الطعن في هذه الآية، وهو أن اللباس لا يذاق بل يلبس فكان الواجب أن يقال: فكساهم الله لباس الجوع، أو يقال: فأذاقهم الله طعم الجوع.

(1) التفسير الكبير.

لباس الجوع والخوف هو ما ظهر عليهم من الضمور وشحوب اللون ونهكة البدن وتغير الحال وكسوف البال فكما تقول: تعرفت سوء أثر الخوف والجوع على فلان، كذلك يجوز أن تقول: ذقت لباس الجوع والخوف على فلان.

● قال تعالى: ﴿إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً﴾ [الشورى: 48].

قال الطبري⁽¹⁾: ﴿وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَحَرَّهَا﴾ يقول تعالى ذكره: فإننا إذا أغنينا ابن آدم فأعطيناه من عندنا سعة، وذلك هو الرحمة التي ذكرها جل ثناؤه، فرح بها: يقول: سرّ بما أعطيناه من الغنى، ورزقناه من السعة وكثرة المال.

قال أبو السعود⁽²⁾: ﴿وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً﴾ أي نعمة من الصحة والغنى والأمن.

قال الفخر الرازي⁽³⁾: ﴿وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَحَرَّهَا﴾ ونعم الله في الدنيا وإن كانت عظيمة إلا أنها بالنسبة إلى السعادات المعدة في الآخرة كالقطرة بالنسبة إلى البحر، فلذلك سماها ذوقاً. فبيّن تعالى أن الإنسان إذا فاز بهذا القدر الحقير الذي حصل في الدنيا فإنه يفرح بها ويعظم غروره بسببها ويقع في العجب والكبر، ويظن أنه فاز بكل المنى ووصل إلى أقاصي السعادات، وهذه طريقة من يضعف اعتقاده في سعادات الآخرة، وهذه الطريقة مخالفة لطريقة المؤمن الذي لا يعد نعم الدنيا إلا كالوصلة إلى نعم الآخرة، ثم بيّن أنه متى أصبتهم سيئة أي شيء يسوءهم في الحال كالمرض والفقر وغيرهما فإنه يظهر منه الكفر.



(3) التفسير الكبير.

(1) جامع البيان.

(2) إرشاد العقل السليم.

ذئب

(ذئب - سبع - قسورة)

- **الذئب:** الحيوان المعروف ﴿فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ﴾ [يوسف: 17].
- **السبع:** الحيوان المعروف وسمي بذلك لتمام قوته ﴿وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ﴾ [المائدة: 3].
- **القسورة:** الأسد من الغلبة والقهر ﴿حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ﴾ ﴿فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾ [المدثر: 50-51].



النصوص اللغوية:

قال ابن فارس⁽¹⁾: الذال والهمزة والباء أصلٌ واحد يدلُّ على قلةٍ استقرارٍ، وألاً يكون للشيء في حركته جهةً واحدة. من ذلك الذئب، سمي بذلك لتدوُّبه من غير جهةٍ واحدة. ويقال: ذئب الرجل إذا وقع في غنمه الذئب. تدأبت الريح: أتت من كل جانب. وأرض مذأبة: كثيرة الذئاب. وذؤب الرجل: إذا صار ذئباً خبيثاً. وجمع الذئب أذؤب وذئاب وذؤبان. ويقال: تدأبت الناقة تذاؤباً، على تفاعلت: إذا ظارتها على ولدها فتشبهت لها بالذئب، ليكون أزام لها عليه. وقال [قوم]: الإذاب: الفرار.

يشبه الشيء بالذئب. فالذئبة من القتب: ما تحت ملتقى الجنوين، وهو يقع على المنسج.

(1) معجم مقاييس اللغة.

قال الجوهري⁽¹⁾: الذئب يهمز ولا يهمز، وأصله الهمز، والأنثى ذئبة، وجمع القليل أذؤب، والكثير ذئب وذؤبان. وذؤبان العرب أيضاً: صعاليكها الذين يتلصصون. وأرض مذأبة، أي: ذات ذئاب. الذئبان: الشعر على عنق البعير ومشفره. وقال الفراء: الذئبان بقية الوبر. قال: وهو واحد. والذئبة: فرجة ما بين دفتي السرج والرحل، تحت ملتقى الحنوين، وهو يعق على المنسج. وذأبه، أي طرده وحقره. وذأبت الإبل ذأباً: سقتها. وأذأب الرجل: فزع.

قال الفيروزآبادي⁽²⁾: الذئب، بالكسر ويترك همزه: كلب البر، جمعه: أذؤب وذئاب وذؤبان، (بالضم)، وهي بهاء. وأرض مذأبة: كثيرته. ورجل مذؤوب: وقع الذئب في عنقه. وقد ذئب كعني. وذؤبان العرب: لصوصهم وصعاليكهم. وذئاب العصى: بنو كعب بن مالك بن حنظلة. وذؤب، ككرم وفرح: حبت، وصار كالذئب، كتذأب. والذئبان، كسرحان: الشعر على عنق البعير ومشفره، وبقية الوبر. والذئبان، مثنى: كوكبان أبيضان بين العوائذ والفرقدين. وأظفار الذئب: كواكب صغار قدامهما. والذؤبان، مضعراً: ماء ان لهم.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ﴾ [يوسف: 17].

قال الفخر الرازي⁽³⁾: ﴿فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ﴾ قيل أكل الذئب يوسف وقيل عرّضوا وأرادوا أكل الذئب المتاع، والوجه هو الأول.

قال أبو السعود⁽⁴⁾: ﴿فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ﴾ عقيب ذلك من غير مضي زمان يعتاد

(1) الصحاح في اللغة.

(2) القاموس المحيط.

(3) التفسير الكبير.

(4) إرشاد العقل السليم.

فيه التفقد والتعهد. وحيث لا يكاد يُطرح المتاع عادة إلا في مقام يؤمن فيه الغوائل لم يعد تركه عَلَيْهِ السَّلَامُ عنده من باب الغفلة وترك الحظ الملتزم لا سيما إذا لم يبرحوه ولم يغيبوا عنه، فكأنهم قالوا: إنا لم نقصر في محافظته ولم نغفل عن مراقبته بل تركناه في مأمنا ومجمعنا بمرأى منا لأن ميدان السباق لا يكون عادة إلا بحيث يتراءى غايته وما فارقناه إلا ساعة يسيرة بيننا وبينه مسافة قصيرة فكان ما كان.

قال الألوسي⁽¹⁾: ﴿فَأَكَلَهُ الذَّبُّ﴾ عقيب ذلك من غير مضي زمان يعتاد فيه التفقد والتعهد وحيث لا يكاد يطرح المتاع عادة إلا في مقام يؤمن فيه الغوائل لم يعهد تركه عَلَيْهِ السَّلَامُ عنده ن باب الغفلة وترك الحفظ الملتزم لا سيما إذا لم يغيبوا عنه فكأنهم قالوا: إنا لم نقصر في محافظته ولم نغفل عن مراقبته بل تركناه في مأمنا ومجمعنا بمرأى منا وما فارقناه إلا ساعة يسيرة بيننا وبينه مسافة قصيرة فكان ما كان قاله شيخ الإسلام، والظاهر أنهم لم يريدوا إلا أن الذئب أكل يوسف ولم يقصدوا بذلك تعريضاً فما قيل: إنهم عرضوا وأرادوا أكل الذئب المتاع لا يلتفت إليه لما فيه من الخروج عن الجادة من غير موجب.



(1) روح المعاني.

ذود

(ذود - طرد)

■ **الذُّودُ:** طرد الذود أي، الإبل ﴿وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ أُمَّرَاتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ [القصاص: 23].

■ **الطَّرْدُ:** الإزعاج والإبعاد على طريق الاستحقاق ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ [الأنعام: 52].



النصوص اللغوية:

قال ابن فارس⁽¹⁾: الذال والواو والذال أصلان: أحدهما تنحية الشيء عن الشيء، والآخر جماعة الإبل. ومحمّلاً أن يكون البابان راجعين إلى أصل واحد. فالأول قولهم: ذُذت فلاناً عن الشيء أذوده ذوداً، وذُذت إبلي أذودها ذوداً وذِياداً. ويقال: أذذت فلاناً: أعنته على زياد إبليه. والأصل الآخر: الذُّود من النَّعم. قال أبو زيد: الذُّود من الثلاثة إلى العشرة.

قال الخليل⁽²⁾: الذُّود من الإبل من الثلاث إلى العشر. وذُذته أذوده عن كذا أي: دَفَعته.

قال الجوهري⁽³⁾: الذُّود من الإبل: ما بين الثلاث إلى العشر؛ وهي مؤنثة لا

(3) الصحاح في اللغة.

(1) معجم مقاييس اللغة.

(2) العين.

واحد لها من لفظها، والكثير أذواد. وفي المثل: الذُّودُ إلى الذُّودِ إِبِلٌ، قولهم إلى بمعنى مَع، أي: إذا جمعت القليلَ مع القليل صار كثيراً. والذِّيادُ: الطردُ، تقول: دُدُّتُه عن كذا. ودُدُّتُ الإبلَ: سَفُّتُها وطرَدْتُها. والتَّدويدُ مثله. وأدَدْتُ الرجلَ: أَعَنَّتُه على زيادِ إبله. ورجل ذائد وذوَّادٌ، أي: حامي الحقيقة دَفَّاعٌ. والمِدوَدُ اللسان.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ [القَصص: 23].

قال الفخر الرازي⁽¹⁾: ﴿امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ والذود الدفع والطرْد فقوله (تذودان) أي: تحبسان، ثم فيه أقوال: الأول: تحبسان أغنامهما واختلفوا في علة ذلك الحبس على وجوه: أحدها: قال الزجاج لأن على الماء من كان أقوى منهما فلا يتمكنان من السقي، وثانيها: كانتا تكرهان المزاومة على الماء، وثالثها: لثلا تختلط أغنامهما بأغنامهم، ورابعها: لثلا تختلطا بالرجال القول: الثاني: كانتا تذودان عن وجوههما نظراً الناظر ليراهما، والقول الثالث: تذودان الناس عن غنمهما، القول الرابع: قال الفراء تحبسانها عن أن تتفرق وتتسرب.

قال الطبري⁽²⁾: ﴿وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ يقول: ووجد من دون أمة الناس الذين هم على الماء، امرأتين تذودان، يعني بقوله: ﴿تَذُودَانِ﴾ تحبسان غنمهما يقال منه: ذاد فلان غنمه وماشيته: إذا أراد شيء من ذلك يَشُدُّ ويذهب، فردّه ومنعه يذودها ذُوداً. وقال بعض أهل العربية من الكوفيين: لا يجوز أن يقال: ذدت الرجل بمعنى: حبسته، إنما يقال ذلك للغنم والإبل. وقد

(1) التفسير الكبير.

(2) جامع البيان.

رُوي عن النبي ﷺ: «إني لبُعْقَرِ حَوْضِي أُذُودُ النَّاسِ عَنْهُ بَعْصَايَ» فقد جعل الذُّودَ ﷺ في الناس ومن الذُّودِ. وعن السديّ ﴿وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ أُمَّرَاتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ يقول: تحبان غنمهما. واختلف أهل التأويل في الذي كانت عنه تذود هاتان المرأتان، فقال بعضهم: كانتا تذودان غنمهما عن الماء، حتى يَصُدَّرَ عنه مواشي الناس، ثم تسقيان ماشيتهما لضعفهما.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: تذودان الناس عن غنمهما.

وأولى التأويلين في ذلك بالصواب قول من قال معناه: تحبان غنمهما عن الناس حتى يفرغوا من سقي مواشيهم.

قال أبو السعود⁽¹⁾: ﴿أُمَّرَاتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ أي تمنعان ما معهما من الأغنام عن التقدم إلى البئر كيلا تختلط بأغنامهم مع عدم الفائدة في التّقدم ﴿قَالَ﴾ ﷺ لهما حينَ رَأَهُمَا على ما هُما عليه من التّأخِرِ والذودِ.

قال الشعراوي⁽²⁾: ﴿أُمَّرَاتَيْنِ تَذُودَانِ...﴾ أي: تكفّان الغنم وتمنعانها من الشُّرب لكثرة الزحام على الماء.



(1) إرشاد العقل السليم.

(2) تفسير الشعراوي.

ذَام

(ذَام - دحر - دخر - هزم - قهر)

- **الذَّام:** الطرد من عيب ارتكبه وهو أشد من الذم ﴿قَالَ أَخْرَجَ مِنْهَا مَذْمُومًا﴾ [الأعراف: 18].
- **الدَّخْر:** طرد العدو بعد هزيمته من المعركة ﴿قَالَ أَخْرَجَ مِنْهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ [الأعراف: 18].
- **الدَّخْر:** إذلال العدو عن دخره ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: 60].
- **الهْزَم:** تحطيم العدو في أرض المعركة ﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: 251].
- **القَهْر:** الاستيلاء على إرادة العدو بعد هزيمته ودخره ودخره.



النصوص اللغوية:

قال ابن فارس⁽¹⁾: الذال والهمزة والميم أصلٌ يدلُّ على كراهةٍ وعيب. يقال: أذأمتني على كذا، أي: أكرهتني عليه. ويقولون: ذأمته، أي: حقرته. والذَّام: العيب، وهو مذوومٌ. فأما الذَّانُ بالنون، فليس أصلاً، لأنَّ النون فيه مبدلة من ميم. قال: ردذنا الكتبية مَلْمُومَةٌ بها أفئها وبها ذانها.

(1) معجم مقاييس اللغة.

قال الخليل (1): ذَامَتْهُ ذَامًا فَهُوَ مَذْوُومٌ، أي: حَقَرْتُهُ فَهُوَ مَحْقُورٌ، ويقال: ما يلزَمُكَ مِنْهُ لَوْمٌ وَلَا ذَمٌّ وَلَا ذَامٌ وَلَا عَيْبٌ.

قال الجوهري (2): الذَّامُ: العَيْبُ، يَهْمَزُ وَلَا يَهْمَزُ. يقال: ذَامَهُ يَذَامُهُ. إذا عابه وحقَّره، فهو مَذْوُومٌ.

قال ابن منظور (3): ذَامَ الرَّجُلَ يَذَامُهُ ذَامًا: حَقَّرَهُ وَذَمَّهُ وَعَابَهُ، وقيل: حَقَّرَهُ وطرده، فهو مَذْوُومٌ، كذَابُهُ؛ واذَامَ وَذَامَهُ ذَامًا: طرده. وفي التنزيل العزيز: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَذْمُومًا مَضْحُورًا﴾ [الأعراف: 18]؛ يَكُونُ مَعْنَاهُ مَذْمُومًا وَيَكُونُ مَطْرُودًا. وقال مجاهد: مَذْوُومًا مَنفِيًّا، وَمَذْحُورًا مَطْرُودًا. وَذَامَهُ ذَامًا: أَخْزَاهُ. وَالذَّامُ: الْعَيْبُ، يُهْمَزُ وَلَا يَهْمَزُ. وفي حديث عائشة، رضي الله عنها: «قالت لليهود عليكم السامُ والذَّامُ».

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿قَالَ أَخْرَجَ مِنْهَا مَذْمُومًا﴾ [الأعراف: 18].

قال الزمخشري (4): ﴿مَذْمُومًا﴾ من ذَامَهُ إِذَا ذَمَّهُ. وقرأ الزهري: «مذوما»، بالتخفيف، مثل مسول في مسؤل.

اعلم أن إبليس لما وعد بالإفساد الذي ذكره، خاطبه الله تعالى بما يدل على الزجر والإهانة فقال: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا﴾ من الجنة أو من السماء ﴿مَذْمُومًا﴾ قال الليث: ذَامَتِ الرَّجُلَ فَهُوَ مَذْوُومٌ أَي: مَحْقُورٌ وَالذَّامُ الْإِحْتِقَارُ، وَقَالَ الْفَرَاءُ: ذَامَتَهُ إِذَا عَبَتَهُ يَقُولُونَ فِي الْمَثَلِ: لَا تَعْدِمُ الْحَسَنَاءُ ذَامًا. وقال ابن الأنباري: المذْووم المذموم، قال ابن قتيبة: مذومًا مذمومًا بأبلغ الذم.

(3) اللسان.

(1) العين.

(4) الكشاف.

(2) الصحاح في اللغة.

قال القرطبي⁽¹⁾: «مذؤوماً» أي مذموماً. والذأم: العيب، بتخفيف الميم. قال ابن زيد: مذؤوماً ومذموماً سواء؛ يقال: ذأمته وذممته وذمتته بمعنى واحد. وقرأ الأعمش «مذؤوماً». والمعنى واحد؛ إلا أنه خفف الهمزة. وقال مجاهد: المذموم المنفي. والمعنيان متقاربان.

قال الألويسي⁽²⁾: ﴿مذؤوماً﴾ أي مذموماً كما روي عن ابن زيد، أو مهاناً لعيناً كما روي عن ابن عباس وقتادة، وفعله ذأم. وقرأ الزهري ﴿مذؤوماً﴾ بذيال مضمومة وواو ساكنة وفيه احتمالان الأول أن يكون مخففاً من المهموز بنقل حركة الهمزة إلى الساكن ثم حذفها، والثاني أن يكون من ذام بالألف كباع وكان قياسه على هذا مذيوم كمبيع إلا أنه أبدلت الواو من الياء على حد قولهم؛ مكول في مكيل مع أنه من الكيل، ونصبه على الحال.



(2) روح المعاني.

(1) الجامع لأحكام القرآن.

فهرس المحتويات

		حرف الخاء
71	- خشب	5 - خرص
73	- خشع	(خرص - إفك - بهت - زور - افتراء - كذب)
	(خشع - خبت - خضع - ذعن - ضرع - عنت - قنت)	9 - خرطوم
83	- خشبي	(خرطوم - أنف)
	(خشبي - حذر - خوف - رعب - رهب - وجل - وجف)	12 - خرق
96	- خصص	(خرق - ثقب - نقب - نفق)
	(خصص - أثر - اصطفى - اختار - اجتنبى)	21 - خزن
100	- خصصف	(خزن - حرس - حفظ - رصد - رقيب)
102	- خصم	30 - خزي
	(خصم - جدل - نزع)	(خزي - سوء - هوان - ذم - سب)
112	- خضد	44 - خساء
	(خضد - حصد - جنى - صرم - قطف)	(خساء - خيب - تب - تعس - خسر - فشل)
115	- خضر	48 - خسر
	(خضر - حوي - دهم)	(خسر - ضييع - فقد - غرم - نقص)
		67 - خسف
		(خسف - خرّ - هوى - انهار)

- 195 خل - 120 خضع -
 (خل - بين - وسط - آناء) (خليل -
 خدن - صاحب - صديق - رفيق)
 200 خلد - 125 خطّ -
 (خلد - بقي - ظلّ - دام)
 205 خلص - 129 خطأً -
 (خلص - طهر - زكو - طاب -
 محص)
 212 خلط - 141 خطب -
 (خلط - مرج - مزج - مشج - لبس
 - أشرك - شوب)
 223 خلع - 142 خطب -
 (خلع - نزع - سلخ)
 227 خلف - 154 خطف -
 (خلف - آخر - دبر - عقب - قفا -
 وراء)
 239 خلق - 159 خطوات -
 (خلق - أبداع - برأ - صور)
 253 خلو - 167 خفت -
 (خلو - مضى - سبق - تقدم -
 سلف)
 264 خمد - 175 خفض -
 (خمد - سكن - كسل - ثقل -
 نعس)
 267 خَمَرَ - 179 خف -
 (خمار - ثوب - لباس - جلباب -
 كساء - سربال - ريش - إزار)
 190 خفي -
 (خفي - بطن - غاب - غرب -
 كسف - خسف)

- 353 خيب -
(خيب - تبّ - تعس - خسر -
خسيء - فشل)
- 357 خير -
(خير - رزق - مال - بنون)
- 373 خيط -
(خيط - حبل - سلسلة)
- 378 خيل -
(خيل - خيال - سراب - أسطورة)
- حرف الدال**
- 383 دَبّ -
(دَبّ - تَسَلَّل - حَطَو - رَجَل -
رَحَف - سَعَى - سَلَك - سَارَ -
انطلق)
- 393 دُبُر -
(دُبُر - حَلَفَ - آخِرَ - عَقَبَ - قَفَا -
وَرَاءَ)
- 404 دَثِر -
(دَثِر - أُثِثَ - فُرُشَ - مَتَاعَ - زَمَل)
- 407 دَحَرَ -
(دَحَرَ - هَزَمَ - دَحَرَ - قَهَرَ)
- 410 دَحَضَ -
(دَحَضَ - كَذَبَ - فَرِيَ - فَنَدَ)
- 413 دحو -
(دحو - طحا)
- 277 حَمَسَ -
- 280 حمص -
(حمص - جوع - خصص -
السغب)
- 288 خنزير -
- 291 حنس -
(حنس - حفي - وري - وقب)
- 301 حنق -
(حنق - حسّ - وأد - ذكو - صرع -
صلب - عقر)
- 308 خور -
(خور - غثاء - رغاء - نباح - نعيق
- مواء - سهل)
- 311 خوض -
(خوض - عبث - لعب - لغو - لهو)
- 320 خوف -
(خوف - رهب - فزع - وجل -
شفق)
- 331 خول -
(خول - فوض - وگل - زعم)
- 337 خون -
(خون - ختر - غل - خدع - نفاق -
مكر - كيد - نكت)
- 344 خوي - خواء -
(خواء - خلاء - فراغ - فضاء -
هواء - جوف وأجوف)

- 482 دَسَى -
(دَسَى - حَبْتٌ - رِجْزٌ - رِجْسٌ -
نَجَسٌ)
- 485 دَعَّ -
(دَعَّ - زَجَرَ - هَزَّ)
- 488 دَعَا -
(دَعَا - بَهَلٌ - صَرَعَ - اسْتَعَاثَ -
طَلَبَ)
- 497 دَفَعَ -
(دَفَعَ - دَحَضَ - هَزَمَ - دَحَرَ - دَخَرَ -
أَجَلَى - طَرَدَ - شَرَدَ - قَهَرَ -
أَتَحَنَ)
- 505 دَفِقَ -
(دَفِقَ - جَرَى - فَاضَ - سَالَ -
سَفَكَ - سَكَبَ - صَبَّ)
- 508 دَفِئٌ -
(دَفِئٌ - حَرٌّ - حَمَاوَةٌ - أَجَاغٌ -
حَرُورٌ - حَمِيمٌ - يَحْمُومٌ -
سَمُومٌ)
- 512 دَكَّ -
(دَكَّ - دَكَّاءٌ - سَوَى - بَسَطَ)
- 517 دَلَّ -
(دَلَّ - عَرَفَ - عَلِمَ - هَدَى)
- 521 دَلَّى -
(دَلَّى - سَقَطَ - نَزَلَ)
- 526 دَلَّكَ -
(دَلَّكَ - مَسَحَ - دَهَنَ)
- 416 دَخَرَ -
(دَخَرَ - دَحَرَ - هَزَمَ - قَهَرَ - طَرَدَ)
- 420 دَخَلَ -
(دَخَلَ - نَفَذَ - وَاجَعَ - افْتَحَمَ - وَقَبَ -
دَسَّ)
- 430 دَخَنَ -
(دَخَنَ - غَبَرَ - قَتَرَ - سَمُومٌ)
- 434 دَرَّ -
(دَرَّ - ثَجَّ - سَالَ - سَفَحَ - سَفَكَ -
سَكَبَ - صَبَّ - طَافَ)
- 438 دَرَجَ - الدَّرَجَةُ -
(الدَّرَجَةُ - الِوَجَاهَةُ - الزُّلْفَى -
المُقَامُ - القُدْرُ)
- 446 دَرَسَ -
(دَرَسَ - تَلَا - قَرَأَ)
- 454 دَرَكَ -
(دَرَكَ - بَلَغَ - لَحِقَ - وَرَدَ)
- 461 دِرْهَمٌ -
(دِرْهَمٌ - دِينَارٌ)
- 464 دَرَى -
(دَرَى - عَرَفَ - عَلِمَ)
- 469 دَرَأَ -
(دَرَأَ - دَفَعَ - صَرَفَ - كَفَّ)
- 476 دَسَّ -
(دَسَّ - خَفِيَ - بَطَنَ - سَرَّ)
- 479 دَسَرَ -
(دَسَرَ - حَبَلٌ - وَثَاقٌ - غَلَّ - رَبَاطٌ -
طَوَّقَ - سِلْسِلَةٌ)

- 591 دَأَبٌ - (دَأَبٌ - جَدٌّ - دَأَوْمٌ)
- 595 دَارٌ - (دَارٌ - بُرْجٌ - فَصْرٌ - بَيْتٌ - حِصْنٌ)
- 604 دُوْلٌ - (دُوْلٌ - بَلَدٌ - مَدِينَةٌ - قَرْيَةٌ - مِصْرٌ)
- 609 داوم - (داوم - دَأَبٌ - جد)
- 614 دَيْنٌ - (دين - رهن - قرض)
- 615 دَيْنٌ - (دَيْنٌ - شَرِيْعَةٌ - مِنْهَاجٌ - مِلَّةٌ)
- 627 دُونٌ - (دُونٌ - تَحْتَ - أَسْفَلَ - فَعْرٌ)
- حرف الذال**
- 633 ذَبْذَبٌ - (ذَبْذَبٌ - تَحْيِيرٌ - تَرَدَدٌ - تَاهٌ)
- 641 ذَبْحٌ - (ذَبْحٌ - خَنْقٌ - حَسٌّ - وَأَدٌ - ذَكَوٌ - صَرَعٌ - صَلْبٌ - عَقْرٌ - نَحْرٌ)
- 646 ذَرِيَةٌ - (ذَرِيَةٌ - حَفْدٌ - سَبْطٌ)
- 650 ذِرَاعٌ - (ذِرَاعٌ - يَدٌ - كَفٌ)
- 654 ذِرَاءٌ - (ذِرَاءٌ - خَلْقٌ - خَزَنٌ - بَثٌّ)
- 530 دَمْدَمٌ - (دَمْدَمٌ - أَرْزٌ - عَلَى - عَصَفٌ - فَصَفٌ - فَرَعٌ - رَعْدٌ)
- 541 دمي - (دمي)
- 545 دَمَرٌ - (دَمَرٌ - بَادٌ - مَحَقٌ - هَلَكٌ - بَطَشٌ)
- 549 دمع - (دَمَعٌ)
- 552 دَمَعٌ - (دَمَعٌ - حَبِطٌ - جَلَدٌ - ضَرَبٌ - صَكٌّ - وَكَزٌ)
- 555 دينار - (دينار - درهم)
- 558 دنو - (دَنُوٌ - قَرَبٌ)
- 566 دَهْرٌ - (دَهْرٌ - حَقَبٌ - أَمْدٌ - سَرْمَدٌ - أَبْدٌ - فَتْرَةٌ)
- 571 دَهَقٌ - (دَهَقٌ - مَلَأٌ)
- 574 دَهْمٌ - (دَهْمٌ - حَوِيٌّ - حَضِيرٌ)
- 578 دُهْنٌ - (دُهْنٌ - زَيْتٌ - مَهْلٌ - شَحْمٌ)
- 579 دَهْنٌ - (دَهْنٌ - لَائِنٌ - نَافِقٌ - رَأَعِيٌّ)

- 732 ذنب - (ذنب - حنث - إثم - جرم - جناح - حوب - خطأ - زلل - سيئة - فاحشة - رجس)
- 739 ذهب - (ذهب - مضى - ولى)
- 747 ذهل - (ذهل - شغل - نسي - غفل - سها - سمد)
- 752 ذوق - (ذوق - أكل - زاد - طعم)
- 759 ذئب - (ذئب - سبع - قسورة)
- 762 ذود - (ذود - طرد)
- 765 ذأم - (ذأم - دحر - دخر - هزم - قهر)
- 663 ذرو - (ذرو - طار - رقى - عرج)
- 668 ذعن - (ذعن - خبت - خشع - خضع - ضرع - عنت - قنت)
- 675 ذقن - (ذقن)
- 678 ذكر - (ذكر - فرقان - قرآن - كتاب)
- 683 ذكر - (ذكر - كلام - نطق - همس - لفظ - قول - حديث - خطاب - بيان)
- 711 ذكو - (ذكو - ذبح - خنق - حسّ - وأد - صرع - صلب - عقر)
- 714 ذلّ - (ذلّ - دخر - ذم - صغر)
- 723 ذم - (ذم - طعن - همز - لمز - نبز - قبح)

